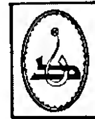
mngool.com

العَقِيد محمّد صفا

الحَرب

. فنّ القيادة
. المعارك الفاصلة في التاريخ
. إدارة الحرب
. المذهبيّة العسكريّة

دار النفائس


دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية صفي الدين
ص . ب ٦٣٤٧/ ١١ أو ٥١٥٢/ ١٤
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مُقدّمة الطبعة الأولى

يبحث هذا الكتاب في الحرب بوجه عام، وفي جريان الحرب وأشكالها المختلفة • وهو يبتدىء بتعداد وتعريف للمصطلحات العسكرية مساعدة على نشر وتعميم هذه المصطلحات ، التي لا تزال مجهولة من لدن الكثير من الناس ، ولا سيما المذيعين والناشرين •

كانت المحاربة ، ولا تزال حتى يومنا هذا تتبع نفس القواعد والمبادىء التي عرفها الانسان منذ أقدم العصور • لكن هذه المحاربة، حتى نهاية الربع الأول من القرن الميلادي العشرين ، كانت تجري فقط على مساحتين هما اليابسة والماء ، وكان ميدان المعركة لا يزيد حجما عن حجم ميدان كبير لسباق الخيل •

أما اليوم ، فقد صارت المحاربة تجري على خمس مساحات هي : اليابسة ، والماء ، وتحت الماء ، ومتن الهواء ، والأجواء العليا • وصار ميدان المعارك يعم مجمل الساحة الوطنية ، بل ويتعدى ذلك أحيانا ليشمل قارات بكاملها •

وحتى ١٩٤٥ ، كانت أسلحة القتال الرئيسية تتكون من الدبابة والطائرة • لكن عام ١٩٤٥ ، والاعوام التي تلت ، أدخلت الى ميدان القتال أسلحة الذرةوالصواريخ القارية والجراثيم ، وهذه كلها أسلحة رهيبة ومعقدة ، ولا تستطيع الدول الفقيرة انتاجها • والأمل أن يعقل الانسان فيحجم عن تعريض البشرية الى خطر الفناء فى حال استعماله لهذه الاسلحة المخيفة •

فان حصل ذلك، فلن يظل فى الواجهة من أسلحة رئيسية سوى الطائرة والدبابة • ان الطيران سلاح حاسم اذا سيطر على سماء المعركة • ولا تستطيع أية قوة ميكانيكية أن تعمل بنجاح تحت مثل هذه السيطرة • والطيران لا يقابل الا بالطيران المعترض ، وبالاسلحة المضادة ، التي

أهمها الصواريخ الارضية والجوية • وأسلحة الطيران والصواريخ باهظة التكاليف، ويتطلب صنعها واستعمالها مقدرةفنية فائقة، ومعرفة كاملة بالتكنولوجيا والتشغيل •

وتتطلب الدبابة كذلك ، معرفة متفوقة فى الميكانيك والتشغيل والاستعمال ، بالاضافة الى جسارة فائقة ، ومقدرة متفوقة على المقاتلة بتشكيل القطعان ، بضراوة وأعصاب حديدية ، واستطاعة على تحقيق الاستمرارية فى الحركة بقصد التعرض والهجوم واكتساح العقبات والمقاومات •

ولكي يكون القطيع منالدبابات فتاكا وقادرا علىتحقيق استمرارية الحركة ، عليه أن يبادىء بالنار كل مكانيمكن أن يكون العدو متمركزا فيه ، وكذلك حواشي البساتين والغابات والنقاط المشرفة • وهذا النوع من التصرف هو اسراف لا مفر منه فى النار والحركة ، ويؤدي بالتالي الى وجوب تأمين سيل متواصل دافق من التموين بالذخيرة والمحروقات وقطع الغيار •

الدبابة ، وما يتبعها من الاسلحة الميكانيكية المساندة ، كلها تقاتل كما كانت الخيالة الثقيلة والخفيفة تقاتل، يوم كانالحصان سيد الميدان فى المعركة • والدبابة الثقيلة ، كالخيالة الثقيلة ، هي سلاح الصدم والسحق والاقتحام • أما الدبابة الخفيفة ، فهي ، كالخيالة الخفيفة ، سلاح المطاردة والاغارة على مراكز القيادات وسواها من النقاط الحساسة ، كقطع طرق التموين ، والاستباق الى مسك نقاط العبور الاضطرارية، واشغال الاراضي المكتسبة بانتظار وصول المشاةالمنقولة• وهي أخيرا لحماية الدبابات الثقيلة نفسها حين التوقف للراحة أو للتجمع والتموين •

ونتيجة كل معركة ميكانيكية، تقاس بعدد الدبابات المعطبة المتروكة على أرض المعركة • والفريق الفائز هو الذي يترك وراءه أقل عدد من هذه الآليات ، والذي يكون الأسرع والأنجع فى اصلاح الدبابات المعطبة حيث تكون ، واعادتها الى القتال دون تأخير •

والمحاربة المعاصرة ، لكثرة ما فيها من أدوات القتل المتنوعة ، شديدة الفتك بالانسان • ولذا فمن واجب كل قيادة أن تعمل كل ما فى وسعها

على تقليل الخسائر بالارواح، وأن تفتش دوما عن الوسائط والاساليب الكفيلة بتحقيق ذلك ·

ولما كانت معظم الأسلحة الفتاكة ، بما فى ذلك الطائرات والدبابات، لا تستطيع تأدية المطلوب منها الا فى حالة الرؤية الجيدة ، أي فى النهار، لذا لا يستبعد أن يجري تعديل على مواقيت العمل لدى الجيوش المتحاربة ، فى السلم والحرب ، بحيث يخصص الليل للتدريب والتمرين والمقاتلة، بينما تستعمل ساعات النهار للاستراحة والنوم والاختفاء عن أنظار العدو ورقابته ·

ومثل هذا التوقيت والتغيير فى نظام استعمال الليل والنهار، يتطلب ضبطا صارما ، وأعصابا قوية ، وتجهيزات فردية تمكن من الرؤية القريبة فى جنح الظلام · وليس من الضروري ، أثناء السلم ، اخضاع جميع التشكيلات لنظام العمل الليلي طول وجودها قيد الخدمة ، بل من الممكن تنظيم التوقيت ، بحيث يكون العمل ليلا كمرحلة نهائية متوّجة للتدريب المثالي على القتال ، ومن ثم يكون تناوب دائر بين التشكيلات التي أنهت التدريب ، فتارة يكون العمل نهارا وأخرى ليلا ، وهكذا دواليك · أما أثناء الحرب ، فيجب أن يقتصر النشاط على الليل ، ما لم تتأمن سيطرة مطلقة على الاجواء فوق المعركة، وفوق المواصلات، وفوق القوافل ومراكز التموين ·

والمهاجمة الليلية ، بالاضافة الى التجهيزات البصرية التي يزود بها كل مقاتل وكل سيارة ، تتطلب أيضا أن تتوفر للقوة المهاجمة أعداد كبيرة من قاذفات الضوء ، التي تسلط أضواءها القوية على العدو فتعميه ، فلا يرى ولا يستطيع التصويب ، وتكشفه لأنظار المهاجمين بوضوح فى ذات الوقت · وقد استعملت قاذفات الضوء على هذا الشكل فى صحراء سيناء ، فى حرب عام ١٩٦٧ ·

وكذلك لا يستبعد أن يعاد الى استخدام الخيل فى المؤسسات العسكرية، ولو بصورة جزئية على الاقل ، وذلك للاسباب الهامة التالية :

- رياضة الضباط ، فالفروسية من أحسن الوسائل وأنبلها للاعتناء بالجسم والحفاظ على لياقته ومقاومته ،
- الحيلولة دون انقراض هذا الحيوان النبيل الجميل ، ليكون

متوفرا حين تجبر الظروف على العـودة الى استخدامه كواسطة للحركة والنقل ، ولكونه ثروة لمن يحسن تربيته والمتاجرة به ، كما هو ، مع الغزال ، احدى المظـاهر الطبيعيـة المميـزة لعالمنا العربي ،

– تأمين استمرارية المعرفة والخبرة فى الاستخدام العسكري لهذا الحيوان ، وفى معالجته وتوفير متطلباته سواء للحركة أو النقل أو الفروسية ٠

وأملي أخيرا أن أحقق من وراء هذه المحـاولة ما قصـدت اليه ، ألا وهو خدمة بني قومي ٠ ان العسكرية عـلم وخبرة ، أي معرفة وتجربة ينتج عنهما فن قيادة الجيوش واستعمالهـا النـاجح فى ساحات القتال ٠ والقائد الناجح هو الذي يداوم على تثقيف نفسه ، وعلى متابعة تطور الأسلحة وطرق استخدامها ، فى جميع المجالات ٠

والله ولي الأمر والتوفيق ٠

العقيد

محمد أسد الله صفا

عاليه ، أيار ١٩٨٠ ٠

مُقدّمة الطبعة الثّانية

لم ندخل جديـــدا يذكر على هــذه الطبعة ، ما عدا التحسين في نظافة الطباعـــة ، والاناقة في التجليد .

بيد أن هنالك نقطة هامـة نود أن نلفت اليها أنظار القادة ، وتتعلق بقتال المدرعات الدبابة ، وهي أنه عندما تدعى الفرقة المدرعة الى العمل خارج الطرق المعبدة، على اراضي طينية موحلة ، أو رملية كالحال في بعض الصحاري ، فيجب والحالة هذه أن تكون القوات الساندة ، وقافلة الفرقـة ، متحركة على ظهر حاملات آلية تدب على الأرض بواسطة السلاسل ، كالدبابة ، وذلك لكي يصير بالامكان تأمين الاسناد القريب للفرقة وتموينها في كل وقت ، ودون انقطاع .

ونسأل الله العون والتوفيق

المؤلف

الباب الاول

المصطلحات الفنية ـ المذهبية العسكرية ـ مقومات المذهبية
القـوة وأنواعها ، وسيـاسات استعمالهـا
عموميـات

الفصل الاول

المصطلحـات الفنيـة

يبحث هذا الفصل فى المواضيع التالية :

ـ المصطلحات الاستراتيجية ،
ـ المصطلحات التكتيكية ،
ـ مصطلحات تختص بالمدافعة ،
ـ مصطلحات خاصة بالنار ،
ـ مصطلحات تختص بالتشكيلات ،
ـ الرتب العسكرية ،
ـ صنوف الأسلحة ·

أ ـ المصطلحات الاستراتيجية

١ ـ الحرب :

هي حالة القتال الناشب بين دولتين ، لتحقيق مقـاصد سياسية بقوة السلاح· والحرب وسيلةسياسية لا غاية، وآخر سهم فى الجعبةالسياسية، ولا يلجأ اليها الا بعد أن تفشل جميع الوسائل السياسية الأخرى ·

٢ ـ سفر الحرب :

هو تاريخ حرب معينة ، أي روايتها بصدق واخلاص ، منذ اعلانها حتى عقد الصلح ·

٣ ـ فن الحرب :

هو تطبيق علم الحرب · وهو علم قائم بذاته، يبحث فى طريقة اجراء الحروب ، وفى التخطيط العسكري والمناورة وممارسة القيادة · انه فن الاستخدام العملي لجميع العلوم والمعارف والخبرات المتعلقة بالحرب والاحتراب · وهو قسمان :

- ـ الاستراتيجية ،
- ـ والتكتيك ·

٤ ـ الاستراتيجية :

هي فن المواجهة بالوسائل الملائمة · وهي الدراسة ، والمقارنة ، وتهيئة الاسباب ، والتخطيط والاعداد لاستخدام جميع موارد الامة واستطاعاتها بصورة ناجحة ، فى الساحات الحربية ، وفى المجالات المدنية والعسكرية ، وذلك تحقيقا للاهداف السياسية · وزيادة فى الايضاح والتفصيل ، نقول ان الاستراتيجية هي السهر المستمر المتيقظ على معالجة الامور التالية :

- ـ تطور الأسلحة وتنوعها ،
- ـ طبيعة الحرب المحتملة وشروطها ،
- ـ اعداد البلاد مدنيا وعسكريا للحرب بمتطلباتها المستجدة ،
- ـ الاستعداد لادارة الحرب وادامتها ،
- ـ معرفة العدو مدنيا ، وعسكريا ، وامكانات ، ومخترعات ،
- ـ تفكير العدو ومخططاته ،
- ـ اكتساب الأحلاف والصداقات ·

٥ ـ حقل الاستراتيجية :

تدخل تحت هذه التسمية وفى نطاقها ، جميع الآراء والقرارات التي لا تاتي مباشرة عن الاعتبارات العسكرية ، بل عن العلاقات بين القيادة وبين سياسات البلاد الاقتصادية والاخلاقية · فى هذا الحقل ، واجب

الزعيم الحربي ، هو أن يأخذ بعين الاعتبار متطلبات الادارة العسكرية للعمليات الحربية ·

ولكي يحول الزعيم الحربي قراراته الاستراتيجية الى أفعال ، يصدر وصايا الى السلطات العسكرية المختصة ، المكلفة بتطبيقها · هذه السلطات هي قائد الجيش ، وقائد الطيران ، وقائد البحرية · وأفعال هؤلاء القادة ، بالنسبة الى العسكريين ، تدعى حقل العمليات العسكرية الاستراتيجية · وعند النقطة التي يبلغ فيها هذا الحقل حدود تفاصيل القتال ، عندئذ يبدأ حقل التكتيك · وهكذا فان هنالك ثلاثة حقول متميزة ، هي :

- حقل الاستراتيجية ،
- وحقل العمليات الاستراتيجية ،
- وحقل التكتيك ·

٦ ـ التعبئة :

مجموع الاجراءات التنظيمية والادارية والحركية ، الهادفة الى تحريك القوات من الساحة الاستراتيجية ، وسوقها مهيأة الى حدود ميدان التكتيك · ويستعمل هذا الاصطلاح ، أيضا ، بمعنى الترتيب في وضع القوات ، في التعرض والدفاع على السواء ·

٧ ـ التكتيك :

مجموع الاجراءات الهادفة الى استخدام القوات المقاتلة في ميدان المعركة ، بصورة ناجحة · أو هو ، كما يقول كلاوزويتز (١) ، دخول المعركة مع صيانة قواتنا بقدر المستطاع ، وازعاج قوات العدو ومحوها ·

٨ ـ الوسائط الحربية :

هي جميع الوسائط التي يستعملها المتحاربون في القتال، من أشخاص وأدوات وآلات ··· الخ ، وتتكون أساسا مما يلي :

- القوات المسلحة المتنوعة ،
- وسائط المواصلات ،

---

(١) Clausewitz .

ـ الدفاعات ،
ـ المصانع الحربية والمواد الحربية ،
ـ القدرات والاستطاعات التكنولوجية والصناعية ·

٩ ـ وسائط التكتيك :

هي الحركة ونيران الاسلحة · أو هي ، بتعبير آخر ، وسائط الهجوم ووسائط الدفاع ·

١٠ ـ ساحة الحرب :

هي البلاد التي يحتمل أن يتقاتل فيها الطرفان المتنازعان ، فى البر والبحر والجو ·

١١ ـ ساحة الحركات :

هي المناطق والاقاليم التي تكون مسرحا لتحركات الجيوش المتخاصمة ·

١٢ ـ الجبهة :

هي ، بوجه عام ، كامل خط المواجهة الذي يتقابل عليه الطرفان المتحاربان · وقد تقسم الجبهة العامة الى عدة جبهات ، لغرض تسهيل وتبسيط عمل القيادات والمصالح ، أو لوجود عوارض أرضية تقسم الارض الى قطاعات منفصلة ، وتفرض بالضرورة نوعا من اللامركزية فى قيادة كل قطاع ·

١٣ ـ منطقة الحركات :

هي قسم من ساحة الحركات ، يتخصص لنشاط جيش أو مجموعة من القوات المقاتلة ·

١٤ ـ خطة الحرب :

هي مجموع الوثائق المتعلقة بالاجراءات ، والتدابير، والاحتياطات، والمعالجات المدروسة والمعدة مسبقا ، منذ وقت السلم ، والمهيأة لمواجهة حالة اندلاع الحرب على جميع الأوجه والاحتمالات · والخطة هذه هي من وضع القيادة العامة للقوات المسلحة المحاربة ، لكن يقتضي موافقة الحكومة عليها لتصير مقررة نافذة ·

تتألف خطة الحرب من وثيقة رئيسية هي الخطة الأم ، ومن عدد من الخطط الملحقة بها والمعدة لكل حالة محتملة ، وكذلك من عدد من لوائح

الحركات، لائحة لكل خطة ملحقة • وتكون خطة الحرب، دوما، موضوعا للدراسة والتقييم والتعديل ، وفقا لما يطرأ على الموقف القائم ، الخاص والعام ، من تبديلات وتغييرات • والخطط الملحقة ، المنبثقة عن الخطة الأم ، وكذلك لوائح الحركات التابعة لها ، تصبح عند الحرب المرجع والأساس الذي يستند عليه القائد العام وقادة الجبهات فى وضع خططهم، وجمع جيوشهم ، وسوقها الى ميدان القتال •

توضع خطة الحرب على أسس استراتيجية، قوامها المقارنة والتقييم بين قوات الفريقين المتخاصمين ، وامكاناتهما البشرية والصناعية والاقتصادية ، وطبيعة الارض عموما ، وخاصة ما كان منها صالحا كساحات للحركات ، وطرق المواصلات ، والاوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة • وتعين الخطة شكل المحاربة ، على أساس ميزان القوى ونسبتها التي تكون قائمة ساعة اشتعال الحرب •

١٥ ـ خطة العمليات :

هذه الخطة هي من اختصاص القائد العسكري العام • وهي عبارة عن وثيقة قد جمعت فيها كافة الاعتبارات والفرضيسات التي أدت الى توزيع القوى ، والى تعيين الواجبات لمختلف الجيوش ومجموعات الجيوش • وتحتوي هذه الوثيقة ، التي هي فى غاية السرية ، جميع الفرضيات عن العدو وعن معنوياته وتصرفاته المحتملة ، وكذلك دراسة الوسائط الكفيلة بمواجهة هذه الفرضيات ، والأماكن والظروف الممكن أن تكون مبعثا للأزمات ، وأوجه استدراك هذه الازمات أو مواجهتها •

١٦ ـ خط العمليات :

هذا الخط ليس هو خط السير المتغير وفقا للظروف التكتيكية ، ولا علاقة له بخط المواصلات الذي يصل الجيش بقاعدته الادارية • خط العمليات هو الاتجاه للخطة الحربية ، الاتجاه الذي يصل هذه الخطة بمركز ثقل الحرب • لقد كان نابوليون يقول : « انه اذا اضطر القائد يوما الى تغيير خط عملياته ، ونجح فى هذا التغيير ، فنجاحه هذا نوع من العبقرية • أما خسارة هذا الخط ، فخطأ كبير هو من الخطورة والجسامة بحيث يصح أن يعتبر المسؤول عن ذلك مجرما » •

١٧ ـ المحور الرئيسي :

هو ، فى الاستراتيجية وفى التكتيك ، الاتجاه الذي تنصبّ عليه الضربة الحاسمة • وعلى خطة العمليات أن تحقق على هذا المحور تفوقا ساحقا فى القوى والوسائط •

١٨ ـ النفير :

هو وضع البلاد فى حالة الحرب ، واستدعاء المواطنين الى الواجبات والاعمال المطلوبة منهم فى مثل هذه الحال • والنفير يكون خاصا أو عاما • النفير الخاص ، هو النفير المحدود ، المقتصر على بعض أقسام الاحتياط ، وعلى بعض التدابير القومية • أما النفير العام ، فهو سريان حالة الحرب على جميع الاراضي الوطنية ، واستدعاء كافة المواطنين الى العمل فى القوى المسلحة ومصالحها ، وفى مختلف ميادين المجهود الحربي •

١٩ ـ التجمع الاستراتيجي :

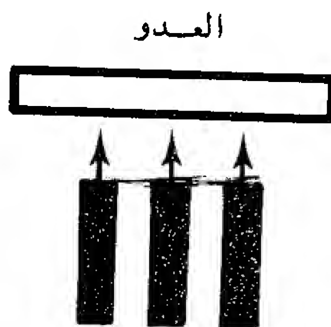
هو حشد الجيوش الجاهزة للقتال ، فى المناطق والساحات التي تعينها خطة الحرب وخطة العمليات • وتتحدد مناطق التجمع وكيفيته فى لائحة الحركات حسب الغايات التي تستهدفها خطة الحرب ، وبمقتضى الوقت الذي يتطلبه اكتمال النفير والتجمع ، وطبيعة الارض • ويساهم فى هذا التحديد ، أيضا ، التنظيم العسكري للعدو ، وحالة نفيره، وغاياته الحربية والسياسية • ويجري التجمع الاستراتيجي عادة مستترا بقوات الحدود والطيران والبحرية •

٢٠ ـ الجبهة الاستراتيجية :

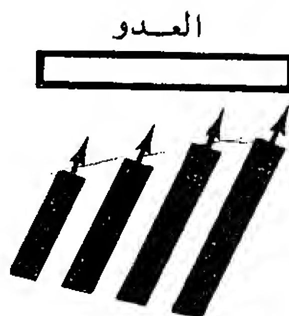
هي الخط الموهوم الذي يفصل بين قوات الاطراف المتحاربة• وتكون الجبهة ، فى بداية الحرب ، موازية لخط الحدود •

٢١ ـ جبهة الحركات :

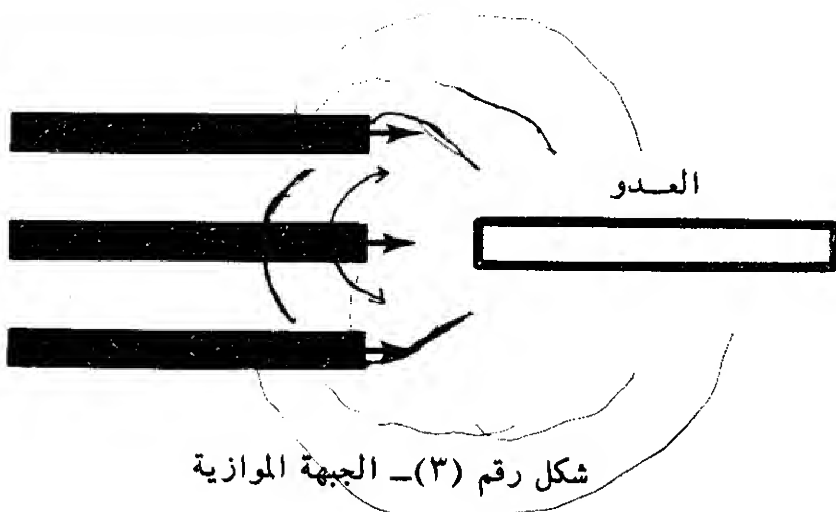
هي جبهة تقدم الجيوش باتجاه العدو • ولو أوصلنا خطا موهوما بين رؤوس الارتال المتقدمة، فذلك الخط يكون جبهة الحركات• وتكون هذه الجبهة قائمة ، أو مائلة ، أو موازية ، بالنسبة الى جبهة العدو ، وذلك حسب الاتجاهات التي تسير عليها الارتال المتقدمة •



شكل (١) ـ الجبهة القائمة



شكل رقم (٢) ـ الجبهة المائلة



شكل رقم (٣)ـ الجبهة الموازية

٢٢ ـ السبق الاستراتيجي :

هو السبق فى التأهب والاستعداد واكمال التجمع قبل العدو · والفريق الذي يسبق استراتيجيا يتمتع بالفوائد التالية :

أ ـ استطاعة القيام بالتعرض والهجوم قبل الخصم ، مما يجعل هذا الاخير منقادا لرغبات المهاجم ··

ب ـ عرقلة تجمع العدو ، واحتمال مباغتته ·

٢٣ ـ المواقع الاستراتيجية :

هي المواقع الهامة ، التي يحاول الفريقان المتخاصمان الاستيلاء عليها ، نظرا لقوتها ومناعتها من الجهة الحربية والدفاعية ، أو لأنها عقدة حيوية هامة للمواصلات ، أو لمركزها الصناعي والاقتصادي ·

٢٤ ـ الهدف الاستراتيجي :

هو النقطة ، أو النقاط الاستراتيجية الكائنة فى ساحة الحركات ، والتي يوجه الفريق المهاجم معظم جهوده أو كلها للاستيلاء عليها ·

٢٥ ـ الهدف الأصلي :

هو مبدئيا جيش العدو ، على اعتبار ان هدف الحرب هو تدمير قوات العدو المقاتلة ، وتحطيم طاقاته على المقاومة ·

٢٦ ـ القاعدة :

هي الاقليم ، أو المنطقة ، أو المدينة ، التي تكون مستودعا ومستقرا ومنطلقا للتموين والحركات · وقد تكون هنالك قاعدة للحركات وقاعدة للتموين ، لكن يندر أن تكونا منفصلتين ·

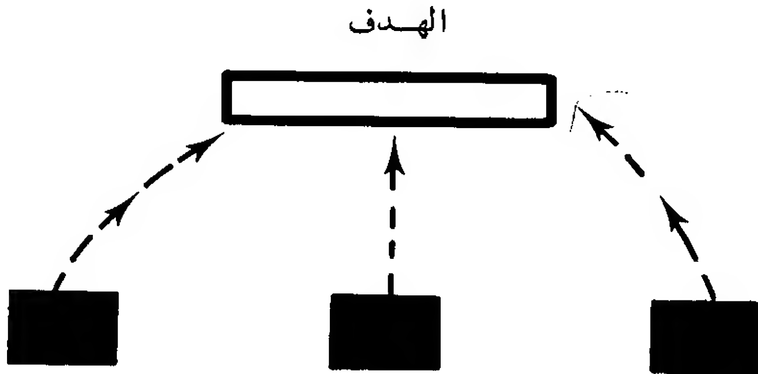
٢٧ ـ قاعدة الحركات :

هي المنطقة المحصنة ، أو المدينة التي يشرع الجيش منها بالحركات التعرضية ·

٢٨ ـ قاعدة التموين :

هي المنطقة المحصنة ، أو الاقليم أو المدينة، التي تتمون منها القوات المحاربة بالارزاق والعتاد والمعدات والمحروقات والامدادات ، والتي يرسل اليها الجرحى والأسرى والمغانم ·

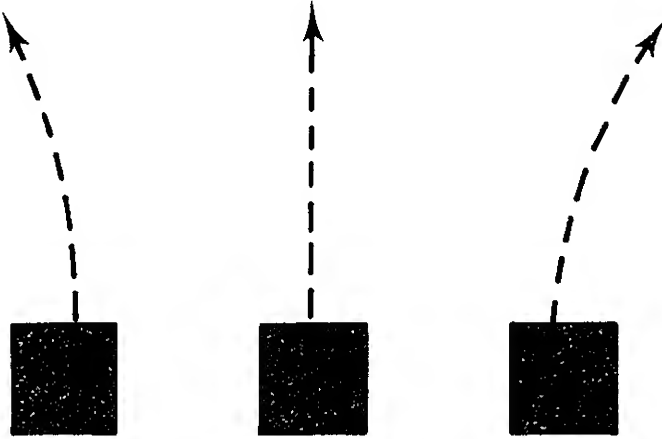
٢٩ ـ **خطوط المواصلات :**
هي خطوط النقل والحركة التي تربط الجيش بقاعدته •
٣٠ ـ **خطوط الحركات :**
هي الطرق التي تربط منطقة التجمع بالهـدف ، أي جميع الطرق التي تكون فى جبهة الجيش عندما يقصد الحركة نحو الهدف • ويتوقف اختيار خطوط الحركات على الامور التالية :
ـ جغرافية الارض ،
ـ الحالة السياسية ،
ـ المتطلبات الاستراتيجية للحركة (موضع الهدف ، المواقع الكائنة فى الطريق، موضع القوات المعادية، الذخائر والمؤن التي يستطاع نقلها، وسائل النقل المتيسرة ، سلامة خط الحركة الخ•••)• وتكون خطوط الحركات على أربعة أنواع :
ـ خطوط الحركات المتقاربة ،
ـ خطوط الحركات المتباعدة ،
ـ خطوط الحركات الخارجية ،
ـ خطوط الحركات الداخلية •
٣١ ـ **خطوط الحركات المتقاربة :**
هي الخطوط التي يتقارب بعضها من بعض ، كلما اقتربت الجيوش التي تسلكها من الهدف ، لتتلاقى فى منطقة الهدف أو أمامه أو خلفه •



شكل رقم (٤) ـ خطوط الحركات المتقاربة

٣٢ ـ خطوط الحركات المتباعدة :

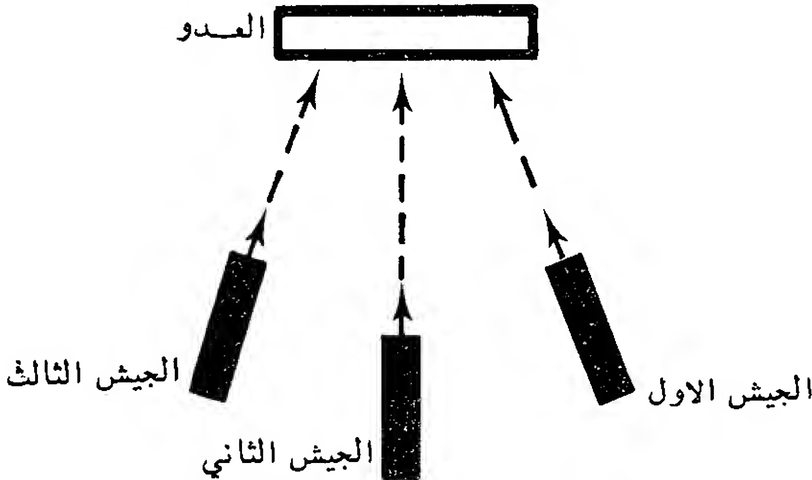
هي الخطوط التي تتباعد عن بعضها كلما ابتعدت عن نقطة الشروع بالحركة • وهي تصلح كثيرا لحالات الانسحاب •



شكل رقم (٥) ـ الحركة بالخطوط المتباعدة

٣٣ ـ خطوط الحركات الخارجية :

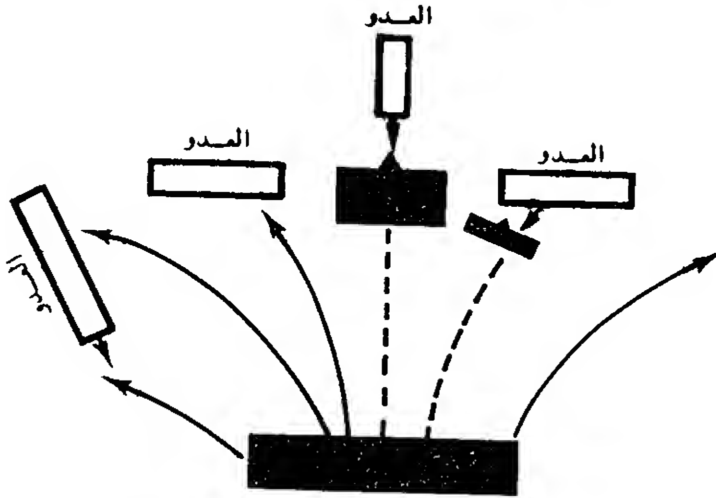
هي الخطوط التي يسلكها فريق بجيشين أو أكثر ، على أن يتقارب بعضها من بعض بصورة تدريجية، بحيث انها تؤدي الى الاحاطة بالعدو • وهي تماثل الحركة بالخطوط المتقاربة من حيث النتيجة •



شكل رقم (٦) ـ خطوط الحركات الخارجية

٣٤ ـ خطوط الحركات الداخلية :

هي الخطوط التي يتحرك عليها الطرف المقابل للطرف الذي يتحرك على الخطوط الخارجية • والحركة على الخطوط الداخلية تمكن من جمع القوى بسرعة على أي خط داخلي ، فى حين لا يتمكن الخصم المتحرك على الخطوط الخارجية من جمع قواته بنفس السرعة •



شكل رقم (٧) ـ الحركة بالخطوط الداخلية

٣٥ ـ التعرض :

هو التوجه ، بصورة عامة ، الى طلب الخصم بقصد ملاقاته ومقاتلته، وتدميره فى ساحات القتال •

٣٦ ـ الهجوم :

هو التعرض الذي يقتصر على القتال فى ميدان التكتيك •

٣٧ ـ التعرض الاستراتيجي :

هو الاندفاع الى طلب الخصم بعد انتهاء التجمع الاستراتيجي ، والانطلاق على محور رئيسي واحد أو أكثر ، وذلك لغرض تحقيق نجاحات يكون لها تأير مباشر على مجرى الحرب بجملتها ، وعلى تنفيذ الخطة الاستراتيجية العامة •

٣٨ ـ التعرض الاستراتيجي المعاكس :

هو هجوم معاكس ، يجري فى الساحة الاستراتيجية ، ضد هجومقابل

للعدو ناجح بعض الشيء ، وذلك عندما يعجز هذا العدو فى الحصول على نتائج حاسمة من وراء هجومه ، وعندما ينتهي الطرف الآخر من تجميع قواه ·

٣٩ ـ الدفاع :

أو المدافعة ، هو عكس التعرض · انه التوقف فى حالة الأهبة والاستعداد ، على مواقع قوية محكمة ، وانتظار مجيء العدو لمقاتلته دفاعيا على هذه المواقع · والدفاع ثلاثة أنواع :

ـ الدفاع المكاني ،
ـ الدفاع الحركي ،
ـ الدفاع التراجعي ·

٤٠ ـ الدفاع الاستراتيجي :

هو الوقوف على المدافعة بعد انتهاء التجمّع الاستراتيجي ، بانتظار مجيء الخصم · ومن متطلبات هذا الدفاع القيام بتعرضات تكتيكية لغرض حفظ العدو فى وضع غير متوازن ، وتأخيره أو منعه عن تدعيم مكاسبه المبدئية ·

٤١ ـ المعنويات :

أو القوى الادبية ، أو الروحيات ، وهي مجموع الصفات والاسباب التي تتضافر لتجعل من الجندي مقاتلا مدربا منقادا الى أسس الضبط ، مطيعا باسلا صبورا ·

٤٢ ـ المبادرة :

أو السبق بالشروع بالعمل ، وهي استباق العدو الى العمل ، بحيث يرغم على تغيير خططه ، وعلى الانقياد الى رغبات الطرف الآخر · والابداع بعض نتائج المبادرة ·

٤٣ ـ المناورة :

هي الطريقة التي يجري بموجبها تحريك الجيوش وتسييرها ، وتوجيهها بترتيب وانتظام للقضاء على الخصم ·

٤٤ ـ التقهقر :

هو التراجع قسرا بضغط العدو ، عقب التحام فى ميدان المعركة ،

وذلك لتفادي الأسر أو التدمير التام ·

٤٥ ـ الانسحاب :

هو تراجع القوات فى وجه العدو ، بانتظام ولأسباب اختيارية · كل قوة منسحبة ، أو متقهقرة ، تدمر وراءها وسائل النقل والمخابرة ، وموارد التموين والاعاشة ، والمخازن والمستودعات ، وجميع المواد الصالحة للحياة والاحتراب وعمل المصانع والمعامل · والانسحاب على نوعين :

- الانسحاب الاستراتيجي ،
- والانسحاب التكتيكي ·

٤٦ ـ الانسحاب الاستراتيجي :

هو التراجع الذي يجري فى الساحات الاستراتيجية لدوافع استراتيجية اختيارية ، كتطلب اكتساب الوقت لتأمين تجميع القوى وراء تغطية دفاعية رجعية عامة ، أو لاجبار المهاجم على تمديد خطوط مواصلاته وتموينه ، وكل ذلك تطبيقا لمناورة مرسومة وخطة مدروسة · وقد يجري الانسحاب الاستراتيجي قسرا ، عندما تتعرض المؤخرات وخطوط المواصلات الى تهديد العدو ، بنتيجة مناورة أو اختراق للجبهة ·

٤٧ ـ الانسحاب التكتيكي :

هو التراجع الذي يجري فى ميدان المعركة ، لغرض الانفكاك عن الاشتباك أو التماس مع العدو ·

٤٨ ـ المطاردة :

هي متابعة العدو المتقهقر بقصد تدميره كليا ، وذلك لمنعه من لمّ شعثه ، واعادة تنظيم صفوفه ، والارتداد الى المقاتلة · ومن الافضل أن تجري المطاردة بقوات مستريحة · والمطاردة نوعان :

- المطاردة الاستراتيجية ،
- والمطاردة التكتيكية ·

٤٩ ـ المطاردة الاستراتيجية :

هي التي تستهدف خطوط مواصلات العدو ، وقواعد انسحابه ، وذلك لمنعه من الافلات والنجاة ، وسد الطرق فى وجهه

٥٠ ـ المطاردة التكتيكية :

هي المطاردة التي تجري على خطوط موازية لخطوط انسحاب العدو، لغرض اغلاق ممرات العبور الاضطرارية فى طريق تراجعه ٠

٥١ ـ التعبئة الاقتصادية :

أو النفير الاقتصادي ، وهي وضع جميع موارد البلاد ومرافقها الاقتصادية المتنوعة فى خدمة الآلة الحربية وأغراض الحرب ٠

٥٢ ـ الاحتياط :

هو مجموع القوى التي يحتفظ بها القائد تحت تصرفه ، دون أن يورطها فى القتال ، وذلك ليعالج بها جميع الحالات الطارئة التي قد تقع على غير انتظار ٠ والاحتياط ثلاثة أنواع :

ـ الاحتياط الاستراتيجي ،

ـ والاحتياط التعبوي ،

والاحتياط التكتيكي ٠

٥٣ ـ الاحتياط الاستراتيجي :

هو الاحتياط العام ، الموضوع تحت تصرف القيادة العامة لجميع الجبهات ، أو تحت تصرف القيادة العامة لجبهة رئيسية مكونة من عدة جبهات فرعية أو عدة جيوش ٠

٥٤ ـ الاحتياط التعبوي :

هو الاحتياط العامل لصالح جبهة من مرتبة جيش أو فيلق ٠

٥٥ ـ الاحتياط التكتيكي :

هو الاحتياط العامل لصالح الفرقة وما دونها من التشكيلات المقاتلة ٠

٥٦ ـ الالتفاف الاستراتيجي :

هو الحركة العامة حول الاجنحة ، لغرض تحقيق التطويق الخارجي العام لموقع الخصم ٠ تقوم بهذا الالتفاف تشكيلات القتال السريعة (دبابات ، وحدات ميكانيكية) ، ويتم بالسيطرة على جميع النقاط القوية ، على مجمل الطوق المضروب حول العدو ، وكذلك بقطع طرق مواصلات العدو مع الخارج ٠ وتكون النتائج المحسوسة الاولى لهذا الالتفاف شلل سريع جزئي أو كامل للتشكيلات الميكانيكية المعزولة،

التي سريعا ما تتوقف عن الحركة عند استهلاكها لما يكون بحوزتها من المحروقات ·

٥٧ ـ الانتشار الاستراتيجي :

هو التوزيع والتمركز على نقاط الانطلاق ، اما للتعرض عند الشروع بالحركة ، أو للقيام على المدافعة لصد أي اعتداء قد يقع · وتتألف خطة الانتشار الاستراتيجي العامة من قسمين :

ـ الانتشار الاستراتيجي التعرضي ،
ـ والانتشار الاستراتيجي الدفاعي ·

٥٨ ـ الاستعلام :

هو جمع واكتشاف المعلومات · ويجري الاستعلام فى ثلاثة حقول :

ـ حقل الاستراتيجية ،
ـ وحقل التعبئة ،
ـ وحقل التكتيك ·

الاستعلام الاستراتيجي يجري لصالح القيادة العامة ، ويعم جميع الجبهات ، وجميع أراضي العدو · ويجري الاستعلام التعبوي لصالح قيادات الجيوش والفيالق ، أي فى الحقل الوسطي الانتقالي ما بين حقل الاستراتيجية وحقل التكتيك · أو هو بالاحرى يجمع بين الاستعلام الاستراتيجي والاستعلام التكتيكي · ويقتصر الاستعلام التكتيكي على ميدان المعركة · ويبدأ من الفيلق والفرقة ، فالجحفل فاللواء ، وهلّم جرا ·

٥٩ ـ الترتيب :

بمعنى التنظيم والتوزيع والوضع والتركيز بقصد اجراء المعركة ، هو مجموع التدابير الآيلة الى تنظيم المعركة وجريانها ، تعرضا أو دفاعا ، بواسطة القوى المقاتلة المتوفرة ، ووفقا للخطط والواجبات المعطاة من قبل القيادة ·

٦٠ ـ الحركات الاستراتيجية :

هي جميع التحركات والانتشارات على مستوى الجيوش ومجموعات الجيوش ، التي تجري تحضيرا لعمليات القتال واجراءات المعركة،

وذلك وفقا للخطة الاستراتيجية العامة ·

٦١ ـ الحركات التعبوية :

أو العملياتية ، وهي الحركات التي تكون وسطا بين الحركات الاستراتيجية والحركات التكتيكية · ويمكن تعريفها أيضا بأنها مجموع الحركات الانتقالية من نطاق الاستراتيجية الصرف الى نطاق التكتيك· وتصدر هذه الحركات عن الفيلق وما فوق

٦٢ ـ اللوجستيك :

يعني هذا الاصطلاح جميع الاجراءات والتصرفات الادارية، العاملة على تأمين المتطلبات اليومية للقوات ، فى أفضل الشروط وأسرعها ، وكذلك تكوين التموين بالاعاشة والذخيرة والمعدات والمحروقات، وسوق قوات الاحتياط ، واصلاح وصيانة الاسلحة ومختلف التجهيزات، يعني كل ما يتعلق بالادارة ، والصيانة ، والتموين بأنواعه ، والنقل ، وتحريك الامدادات والاحتياط بوجه خاص ·

٦٣ ـ المحاربة النفسية :

هي محاربة ميدانها العقل والنفس والروح ، وهدفها حمل الخصم على فقد الثقة بنفسه ومقدرته وطاقاته ، بحيث يغدو وكأنه قد صار مغلوبا بغير قتال · تتقصد هذه المحاربة معنوية العدو ، وذلك بالسعي للسيطرة على ارادته ، وشلّ تفكيره ، وحمله على الاقتناع بعجزه ، وقصر باعه ، وصرفه عن التفكير بالمواجهة الدموية فى ميادين القتال وساحاته · وهي تستند على أحدث التطورات والمبتكرات العلمية الباحثة فى النفس البشرية ، وعلى مبدأ اظهار الاستطاعة والقوة ، وعرضها والتلويح باستعمالها ·

٦٤ ـ القوة الحية :

أو القوة الفعالة ، وهي قوة الزخم والاندفاع فى الزحف والتقدم · انها حاصل لتفاعل الجمع بين السرعة فى المناورة ، وبين فاعلية الصدم والاقتحام ·

٦٥ ـ العملية :

مجموع التدابير والحركات المصممة والتي هي قيد الجريان بقصد

دخول المعركة مع العدو · والعملية ثلاثة أنواع :

ـ العملية الاستراتيجية ،

ـ والعملية التعبوية (أو العملياتية) ،

ـ والعملية التكتيكية ·

وهذا التنويع ناتج عن التنوع فى مكان جريان العملية ، فى الساحة الاستراتيجية ، أو فى الساحة التعبوية ، أو فى ساحة المعركة ·

٦٦ ـ المفاجاة التعبوية :

أو العملياتية ، هي المفاجأة التي تحصل فى الساحة الواقعة ما بين الساحة الاستراتيجية وميدان المعركة ·

٦٧ ـ الصنف :

أو السلاح ، وهو النوع فى التشكيلات المقاتلة · مثال ذلك صنف أو سلاح المشاة ، صنف أو سلاح المدفعية ، صنف أو سلاح الطيران أو المدرعات ، وهلم جرا · وصيغة الجمع هي صنوف أو أسلحة ·

٦٨ ـ المصلحة :

مؤسسة غير مقاتلة، تابعة للقوى المسلحة، عملها المعتاد القيام بخدمة الاسلحة المقاتلة فى كل حاجات هذه الاسلحة ومتطلباتها ، سواء في اللوجستيك، أم فى المصانع والمعامل الحربية ، أم فى ما عدا ذلك من مؤسسات الدفاع الاخرى · مثال ذلك : مصلحة الطبابة ، مصلحة الهندسة ، مصلحة الطبوغرافيا ، مصلحة التاريخ والجغرافيا ، مصالح الذخيرة ، مصالح المالية ، الخ · · ·

٦٩ ـ الأسلحة الميكانيكية :

هي مجموع الصنوف المقاتلة ، التي تنتقل وتتحرك وتقاتل وهي على ظهر العربة الميكانيكية وبواسطتها · من هذه الاسلحة ، على سبيل المثال ، سلاح الدبابات ، سلاح المصفحات ، سلاح المدفعية الدفعذاتية (ذاتية الحركة) ، الخ · · ·

٧٠ ـ النسبة فى القوى :

أو ميزان القوى ، وهي الموازنة بين القوى المتنازعة المتقابلة وتقييم لمختلف الاحتمالات على أساس هذه الموازنة ·

ب ـ المصطلحات التكتيكية

أ ـ مصطلحات عامة :

١ ـ الحيطة :

مجموع تدابير الاحتياط الوقائية ، والرقابة ، والانذار ، والقتال التأخيري ٠

٢ ـ الاستطلاع :

مجموع الاعمال والاجراءات التي تجري فى الحرب ، لغرض الحصول على المعلومات عن العدو ٠ وسائل الاستطلاع، أثناء الحرب، كثيرة منها:

ـ الرصد ،
ـ والتنصت اللاسلكي ،
ـ والدوريات ،
ـ والأسرى ،
ـ والرقابة الجوية ،
ـ والتصوير الأرضي والجوي ٠

٣ ـ الرصد :

هو تطلب المعلومات ، والحصول عليها بواسطة الرقابة الموضعية الثابتة ، من مكان صالح للمشاهدة والاستطلاع ٠ وسائل الرصد هي العين المجردة ، والآلة المكبرة ، والآلة المصورة ، والرادار ، والتنصت بالأذن والآلة ٠

٤ ـ المخابرات :

أو وسائل المخابرة ، وهي مجموع الوسائل والتدابير المتخذة والمتوفرة ، لغرض تأمين التفاهم والاتصال والارتباط بالواسطة ، كالتلفون، والراديو، وضباط الارتباط وضباط الاركان، والمراسلين، الخ ٠٠٠

٥ ـ المواصلات :

هي كل ما يصلح ويستعمل لتتحرك عليه وسائط النقل والحركة ، من دروب ومسالك وطرق ، وخطوط حديدية ونهرية وبحرية وجوية ·

٦ ـ الاستدراك :

وهو مواجهة حالة طارئة لم تكن متوقعة ، بسرعة وحزم، وبالعلاج المناسب ·

٧ ـ الارتجال :

وهو كل عمل يقوم غير مبني على الدراسة والتفكير والمحاكمة ·

٨ ـ المحاجزة :

تعبير يعني الحيلولة دون وقوع اصطدام بين خصمين ، أو بين عدة خصوم ، فيقال خط المحاجزة ، أو خط المنطقة المجردة ، أو خط المنطقة المحايدة ، أو المنطقة الحرام التي ليست لأحد من الاطراف المتخاصمة·

٩ ـ محور الجهد :

وهو المقابل للمحور الرئيسي فى الاستراتيجية ، وهو الاتجاه الاساسي الأهم على مواجهة جبهة العدو ، والذي تنصب عليه الجهود الرئيسية أثناء القتال ، تعرضا كان ذلك أم دفاعا ، بغية تحقيق المهمة العامة (الواجب العام) على خير وجه وأسرع وقت ·

١٠ ـ واجب اليوم :

هو المهمة القتالية المعطاة للقوة المحاربة ، والمطلوب تحقيقها فى غضون اليوم ·

١١ ـ الخطوط الطولانية :

هي الخطوط التي تسير باتجاه عامودي بالنسبة الى جبهة الخصم ، ومواجها لهذه الجبهة ·

١٢ ـ الخطوط العرضانية :

هي الخطوط التي تسير باتجاه مواز لخط المواجهة مع جبهة العدو·

١٣ ـ المجموعة :

هي تشكيل ظرفي موقت ، يدخل فى تأليفه عدد من التشكيلات

المحاربة من مختلف الاسلحة • ويجري هذا التشكيل لغايات تكتيكية وقتية واحدة ، وتحت أمرة واحدة •

ب ــ مصطلحات خاصة بالتعرض :

١٤ ــ التعرض التكتيكي :

هو الحركة الى مقابلة العدو ومقاتلته ، لغرض الحصول على مرابح محدودة فى المكان والزمان ، وذلك اما مساهمة فى عمليات دفاعية، واما دعما لتعرض استراتيجي عام هو قيد الجريان ، أو هو فى طريق البدء بالتنفيذ •

١٥ ــ الالتفاف التكتيكي :

هو نتاج وتتمة للالتفاف الاستراتيجي ، ويكون بتحقيق الاتصال ما بين جميع عناصر الطوق المضروب حول العدو ، وسد الثغرات فيه ، بحيث تتكون بالتدريج جبهة تكتيكية متواصلة ذات دائرتين :

ــ دائرة داخلية لمواجهة العناصر المطوقة ،

ــ ودائرة خارجية لمواجهة عناصر النجدة والمهاجمات العدوة المعاكسة •

ثم يبدأ الضغط على العدو المطوق، لغرض تصغير حجم بقعة الارض التي يشغلها ، هذا بينما تشن عليه مهاجمات مركزة بغية تقسيمه الى جزر أو جيوب ، يصار بعدئذ الى تصفيتها بالتتالي • تجري مهاجمات التجزئة والتصفية على خطوط حركات داخلية ، ضمن قطعات العدو المحصورة ، أو بين هذه القطعات وبين العناصر الآتية الى نجدتها من خارج الطوق •

فى حالة التطويق ، تعرف الدائرة الداخلية باسم جبهة التطويق أو جبهة المحاصرة ، والدائرة الخارجية باسم الجبهة الاستراتيجية •

١٦ ــ التحويل :

مناورة تعرضية ، تستهدف استجلاب انتباه العدو ، بقصد حمله، تضليلا وخداعا ، على توجيه بعض نشاطاته وجهوده فى اتجاه ثانوي أو بعيد عن محور الجهد الرئيسي للهجوم الذي يجري اعداده ضده ، وذلك لغرض تخفيف حدة المقاومة فى وجه هذا الهجوم •



١٧ ــ التضليل :

هو خديعة العدو ، وايقاعه فى الخطأ ، وابقــاؤه على جهل بالنوايا والتحركات · أو هو التظاهر بما هو غيــر حقيقي ، واخفاء الحقيقــة وتغطيتها · ويتألف التضليل من قسمين :

ــ التمويه ،

ــ والافتعال ·

١٨ ــ التمويه :

جزء من التضليل ، الجزء السلبي · وهو اخفــاء المواقع العسكرية بكاملها ، بحيث يعجز الخصم عن رؤيتهــا وتحديــد معالمهــا وأماكنها بالاستطلاع والرقابة والرصد ، جوا وبرا ، وكل ذلك بواسطة الاساليب المصطنعة ·

١٩ ــ الافتعــال :

هو الجزء الايجابي من التضليل · وهو اقامة مواقع دفاعية ، ومراكز للمدفعية، ومناطق تجمع وتحشد للمعداتوالآليات، ومطارات، واجراء تحركات ، والتظاهر باستعدادات للمهاجمة ، وكل ذلك بصورة كاذبة ، لكن لغرض حمل العدو على الاعتقاد بأنه صحيح ·

٢٠ ــ الاخــلاء :

هو النزوح عن المكان المشغول ، اما بضغــط العدو ، كالانتقال من موضع دفاعي مهدد الى موضع آخر أحسن ، وكتفريغ منطقة من السكان لتفادي قصف الطيران المعادي ، واما بناء على اجتهاد وتخطيط لغايات استراتيجية ·

٢١ ــ المفاجأة التكتيكية :

هي المفاجأة ، أو المباغتة ، التي يجري تحقيقها على حساب الخصم، فى ميدان التكتيك ، أي فى ساحة المعركة ·

٢٢ ــ التقرب :

أو مسير التقرب ، وهو الحركة بقصد القتال ، فى الاتجاه المفترض للعدو ، على ترتيبات مسير وانتقال تسمــح باستطــاعة مواجهة كافة الاحتمالات ، وبالوقاية من مختلف الجهات ، وتمنــع الخصم من عمــل

المفاجأة ، وتمكن من دخول المعركة فى التو واللحظة ٠

٢٣ ـ التماس :

وهو الالتقاء بالعدو ، وبدء الاحتكاك به ، ويئول الى تحديد النقاط المتقدمة ، التي يشغلها العدو على الارض فى وجه المسير ٠ والتماس هو المرحلة التي تلي مرحلة مسير التقرب ، ويعتبر منتهيا متى أصبح الهجوم ضروريا لطرد العدو المتمركز ، وفتح الطريق أمام متابعة الزحف ٠

٢٤ ـ الحركات التكتيكية :

هي الحركات التي تجري فى ساحات القتال، والتي تستهدف التحضير لاجراء المقاتلة فى معارك موضعية ٠

٢٥ ـ الموجة :

اصطلاح يستعمل فى تنظيم القوات المنفتحة المتحركة بقصد القتال٠ فالتشكيلات العائدة الى الترتيب على المقدمة ، يعني الموجودة فى الرأس على خط المسير العرضاني الاول ، أو الدرجة الاولى، أو السلمةالاولى، هذه التشكيلات هي الموجة الاولى ٠ والتشكيلات الموجودة على الترتيب الثاني هي الموجة الثانية ، والتي تكون على الترتيب الثالث هى الموجة الثالثة ، وهلم جرا ٠ وهنالك من يستعمل ، عوضا عن الموجة، اصطلاح النسق أو القدمة ٠

٢٦ ـ التشكيل للقتال :

أو ترتيب القوات للحركة بقصد القتال ، وهو وضع القوات على خط المسير أو محور الاتجاه ، وترتيبها بالنسبة الى بعضها البعض ٠ والتشكيل العام للقتال يتألف كما يلي :

أ ـ المقدمة ، وهي مجموع قوات الرأس ٠ وتتألف المقدمة بدورها من :

ـ طليعة ، أو مقدمة المقدمة ،

ـ وهيكل ٠

ب ـ الأجنحة أو المجنبات، وهيالقوات التي تقوم بدور المقدمة، لكن على الجوانب ٠

ج ـ المؤخرة ، وهي مجموع القوات المكلفة بحماية المسير من الوراء، وباغلاق التشكيل الحركي الدائري الخلفي، ووصله مع مؤخرات الأجنحة .

د ـ الكوكب ، أو القلب ، وهو معظم القوات المتحركة بقصد القتال ، والتي تتحرك مغطاة من جميع الاتجاهات، بالمقدمة وبالمجنبتين اليمنى واليسرى (الميمنة والميسرة) ، وبالمؤخرة .

٢٧ ـ الاركاب :

وهو مجموع الاجراءات التي تستهدف تحريك القوات ونقلها بالقطارات، أو بالسيارات، أو بالبواخر البحرية أو النهرية (الابحار).

٢٨ ـ الانزال :

وهو ضد الاركاب ، ويعني مجموع الاجراءات التي تتوخى تفريغ البواخر والقطارات والسيارات من حمولتها من القوى المحاربة ، عند وصولها الى مقاصدها .

ج ـ مصطلحات خاصة بالدفاع

١ ـ الدفاع المكاني :

أو الدفاع الساكن ، وهو القتال الدفاعي الثابت موضعيا بتكتيك الخطوط المخندقة . غاية هذا الدفاع هو الاحتفاظ بالارض دون تراجع، ومنع تقدم العدو مهما كان الثمن .

٢ ـ الدفاع الحركي :

هو قتال الاحتياط فى الدفاع المكاني ، عند قيام هذا الاحتياط بالرد على العدو المتقدم بالهجمات المعاكسة . وهو أيضا قتال العناصر المتحركة فى المدافعة الحركية ، العناصر المستندة على نقاط دفاع ثابتة مستكفية من الناحية التكتيكية . وهو كذلك دفاع المدرعات بوجه عام، وقتال المؤخرات المكلفة بحماية عمليات الانسحاب .

٣ ـ المنطقة الدفاعية :

هي منطقة تمركز وتحصين ، بقصد المدافعة المكانية أو الحركية . تتألف المنطقة الدفاعية من قطاعات رئيسية وثانوية ، وكل قطاع من خطوط منظمة محصنة متعاقبة ، خطين أو أكثر ، وكل خط يتكون من عدة مواضع دفاعية محكمة .

٤ ـ القطاع :

قسم من منطقة أرضية ، واضح المعالم والحدود ، تقوم قوات معينة بالقتال فى نطاقه ، اما لحمايته والمقاومة عليه فى حال المدافعة ، أو ليكون مجالا وساحة لمسيرات التقرب والتماس فى حالات التعرض والهجوم .

٥ ـ الموضع الدفاعي :

جزء من خط الدفاع ، ضمن المنطقة أو القطاع ، وقد جرى تحصينه

عرضا وعمقا • يتألف الموضع من خنادق وملاجيء وأنفاق ، ومن مواقع قتال أصلية وبديلة • وقد يتخذ الموضع شكل مستطيل متصل بالمواضع المجاورة ، أو شكل دائرة مغلقة كجزيرة مستقلة بذاتها •

تتبادل المواضع المتجاورة حماية بعضها البعض بالنيران المتقاطعة• أما الموضع المستدير ، الذي يشكل جزيرة دفاعية، فيحمي نفسه بنفسه، بالنيران المتقاطعة من جميع الاتجاهات • ومثل هذا الموضع يعرف باصطلاح نقطة الاسناد بالنسبة الى المواقع المجاورة المجانبة •

٦ ـ الموقع البديل :

هو الموقع الذي سبق اعداده مع عدد آخر من مواقع الموضع ، والذي ينتقل اليه السلاح الناري أو التشكيلة المقاتلة ، فى حال تعرض الموقع الاصلي الى الكشف بفعل صدور الرماية منه ، أو بفعل اكتشافه من قبل طيران العدو ، أو بفعل تعرضه الى نيران العدو الصائبة •

٧ ـ الموقع التكميلي :

هو الموقع الدفاعي الذي تم تحضيره مسبقا ، احتياطا لكي يصار الى اشغاله عند الحاجة ، وذلك لمواجهة الاحتمالات الدفاعية الطارئة فى اتجاهات لم تعتبر رئيسية قبل الاشتباك مع العدو •

يعدّ الموقع التكميلي ضمن حدود الموقع الدفاعي الاصلي نفسه •

٨ ـ نقطة الاسناد :

هي ، فى الخط الدفاعي ، موضع دفاعي قد جرى تحصينه بحيث صار يشكل حصنا قويا يدافع عن نفسه بوسائله الخاصة ، وبحيث يشكل بوجوده نقطة استناد بالنسبة الى أجنحة الجوار•

٩ ـ أسلحة الموضع :

هي الأسلحة العائدة الى تجهيزات الحصون والدفاعات الثابتة •• أو هي الاسلحة المعارة الى التشكيلة المحاربة المقيمة على المدافعة ، وذلك لاسناد هذه التشكيلة ، وللمساهمة معها فى الدفاع عن الموضع •

١٠ ـ المنعة :

بناء من الاسمنت المسلح ، يكون غالبا على شكل برج غارز فى بطن الارض ، لا يظهر منه الا الجزء اللازم لتمكين الاسلحة الموجودة بداخله

من تنفيذ الرمايات اللازمة ·

١١ ـ الدفـاعة :

احدى الابنية الدفاعية فى الموقع الدفاعي ، أو هي مجموعة من هذه الأبنية ·

١٢ ـ المنزلـة :

أو التنظيمة ، أو الترتيبة، هي اصطلاح يستعمل لدى تنظيمالقوات وانتشارها بقصد المدافعة · يقابل اصطلاح المنزلة هذا ، فى الحركة ، اصطلاح الموجة · والتنظيم بالمنـازل يبـدأ من جهـة العدو · وهكذا فالمنزلة الأولى هي مجموع القوات المتمركزة دفاعيا على مواضع الخـط الاول من الجبهة الدفاعية ، والمنزلة الثانية هي القوات المتمركزة دفاعيا على مواضع الخط الدفاعي الثاني ، الى الوراء من قوات المنزلة الاولى، وهلم جرا · فاذا كان الوضع الدفاعي مؤلفا ، مثلا ، من خطين، فالخط الاول هو المنزلة الاولى ، والخط الثاني هو المنزلة الثانية ·

د ـ مصطلحات تتعلق بالنار

١ ـ النـار :

والنيران ، تعبير يشير بصورة عامة الى رمي الاسلحة المختلفة ، من بنادق ، ورشاشات ، ومدافع ... الخ.

٢ ـ الصليـة :

أو البصقة ، أو الزخة ، وهي كمية الطلقات النارية التي تنطلق من السلاح الرشاش ، أو من بطارية المدفعيـة ، وذلك حـال الضغط على الزناد لمدة ثانية ، للرشاشات والرشيشات، ولمدة دقيقة واحدة، لبطارية المدفعية .

٣ ـ اللغم :

هو الحشوة المتفجرة ، المعـدة للاستعمـال ضـد الآليـات ، أو ضد الاشخاص .

٤ ـ الملغّم :

حقل صغير من الارض ، أو ممر اضطراري كالجسر ، والمضيق ، والدرب الضيق فى الارض الوعرة ، الذي قد جـرى زرعه بالمتفجرات المعـدة لأن تتفجر اما بفعل الثقل والضغط ، أو بواسطة تيار سلكي أو لاسلكي .

٥ ـ حقل الألغام :

حزام من الارض ، واقع على مسافة بضع مئات الامتار أمام جبهـة المدافعة ، ومواز لخط الحدود المتقدمة للمواقـع الدفاعية ، وقد زرع بالالغام المتنوعة . وحقول الالغام ثلاثة أنواع :

ـ حقل الألغام المضادة للآليات ،
ـ وحقل الالغام المضادة للاشخاص ،
ـ والحقل المختلط ، ضد الاشخاص والآليات معا .

٦ ـ رمي السد :

أو السد الناري ، وهو مجموع النيران الموجهة من أسلحة الموضع الدفاعي ، على حزام من الارض قائم على مسافة معينة أمام الحدود الأمامية للموضع ، وممتد عرضانيا وموازيا لهذه الحدود ٠

٧ ـ السد المتحرك :

هو مجموع النيران المنبعثة من أسلحة المدفعية ، والهاون ، والصواريخ ، والطيران ، والتي تنصب على الارض على مسافة معينة أمام عناصر الموجة المتقدمة ، التي تكون هاجمة أو منقضة ، وعلى خط مواز للخط الذي يجمع بين رؤوس هذه العناصر ٠ يتحرك السد المتحرك صوب العدو بتنسيق وانسجام مع حركة الموجة الاولى المتقدمة٠

٨ ـ رمي الايقاف :

مجموع النيران المرسلة لتغطي حزاما من الارض فى المنطقةالدفاعية، أو المرسلة على أرض معينة قد نجح العدو فى الوصول اليها ، وذلك لايقاف هذا العدو عن الحركة ومنعه عن متابعة التقدم ٠

٩ ـ رمي التدمير :

مجموع النيران المرسلة على عدو متحرك أو متمركز ، بقصد تدميره ٠

١٠ ـ رمي التمهيد :

مجموع النيران المرسلة قبل القيام بهجوم ، والموجهة على مواضع دفاع العدو ، بقصد تدمير المواقع فى هذه المواضع ، أو شلها ، أو تعطيلها وايقاف تشغيلها ٠ وقد يدوم رمي التمهيد أياما عديدة ، أو قد يسبق ميعاد الهجوم ببضع دقائق ٠

هـ ـ مصطلحات خاصة بالتشكيلات

١ ـ الزمرة :

نقطة البداية فى التشكيل، وهي بعدد أصابع اليد الواحدة، ويقودها آمر برتبة جندي صنف أول ، أو عريف ·

٢ ـ الحضيرة :

هي تشكيلة مؤلفة من زمرتين ، أي من عشرة أفراد يضاف اليهم آمر برتبة رقيب ، ومعاون له برتبة عريف أو عريف أول · ويستعمل المعجم العسكري للجامعة العربية تعبير « جماعة قتال » عوضا عن « حضيرة » ·

٣ ـ الفصيل :

(أو الفصيلة ، أو الفئة) ، هي تشكيلة تتكون من ثلاث حضائر ومن زمرة قيادة ، ويرأسها ضابط برتبة ملازم ، يعاونه ضابط صف برتبة رقيب أول أو برتبة وكيل· تعداد الفصيل يكون فى حدود أربعين (٤٠) مقاتلا ·

٤ ـ السرية :

تشكيلة تتألف من ثلاث فصائل متشابهة ، ومن فصيلة قيادة، ويقودها ضابط برتبة رائد يعاونه ضابط مساعد برتبة نقيب أو ملازم أول قديم · يتراوح تعداد السرية عادة ما بين مائة وخمسين (١٥٠) ومئتي (٢٠٠) مقاتل ·

يستعمل اصطلاح السرية فى جميع الأسلحة (الصنوف) البرية · ويستعمل عوضا عن كلمة « السرية » اصطلاح « الكوكبة » فى سلاح الفرسان ، واصطلاح البطارية فى سلاح المدفعية ·

٥ ـ سرية القيادة :

هي تشكيلة تتخصص لشؤون الادارة والتموين والاسناد والنقل والتطبيب والمخابرة ٠

٦ ـ السرية الثقيلة :

هي تشكيلة اسناد مباشر للتشكيلة الأم ، أي الكتيبة عادة ٠ ويتألف تسليحها غالبا من الهاون الثقيل ، ومن الصواريخ والمدافع الخفيفة المضادة للجو والدرع ٠

٧ ـ الكتيبة :

هي تشكية تتألف من سرية قيادة ، ومن سرية ثقيلة ، ومن ثلاث سرايا مقاتلة متشابهة ٠ وهذا التشكيل هو المعتاد فى سلاح المشاة ٠ ويرأس الكتيبة ضابط برتبة مقدم ٠

أما فى سلاح المدرعات ، وسلاح المدفعية ، فيختلف تشكيل السرية الثقيلة وتجهيزها عما هو الحال فى سلاح المشاة٠ وتعداد الكتيبة، عادة، يكون فى حدود الألف مقاتل ٠

٨ ـ اللواء :

هو التشكيلة التكتيكيةالاولى، ويتألف عادة من كتيبة أو سريةقيادة، وكتيبة ثقيلة ، وثلاث كتائب أخرى متشابهة ٠ وهذه التشكيلة تكون بامرة ضابط قائد من مرتبة القادة ، يحمل لقب ورتبة عميد ٠ ويتراوح التعداد العام للواء بين (٣٥٠٠) و (٤٠٠٠) مقاتل ٠

٩ ـ الجحفل :

هذه التشكيلة هي بمرتبة اللواء من حيث التعداد ، لكنها تتألف من أسلحة مختلفة ، من المشاة والمدرعات والمدفعية والهندسة ٠ ويتمتع الجحفل ، تكتيكيا ، بقوة أعظم وطاقات أكبر مما يتمتع به اللواء، ويرأسه ضابط قائد برتبة أمير لواء ٠

١٠ ـ المجموعة التكتيكية :

هي تشكيلة ظرفية ، تتألف موقتا ، ولواجبات خاصة معينة ، من عناصر من مختلف الاسلحة المقاتلة ، ثم ينفرط عقدها ، ويعود كل عنصر مشترك فيها الى تشكيلة الأم الاصلية ، وذلك حال الفراغ من

تأدية الواجب الذي كان السبب فى تكوين المجموعة · وقد يشار الىهذه المجموعة باصطلاح « التجمع القتالي » ·

١١ ـ الفرقة :

هي التشكيلة التكتيكية الكبرى· وتتألف منتشكيلة ادارية (قيادة)، ومن عدد من الألوية ، من مختلف الاسلحة المقاتلة · ويختلف نوع هذه الألوية ، أي صنفها وتسليحها ، وعددها ، باختلاف نوع الفرقة ، أي باختلاف صنف السلاح الذي تنتمي اليه · آمر الفرقة يحمل لقب قائد الفرقة ، ويكون برتبة فريق · يتراوح تعداد الفرقة ، وفقا لصنف السلاحوللمذهبية العسكرية السائدة فى كل بلد، ما بين عشرة وعشرين ألف مقاتل ·

أما النسبة الصنفية ، أي التسمية المميزة نوعيا لكل فرقة ، فتنتج عن نوع السلاح الغالب عدديا فى تشكيل الفرقة · فهي فرقة مشاة ، اذا كان صنف المشاة هو الذي يتفوق عدديا على بقية عناصر التشكيل ·· وهي فرقة ميكانيكية ، اذا كانت جميع عناصرها تنتقل وتقاتل بواسطة العجلات الدفعذاتية المدرعة ·· وهي فرقة آلية ، اذا كانت فرقة مشاة تنتقل بوسائطها الدفعذاتية الخاصة ·· وهي فرقة محمولة ، اذا كانت فرقة مشاة تنتقل على ظهر وسائط غيرها من عجلات النقل والحركة ·

١٢ ـ الفيلق :

هو تشكيلة تكتيكية قد أوجدت لتنسيق قتال فرقتين أو ثلاثة أو اربعة ، وأحيانا خمس فرق · والفيلق يعمل عادة كجزء من جيش في الميدان · والفيلق أيضا ، كالفرقة ، قابل للتبديل والانتقال من جيش الى آخر · وآمر الفرقة ضابط قائد برتبة فريق أول ·

الفيلق ، قبل كل شيء ، تشكيلة كبرى مقاتلة · وأجزاؤه المحاربة أكثر وأعظم من مؤخراته المعيلة · وهو ، بالاضافة الى فرق المشاة والفرق الميكانيكية المدرعة ، يحتوي عادة على تشكيلات اسناد خاصة بقيادته ، من مدفعية ودبابات وهاون و مضاددة للطيران والمدرعات · بعض هذه التشكيلات قد يفرز للفرق ، ليقاتل تحت اشراف قائد الفرقة وسيطرته · ويبقى البعض الآخر فى الفيلق ، حيث يكون دوما جاهزا للحشد والتركيز على أية نقطة من الجبهة · وقد يوضع تحت تصرف

الفيلق طيران للاستعلام والاتصال والنقل والاعتراض ·

١٣ ـ الجيش :

الجيش ، كالفيلق ، تشكيلة كبرى متغيرة التشكيل ، تتألف من عدة فيالق · والجيش فى الميدان مؤسسة مقاتلة مستكفية ، ترتكز على حشد كبير متعدد الانواع من متطلبات الادامة والصيانة ، المتطلبات التي تقتضيها ضرورات المحاربة المعاصرة ·

يشغل الجيش ، فى ساحة الحركات ، منطقة خاصة به، تدعى الجبهة· وتعرف كل جبهة باسم الجيش الذي يشغلها ويقاتل فيها ، فيقال جبهة الجيش الاول مثلا ، ويقال أيضا الجبهة الاولى · ويطلق اصطلاح الجبهة ، أيضا ، على القسم من ساحة الحركات، الذي تعمل فيه مجموعة جيوش ، فيقال حينئذ « جبهة مجموعة الجيوش كذا ··· » الخ·

تأتي بعد الجيش ، من حيث التشكيل ، مجموعة الجيوش ، وهي عبارة عن الجمع بين جيشين فأكثر تحت قيادة واحدة · ثم يلي بعد ذلك جيش المجموعات ، وهو كناية عن الجمع بين مجموعتين من الجيوش فأكثر ، تحت قيادة واحدة ·

امر الجيش هو ضابط من مرتبة الامراء برتبة قائد جيش · وهذه الرتبة أعلى من رتبة فريق أول · ثم تلي رتبة المشير أو المارشال، التي يحملها الضباط الامراء قادة مجموعات الجيوش وجيوش المجموعات ·

لدى بعض الأمم ، يظل الضباط الامراء ، من مرتبة قائد الجيش والمشير ، قيد الخدمة الفعلية ، أو بالأحرى على لائحة هذه الخدمة ، مدى الحياة · هذا التمييز يعني أن هؤلاء الضباط لا يحالون على التقاعد ، ولا يحرمون ، مهما تقدم بهم السن ، من أي من المميزات والمخصصات والاعتبارات إلتي هي حق مكتسب للرتبة ، وذلك تقديرا لخدماتهم الماضية ، وتشجيعا على التفاني والانصراف الخالص التام الى العسكرية الحيادية الصرفة ·

ولدى أمم أخرى ، تتوقف سلسلة الرتب العسكرية عند رتبة قائد الجيش فحسب · وعند أمم أخرى ، توجد رتبة المشير ، لكنها لا تعتبر رتبة عسكرية ، وانما لقبا شرفيا يكون وقفا على الضباط الكبار من مرتبة قادة الجيوش ، وممن يحققون انتصارات باهرة فى ساحات القتال·

و ـ في الرتب العسكرية

الرتب العسكرية ثلاثة مراتب :

أ ـ مرتبة الأفراد ،

ب ـ مرتبة ضباط الصف ،

ج ـ مرتبة الضباط ·

١ ـ مرتبة الأفراد :

رتب هذه المرتبة هي التالية :

ـ الجندي صنف أول أو جندي أول ،

ـ العريف ،

ـ العريف أول ·

٢ ـ مرتبة صف الضباط :

تتألف مرتبة صف الضباط من الرتب التالية :

ـ الرقيب ،

ـ الرقيب أول ،

ـ الوكيل ، أو (المساعد) أو (المعاون) ،

ـ الوكيل أول ،

ـ المرشـح ·

٣ ـ مرتبة الضباط :

تتألف مرتبة الضباط ، بدورها ، من ثلاث مراتب ، هي :

أ ـ مرتبة الضباط الأعوان ،

ب ـ مرتبة الضباط القادة ،

ج ـ مرتبة الضباط الامراء ·

أ ـ مرتبة الضباط الأعوان :

تتألف هذه المرتبة من الرتب التالية :

- الملازم ،
- الملازم أول ،
- النقيب (أو الرئيس) ،
- الرائد ·

ب - مرتبة الضباط القادة :

تحتوي هذه المرتبة على الرتب التالية :

- المقدم ،
- العقيد ،
- العميد أو (الزعيم) ·

ج - مرتبة الضباط الأمراء :

كل ضابط من هذه المرتبة هو ضابط أمير يحمل لقب قائد ، ويتدرج ترفيعا وفقا لسلسلة الرتب التالية :

- أمير اللواء ،
- الفريق ،
- الفريق قائد الفيلق ، أو فريق أول ،
- الفريق قائد الجيش ،
- المشير أو (المارشال) ·

هذه هي الرتب فى مرتبة الضباط الأمراء · وكل رتبـة منها تؤهل صاحبها لممارسة قيادة عسكرية معينة · وكل قيادة عسكرية ، وخاصة فى مستوى الضباط الامراء ، هي ممارسة فى أمور العـلاقات الانسانية ، بقدر ما هي علم فى الاستراتيجية ، وابـداع وتبحـر فى فن التكتيك ، ومعرفة كاملة شاملة فى قضايا اللوجستيك ·

د ــ علامات الرتب للضباط وصف الضباط :

تسلسل الرتب العسكرية

رتب الضباط	رتب ضباط الصف والأفراد
فريق	مُساعد أول
لواء	مُساعد ثان
عميد	مُساعد
عقيد	رقيب أول
مُقدم	رقيب
رائد	عريف
نقيب	جندي أول
ملازم أول	
ملازم	

ملاحظة : فى البلدان العربية ، ذات الأنظمة الملكية ، تستعمل شارة « تاج » عوضا عن شارة « نسر » · وتستعمل فى لبنـــان شارة « أرزة » عوضا عن شارة نسر أو تاج ·

ز ــ مصطلحات خاصة بصنوف الأسلحة

تتألف القوات العسكرية المسلحة من تشكيلات مقاتلة ، ومن مصالح مساعدة متنوعة ٠ وتتوزع التشكيلات المقاتلة الى صنوف (أو أسلحة)، مفردها صنف (أو سلاح)٠ والصنوف هي :

- المشــاة ،
- الفرسان (أو الخيالة) ،
- المدفعية ، ٠
- المدرعات ،
- الهنــدسة ،
- الهــواء ،
- الطيران ،
- البحرية ٠

تؤلف الصنوف الخمس الاولى مجموع القوات البرية ، وتخضع عادة الى قيادة عامة واحدة ٠ أما الطيران ومشــاة الهواء والبحرية ، فتشكل صنوفا مستقلة ، وكل صنف يعود الى قيادة عليا خاصة به ٠

١ ــ صنف المشاة

أعطيت هذه التسمية ، فى الاساس ، ومنذ القدم ، الى جميع المحاربين الذين كانوا يسيرون الى القتال مشيا على الاقدام ٠

أما اليوم ، وقد أصبح الانتقال والوصول حتى ميدان المعركة يجري كله تقريبا بواسطة العجلات الميكانيكية ، فقد صارت تسمية المشاة تعني معظم التشكيلات المحاربة التي تقاتل فى المعــركة متحركة ومتنقلة دون مساعدة ميكانيكية ٠

٢ ــ الفرســان

أو الخيــالة ، وهــو ســـلاح يسيــر اليــوم ، فى طــريق الــزوال

والانقراض · واسمه يدل عليه · فهو تسمية لجميع التشكيلات المحاربة ، التي كانت قديما تنتقل وتقاتل على ظهور الخيل ، والتي هي اليوم لم تعد صالحة ومستعملة لغير الرياضة وتمارين الفروسية ، والاستعراضات والتشريفات ·

٣ ـ المدفعية

يدخل فى شمول هذه التسمية جميع التشكيلات والتنظيمات المقاتلة، التي يتألف تسليحها الاساسي من المدافع ، والتي واجباتها القتالية الاصلية هي اسناد الصنوف الاخرى الشقيقة ، المشاة والدبابات خاصة، فى الدفاع والهجوم ·

والمدفعية نوعان : مدفعية ثقيلة ، ومدفعية ميدان · عند الحركة، مكان المدفعية الثقيلة يكون فى المؤخرة ، مع الفيلق والجيش · وفى الدفاع ، وخاصة فى المناطق المحصنة ، يكون تمركز هذه المدفعية فى الخطوط الخلفية ·

أما مدفعية الميدان ، فتدخل فى تسليح الفرقة ، فى المشاة والمدرعات، وأحيانا فى تسليح اللواء والجحفل والمجموعة التكتيكية ، وتقاتل مع هذه التشكيلات بالاسناد، فى الصفوف الخلفية عادة، وأحيانا مع العناصر المتقدمة ، فى الدفاع أو فى الحركة ، عندما يتطلب الموقف توجيه النار من بعيد على مدرعات العدو ، أو تكوين جدار ناري فى وجه دبابات العدو ، بينما تتحرك الدبابات الحليفة فى حماية هذا الجدار الناري المدفعي وستره ، للمناورة ، ولتقليل المسافة بينها وبين الدبابات المعادية ·

تنتظم المدفعية فى سرايا (أو بطاريات) ، وكتائب، وألوية، وفرق· وقد تعمد بعض الأمم ، كالاتحاد السوفياتي خلال الحرب العالمية الثانية مثلا ، الى تشكيل المدفعية فى فيالق وجيوش قائمة بذاتها ·

٤ ـ المدرعات

يعم صنف المدرعات جميع التشكيلات المحاربة ، التي تنتقل وتقاتل وهي داخل المركبات الميكانيكية المدرعة · والمدرعات ثلاثة أنواع :

ـ المصفحات ،

ـ الدبابات الخفيفة ،

ـ الدبابات الثقيلة ٠

الفرق بين المصفحة والدبابة ، هو ان تدريع المصفحة يكون أخف من تدريع الدبابة، وان المصفحة تسير على دواليب ولا تستطيع الحركة الا على الطرق والاراضي الصالحة لسير العجلات ، بينما تستطيع الدبابة الاستغناء عن الطرق والمسالك الممهدة ، والسير فوق معظم الاراضي دابّة بواسطة السلاسل الميكانيكية الآلية الحركة ، والتي هي بمثابة الدواليب للدبابة ٠

تقوم المصفحات والدبابات الخفيفة ، فى ميدان القتال ، بالدور الذي كانت تلعبه الخيالة الخفيفة قديما ، والذي لا يزال صالحا فى أيامنا للخيالة فى الاراضي الوعرة المشجرة ، القليلة الطرق والمسالك ، أي دور الاستطلاع والالتفاف والاغارة والمطاردة ٠ أما الدبابات الثقيلة ، فهي تقوم اليوم بدور الخيالة الثقيلة قديما ، أي بدور الصدم والسحق والاختراق ٠ وهي تختلف عن الدبابات الخفيفة بكونها أقوى درعا ، وأقوى مدفعا ، ولكنها ابطأ حركة ٠

يشكل صنف المدرعات سلاحا مستقلا مستكفيا ٠ وهو صنف تعرضي هجومي ، وأقوى الصنوف البرية فى هذا العصر ٠ وهو يتألف ، كالمشاة، من سرايا وكتائب وألوية وفرق وفيالق وجيوش ٠ تعمل المدرعات بالتعاون والتنسيق مع المشاة ، التي يقع على عاتقها واجب التمركز وامساك الارض وتنظيفها ، ومع الطيران الذي يستطلع بعيدا الى الامام ومن كل صوب ، والذي يمنع الأجواء على طيران العدو ، وخاصة أثناء الحركة على الطرق، وأثناء القتال فى ميدان المعركة ٠ وتتطلب المدرعات سيلا لا ينضب من المحروقات والذخيرة وقطع الغيار ٠

٥ ـ الهندسة

يعم صنف الهندسة كافة التشكيلات والتنظيمات العسكرية التي تتخصص لأعمال البناء والانشاء العسكري، فى نواحي التحكيم والتحصين والجسور والطرق ، واقامة المساكن والثكنات ، وصنع المطارات ، ومد الخطوط الحديدية ، وبناء المرافىء البحرية ٠ يضاف الى كل ذلك جميع الاعمال المتنوعة المتعلقة باستخدام الألغام والمتفجرات ، والتي منها أعمال النسف المختلفة ، وتلغيم الطرق وممرات العبور الاضطرارية ،

واقامة حقول الالغام الدرعية والشخصيـة فى الدفـاع ، وتنظيف حقول ألغام العدو وتطهيرها بوجه عام ، وبوجه خاص فتح ممرات فى حقــول الالغام لمرور الدبابات الحليفة حين الهجوم • وتنتظم تشكيلات الهندسة فى سرايا وكتائب وألوية ، ويعرف أفرادهـا بالهندسيين أو الهنادســة، والفرد منها هو الهندس •

٦ ـ الهــواء

اصطلاح « صنف الهواء » تسمية لصنف يعم جميــع التشكيلات التي تنتقل الى ميدان المعركة جوا، والتي تحط على الارض بواسطة المظلات والسابحات ، أو بواسطة الحوامات الهوائية (الهيليكوبتر) ، أو بواسطة الطائرات عندما تتأمن لهذه أرض صالحة مضمونة لهبوطها •

٧ ـ الطيران

يتكون الطيران من مختلف التشكيلات الجوية التي تستعمل فى المحاربة لواجبات القصف والمطاردة والاستطـلاع والنقــل والتجسس ، ومــن التشكيلات والعناصر التي تقوم بأعمال الصيانة والادارة فى المطــارات والمدارس والحظائر والمصانع • سلاح الطيران هو اليوم، مع الدبابات، العنصر المؤثر فى مصير كل قتال بري • كما وانه قد غدا السلاح الاول والحاسم فى الحروب البحرية المعاصرة (بعد السلاح النووي طبعا) •

يتنوع الطيران بتنوع الواجبات • وهو يتوزع ، بصورة اجمالية ، الى ثلاثة أقسام :

- الطيران التكتيكي ،
- الطيران الاستراتيجي ،
- طيران المواصلات والاسعاف •

يتكون الطيران التكتيكي من طيران الاستطلاع القريب ، والرصد، والقتال ، والمطاردة • ويتألف الطيــران الاستــراتيجي مــن طيــران الاستطلاع البعيد المدى ، ومن طيران القصف الليــلي والنهاري ، ومن الصواريخ عابرة القارات ، ومن الاقمار الصناعية المتعددة الغايات• أما طيران المواصلات والاسعاف فهو مؤلف من جميع السفن الجوية المستعملة لخدمات النقل والبريد والاسعاف الطبي ، والتموين •

٨ ـ البحرية

يتألف سلاح البحرية من جميع السفن والمراكب والآليات الحربية التي أعدت للقتال فوق الماء أو في داخله ، وكذلك من الطيران العامل لصالح القوات البحرية ، والمنطلق سواء من القواعد الثابتة ، أو من القواعد العائمة • والقوات البحرية ، بمجموعها ، تقسم الى أربعة أقسام :

- الاساطيل السطحية ،
- أساطيل الغوص والأعماق ،
- الأساطيل الجوية ،
- مشاة البحرية •

كانت الغواصة والبارجة (المدرعة الكبيرة) ، حتى قبيل الحرب العالمية الثانية ، أقوى عناصر القتال فى الاساطيل البحرية • أما اليوم ، فقد حلت حاملة الطائرات محل البارجة، والغواصة الذرية محل الغواصة العادية ، وصار الطيران المنطلق من على ظهر الحاملات أقوى الاسلحة، وأعظمها فتكا فى السفن العائمة والغائصة على حد سواء •

الفصل الثـاني

السيـاسة والحرب ـ الاستراتيجية ـ الحرب البـاردة ـ التكتيك

١ ـ السياسة والحرب

الحرب سياسة فى حقيقتها وجوهرهـا ، لكنهـا سياسة عنفية • فهي كانت ، ولا تزال، وستبقى كما عـَّرفها « كلاوزويتز » (١) : « استمرار للاجراءات السياسية ، مع مزيج من الوسائـل الاخرى غير السياسية ، مزيج من الوسائل العنفية » • وان أهداف الحرب ، ومطامعالمتحاربين، لن تكون مخفية ، ولا بد أن تظهر بوضوح من خلال السياسةالخارجية•

كل حرب ’تعد وتجري وفقـا لمذهبية عسكريـة معينة • والمذهبية العسكرية ما هي الا حصيلة التحـري والبحث عـن الحلول الاكراهية لشتى العلاقات السياسية ، الحلول الاخيرة المنبعثـة عـن عقيدة تتبنى النضال المسلح كواسطة لتحقيق الاهداف القومية •

وخضوع السياسة لعقيدة النضال هذه ـ سواء أكـان ذلك فى الحقل الداخلي أم فى الحقل الدولي ـ منته لا محـالة الى القضـاء عـلى أحد الخصوموتدميره • ولا سبيل الى تفهم الاستراتيجية السياسية القومية، دون معرفة بالنواحي العقائدية •

تسيطر المذهبية العسكرية الصحيحة على كل سياسة قومية سليمة • فالسياسة تسعى وتعمل للحصول على القوة، كضمانللاستمرار فىميادين الصراع على الحياة • والعسكرية هي طـريق السيـاسة وواسطتها الى

(*) كلاوزويتز Clausewitz ضـابط بروسي توفي عام ١٨٣٠ • وقد نشر له بعـد وفاته ، في عام ١٨٣٢ ، كتابه « عن الحرب » • وقد صار هذا المؤلف ، فيما بعد ، المرجع لكثير من الاراء والنظريات العسكرية المعاصرة •

اعداد القوة وتنظيمها • والحرب ، كما تقدم ، هي سياسة عنفية • وفن المحاربة يكون ، في أرقى مظاهره ، وأسمى اعتباراته ، سياسة أيضا ، لكن سياسة تخوض المعارك ، بدلا من كتابة الرسائل وتوجيه المذكرات الدبلوماسية • واذا كانت الحرب وسيلة سياسية عنيفة ، وآخر واسطة يلجأ اليها ، فهي عندئذ مقبولة مجازة ، على شرط أن تؤدي فعلا الى بلوغ غايات سياسية رابحة ، غايات تستحق أن يقاتل من أجلها •

ليست الحرب في مقاصدها سياسة فتك وتدمير ، بل سياسة غرضها أن تفرض على الخصم حلا لم يقبل به مختارا ، وأن تحمله على تغيير رأيه ، وتعديل موقفه ، بطريقة مضمونة • وقد يكفي لذلك التلويح باستعمال القوة • وقد لا يكفي مثل هذا التلويح ، فيصر الخصم على موقفه ، ويدفع بعناده واصراره الى حالة الاشتباك بالوسائط الظرفية المتوفرة ، الكفيلة باخضاع أحد الطرفين ، بالاكراه والأذى ، الى رغبات الطرف الآخر • هذا الارتباط المباشر بين السياسة والعنف ــ أي الحرب ــ يظل قائما على الدوام • وهو ارتباط وثيق بين وسائل قد تولّد الحرب ، وبين حروب هي استمرار لتلك الوسائل ومتابعة لها •

الصراع على الحياة مستمر بين البشر • ولا يفرض في هذا الصراع أن يتخذ أداته ، حتما ، من القوة المسلحة • واذا كانت الحرب ليست سوى متابعة للسياسة بوسائل أخرى بديلة ، فالسلم أيضا ، ما هو الا متابعة للقتال ، بوسائل أخرى كذلك • ولذا فلا امكان للتفرقة بين السلم والحرب ، بين اللين والعنف ، لكون الحرب ظاهرة دائمة لصراع بشري دائم ، ولكونها تختلف في الاشكال والدرجات ، عند استخدامها للقوة المسلحة •

تظل الحرب في جوهرها حدثا سياسيا • انها جزء من كل ، وهذا الكل هو السياسة • والجزء الذي هو الحرب ، يعبَّر عنه ، باللغة السياسية ، بأنه تطورات ترتدي طابع التهديد ، وتمتطي عجلة العنف والتدمير ، وتتركز في نطاق من التدابير والاجراءات العسكرية •

والاستراتيجية القومية ، التي تستهدف الحرب ، ليست الا سياسة خاطئة ، خطرة فاسدة • فالمهم في كل سياسة ، هو العاقبة • والعاقبة تكون أسلم ، والنتائج أرخص ثمنا ، والطريق آمن وأضمن ، كل مرة

تتوصل فيها السياسة الرشيدة الى تحقيق مآربها بالوسائل السلمية ، بالوسائل التي تنتهي بالخصم الى الخضوع بتأثير الكلل والملل والمساومة . والسير بالسياسة على هذا النحو ، يتطلب معرفة عميقة بمختلف العناصر والدوافع والاتجاهات ، وتحسبا بعيد المدى لكافة الحالات والاحتمالات ، ليمكن بذلك الوقوف الواعي على الاخطار والمجازفات ، التي يقتضي أن تواجه فى كل آونة .

يجب أن لا يفكر باللجوء الى استعمال الاداة العسكرية حربيا ، الا اذا كان النصر مضمونا ، وفى الحالات التي يعجز عن مواجهتها بغير القوة المسلحة ، أي بوسائط تكون أقل خطرا ومجازفة من واسطة الجيوش المقاتلة . ومع ان القوات المسلحة تظل الاداة الاساسية ، فى السعي لبلوغ الهدف ، لكن يجب أن لا يلجأ الى هذه الاداة الا كحل اخير ، وبعد الانتهاء من تجربة الوسائط الاخرى المأمونة ، التي قد تنيل الغاية المرجوة ، بطرق رخيصة وأشكال لاعنفية ، كالخداع ، والتخريب ، والمشاغبة ، والتشجيع على الانهزامية ، واثارة الشعوب المغلوبة ، وتحريض الدول الصديقة أو التابعة . فاللجوء الى هذه الوسائط غير المباشرة ، لا يستدعي قيام حالة الحرب ، حالة الاشتباك التام ، التي يصعب التراجع بعدها ، ولا يعرض للمخاطرات المرافقة لقيام حرب شاملة مكشوفة . واذا أدى استعمال احدى هذه الوسائط الى نزاع مسلح ، فيقتضي عندئذ حصر النزاع فى مجال ضيق ، والحيلولة دون انتشاره ، ودون تداخل فرقاء آخرين فيه ، وذلك تفاديا لاندلاع حرب واسعة النطاق . ولقد ثبت بالتجربة ان المنازعات الاقليمية المسلحة ، هي نادرا ما تؤدي الى الشيوع والشمول . ومن الأمثلة المؤيدة لهذا القول ما جرى خلال السنوات الاربعين من هذا القرن ، من معارك طاحنة استمرت منذ عام ١٩٣٤ حتى عام ١٩٣٩ ، بين الروس والصينيين من جهة ، وبين اليابانيين من الجهة المقابلة ، على حدود منشوريا ومنغوليا ، وكذلك الحرب العنيفة التي اشتعلت فى شبه جزيرة كوريا ، فى عام ١٩٥٠ ، بين الاميركيين والكوريين الجنوبيين من جهة ، وبين الصينيين والكوريين الشماليين فى الطرف المقابل ، والتي استمرت زهاء ثلاث سنوات ، وانتهت بعد هذه المدة دون أن تتعدى حدود مناطق اشتعالها المبدئة .

ومن الامثلة أيضا الحرب التي دارت رحاهـا فى فيتنـام الجنوبية ، بين الاميركيين والفيتناميين الجنوبيين من جهة ، وبين الفيتكونغ وفيتنام الشمالية فى الجهة المقابلة ، والتي استمرت متواصلة دون انقطاع أكثر من عقد من الزمن ، دون أن تتعدى حدودها الاقليمية ، ودون أن تنتهي وتتحقق غاياتها الا بعد انسحاب الاميركيين من الحرب ٠

للسياسة حق اخضاع الحروب للعقل والمصلحة ، لا للعاطفة٠ وعليها واجب الابتعاد عن الدخول فىالحروبالحزبية العقائدية٠ فهذهالحروب تتوخى أهدافا عاطفية، والهدفالعاطفي، فى شريعة القوة، يعتبر هدفا سخيفا ٠ ان الآراء لا تبالي بالرصاص ، ولا تتقيد بقانون ٠ وكلما زاد تأثير الآراء الحزبية فى الناس ، وعظم تقديسهم لهـا ، كلما خرجوا في محارباتهم لأجلها ــ الا فيما ندر ــ عن جادة الكمـال الانساني ، ووحي المنطق السليم ٠

يجب أن تجري المحاربات وتخضع وفقا لتقاليد انسانية نبيـلة، حتى ولو جرى الخصم وتصرف على خلاف ذلك ٠ وعلى المحاربين والقادة أن لا يقاتلوا بمفهوم السوائم وعقلية الحمقى ، لأن قتال الحمقى لا ينتهي الا الى نهاية حمقاء ، أو الى صلح أحمق ، ومثل هذه النهاية لن تكون الا بداية لحرب جديدة ٠

٢ ــ الاستراتيجية القومية

تعيش الأمم فى جهاد متواصل ، وتنازع مستمر على البقاء٠ والجهاد فى ميادين الصراع على الحياة ، يرتدي عادة طابع العنف ، الصريح أو المبطن ، ولا يفوز بنتيجته سوى الأصلح ٠ والصلاح ، فى هذه الحالة، هو نتاج لتفوق بارز غالب فى الارادة ، وتعبير عن هذا التفوق ٠ وهو أيضا نتاج لتفوق عام فى العلم والمال والوسائل ٠ أما عناصر الصراع وعوامله، فهي البشر والارض ، وأجواء السماء ٠

تولد الأمم ، وتنشأ ، وتحيا وتعيش فى صراع أبدي مع ذاتها ، ومع بعضها البعض ٠ هدف الصراع هو الحصول على أسباب المعيشة المادية الموجودة على سطح الارض وفى باطنها ، وسبله القتل والتدمير وسحق المنافسين بلا رحمة أو هوادة، ومظاهره، قوي وضعيف، غالب ومغلوب، سيد ومسود ٠ يجري هذا الصراع بمراحل :

ـ سلميـــة ،
ـ وعنفيـــة ،

ويستهدف ، فى جميع مراحله ، النصر على المنافسين ، والفوز بالغنيمة والحياة الكريمة دونهم • والاجـراءات الآيـــلة الى تهيئة هذه المراحل وتدبيرها ، والى تنفيذها واستثمار نتائجهـــا ، تكّوِن كـــلا يعرف بفن الحياة • وهذا الفن هو الاستراتيجية القومية بمعناها العام ومفهومها المطلق •

تتقصد الاستراتيجية القوميةتحقيقالغلبة فى ميادين الصراعالبشري على البقاء • ولا يفوز بالغلبة المتوخاة الا صاحب القوة المتفوقة• وهذه القوة المتفوقة ، هي الغرض لكل استراتيجية قومية صحيحة •

'تعرف الاستراتيجية القومية بأنها المنهـــاج الـــواقعي الذي تختطه لنفسها كل أمة ساهرة على مصالحهـــا ، مستدركـــة لأمـــور حاضرهـــا ومستقبلها ، الأمة التي تتمسك بالحياة الكريمة وتتفهم مطالبها ، والتي تتوخى من وراء ذلك تحقيق التفوق العام فى نواحيه المـــادية والمعنويـــة والروحية • انها ترى فى هذا التفوق قوتهـــا الحقيقية ، وفى هذه القوة سبيلها الأوحد الى القيام بواجباتها الانسانية ، والى العيش عزيزةمنيعة فى دنيا البشر ، وفى كل حين ، وعصر ، وتاريخ •

لا تكفي النواحي العسكرية والاقتصـــادية ، مـــع ما لها من أهميـــة قصوى ، للتعبير عن قوة الامة ، أو للدلالة لوحدها على هذه القوة • بل هنالك عوامل عديدة أخرى لا بد منها ، أهمها الثقافة والصحة العامة ، والحياة العائلية ، والعدالة الاجتماعية ، ومســـايرة الزمن واستخـــدام ظروفه المؤاتية فى حينها ، وبواعث الابداع الفـــردي والاعتمـــاد على الـــذات •

ان الاستراتيجية القومية ، فى جميع مظاهرها ، سياسة تشمل الامور المدنية والعسكرية ، وتحظى باهتمـــام المـــدنيين والعســـكريين ، على درجات متفاوتة وفقا لنوع أعمالهم وطبيعة اختصاصهم • وهي تقسم، لغرض الدقة فى الايضاح والتحديد ، الى نوعين :

ـ استراتيجية سيـــاسية ،
ـ واستراتيجية عسكرية •

٣ ـ الاستراتيجية السياسية

تعم الاستراتيجية السياسية جميع مرافق الامة ، وكل نواحي نشاطها الداخلي والخارجي، وغايتها استخدام الناس والمواد والعلاقات الدولية، على خير وجه وأفضل سبل ، وذلك سعيا للوصول بالأمة الى حالة القوة، الى التفوق اللازم لتحقيق كافة الاهداف القومية حاضرا ومستقبلا • وتمتاز الاستراتيجية السياسية الصحيحة بملاءمة خططها وتدابيرها للظروف والاوضاع القائمة ، وبأنها لا تستوحي الدروس والعبر والمناهج فقط من تاريخ الأمة وحدها ، بل من حصيلة خبرة الدول وتواريخ الامم قاطبة • وتبرز قيمة هذه الاستراتيجية ، وبيان نوعها ومستواها ، فى مظاهرها وفاعليتها فى حقل العلاقات الدولية ، وفى سلوك المواطنين أفرادا وجماعات حيال بعضهم بعضا ، وفى تعامل هؤلاء المواطنين مع رعايا الشعوب الاخرى •

تتفرغ للاستراتيجية السياسية هيئات الدولة العليا ، والاحزاب السياسية • والمؤثرات فى هذه السياسة عديدة ، أبرزها مظاهر القوة المادية ، العسكرية والمالية والتكنيكية خاصة ، تليها المؤثرات النفسية كالحب والبغضاء والاحسان ، والقيم الاخلاقية والروحية ، والأمل في الربح والسيطرة ، وطبائع الحكام والزعماء ومقدرتهم ، وسوية الشعب الفكرية وتحسساته العاطفية •

فى ميادين النشاط الدولي ، تنتهج الاستراتيجية السياسية سياسة التلميح باستعمال القوة وعرضها أملا فى التوصل الى تحقيق الاهداف القومية دون اراقة الدماء • وتعمل ، فى نفس الوقت، على تأسيس الصداقات العديدة ، واكتساب الرأي العام الدولي ، وتأمين الموارد والقواعد والاحلاف، وذلك توخيا لدعم مطالبها وبلوغ حقوقها بلا حرب ان أمكن ، أو لرجحان كفتها فيما اذا نشبت الحرب ، ولم يمكن تلافيها دون مساس بكرامة الامة ومصالحها • هذا النوع من النشاط ، يشار اليه عادة باصطلاح السياسة الخارجية ، ويعرف ميدانه باسم الهيئة الاجتماعية العالمية •

ان تعبير الهيئة الاجتماعية العالمية تسمية لمجموع الشعوب والدول على وجه الكرة الارضية • هذه الهيئة ، هي بلا سلطة مركزية عليا

تمكن من فرض العدالة والقانون والنظام، وبلا أداةفعالة كفيلة بحماية أعضائها ، وضمان حريتهم فى التمتع بحقوقهم والحفاظ على استقلالهم وكراماتهم• وافتقار العالمالبشري لهذه السلطة وهذه الأداة، وحرمانه منهما ، واستحالة تحقيقهما ما لم تسيطـر عـلى الارض جمعـاء دولة واحدة ، جميع هذا جعل كل أمة فى خوف دائم على نفسها ، ونجا بكـل دولة الى أن تجعل من دوام قوتها ، ومن تحسين هذه القوة وتعاظمهـا، باضطراد واستمرار ، أول هدف لسياستها الخارجية ، وأجبرها على أن تختط لنفسها وتتبع استراتيجية عملية واقعية ، ملائمة لحالات السلم والحرب ، مبنية على جغرافيتها ووضعها فى العالم• وسيظلهذا الخوف، وهذا المنحى ، دائما شاغل الامة وموضوع قلقها وتفكيرها وجهودها ، وذلك طالما ظلت أمة مستقلة كريمة ، ودولة ذات سيادة ، فى أرض حرة•

وللاستراتيجية السياسية ، بالاضافة الى نشاطها فى ميادين السيـاسة الخارجية ، نشاط أو سياسة محلية داخلية ، غايتها وقاية نقاط البـلاد الحيوية من دسائس الاعداء ومؤامراتهم ، وتأمين المجالات الواسعة من المساحة الارضية ، الكافية لحركات القوات الوطنية المسلحة ومناوراتها لأغراض الاعداد والتمرين ، وذلك كي تظل قادرة على مواجهة الحالات الطارئة ، وعلى التصدي للمعتدين من أي اتجاه ، بكفاية وفاعلية •

ومن واجب الاستراتيجية السياسية أيضا ، فى نشاطها المحلي ضمن الحدود الوطنية، السهر على أن تظلقوى الامة جميعها صالحةللاستخدام السياسي والعسكري ، فى كل وقت ، وأن تظل القوات المسلحة دوما على وضع من الأهبة والاستعداد يسمح بالمرور حالا من حالة السلم الى حالة الحرب ، والاستمرار على المحـاربة ، والانتصـار فى نهايتهـا • وتقع مسؤولية هذا الواجب الاستراتيجي ، على عاتق رئاسة الدولة وأجهزة الحكم والدفاع العليا ، ويُستوحى التخطيـط له مـن تجـارب الدول والشعوب ومسيراتها عبر القرون والاحداث ، ويقوم به أهل الخبرة من مستوى العلماء والاخصائيين •

٤ ــ الاستراتيجية العسكرية

تتفرغ الاستراتيجية العسـكرية لأمـور الحـرب • وهي امتـداد للاستراتيجية السياسية ونتاجها • وتستهـدف الاستعـداد والتحضير

لاستخدام القوة المتفوقة ، الحاصلة بنتيجة مساعي الاستراتيجية السياسية وثمرات جهودها، استخداما عسكريا فى نطاق العلاقات، الودية أو العدائية ، مع الأمم الاخرى • غايات هذا الاستخدام العسكري هي : اما دعم الاستراتيجية السياسية فى نشاطها الخارجي ومفاوضاتها اللاعنفية ، واما استعمال العنف فى مقابلة العدوان ، حينما تعجز الاستراتيجية السياسية عن تحقيق الاهداف القومية ، أو صيانتها ، بالطرق والوسائل السلمية •

لقد طرأ بعض التعديل على مفاهيم الاستراتيجية الحديثة ، منذ الحرب العالمية الثانية • فاستراتيجية اليوم لا تفرق بين حالتي الحرب والسلم ، بل تعتبرهما مرحلتين أو شكلين مختلفين فى سياسة استعمال القوات المسلحة • وهي لا تجيز التفريق فى التفكير ، بين استراتيجية وأخرى ، على اعتبار ان مسائل الاستراتيجية العسكرية ، ومسائل الاستراتيجية السياسية ، جميعها تتساند وتتكامل ، وتكون كيانا متماسكا تاما • وبهذا التكامل والتساند ، لم تعد قيادة شؤون الحرب وقفا على الاستراتيجيين العسكريين ، وغدت الاستراتيجية ، بالمعنى العسكري الصرف ، ضربا أو مظهرا من مظاهر الاستراتيجية السياسية فحسب •

وبما ان الحرب هي استمرار للسياسة ، كذلك هي الاستراتيجية • انها متابعة للسياسة، بالاضافة الىكونها الفكر والاسلوب الموجه والمحدد لكل سياسة • ولما كانت المحاربة المعاصرة الناجحة ، كالمحاربة الناجحة قديما ، ترجع بقيادتها الى أعلى سلطة فى الدولة ، لذا وجب قيام استراتيجية موحدة ، عسكرية وسياسية، وتسليم ادارتها الى استراتيجي عام واحد •

والاستراتيجية العسكرية حساب ، وظاهرة قومية ، وحصيلة اجتماعية• انها حساب واقعي، وتحليل عملي لمختلف العناصر والمعطيات السياسية والاقتصادية والعسكرية • وهي ظاهرة قومية ، لأنها تعبر بوضوح وجلاء عن مميزات الشعب والجيش وميولهما العامة • وهي حصيلة اجتماعية، لكونها حاصلا للمزايا الاجتماعية فى الدولة، ولنسبة النمو والطاقة فى القوى المنتجة ، مما يجعلها مرتبطة ارتباطا وثيقا

بالمستوى الاقتصادي والسياسي والثقافي ، فى الامة ٠
ولا تقتصر الاستراتيجية العسكرية فقط على النواحي العسكرية ٠ انها تحيط بالامور العسكرية بالذات ، وبالامور المكونة لمختلف الاحتمالات الاقتصادية والمعنوية ، لدى الامة والعدو على السواء ٠ وللسياسة التأثير الحاسم فى وضع الخطط الاستراتيجية العسكرية وتطبيقها ٠ وقد أدى الاتفاق والتشابه ، ما بين المذاهب العسكرية والسياسية ، الى قيام اجتهاد عام متشابه فى تصميم الخطط الاستراتيجية وتطبيقها ، فى الحقلين السياسي والعسكري ٠
وهذا الاجتهاد المشترك العام ، يرمي الى تعيين الخطوط الاساسية، التي تسير بالأمة قدما بخطوات ثابتة موفقة ، والتي تؤدي الى اصابة الخصوم بالضربةالحاسمة، وذلك لغرض تحقيق الاهداف المكونة لعناصر الآمال القومية ٠ تعمل الخطة الاستراتيجية على الاعداد والتحضير لتنفيذ الضربة الحاسمة ، فى الاتجاه الذي يعطي أحسن النتائج ، وفى غضون أقصر مدة ممكنة ٠ وتعيين الاتجاه للهجوم الرئيسي ، اتجاه الضربة الحاسمة ، ينتج عن التنبؤ الصحيح بطبيعة العمليات واستدراك طلباتها ، لطول مدة المحاربة ٠ وهذا التعيين يعني التوصل الى تقرير المصير لتسعة أعشار الضربة المنشودة بصورة مسبقة ٠ ذلك هو دور الاستراتيجية العسكرية ٠
والاستراتيجية العسكرية هي العمل الأهم فى تدبير المحاربة وتسيير دفتها ٠ وهي تخضع التكتيك لمقتضياتها ، وتكيفه فى نطاق امكانياتها الفعلية ٠ وانه لمن الممكن استخدام الوسائط السياسية فى دعم مجهود يكون عسكريا بطابعه وجوهره ، بالتوافق مع الظروف الراهنة ، وذلك تقوية لمعنوية الجيوش ، وتجهيزا لها بالحيوية الروحية والفكرية الضرورية للنجاح ٠ ومن المحتمل ، أيضا ، وفى نطاق أوسع ، اللجوء الى الوسائط العسكرية ، للتسبب فى ايجاد أوضاع اقتصادية ومعنوية وسياسية ، أوضاع يكون قيامها ، بواسطة السبل العسكرية ، أكثر فائدة وأسرع نتاجا ، من حصولها بطريق الوسائل السلمية ٠
كما وللاستراتيجية طابع علمي ، فى كل ما له علاقة بالقرارات واعداد الخطط ووضع الدراسات ٠ وهي تركّز قواعدها على حساب واقعي متجرد ، لقيم القوى المتقابلة ٠ هذا الحساب الواقعي ، المرتكز

على معرفة حقيقية وتقدير صحيح للعلاقات القائمة ما بين الامكانيات، والقوى ، والاتجاهات لجميع الفرقاء فى ساحات الصراع ، هو الميزة المطلوبة للاستراتيجية العسكرية ، الاستراتيجية العاقلة الرشيدة • وهو حساب ، لا ينظر الى العناصر والمعطيات والاحتمالات ، بمنظار قواعد قياسية موضوعة مسبقا ، بل بعين الديناميكيات الآخذة بالتطور ، وميزاتها • ان الاستراتيجية العسكرية المبنية على هذا النوع ، من الحساب الواقعي الرصين ، لمختلف العناصر المشتركة فى العمل ، هي استراتيجية متميزة فعالة • وهي مهيئة للتوفيق والاصابة فى تعيين الاهداف والاتجاهات الرئيسية •

تحدد الاستراتيجية واجبات القوات المسلحة • ويجب أن تكون هذه الواجبات عملية واقعية ، وأن تكون تعبيرا لاستطاعة هذه القوات • ان استطاعة القوات المسلحة ، لتتضح بيسر وسهولة ، بنتيجة الوصول الى مقارنة هذه القوات وامكانياتها، مع القوى والامكانات المقابلة المفترض وجودها لدى العدو • تسمى هذه المقارنة ، باللغة العسكرية ، دراسة وتقدير عام للقوى ولنسبها لدى جميع الفرقاء المعنيين• وهي قاعدة يفرض أن تتبع فى جميع الظروف والاحوال •

وتتصف الاستراتيجية العسكرية المتميزة ، أيضا ، بالقوة ، قوة في الصحة والتدقيق وبعد النظر ، وفى القابلية على تأمين النجاح للخطة المرسومة ، وبأن يخصص ويستدرك لتنفيذها جميع الوسائط اللازمة• ومن المستطاع دوما تعديل الاستطاعات لدى القوات المحاربة • والاستراتيجية الجيدة قادرة على تحقيق هذا التعديل ، وذلك لما تتمتع به من فاعلية بالغة • وعلى كل استراتيجية عسكرية أن تقيم الدليل ، بالنتائج الملموسة ، على قابليتها لتعديل استطاعات القوى بفاعلية•

ان استطاعات القوات هي طاقاتها • والطاقة هذه حقيقة فاصلة آمرة • فهي تنص ، لكل حالة بعينها ، على سلوك معين ، سلوك قد يكون تقدما ، أو شروعا بالانسحاب ، أو غير ذلك• وليس من قاعدة مفروضة لحساب هذه الطاقة ، ولا حالة مفترضة تعتبر قياسية جامدة • فللشروع بالتقدم ، مثلا ، يقتضي أن يأتي حساب الطاقة ، للقوات المعنية، موافقا لفكرة التقدم ، أي أن ينتهي هذا الحساب الى حاصل يساوي أو يعلو مجموع الطلبات للزحف الموفق • فاذا جاء الحساب للطاقة موافقا على

النحو الذي ذكر ، أصبح الزحف المنوّى فرضا واجب التنفيذ ، مع التحفظ بوجوب الابتعاد ، حين التقدم ، عن تطلب كل كسب تكتيكي ، مهما سهل ، ما لم يكن مذكورا فى نطاق الخطة الاستراتيجية ، أو يكن عاملا مساهما فى نجاح هذه الخطة ، بلا تأخير ، وبلا عمل اضافي يصرف القوات ، ولو مؤقتا ، عن واجباتها الرئيسية ٠

ان التبدل فى طاقة القوات المحاربة ، محتمل فى كل آونة ، بصورة مفاجئة ، وفى كثير من الحالات ٠ وكل تبدل يحصل فى الطاقة ، يوجب أن يعالج فور حصوله ٠ لنضرب على ذلك مثلا ٠٠٠ اننا نعلم ان التعرض هو الاجراء الحاسم فى المحاربة، وانالزحف الهجومي هو الظاهرةالفعالة فى كل تعرض ، وانه لذلك يفترض أن يكون التعرض هو الصفةالغالبة، فى الخطة القوية ٠ وقد أدى حساب الطاقة الى قبول العمل بمبدأ التعرض ، وأخذت القوات بتنفيذه ٠ يبدأ التعرض بعمليات هجوم موضعية ، تستهدف كشف مواقع الخصم ، وتقدير قواه ، وجس فاعليته وضراوته ٠ قد تؤدي هذه العمليات الموضعية ، الى ظهور ما لم يكن في الحسبان ، ويتحتم حالئذ العودة الى مراجعة حساب الطاقة من جديد ٠ وقد يُعدل بنتيجة ذلك ، عن متابعة الزحف ، الى التوقف أو التراجع ٠ فاذا حصل ذلك ، فالموقف الجديد ، يكون ويعتبر نتيجة ملزمة ، لتبدل غير موافق فى طاقة القوات ، بالنسبة الى قوى العدو المقابلة ٠ هذا المثال ، ما هو الا ايضاح ، وتكرار للمبدأ الذي يحتم على القيادة العليا وضع خطتها الاستراتيجية بناء على تقدير صحيح للموقف العملي ، وعلى مقارنة دقيقة ، مضبوطة ومستمرة، لطاقة قواتها مع طاقة القوات المقابلة ٠

كل ما ذكر أعلاه ، من خصائص ومميزات وايضاحات ، يدخل بجملته ، وتفصيله ، فى جملة مفاهيم القيادة القوية ، وواجباتها٠ والقيادة التي لا تعتنق هذه المفاهيم والواجبات ، أو التي لا تحسن تطبيقها ، لقيادة ضعيفة ، تنتهي حتما الى الفشل والخسارة ٠ ومن دلائل القيادة الضعيفة التردد والتقلب فى التفكير ، والفوضى فى الاجتهادات الاستراتيجية ٠ وهي عادة اما تحط من امكانات الخصم واستطاعاته ، وتغالي فى تقدير طاقة قواتها واستطاعاتها ، واما انها

تفعل عكس ذلك ، فتحط من طاقة قواتها ، ومن امكانات هذه القوات ، وتبالغ فى تقدير قوات العدو واستطاعاته ٠

للثبات على تفكير استراتيجي صالح لتحقيق الغرض ، يقتضي اتباع مرونة تكتيكية كبيرة ، فى اختيار الوسائط التي تعتبر لازمة وكافية الى بلوغه ٠ فالتكتيك ينظم اشكال المحاربة ، وترتيباتها، ويتغير ، فى مظاهره وتنظيمه ، بتغير المد والجزر فى سياق الاحداث التاريخية ٠

واختيار شكل المحاربة ، فى نواحيها العسكرية والسياسية ، مسألة ظروف ، وفرص ملائمة ٠ ولا يتقيد العامل المؤثر فى هذا الاختيار ، لطلباته ، بشكل معين خاص من أشكال المحاربة٠ فهو، أي العامل، يؤمن بأكثر هذه الاشكال تغيرا ، ويتطلب التغيير ويتقصده ، ولا يحصره بالاشكال الرئيسية ، بل يريد ذلك عاما شاملا لجميع الاشكال ، بما في ذلك الاشكال الثانوية والاشكال المتممة ٠ أما العامل الثابت ، الذي لا يتغير ولا يتبدل ، فهو الاقتناع بضرورة المحاربة ، والاعتقاد الراسخ بأن النزاع الاساسي ، بين قوتين متعاديتين عن يقين وايمان ، هو نزاع لا يتوقف الا بافناء احدى القوتين ، وفوز الاخرى بميدان الصراع ، لوحدها دون منازع ٠

ويمكن القول أخيرا ، لغرض التركيز والاختصار ، ان الاستراتيجية العسكرية تبحث فى علم الحرب وفنه ، وتهدف فى هذا البحث الى دراسة جميع عناصر القوة لدى الاطراف المتقابلة ، والى استعراض جميع الحالات المحتملة ، المنتظرة المتوقعة أو الطارئة ، ومناقشتها ، والخروج من هذه الدراسة، وهذه المناقشة، بمجموعة من الخطط الحكيمة المتقنة، الآيلة الى توزيع القوات المسلحة ، وتوفير مستلزماتها ، واستعمالها حين الحروب ، فى معارك ناجحة تؤدي بجملتها الى كسب الحرب ، وبكل معركة منها، الى ولوج القوات المحاربة المعينة فى منطقة المعركة وساحتها، على أحسن الشروط وأكملها ، من حيث العدد والعدة والزمان والمكان، وكذلك الى سوق العدو بالاكراه ، أو بالحيلة والخديعة ، وارغامه على دخول القتال فى هذه المعركة ، فى ظروف ليست لصالحه ٠

٥ ــ الحرب البـاردة

الحرب الباردة صراع بين خصمين، فى مختلف المجالات، عدا المجابهة

العلنية بين الجيوش · والحرب البـاردة تعبير مبتـكر جديد ، لمرحلة الصراع الصامت التي كان يشار اليها ، سابقا ، بفتـرة السلم · تظهر هذه الحرب الى الواقع على شكلين رئيسيين :

ـ محاربة سياسية ،

ـ وتدابية عنفية غير عسكرية، أو اجراءات عسكرية محدودة·

وتحدد الظروف ، والمرونة التكتيكية الصحيحة فى السياسةالصحيحة، الشكل الواجب اختياره من هذين الشكلين ، وفقـا لكل حـالة قائمة أو طارئة ·

لا تعتبر المحاربة السياسية حربا نظـامية أو ساخنـة · وهنالك من يدعوها أحيانا بالمحاربة السيكولوجية · انها محاربة من نوع خاص ، غير تقليدي ولا مألوف فى الحروب الماضية، من حيثانها لا تنطوي على وقائع وأعمال عسكرية · والسياسة الحـاذقة ، تبـدع فى الجمـع بين الوسائل السياسيةوالاقتصادية والسيكولوجية، أي الوسائلاللاعسكرية، وبين النزاع المسلح ، وغالبـا ما تستعيـض بالمزيـج اللاعسكري عن الاحتكام الى قوة السلاح ·

وسائل المحاربة السياسية وأشكالها عديـدة · فمن أشكالها التشجيع على قيام الاضرابات ، وعرقلة مشاريع البناء والانتاج ، وتعميمالافكار والنظريات والميول الانهزامية ·· ومن وسائلها بعث وتوجيه الحملات الداعية الى السلم ، ونبذ الحروب ، وتحسين المعيشة ، وتأمينالمساحات الارضية الضرورية لحياة الشعوب والجماعات ، وتحرير الاقوامالمغلوبة على أمرها ، ومساعدة الاقطاز الفقيرة · وقد برهنت هذه السياسة عن فاعلية كبيرة فى حقل النشاط الدولي · ولكنها تتطلب ، لكي تنجح، أن تعزل الشعب عنالخارج، وأن تفرضعليه رقابةمطلقة، وذلك للسيطرة على الناس ، وعزل عقولهم عن الاتصال ببقية العالم بحرية واختيار ، وكذلك لكتمان الخطط وتوجيهها كمـا يجب ، فى الحقـلين الداخلي والخارجي ·

والدعاية هي السلاح ، أو الشكل الرئيسي فى المحاربة السيـاسية· والدعاية ، وسواها من أشكال المحاربة اللاعنفيـة ، ظاهـرات لنشاط صريح مكشوف ، ميدانه السياسة الخارجية والداخلية · وثمة نشاط من نوع آخر ، نشاط سري يجري فى الخفاء ، ومن وراء ستار كثيف من

التكتم والمجهولية، ومجاله الحقل الداخلي للدولة المعادية. هذا النشاط الآخر، السري المجهول، يستهدف تفريق الصفوف وبعثرة الجهود، والتخريب وعرقلة الانتاج، وتشكيل الارتال الخامسة، وزرع بذور الانحلال والتفكك في الروابط والأسس القومية، وتحريض الشعوب المغلوبة على الثورة، والتسبب بالاعتداءات المحدودة، التي تقوم بها دول مسيرة داخلة في دائرة النفوذ. ولم تكن هذه الاشكال والاساليب مجهولة في الماضي، لكن تطبيقها كان نادرا، ولم تدخل رسميا في تقاليد الحروب، وأعرافها، الا من جديد، بحيث غدت اليوم موضوعا لمحاربة لاتقليدية معترف بها.

تستخدم الاستراتيجية جميع هذه الاساليب والاشكال النضالية المستحدثة، لوحدها دون مزيج، أو تستخدمها مرفقة بأشكال المحاربة التقليدية، وذلك عندما تكون هذه المرافقة أجدى فاعلية، وأكثر ملاءمة، ودون أن يدعو استخدام هذه الاشكال كلها، من تقليدية وغير تقليدية، الى قيام حالة حرب صريحة، والى قتالات ومصادمات عامة. وعلى كل استراتيجية صحيحة أن تسعى الى احداث الثورات الداخلية لدى خصومها، لتفقدهم من جراء ذلك فضائل المؤخرات المضمونة، ولكي تمنع عنهم امكان استخدام احتياطهم من المادة البشرية، بصورة كاملة.

لا تلعب الحرب الباردة، مهما تعددت أشكالها وحسنت نتائجها، الا دورا اضافيا مساعدا، في حساب الاستراتيجية المؤثرة. فالجيش يبقى أداة العمل الرئيسية، أداة تمكن أحيانا، بتأثير غير مباشر، ولكونها أداة جاهزة فعالة، من تحقيق الاهداف لمجرد التلويح باستعمال القوة، وبصورة تكون أكثر نفوذا، وأقل نفقة من غزو مسلح. ان التفكير العملي، على النحو المذكور، يعتبر انقلابا في المفاهيم الموضوعة قديما، وان لهجته، في الدعاية الاستراتيجية، تكون تارة هجومية، وطورا دفاعية، تبعا لما تكون عليه الحالة النفسية لدى الشعوب المعنية. انها لهجة ناتجة عن بحث ودراسة، وتكون موافقة لكل ظرف زمني بعينه.

٦ ـ التكتيك

التكتيك جزء من الاستراتيجية. وهو لا يسري على مجمل الحرب، بل على مراحلها المنعزلة، على المعارك والقتالات الموضعية. واذا كانت

الاستراتيجية تهدف الى ربح الحرب بجملتها ، أو تسعى لأن تتسبب في انتهاء الصراع ، فالتكتيك يستهدف ربح هـذا الاشتبـاك وذاك ، هذه المعركة وتلك ، والتوفيق فى قيادة حملة أو تعرض ، بالاتفاق والتناسب مع واقع الحال ، فى ميدان القتال ، وفى زمن معلوم محدود •

للتكتيك غاية أساسية ، هي أن يعين لجريان القتـال كـل الاساليب والوسائط والاشكال والمناهج ، التي تصلح بمعظمها لتطبق على حـالة قائمة معينة، والتي تكون أكثر كفايةوقابلية لتحقيق نصر استراتيجي• ولهذا وجب أن لا يحكم على الواقعة التكتيكية وحاصلها ، على أسـاس القيمة المجردة ، بالنسبة الى النتائج المباشرة ، لكن بالنسبة الى اهـداف الاستراتيجية وامكاناتها •

الانتصارات التكتيكيـة مراحـل عـلى طـريق تحقيـق الاهداف الاستراتيجية • لكن يحدث أحيانا عكس ذلـك •• يحـدث أن تحصل انتصارات تكتيكية ، انتصارات باهرة فى اعتبار الظرف المباشر والقيمة المجردة ، لكن دون تناسب وتوافق مع الامكانات الاستراتيجية المتوفرة، مما يوجد حالة مفاجئة قد تؤثر على سير العمليـات الجارية فى مناطق أخرى ، أو تسيء الى مجرى الحرب ككل ، على المدى البعيد •

وثمة ظروف تقع ، فتلزم باهمال التوفيقات التكتيكية، وبالتعرض الواعي ، المتعمد الى الخسائر والهزائم التكتيكية، وذلك تقصدا لتحقيق مكاسب استراتيجية فى المستقبل • وظروف كهذه تحدث كثيرا فى سياق الحرب ، عندما يتوخى طرف من المتحاربين انقاذ معظم قواته، ووقايتها من ضربات خصم متفوق ، فيشرع لذلك بمحـاربة تراجعية منظمة ، ويتخلى ، بدون قتال ، عن المدن والمناطق الواسعة ، لغاية كسب الوقت الكافي ، لحشد موارده وقواته ، تأهبا وانتظـارا لمعارك جديدة تكون فـاصلة •

وبالاختصار ، يقتضي ان لا يخضـع التكتيـك الى تطلـب الفـوائد المؤقتة ، الحينية باستقلال عن الفائدة الاستراتيجية • يجب أن لا يتأثر ويسيّر بناء على اعتبارات من الاحداث السياسية المباشرة • وعليه ، علاوة على ما ذكر ، أن لا يفقد التماس مع الحقائق ، فيبني قصورا في الهواء • يجب أن يتكيف التكتيك ويتقيـد بأغـراض الاستراتيجيـة وامكاناتها ، على الدوام •

الفصل الثالث

المذهبيـــة العســكرية

١ ـ تعريف المذهبية العسكرية

لكل أمة مذهبية عسكرية • والمذهبيـــة هــذه مجموعة من الطرائق والاصول والتقاليد والتراثات الحربية، فى نواحي العلم والفن والتكتيك والاستراتيجية ، التي يعتقد بها الجيش ، والتي يستوحي منها التوجيه، والفلسفة الاساسية لتفكيره ، وتخطيطه ، واستعمال اسلحته • والمذهبية العسكرية الناجحة ، الفعالة ، خليط ديناميكي من المبادىء العقائدية، والاساليب التطبيقية الواقعية •

٢ ـ قيام المذهبية العسكرية

يقوم المذهب العسكري وينمو ، على أســاس متــراكم من التجارب الحربية ، المتعاقبة على مر العصور • والعقائد الروحية والاجتماعية لا تدعو ، بوضوح ، الى نوع خــاص من العسكــرية ، ولا تجــزم بأمر فى تحديدها للمبادىء النضالية والتنظيميـــة • بيــد انهــا تؤثر فى جوهر الموضوع ، بصورة غير مباشرة ، وتسبب انعكاســات وتطــورات تؤدي عادة الى اجتهاد عسكري خاص ، والى ظهور أساليب قتالية جديدة •

لا تتوقف العسكرية ، فى تطورها ، عند حد أو زمــن • انها تتطور باستمرار ، بالخبرة والدراسة ، وبالمناقشــات المتواصــلة ، التي تدور حول طبيعة القتال المعاصر ، وحول الأسس الحــديثة التي يتوجب على الدولة أن تعتمدها ، للاعداد والتنظيم وضمان استمرار القوة • ومن الأمور الهامة التي يتناولها التطور والنقاش ، الامور التالية :

ـ شكل القيادة العامة : قيادة مزدوجــة عسكريــة وسياسية ، أو قيادة موحدة ••

ـ تحديد الصلاحيات ، وتنظيم الروابــط والعــلاقات والتبعات

والمسؤوليات ، ما بين المدنيين والعسكريين ..

ـ علاقة المذاهب السياسية بالقوات المسلحة ..

ـ حياد الجيش أو عدمه، فى الامور الخارجة عن نطاق اختصاصه، ونسبة جهوده وتأثيره ، فى الحياة السياسية ..

ـ شكل الضبط المطلوب من العسكريين، ونوع الطاعة، والوسيلة والكيفية لتحقيقهما ، وهل ينتجان عن الاكراه ، أم عن قناعة اختيارية لا مفروضة ..

ـ كيان القوات المسلحة وطبيعتها: قوات نظامية، أم حرس وطني وتحشدات شعبية ظرفية ..

ـ مصدر العقيدة الهجومية : أتتولد هذه العقيدة تدريجا مع سياق الحياة المسلكية ، والطلبات الظرفية فحسب ؟ أم يقتضي أن تنبثق عن مؤثرات عقائدية ؟..

ـ علاقة القوات المسلحة بالشعب ، وتعاونها مع مختلف طبقاته، فى حالات الحرب ، وفى مراحل الاستعداد والانتظار ، المراحل المعروفة قديما بأوقات السلم .

كل هذه الامور والأسئلة ، تتطلب البدء بالوصول الى اتفاق على طبيعة المذهب العسكري فى ناحيتين : هل هو عنصري أم شعوبي ، وهل هو موحد أم غير موحد ؟

من الناس من يدعو الى مذهب عسكري موحد ، يكون اتجاهه العام تقديم المساندة العسكرية الواسعة ، الى الاهداف والغايات الحزبية ، مساندة تتصف بطابع النضال الطويل والعزم المتصلب المرير . يتميز هذا المذهب بخضوعه التام للتوجيه السياسي العام ، الذي تعتنقه الطبقة المتزعمة . أما خصوم المذهب العسكري الموحد ، فليست لهم عقيدة عسكرية موحدة ، بل نظريات متعددة مختلفة .

تعريف المذهبية العسكرية الموحدة ، هو انها تعليم يعطاه الجيش، فى دولة بعينها ، تعليم يتسبب فى تكوين الطابع المؤسس للقوات المسلحة ، وفى تحديد القواعد لأساليب الاعداد للقتال ، ولتنظيم القيادة بموجب الآراء السياسية والحزبية ، التي لها الافضلية على طبيعة الواجبات العسكرية المحتملة ، وعلى وسائط تحقيقها ، آراء تنتج عن الطابع

الاجتماعي في الدولة ، وعن سوية النمو في قواها المنتجة ٠

لا ينكر خصوم المذهب الموحد تأثر العقائد العسكرية بالطابع الاجتماعي في الدولة، انما يخالفون في نوع الطابع الاجتماعي الواجب اعتباره٠ وهم يحصرون العوامل التي يجب أن تؤثر على نشوء المذهبية العسكرية وتكوينها ، بالنقاط الاربع التالية :

- التوجيه الاساسي في السياسة الداخلية ،
- التوجيه الدولي للدولة ، أي السياسة الخارجية ،
- كيان الجيش في جهاز الدولة ،
- التعليم الاستراتيجي والتكتيكي الواجب اعطاؤه للجيش ٠

وكما يعتقد البعض بعلم عسكري شعوبي مشترك بين جميع الاجناس والحكومات ، كذلك يعتقد آخرون بمذهبية عسكرية خاصة ، واحدة كاملة ٠ الا أن خصوم هذا الاعتقاد الاخير كثيرون ٠ انهم يشكون في صحته وسلامته ، ويرون انه حالما يصار رسميا الى تبني مذهبية عسكرية مفروضة ، يصبح كل تفكير بالمخالفة ، بقصد الابتكار والتجديد ، مستحيلا ، وبذا يتوقف كل تطور وتقدم ، أو يصبح التطور المنشود بطيئا جدا ٠

ومهما اختلفت الآراء وتضاربت ، حول التوحيد أو عدمه ، فهناك اجماع على المناداة بمبدأ التوحيد ، في ثلاث نقاط :

- تشكيل القوات المسلحة ، وملاكها في الدولة ،
- أساليب الاعداد للمحاربة ، ومناهجه ،
- قيادة الجيوش في ساحات المعارك ، وفقا لتكتيك فعال واستراتيجية علمية متطورة ، وفي حدود الاعباء والمسؤوليات الملقاة على عاتق الدولة ، وتبعا لطاقة القوى المنتجة في البلاد ٠

ان المذهبية العسكرية، بصورة غالبة، تعكس صورة عن نظام الحكم في الدولة ٠ فهي في الدولة الدكتاتورية مطبوعة بالتفرد والاستبداد ، موحدة الى أقصى حد ممكن ٠ وهي في نظم الحكم الديمقراطية متأثرة متلونة بالاجتهادات والالوان الحزبية ٠ والمفروض فيها على كل حال، مهما يكن نوع الحكم والمستوى الاجتماعي ، أن تبني القوات المسلحة، وتحدد نشاطها على أسس موحدة ، وان تعتمد ، في التطبيق ، غرض تنشئة القوة العسكرية ، كقوة نظامية شديدة الضبط ، مجهزة بقيادة

عليا واحدة ، وأن تظل فى النواحي الفنية والتكنيكية متطورة متكيفة ، ودائما فى الطليعة ·

البحث فى المذهبية العسكرية الموحدة ، يتطلب أن ’يصـار الى تعيين وضـع الامور العسـكرية من العـلم والفن · مـن النـاس من يقـول بأن هذه الامور هي خليط من الاثنين على السواء ، من الفن فى ادارتها، باعتبار ان الادارة تفترض ، للقيام بها ، عددا مـن المواهب ·· ومن العلم ، فى الاستطاعة على استيعاب النظريات الفنية · ومن الناس من يرى بأنها ، أي المذهبية العسكرية ، علم وفن قائمان : علم فى التكنيك والاختراع ، وفن فى التطبيق ·

٣ ـ العلم العسكري الوطني

يدعي كل شعب ، لنفسه ، علما عسكريا خاصا به ، ويفتش لذلك ، فى سجلات تاريخه ، عن مصادر هذا العلم ، ومقوماته ، لاجئا الى جميع العمليات الحربية ، مهما تكن قيمتها ، ليستخرج منها الدليل على صحة دعواه · والشعوب التي تثق بنفسها ، لا تختـلق ، بل تكتفي بالوقائع الثابتة والحقيقة المجردة ·

أما الشعوب المصابة بمركب النقص ـ وتلك حالة الاقوام البدائية، والشعوب المتأخرة عن ركب الحضـارة ـ فانهـا لا تحجم عـن التزوير والاختلاق ، ولا تأنف من أن تدعي ما ليس فيها، ولا أن تقيم عسكريتها على أسس خيالية ، ووقائع هي أكثر ما تكون بعـدا عن العلم والمنطق والواقع ·

والأمم التي تخضع لنظم حكم استبدادية ، تنسب الى النظام القـائم عامة ، والى زعمائه خاصة ، كل عبقرية عسكرية · وهي فى هذا المجال، تذهب فى الدعاية الى حد الخرافة والسخافة · انها تصف هذا الزعيم ، أو ذاك ، بأوصاف لم تعرف لبشر سواه ، فتقول عنه ، مثلا ، بأنه أوجد علما تخطى بجرأته وابداعه حدود فن المحاربة، وقطع كل علاقة بالتقاليد القياسية ، علما هو وحده الغاية والكمال فى التكتيك والاستراتيجية · الخ···

٤ ـ العلم العسكري وفنـه

يشتمل العـلم العسـكري عـلى فن الحـرب ، الذي هـو التكتيك

والاستراتيجية ، وعلى عدد آخر من الامور الهامة ، أخصهـا ديناميكية البلاد ومعنوياتها ، والاقتصاد ، والسياسـة ، والاستطاعـات العلميـة والتكنولوجية ٠

الفن العسكري جزء من العلم العسكري ٠ وهو يتفـرغ للتكتيك ، وادارة العمليات ، والاستراتيجيـة ، أي بكـل ما لـه علاقة بالقيـادة العسكرية الفعلية ووسائطها ، وبالحرب بصورة عامة ٠

ولا جدال فى ان للنواحي الفنية ، الاستراتيجية والتكتيكية ، أهميتها البالغة فى الحروب ٠ الا انها لوحدها لا تكفي لضمان النجاح الاخير ٠ فقد غدت العوامل السيكولوجية ، والاقتصادية والتكتيكية ، ذات أثر حاسم فى سير الحروب، وفى تقرير مصائرها ٠ وكل قيادة هي مجبرة على معرفة وتقدير الطاقةالمعنويةوالاقتصادية والميكانيكية ــ الطاقة المتأمنة للوطن وللعدو ــ وجعلها أساسا لوضع التصاميم الاستراتيجية ، وخطط العمليات التعبوية والتكتيكية ٠

العلم العسكري ، اذن ، هو الفن العسكري يضـاف اليـه عدد من العناصر العلمية الاساسية الاخرى : الاقتصاد ، الاستطاعة التكنيكية ، المعنوية ، العوامل السيكولوجية والسياسية ٠ ولزيادة ا لايضاح نقول ان الفن العسكري هو أحد قسمي العـلم العسـكري ، القسم التاريخي والاستنتاجي والتطبيقي ، الذي يـأتي عـلى تجـارب الحروب كلها ، فيستوعبها ويعي خبرتها ودروسها ، ويعمل على تطبيق مـا يستخلصه منها بصورة تتلاءم مع طابع الدولة وحاجاتهـا ٠ وغاية هذا الفن ، ان يجهز مراتب القيادة ، بمعرفة نظريـة ، وكفـاية تطبيقيـة ، فى آفاق الاستراتيجية ، والاستطاعة التعبويـة ، والتكتيـك ، وتنظيم الجيوش وتنشئتها ، حتى يؤهلها الى الاجادة فى تفهـم حقـائق المحـاربة ، والى الاصابة والسرعة فى القبض على زمام الحركات ، وتسيير دفة المعارك الحديثة ، وفى تقدير الخصـائص الذاتيـة الآنيـة والبعيدة للعمليات والمعارك ، ومرماها ، وفى تعيين الدور لكل من مختلف الاسلحة ، ودرجة أهمية هذا الدور وطريقة القيام به ٠

يقسم الفن العسكري الى ثلاثة أقسام :

ــ الاستراتيجية ،

ـ والتعبئة ،
ـ والتكتيك ·

لقد سبق التعريف لاصطلاح الاستراتيجية ، واصطلاح التكتيك ، وذلك خلال الفصل الثاني المتقدم · أما التعبئة ، فهو اصطلاح يشير الى الجهود والاعمال التي تأتي على الطريق ما بين الاستراتيجية والتكتيك، أي تلك الاعمال والتصرفات التي تحتل مركزا وسطا بين الاستراتيجية، التي هي الدراسة لتسيير الحروب ، وبين التكتيك ، الذي هو دراسة للمعركة · ويعرّف الفن التعبوي بأنه تنظيم العمليات العسكرية وادارتها ، ويقسم بدوره الى خمسة أقسام :

ـ وضع الخطة ، وتنظيم العمليات ،
ـ دراسة مختلف أشكال العمليات ، تعرضية ودفاعية ،
ـ قيادة العمليات ،
ـ تنظيم المؤخرات وتسييرها ،
ـ دراسة العدو ·

واذا أردنا للفن التعبوي تعريفا يكون أكثر دقة ووضوحا، فنستطيع أن نقول انه النظرية والتطبيق فى تنظيم العمليات وادارتها على جبهة جيش ، أو جبهة مجموعة جيوش · وعلى هذا الاساس ، تكون العمليات العامة المنظمة لعدة جبهات عمليات استراتيجية ، ويكون الفيلق (١) والفرقة (٢) تشكيلات تكتيكية فحسب ·

وبنتيجة هذا التقسيم الجديد ، للفن العسكري ، ظهرت استراتيجية الفن التعبوي، أو الاستراتيجية العملياتية· هذه الاستراتيجية، بمعناها العام فى اللغة العسكرية ، وفى ناحيتها العملية ، تفيد :

١ ـ دراسة وتعيين الاتجاه لجميع القوات المسلحة فى الدولة، الاتجاه الذي يوحد ، ويوضح ، ويوجه الاعداد للحرب ، وادارة الحرب ، وذلك فى حقل العمليات أي ما بين الحقل الاستراتيجي

---

(١) الفيلق تشكيلة تكتيكية كبرى ، تتكون من قيادة ومن فرقتين او اكثر ، ويكون تعداده في حدود اربعين الف مقاتل ، او اكثر ·

(٢) الفرقة تشكيلة تكتيكية كبرى تتكون من قيادة ، ومن عدد من الويه القتال المختلفة ، ويكون تعدادها ما بين عشرة الى خمسة عشر الف مقاتل او اكثر·

وحقل التكتيك .

٢ ـ تنسيق واستغلال النشاط العسكري المنبعث عن القيادة العامة ، وعن الاركان .

٥ ـ مبادىء المحاربة

جهد الكتاب العسكريون، بما فيهم «جوميني» (١)، و «كلاوزويتز»، فى اخراج المذهبية العسكرية بارزة فى قالب موجز ، مكثف ، من مبادىء المحاربة ، تلك المبادىء التي تدعى أحيانا بالامثال أو البراهين المستكفية ، والتي تشكل الاصول الاساسية المسلّم بها ، والقواعد التعبوية .

وضع الأمريكيون ، فى عام ١٩٢١ ، تسعة مبادىء حربية أساسية . ولا تزال هذه المبادىء التسعة ـ مع بعض التعديلات الطفيفة ـ تشكل الى اليوم الهيكل للمذهبية العسكرية الامريكية . هذه المبادىء هي :

١ ـ ملاحقة هدف واحد ،
٢ ـ التعرض ،
٣ ـ حشد الوسائط ،
٤ ـ الاقتصاد فى القوى ،
٥ ـ الحركية ،
٦ ـ المفاجأة ،
٧ ـ الحيطة ،
٨ ـ العمل الموحد ،
٩ ـ البساطة .

ولا تختلف هذه المبادىء المدرجة أعلاه ، الا قليلا عن مثيلاتها من المبادىء الحربية المقررة لدى الامم القوية الاخرى . ومع ان «كلاوزويتز» لم يتقيد بتعداد دقيق صريح ، لكنه كان ثابتا فى اصراره على النقاط الخمس التالية :

١ ـ حشد القوى ،
٢ ـ الاحتياط ،

(١) جو مبني ، جنرال افرنسي ترك نابوليون الاول ، ليلتحق بخدمة قيصر روسيا عام ١٨١٢

٣ ــ المبادأة ،
٤ ــ المطاردة ،
٥ ــ المفاجأة ٠

وقد أتى الجنرال « فوللر » (١) ، فى كتبه العديدة ، على ذكر خمسة شروط لازمة لبلوغ النصر ، هي :

١ ــ الحيطة ،
٢ ــ المفاجأة ،
٣ ــ الحركية ،
٤ ــ حشد القوى ،
٥ ــ توحيد الجهود ٠

أما ليدل هارت (٢) ، والجنرال جودريان (٣) ، فقد ركزا كل المبادىء والشروط فى نقطتين ، هما :

١ ــ مفاجأة ،
٢ ــ وحركية ٠

وكان المارشال فوش (٤) يهتم بصورة خاصة بحرية التصرف ووحدة الجهود ٠ ويروى عن الجنرال الاميركي فورست (٥) ، انه كان يقول: « انني أكون الاول دائما ، مع القوات الاقوى » ٠ وقد جمع ذلك القائد، بجملته الواحدة تلك ، مبادىء :

ــ المفاجأة ،
ــ والحركية ،
ــ ووحدة التصرف ،

---

(١) Fuller جنرال انكليزي ، كان اول من نادى بالدبابة ودعا الى استعمالها كسلاح هجومي مستقل ٠٠ له مؤلفات عسكرية عديدة عظيمة الفائدة ٠

(٢) Liddle Hart كاتب وناقد انكليزي مشهور ٠

(٣) Hanz Guderian جنرال الماني يرجع اليه الفضل الاول في قيام السلاح المدرع الحديث ٠

(٤) Foch جنرال افرنسي قاد جيوش الحلفاء في نهاية الحرب العالمية الاولى ٠

(٥) Forest قائد امريكي من قادة حرب الاستقلال

ـ والتعرض ،
ـ والتحشد ،
ـ والاقتصاد فى القوى ٠

أما الروس ، فيقولون ان قوانين الحرب ، وقواعد المحاربة ، ليست أبدية ٠ وهم يتحدثون عن مبادىء المحاربة ، لكن لا يقدمون بهذه المبادىء لائحة مقررة موحدة ٠ واذا رجعنا الى مؤلفات ستالين (٦)، فاننا نرى المؤلف يعرف مبادىء المحاربة على انها عناصر دائمة تحدد سير الحروب ومصائرها ٠ وهذه العناصر التي يعنيها ستالين ، تأتي مندرجة كما يلي :

ـ استقرار المؤخرات ،
ـ معنوية الجيوش ،
ـ عدد الفرق ، وحالتها ـ أي الكم والكيفية ـ ،
ـ تجهيز الجيش ،
ـ طاقة التنظيم فى أجهزة القيادة ٠

ويضيف « ستالين » ، الى عناصره الدائمة هذه ، عناصر أخرى انتقالية لم يذكر منها سوى عنصر واحد ، هو المفاجأة ٠ ويقول الجنرال الروسي « أزاييف » ، فى صدد الحديث عن هذه العناصر ، ما يلي: «نحن نعلم ان العسكريين البورجوازيين قد فشلوا أكثر من مرة فى محاولاتهم لاكتشاف هذه العناصر ، وذلك بعد أن أكدوا أن النصر يكمن سره ، أولا ، فى مبادىء أبدية لا تتغير ، وثم فى الالهام اللاطبيعي لدى القائد الاعلى للجيوش ٠ أما نحن الروس ، فقد أثبتنا بصورة قاطعة ، وللمرة الاولى فى التاريخ ، ان مصائر الحروب ليست رهنا بظروف وقتية وانتقالية كالمباغتة ، لكن بعناصر دائمة » ٠

وكون الروس لم يذكروا سوى المبادىء الخمسة التي تقدم ذكرها، لا يعني أبدا ان سواها من المبادىء لا يحتل مكانا رئيسيا فى مذهبيتهم العسكرية ، بل يعني فقط انه غير معترف به بصورة رسمية ٠ وان الاهمية التي يراها الروس فى هاتيك العناصر الخمسة أو الستة، لتدعو

---

(٦) Staline خليفة لينين في حكم الاتحاد السوفياتي ، وقد توفي عام ١٩٥٣ ، واسمه الصريح الكامل جوزيف فيساريونوفيتش دوكاشفيلي ٠

الى الاهتمام والانتباه الشديدين • كما وان اصرارهم على استقرار المؤخرات ، ربما كان للتذكير وجلب الانظار الى ضرورة استتباب الامن والهدوء والنظام ، بأي ثمن ، وراء جبهات القتال • وذلك أمر طبيعي، وحيوي فى نفس الوقت ، من وجهة نظر العمليات الحربية والسلامة الوطنية •

ونرى ، من جهة ثانية ، ان الاهتمام بالمعنوية ليس الا دليلا على تفهم عميق ، وقناعة تامة ، بوجوب الاحتفاظ بمعنوية عالية ، فى الجبهة وفى المؤخرات ، وضرورة السعي للنيل من هذه المعنوية لدى العدو • ويجب أن لا يغرب عن البال ، ان انهيار الحكم القيصري فى روسيا، عام ١٩١٧ ، ما كان الا نتيجة لانهيار معنوية الجيش القيصري ، ولما تبع ذلك من تفكك وتمزق على مختلف المراتب والمستويات العسكرية ، وان خصوم العهد السياسيين ، قد استهدفوا ذلك الانهيار والتفكك كواسطة ومرحلة للاستيلاء على الحكم • وفيما يتعلق بالتجهيز، وبالكم والكيفية فى الفرق ، فان جميع الجيوش الحديثة القوية تعطي هذه الناحية أهمية رئيسية ، لكن لا ترفعها ، كما يفعل الروس ، الى مصاف المبادىء الحربية الاساسية •

ثم ان الاهتمام الشديد بطاقة التنظيم لدى ذاتية القيادة ، يدل على الرغبة بتدارك النقص فى طبيعة المبادأة، بواسطة اعداد ضباط مجهزين بالكفاية التنظيمية الى درجة الحاسة المرهفة • وان بعض التعابير العسكرية ، التي تتردد لدى الغربيين كثيرا ، من أمثال القيادة ، والمعلومات العسكرية العالية ، والكفاءات العسكرية ، هذه التعابير متروكة عند الروس جانبا، ولا يهتمون بما عداها الا بالطاقة التنظيمية، أي بالمقدرة على تنفيذ الاوامر ، لا على اعطائها •

وتتضمن المذهبية العسكرية الروسية ، علاوة على ما تقدم، مبادىء أخرى لا تقل عن سابقها فى الاعتبار والاهمية• وان بعض هذه المبادىء، كالتعرض ، والتحشد ، والمناورة ، وتوحيد الجهود ، والعمل المختلط، يلعب فى اعتقاد الروس دورا أعظم وأهم ، من الدور الذي تختصها به العقائد العسكرية الغربية • وهنالك مبدأ وجوب ابادة العدو ، ومبدأ تعيين اتجاه الصدمة الرئيسية ، اللذان يعطيهما الروس كثيرا من القيمة

والاعتبار ، فى حين لا يذكرهما الغربيون فى تعداد المبادىء العسكرية الاساسية ٠

ان المذهبية العسكرية الروسية ، من حيث تفضيلها للمبادىء الدائمة على المبادىء الوقتية الانتقالية ، صائبة وصحيحة بالنسبة الى الاتحاد السوفياتي ٠ وهي أيضا صحيحة كذلك، بالنسبة الى كل دولة كبيرة من حيث السكان والمساحات الارضية ، كالصين والهند والولايات المتحدة الامريكية ٠

الفصل الرابع

العوامل الرئيسية في تكوين المذهبية العسكرية

١ ـ لمحة عامة

المذهبية العسكرية ـ كالمذاهب الروحية والاجتماعية ـ خاضعة في تكوينها لمؤثرات عديدة ، بعضها قومي صرف ، وبعضها أممي تفرضه ظروف الحياة ، وتطورات العلاقات البشرية • مصادر هذه المؤثرات كثيرة ، أهمها :

ـ العقائد الدينية والقومية والاجتماعية ، وطنية واجنبية ،
ـ الاوضاع الاقتصادية والعمرانية ،
ـ التاريخ العسكري ،
ـ التطورات التكنيكية ،
ـ المؤلفات العسكرية ، أجنبية ووطنية ،
ـ القوانين والانظمة العسكرية ، المبتكرة أو المقتبسة والمنقولة•

تعمل الاوضاع القومية الخاصة ، فى كل بلد ، على ابتداع مجموعة من الفرضيات والنظريات والقواعد العسكرية ، التي تؤهل لمعالجة الظروف الزمنية ، وتلبي مطالب الرغبات القومية • والسياسة الواقعية لكل أمة ، تسير على هدى استراتيجية مستوحاة من مطامحها ، ومن حقائق الحياة فى مختلف الاجيال والازمنة •

وللعقائد الروحيةوالاجتماعية تأثير أساسي مباشر فى تكوين العقيدة العسكرية • من العقائد من لا تنظر الى الحروب كغاية بذاتها ، ومنها من تراها ناموسا أساسيا من نواميس الطبيعة ، بصرف النظر عن كل شيء يمت بالصلة الى عقيدة فكرية أو روحية • ومن الناس من يرى في الحروب سبيلا لا غنى عنه للدعوة الى عقيدة معينة ، ونشر مبادئها بالقوة •

والذي يرى فى الحروب ناموسا طبيعيا، مقر فى دخيلته بقيام الطبقات فى المجتمع الانساني ، ومعتنق لمبدأ استغلال الانسان للانسان · أما الفريق الذي يجيز الحروب ، على اعتبارها وسيلة لا بد منها لتحقيق أهداف يمليها عليه دينه أو نظامه الاجتماعي ، فانه يبرر هذا الجواز، صادقا أو كاذبا، برغبته فى تعميم الفضائل والرسالات الانسانية النبيلة· هذا الفريق الاخير ، يستند ويرجع الى عقائده ، فى تبرير الحروب التي يراها عادلة · والحروب فى اجتهاده نوعان :

أ ـ حروب عادلة ، وهي التي لا تستهدف أغراض الغزو والاحتلال ، بل تحرير الشعوب المظلومة ، أو الدفاع عن حدود الوطن ضد المعتدين ، أو الدعوة الى اعتناق مذهب روحي أو نظام اجتماعي جديد ··

ب ـ حروب ظالمة ، وهي التي تشن لاحتلال الاراضي ، والسيطرة على الشعوب الاخرى ·

هذا التصنيف للحروب ، يكاد يكون مجمعا عليه · وان تأثيره على السياسة العامة ، وعلى العقيدة العسكرية ، ظاهر لا يحتاج الى ايضاح· لكنه يظل ، من الناحية الاخلاقية ، بلا قيمة عملية · وسبب ذلك ان تصنيف الحروب، الى حروبعادلة مبررة وحروب ظالمة، هو رهن بمنطق كل أمة وميولها ، على اعتبار ان كل حرب تخوضها الامة ، تصبح في اعتقادها واجتهادها حربا عادلة ، مهما تكن الدوافع التي تبعث على نشوبها · أما درجة الحرب فى تصنيف العدالة ، فذاك أمر غير ملموس ولا قياسي ، وتقديره حاصل محتوم لنسبة نجاح الحرب ، وتأثير دعايتها فى الرأي العام الداخلي ، وفى الاوساط الدولية ·

تأتي المذهبية العسكرية صورة وحاصلا للمؤثرات التي مر ذكرها· هذه المؤثرات ، مهما تكن درجة التأثير فيها ، وعلاقته بنسبة بعضها الى البعض الآخر ، تحدد بجملتها ، للمذهبية العسكرية ، هيكلا خارجيا تقوم معالمه الظاهرة ، على الاعتبارات الرئيسية التالية :

أ ـ للنواحي الاقتصادية ، المكان الاول والقول الحاسم فى توجيه السياسة الاستراتيجية ، وفى تعيين الاهداف والتكتيك ، وفى بنيان القوات المسلحة وتنظيمها ··

ب ـ للحرب ـ سواء كانت وسيلة دائمة أم موقتة لتحقيق المقاصد السياسية ـ قوانينها الخاصة ، وتفكيرها ، وطبيعتها البينة • وهي ظاهرة من ظاهرات الحياة الانسانية ••

ج ـ ان العقائد المتنوعة ، لا تقدم حلولا جاهزة كافية ، خاصة فى مجال التنظيم العسكري • انها تقدم أسلوبا • فاذا أجازت العقائد أن تكون الحرب متابعة للسياسة بوسائل أخرى غير السياسة ، فهي تجيز ، فى ذات الوقت ، أن ينظر الى الجيش على انه امتداد وتتويج للبناء الاجتماعي فى الدولة ، وعلى ان قوته رهن بقوة بنيانه الخاص وتجهيزه ••

د ـ تعرض المسائل العسكرية ، وتناقش على أساس مذهب عسكري قوامه مجموعة من المبادىء الاصولية ، وعلى أساس تحليل واقعي للضرورات ••

هـ ـ الازدواج فى القيادة ، أو وحدتها ، وذلك تبعا لمقتضيات نظام الحكم ، واخلاص الجيش لهذا النظام ••

و ـ الاختيار ـ لبناء الجيش ـ ما بين أسس البناء الثابتة والاسس المؤقتة : جيش نظامي دائم ، أو جهادية ظرفية ، أو ميليشيا ، أو مزيج من نظامية وجهادية ، جهادية وقتية أو دائمة ••

ز ـ يبت فى موضوع الاعتبار (و) الآنف ذكره أعلاه ، على ضوء التجارب التي لا تزال تؤكد :

ـ أولا ـ ان الجيش الذي يبنى على قاعدة الجهادية الموقتة أو الجندية العامة الظرفية ، لا يعطي للمسائل المعروضة حلا كافيا، ولا يستطيع الدفاع عن سلامة البلاد ••

ـ ثانيا ـ ان الميليشيا قوات تتميز بالتناقض القائم ما بين كثرتها العددية ، وبين الفاعلية القليلة المحدودة لهذه الكثرة •

ح ـ لا مفر من التأثر بالنظريات العسكرية الاجنبية ، ولو كان ذلك بصورة خفية ••

ط ـ على الجيوش الناشئة ، أن تبدأ بأخذ العلم العسكري

عن أصحابه ، قبل أن تفكر فى تحسين هذه العلوم أو تعديلها ..
ي ــ على الامة أن تفكر ببناء قوتها العسكرية ، قبل أن تفكر بحقوقها ، أو تسعى لبلوغ أغراضها القومية بطريق القوة .

وبالاضافة الى تأثير العوامل المذكورة أعلاه . يتأثر المذهب العسكري بطبيعة الارض ، وبمزايا العنصر الفارقة ، أي بالمزايا الخاصة بالاقوام التي تستوطن الارض . والجماعات والامم ، التي ليس لها علم عسكري ، تعتبر ضعيفة ، ويعتبر هذا الضعف دليلا على عدم تطورها، وعلى بقائها فى طور البداوة . وهي تدل بضعفها هذا على انها لم تأخذ من التاريخ درسا ولا عظة ، وانها تعيش كما لو كانت بمعزل عن مسير الانسانية وشروط الحياة المتطورة .

يظهر تأثير القادة فى العلوم العسكرية ، فى معاركهم ، وفى أساليب تنظيم الجيوش واعدادها ، وفى المؤلفات التي يتركونها خلفهم. والخصم يقوم بنصيبه فى التوجيه والتأثير ، كتابة بواسطة نظرياته وفرضياته وابتكاراته المدونة ، ومباشرة بسلوكه وادارته للمعارك . وكان هذا التأثير وحده المعروف فى الازمنة الغابرة . فقد اكتسب الرومان من هانيبال وهاميلكار ، ومن الغاليين ، ودفعوا ، ثمنا لما اكتسبوه، معارك خاسرة عديدة ، وجيوشا ممزقة كثيرة ، وضحايا لا حصر لها .

٢ ــ المؤثرات العمومية

العلم العسكري هو اليوم علم شائع معروف للناس ، على اختلاف البلدان والاجناس . وهو ــ وان طغى عليه الطابع الغربي الاطلنطي والطابع الروسي ــ يظل كالطب علما أمميا لا عنصرية له، ولا اقليمية. هذا الطابع الاممي ، يدعو الى وجوب تحري التطورات ، ومصادر التوجيه والتأثير العسكرية ، عند القادة والكتاب المختصين ، بصورة عامة ، وذلك بدراسة حياتهم ــ التي غدت ملكا للتاريخ ــ فى النواحي التاريخية والعلمية والفنية ، وبمناقشة الادوار التي قاموا بها فىميادين النشاطات العسكرية ، النظرية والتطبيقية .

فى الازمنة القديمة ، وفى الحقبة المعروفة من التاريخ ، كانالصينيون أول من عني بالعسكرية كعلم ، فوضعوا له القواعد والاصول ، ودونوه للحفظ والتداول فى الكتب والمخطوطات . وقد وضع الفيلسوف

العسكري الصيني « سن تزو » ، منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة، كتابه القيم عن الاستراتيجية والحرب ، وهو مؤلف يعتبر اليوم من أحسن ما وضع فى هذا المضمار • وكان للفرس واليونان والرومان جيوش محاربة جرى تنظيمها وقيامها على أسس عسكرية • وهذه الاسس ، التي عمل بها الاقدمون ، باقية لأيامنا صحيحة مقبولة ، لكن التطور التكنولوجي الذي أعقب اختراع الآلة واستعمال البارود ، أدخل على وسائط المحاربة ، وعلى وسائل تطبيق المبادىء العسكرية كثيرا من التعديل والتبديل •

تؤثر الحرب فى تطور الانسانية بصفة عامة ، بالدور الذي تلعبه فى جريان الحوادث البشرية وحياة الشعوب • وتؤثر، فى العسكرية خاصة، بما تسببه من تطور فى أساليب الاحتراب ووسائطه • هذا التأثير الخاص، يبرز قويا فى المعارك المثالية والانتصارات الباهرة ، وينبعث عن القادة الذين خاضوا هاتيك المعارك ، ونالوا تلك الانتصارات ، والذين جعل الابداع والعبقرية منهم قدوة ومعلمين لمن أتى بعدهم • هؤلاء المبدعون كثيرون ، نخبتهم تبدأ بالاسكندر المكدوني ، وتضم فى عدادها هانيبال، فسيزار الروماني ، الذي كان أول قائد فى التاريخ عني بوضع المذكرات بيده ، فخالد بن الوليد ، لتنتهي بنابوليون بونابرت، وذلك للمرحلة التاريخية التي تتوقف عند مطلع القرن التاسع عشر •

ولقد اتخذ العلم العسكري طابعه الحديث منذ نابوليون • وظهر هذا الطابع على مرحلتين ، مرحلة أولى ابتدأت بنابوليون ، وانتهت بالحرب العالمية الاولى أو بعدها بقليل •• ومرحلة ثانية معاصرة ابتدأت بالحرب العالمية الثانية • وللطابع العسكري الحديث ظاهرات تكنولوجية تدور حول الآلة والمحروقات والقذائف الدفعذاتية ، ونظريات فنية وتطبيقات عملية مشتركة بين كثير من أصحاب الخبرة والنظريات والقادة البارزين •

من القادة والمؤلفين ، ومن أصحاب النظريات ، الذين كان لهم تأثير بارز فى تكوين الطابع العسكري الحديث فى مرحلته الاولى ، يأتي فى

الطليعة « جوميني » ، و « كلاوزويتز » ، و « هوشوفر » (١) • أما البارزون فى المرحلة الثانية المعاصرة ، فهم :

ـ دوهت (٢) ،
ـ وفوللر ،
ـ وليدل هارت ،
ـ وديغول (٣) ،
ـ وشابوشنيكوف (٤) ،
ـ وكودريان ،
ـ وروءمل (٥) ،
ـ والمارشال ويفيل (٦) •

٣ ـ جريان التطور

ان تجارب الحروب القديمة ، وتجارب الحرب العالمية الثانية خاصة، كلها كانت ذات تأثير حاسم فى تكوين المذهب العسكري لدى كل دولة • أما التحسينات التكنيكية، والتعديلات المختلفة التي تطرأ على العسكرية فى أوقات السلم ـ أي فى أوقات اللامحاربة العنفية ـ فتكون ، مهما تبلغ درجتها من الاهمية ، عبارة عن لمسات تجميلية تصيب تمثالا قائما قد صاغته هاتيك التجارب مجتمعة •

والفكر العسكري ، فى كل أمة، يتنوع فى تأثيره واشعاعه ، بنسبة ما

(١) هوشوفر كاتب الماني اشتهر بمؤلفه « الجغرافيا السياسية »

(٢) دوهت ، قائد ايطالي نشر قبيل الحرب العالمية الثانية كتابه المشهور عن دور الطيران في الازمنة والحروب المعاصرة •

(٣) ديغول زعيم فرنسا الحرة خلال الحرب العالمية الثانية ، ومؤسس الجمهورية الافرنسية الخامسة ، وشهرته العسكرية ناتجة عن كتابه « الجيش الميكانيكي » •

(٤) المارشال بوريس شابوشنيكوف ، المع ضابط روسي في القرن العشرين، وكان المستشار العسكري الاول لستالين منذ عام ١٩٣٦ ، ورئيس الاركان الروسية العامة في اعوام ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ •

(٥) المارشال رومل المع قائد ميدان الماني خلال الحرب العالمية الثانية ، وقد سطع اسمه في ساحات الحرب في ليبيا وبرقة خلال هذه الحرب عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٣

(٦) المارشال ويفيل قائد انكليزي من المرتبة الاولى ، وقد لمع اسمه في محاربته للطليان في ليبيا وافريقيا الشرقية ، في بداية الحرب العالمية الثانية •

يتمتع به من حرية وانطلاق ، على هامش الحياة اليومية والسياسة الداخلية • ولا تشذ أمة عن الخضوع لهذه القاعدة • ومهما تكن عليه درجة الاشعاع الفكري من قوة ، فالتأثير يظل غامضا محدودا ، بانتظار التطبيق فى ميدان التجربة العملية • والحرب هي التجربة العملية الوحيدة • وكل حرب جديدة تشكل مجموعة من التجارب تأخذ مكانها فوق التجارب السابقة ، ويكون أثرها فى احداث التغيرات جزئيا غالبا ، فلا يشمل الكل ، بل نقاطا ومواضع معينة •

وفى كل معركة درس وعبرة • والعسكرية الناجحة تتطلب معرفة باستخلاص الدرس ، وتشخيص العبرة ، للوصول من وراء ذلك الى استنتاجات تطبيقية • ان تجارب الحروب الماضية ، عندما تدرس وتناقش وتقارن وتحلل ، تهيىء أهم عنصر وأعظمه فى تكوين القادة، وفى اعداد الضباط والمقاتلين • هذا بصفة عامة • أما فيما يتعلق تخصيصا بالامم نفسها ، فالتجارب التي تجنيها الجيوش من وراء اشتراكها ، فعلا ، فى الحروب والقتالات هي ، الامس واليوم وغدا ، العامل الاساسي المؤثر ، الذي يسمح بتقدم الفن العسكري فى الامة ، ورقيه ، وسيره قدما ، لعشرات السنين من أوقات اللامحاربة العنفية • والجيش الذي لا يرجع بروحه وذكراه الى تجارب ماضية ، الى تراث قد بني بالدماء والجماجم ، يكون محروما من الاساس الضروري لتكوين تقاليده ، ونمو نفسيته ، وتربية فاعلية القتال وروحية النضال فى نفوس أفراده •

تعتبر النظريات المستخلصة من التجارب الحربية للأمة نفسها ، ومن تجارب الامم الاخرى ، صحيحة حتى يقوم دليل على خطئها أو بطلانها ، أي الى أن يتجلى فسادها، أو يظهر نقص الفاعلية فيها فى ميدان المعركة• ويجب أن لا يكتفى بدراسة تجارب الجيش الوطني ومعاركه فقط لوحده دون غيره ، بل يقتضي أن تقترن هذه الدراسة بدراسة أخرى عميقة ، لتجارب الجيوش المعادية وحروبها ، للاستئناس بها ، وللوقوف على ما قد يظل خافيا أو مهملا ، فيما اذا لم تحصل مثل هاتيك الدراسة•

ويتركز الاجتهاد ، والتوجيه ، والصيغة فى المذاهب العسكرية ، في الادارة المركزية وفى المدارس العسكرية العالية • وتساهم المؤلفات

والنشرات الدورية المنتظمة ، فى ايضاح المذهب ، وفى تأمين اضطراد تقدمه • وتلعب الشعبة التاريخية فى الاركان العامة ، دورا هاما فى الارشاد والتوجيه ، بما تضع من تقارير رسمية ، وبما تنشر من وقائع فى المجلات والكتب عن سير المعارك وتطوراتها ونتائجها ، وبما تظهره فى النشرات والمطبوعات من اخطاء وهفوات ، ومن حسنات ومبتكرات•

أما الادارة المركزية، التي هي فى الجيش كالدماغ فى الجسم، فدورها فى نشر المذهب واعتناقه ، ينحصر أساسا فى نطاق ما تضعه من أنظمة ، وفى تعميم الانظمة والتعاليم والاشراف على تطبيقها وشيوعها • وبالاضافة الى ما تقدم بيانه ، من مراكز الادارة والاجتهاد والتوجيه ، فقد عمدت بعض الدول ، حديثا ، الى انشاء المراكز الخاصة بدراسة الحروب المعاصرة ، وعهدت بالاشراف على هذه المراكز الى نخبة من خيرة ما لديها من الضباط والعلماء• والتخصيص لهذا النوع من العمل، يتطلب مؤهلات ومعرفة حقيقية بالعلم العسكري وفنونه ، ووقوفا على تطور أساليب القتال ووسائطه ، كل ذلك مقرونا بالخبرة الشخصية والتجربة الواقعية الحاصلة ، والعقل الباحث المجدد ، الذي لا ينقاد للتقاليد والمقاييس والاستعارة بصورة عمياء، دونما تحليل ونقاش أو مقارنة •

ان العصر الحالي ، هو عصر التكنيك والآلة • وهو عصر يتصف بالسرعة والتبدل والتغيير ، وبالتعدد فى الوسائط والاساليب والنظريات • انه لا يتقيد أبدا بتقاليد الامس ومفاهيمه • وما يطرأ فيه من تحول وتغيير فى تطبيق المبادىء الاستراتيجية ، والمذاهب التكتيكية ، هو من السرعة بحيث يحتمل أن تصبح حوادث الامس ، في اعتبار الغد ، عبارة عن ذكريات رمزية • ومما يتصف به هذا العصر أيضا ، انه يتطلب ، لصنع نصر أو هزيمة ، عددا كبيرا من الناس ، وحادثات جمة •

بالامس ، كان هناك اجماع على مفهوم لتعبير « وقت السلم »• أما اليوم ، فقد تغير هذا المفهوم ، وما عاد اصطلاح السلم ، فى اللغة العسكرية ، يفيد معاني الراحة والهدوء والركود ، ما بين خمود حرب واشتعال أخرى • لقد أصبح وقت السلم مرحلة محاربة يصح اعتبارها

مرحلة محاربة فعلية ، لكن بوسائل وطـرق خفيـة أو ملتوية ، وكذلك مرحلة تأهب دائم ، واستعداد مستمر ، وجهود متواصلة، وهدنة قصيرة أو طويلة الأمد ، هدنة تنتهي حتما الى أعمال العنف والتدمير ٠

وكانت تعاليم كلاوزويتز ، حتى الحـرب العـالمية الثـانية ، مقرة محترمة من الجميع بلا استثناء ٠ ثم جاء شابوشنيكوف بنظرية معاكسة لنظرية كلاوزويتز الشهيرة ، التي تقول ان الحرب ما هي الا متابعـة للسياسة بوسائط أخرى غير السياسة ٠ أما شابوشنيكوف فيرى فىالحرب حدثا تسيره نواميس خاصة معينـة ، كثيـرا مـا تتعارض مع بواعث المحاربة وأهدافها ٠ وهو يقول فى هذا الصدد :

« لنفرض ان حربا قد اشتعلت ، بضغط الحاجة الملحة للاستيلاء على منطقة صناعية ٠ فاذا اقتضى الامر ، لكسب المعركة الفاصلة ، اللجوء الى تدمير المناجم والافران والمصانع ، فى هذه المنطقة تدميرا تاما، فمن واجب القائـد الأعلى ان لا يتردد فى القيام بذلـك التدمير ٠ وهو ان فعل ذلك ، فقد ربح الحرب ، لكن دون أن يؤدي هذا الربح الى تحقيق النتيجة السياسية المرجوة ٠ واذا توخت القيـادة الاحتفـاظ بسلامـة الطاقة الصناعية فى المنطقة المشار اليها ، ورفضت لهذا السبب الترخيص بتدميرها ، فسوف تخسر المعركة ، وستفشـل فى الحـرب من جراء هذه الخسارة ، وبذلك يضيع الغرض السياسي ، ويسير الجيش والبلاد الى الهزيمة ٠ ان السياسة تسبب نشوب الحرب ٠ والذين يريدون ، فى آن واحد، صحة المحاربة وسلامةالغرض السياسي الذي قامت الحرب لأجله، منتهون لا محالة الى هزيمة محققة » ٠

لهذه النظرية الجديدة ، وجهة نظر مزدوجة ٠ فهي من جهة تخالف تعاليم كلاوزويتز ، الذي يعتبر أقـوى مرجـع عسـكري فى التـاريخ الحديث ٠ وهي تعني ، من جهة أخرى ، دون مواربـة ، انه يجب على الساسة ، حالما تنشب العداوات المسلحة ، أن يتخلوا للقادة العسكريين عن جميع مراكز القيادة فى جميع الميادين ٠ انها نظرية لا تزال بحاجة الى الزمن ، لاقرارها أو رفضها ٠ وهي قد تصح فى روسيا ، وربما في كل بلد يخضع لنظم الحكم الدكتاتورية ، لكنهـا نـادرا ما تكون موضع اعتبار وتطبيق بصورة عامة ونتائج صحيحة أبدا ٠ والبرهان علىذلك،

ان نظرية شابوشنيكوف هذه ، قد طبقت فعلا خلال الحرب العالميةالثانية من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والامبراطورية البريطانية. وكانت نتائجها صحيحة بالنسبة الى الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، لكن هذه النتائج كانت خاطئة ومدمرة بالنسبة الى بريطانيا العظمى . فقد ضحت روسيا والولايات المتحدة ، فى هذه الحرب ، بكل شيء فى سبيل نجاح العمليات الحربية ، وخرجتا من الحرب منتصرتين وأعظم دولتين فى العالم . لم يعمل الأخذ بمبدأ سيطرة الغرض الحربي على المصلحة السياسية، فى الاتحاد السوفياتي، ضد مصالح الاهداف القومية لسببين: أولاهما وسعة أراضي الاتحاد وعظم مساحته ، وغناه وتنوع مصادره ، وثانيهما مساهمة هذا المبدأ فى تدمير القوى والطاقات المنافسة فى أوروبا . أما فيما يتعلق بالولايات المتحدة ، فقد كانت ساحات الحرب كلها خارج أراضيها ، بالاضافة الى عظم مساحتها ، وتنوع مصادر ثروتها ، وطاقاتها الصناعية الكبيرة .

وفيما يتعلق ببريطانيا العظمى ، التي عملت بنظرية شابوشنيكوف بحذافيرها ، والتي خالفت فى هذه الحرب مبدأ من مبادىء المحاربة الاساسية وذلك باخضاعها الغرض السياسي للمؤثرات العاطفية ، فقد ربحت الحرب من الناحية العسكرية الصرف ، لكنها لم تفز ، بالنتيجة، بتحقيق أهدافها القومية التي دخلت القتال من أجلها ، وهي الاهداف ذاتها التي كانت عنوانا لسياستها الاستراتيجية قرونا عديدة . لقد فعلت بريطانيا كما يرتأي شابوشنيكوف ، فقدمت مصالح المعركة على المصلحة السياسية ، وذلك حين رضيت بالتدمير التام لقوة المانيا العسكرية ، وطاقاتها الانتاجية ، ووحدتها السياسية ، الامر الذي أدى الى فقدان التوازن فى أوروبا . ونشأ عن هذا الفقد ضياع الغرض السياسي الذي حاربت بريطانيا لأجله ، ألا وهو اعادة التوازن الدولي الى ما كان عليه قبل عهد النازية . لقد كان على قادة هذا البلد أن يخضعوا العقل للمنطق والمصلحة لا للعاطفة ، وأن يعتبروا الحرب منتهية بالنسبة اليهم ، فور أن لاحت فى الافق بوادر تسمح بعودة الامور فى أوروبا الى وضع شبيه بالوضع الذي كان قائما عام ١٩٣٢ .

الفصل الخامس

القوة ، وأنواعها ، وسياسات استعمالها

١ ـ تعريف القوة :

القوة تسمية ونتاج لحاصل الجمع بين قدرتين :

ـ القدرة الانشائية ،

ـ والقدرة السياسية ·

تتولد القدرة الانشائية فى نطاق المادة ونسبة توفرها ، وتتجلى في استطاعاتها العلمية والميكانيكية · وفى مجال هذه الاستطاعات، ولأجلها، تنشأ القدرة التكنيكية والمعرفة التكنولوجية · وتدل القدرة السياسية، على الدهاء واللباقة فى التعامل مع الناس والشعوب ، وفي التأثير على العقول ، والتلاعب بالعواطف والغرائز والكلام ، والمهارة فى استخدام الامكانيات ·

لا توجد القدرة التكنيكية ، بلا استطاعات علمية ميكانيكية ، ولا تحسن خدمة الغايات الاجتماعية ، بلا قدرة سياسية · ولا تتمكن القدرة السياسية من ادارة الناس ، والتصرف بالجماعات والكميات ، وفقا لمطالب العصر ، دون استطاعة ميكانيكية · ولذا فلا امكان لقيام حياة متمدنة ، فى عالم لا يقوم على هاتين القدرتين ·

والقوة ، فى عالم الحرب ، قدرتان :

ـ استطاعة عسكرية ،

ـ وطاقة حربية ·

تعرّف الاستطاعة العسكرية ، بأنها تعبير عن مدى قابلية الامة ، ودرجة استعدادها لممارسة الحرب وتحمل أعبائها · وتعبر الطاقة الحربية عن قيمة هذه الاستطاعة عمليا فى ساحات القتال ومعاركه ،

بطريق الاداة الحربية فى الدولة ·

ان تعبير الاستطاعة العسكرية مطابق ، فى جوهره ومعناه ، لتعبير القوة فى حقيقة العلاقات البشرية ومفاهيمها · أما الطاقة الحربية، فهي الدلالة على قوات الدولة المسلحة، وعلى المؤسسات التابعة لهذه القوات· تعني القوة التدرة على البقاء ، واستطاعة فرض الارادة على الآخرين، والتصرف الكيفي فى شؤون الضعفاء وثرواتهم · ولا تواجه القوة الا بقوة تفوقها ·

٢ ـ التنوع فى استعمال القوة

كل ناطق حي يسعى الى القوة · وقد اخترع الانسان عددا كبيرا من الوسائل لهذه الغاية ، وجاهد وتفنن فى تطبيقها وتكييفها · لكن جميع الجهود فى هذا المضمار لم تخرج أبدا عن نطاق :

ـ الاقناع ،
ـ والشراء ،
ـ والتبادل ، أي التعاون والمقايضة ،
ـ والاكراه ·

ولا يعني هذا التصنيف ، ان كل محاولة لحمل الآخرين ، على تلبية رغباتنا ، تحتل حتما مكانا واضحا فى احدى نقاطه الاربع · بل لقد ثبت ان السياسة الناجحة ، تتأتى عن مزيج متوافق من هذه النقاط جميعا ، وان النسبة فى هذا المزيج ، تختلف من حالة الى أخرى ، وان الهيئة الاجتماعية هي وحدها التي تقرر هذه النسبة ، ونوع الوسيلة والواسطة · ومن المؤكد أن الاقناع أحب الوسائل ، وأكثرها نجاحا ، حيثما تكون الكرامة الشخصية معززة موفورة ، والحرية الفردية محترمة مصانة، وان الاكراه فاشل وخطر، حيث توجد الحرية والكرامة·

ترى التعاليم الاخلاقية ، فى القوة ، واسطة لغاية · وتسعى هذه التعاليم لأن تخضع لأحكامها كل استعمال لهذه الواسطة · غير ان الامل فى أن يرضى البشر بهذه النظرية ، وان يكف الانسان عن طلب القوة لغرض القوة ، هو أمل ضائع ، ومحاولة خاسرة للتهرب من دنيا الواقع، الى عالم الاحلام والتمنيات· وقد بنى البشر مجتمعهم على أسس التعاون، وتبادل المنافع ، والاقناع والاكراه ، وغدت هذه الاسس أركانا ثابتة

للحياة الاجتماعية ، فعاش الناس عليها ، وأقاموا لها أدوات الحكم والسلطة • وبقي الجهاد ظاهرة طبيعية من ظواهر الحياة ، والنضال عاملا رئيسيا فى قيام العلاقات وتنويعها ما بين الافراد ، والجماعات ، والامم • ولا ينقطع النضال ، ويخمد الجهاد ، الا فى عالم تكون الحياة الانسانية فيه قد كفت عن الوجود •

٣ ـ القوة فى السياسة الداخلية

تقوم العلاقات بين المواطنين ، بطريق السعي :

ـ المباشر ،

ـ أو الحكومي ،

ـ أو السياسي •

يفيد النوع الاول ، قيام العلاقات وتنظيمها ، بالتأثير الشخصي الخاص ، بصيغة من وسائل الاقناع ، والشراء ، والمبادلة • ويدل النوع الثاني على اخفاق هذه الوسائل ، وعلى ابتغاء التسوية بطريق القوة الضاغطة فى الدولة • ويعني النوع الثالث ، عجز النوعين الاول والثاني عن تحقيق الغاية المرغوبة ، والسعي لتعديل الدستور ، أو تصحيح التشريع واكمال نواقصه ، توخيا لبلوغ الغاية •

وفى نطاق هذه الطرق الثلاث ، يتجلى تنافس الافراد ، ونشاط الهيئات والجمعيات والنقابات ، ونضال الاحزاب وتنافسها للسيطرة على الدولة • وليست الرغبة ، فى بلوغ الهدف ، هي المسيطرة لوحدها على مظاهر النضال هذه فحسب، بل هناك العزيمة على مواصلة التحسن فى القوة الشخصية ، وبدون هذه العزيمة ، يصبح النضال ناقصا، ويتعرض صاحبه الى الفشل والهزيمة ، بنسبة كبيرة •

تضيف الجماعات ، التي تعتمد العمل بطريق الادارات الحكومية ، الى أهدافها ، واجب زيادة نفوذها السياسي ، بمقدار ما تتوخاه من علاقاتها مع دوائر الدولة • ولا تكون القوة السياسية هدف النضال الاساسي ، الا لفئة معينة من الجماعات، هي الاحزاب السياسية• وتدين هذه الاحزاب ، بوجودها ، الى استهدافها التأثير فى السياسة العامة بواسطة التشريع •

٤ ـ القوة فى العلاقات الدولية

تقوم العلاقات الدولية، على أسس التعاون والاكراه وتبادل المنفعة، وهي ذات الاسس التي تنظم بموجبها علاقات الافراد والجماعات ·

تعاونت الدول لتحقيق غايات مشتركة ، وخلقت لهذا التعاون مؤسسات عالمية فى مجالات النقل ، والمواصلات ، والمعاهد العلمية · وقد أوجدت الدول ، فيما بينها ، قيما عامة نظمت بموجبها أشكال التعاون وألوانه ، وأقامت على أساسها المكوس والمغارم ، ووضعت قواعد القوانين الدولية · وكثيرا ما رضخت الدول لهذه القواعد باختيارها، ورغبت فى انتهاج السبل السلمية لحل مشكلاتها ، وفض خصوماتها ، ومنازعاتها · وكثيرا أيضا ما قبلت التخاصم ، ولجأت الى الاكراه ، بما فيه الحرب ، لتحقيق أهدافها القومية ·

تتميز العلاقات الدولية بطابع خاص من الفوضى ، الناشئة عن عدم وجود سلطة عليا فوق الدول ، وعن الحرية الكيفية فى تأويل مفاهيم السيادة لدى كل دولة مستقلة · وقد تعرض نظام الدولة ، القائم على أسس السيادة الكاملة ، فى سياق تاريخه ، الى تأثير الاقناع والاكراه على صيغ :

ـ التحالف ،

ـ والاتحاد ،

ـ والاحتلال ·

وكل صيغة غيرت ، فى حال نجاحها ، ظواهر هذا النظام ، وعدلت من معالمه وميزاته · ومهما يكن النجاح ، فى النتائج الحاصلة من تطبيق احدى هذه الصيغ ، أو خليط منها ، فانه ظل جزئيا مقتصرا على عدد من الاقوام والمناطق · ولم يقم فى التاريخ مثال على نجاح هذه الصيغ، فى تحويل القوة العسكرية والسلطة السياسية ، من يد الدولة الفردية الى دولة أو منظمة عالمية ·

الفارق بين المجتمع الوطني ، والمجتمع العالمي ، هو افتقار الثاني وعجزه عن اقامة منظمة حكومية عالمية ، قادرة على حفظ الامن والنظام، وحراسة القانون وتقويته على مجمل المساحة الارضية · ولم يتمكن المجتمع العالمي يوما ، من أن يضمن للامم أعضائه، دوام الحياة والحرية

والعدالة والملكية والمساواة ، ومواصلة المساعي والعيشة السعيدة بصورة فعلية ، وذلك بالرغم عن جميع المعاهدات والاتفاقات · وقد واظبت كل أمة ، فى نضالها ، واستثمار حقوقها ، وحماية مصالحها، على الاعتماد على قوتها الخاصة ، أو على قوتها وقوة حماتها من الدول الصديقة ·

يتمركز عامل البقاء الذاتي للامة، فى كيان الدولة ولا ينفصل عنه· وهو يعني اشراف الدولة على كل جزء من أجزاء الامة ، وكل شبر من أراضيها· ولما كان الاستقلال هو جوهر الدولة وحقيقة وجودها، فالبقاء الذاتي للامة معناه النضال للكيان المستقل · ولهذا كان الهدف الاساسي، من سياسات الدول الخارجية ، هو سلامة أراضيها واستقلالها السياسي·

وبالاضافة الى هذا الواجب الرئيسي ، أي البقاء الذاتي ، تهدف السياسة الخارجية الى تحقيق مجموعة من الغايات المتنوعة، من جغرافية، وعنصرية ، وقومية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وعقائدية · وهذه الغايات ، تتفرع بدورها ، الى عدد من الاهداف الواضحة ، مثل :

- الحصول على قواعد ، برية وبحرية وجوية ،
- مراقبة الهجرة ،
- هضم الاقليات ،
- تأمين المواد الاولية ،
- طلب الاسواق التجارية ،
- توظيف الاموال واستثمارها ،
- صيانة الكيان القومي من مضار العناصر الغريبة ،
- اقامة العلاقات الثقافية ، وتبادل البحوث العلمية ،
- مكافحة المخدرات ومنع الاتجار بها ·

وتلاحق الدول مصالحها، بنفس الطرق المستعملة فى الحقول الوطنية· فهي تتبع العمل المباشر دولة لدولة ، أو مجموعة دولية لمجموعة دولية أخرى · وقد تلجأ الى ما قد يكون قائما من منظمات عالمية ، أو تتوجه بسياستها الخارجية الى خلق منظمات جديدة من هذا النوع· ومن الامثلة على نشاط الدول فى مجتمع الامم العالمي :

- عصبة الامم ، فى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ،

ـ وهيئة الامم المتحدة القائمة الآن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ٠

وقد أقيمت عصبة الامم ، من قبل المنتصرين فى الحرب العالميةالاولى، حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، عقب انتهاء هذه الحرب ٠ أما هيئة الامم المتحدة ، فقد أقامها المنتصرون فى الحرب العالمية الثانية ، حرب ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، فى عام ١٩٤٧ ٠

ترك فقد السلطة العالمية ، أمام الدول ، المجال واسعا للتفنن فى تعريف النشاط الدولي المباشر ، وتنويعه على هواها ٠ كما وترك لها الحبل على الغارب ، فى تحديد الوسائل ، وتعيين المقبول من أشكال الاكراه وصنوف العنف ، وتمييزها عما هو مردود منها ٠ والواقع ان جميع صنوف الاكراه مقبولة لدى المجتمع العالمي ، بما فى ذلك حروب التدمير ٠ وتأويل هذا ناتج عن قناعة الانسان ، بأن النزاع على القوة هو النزاع على البقاء أو مرادف له ، وان الغاية تجيز الواسطة ، وان زيادة العوامل فى طاقة القوة وتحسينها ، أمر حيوي لمتابعة النزاع والثبات عليه ٠ وفى خضم هذه الفوضى فى المفاهيم والتطاحن البشري ، تعمل السياسة الخارجية ، وهدفها الاوحد هو القوة وزيادة مطردة متصاعدة فى قدرتها٠ فالقوة وحدها هي التيتمكن صاحبها، آخر الامر، من فرض رأيه ونيل مطلبه ٠ وعندما يصبح الشكل النهائي للعلاقات الدولية هو الحرب، يصبحعندئذ النزاع علىالقوة نزاعا علىالاستطاعة العسكرية ، واستعدادا للحرب ٠

والساسة والحكام ، يتفننون فى اختراع الاساليب والحيل لتبرير سياساتهم ، ويلجأون عادة الى تعابير العدالة ، وصفاء النية ، وحرية الرأي ،وتقرير المصير، والتسامح وغيرها منالبضاعة الكلامية، وذلك لتخدير الاعصاب ، وتحويل الانظار عن حقيقة نواياهم فى تقصد القوة، أو لتبرير هذه النوايا وتقوية مساعيها ٠ ويجب أن لا ينخدع الناس بهذه التعابير ، ولا بسواها من بضاعة اللغة السياسية الرائجة فى سوق الامم ٠ فالبحث عن القوة لم يقم لقبول مثل هذه البضاعة ، بل هو يستعمل هذه البضاعة ، فى جملة ما يستعمل ، لتسهيل طريق الوصول الى القوة ، وتمهيده ٠

تحيا الامم بنسبة ما لها من قوة· وتعيش الدولة المستقلة، وتستمر، بمقدار استطاعتها على تحمل الحرب وممارستها · والدول الراقية تكرس جل جهودها لبناء الاستطاعة العسكرية ، وتوطيد دعائمها · ولا تقاس نسبة القوة العسكرية فى الامة ، بمقياس القوات المسلحة ومؤسساتها فحسب ، بل ثمة مقاييس أخرى ، لها خطرها وحيويتها في قيام الاستطاعة العسكرية وتقديرها ، منها :

- مساحة البلاد وعدد السكان ،
- طبيعة الارض ونوع الحدود ،
- المواد الاولية ، القدرة التكنيكية ، والطاقة الاقتصادية والصناعية ،
- القدرة المالية ، والحالة التجارية ،
- التجانس الشعبي ، الاخلاقية الشعبية ، العقيدة الوطنية ، والمؤثرات القومية ،
- العدالة الحكومية والاجتماعية ،
- المهارة السياسية والاستقرار السياسي ·

وكل هذه العوامل والمؤثرات أساسية فى قيام القوة ، وحيوية فى تصنيفها وتحديد مدى استطاعاتها ·

ولا تكتفي الدولة بقوتها الخاصة ، لتقدير استطاعتها العسكرية ، وانما عليها أن تنظر ، فى حساب هذه الاستطاعة ، الى قوة أعدائها وجيرانها واستطاعاتهم · ولا يقل هذا الواجب خطورة عن واجب التحضير للحرب ، وواجب التوسع فى تأمين مستلزماتها وتوفير حاجاتها ، ويحتم انتهاج سياسة تبتغي التأثير المباشر فى وضع القوة لدى الجيران ، والخصوم ، والمنافسين ، اضعافا لبعضهم ، وتقوية للبعض الآخر · ولا تتأخر الدولة ، فى سعيها لتحقيق هذا الواجب ، عن استعمال استطاعتها العسكرية ، بلا ثمن ظاهر أو مقابل ، لحماية أراضي دولة أخرى وسيادتها ، وذلك اما :

- لأنها ترى ، فى سلامة أراضي هذه الدولة واستقلالها، عاملا مساهما فى سلامتها المباشرة ،
- أو لايقاف توسع دولة قد تصبح ، بنتيجة هذا التوسع ،

خطرا عليها أو تهديدا لمصالحها ٠

٥ ـ توازن القوة

التوازن فى القوى ، هو القـوة المتوازنـة ، أو القـوة المجردة مـن أخطارها٠ وهو سياسة تستهدف الحد من توسعالدول الاخرىوتضخمها، وازالة تفوقها ، تاركة للدولة التي تنتهجها كامل الحرية فى تقدير هذا الحد ، ونوع المساعي ومظاهرها ٠

لا تسلك الدول سياسة التوازن الا فى النواحي التي تكون لصالحها٠ وألوان هذه السياسة ، وأشكالها ، متقلبة مختلطـة ، ومناهجهـا عديدة تنتقى من حوادث التاريخ ، وتقوم على قواعـد الواقع الحسي ، وعلى نظريات موافقة لظروف الزمان والمكان ٠ أما مظاهرها فهي :

ـ التحالف ،
ـ العزل ،
ـ الحرب ،
ـ تعديل الحدود ،
ـ التعويض ٠

واذا رجعنا الى التاريخ ، فاننا لا نجد فيه مثـالا على تـوقف الدول القوية عن التوسع عند حـدود متواضعة ٠ كما ودلت التجارب على أن سياسة التوازن أقـوى حجة ، وأكثر سلامـة وأمنا ، من سياسة الاكتفاء بتصاريح حسن النوايا والمقاصـد ، والركون الى الاقـوال والوعود ٠ والاحتفاظ بالتوازن يتطلب العمل، ضد كل دولة تأخذ بسياسةالتوسع، منذ اللحظة الاولى التي تجتاز بها هـذه الـدولة هـامش الامان المقرر للسلامة القومية ٠ وأحسن الظروف ملاءمة لتطبيق هذه السياسة ، هي تلك التي تتقدم الظروف التي تجعـل مـن تواصـل التوسع ، للدولة المتوسعة ، جارا مباشرا ٠ ولا تتقيـد حـدود التـوازن بحـلقة الدول المجاورة ، ولا بالدول التي قد تغدو كذلك بنتيجة توسعها ، بل تتعداها الى الدول البعيدة ، التي قد تصبح ، بسيطرتها البحرية أو الجوية على بعض الشواطىء والقواعد ، خطرا على المصـالح القومية والوطنية ، أو تهديدا لمرافق البلاد الحيوية ٠

وعندما يفقد التوازن ، تـزول بفقـده الـدول الصغيـرة حتما٠

والتوازن ، فى الواقع ، هو سياسة الدول العظمى ، ولا تستطيع الـدول الصغرى السير فى مسالكه، الا اذا استطاعت توحيد جهودها • فان فشلت فى هذا التوحيد ، فهي حالئذ مثاقيل فى موازين يتلاعب بها الآخرون • وان من واجب الدولة ، كل دولة ، فى مثل هذه الحالة ، أن تتابع جريان ذلك التلاعب وتطوراته ونتائجه ، وأن تزيد فى وزنها ، وأن تنتقل بهذا الوزن بين كفتي الميزان ، وفقا لمصالحها ، مع الطرف الذي يحترم هذه المصالح ، ولا يسمح لأحـد بالنيل منها ، وذلك لأنـه يرى فى استمرار وجودها خدمة لمصالحه وسياسته •

٦ ـ سياسة التحالف

تعمل الدول ، دائما ، على تقييد القوة وكبحها لدى الدول الاخرى• وهي لا تستهدف من التوازن البقاء على قوة تتساوى مع قوة الخصم ، بل تتوخى من ورائه الاحتفاظ لنفسها بهامش من التفوق ، أو الامان ، ولو بالجزئي القليل • فلا امكـان للعمـل ، اذا كـانت القوة بكاملها مضبوطة بقوة مماثلة ، ولا أمل فى قيام سياسة خارجية ايجابية ، الا اذا تأمن احتياط من القوة يستطاع استخدامه ، بحرية ، ودون علم الخصم أو رقابته وتأثيره • وهذا الاحتياط ، أو التفـوق فى القوة النسبية ، تابع فى تقديره للاجتهاد الشخصي ، وليس لـه مقاييس ملموسة يقاس بموجبها ، سوى الاشتباك فى حرب لمعرفة من يكون الرابح فى نهايتها •

تعتقد كـل دولة ، ان الدولة الاخـرى بحاجة الى أن توازن • ومن الصعوبة بمكان ، تقدير النسبة فى هـذا التـوازن • فالتقوية النسبية تتأتى عن عوامل النشاط والحيوية ، التي هي كثيـرة ، والتي تتحول وتتبدل يوما عن يوم• كل جديد فى اقتصاديات الخصم، وموارده الاولية، وروحيته ، وتسلحه ، وتحالفه ، وصداقاته ، يؤدي الى هوة عميقة مـن عدم التساوي بين دول ظلت، لبضع أعوام خلت ، على تمام المساواة •

تستخدم الدول سياسات التحالف ، لكبـح جمـاح القوة المتوسعة ، المتولدة عن حيوية طاغية • وأقـل هذه السياسات كلفـة ، وأسهلها هو التشجيع على قيام تحالف بين أعضاء فريق ثالث معاد للدولة المتوسعة، فريق له من القوة ما يكفي لايقاف التوسع ودرء الخطر • لكن هذا النهج من السياسة صعب غالي التحقيق ، وعلى الدولة نفسها أن تساهم غالبا

فى التحالف كعضو فيه • وقد ينص التحالف على مساهمة ما محدودةعلى شكل مبلغ من المال ، أو كمية من التجهيزات ، أو عدد معين من الجنود• وقد لا تكفي مثل هذه المساهمات الجزئية ، بل قد تذهب التزامات التحالف حتى المساهمة الكلية التامة ، والنص على استمرار هذه المساهمة ، وتحسنها باضطراد ، والاقامة عليها حتى بلوغ النصر الكامل والسلامة المنشودة •

ان الغاية من التحالف ، ككل غاية لسياسات القوة ، هو تحقيق هامش الامان ، فى حقل العمل الايجابي • ولكن هامش الامان لدولة ، هو هامش الخطر لدولة أخرى • ولهذا يقتضي أن يواجه كل تحالف بتحالف معاكس ، وكل تسلح بتسلح مقابل ، فى سباق دائم ، ومباراة مستمرة فى ميدان التنازع على البقاء والقوة • وكل تغاضى ، عن نجاح دولة في محاولاتها للتوسع على حساب دولة أخرى ، هو ضعف وخطر • وعلى الدول الصغيرة، المجاورة لدولة كبيرة، أن تختار بين التحالفالاجماعي بعضها مع بعض ، وبين الامتصاص والانحلال •

قد يفشل التوازن فى منع الغلبة لفريق على آخر • وفى التاريخ أمثلة على ذلك • لكن أسباب الفشل لا تعود أبدا لخلل فى مبدأ التوازن ، أو لشك فى قيمته وواقعه ، وانما لأن طرفا ثالثا يظهر فجأة ، ويعمل على زعزعة التوازن وتقويض أركانه ، بمساهمة جانبية لم تكن متوقعة ، وذلك لغاية له ، أو لنجاح أحد الفرقاء باستمالته ، واقناعه بأن تأمين هذه الغاية يتأمن عن طريقه لا عن طريق خصمه •

وقد يعمل هذا الطرف الجانبي، سرا، على تقوية جانب من الفرقاء، وتشجيعه على خوض الحرب ضد الجانب الآخر ، وذلك لاضعاف الجميع بنتيجتها ، واملاء رغبته عليهم • واذا نجح التوازن فى اقامة التحالف، وقنعت الدول بأن قوتها ، بمفردها أو بالاشتراك مع حلفائها ، لا تكفي لتعزيز ارادتها ، فانها تصبح عندئذ محبة للسلم شديد الغيرة عليه ، راغبة بالوساطة والتحكيم ، مبشرة بمبادىء العدالة، وحريات الشعوب، حاثة على التمسك بالتعاليم الاخلاقية والمواثيق الدولية ، كل ذلك وهي منتظرة أقل فرصة سانحة لتنقض على الفريسة وتمزيقها •

ان تاريخ أوروبا ، قبل الثورة الافرنسية وبعدها ، وفى الحربين العالميتين ، مليء بالامثلة على سياسات التوازن والاحلاف • وقد فقد التوازن فى أوروبا ، بعد الحرب العالمية الثانية ، بنتيجة تقسيم المانيا، ودخول دول أوروبا الوسطى فى فلك الاتحاد السوفياتي •

٧ ـ سياسة العزل

تهدف هذه السياسة الى وضع الخصم فى موضع المعزول المحروم من كل معاونة خارجية ، وذلك باحباط مساعيه فى التحالف مع دول اخرى، ومنع مساعداتها عنه، أو باستباقه الى التحالف معها ، أو شراء حيادها وعدم تدخلها فى النزاع القائم ، لصالح طرف على آخر • وتستهدف هذه السياسة ، أيضا ، الوصول الى فسخ المحالفات القائمة ، أو اضعافها باستمالة بعض أعضائها ، والنجاح فى ضمهم الى جانبها ، أو اخراجهم من النزاع الى الحياد التام • ومن وسائلها اختلاق المشاكل والقلاقل فى حياة الخصم الداخلية ، لعرقلة نشاطه وبعثرة جهوده ، واظهاره للرأي العام الخارجي بمظهر الضعف والانحلال ، بحيث لا يعتمد عليه فى حرب أو سياسة ، فيتجنبه الآخرون ، ولا يقيمون لأقواله وعهوده وزنا ، ولا يعيرونه اهتماما •

وتستخدم هذه السياسة ، كذلك ، جميع المؤثرات العاطفية من عنصرية ، ودينية ، وعقائدية ، ونفعية، ولا تحجم عن اللجوء الى الباطل والنميمة وتشويه الوقائع ، تحقيقا لأغراضها وانجاحا لمساعيها •

٨ ـ الحرب

الحرب آخر سهم وأخطره ، فى جعبة التنازع على التوازن • ولا يطلق هذا السهم الا على كره ، وبعد أن تفشل جميع المحاولات لتسوية النزاع دون اللجوء الى العنف فى ساحات القتال •

يتدرج المسير الى الحرب بخطى تصاعدية، ويتنوع على طول الطريق، بادئا من حالة الحياد الى حالة العطف ، ومن ثم من العطف الى مرحلة الانحراف عن الحياد ، لينتهي أخيرا بالاشتراك الفعلي الكامل فى القتال، كطرف رئيسي أو حليف • ولا تنتهي الحرب الا بسحق أحد الطرفين ، أو باستسلامه وخضوعه الى مطالب الطرف الآخر ، وتوقفه عن القتال ،

أو تنتهي بضغط فريق ثالث ، فريق لا قــدرة للمتحاربين على اهمــال ضغطه وتحدي مشيئته ·

٩ ـ سياسة التعويض

تسمح بعض الدول ، لدول أخرى ، بأن تتوسع وتتضخم، على شرط أن تحصل الأولى بدورها ، على زيادة مماثلة فى القوة والسطوة · ويتم هذا الشرط ، عادة ، باقتسام الفريسة بعد سحقهــا ، أو بالتنازل عــن الحقوق فى بعض المناطق الأخرى ، أو بالموافقــة على قيام الدولة (أو الدول) الأولى ، بتوسعات لحسابها فى جهة من آفاق مطامعها · وعلى هذه الاسس مزقت أوصال افريقيا والشرق العربي فى عهود الاستعمار ، وكذلك اغتصبت فلسطين ومنطقة الاسكندرون ، وبموجبهــا وضعت الخطــط ونفذت ، فى الماضي ، لاقتسام الصين ، والهنــد ، وبولونيا ، وايران ، والافغان ·

١٠ ـ سياسة الحدود

ان تخطيط الحدود مسألة غاية فى الأهميــة · وكــانت الدول ، ولا تزال ، تصر على أن تُسمع صوتها فى تسويات الحدود ، ولو لم تشترك هي نفسها فى الحروب · وخطورة الحــدود ظــاهرة لا تخفى على أحد ، لتأثيرها الحيوي على كيان البلاد الدفاعي ، ولتداخلها الفعال فى وضع الخطط العسكرية والحربية ، وفى بناء القوات المسلحة وتعيين حصتهــا من نشاط الأمة وموارد الدولة

يسوّى أمر الحدود ، وتعدل خطوطها ، غالبــا بطريــق الحــروب الناجحة ، وأحيانا بتوسعات موضعية تدريجية تقوم بها سياسة قــديرة ماهرة · وتستند هذه السياسة ، فى جوهرهــا ، على لباقة القائمين بها ودهائهم ، وعلى بلادة ضحاياها وبساطتهم أو ضعفهم ·

تُصرح دولة ، بأن لها هدفا واحدا محدودا ، هو ضم جزء صغير من أراضي دولة أخرى ، لأن هذا الجزء لازم لحدودها ، ومتمم لجغرافيتها ، أو لتحقيــق اشرافها الفعلي الشرعي ، على عدد من المواطنين العائشين فيه خارج حدودها ، وبأنها تُحقق بهذا الضم توازنا موضعيا ، وبأنها لن تطمع بعد ذلك ولا بشبر من أراضي جيرانها · يوضع هذا الطلب فى

صيغة وقالب من البساطة والتواضع ، بحيث لا يستحق أن ينشب القتال من أجله • ثم يظهر بعدئذ أن التوازن لا يزال ناقصا ، وانه بحاجة الى ضم قطعة جديدة من الارض • وهذه القطعة الصغيرة هي أيضا تافهة، ولا تستحق قيام الحرب من أجلها ، وهي موجودة خارج مصالح الدولة ، التي يتوقف على كلمتها فى الموضوع نجاح المحاولة ، أو فشلها • وبهذه الطريقة ، من الاحتلال المتدرج ، قامت أكثرية الدول الكبرى الناجحة •

١١ ـ التوازن نظام بشري

ليس التوازن هبة من الله، ولا ناموسا طبيعيا يحصل من تلقاء ذاته • وانما هو نظام بشري يوجده الانسان ، ويموت من أجله • ولا تنتظر الدول ، ساكنة ، حصول معجزة يتم بواسطتها توازن القوى، وينتج عنها السلام والطمأنينة • واذا أرادت أن تدوم ، فقد وجب عليها أن تسعى اليه ، وأن تدفع ثمنه ، وأن لا تحجم عن ركوب الحرب لحفظه وحمايته من تضخم القوة والسيطرة الخارجية فى كل ظرف • وقد يمنع التوازن اندلاع الحروب ، أو يقلل من حدوثها ، لكن القوة تبقى وحدها خير أداة لضبط طغيان الدول ، وكبح جماحها •

والعلاقات الدولية ، تبقى مصحوبة بدق الطبول وصليل السيوف • ويميل الناس ، بفطرتهم المكتسبة ، الى اعتبار السلم حالة طبيعية ، والتطلع الى الحرب بمنظار القلق والكره، واعتبارها ظاهرة لا طبيعية • وهذا النوع من الميل خطر وشذوذ، وهو ناتج عن فوضى تربوية حيوانية، تنشأ عن تفاعلات الغريزة والعادة ضد المجهول ، وضد احتمال وقوع الموت والخسارة • ان الحرب ، وان كانت تؤذي وتؤلم ، هي جزء لا يتجزأ من نظام الاستقلال وناموس السيادة • ونسيان هذه الحقيقة، لأن الحرب لا تسرّ ولا تفرح ، هو التعرض حتما ، وكل يوم ، الى كارثة •

الباب الثاني

سياسات الحروب ـ المفهوم التطبيقي العام للاستراتيجية ـ النظريات التكتيكية

الفصل السادس

سياسات الحروب

١ ـ طبيعة الحرب

تواظب سياسات القوة ، على مساعيها فى الاعداد للحرب ، والتحضير لها ٠ ولقد تطورت الحرب ، فى آفاقها ووسائطها ، تطورا كليا ، وجاءت المدنية الحديثة بعدد كبير من الاسلحة والمعدات الفتاكة ، لكن هدف الحرب الاساسي لم يزل على حاله ، ولم يتحول عن مطلبه فى :

ـ تدمير امكانات العدو ،
ـ وتحطيم ارادته ومعنوياته ،
ـ وقتل آماله ،
ـ واجباره على الاستسلام ،
ـ وحمله على الاقرار بخطئه وعدوانه ،
ـ وعدوله عن أهدافه ،
ـ وخضوعه لمشيئة الغالب ٠

غير أن تحقيق هذه المطالب لا يتم ، اليوم ، بهزيمة قوات العدو المقاتلة ، وازالتها من ساحات المعارك فحسب ، وانما يقتضي أن تستبق هذه المعارك ، وأن ترافق بانتصارات كاملة فى الميادين الاقتصادية ،

والاخلاقية والمعنوية • وهذا التوسع فى تعيين الهدف ، وشموله ، جعل الحرب طويلة عديدة الساحات والمظاهر ، متعددة الاسباب والمطالب والمناهج ، كما وتفنن فى تعريف المحاربات العسكرية ، وتنويعها . وتخصيصها حتى شملت هذه المحاربات جميع مرافق الامة ، واختص كل نوع منها بنشاط معين ، وعرف بمدلول خاص • وهذه المحاربات هي :

ـ المحاربة العسكرية ،
ـ المحاربة السياسية ،
ـ المحاربة الاقتصادية ،
ـ المحاربة العقائدية ،
ـ الحرب الشاملة •

٢ ـ المحاربة العسكرية

تعطي المحاربة العسكرية ، فى جميع الظروف ، صورة حقيقية عن الميزات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والتكنيكية لدى الاطراف المشتبكة بالقتال • وكانت حروب القرن الثامن عشر ، تهدف الى غايات محدودة، بواسطة الجنود المرتزقة ، وبقليل من المعدات • ثم اتسعت هذهالغايات فى القرن التالي ، وتطورت الحروب ، فغدت حروب ابادة تتطلب اشتراكا عظيما متزايدا من الأمة فيها • وقد عادت الثورة الامريكية ، والثورة الفرنسية ، والثورة الروسية ، بشكل الحرب ثلاثة عشر قرنا الى الوراء ، عندما تبنت طريقة الاقوام البدائية فى التجييش للقتال ، جاعلة من مجموع الامة وريثا لجيش قيصر والملك ، وفارضة الخدمة الحربية على جميع المواطنين دون استثناء ، كما فرضها الجهاد العربي من قبل ، على كافة المؤمنين ، وكما عمل بها التتار ، عندما أقاموا عسكريتهم على أساس مجموع القبائل بجملتها ، رجالا ونساء •

أقامت الفريضة الجندية العامة ، دعائم الطاقة البشرية فى الامة في حدود السكان • وخلقت الثورة الصناعية ، تطورا واتساعا فى الاستطاعات والمصنوعات ، فأمكن بواسطة ذلك اكساء طوائف كبيرة من المحاربين ، وتجهيزها ، وتسليحها ، وادارتها • ثم ظهرت المحركات البخارية والبترولية والكهربائية ، والخطوط الحديدية ، والطرق

المعبدة ، فتأمنت بظهورها عناصر السرعة ، والحركة ، واستطاعة التصرف بالجموع والكميات الضخمة • وأسهم الطب الحديث بقسط وافر فى هذا التطور ، بأن وضع حدا لعدوى الأوبئة، ووقي من الامراض وشفى منها ، وتدارك الاصابات والجروح وكسور العظام ، وتفنن في علاجها وجبرها وجراحتها • وكانت نتيجة هذا التطور الكلي ، فى حقول الصنع والنقل والطبابة ، ظهور الجيوش العصرية بأعداد ومعدات لم تعرف قط من قبل •

لم تكن الجندية الشاملة ، قبل القرن الثامن عشر ، ممكنة لدى الشعوب المتحضرة • ولم تظهر قبل ذلك التاريخ، الا عرضيا، وفى حالات خاصة وآماد قصيرة متقطعة ، ولم تقدم عليها سوى الاقوام القبلية ، التي كانت تنشأ وتشب وتعيش بجملتها للغزو والاغارة على القبائل والشعوب الاخرى ، والتي كانت ، لضعفها المادي وقلة عددها ، تعجز عن اقامة جيش ذي كيان مستقل ومؤسسات ثابتة دائمة •

لقد استبدلت الفريضة الجندية ، المتطوع المتهن ، المحارب لقاء الاجر ، والمُعد لأن يقاتل على كل أرض يسيَّر اليها ، بالمواطن المسلح الذي يحارب لاجل بلاده ، لكن عرضيا عند الضرورة • وهذا الاجراء تدبير ذو حدين ، له منافعه الكثيرة ، وله فى ذات الوقت نقائص وعيوب تربو على منافعه • ولا ترجح كفة هذه المنافع ، الا عند تطبيق الجندية المفروضة فى البلدان المتأخرة ، الكثيرة السكان ، شرط أن لا يقل وقت الخدمة تحت السلاح عن خمس سنين •

تصبح الطاقة البشرية، بتطبيق الفريضة الجندية ، غزيرة رخيصة• لكنها تتطلب ، مقابل ذلك ، جهودا عظيمة من الاعداد النفسي بقصد التغلب على غريزة الميل الطبيعي ، فى الانسان ، للاعمال الدفاعية ، وتتطلب كذلك تحضيرا واسعا جدا فى المعنويات والمثل العليا ، لتحويلها الى قوة مقاتلة ذات قيمة • فالجيش الشعبي لا يحارب ابتغاء الاجر ، ولا طلبا للتفاخر والسبي والفزو ، ويقتضي له أن يكون الرأي العام متفتحا يقظا ، مشبعا بفوائد الهجوم الاستراتيجية ، ملهما بمثل عليا وروحية صوفية ، مندفعا وراء تحقيق غايات انسانية شريفة • واذا لم يتأمن مثل هذا الرأي، أو اذا اقتصر فى تهيئته وتحضيره على الاساليب البدائية

والعقلية الغوغائية ، فانه لن يكون عندئذ جيشا ذا قيمة قتالية فعالة·

يؤول رجل الشاع ، الخروج بالحروب عبر الحدود ، على انه اعتداء واجتياح ، ولا يرى فى الدفاع الوطني ، سوى رد للاعتداء وايقاف له · والرأي العام يرى بفطرته ، ان المكان الطبيعي لايقاف الغزاة عنده هو الحدود ، وفى الدفاع عن الحدود محاربة يقبلها ويلبيها بغريزته · وهذا الميل الغريزي ، فى نفسية المواطن المتمدن ، متولد عن دافعين متناقضين همـا :

- رغبته فى التأكد من أنه لا يعتدي على الغير ،
- وارادته فى أن يظهر رجولته ، ويستعمل شهامته وغيرته دفاعا عن منزله ·

ان تفضيل المواطن الراقي، للموت فى ربوع وطنه ، على الموت بعيدا عنها ، عقدة نفسية ، وصعوبة روحية أمام توسع الدول المتمدنة· ولقد جرت معظم الحروب الناجحة فى مواطن الشعوب الأخرى ، وقام تـاريخ اليونان والرومان والفرس والعرب، فى الماضي، وتاريخ الأممالاوروبية فى الأزمنة الحديثة ، على نتائج أسفار حربية موفقة ، جرت كلها خارج حدود الوطن · ولم تفقد هذه القاعدة شيئا من صحتها اليوم ، ولا تزال النظريات العسكرية الثورية تعتمدها أساسا فى الحروب ، وتصر على ان تجري المحاربة العسكرية بعيدا عن تخوم البلاد ، وعن مرافقها الحيوية، ونقاطها الحساسة · وكل حرب ناجحة تجري على الاراضي الوطنية ، تؤدي غالبا الى ضعضعة الامة ، وانهاك قواها ، وتدمير مواردها (١)· وكل حرب خاسرة ، تبـدأ وتنتهي فى مواطن العـدو وساحـاته ، تكون نتائجها البعيدة خيرا من نتائج حرب موفقة تجـري على أرض الوطن نفسه ·

تؤثر الحروب ، التي تكون البلاد نفسها ساحات لمعاركها ، فى عقلية الشعب تأثيرا سيئا عميقا ، فتجعله يكره الحرب وأداتهـا ومؤسساتها، مضطربا حائرا لدى كل تفكير بالحرب، وتحمله على أنيتطلب الاكتفاء بسياسة الدفاع عن الحدود ، وابتغاء السلامـة وراء خطوط دفاعية · وينتج هذا التأثير عينه عن الجيوش الشعبية المتولدة عن نظام الفريضة

(١) كمثل فرنسا في الحربين العالميتين الماضيتين ·

الجندية ، لدى الشعب ولدى المواطنين المدعوين الى هذه الخدمة • ولقد يظهر هذا القول غير صحيح ، أو مبالغا فيه ، لكنه يعبر رغم ذلك عن حقيقة واقعة• فالفريضة الجندية تعم جميع طبقات الامة، وتعرض كل عائلة الى فقد قريب أو عزيز ، والى نتائج هذا الفقد النهائي أو الموقت، من تفاعلات نفسية طبيعية ، تفاعلات تتراكم وتتألب ، وتتجلى كلها فى ظهور اتجاه شعبي عام ينادي بتحريم الحرب، ويتغنى بكرهها و بطلانها • ولا يتوقف هذا التأثر عند عاطفة الكره وشعور الألم ، بل يتعدى ذلك الى التأثير المادي فى نظام العمل الوطني وسياق الانتاج ، بما يطرأ عن التجنيد العام من خلل فى مرافق الامة ومؤسساتها ، ومن نقص فى مردود الدخل العام • وان مقارنة حسابية بسيطة ، لتظهر بوضوح ميزات الجيش الممتهن ، وأفضليته على الجيش المكلف فى :

- مردوده الحربي ،
- ونفقاته ،
- واعداده وتحضيره ،
- ونتائجه على مجرى الحياة العامة •

غير أن المحاربات العسكرية الحديثة ، لم تعد تكتفي بجهود جزء من مجموع الامة ، دون بقية الأجزاء • وهي تتطلب ، يوما عن يوم ، اشتراكا متزايدا ، فى الجهود ، من كافة الأجزاء والطبقات • ولا يمكن سوى الخضوع الى احكام هذا التطلب ومقتضياته • وعلينا أن نوفق بين النظريتين المتناقضتين ، بأن نوجد حلا وسطا بينهما ، حلا حاويا لمزايا الاولى ، وآخذا من الثانية منافعها دون عيوبها ومساوئها • ويتم هذا التوفيق ، بانتهاج سياسة الجمع بين :

- الجيش الممتهن ،
- والجيش المكلف ،

على السواء ، فيخصص الاول لتعاطي الحروب ، وممارسة فنونها ، وخوض غمارها على أية بقعة من بقاع الارض ، متخذا من الجندية وواجباتها وأعبائها مهنة مزمنة له • هذا بينما يقتصر الثاني ، فى مظهره وجوهره ، على تدريب بقية المواطنين على القتال ، وتثقيفهم عسكريا، واختزان المعدات الضرورية لهم ، واعدادهم كجيش اقليمي داخلي

يدعى للقتال عند الحاجة دفاعا عن الوطن على حدوده وأرضه ، ويعبأ ويستنفر وفقا لأنظمة ومناهج متطورة ، لا تأخـذ من أوقات المواطنين سوى أقلها زمنا ، وأخفها وزنا ووقعا ·

حاربت بريطانيا ، طوال القرن التاسع عشر ، والقرون السابقة له، بجيش ممتهن أقامت بواسطتــه دعــائم قوتهـا وأسس امبراطـوريتها الماضية · ولما كــانت قــوة بحــرية فى الدرجــة الاولى ، بحــكم عزلتها الجغرافية ، ونطاقها من البحار المحيطة بجزرها ، فانها لم تكن بحاجة الى تنظيم الدفاع عن حدود الوطن الأم ، ولم تتبع لذلــك طريقــة التجنيد العام ، التي سادت القارة الاوربية عقب الثــورة الفرنسيــة · وكانت الحرب الكونية الاولى ، فى تاريخها ، أول مرة لجأت فيها الى ارسال جيش كبير ، متولد عن الفريضة الجنديــة ، الى خــارج حدودهــا · وكانت خسائرها فى هذه الحرب جسيمة · ولم تؤد هذه الخسائر ، فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، الى الغاء التجنيد العام ، أو الى التنكر له ، كما حدث بعد الحرب العالمية الثانية (١) · ولكن هذه الخسائر لم تكن دون تأثير بالغ فى ازدياد شعبية العقائد العسكرية الدفاعية ، وحماس الجماعــات والاحزاب لميزات الحروب ذات الاهداف الموضعية المحدودة · وتطــور النظريات الدفاعية ، فى سياق تاريخ بريطانيــا العظمى ، أكثــر دلالة وبروزا من تطورها فى تواريخ فرنسا والمانيــا وروسيــا · فقد حاربت بريطانيا على جميع القارات ، وفى مختلف المنــاطق والمناخات ، وضــد جميع الشعوب والاجناس · غير انها منذ عام ١٠٦٦ م لم تحارب قــط جيشا اجنبيا فوق أراضيها · وقد سمحت لها أساطيلها البحرية بالسيطرة على البحار ، وبنقل جيوشها عبر المحيطات ، وبمنع أعدائها عــن بلوغ شواطئها · وكانت ، فى حروبها الاوروبية المتعددة تختار دوما ساحات المعارك على الضفة الثانية من بحر المانش ، ولم ترض عن هذه العقيدة بديلا طوال الحرب العالمية الثانية· ولقد باءت جميعمحاولاتها، لتطبيق هذه العقيدة ، فى السنوات الاولى من هذه الحرب ، بالفشــل ، وطردت جيوشها تباعا من النروج ، والبلجيك ، وفرنسا ، واليونان ، واعتبرت

---

(١) ب·هـ· ليدل هارت في كتابه « الدفاع عن اوروبا »

كل ذلك ربحا فى حد ذاته وغنما • فتدمير المدن الاجنبية ، فى عرف كل انسان ، أفضل بكثير من تدمير المدن والقرى الوطنية ، وهزيمة حملة مرسلة الى الخارج ، فى ساحات خارجية ، أخف وقعا وأقل خطرا على معنويات الشعب ، من وقع هزيمة جيش وطني على تخوم بلاده أو في داخلها • لكن انكلترا لم تنج هذه المرة من ويلات الحرب ، لان تطور السلاح الحربي ، واتساع أفقه ، وازدياد قوته ومردوده ومداه ، نقل القتال فى هذه الحرب الى الجزر البريطانية نفسها ، وذلك للمرة الاولى منذ أن غزاها النورمانواستوطنوها عام ١٠٦٦م• وقد جردها الطيران من فاعلية أساطيلها البحرية ، وأدخل كثيرا من التغييرات الجذرية على تشكيل المعارات البحرية ، وعلى مبادىء قتالها فى حيز التكتيك والاستراتيجية •

واذا نجح عدو لانكلترا ، يوما ، فى اجتياز بحر المانش ، فستشهد سواحل هذه البلاد ومدنها ، جيوشا أجنبية للمرة الاولى منذ تسعةقرون تقريبا • وستكون محاربتها عندئذ دفاعا عن الربوع والحدود والمنازل، وقبولها بالحرب على شواطئها وسهولها ، عوضا عن الميادين خارج الجزر، دليلا على ضعفها ، وايذانا بزوال عظمتها ونفوذها، ومستهلا لزوال استقلالها ، أو لتحولها الى أمة ودولة من الدرجات الثانوية •

ولقد سبق لهذه النظرية ، أن صدقت وتطبقت ، على حساب العرب، فى سابق الايام • فقد آذن نجمهم بالأفول ، منذ أن قنعوا بحدودهم ، وبالأجانب لأجل أن يقاتلوا عن بلادهم وكراماتهم ، متكلين على ماضيهم ومخلفات آبائهم • ولقد ابتدأ هذا الأفول باستيلاء الأعاجم على السلطة ومقاليد الامور ، ثم بغزو التتر والمغول• ثم جاءت الحروب الصليبية ، فأنهكتهم ، واستنزفت قواهم ومواردهم ، وقضت على وحدة صفوفهم ، ومضت مخلفة وراءها تناحر المذاهب ، وعنعنات العناصر الشعوبية ، وأباطيل الطوائف، ومسائل الاقليات المختلفة• وهكذا فاجأهم الاتراك، وهم على هذه الحالة من الضعف والانحلال والفوضى، قبل أن يتمكنوا من تجديد قواهم ، واعادة تنظيم صفوفهم ، فقهروهم حربا ، وأزالوا معالم دولتهم من دنيا الوجود •

وكذلك خسر نابوليون حروبه وحريته ، عندما سمح ضعفه لخصومه

باجتياح فرنسا وغزوها بجحافلهم • وكانت هزيمة ألمانيا سنة ١٩٤٥، هزيمة تامة لا جدال فيها ، وكان جريـان الحرب عـلى أراضيهـا، وفى سمائها ، دليلا قاطعا على الضعـف ، وطريقـا مبـاشرا الى الخسران والهزيمة• ولا تجوز المحاربة فى الأراضي الوطنية، الا اذا كانت المساحة واسعة شاسعة ، أو كان القتال محاربة جهادية تحريرية تؤدي الى التقوية التصاعدية المضطردة ، مع مرور الايام وتتابعها •

ولا يعتبر فشل الاعتداء الياباني على الصين ، والالماني على روسيا، ونجاح الصينيين فى نهاية الحروب التي جرت عـلى اراضيهم بمخالف لهذه النظرية ، بل مؤيد لها على العكس • فكل من روسيا والصين عالم شاسع قائم بذاته ، وله من المجالات والمساحات ما يجعل المرافق الحيوية والنقاط الحساسة كثيرة ومنتشرة فى طول البـلاد وعرضهـا ، موزعة بحيث تظل متوفرة لصالح المقاومة مهما تقدم الغـزاة فى زحفهم • كما وان القتال فى وجه اليابانيين والالمان ، كان مزيجا من محاربة نظامية وأخرى جهادية تحريرية مستكملة لجميع شروط التقوية المطلوبة لكل محاربة جهادية ناجحة • ولا يعني هذا ان علينا أن نقبل بجريان الحرب فوق أراضينا اذا كانت أراضينا كبيرة واسعة ، بل علينا على العكس أن نعمل للحيلولة دون ذلك ، نظرا لما تخلفه العمليات الحربية وراءها من خراب ودمار • والمتتبع لسياسة الاتحاد السوفياتي ، منذ نهاية الحـرب العالمية الثانية، يرى أنه كان ولا يزال ينتهج استراتيجية تأمين مناطق النفوذ الواسعة ، ومجالات المناورة الكـافية لحركـات جيوشه فى حرب مقبلة ، خارج الاتحاد السوفياتي ، وبعيدا عن مراكزه المهمة ونقـاطه الحيوية •

وكانت الولايات المتحدة ، بموجب النظـرية نفسهـا ، ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية جادة فى بناء القواعد، وشراء الأحلاف والصداقات، واحاطة الاتحاد السوفياتي بنطاق متصل من ساحات العمليات المحتملة، على بعد آلاف الأميال من حدودها •

الحرب ، أساسا ، تعرض وهجوم • والاستراتيجية العسكرية تنص، قديما وحديثا، على انه لا نصر بلا عمليات هجومية، وان سياسة الاكتفاء بالدفاع عن الحدود ، وان أدت أحيانـا الى تثبيت الاوضـاع فترة مـن

الزمن ، لسياسة لا توصل أبدا الى قـرار حـاسم · ولا تستطيـع قبول الحرب ضمن أراضيها ، سوى الدول الكبيرة المظيمـة المسـاحة ، التي تكون مناطق تخومها قليلة السكـان ، عديمـة الاهميـة الاقتصاديـة والصناعية أو محدودتها · وفيما عدا هذه الحالة ، فكل دولة ترضى بأن تجري الحرب فى بلادها، هي ولا بد تشكو ضعفا من حيث طبيعة الارض، أو وضع الحدود ، أو توزيع الصناعة ، أو تشكيل السكان ، أو مزيجا من كل هذه النواقص مجتمعة · ولا علاج لمثل هذه النواقص الا بالنجاح فى الاندفاع الى ملاقاة المعتدين بعيدا عن الحدود الوطنية· وهذه الناحية يعرفهـا السياسيون والعسكريـون · وهي تفسر لمـاذا تصر الأنظمة العسكرية على وجوب تنمية روحية النضال لدى جميع المجندين ، وعلى صيانة هذه الروحية وحفظها حية متدفقة بصورة متواصلة مستمرة ، وكذلك على تغذية العاطفة الوطنية ، ومشاعر الاعتزاز والفخر بالمآثر القومية ، وبأسفار الاجداد وسيرهم الحربية اللامعة ·

وقد تعرض الروس ، حول موسكو وعلى ضفاف الفولغا ، فى سيـاق تاريخهم الطويل ، الى الغزو المتكرر ، والاجتياح من قبـل العديد مـن الغزاة والمغيرين · وقد كان لهذا الامـر أثـر بارز فى دمـغ مذهبيتهم العسكرية الحديثة بالطابع التعرضي العنيف ·

تتطلب الحرب الحديثة ، سيلا منهمـرا مـن التجهيـزات والمعدات والمؤونة · ولقد فقدت الجيوش الغازية استقلالها النسبي ، الذي كان لها فى الماضي ، ولم يعد باستطاعتها أن تعيش مكتفيـة بموارد البـلاد المكتسحة ، ولا أن تعتمد فى مواصلة جهودها ، وتسييـر آلتها ، وادامـة فاعليتها الا على قوافلها وأرتال تموينها الخاصة · ولم تتغير العمليات الحربية ، فيما عدا ذلك ، الا جزئيا ، الى أن ظهـر الطيـران فى وقته، فغيَّر وعدل ، وأطال من نطاق الحرب وطائلها ، وأكثـر من ساحاتهـا وميادينها ·

يسيطر النشاط العسكري، فى قتال طويل الامد ، سيطرة فعلية تامة، على مرافق الحياة الاقتصادية فى الأمة · والحرب تجري على مساحـات وساحات ، مساحاتها مناطق ، وساحاتها البحر والجـو واليابسة · وقد جعل اختلاف الساحات، فى شكلها وطبيعتها، من المحاربة موضوعا معقدا،

وعدّد من أشكال المقاتلة ، وأظهرها على ثلاثة أنواع من المحاربات أو العمليات ، هي :

أ ـ العمليات البرية ،
ب ـ العمليات الجوية ،
ج ـ العمليات البحرية ٠

ومن ثم صار لكل نوع من هذه العمليات الاحترابية ، علم قائم بذاته ، متوسع فى أصوله وفنونه ، مستقل فى استراتيجيته وتعبئته وتكتيكه ، منفرد فى مناهجه وتدابيره ، مشترك مع بقية الانواع في الخضوع لخطة عليا موحدة ، وفى تطلب أهداف مشتركة بطرق مختلفة، طرق تؤدي بجملتها الىتحقيق غايات رئيسية واحدة ٠ ونتج عن هذا التنوع تعدد فى التخصص ، والقيادات ، والاركان ، والمؤسسات ، والانظمة ، والخطط والتفكير وأوجه التنفيذ ٠

وكما ان كثافة النار وغزارتها ، فى الحرب العالمية الاولى ، أدت الى الحروب المخندقة ، ومن ثم الى ظهور الدبابة ، كذلك استدعى تعداد الاسلحة وقوتها ، واشتراك الطيران اشتراكا فعليا فى المعركة ، خلال الحرب العالمية الثانية ، من القادة ، التفتيش الدائم عن حل لتقليل الخسائر فى الارواح ، أثناء مراحل التعرض ٠

٣ ـ مساحات العمليات

تجري العمليات الحربية على ثلاث مساحات ، أو مناطق هي :

ـ منطقة العمليات ،
ـ منطقة المواصلات (١) ،
ـ منطقة القاعدة ٠

كانت منطقة القاعدة ، فيما مضى ، تكتفي بخط بسيط من المستودعات ومراكز التموين ٠ بيد انها اليوم لا تكتفي بهذا الخط، بل توسعت بفعل الطيران ، وانتشرت على طول البلاد وعرضها ، وتركزت فى قلب الطاقة الصناعية والقدرة الاقتصادية ٠ وتربط المواصلات القاعدة بمنطقة العمليات ، ويتحدد موقعها بتحديد الجبهة ٠

---

(١) وتدعى ايضا منطقة الحركات

ان حركة القوافل فى منطقة المواصلات ، وتدفق المؤن والمعدات على سبلها ومسالكها ، جعل من هذه المنطقة شريان الطاقة الحربية للقوى العسكرية المقاتلة ، وعلق حياة هذه القوى بحركة مستمرة من سيول التموين عليها ، وكوّن من مؤخرة الجيش ، ومن خطوط تموينه ومحطاتها ، هدفا رئيسيا للمهاجمة • ويسعى العدو للوصول الى هذه المنطقة ، اما باختراق باتجاه القلب ، بواسطة هجوم مباشر مجابه، واما بحركة التفاف واحاطة، بسيطة أو مزدوجة، حول الاطراف والجوانب•

٤ ـ العمليات البرية

كانت العمليات البرية ، حتى منتصف الحرب العالمية الاولى، تقوم على جهود من المشاة ، والفرسان ، والمدفعية • بيد ان السنوات الاخيرة من هذه الحرب وضعت حدا لاستطاعات المشاة والخيالة • فقد أعطى تحسن الاطلاق فى البندقية ، وكثافة القوة النارية وغزارتها ، والطاقة الكبيرة الناجمة عن ظهور الاسلحة الرشاشة ، للمدافعة ميزات كبرى على المهاجمة • ونتج عن ذلك أن فقدت الخيالة كثيرا من خصائصها كسلاح لحركات الانقضاض ، والتطويق ، والاستطلاع والمطاردة ، وخسرت المشاة كثيرا من قابليتها وفاعليتها وقدرتها على مهاجمة المواقع المخندقة • وكان مزيج المشاة والفرسان يقابل بمزيج مماثل من المشاة والفرسان ، فصار بعدئذ يقابل بالسدود النارية • وبنتيجة ذلك التحول ، غدت المشاة مرتبطة بالمدفعية ، فلا تستطيع التقدم هجوما الا على أرض قد مرت عليها السدود النارية المدفعية الكثيفة ، المتنقلة بقفزات ومسافات متعاقبة • وفرض هذا الارتباط اتباع تكتيك تناوب النار والحركة ما بين المشاة والمدفعية ، وأرغم المهاجمة على التوقف كل مرة تبلغ فيها حدودتأثير الاسلحة النارية العدوة ، بانتظار تدخل المدفعية من جديد لاخماد نيران هذه الاسلحة ، وذلك بعد أن انقطع هذا التدخل مؤقتا بنتيجة تبديل المدفعية لمواضع رميها • وكان هذا الاسلوب الهجومي فى القتال باهظ الثمن ، تكاد تربو خسائره على مرابحه من الارض المكتسبة •

وأدت النسبة العالية الباهظة فى التكاليف والخسائر فى الارواح ، الى قيام الحرب المتوقفة ، أو حرب المواضع ، واقتصر القتال حالئذ على

تبادل عمليات الانهاك الموضعية ، مما أوصل المتحاربين الى مأزق أو باب مسدود لم يفتحه فى وجوههم سوى ظهور الدبابة على غير انتظار • لم تقدّر ، فى ذلك الحين ، فوائد هذا السلاح الجديد وخصائصه حق قدرها ، وقليلون هم العسكريون (١) الذين رأوا فيه يومها سلاح المستقبل ، أو الذين تنبأوا بخطره وقابليته وأصول استخدامه •

وفى فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى ، عم الركود الظاهر فنون القتال البري ، وقنع معظم العسكريين بما حصلوا عليه من مبادىء ونظريات استخلصت من تجارب الحروب السابقة ومخلفاتها • الا أن هذه القناعة لم تحل دون تولد نظريات جديدة ، وانبثاق فرضيات كثيرة متضاربة ، تدور كلها حول استبدال الجيش المتأتي عن فريضة الخدمة العسكرية ، بجيش آخر صغير العدد ، قوي التنظيم والتجهيز ، عالي التدريب والتحضير ، ميكانيكي مستقل بوسائطه • وقد أشير الى هذا النوع من الجيش بالقوة الميكانيكية الضاربة • وكان الالمان أسبق الناس الى تبني هذه النظريات (٢) وايمان بها ، فسارعوا الى تطبيقها ، وبنوا (٣) جيشا حديثا على أساس فرضياتها ، وظهر هذا الجيش ، فى مستهل الحرب العالمية الثانية ، مزيجا من طائرات الانقضاض ، والمدرعات المقاتلة المتنوعة ، والمشاة الميكانيكية والمنقولة •

أحدث ظهور المدرعات ، كسلاح مستقل ، حدثا فى تاريخ الحروب • وسريعا ما برهن عن فاعلية كبرى وقابلية عظمى للاختراق والحركة ، وعن استطاعة ضرب وصدم وسحق لم يسبق لها مثيل • لم تكن القوة الالمانية المدرعة ، التي فاجأت الحلفاء على الجبهة الفرنسية فى أيار عام ١٩٤٠ ، متفوقة قط على خصومها بعدد الميكانيكيات والمدرعات ، وانما بحسن تفهم الالمان لخصائص هذا السلاح الجديد ، وصحة استعمالهم له جملة وتفصيلا • ومع ان باستطاعة السلاح المدرع أن يخترق ، ويكتسح ، ويطارد ، ويطوق ، الا أنه يظل بحاجة الى مساعدة الاسلحة الاخرى ، الى الطيران والمدفعية لحمايته ووقايته ، والى المشاة

---

(١) كان من الاوائل السابقين في هذا المضمار الجنرال الانكليزي ج٠ف٠فوللر

(٢) كتب في هذه النظريات الجنرال فوللر ، والجنرال دي كول ، والناقد العسكري ليدل هارت

(٣) كان ذلك بفضل الجنرال كودريان

لتنظيف الاراضي المكتسحة ، واشغالها والاحتفـاظ بها • ان المدرعات تحطم وتخترق ، وتتسرب ، وتلتف وتطوق ، وتربح الارض وتسلمهـا الى عهدة قوات لاحقة، لتقوم هذه بتحصينها والدفاع عنها بعد تطهيرها•

وهكذا أعادت المدرعات للعمليات البرية ، فى الحرب العالمية الثانية، ميزة الحركية التي كانت قد افتقدتها خلال الحرب العالمية الاولى • لقد جمعت الدبابات ، والمصفحات الثقيلة ، والناقلات المدرعة ، فى هياكلها ما بين الوقاية والحركة والقوة النارية الكبيـرة • وكذلك هيأت هـذه المعدات ، مع طيران الانقضاض ، سلاحا تعرضيا تفوق قدرته وطاقته، بمراحل ، ذلك المزيج القديم من المشاة ، والفرسان والمدفعية • ولقـد تأمنت لهذا السلاح ، بفعل سرعته، امكانات واسعة فى العمليات الجانبية، على مقياس لم يسمع بمثله من قبل فى تـاريخ الحروب • وقد تبين ، بنتائج المعارك فى روسيا ، ان سلاحا كهذا لا يوقف الا بسلاح يماثله ، وان سلاحا مماثلا لا يستطيع وحده القيام بمجابهة منتجة الا على أساس العمق فى الكر وفي تدابير الايقاف والعرقلة •

والعمق فى المدافعة ، لا يعني الاكتفاء بعـدد من الخنادق والحصون والحواجز المتوازية ، المقامة لحماية المشاة ، كما جرى فى الحرب العالمية الاولى على وجه العموم ، وعلى الجبهـة الفرنسيـة فى الحـرب العالمية الثانية• بل انه يعني تنظيم الدفاع على مناطق حصينة متعاقبة، منفصلة بعضها عن بعض بمسافات كافية، مسافات تسمح باحتمـال النجـاح فى فصل القوة المدرعة المهاجمة عن مشاتها الساندة• وهو يعني، أيضا، أن يكون للدفاع المنظم على الشكل المذكور قوة متحركة فعالة ، واحتيـاط مناسب • واستنادا على دفاع كهذا ، تقـوم القـوة المدرعـة الضاربة بالتصدي للقوة المماثلـة لـدى العدو ، وتعقبها ، وتحطيم قوافلها ، وعزلها عن قواتها المساندة •

٥ ـ العمليات الجوية

لا يقتصر الامر فى العمليات العسكرية الحديثة ، على استعمال كامل لامكانات المدرعات الضمنية ، وعلى استبدال للسدود النارية المدفعيـة بطيران الانقضاض العامل لصالح المدرعات وما يرافقهـا من العناصر الزاحفة • فقد كشفت معارك الحرب العالمية الثانية ، عن استطـاعات

الطيران الواسعة ، وتمخضت هذه الاستطاعات عن ولادة العمليات الجوية ، ونشأتها ونضجها ، عمليات تستهدف بمعظمها مناطق الاهداف الكائنة الى الخلف من خطوط القتال ، على مقياس واسع وفنون جديدة مبتكرة ·

تستعمل الدبابات والمنقضّات (١) القصيرة المدى ، عادة ، كصدمات طاعنة ضد المواقع المحصنة ، وللقيام أحيانا بحركات التفاف وتطويق ومطاردة · لكن مثل هذه التشكيلات تبقى مقيدة بقوافلها ، ويظل طائلها مرهونا بسرعتها وكفايتها ، ومدى استطاعتها محصورا فى نطاق المدة وحدود المسافة · ولذلك فهي لم تغير من أسس المحاربة المكانية ، ولم تبدل من جريان هذه المحاربة على مساحتين :

- مساحة الجبهة ،
- ومساحة القاعدة ،

هذا بينما عدلت العمليات الجوية ، الجارية بعيدا الى الوراء من جبهات القتال ، فى نظام هذه الأسس ، وجعلت من المحاربة العسكرية البرية محاربة قائمة على ثلاث مساحات · والجبهة ، بالمعنى الفني القديم لهذا الاصطلاح، قد اختفت اليوم بظهور الطيران· كانت الجبهة فى الحروب السابقة ، وهي الحروب على مساحتين ، خطا تقوم وراءه طرق التموين والامداد على درجة من السلامة والامان معادلة لقوة الجبهة ومناعتها · وكانت حماية هذه الطرق ، شاغل القائد وعنوان تفكيره ، وكان تأمين هذه الحماية ، نظريا على الاقل ، بسيطا بصورة نسبية · كانت هذه الحماية ، كناية عن وقاية الجبهة من التمزق والاختراق ، والجوانب من الاجتياز والتطويق · أما فى محاربات اليوم، فقد غدت القوات البرية كلها عاجزة عن تأمين سلامة المواصلات ما بين منطقة القاعدة ومنطقة العمليات ، وصارت السيطرة الجوية وحدها هي الضامن لحماية هذه الطرق وتأمين الحركة عليها بأمان وحرية ، وبدون هذه السيطرة فلن يتحقق ذلك السيل المتدفق من المواد والامدادات اللازمة لعمليات المهاجمة والمدافعة ·

---

(١) طائرات الانقضاض المقاتلة مع المهاجمين ·

لا تتوقف العمليات الجوية عند قصف طرق المواصلات وتدمير قوافلها ، ولا تكتفي بالاغارة على الاهداف العسكرية وتخريبها على مجمل الاراضي الوطنية فحسب ، بل ترمي كذلك الى ضرب السكان المدنيين وقصف المناطق الآهلة بهم ، لغرض الحصول على تحطيم معنوياتهم • ولا يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل ان الطائرات تقوم نفسها بعمليات حربية محدودة ، متقدمة بها انطلاق العمليات البرية ، لمساعدة هذه العمليات فى جريانها ، أو لاستباقها الى القبض على بعض النقاط الاستراتيجية واحتلالها ، أو لتجريد هذه النقاط من فوائدها وأخطارها • وقد تجهز الطيران ، لتحقيق مثل هذه العمليات ، بقوات اضافية خاصة ، مختارة منتقاة ، وجرى توزيع هذه القوات ، بحكم تجهيزها ومهامها ، الى :

- مشاة الهواء ،
- ووحدات المظلات ،
- ومغاوير السماء •

كما وأدى تعدد الاهداف ، الملقاة على عاتق الطيران ، الى التمييز بين :

- الطيران المعترض ،
- والطيران التكتيكي ،
- والطيران التعبوي ،
- والطيران الاستراتيجي ،

والى تنويع التشكيل فى الاساطيل الجوية ، والى تعيين الواجبات في حدود هذا التنويع ومراميه • ونتج عن تعدد الاهداف تنوّع فى الواجبات ، وتخصيص فى المهام ، وأسفر التنوع والتخصص بدوره عن تنوع فى أشكال الطائرات وامكاناتها التكنيكية والقتالية ، وفى تصنيفها وتسمياتها • وانبثق عن ذلك كله قيام طيران الاستطلاع ، والاعتراض ، والمطاردة ، والانقضاض ، والقصف ، والنقل ، والشراع ، والتموين ، والاسعاف ، والمرافقة (١) •

---

(١) يتكون طيران المرافقة من اسراب من الطائرات المقاتلة ، التي ترافق اسراب القصف ، والنقل ، والشراع ، والتموين والاسعاف ، لحمايتها من تعرض المطاردات العدوة المعترضة •

تؤثر العمليات الجوية ، فى معنويات المدنيين ، أكثر من تأثيرها فى مجرى العمليات القتالية • كان المواطنون، فى الماضي ، يعيشون فى طمأنينة مُرضية ، وراء جبهة ممسوكة بالقوات البرية المقاتلة • أما اليوم ، فقد ذهبت هذه الطمأنينة النسبية ، ولم يعد المواطن ، فى أي مكان كان ، بمنأى عن طائلة الحرب ، وصارت عمليات المحاربة تجري فوقه وتحته وحواليه ، وفى حديقته وأرضه وخرائب منزله، تفتك بلا تمييز بالمدنيين والعسكريين على السواء • وقد افتتح القصف الجوي طريقا مباشرا الى مهاجمة الصناعات والمستودعات ، ومكّن من أقوى الوسائل وأنجعها للنيل من معنويات الشعب، وتحطيم ارادته فى المقاومة• وكان المواطن غير المحارب ، لا يتأثر بالحرب الا جزئيا عن طريق الحصار وازدياد الضرائب ، ولا يشعر بنتائجها الا بعد تدمير جيوش بلاده أو فوزها • أما اليوم ، فهو عرضة للكثير مما يتعرض له المحاربون فى الجبهة ، وهدف مباشر لعمليات جوية وبحرية ، يومية متكررة، تجري على بعد مسافات شاسعة من جبهات القتال •

وعلاوة على ما تقدم ، فقد ألقت العمليات الجوية ، على عاتق القوات البرية ، وعلى كاهل المدنيين ، أعباء ثقيلة لم تكن من قبل معروفة • لقد اقتضي ، للوقاية من مفعول القصف الجوي ، تنظيم الدفاع على كامل الارض الوطنية ، وتجهيز الامة بمنظومة دقيقة من وحدات الدفاع الارضية ضد الجو ، وبشبكات كثيفة من وسائط الانذار والرصد والتنبؤ والمراقبة البعيدة• وتطلبت مجابهة العمليات العسكرية الجوية استحداث قوات عسكرية كافية مقابلة ، واجبها الدفاع السطحي على جميع المناطق والساحات الداخلية • وقد اقتضى استحداث هذه القوات تنظيما جديدا ، وقيادات عديدة ، ومعدات سريعة فعالة •

٦ ـ العمليات البحرية

لم تكتف الثورة فى الصناعة والطيران ، بما أوجدت من تغيرات وتعديلات فى فنون المحاربة العسكرية البرية ونظرياتها ، بل عمدت أيضا الى ادخال تعديلات وتطورات هامة على مبادىء المحاربة البحرية وقواعد اجرائها •

تهدف المحاربة البحرية الى السيطرة على أمواه البحار ، والى تأمين

حرية الملاحة على السطح واستغلال الثروات المطمورة • وتعرف السيطرة البحرية بأنها تسلط على طرق المواصلات البحرية ، وحرية فى استعمال هذه الطرق ، وقدرة على منعها على العدو • وتتحقق السيطرة هذه بتدمير عمارات الخصم البحرية ، أو منع أساطيله وقوافله عن بلوغ مقاصدها ، بعمليات الحصار والتعرض • وتطلبا للسيطرة على البحار، وتحقيقا لها ، تعمل الدول جادة للتفوق ، بعضها على بعض ، فى بناء السفن ، وتجهيز الاساطيل ، والاكثار منها ، وفى الحصول على القواعد والمحطات البحرية المناسبة •

تساهم البحرية فى دحر العدو، وحمله نهائيا على الاستسلام، بطريق غير مباشر • فهي لا تستطيع غزو اليابسة، ولا مهاجمة قلعة أو احتلال منطقة ، وانما تستطيع قصف الشواطىء ، وتدمير المدن والمرافىء الساحلية ، وقليلا ما تبلغ بهذا القصف نتائج حاسمة • وهي تقوم بدور الوسيط المساعد للعمليات البرية ، بنقل الجيوش عبر البحار ، وبالسهر على وصول المؤن والامدادات لهذه الجيوش، وبمنع الخصم من الاستفادة من مثل هذا النوع من النقل والتموين • وتشترك البحرية أيضا فى عمليات الحصار والخنق الاقتصادي ، بأن تحول دون وصول الامداد والمواد الاولية الى معامل العدو ومصانعه ، والاغذية الى قواته وسكانه•

وقد تولدت عن التطورات التكنيكية الصناعية ، تعديلات هامة على بناء السفن ، وفى نواحي التكتيك والتعبئة والاستراتيجية والجغرافيا البحرية • وخلقت الملاحة البخارية مسائل التموين المعقدة بالزيوت والمحروقات ومشتقاتها ، وزادت فى ارتباط الاساطيل بالقواعد البحرية • وتابع التطور سيره التصاعدي دون توقف ، وما لبث أن جاء، فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، بالقوة النووية ، وبالسفن الحربية والتجارية المسيرة بهذه القوة ، قوة الذرة • ولقد حررت هذه القوة الجديدة من الحاجة الى نقاط الاستناد ومحطات تموين الاساطيل، المحطات الساحلية المتعاقبة ، الرئيسية والمتوسطة ، واعطت زيادة فائقة فى القابلية للحركة وحريتها ، وفى السرعة والاكتفاء الذاتي • وبنتيجة هذه التطورات ، فقدت كثير من الموانىء والمحطات القديمة أهميتها البحرية وقيمتها الاستراتيجية ، كما وظهرت الى الوجود موانىء

ومحطات جديدة ٠

ويجب أن لا ننسى دور الغواصة فى هذه المحاربة ، غواصة ما قبل الحرب العالمية الثانية واثناءها ، والغواصة الذرية التي ولدت على أعقاب هذه الحرب مباشرة ، بعد التوصل الى استخدام الطاقةالنووية في الاغراض الميكانيكية ٠ لقد عقّدت الغواصة ، منذ ولادتها ، فى أمور التكتيك والتعبئة والاستراتيجية ٠ فهي والألغام المائية ظهرت كسلاح مضاد للحصار البحري ، ونجحت فجعلت من احكام مثل هذا الحصار أمرا غاية فى الصعوبة ٠ ثم لم تلبث الغواصة أن مثلت ، فى المحاربة البحرية، دور المساحة الثالثة، أو العنصر الثالث (١)، سامحة هكذا للأممالضعيفة بالاساطيل البحرية باستطاعات جديدة ، وخاصة بامكان القيام باجراءات معاكسة ضد كل حصار بحري قد يفرض عليها ٠ ولما وجد أن دارعات القتال عاجزة بمفردها عن تدمير الغواصات وتجنب اخطارها، وان السيطرة البحرية لم تعد ممكنة فى نطاق الاكتفاء بأساطيل القتال، عمد حالئذ الى تجهيز الاساطيل بالغواصات المطاردة ، وبعدد كبير من السفن الحربية الصغيرة (٢) المعدةلمطاردةالغواصاتالمعاديةوتدميرها ٠

ولما أضيف الطيران الىعناصر المحاربةالبحرية الثلاثة، كوّن عنصرا رابعا للعمل فى مساحة جديدة ، المساحة الرابعة ٠ وكان لا بد أن تنتج عن هذه الاضافة تعقيدات جديدة فىنواحي الحماية والوقاية، وتعديلات على بناء القطع البحرية وتشكيل الاساطيل، وخسارة الأهمية لكثير من القواعد البحرية الكائنة فى محيط القاصفات العدوة ، الصاعدة من مطارات برية ٠ وأصبح الاسطول الضعيف بطيرانه المساند المرافق له، قليل الحظ فى نوال النصر (٣) ، وفى التنقل عبر المحيطات بنسبة معقولة من الامان ، عاجزا عن تحقيق السيطرة الجوية فوق المياه التي تمخر فيها سفنه ، معرضا بهذا العجز الى فتك الطوربيد الجوي والقنابر

(١) يتكون العنصر الاول من الأساطيل التي رحاها الحاملات والدارعات ، ويتكون العنصر الثاني منقوافل التموين وقواعدها، ومن الاساطيل التجارية ومرافقها٠

(٢) كالطرادة ، والمدمرة ، والنسافة ، وكانسة الالغام وزارعه الالغام ، والزوارق المسلحة ٠

(٣) مثال ذلك مصير الاساطيل اليابانية على يد القوى البحرية الامريكية ، خلال الحرب العالمية الثانية ٠

الثقيلة (١) • وكان من جراء ذلك أن ظهرت الى الوجود قطعة بحرية جديدة ، هي حاملة الطائرات، التي ما لبثت الا قليلا حتى صارت القطعة الرئيسية المركزية فى كل عمارة بحرية ، آخذة هكذا مكان الدارعة الثقيلة •

وهناك الطوربيد الجوي الذي يشكل خطرا عظيما على الحاملات والدراعات ، والقنابر الثقيلة (٢) التي تفتك فتكا ذريعا بالطرادات والمدمرات • وباستطاعة طيران القنص المسيطر على السماء ، الصاعد من مدارج الحاملات أو المطارات الثابتة القريبة من مياه المعركة ، باستطاعته ازالة طيران المراقبة والقصف والمطاردة التابع للعدو ، أو طرده من السماء فوق العمارات الماخرة ، وبذا يحتكر أحد الطرفين فوائد السيطرة الجوية لصالحه •

وعلاوة على ما تقدم ، يسمح الطيران القوي بالحد من فاعلية الحصار البحري ، وبتدمير القوافل التجارية الماخرة فى البحار الضيقة، وبتوسيع طائل الغواصات ومداها ، والقيام بالاستطلاع الجوي البعيد فوق البحار لخدمتها • والطيران ، مهما كان قويا ، لا يستطيع النيل من فاعلية الحصار الواسع فى المدى والمساحة ، لكن مثل هذا الحصار لا ينجح أو يتحقق الا نادرا ، وفى أوضاع جغرافية مؤاتية •

ان مساهمة القوة البحرية ، فى هزيمة العدو النهائية ، هي ، كما سبق فقلنا ، مساهمة غير مباشرة • وهي لذلك متقلبة متبدلة، تختلف أهميتها النسبية فى كل زمان ، وفى كل حرب ، وفقا لاحتمال فرض الحصار البحري ومقدار نجاحه وتأثيره على الخصم ، وتبعا لخطورة العمليات البحرية ، وامكانات الغزو البحري ، ومراميه ومعانيه • وقد أوجد التقدم الفني والاقتصادي نظريات متضاربة حول قيم الحصار البحري ونتائجه ، لاسباب عدة وبواعث متنوعة ، بعضها يؤيد الحصار ويبين فوائده ومنافعه ، فى حين يعمد البعض الآخر الى التقليل من قيمته وتأثيره • ولا يمكن الحكم فى هذه النظريات والتمييز بينها ، الا فى نطاق حالات معينة ، بظروف جغرافية واقتصادية خاصة • فالبلاد المحاطة بالبحار ، مثلا ، لا تستطيع الحياة دون حرية المحيطات وسلامة

---

(١) قنابل القاصفات • (٢) وكذلك الصواريخ الحديثة

مسالكها • وكثافة السكان جعلت كثيرا من الامم مرتبطة لمعيشتها بما تستورده من أغذية عبر البحار • كما وخلق التطور الصناعي ارتباطا متزايدا بالمواد الأولية المستوردة •

واذا كان الاتفاق فى الآراء ، حول أهمية الحصار البحري ونتائجه غير تام ، فالاتفاق بالمقابل اجماعي على الاقرار بخطورة الغزو البحري ومحاسنه • الا ان حملات الغزو المائي الحديثة ، هي عمليات دقيقة معقدة ، باهظة التكاليف ، تستدعي مراكب عديدة ، وتسهيلات خاصة فى مناطق الاركاب والابحار والانزال ، من مرافيء صالحة ، وتجهيزات مؤاتية للتحميل والتفريغ والنزول والايواء • كما وان احتلال شواطيء العدو أمر لم يعد بالهين والسهل، لما يعترضه من حقول الالغام والحواجز المائية ، والغواصات ، والطيران ، والحصون الساحلية • ولم تعد السيطرة البحرية وحدها كافية للنجاح فى انزال جيش الى بر العدو، بل يقتضي أن ترافق بسيطرة جوية كاملة فوق نقاط الانزال ومناطقه، طيلة جريان العملية •

وقد تأثرت قابلية الحركة النسبية فى الاساطيل البحرية ، بتطور الصناعة ووسائل المواصلات ، وفقدت الاساطيل ، من جراء ذلك، أفضلياتها الاستراتيجية على القوات البرية • فقد ربحت البحرية سرعتها النسبية عند ظهور الملاحة البخارية، واختفاء المراكب الشراعية، وصار استعمال الناقلات العائمة ، فى تحريك الجيوش ، خيرا من نقلها على الاقدام والدواب • غير ان هذا الربح ما لبث ان اختفى بانتشار الخطوط الحديدية ، والطرق المعبدة ، ووسائط النقل الميكانيكية، وبذا انتقلت الافضلية فى النقل الاستراتيجي الى القوى البرية ، فى جميع المناطق الغنية بشبكات المواصلات • ثم زاد تطور الطيران ، وظهور النقل الهوائي ، فى نوع هذه الافضلية ونسبها • هذه الأفضليات، مضافا اليها الصعوبة فى تحقيق السيطرة الجوية فوق البحار الضيقة ، التي تسهل تغطيتها بالقاصفات القائمة من قواعد برية ، وتفوق المطارات فى سرعة البناء ويسر التحضير والاعداد ، على بناء الحاملات وتكاليف هذا البناء وعسره ، بدلت كلها من قيم المقاييس الاستراتيجية ، عند مقارنتها لدى كل من القوتين البرية والبحرية ، وخاصة فى البحار

الداخلية، والبحار المغلقة ٠

تتألف العمارات البحرية ، من نوعين من الاساطيل هما :

- الاساطيل المقاتلة ،
- والاساطيل التجارية ٠

وتقدر الحمولة بالاطنان ، وسرعة السفن بالعقد ، وأوصافها بنوع المحروقات والمظهر الخارجي ، والتصميم الداخلي ، والمادة ، والجدة ٠ وتتعين خصائص السفن المقاتلة بالمهام المطلوبة، ونوع الدرع، والمدفعية وعيارها ومقدارها ، وتتوزع السفن الى اساطيل :

- الميدان ،
- والاستطلاع والمطاردة ،
- والغواصات ،
- وزارعات الالغام وكانساتها ،
- والناقلات والمنزلات ،

وجميعها مدعومة بطيران الاسناد والمراقبة ، الأفقي والعامودي، التابع للحاملات فى أساطيل الميدان ٠

٧ ـ المحاربة السياسية

ترافق المحاربة العسكرية بالنشاط السياسي ٠ وقد استعملت المحاربة السياسية ، فى الماضي ، وتستعمل اليوم وغدا ، وغرضها متابعة النزاع على القوة وتحسين وسائله وعناصره ، فى المراحل التي تتقدم بدء العمليات القتالية ، وخلال هذه العمليات ، وبعدها ٠ وهي محاربة فكرية نفسية ، تتميز بجهودها المتنوعة المتشعبة ، التي تستهدف الفوز بالصداقات والمحالفات والاحتفاظ بها ، وتحطيم محالفات الخصم ٠ وترمي هذه السياسة ، من وراء ذلك ، الى توجيه جهود الامم الاخرى لصالحها ، وعزل العدو، وجعله يتحمل أعباء الحرب بأعظم قسط وأكثر خسارة ٠

تسير هذه السياسة ، يدا بيد مع سياسة أخرى تهدف الى تمزيق أوصال الوحدة الداخلية لدى الشعوب المعادية ، وخلق الشك وانمائه بين المتحالفين حول وجود مصلحة مشتركة تجمع بينهم ، والدس لبعضهم على بعض ، وعرقلة مجهودهم الحربي ، وتوسيع الهوة فى منازعات

الجماعات الداخلية وتنافر ميولها ٠

٨ ـ المحاربة الاقتصادية

لا يستطاع القيام بالحروب الحديثة، اذا لم تتوفر لقيامها ثروة غنية بالمواد الاولية ، والقدرة الصناعية ٠ وكانت الحرب ، فى الماضي، تكتفي بعدد بسيط من المصانع الحكومية ٠ أما اليوم ، فقد تنوعت مطالبها وتعقدت ، وصار لزاما أن يوجه انتاج الاقتصاد الوطني كله لخدمتها، بنسبة مرتفعة ، وتجهيز صناعي ضخم ٠ وهذه المطالب ثقيلة باهظة ، ومهما اعتدلت وخف حملها ، فلا يمكن أن تجري بصورة فعالة الا بواسطة كيان ضخم يحتوي، على الاقل، على صناعات الفولاذ ومشتقاته، والالمنيوم ، والنحاس ، والمواد الكيميائية المتنوعة ٠ وما من مقاييس للصعوبات التكنيكية المختلفة التي تتولد مع الحرب ، ولا حد لها ٠ ولن تتوقف الصعوبات أو تكف عن التعقد والتكاثر ما دامت الاسلحة والمعدات مواصلة على اضطراد التجدد والتنوع وتزايد الاستهلاك ، وما يرافق هذا الاضطراد من دراسات وبحوث تكتيكية متطورة مضنية ، واستعداد وتخطيط طويل الامد ، بعيد الافق والمجال ٠

تستهلك المحاربات الحديثة ، قسما عظيما من الدخل الوطني (١)٠ ونظرا لما تتطلبه الحرب من فائق الجهود والتضحيات ، فى الحقل الاقتصادي ، فقد أدى ذلك الى التوسع فى الاستعداد الاقتصادي لها ، وكانت النتيجة سيطرة متصاعدة على الحياة الاقتصادية فى الامة ، واستبدادا فى تحديد الاسعار ونسب الارباح والاستهلاك ، كل ذلك خضوعا للرغبات العسكرية وتلبية لمستلزماتها ٠ والخطط الوطنية التي توضع بقصد استدراك النواقص ، وزيادة الامكانات ، وتوفير الادوات والمواد ، وتنظيم الانتاج ، تبتعد بالتدريج عن ارضاء رغبات المستهلك، مضحية بها فى سبيل المصالح والمشاريع الاستراتيجية ٠

ولا تكتفي حرب اليوم بكيان عسكري دقيق منظم فحسب، بل تفرض مرافقة هذا الكيان ، ومواكبته بسياسة اقتصادية مستكفية ٠ ولما كان

---

(١) اربت تكاليف الحرب العالمية الثانية على ستين بالمئة من موارد الشعوب الانكلوسكسونية ٠

للمنتوجات الصناعية تأثير حاسم على دوام المجهود العسكري والعمل الحربي ، فقد ظهرت الحاجة الى قيام المحاربة الاقتصادية وتنظيمها، وما لبثت هذه المحاربة أن صارت تلعب دورا رئيسيا متعاظما فى الحروب الحديثة ٠

المحاربة الاقتصادية ، ترتكز فى حقيقتها وجوهرها ، على مبدأ وجود نقص ما فى الكفاية الذاتية الاقتصادية للدولة الحديثة ٠ فكل دولة تكون حياتها معلقة بالاقتصاد العالمي ، ومقيدة بتجارته وصادراته، هي دولة عاجزة عن تأمين حاجات معيشتها بنفسها ، وعجزها هذا دليل واضح على استطاعة النيل من سلامتها ومنعتها، بالمهاجمات الاقتصادية ٠ تعرّف المفاهيم العسكرية الاستراتيجية هذه المهاجمات ومراميها بأنها جهود تهدف الى تحطيم الاقتصاد الوطني الذي يغذي مجهود العدو الحربي ٠ ويعرف الغرض من الاقتصاد الاستراتيجي الدفاعي ، بانه الاحتفاظ بتمام المجهود الاقتصادي الوطني ، ووقايته ، ودوام فعاليته وكفايته وتحسينها ٠

توسعت المفاهيم العسكرية الحديثة فى تعريفها لفنون المحاربة الاقتصادية وأصولها ، وفى تنويع خططها ومناهجها ، وابتعدت بها كثيرا عن حد الحصار ودوافع الغزو والمغنم ٠ تبدأ هذه المحاربة باغلاق أسواق المتحاربين ، ومصادرة تجارتهم واملاكهم وأموالهم ، والحظر على التصدير ، ومهاجمة الاوراق والسندات النقدية ، والغاء كافة العقود والاتفاقات التجارية ٠ ولا تقتصر الدول على اقتصادياتها كأسلحة في القتال الاقتصادي ، بل تعتدي على اقتصاديات الدول الاخرى، وتسعى لأن تمنع منتوجات هذه الاقتصاديات وثمراتها على الاعداء، ومستورداتها منهم ٠ ويتحقق هذا المنع بواسطة الحصار البحري ، وبالتأثير على الدول المحايدة ، واشراكها فى القطيعة الاقتصادية ، بالاقناع والشراء ، وبالاكراه عند اللزوم ٠ وعملا بهذه السياسة ، يصنف المحايدون والمحبذون ، ويجري اخضاعهم الى سلسلة من المحاولات المختلفة ، توخيا لحملهم على قطع علاقاتهم الاقتصادية مع العدو، طيلة الحرب ٠ وتتضمن هذه المحاولات، مراقبة الشركات والنقابات والبيوتات المالية واتحادات العمال ، وتنظيم اللوائح السوداء بالمشبوهين، وألوانا

مختلفة من أشكال التهويل والوعيد بحق الافراد والجماعات ، وتهـديد المحايد بغلق أسواقه ومصادرة داخله وخارجه ، والتلميح الصريح أخيرا بالاعتداء الحربي عليه اذا هو لم يذعن •

يقابل الدفاع هذا العدوان الاقتصادي بتدابير عدائيـة معاكسة ، ويتقيه ويحتاط له بتوجيه نشاطه ، باستمرار ، نحـو خـلق اقتصادية مستكفية ، ضمن الحدود الوطنية وداخـل المنـاطق الخاضعـة مباشرة للرقابة العسكرية • وعليه أن يجد التدابير العكسية الموفقة ، الكفيلة بتجريد الضغط المستعمل ضد المحايدين من فاعليته •

ومن الظاهرات الرئيسية ، فى الاقتصادية المسيرة ، فى هذه الايام ، انقلاب الاسس فى تنظيم قواعد البيع والشراء ، وعودة الامم الى تقليد الاقوام البدائية قديما ، وذلك فى اقامة العلاقات التجارية على أساس المقايضة ، واقتصار التصدير والاستيراد على تبادلالفائض فى المواد والمحاصيل والمصنوعات ، بين الاطراف المعنية • وقد نتج هذا التحول، عن سيطرة الدولة على اقتصاديات الامـة ، وتـأتى عـن حصر التجارة الخارجية بالحكومة ، وعن اقتصار التجارة الداخلية على عمليات البيع والشراء بين المواطنين • هذه الظاهرات ، كانت من نتاج الحرب العالمية الثانية • وقد انتهت هذه الحرب ، ولكن لا يلوح فى الأفق حتى الان مـا يشير الى احتمال حدوث تبدل أو تغيير فى مخلفات الحرب المذكورة في هذا المضمار •

٩ ـ المحاربة العقائدية

ان مساهمة الاقتصاد الوطني المتزايدة فى المجهـود الحـربي ، ودور هذا الاقتصاد البات فى تقرير مصـائر الحـروب ، ونتـائج الحصار، ومفعول المحاربة الجوية وتأثيرها على السكان المدنيين ، كل ذلك غير من شكل الحـرب وميادينها ، ونقلهـا مـن نطـاق الفئة القليلة مـن الأخصائيين ، الى عالم الامة بكاملها •

لقد شمل القتال الحديث عموم المواطنين ، وربـط بينهـم بمجهود واحد عام موحد • وبات احتمال وقوع النصر وبلوغه ، وقفا على قيام مساهمة قلبية وتأييد شامل لجهود الحرب ، من لدن كـافة المواطنين ،

عسكريين ومدنيين . ولم يعد للمدنيين مفر من أن يتحملوا، كالعسكريين ، مجازفات الحرب وتضحياتها ، وأن يتقبلوا أخطارها وقيودها برضى وقناعة ، وأن تنعتق شخصياتهم من أنانيتهم وتذوب في بوتقة الصالح العام ، وأن تصاغ جهودهم وأهواؤهم في قالب الهدف الوطني وموازينه . ولقد أدى هذا الشمول ، وهذا النهج النفسي ، الى قيام نوع جديد من المحاربة ، هي المحاربة العقائدية التي توجه الىالعقل والنفس والعاطفة والاعصاب، والتي تستفز فىالانسان غرائزهالفطرية ودوافعه الحيوانية ، وتدعوه الى تقديس الذات وتفضيل مطالبها على المطالب القومية .

تصب المحاربة العقائدية نشاطها في نواحي المنازعات العائلية ، والخلافات الطبقية الشعبية ، والعنعنات المذهبية والطائفية والفكرية ، والخصومات الاقليمية ، هادفة الى تحطيم الروابط والصلات القائمة ما بين الجماعات والعنصريات التي تتكون منها الامة . وطريقتها في العمل تحقير وتعظيم ، ومغالاة في وصف كل نزاع أو تنافر اجتماعي ، في المجالات العنصرية والطبقية ، والاقليمية والمذهبية ، والاقتصاد والمبادىء. ومن أسلحتها التشهير بالانتفاعيين والمستثمرين والطفيليين والانهزاميين ، والاعلان عن كل تناقض يقوم في المعاملة ما بين مختلف طبقات الامة ، وخاصة بين الجماعات الريفية وسكان المدن ، واتهام المسؤولين بتعاطي المحسوبية والافضلية ومنح الميزات لبعض المناطق والافراد والهيئات ، وذلك عند تصرفهم بأموال الدولة ، وخاصة في عقود الصفقات الحربية ومشاريعالمصانع الجديدة. ومن أسلحتها أخيرا وليس آخرا ، التعريض بأغنياء الحرب ، ومؤامرات ودسائس لدفع الاحزاب السياسية الى القيام بمناقشات ومنازعات حول أهداف الحرب. واذا نجح هذا النوع من المحاربة ، فانه يحول الامة من قوة متحدةجبارة، الى حشود من الجماعات المتنافرة ، التي تتراشق التهم والمظنة ، والتي تعجز عن أن تجعل من مجهودها الحربي ذا نفع ضد اعداء البلاد .

تعمل المحاربة العقائدية تبعا لفن علمي خاص أطلق عليه اسم « الدعاية » ، وتظهر بأسماء مختلفة . فهي تارة محاربة نفسية ، وهي أخرى حرب الاعصاب ، وهي أحيانا الحرب الدعائية .

آ ـ الدعاية

الدعاية أسلوب المحاربة العقائدية وتكتيكها الى تحقيق أهدافها · وهذه الاهداف التي هي السبب فى ظهور الدعاية وتعاطيها ، هي تحطيم ارادة الخصم وعزمه على القتال ، وتقوية العزم الوطني وارادة المواطنين ورفع نسبها ومستواها · وميدان الدعاية هو نفسية الامة ، وعقليتها ، ووحدة صفوفها · والاتحاد بين المواطنين مظهر من مظاهر القوة والوعي الاجتماعي ، ولذا فهو غاية لأهداف العدو ، وعنوان لتدابيره العدائية · وازالة هذا الاتحاد، وتقويض دعائمه ، واستبداله بالتذمر والقلق والفوضى، وتدمير الضبط والنظام والمعنوية الشعبية، كل هذه أغراض أساسية للدعاية العدوانية ·

ب ـ المحاربة النفسية

المحاربة النفسية ، وحرب الاعصاب، والحرب الدعائية، كلها تسمية واحدة للمحاربة العقائدية · هذه المحاربة ، لا تكتفي بمهاجمة وحدة الصفوف فى الامة فحسب ، وانما تحاول أيضا الوصول الى تحطيم ارادة الفرد ورغبته فى القتال · انها تتوجه بكل ثقلها للضغط على الاعصاب، فتلقي فى روع السامع شعورا بعقم المقاومة وحتمية الهزيمة، وتبعث فى دخيلته مشاعر التوجس والخيفة وبواعث القلق ومنبهاته ، باصرار واستمرار · وهي تتفنن فى شرح حالة الضعف العسكري فى وطنه ، وفى التأكيد على نقص الاستعداد والكفاية لدى القادة والقوات المحاربة ، وتتوسع فى تصوير قوة الخصم ، وتقدير استطاعاته ، وعرض امكاناته العديدة المتنوعة التي لا تقابل ولا تقهر ·

ترتكز هذه المحاربة ، على تفاعلات النفس ازاء الارهاب وخفايا المجهول، وترجع فى أصولها الى الاعتقاد بأنمعنويات الجماعات لا تبقى، تجاه الخطر، سليمة الا في حالة معرفتها لنوعه ومداه ، وثقتها من استطاعة مقابلته · وهي لذلك تسهب فى الحديث عن الاسلحة السرية ، عاملة على خلق جو من القلق والاضطراب والضغط العصبي ، وذلك فى وصفها للمخططات المقبلة والمهاجمات القادمة· وكل هذا يجري مصاحبا ومدعوما بقصف واسع لمناطق السكن ، وبالقاء النشرات ، وعرض الافلام عن المعدات والجيوش الزاحفة التي لا تقهر ، وتهديد ووعيد

بأوخم العواقب لكل من يجرأ على المقاومة ·

ومن مقاصد هذه المحاربة ، أيضا ، اضعاف الايمان بصحة الهدف الوطني وصدقه ، والثقة بالدولة ورجالها · انه لمن الضرورة الحيوية ، لسلامة المعنوية القومية ، ان تحتفظ الامة بايمان متين راسخ بعدالة قضيتها ، وثقة تامة بزعمائها وقواتها المقاتلة · ففي مبادىء الفرد ومثله ومعتقداته تقوم عناصر قوته أو ضعفه كمحارب ، ومن الواجب أن يكيف نفسيا بحيث يرضى بالحرب ، ويتبناها كضرورة لبقائه الشخصي والاجتماعي · والانسان يتقبل الحرب بطريق الالهام والايحاء وتأثير القيم الروحية والقومية ، أكثر من تقبله لها على أساس الوعد بربح مادي · هذا النحو فى الطبيعة الانسانية ، لا مجال للشك فى صحته · فالناس عرضة للاختلاف والتخاصم حتما فى عالم المصالح ودنيا المنافع ، لكنهم متفقون متساندون غالبا ، عندما يدعون للذود عن نظام اخلاقي ومثل عليا ، أو يُلهمون بأنهم دعاة خير ورسل سلام ومحبة ، وانهم قد اختيروا من قبل العناية الالهية لنشر هذه الرسالة ، وتعميم خيراتها على الانسانية ·

والانسان ، كذلك ، يميل بفطرته الى السلام والاستقرار · وهذا الميل يحمله دوما على الاعتقاد بأنه معتدى عليه ، وان خصمه هو المعتدي لا محالة · ويرغب الانسان أن يتحلى بالادب والاخلاق وعالي الصفات ، وأن يوصف بالحشمة والكمال والتسامح والتواضع ، فى حين يعتقد فى عدوه اللؤم والخساسة والقسوة · وهو يرى فى نضال جماعته وقومه ، نضالا فى سبيل الخير ، وجهادا ضد الشر والخطيئة والفساد والعدوان · ولا يمكن لحرب حديثة ، أن تأمل فى النجاح ، ما لم تقم على أسس عقائدية ، وما لم تجر فى جو مشبع بالصوفية الروحية ، غني بالخيال النبيل الراقي ، موجه للتبشير بالمثل الانسانية والاخلاقية الرفيعة ·

وان الميل فى الانسان الى بلوغ الكمال الخلقي ، يستعمل كسلاح نفسي للكشف بواسطته عن قصور الامة المعادية ، وماضيها الفاشل ، وعجزها عن بلوغ المستوى المعترف به فى مقاييس القيم الاخلاقية · ان المهاجمة بهذا السلاح ، هي عبارة عن اتهام الخصم بالاعتداء والاجرام والغش والخداع فى القول والسلوك والمعاملة ، واستثماره للاقوام المظلومة

والشعوب الضعيفة غضبا واثما، وتدخله فى شؤون الآخرين جبرا، وانه كان دوما يتطلب القوة لشهوة القوة ، ويسيء كل مرة فى استعماله لهذه القوة • تبدأ مثل هذه المهاجمات بعرض بليغ لماضي صاحبها، عاملة على اظهاره بأنه ماض لا تشوبه شائبة ، ومتغنية بما حفل به هذا الماضي من مآثر وخدمات جليلة نحو الانسانية ، ومن رحمة وتسامح فى معاملة الشعوب لم يعرف لهما التاريخ مثيلا • يجري ذلك كله بلهجة متواضعة، وبتعليقات تؤكد بأنه لا حق لشعب بتنصيب نفسه قاضيا لمحاكمة شعب آخر ، وبأن التبشير بالكمال البشري لا يليق له الا من كان نفسه بلا ذنب أو جريرة • رالشعب ، الذي يشعر بالخجل وتبكيت الضمير من جراء استعماله للقوة فى الماضي ، يجد نفسه فى وضع سيء تجاه الشعب الذي لا يكتفي بتطلب القوة لغرض القوة فحسب ، بل يرافق مساعيه ويدعمها بالمناداة بما للقوة من قيم خلاقة ، وبالاعلان عن رغبته فى استخدام هذه القوة لصالح العدالة وخدمة المجتمع البشري ، بأسلوب يأخذ بوعي السامع فلا يرى فيما يسمع غشا ولا رياء •

تقابل المحاربة العقائدية ، بمحاربة عقائدية معاكسة • تبدأ المجابهة المعاكسة بالرد على افتراءات الخصم ، والتعليق عليها ، بقصد اثبات كذبه وتغرضه وتضليله • هذه الحملة المعاكسة ، توجه الى افراد الشعب المعادي ، والى أنصار هذا الشعب ومؤازريه من الشعوب والجماعات الاخرى • ويجب أن تجري هذه المحاربة المعاكسة بدعاية تفوق دعاية العدو قوة وبراعة وتأثيرا على النفوس والاعصاب• ولكي تكون الدعاية ناجحة ، يجب أن تُبنى مستندة على حقائق ووقائع، وأن تتجنب الادعاء والمباهاة وتهديد الآخرين جميعا دونما تمييز (١) • ويجب أن لا يمنع المواطنون من الاستماع الى دعاية العدو ، فكل ممنوع مرغوب ، بل يقتضي على العكس تأمين الوسائط وتوفيرها لهذا الاستماع ، ومقاومة تأثيرها فى ذات الوقت ، وذلك باقامة الدليل على بطلان هذه الدعاية ، وكذبها وتغرضها ، والفات الانتباه الى ما تتضمنه

---

(١) كما فعل الحلفاء الانكلو سكسونيون في الحرب العالمية الثانية ، عندما اعلنوا عن متابعتهم للحرب الى ان تستسلم المانيا بلا قيد او شرط ، الامر الذي تسبب في اطالة امد الحرب بلا موجب ، والذي قضى على توازن القوى في اوروبا •

من تهديدات بشر العاقبة ، وسوء المنقلب ، فى حالة فوز صاحبها وانتصاره ٠

١٠ ـ المحاربة الشاملة

الشعب ، الذي يحسن سياسات الحرب ، والذي يخوض محارباتها المختلفة بفن ومعرفة ، يستطيع الدخول فى حرب حديثة ٠ والحرب الحديثة حرب شاملة ، تقوم على مجهود ضخم من قبل الامة جمعاء ، مجهود يتجلى بفاعلية متدفقة ، ويعم جميع النواحي من عسكرية ، وسياسية ، وعقائدية ، واقتصادية ، واجتماعية ٠

وليست الحرب الشاملة اختراعا يعود فضل اكتشافه الى شعب بعينه ٠ انها نتيجة متراكمة مكثفة للاحداث والاسفار الاحترابية عبر التاريخ ٠ وقد برزت هذه الحرب ، على شكلها الحالي ، ولأول مرة ، فى الحرب العالمية الاولى ، عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، ثم نمت وترعرعت فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، واستكملت أصولها وفنونها فى الحرب العالمية الثانية ، حرب عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، لتغدو بعدئذ أنموذجا يقتدى به ، وقاعدة تتبع ، ونظاما فى الاستعداد لكل حرب ٠

وكانت لهذه الحرب مدرستان: مدرسة ألمانية، ومدرسة أنكلولاتينية ٠ ولها اليوم أيضا مدرستان : مدرسة سوفياتية، ومدرسة أنكلوسكسونية ٠ ولقد فشلت المدرسة الالمانية فى الحربين العالميتين المتواليتين ، وانتهت بعسكريتها الى الفشل والهزيمة ٠ ومع انها تعتبر السابقة فى تبني الحرب الشاملة والتحضير لها، لكن فشلت رغم ذلك لخلل فى دفتها وعطل فى أجهزتها القيادية العليا ٠ أما بخصوص السوفيات والانكلوسكسونيون، فقد برهن هؤلاء ، خلال الحرب العالمية الثانية ، عن اتقانهم للحرب الشاملة ، وأعطوا الدليل على مهارتهم فى تسيير دفتها وجني ثمارها ، وعلى استخدام وسائط المدنية المعاصرة خير استخدام وأكمله فى سبيل الاغراض الحربية ٠

لقد استطاعت المدرسة الثانية ، خلال الحرب العالمية الاخيرة، اجراء

المحاربة الشاملة فى جميع المجالات والساحات • فقد نجح الحلفاء (١)، وهم أصحاب هذه المدرسة ، فى أن يبنوا لأنفسهم جهازا عسكريا ضخما، واستطاعوا بواسطة هذا الجهاز أن يمارسوا الحرب على ثلاث قارات ، وأن يضربوا حصارا محكما على دول المحور (٢) ، وأن يجبروا عددا كبيرا من الدول المحايدة على التعاون معهم ، كما وسخّروا لخدمة مصالحهم عددا من الجماعات المتنافرة المتعادية •

ضرب الحلفاء الحصار على أعدائهم،وأرغموا العالم المحايد على قبول هذا الحصار ، والرضى به ، والمساهمة فيه • وقد استعملوا الدعاية على نطاق واسع، فنجحوا فيها وتفوقوا، وبعثوا عن طريقها الخصومات والعنعنات والثورات فى الاراضي التي كانت تحتلها المانيا ، وتسببوا فى تناحر الفئات والطبقات فى جميع مناطق الاعداء • كما وتوصلوا بواسطة الدعاية الى تشويه سمعة نظم الحكم الدكتاتورية ، والى اقناع شعوب دول المحور بأنه لا فائدة ترجى من قتالها ، وان من خيرها وصالحها وسعادتها أن تثور على حكوماتها ، وأن تقلبها وتستبدلها بأخرى محبة للسلام والمصالحة مع الدول والشعوب الاخرى •

وفى الجهة المقابلة ، فشل الالمان فى بلوغ النصر ، فى حربين عالميتين متواليتين • لقد ربحوا معظم المعارك التي وقعت خلال الحربين المذكورتين ، لكنهم خسروا فى معارك الجولة الاخيرة الفاصلة • لقد أجادوا فى وضع الخطط العسكرية الرائعة ، وفى الفنون الحربية ، وامتازوا بدقة التنظيم وصلاحه فى مختلف مجالات النشاط والمنجزات، وأدنوا أعداءهم من حافة الدمار ، وباتوا من النصر على قاب قوسين أو أدنى • وقد أحسنوا كذلك فى اجراء المحاربة الاجتماعية والعقائدية ، وتمكنوا بواسطة هذه المحاربة من اشعال الثورات وخلق التيارات الناقمة والمعاكسة للحرب فى بعض مناطق اوروبا وافريقيا والشرق الاوسط •

---

(١) الحلفاء ، في الحربين العالميتين الماضيتين ، هم روسيا وفيما بعد الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية ، وانكلترا ، وفرنسا ، وبقية الدول الاخرى الدائرة في فلك هذه الدول •

(٢) تالفت دول المحور ، في الحرب العالمية الثانية ، من المانيا وايطاليا واليابان ، ومن دول اوروبا الوسطى : رومانيا ، بلغاريا ، والمجر ، ومن ثم فنلندا احدى دول اسكنديناقيا

لكنهم خسروا فى النهاية ، لأنهم ظلوا دوما على عجز فاضح فى تفهم نفسيات الشعوب الاخرى ، وفى معاملة الشعوب والاقوام المغلوبة وسياستها ، وفى ادارتهم لدفة الحرب العليا واختيار قادتها ٠

في الحرب العالمية الثانية ، لم تضف المدرسة الالمانية ، على ممارسة المحاربة ، شيئا سوى التحسين والتهذيب والاتقان ٠ غير ان النازية ، التي تولت الحكم في المانيا قبيل هذه الحرب ، أوجدت تغييرا كليا في التطبيق ، واختلافا أساسيا بليغا في التوقيت والنسب والموازين ٠ لم يكن الاعداد للحرب ، في عصر ما قبل النازية ، يتضمن غير التحضير السياسي والعسكري والاقتصادي ٠ وكان العمل في بلاد العدو ، مقتصرا على الجاسوسية التابعة للمصالح العسكرية ، وعلى الجهود السياسية من قبل الممثلين السياسيين المعترف بهم ٠ وكانت محاربات الاقتصاد والمبادىء ، لا تبدأ الا بعد انطلاق الرصاصة الاولى ، وكانت تتبع المحاربة العسكرية لا تسبقها ٠ وظلت الحال على هذا المنوال ، حتى جاءت النازية ، فغيرت في نظام هذا الترتيب ، جاعلة من المحاربة العسكرية نهاية للصراع العنفي لا بداية له ، ومن المحاربة العقائدية طليعة تتقدم زحف الجيوش كما تتقدم النيران المدفعية.وكما تتقدم الطائرات المنقضة ، والجحافل الدبابة طلائع المشاة ٠ وكانت الحرب ، في تفكير كلاوزويتز ونظرياته ، متابعة للسياسات بوسائط اخرى غير السياسة ، فأصبحت وفقا للفلسفة النازية غاية للسياسة ، واصبح السلم مرحلة تمهيد للحرب بوسائل اخرى غير الحرب ٠

ولقد صارت النظرية الجديدة ، المتقدمة الذكر ، حقيقة مسلمة ٠ وكان ان نتج عنها ان زال التمييز بين اشكال وقت السلم واشكال وقت الحرب ، ولم يعد تعيين هذه الاشكال ممكنا بصورة محددة ٠ وكذلك لم يعد ممكنا للدول ان تكتفي فى تحديد التحضير للدفاع الوطني ، وتعريفه بأنه استمرار للطوارىء ، واستدراك لاحتمال وقوع الحرب ٠ وصار محتما عليها ان ترى فى الحرب عاملا طبيعيا مرافقا لحياة الشعوب ، وان تستعد لها على الدوام ، وتعتاد عليها ، وان تواصل هذا الاستعداد ، وتحسنه بصورة متصاعدة مستمرة ٠ فالحرب الشاملة ، هي حرب دائمة ، فلا تتوقف ، ولا تهدأ ، ولا تنطفئ ٠

ولقد انتهت الحرب العالمية الثانية ، منذ ربع قرن و نيف ، ولا زالت الاستعدادات للحرب قائمة بين الامم ، ولا زال السلم سلما بالشكل والمظهر الخادع ، لا بالجوهر والمعنى · وقد نتج عن هذه الحرب قيام ثلاث دول جبارة عملاقة ، هي :

ـ الاتحاد السوفياتي ،
ـ الصين ،
ـ الولايات المتحدة الامريكية ·

هذه الدول العملاقة ، الواسعة الغنى بمساحاتها وثرواتها وسكانها ، دائبة على التطاحن فيما بينها ، وعلى التزاحم والتنافس على زعامة العالم والسيطرة على شئونه · ولقد ادى هذا التطاحن والتزاحم الى قيام السباق على التسلح ، وخاصة في حقل الاسلحة النووية وارتياد الفضاء · وكان من نتائج ذلك ان ظهر ما هو معروف ، في عالم اليوم ، بتوازن الرعب ، هذا التوازن المتأتي عن الهلع والخوف من مفعول الاسلحة النووية · ان في عالم اليوم ، خمس دول تمتلك اسرار الذرة وصناعة الاسلحة الذرية · هذه الدول هي الاتحاد السوفياتي ، والولايات المتحدة ، وانكلترا ، وفرنسا والصين (١) · بيد ان الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية هما الدولتان الوحيدتان حاليا ، اللتان تؤهلهما امكاناتهما واستطاعاتهما الصناعية والتكنيكية الجبارة الى استباق جميع الدول الاخرى في هذا المضمار ، والى الوقوف الواحدة تجاه الاخرى موقف الترقب والحذر في آن واحد · هذا الموقف ، المترقب المتخوف ، الناتج عن اعتقاد كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية بالقدرة على تدمير بعضهما البعض ، هو الاساس الذي يقوم عليه توازن الرعب ، وهو الذي يحدو بكل منهما الى تجنب الاصدام بالقوة مع الاخرى ، ويحملهما على القبول بفض خلافاتهما ، ولو على مضض ، بطريق الدبلوماسية ومنظمة الامم المتحدة ·

وكذلك كان من نتائج التسابق ، بين الاتحاد السوفياتي والولايات

---

(١) ويمكن اضافة الهند الى هذا العدد ، كما ويخشى ان تكون اسرائيل من ضمنه ايضا ·

المتحدة الامريكية ، في حقل التسلح ، ظهور الصواريخ عابرة القارات والمحيطات ، التي تحمل رؤوسا نووية ، والتي باستطاعتها ان تمطر الموت والخراب على بعد آلاف الكيلومترات من نقاط انطلاقها . كما وظهر في عالم الفضاء تسابق في مجال الاقمار الصناعية ، المستعملة الآن للاغراض العسكرية والعلمية والتجارية على السواء ، وأيضا مركبات الفضاء ، التي يستخدمها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في دراسة احوال الفضاء ، وفي التعرف على عالمه اللامتناهي .

الفصل السابع

المفهوم التطبيقي للاستراتيجية العسكرية

١ ـ اشكال المحاربة العسكرية

تظهر اهداف المتحاربين بوضوح في سياستهم الخارجية • فالحرب ، سواء كانت متابعة للاجراءات السياسية كما عرفها كلاوزويتز ، أو نهاية للصراع العنفي كما عرفتها النازية ، تظل سياسة مع مزيج من الوسائل الاخرى غير السياسية • كما وان فن الحرب ، في أرقى مظاهره وأسمى اعتباراته ، يبقى سياسة ، لكن سياسة تخوض المعارك ، بدلا من كتابة الرسائل والمذكرات الدبلوماسية •

وتكون أهداف المحاربة ، محدودة وغير محدودة • ولذلك فلها نوعان من الاستراتيجية : استراتيجية الابادة ، واستراتيجية الاستنزاف • هدف استراتيجية الابادة ، هو المعركة الحاسمة • وهدف استراتيجية الاستنزاف ، هو هزيمة الخصم بالتدريج ، وذلك باستعمال واسطة من عدة وسائط ، كالمناورة ، والمهاجمة الاقتصادية ، والاقناع السياسي ، والدعاية ، والمقاتلة ذات النفس الطويل ، أو باستعمال كل هذه الوسائط معا ، حسبما تدعو الحاجة لبلوغ المقصد السياسي •

ولا تفضيل لنوع استراتيجي على آخر ، الا بموجب الموقف الذي يتم اختياره ، بناء على وضع المحارب الجغرافي ، وامكاناته بالنسبة الى خصمه ، أو خصومه • وبعد اختيار النوع الملائم من الاستراتيجية ، والبدء بتطبيقه ، يصير من الواجب تجنب كل ما من شأنه ان يتسبب فى ازعاج الاطراف المحايدة واغضابها ، وفي مرور حلفاء جدد الى جانب الخصم •

الاستراتيجية واسطة لا غاية • وتتغير أشكالها تبعا للظروف ،

ومقتضيات الوضع القائم · والتطور الذي يطرأ على جريان القتال ، هو الذي ينبيء بوجوب احداث تغيير ما في شكل الاستراتيجية المتبعة · فالمعركة ، مثلا ، عندما تصبح ، في حد ذاتها ، واسطة لا غايـة ، تكون الدليل على ان استراتيجية الابادة قد فشلت ، وانه يقتضي التحول عنها الى استراتيجية الاستنزاف ، بانتظار توفـر الشروط الموافقـة ، مـن جديد ، للرجـوع الى استراتيجية الابـادة ، أو لانهاء الحـرب بصورة شريفة ، بعقد صلح مثلا ، وتسيير دفة الحرب والسياسة ، وتوجيهها في هذا السبيل ·

ان الاساس الجوهري ، في استراتيجية الابـادة ، قائم على قاعـدة توجيه الضربة القوية على خطالعمليات ، الذي هو خط القرار الحاسم، وتفادي العمل على الخطوط الاخـرى ، الضعيفة النتائـج بالنسبة الى الخصم ، والى سياق الخطة العامة · امـا استراتيجية الاستنزاف ، فهي تهدف الى قيام تعـادل في القوى ، او تفوق فيها على الخصم ، وتسعى لذلك الى تبديد جهود هذا الاخير واتعابه ، بقصد زحزحته عـن تشبثه وعناده ، وحمله على العودة الى حالـة السلم · وهـي تعني في نطـاق التطبيق ، اقتصار التعرض على النقاط ذات الافضليـة التعبويـة أو التكتيكية ، أي حيث يكون النجاح اسهل منالا · والغرض من ذلك ، هو الحصول على انتصارات تؤثر ـ وان كـانت غير حاسمة ـ في معنوية الخصم ، وتميل به الى الرضى بمبدأ الصلح السلبي ، الذي لا ربح فيه لأحـد ·

ويجب ان لا يغيب عن البال أن التوازن في القوى ، او التعادل فيها يعني ، في مفهوم الطرف المقابل ، تفوقه في هذه القوى ، ولو كان ذلك بنسبة ضئيلة ·

٢ ـ تكيف الاستراتيجية مع الغرض السياسي والتطور التكنيكي

لا يجوز أن ينظر فى فكـرة استراتيجية ، واعتمادهـا نهائيا ، دون اعتبار للغرض السياسي · فالفكـرة الاستراتيجيـة هي وليدة الغرض السياسي ، وسبيله الى التحقيق· ولا نجاح لخطة عامة، لا تحدد بوضوح شكل الاستراتيجية، الشكل الذي يجب اتباعه فى تصميم خطط العمليات، وفى تنفيذها ·

ولقد ظهر ، خلال الحربين العالميتين ، تحول تكنيكي كان له الاثـر البعيد فى تعديل أوجه التطبيق ، لكلا النوعين من الاستراتيجية • هذا التحول كان انتقال الطاقة القتالية ، من قاعـدة العضـل والكمية ، الى قاعدة التكنيك والكيفية ، انتقال أحدث ثورة تكاد تشبه ، فى تأثيرهـا وابعادها ، تلك الثورة التي حدثت فى المـاضي ، عندمـا انتقلت الطاقة الحربية من قاعدة المشاة ، الى قاعدة الفرسان الخيالة •

أحدثت الخيالة ثورة، لما صارت العمود الفقري للعمليات العسكرية• وأصبحت المسائل العسكرية الاساسية ، عقب ذلك ، تدور حول المرعى، والعلف وتموينه واختزانه ونقله • وكـان اذا عجـز أحـد الفرقـاء المتحاربين عن تأمين هذه الامور لخيله ، أو اذا هي منعت عليه، صارت خيالته مقعدة عاجزة ، وسقطت من حساب الحرب كقوة قتالية ، رئيسية فعالة ، فى حين يصبح الفريق الآخر ، الذي يحتفـظ بخيالته جـاهزة للقتال والحركة ، على تفوق ساحق حاسم • وفى حـروب المغول والتتر برهان واضح على ذلك • فتحركات هؤلاء الغزاة ، وعملياتهم الصاعقة، سريعا ما كانت تتحول الى الجمود والفشل ، فى كل مرة كانوا يتوغلون فى أرض واسعة فقيرة بالمياه والاعشاب •

وكما أن الكلأ هو حيوي للخيل ، كذلك البتـرول بالنسبـة الى الآلة الميكانيكية • وكما أن المراعي تكوّن المناطق الحيوية لحركات القـوات العظيمة من الخيالة ، وذلك لمعيشة عجلاتها الحيوانية، كذلك هي المناطق الصناعية، التي تشكل مناطق حيوية لانتاج القوات العظيمة من الأسلحة الميكانيكية • فى الماضي ، كان منع المراعي عن العدو يؤدي الى ضعفه ، وتضاؤل امكاناته فى الخيل والفرسان • واليـوم يـؤدي منـع المناطق الصناعية عن خصم ميكانيكي الى نقص سريع ، وعجز حاسم فى تموينـه بالطائرات والمدرعات المقاتلة، والعجلات الناقلة والسيارات الدفعذاتية•

ان لهذا التحول المعاصر فى الطاقة الحربية وحركيتها ـ أي ميكانيكية الجيوش ـ تأثير عميق على الاستراتيجية العسكرية ، بنوعيها الابـادة والاستنزاف• وحرمان الخصم من المناطق المعتبرة حيوية لجهوده الحربية ومعيشة قواته يكون عملا أكثر أهمية وفائدة من كسب الانتصارات في

الميدان (١) ، على اعتبار أنه يحطم الاساس الذي تقوم عليه طاقته الحربية ، أساس جيشه وطيرانه وأسطوله •

٣ ـ تكيُّف الاستراتيجية مع الوضع الجغرافي

الوضع الجغرافي للمتحاربين ـ من حيث موقع مناطق العمليات الحيوية بالنسبة الى حدود الفريقين الارضية ـ يعيِّن ، الى حد بعيد ، نوع الاستراتيجية الواجب على المهاجم أن يأخذ بها • فاذا كانت المنطقة الحيوية ، مثلا ، قريبة من الحدود ، قربا كافيا يسمح للتعرض بأن يحتفظ بقوة زخمه الاولية، حتى السيطرة الكاملة على المنطقة المذكورة، فالاستراتيجية التي تكون حالئذ أجدى وأبعد أثرا ، والتي يجب على على المهاجم أن يعمل بموجبها ، هي استراتيجية الابادة • وأما اذا كانت المنطقة الحيوية ، على العكس ، بعيدة نائية ، فاستراتيجية الابادة وحدها تكون عندئذ غير وافية ، وتكون ، ازاء خصم ماهر فى التراجع، وبعد أن يضعف زخم الاندفاع المبدئي ، مجازفة خطرة قد تعرض الى أخطار جسيمة ، كأن يجد المهاجم نفسه وقد صار كالغارق الى أذنيه فى مغاصة من الرمال والوحول المتحركة ، الامر الذي يشكل تهديدا عظيما لسلامته ومصالحه الحيوية (٢) • فهو لن يصير مبتعدا نائيا عن مراكز تموينه فحسب ، بل وسيكون ـ فى حال استطاعة الخصم وقدرته على الاحتفاظ بقواته جاهزه فى يده وتحت تصرفه ـ مكشوفا لهجوم معاكس، فى نقاط متعددة من جبهته ، وذلك قبل أن يتمالك انفاسه وينجح فى العثور على مخرج من ورطته ومحنته (٣) •

ولهذا فان استراتيجية الاستنزاف هي الاستراتيجية الصحيحة، وذلك كل مرة تكون منطقة العدو الحيوية بعيدة عن قواعد الشروع بالتعرض، وذلك الى ما بعد أن يتم احتلال المساحة الكافية من الارض ، باتجاه تلك

(١) ان عدم الاخذ بهذه الحقيقة ، في الحرب العالمية الثانية ، ادى بالالمان الى الخسارة في هذه الحرب •

(٢) وقع مثل ذلك لنابوليون في روسيا عام ١٨١٢ ، وللالمان في روسيا ايضا ، في الحرب العالمية الثانية •

(٣) مثل ذلك حدث في الحرب العالمية الثانية ، للالمان في روسيا ، وللبريطانيين في لبيا بقيادة الجنرال ريتشي

المنطقة الحيوية ، مساحة تشكل بعدئذ قاعدة يصح الانطلاق منها للعمل على أساس استراتيجية الابادة • ان العجز ، أو التقصير ، فى تفهم الروابط القائمة ما بين السرعة والمساحة ، كثيرا ما يوصل آخر الامر الى الخسارة والهزيمة المحققة •

٤ ـ استراتيجية الابادة

تهدف هذه الاستراتيجية ، الى القضاء التام ، فى أقصر وقت ، على كل مقاومة مسلحة للعدو • وهي تعرف ، أيضا ، باسم استراتيجية التدمير، واستراتيجية التصفية النهائية فى جولة واحدة • وهي، بتعبير أكثر وضوحا ، لا تستهدف رئيسيا غرض احتلال الاراضي ، ولا ارغام جيوش العدو على اخلاء مراكزها ، وانما تدمير هذه الجيوش بجملتها، وازالتها من عالم الوجود •

كل الأنظمة العسكرية المعتبرة ، تقول ان الهدف النهائي لجميع العمليات الحربية ، هو تدمير قوات العدو المسلحة • كما وانها تنادي جميعا بأن غايات المحاربة الاساسية ، هي تحقيق نصر حاسم ، والقضاء التام على كل مقاومة مسلحة للخصم • الا ان تطبيق هذا القول ليس حرا من كل قيد • فالتطبيق يظل، كما تقدم القول فى المادتين (٢) و (٣) المذكورتين أعلاه ، مرتبطا نوعا ما بالاوضاع الجغرافية والتطورات التكنيكية ، وبموقع المناطق الحيوية ، لدى جميع الاطراف ، من قواعد الحدود •

لاستراتيجية الابادة نظريتان :

- نظرية الحرب الصاعقة ، المبنية على فكرة المعركة الواحدة ،
- ونظرية المعارك المتعاقبة •

كان الالمان ، فى الحرب العالمية الثانية ، من دعاة النظرية الاولى • وكان الروس من أتباع النظرية الثانية • عمل الالمان بمفهوم الحرب الصاعقة ، وكانوا لذلك يقذفون بكل قواهم ، فى هجوم كبير واحد ، هجوم فيه الكثير من المخاطرة والمجازفة • وكانت المعركة النموذجية، فى اعتبارهم ، معركة «كان»، التي جرت قديما بين الرومان والقرطاجيين، عند المدينة الايطالية القديمة المعروفة بهذا الاسم • وكانت هذه المعركة عبارة عن تطويق الخصم تماما ، ثم تدميره بكامله •

غير أننا ، بالمفاهيم المعاصرة، لا نرى في اصطلاح «المعركة الواحدة»، من حيث الزمان والمكان ، مفهوما مماثلا على غـرار معركة « كان » • فهذه المعركة لم تدم سوى بضع ساعات ، وجـرت عـلى ساحة لا تزيـد مساحتها عن مساحة ميدان لسباق الخيل• أما المعركة الواحدة، بمفاهيم اليوم ، فقد تكون مجموعة من عدة معارك ، وقد تجري على ساحـات واسعة متعددة، والشبه الوحيد بينها وبين معركة « كان » هو في النتيجة، بمعنى ان القتال ينتهي ، كما انتهى في المعركة التـاريخية القديمة ، بتدمير جيش الخصم تدميرا تاما ، وفي ساحة رئيسية معينة • مثال ذلك معركة بولونيا في أيلول ١٩٣٩ ، ومعركـة فرنسا في أيـار وحزيران ١٩٤٠ •

والمعركة الواحدة ليست هي بالتأكيد معركة حاسمة، الا عندما تؤدي الى النصر والى انهاء الحرب •

وكان الروس ولا زالوا يفضلون العمل بنظرية الابادة على أسـاس المعارك المتعاقبة ، وذلك لاعتقادهم بأنه لا يمكن بلوغ النصر بواسطـة معركة واحدة ، بل بنتيجة الفوز في عدد من المعارك المتلاحقة • ويقوم اعتقادهم هذا على ما توفره أراضيهـم الواسعـة الشاسعـة ، ووفـرة مواردهم وثرواتهم ، وكثرة سكانهم من استطاعة على مقابلة الخصم في عدد كبير من الساحات ، وعلى مواجهتـه في كل ساحـة بقـوات كبيرة مستندة على احتياط ضخم من الرجال والعتاد•

لاستراتيجية الابادة بالمعارك المتعاقبة ، ثلاثة أنواع من التطبيق :

- الابادة بالتجزئة ،
- والابادة بالانتصارات المتراكمة ،
- والابادة حتى النهاية •

أ ـ الابادة بالتجزئـة

الخصم أكثر عرضة وسهولة للتدمير ، عندما يكون معزولا وعاجزا عن المناورة ، أي عندما يكون مطوقا • والعمل بمبدأ التجزئة ، يقـوم على أساس تطويق قوات العدو المعزولة ، وتحويلها بتطويقات داخليـة الى جيوب محصورة ، ثم الشروع بتدميرها جيبـا تـلو جيب • ويتـم التطويق بضرب نطاق كامل حول كل قسم قـد أمكـن عزله مـن جيش

العدو ، بواسطة قوات متفوقة • ومبدأ التجزئة هـذا ، هو عين المبـدأ السياسي الذي ذهب على ألسنة الناس مثلا ، والذي هو « فرق تسد »• وكلما صغرت مساحة المنطقة المحاصرة وضـاقت ، كلما سهلت عمليـة تدمير العدو المحصور فيها •

ان عملية الابادة بالتجزئة ، فى حالة الاختـراق ، هي الواجب الاول لحركات الالتفاف والهاجمات على الجـوانب والاجنحـة• والمناورات بالنار، تستهدف غايات مماثلة كذلك• ويجري التدمير بالنار، بواسطة حشد كثيف لنيران سريعة وغير منتظرة ، تنصب فجـأة على عنـاصر العدو الهامة، بقصد افنائها على التوالي، واحدة تلو أخرى• ويشترط أن يصار الى تدمير الجيوب المعزولة فى وقت واحد معا • واذا لم يمكن ذلك، فيجب منع بقيةقوات العدو وجيوبه المعزولة عن الحركة والفاعلية، بينما يجري تدمير الجيوب الاخرى •

ب ـ الابادة بالانتصارات المتراكمة

يستدل من دراسة الحروب المعاصرة ، بوضوح ، أن المحاربة الحديثة لا يمكن أن تؤدي الى الفوز والغلبـة النهـائية، الا بنتيجـة عـدد من الانتصارا ت المتتـابعة بانتظـام وتخطيـط ، وان المتابعـة ، فى ادارة العمليات ، شرط أولي للنجاح • والفكرة الاستراتيجية المستخلصة مما تقدم، هي نفس الفكرة القاعدة التي تبنى عليها النظرية فى استراتيجية الابادة المتعاقبة ، ألا وهي المرحلية ، والاستعداد الكافي والحشد القوي لكل مرحلة ، أي لكل معركة وانتصار • ويجب أن تكـون الانتصارات المتراكمة حاصلا لمعارك ذات شخصية متميزة ، وأن تتلاحق فى المكـان والزمان تبعا لنظام واحد محدود ، وأن تكون مرتبطة بعضها مع بعض، برباط المسعى الواحد ، لبلوغ غرض استراتيجي واحد •

لا امكان ، فى هذا المجال ، للقول بأفضلية فكرة استراتيجية على فكرة استراتيجية أخرى• فكلا النظريتين صحيحتان وصالحتان، لكن التطبيق، فى كل نظرية ، يبقى رهنـا بعـدد مـن الشروط ، شروط فى الظـرف والاوضاع والامكانات والفرص • وطبيعي أن كـل فكـرة ، مهما تكن قوية وجيدة ، ليست اطلاقية ولامتناهية فى الصلاح والجودة ، وانها لا

بد عاجزة عن تحقيق الغرض المنشود من ورائها ، اذا هي طبقت على قاعدة وضع الشيء فى غير محله ٠

ج ـ مقارنة وخلاصة

ان استراتيجية الابادة بالحرب الصاعقة هي الأصلح مبدئيا ، لكن للطرف الذي لا يعمل الوقت لصالحه ٠ أما استراتيجية الابادة بالمعارك المتعاقبة ، بأنواعها المتعددة ، وبما تعنيه من فسحة فى الوقت ، ووفرة فى الموارد والارض ، وقابلية للعمل على المدى البعيد والنفس الطويل ، فهي الأصلح بالطبع للطرف ذي الاراضي الشاسعة الواسعة ، والموارد الفنية الوفيرة ، والنظام السياسي القوي المتين ٠ فى استراتيجية الحرب الصاعقة مغامرة ومجازفة ، فاذا هي أدت الى نصر ، فالمرابح عظيمة وفيرة، والا فالخسارة واقعة وان هي قد لا تعرض حتما الى هزيمة ٠ ولهذا السبب ، سبب المخاطرة والمجازفة ، فانه لا يقدم على هذه الاستراتيجية سوى الطرف المحدود الموارد ، والذي لا يعمل الوقت لصالحه ٠ وهكذا كان حال الالمان فى بداية الحرب العالمية الثانية ٠

تبنى الالمان، فى الحرب العالمية الثانية، استراتيجية الحرب الصاعقة، أي سياسة الابادة بالمعركة الواحدة ، بالمفهوم المعاصر ، طيلة الحرب ٠ وكانوا فى ذلك موفقين الى أن هاجموا الاتحاد السوفياتي ، وبذا حدث موقف حربي جديد لا امكان لمعالجته باستراتيجية الحرب الصاعقة٠ ولما أصر الالمان على متابعة المحاربة على أساس هذه السياسة ، لم يلبثوا أن أفلتوا زمام الامور من أيديهم ، وأخذوا يسيرون فى طريق الهزيمة مسرعة تصاعدية متواصلة ٠ فالاستراتيجية الصاعقة كانت صالحة للحرب كما جرت على الارض البولونية ، والارض الفرنسية٠ فجميع الظروف والاوضاع كانت موافقة للالمان فى بولونيا وفرنسا ، ولذا تمكنوا من النصر بسرعة وفاعلية ٠ أما على الجبهة السوفياتية ، فكان الوضع قد اختلف تماما ، ونشأ موقف جديد يدعو الى استراتيجية المانية جديدة ٠ ولكن الالمان لم يفعلوا ذلك ، وكان أن خسروا الحرب فى روسيا السوفياتية ، وبخسارتهم هذه ، خسروا الحرب العالمية الثانية ٠

لقد خسر الالمان فى روسيا ، للاسباب الرئيسية التالية :

١ ـ كانت استراتيجية الابادة بالمعركة الواحدة ، فى حد ذاتها ، غير صالحة للمحاربة فى الاراضي الروسية ، لاتساع هذه الاراضي وضخامتها ، ولما تتوفر فيها من الثروات والموارد الطبيعية والصناعية المتعددة المتنوعة ، بالاضافة الى سكان يتفوقون عددا على الالمان بمقدار ضعفين ونصف تقريبا • وكانت الاستراتيجية المناسبة لمعالجة ذلك الموقف ، هي استراتيجية الابادة بالمعارك المتعاقبة ، مع قليل من استراتيجية الاستنزاف ، وبخطوات مرحلية •

٢ ـ لقد أخطأ الالمان فى اختيار وتعيين الهدف الاستراتيجي وخط العمليات • وكان هذا الخطأ حاصلا فى اختيار نوع الاستراتيجية الحربية الملائمة • لقد استهدف الالمان تحطيم الجيوش السوفياتية وتدميرها ، وذلك فى مواجهة خصم لا تنضب موارده ، عوضا عن ان يستهدفوا مصادر هذه الموارد ، أي حرمان الخصم من مناطقه الحيوية ••

٣ ـ لم تكن لدى ادارة الحرب الالمانية العليا ، متابعة فى الفكرة ، ولم تكن الانتصارات الالمانية المختلفة ، على الجبهة الروسية ، مرتبطة بعضها مع بعض ، برباط المسعى الواحد ، لبلوغ الهدف الاستراتيجي الواحد • وكان التردد والتلبك طابع الخطط الالمانية فى الجبهة الشرقية ، كما ولم يكن لهذه الخطط خط عمليات واحد أو ثابت ، خط القرار الحاسم ، بل حارب الالمان فى هذه الجبهة على عدة خطوط •

ان اختيار طرف ما لنوع من الاستراتيجية ، كاستراتيجية الابادة بالمعارك المتعاقبة ، مثلا ، لا يحول دون قبوله بكسب الحرب فى معركة واحدة اذا سمحت الظروف والفرص بذلك • وهنالك أسباب كثيرة يراها البعض مبررة لتفضيل العمل بمبدأ استراتيجية الابادة بالمعارك المتعاقبة ، منها الاهتمام الزائد بالحسابات المنطقية ، والنفور من المغامرة ، والرغبة فى تخصيص كل عملية بقوة ضاربة قوية ، متزايدة القوة بطريق الاحتياط الوفير •

د ـ الابادة حتى النهاية

هذا النوع هو المرحلة الاخيرة من مراحل استراتيجية الابادة بالمعارك المتعاقبة · وهو يعني متابعة الجهد الهجومي فى مراحل الاستغلال والمطاردة ، دون توقف او تباطؤ ، ليلا نهارا ، وذلك حتى القضاء الكامل على العدو المتراجع · والعمل لتحقيق مثل هذا الغرض ، يتطلب حشد القوى المخصصة لهذه الواجبات ، والاحتفاظ بها متأهبة قيد الطلب ، وتجهيزها بالامكانات التي تؤهلها للقيام بالمطلوب منها على خير وجه · وهذه الاستراتيجية قائمة على أساس الاعتقاد بأنه لا داعي للقيام بالهجوم ، اذا لم يكن من المستطاع استغلال نتائجه · ولهذا الاعتقاد ، فى نظر الروس السوفيات ، تشابه وارتباط مع المبدأ الجهادي الذي يقول بالامتناع عن اشمال جهادية ما ، اذا لم يكن وراءها ارادة واستعداد للمضي بها حتى النهاية ·

ان الاستراتيجية ، المبنية على غرض تطلب تدمير الخصم فى سلسلة من المعارك المتعاقبة ، هي ، الى حد ما ، وفى بعض اشكالها ، على شيئى من الشبه مع استراتيجية الاستنزاف · والفارق ، الذي يميز بين الاستراتيجيتين ، هو كون المناورة ، الجارية بقصد التسويف والتنفير من القتال هي الغاية النهائية من استراتيجية الاستنزاف · هذا بينما تهدف الاستراتيجية الاخرى الى التدمير التام لقوى العدو ، بصورة متدرجة ومعارك متعاقبة ·

ويمكن القول بأن غرض الاستنزاف هو انهاك العدو واتعابه فى معنوياته ، وحمله على الخروج من القتال بنتيجة ذلك · هذا بينما تهدف استراتيجية التدمير بالمعارك المتعاقبة الى العمل على تدمير قوات العدو وموارده بخطى وئيدة ، دون استعجال ، والتحضير لكل معركة دون أي اعتماد على الحظ والمغامرة ·

الفصل الثامن

النظريات التكتيكية المعاصرة وتطبيقها

التكتيك حتى نهاية الحرب العالمية الاولى

لا تعتبر الجماعة المسلحة جيشا ، أي قوة عسكرية مقاتلة ، ما لم تستجب لارادة رأس واحد • فجيش برؤوس متعددة هو ، بكل بساطة ، أشبه ما يكون بعجيبة وحشية • كما وان كل جماعة عسكرية ـ أي قوة منظمة ـ لا يمكن اعتبارها جيشا ، ما لم يتأمن اطعامها وتموينها بصورة مستمرة منتظمة • فالجيش اذن ، والحالة هذه ، هو مؤسسة مثلثة الأطراف تحتوي على :

ـ جسم ، وهو الايدي المحاربة ،
ـ ومعدة ، وهي المصالح الادارية ،
ـ ودماغ ، وهو القيادة •

ولما كان تدمير أي من هذه الأطراف الثلاثة ، يجعل الطرفين الآخرين عاجزين مقعدين ، لذا كانت هنالك ثلاثة أنواع من الأهداف التكتيكية • يتمثل النوع الاول ، من هذه الاهداف ، بالأيدي المحاربة ، ويشغل من الارض ، المنطقة الخارجية أو المتقدمة • ويتمثل النوعان الثاني والثالث ، فى القيادة والمصالح الادارية ، ويحتلان من الارض ، المنطقة الداخلية والخلفية • والتوزيع هكذا ، على أساس الاشغال الأراضي ، يؤدي الى اعتماد منطقتين تكتيكيتين لأغراض التعرض والدفاع ، هما :

ـ منطقة المقدمة ،
ـ منطقة المؤخرة •

فى الحرب العالمية الاولى ، ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، وفى السنتين الاولى من

هذه الحرب ، عندما عمت المحاربة المخندقـة ، صارت الجبهات متصلة ، بلا جوانب • ونظرا لأن هذه الحالة جعلت من الصعب ، ان لم نقل مـن المستحيل ، القيام بالالتفاف حول الجبهة أو تطويقها ، وبالتالي مهاجمة المنطقة خلفها ، فقد غـدت المسألـة التكتيكية مسألـة اختراق للجبهة فحسب • وكانت الطريقة الظاهرة لتحقيق هذا الاختراق ، هي فتح ثغرة فى جبهة العدو ، بنيران المدفعية الغزيرة المركـزة وعمليات الاقتحام ، ثم العبور خلال الثغرة الحاصلة • وكانت الفكرة فى ذلك ، فى الظاهر ، مقنعة ومقبولة الى درجة كافية • وقـد طبقت أول الامـر نتيجة لهذه القناعـة •

الا انه بمرور الوقت ، وبنتائـج التطبيق ، وبعد التعمق فى دراسة تلك الفكرة وتمحيصها ، ظهر انها كانت فى الواقع غير عملية ، وأنها لم تكن لتؤدي الى تحقيق المنشود من ورائها ، للأسباب التالية :

أ ـ كـانت عمليـة الاختراق تستغرق وقتا طويـلا ، فى الاعداد والتحضير والتنفيذ • هذا الوقت الطويل ، كـان لا يمر دون أن يستشم الخصم فى الجـو شيئا مريبـا ، ودون ان يعطيه نوعا من الانذار المبكر بقرب وقوع هجوم عليه ••

ب ـ كان القصف التمهيدي الطويل الأمـد ، يـؤدي الى تحديد البقعة المهددة فيعمد الخصم حالئذ الى تعميق دفاعاته عليها ، وتعديل هذه الدفاعات وتقويتها ، بما يكفي لمواجهة الهجوم المتوقع ••

ج ـ ان كثافـة القصف وشدتـه ، كـانت تمزق الأرض تماما ، بحيث تتدمر خطوط المواصلات المتقدمـة ، وبحيث كان يصير من الصعب جدا تحريك العجلات فى ساحة المعركة ، بعد الانتهاء من القصف ••

د ـ كان استبدال منطقة مخندقة ، أو بالاحـرى تحويـل منطقة مخندقة ، الى منطقة مغطاة بالحفر ، لا يقدم فى أية حال حلا ما لمقاومـة المدافعة • ان نتيجة القصف ، لم تكـن سوى احلال نوع من الارض المخندقة مكان نوع آخر جديد لا يقل صعوبة ووعورة وقابلية للدفاع عن سابقه •

هذه الصعوبات والتحفظات جميعها ، جـرى التغلب عليها فى معركة « كامبرى » ، فى تشرين الثاني عام ١٩١٧ ، وذلك باستعمال الدبابات · فقد حشدت الدبابـات ، لتلك المناسبة ، بسريـة وسرعـة ، وتحركت للهجوم دون قصف تمهيدي من المدفعية ، وبهذا احتفظت ساحة المعركة بسلامة الارض من الحفر والفوهات التي كان يسببها انفجار القنابل · ومع أن موقعة « كامبرى » قد فشلت ، من حيث انها لم توصل الى تحقيق الهدف العام المنشود ، لكنها حققت رغم ذلك ثورة تكتيكية · فهي قـد أبانت عن اكتشاف وسيلة هجومية جديدة ، وسيلة أثبتت عمليا قدرتها على اختراق منطقة المعركة ، المنطقة الاماميـة ، بسهولـة واقتصاد فى الجهود ، وجعلت مناطق المؤخرات ، ومراكز القيادات ، مهددة هكذا فى كل وقت ·

هذه الاستطاعة الميكانيكية ، على اختراق الخطوط الدفاعية ، أعادت الاعتبار الى تكتيك الخيالة الذي كان سائدا قديما ،عندما كانت الخيالة سيدة الميدان بلا منازع · كانت الأهـداف المباشرة ، لذلـك التكتيك ، مهاجمة قيادة الخصم ، قبل مهاجمة قواته المقاتلـة ، وذلك حتى تصير هذه القوات عند مهاجمتها عقب ذلك مشلولة عاجزة ، بنتيجة حرمانها من أجهزة التوجيـه والادارة · وقـد عـاد الاعتبار لهذا التكتيك ، فى السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الاولى ، وقـام تطبيقه على أساس استعمال أرتال قوية من العجلات المدرعة الدبابـة ، العاملـة بالتعاون والتساند والحماية مع الطيران ، بالاضافة الى حمايتها من قبل وحدات المشاة المرافقة · كانت الدبابـات تبدأ فتخترق المنطقة المتقدمـة ، فى طريقها الى المناطـق الخلفية ، الى قيادات الفرق والفيالق والجيوش · ومع ان هذا التكتيك قد ظهر فى أواخر حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، لكنه لم يطبق عند ظهوره كما ينبغي ، ولم يلق الاهتمام الجدير به ، الا من قبل الألمان ، الذين تفهموه وطبقوه على أحسن وجه ابتداء من عام ١٩٣٩ ، عند بداية الحرب العالمية الثانية ، على النحو الـذي عـرف فيما بعد بتكتيك الحرب الصاعقة ·

٢ ـ التكتيك بعد الحرب العالمية الاولى

لا تختلف الحرب الصاعقة المعاصرة ، فى مراميها ونتائجهـا ، عـن

الحرب الصاعقة التي كانت معروفة فى عصور اليونان والرومان والمغول، الا بالواسطة • ان واسطتها اليوم هي الدبابة والطيارة • وكان الحصان واسطتها فى الازمنة القديمة • فى تلك العصور ، عندما كانت الخيالة سلاحا تعبويا وتكتيكيا ، كان كثيرا ما يحدث ان يؤدي هجوم ناجح ، على قيادة العدو ، الى تمزيق الجيش المحروم هكذا من قيادته ، والى خسارته وهزيمته • وقد حدث مثل هذا فى كثير من المعارك التاريخية الهامة ، منها مثلا معركة « اربيلا » ، التي وقعت عام ٣٣١ قبل الميلاد ، بين جيش الفرس بقيادة الملك دارا (١) ، وبين الجيش اليوناني الصغير بقيادة الاسكندر المكدوني ، المعروف بالاسكندر الكبير • وفى العصور التي كانت فيها الزعامة والقيادة مجتمعين فى يد شخص واحد ، كان مجرد موت هذا الشخص ، فجأة ، يؤدي الى النتيجة نفسها •

وقد ظهرت ، بعد الحرب العالمية الاولى ، نظرية تكتيكية جديدة ، نظرية غير ممكنة الا بواسطة الميكانيك المتقدمة ، وبطريق الجو عوضا عن اليابسة • هذه النظرية كناية عن نقل منطقة القتال والعمليات الحيوية ، من ساحة الارض فى جبهة القتال ، الى ساحة المعنويات لدى السكان ، على اعتبار أن أهم نقطة وأخطرها فى مؤسسة الخصم الحربية ، هي ارادة المدنيين ، وعزيمتهم على الرضى بالقتال ومتابعته• فاذا تحطمت ارادة السكان ، ووهنت عزائمهم بالذعر والارهاب ، فان آلة الحكم كلها ، بما فيها القيادة العسكرية ، ستئول الى السكون والتوقف عن الحركة •

وكان القائل الاول بنظرية المهاجمة عن طريق تحطيم المعنويات ، وأشد انصارها ، الجنرال الايطالي الطيار « جيوليو دوهت » ، الذي قام ، بعيد انتهاء الحرب العالمية بقليل ، بنشر آرائه وشرحها فى كتابه المشهور « السيطرة على الجو » • وتتلخص هذه الآراء فى نقطتين :

---

(١) اربيلا ، او اربيل ، في شمال سوريا ، مكان للمعركة التاريخية الشهيرة بهذا الاسم ، وفيها تشتت الجيش الفارسي حال هرب الملك دارا ، ثم قتله بيد احد الخصيان ، وذلك بنتيجة نجاح اليونانيين في هجومهم على قلب الجيش الفارسي •

أ ـ ان الجيوش ، التي قاتلت في حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، لم تكن سوى وسائط استخدمها كل طرف ، في محاولته للقضاء على المقاومة لدى الطرف الآخر . وقد انتهى ذلك الاستخدام الى هزيمة الطرف الذي ربحت جيوشه اكثر المعارك عددا ، واعظمها شدة وبأسا (٢) . اما السبب ، في وقوع مثل هذه النهاية الغريبة ، فمرده معنوية المدنيين . اذ انه لما ضعفت هذه المعنوية ، وزالت منها الرغبة الكافية في المقاومة ، عندئذ اخذت الجيوش ، التي كانت منتصرة حتى آخر لحظة ، تستسلم وتتبدد ، واستسلم اسطول بحري بكامله ، سالما ، الى العدو . ان التفكك الذي اصاب دول الحلف الاوسط (٣) ، في الحرب العالمية الاولى ، على هذا الشكل ، تأتى ، بصورة غير مباشرة ، عن أعمال الجيوش في الميدان . أما في المستقبل، فستحصل النتيجة نفسها عن طريق القوى الجوية . وهذا هو الفارق ما بين المحاربات الماضية ، والمحاربات المستقبلة ..

ب ـ يكون التدمير الجوي ، الذي يجبر على اخلاء المدن من مئات الألوف من السكان ، اكثر فاعلية ، في التمهيد للنصر ، من معركة من ذلك النوع الذي كان سائدا في الحرب العالمية الاولى ، والذي لم يوصل الى نتائج ملموسة . ان الأمة ، التي تصل الى وقت تفقد فيه السيطرة الجوية فوق سمائها ، والتي ترى نفسها ، بنتيجة ذلك ، هدفا لمهاجمات مستمرة على مراكزها الحيوية ، دون ان تستطيع المقابلة بالمثل ولو على سبيل الانتقام ، هي ، مهما عظمت قواتها الأرضية ، لا بد واصلة الى الاعتقاد بعقم جهودها وسدى تضحياتها ، والى فقدان كل امل بتحقيق النصر . ومثل هذا الاعتقاد ، ليس الا مقدمة للهزيمة .

لم يدع الجنرال دوهت ، في كتابه ، الى التخريب عوضا عن احتلال المناطق الحيوية التي تحتوي على الصناعات والمطالب اللازمة لحياة

---

(٢) المانيا وحلفاؤها ، والمانيا خاصة .

(٣) المانيا ، وتركيا ، واتحاد النمسا والمجر .

قوات العدو ، وادامتها في الميدان • لقد دعا الى شيئى آخر أشد وأدهى ، الى اجبار الخصم على الاذعان والتسليم ، دون ان يستعمل جيوشه ولا أساطيله البحرية لذلك • ولقد تطبقت نظرياته ، وتحقق قسم كبير من استنتاجاته ، خلال الحرب العالمية الثانية • ففي هذه الحرب ، ادى القصف الجوي ، مع التقهقر في ميادين القتال ، الى استسلام ايطاليا ، وكاد يؤدي الى استسلام المانيا ، لولا اصرار الحلفاء السكسونيون والسوفيات على شرط الاستسلام بلا قيد او شرط • وكذلك ادى القصف الجوي الذري وحده ، لمدينتي هوروشيما وناكازاكي ، الى استسلام اليابان بلا قيد او شرط أيضا ، في حين كانت جيوشها وأساطيلها لا تزال على مقدار عظيم من القوة والفاعلية ، ومسيطرة على جميع الأراضي التي احتلتهابعيد دخولها الحرب •

ان نظرية الحرب الصاعقة ، المبنية على أساس القوة الميكانيكية المؤلفة من الطيران والعجلات المدرعة المقاتلة ، والعاملة في ساحات الحروب التقليدية ، ونظرية الجنرال دوهت المبنية على الطيران وحده ، هما الطارئان الجديدان في ميدان التكتيك ، في أعقاب الحرب العالمية الاولى • اما الحرب العالمية الثانية ، فلم تأت من جهتها بجديد في عالم التكتيك • لكن هذه الحرب قد توسعت في تطبيق نظرية دوهت ، الى درجة يصح معها القول بولادة نظرية استخدام الفضاء للأغراض الحربية ، بواسطة القذائف الضخمة عابرة القارات ، والعربات الفضائية ، والاقمار الصناعية • وجميع هذه النظريات ترتفع بمسألة المحاربة ، من دنيا المادة الى عالم المعنوية • فالهجوم على قيادة جيش العدو ، يهدف الى ضعضعة القوات المقاتلة ، بينما يهدف الهجوم على المدنيين ، بطريق الجو او الفضاء الخارجي ، الى ضعضعة الحكومة وتدمير معنوياتها ، وتحطيم ارادتها وعزمها على المقاومة •

هذه النظريات الثلاث تسير ، من حيث الفكرة ، في اتجاهات مستقيمة متوازية ، لكنها تختلف في التطبيق اختلافا كليا • فالنظرية الاولى ، نظرية الحرب الصاعقة ، تقضي بدمج الجيش والقوى الجوية في قوة واحدة مؤتلفة منسجمة ، بينما تقوم النظريتان الأخريتان على أساس الافتراق عن الجيش ، ليصبح هذا عبارة عن قوة بوليسية ،

مهمتها مقتصرة على احتلال البلد المعادي ، بعد ان يكون قد استسلم بنتيجة المهاجمات الجوية أو الفضائية · وقد دعيت هذه المهاجمات بالقصف الاستراتيجي · وكان العمل ، وفقا للنظرية الاولى ، مقتصرا فى الاساس على ميدان التكتيك ، وكانت المعركة الحاسمة غاية الاستراتيجية · اما فى النظرية الثانية ، وفى النظرية الثالثة ، فقد اختلف الامر ، اذ انتقل العمل ، جذريا ، من حقل التكتيك العسكري ، الى الساحات المدنية ، وصار تدمير طاقة الحياة لدى السكان غرض التكتيكات الجوية والفضائية · ولا تدعو هاتان النظريتان الى الاستغناء عن الجيوش ، انما تبدلان من أدوارها ، وتحولانها من قوة ضاربة ، الى قوة بوليس واحتلال ·

٣ ــ النظريات الثلاث فى ميدان التطبيق

أ ــ فى المانيا وانكلترا :

بقيت النظرية الاولى عمليا حبرا على ورق ، الى أن تبناها هتلر على أثر مجيئه الى الحكم فى المانيا ، عام ١٩٣٣ · وقامت للنظرية الثانية دعاية واسعة ، وصار لها أنصار كثيرون ، وخاصة فى انكلترا ، ومن ثمّ فى الولايات المتحدة · فقد تحمس الانكليز لنظرية دوهت ، واستبقوا غيرهم فى تبنيها ووضعها موضع التنفيذ ، فى اطار قوة جوية مستقلة · وكان هذا التحويل بالقوة الجوية ، من سلاح مساعد الى سلاح مستقل منفصل ، ملائما لوضع انكلترا الجغرافي كجزيرة بحرية ، هذا الوضع الذي حمى الجزيرة من الغزو الخارجي ، وجعل من الهجوم عليها عملا صعبا ، والذي ، فى ذات الوقت ، يعسِّر عليها تقديم المساعدات البرية الى حليف فى القارة · وقد بنى الانكليز تفكيرهم على أساس انه اذا كانت أفكار الجنرال دوهت صحيحة ، فهي عندئذ تعطي حلا لمسألتهم المزمنة المستعصية، التي هي استطاعة التدخل فى حرب أوروبية بفاعلية، وبالحد الادنى من التكاليف والقوات · ان القوة الجوية ، وفق دوهت، تستطيع الحلول مكان القوة البرية ، وذلك بواسطة الغارات القاصفة المنطلقة من الجزيرة ، غارات تغني عن ارسال الحملات الكبيرة عبر البحار ·

ب ـ في فرنسا :

فى فرنسا ، الوضع مختلف عن الوضع فى انكلترا • فليس بين فرنسا وألمانيا شيء شبيه بالقناة الانكليزية • وكانت فرنسا تفتقر أيضا الى الطاقة البشرية اللازمة لمواجهة حرب ألمانية جديدة ، ولذا عمدت، لكي تتغلب على صعوباتها ، الى تحويل أراضيها الى جزيرة صناعية ، وذلك بأن بنت خط « ماجينو » ، وهو خط دفاعي كان أصحابه يرون فيه ، في ذلك الزمن ، نوعا من جدار بحري أعد لحماية الارض الفرنسية من طوفان ألماني • ولم ينشىء الفرنسيون لأنفسهم قوة جوية مستقلة، لأنهم كانوا لا يعتقدون بصحة آراء الجنرال دوهت ، وينظرون الى القصف الجوي على أنه مجرد واسطة معدة لتزيد من مدى ومفعول المدافع المقامة على حصون ماجينو •

اتخذ الفرنسيون والانكليز من هاتين السياستين الخاصتين ، أساسا للاستعداد للحرب العالمية الثانية ، والشروع فيها عند شبوبها ، منطلقين من النقطة التي انتهت عندها الحرب العالمية الاولى ، مع فارقين اثنين، هما: أولا، حلول خط ماجينو مكان الخنادق القديمة على الجبهةالغربية •• وثانيا ، بناء الانكليز لسلاح جوي مستقل عن الاسلحة الاخرى ، لكن على مقياس متواضع •

ولقد اعتقد الفرنسيون والانكليز ، ان الحرب ستبدأ بحصار ، وان هذا الحصار سيمكنهم من الوقت الكافي لانتاج المدفعية الجوية اللازمة لتدمير ألمانيا ، وتأمين العمارات البحرية الكافية لحصارها • الا انهم لم ينجحوا فى خططهم هذه ، ولم تصدق تنبؤاتهم • وكان السبب لهذا الفشل ، ناتجا عن مشيئة الاقدار ، التي أرادت أن تقع ألمانيا تحت سحر رجل كانت له سياسة واضحة وخطة جلية ، وقد اجتمع فى شخصه الخيال والعقيدة والواقعية • وكان هذا الرجل هو الهر هتلر ، زعيم النازية•

ج ـ في ألمانيا :

منذ عام ١٩٢٦ ، عندما كان هتلر عاكفا على وضع كتابه «كفاحي»، كان يرى أن الحرب المقبلة ستكون ميكانيكية، وانالميكانيكيات ستتفوق فى القتال كأسلحة حاسمة • وكان هتلر يعتنق نظرية كلاوزويتز القائلة بالحرب الشاملة المطلقة ، ويتبنى استراتيجية الابادة • وكان أيضا

يعتقد فى الحرب كفاية سياسية • ولما كان هدفه الاصلي هو ايجاد مجال ألماني حيوي ، فقد عمد لذلك الى صياغة تكتيكاته وتكييفها بتأثير من غايته هذه • وكانت تكتيكاته تبتغي كلها تدمير ارادة العدو وصرفه عن المقاومة ، فى أقصر وقت ، وبأقل الخسائر •

جمع هتلر تكتيكه مركزا فى نظريتين :

١ ـ مهاجمة بالدعاية ،

٢ ـ ومهاجمة صاعقة بقوة ضاربة متفوقة •

وكان تفكير هتلر قريبا من تفكير الجنرال دوهت ، لكن بطريقة معكوسة ، أو الأحرى بترتيب معاكس • فهدفه كان يرمي الى ضرب ارادة الخصم ، قبل اندلاع العمليات المسلحة لا بعدها ، وليس فىميدان مادي بدني، بل فى الميدان الفكري• ومن آرائه فى هذا المجال، المقتطفات التالية :

ـ يستعاض عن القصف المدفعي التمهيدي ،الذي يتقدم أعمال المهاجمة ضد المواقع المخندقة ، بدعاية قوية ترمي الى تحطيم نفسية الخصم قبل أن تبدأ الجيوش أعمالها • يقتضي أن تنحطّ معنوية العدو ، وأن يصير جاهزا للخضوع والاستسلام ، غارقا فى جمود نفسي ، مسيرا دون أن يعي الى حيث لا يجب أن يسير ، وذلك قبل أي تفكير فى تنفيذ العملية العسكرية ••

ـ وعلينا أن نحصل على مناصرين لنا من رعايا الاعداء فى كل بلد ، وأن نستخدمهم لصالحنا • ان أسلحتنا المفضلة لذلك هي الفوضى المعنوية ، والميوعة الروحية ، والعواطف والآراء المتضاربة المتطاحنة ، والذعر والتردد ••

ـ يجب أن نتوصل ، فى غضون دقائق معدودات ، لجعل البلدان المعادية بلا زعامة ، وجيوشها بلا قيادة ولا أركان ، وأن تخلو ساحاتها من جميع الزعماء السياسيين ••

ـ وحين يصير العدو مضعضع المعنويات ، واقفا على أبواب ثورة أهلية ، متفسخا تهدده القلاقل الاجتماعية والغرائز اللاعقلية ، عندئذ تحل الفرصة المؤاتية ، وحينئذ

تكفي ضربة بسيطة لتقويض دولة العدو وتدمير كيانه ...

د ــ المدفعية الفضائية :

كانت النظريات التكتيكية ، التي تقدم بيانهـا ، تحمل جميعا على الظن بجريان الحرب المقبلة بطريقة مختلفة تمام الاختلاف عن الحرب السابقة . الا أن أشكال المهاجمة ، ومبادئها ، بقيت كما كانت ، دون تبديل ولا تغيير .

أما نظرية الفضاء الخارجي ، التي هي الى حد ما امتـداد وتوسع فى النظرية الثانية ، نظرية الجنرال دوهت ، فقد بـدىء بتطبيقهـا لدى الألمان ، فى السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الثانيـة . وكان الدافع الى ذلك كثرة الخسائر فى الطائرات والطيارين الآدميين، والحاجة الملحة الى ايجاد بديل لمواجهة النقص المتزايد فى انتاج البترول ومشتقاتـه ، هذه المادة الحيوية لحركة العجلات والطائرات . وكانت النظرية، مبدئيا، مبنية على أساس استبدال القصف بواسطة الطـائرات ، بقصـف آخر يجري بواسطة صواريخ تنطلق متوجهة الى أهدافها ، دون طيار . وقد طبقت الفكرة عمليا ، فصنع الصاروخ الطائر ، الذي كـان أول الامر بسيطا ومحدود الفاعلية ، وأخذ الالمان يقصفون به الجزر البريطانية، وخاصة لندن العاصمة . وكـان الغـرض مـن ذلـك كله ، التوفير فى الطيارين ، وايجاد سلاح ينطلق عبر الفضاء بقـوة اشتعـال ناتجة عن شيء خلاف البترول ومشتقاته . وكان المفعول الاولي لهذا الصاروخ، على تعدد نماذجه، قليل التأثير والفاعلية. وكان بطيء السرعة، بحيث استطاع الطيران الانكليزي تدميره وهو فى الجو ، قبل أن يبلغ أهدافه .

انتهت الحرب العالمية الثانية ، والصاروخ الالماني لا يزال فى مراحل طفولته . ولما وضعت الحرب أوزارها ، تقاسم الحلفاء فيما بينهم جميع المخلفات الالمانية ، ومن جملتها العلماء والمعلومات المسجلة والمحفوظة . وقد خرجت الولايات المتحدة الامريكية، والاتحاد السوفياتي، وبريطانيا العظمى بحصة الاسد من هذه القسمة . وهذه المخلفـات التي تقاسمها الحلفاء ، صارت الأساس الذي قام عليه سلاح النظرية التكتيكية الثالثة، سـلاح :

ــ القذائف الموجهة عابرة القارات ،

ـ والمراكب الفضائية ،

ـ والاقمار الصناعية •

وهذا السلاح الجديد ، سلاح الفضاء ، يستجيب لغايات استراتيجية وتكتيكية على السواء • فهو يضاعف من مدى وفاعلية القصف الاستراتيجي مئات وألوف المرات ، تبعا لقوة الرؤوس النووية التي تحملها القذائف ، ويمطر الخراب والدمار على جبهات القتال ، وعلى المدن المأهولة بالمدنيين سواء بسواء • لكن لهذا السلاح ، على أهواله وعظيم خرابه ومضاره ، بعض الحسنات • فهو باهظ التكاليف الى حد يجعل من غير الممكن صنعه وتخزينه ، الا على الدول الكبرى ، القوية في الصناعة والتكنولوجيا ، والغنية بالموارد والثروات الطبيعية • وهو أيضا سلاح ذو حدين ، يعطي لكل محارب امكانية تدمير الطرف الآخر، بحيث يكون التدمير متبادلا ، وبحيث لا تنتهي الحرب الا والخسارة ، لدى جميع الاطراف ، فائضة عن الارباح ، والموت والدمار عاما جميع أراضي ومدن المتحاربين دون تمييز أو استثناء •

وهذه الاستطاعة المتبادلة على التدمير المرعب الرهيب ، أدت الى قيام ما هو معروف اليوم بتوازن الرعب ، بين الدول التي تمتلك هذا السلاح ، وأخصها الولايات المتحدةالامريكية والاتحاد السوفياتي، الامر الذي يحدو بكل دولة نووية أن لا تكون البادئة بالقصف الذري ، والى الانفاق الباهظ على أجهزةالرصد ومحطاتالرقابة وأسلحةالاعتراض• ومن الممكن جدا ، أن يحول هذا التخوف المتبادل ، دون اللجوء الى استعمال الطاقة الذرية لاغراض حربية ، كما حال التخوف المتبادل من فتك الغازات السامة دون استعمالها ، بعد الحرب العالمية الاولى • فاذا حصل ذلك ، فسيقتصر استخدام سلاح الفضاء على واجبات الرصد والتجسس والاستطلاع ، وعلى اجراء البحوث والدراسات العلمية ، الهادفة الى التعريف بأحوال الاجرام السماوية والعوالم الفضائية المحيطة بالكرة الارضية •

الباب الثالث

المفاهيم التطبيقية للتكتيك والاستراتيجية

روحية الاستراتيجية ـ القائد ـ القيادة

الفصل التاسع

المفاهيم التطبيقيـة

للتكتيك والاستراتيجيـة ـ روحية الاستراتيجيـة

١ ـ المفهوم التطبيقي للتكتيك

القائد العظيم ، هو الذي ينجـح فيحمـل خصمـه على القتال رغم ارادته • وفى هذا التعريف البسيط الموجـز ، تلخيص للقتـال بفنونه وممارسته •

مبادىء الهجوم بسيطة • انها ، عمليا ، مجموعة محاولات، وتدابير وحيل لاستدراج الخصم وزعزعته عن مواضعـه ، وارغامه على قبول المعركة • وهي ، أيضا ، اغاظته وتحديه ، بقصف مواصلاته وقوافـله ومقراته مثلاً، أو باجراء التحركات العسكرية بحرية من مكان الى آخر، على مرأى ومسمع منه ، دون أن يستطيع منعها أو عرقلتها ، طالما ظل قابعا فى مكانه •

اذا لم يقبل الخصم ، رغم الاغاظة والتحدي ، بالخروج من مواقعه، والدخول فى معركة ، فيقتضي حالئذ أن يجـري البحـث عن محاولات جديدة ، بجهود لا تنقطع وعزم لا يكـل ، وبخـطط تتسـم بالاقـدام والابتكار • والتاريخ العسكري ، يقدم لنا حوادث وأمثلة عديدة عــن

قادة كبار كان انتصارهم ناتجا عن توغلهم فجأة داخل مراكز الخصم ، للقبض بذلك على موقع « مفتاح » قوي دفاعيا ، موقع لا يسكت العدو عن خسارته وفقده ، بل يضطر مرغما الى القيام بمحاولات لاسترجاعه، والى القبول بمبدأ تحطيم قواه عليـه فى سبيـل ذلـك • الحالة من هذا النوع، تجمع الىفوائد التعرض الاستراتيجي، فوائد الدفاع التكتيكي• ومن الامثلة على ذلك ، توغل الجيوش الالمانية فى الاراضي الفرنسية، فى مستهل الحرب العالمية الاولى ، ثم وقوفها على الدفاع ، فى حين أخـذ الفرنسيون يحاولون استرجاع أراضيهم مرة بعد أخرى، هادرين الكثير من الدماء ، ومضحين بطاقتهم البشرية فى مهاجمة الاسلاك الشائكة ، وأوكار المدفعية والاسلحة الرشاشة ، التي كانت تحمي مواقع الالمـان الدفاعية على الارض الفرنسية المحتلة •

يندر كثيرا ، أن توصل المهاجمات الجبهويـة الى نتـائج حاسمـة• فالنتائج الحاسمة ، قديما وحديثا ، تكون غالبا حاصلا لعمليات التفاف واسعة ، على جناح الخصم ، بقـوات كبيرة مـؤثرة • وقد زادت هذه الحقيقة ظهورا وبروزا، فى السنوات الاخيرة، نظرا لما تسببه المهاجمات الجبهوية من خسائر باهظة ، بفعل النيران الكثيفة السريعة ، والمعدات الميكانيكية المتعددة •

٢ ـ المفهوم التطبيقي للاستراتيجية

ما من سياسة استراتيجية عسكرية أغلى ثمنا ، وأكثر اهراقا للدماء، من سياستي الانهاك والاستنزاف المتبـادل ، ولا خطـة استراتيجيـة أو تكتيكية أكثر اجدابا وتقصيرا ، من خطة المهاجمات الجبهوية •

اذا تعسر القيام بالالتفاف ، ولو فى مناطق بعيدة أو نائية ، أو بفتح جبهات جديدة، ووضح انه لا مفر من العمليات الجبهوية، فالامر يستدعي عندئذ تفهما عميقا للمبادىء العسكرية الاستراتيجية الصحيحة، وتطبيقا منطقيا لهذه المبادىء ، بمقتضى الاوضـاع والظـروف الراهنة • هذا التفهم العميق المنطقي ، يعني أساسا وجوب التفتيش والعثور ، لغرض القيام بالهجوم الجبهوي ، على وسائل ووسائـط مـن شأنهـا أن تجنب الخسائر الفادحة ، وتقصّر من مدد العذاب والآلام •• وجوب ايجـاد أساليب ظرفية جديدة ، تمكن من اختراق الجبهـة المقابلـة ، بأدنى ما

يستطاع من تكاليف فى الارواح .
توضع الخطط الاستراتيجية ، دوما فى نطاق المفاهيم التالية :

أ ــ اذا تعذر تمزيق الجبهات ، أو تعذر اختراق مركز الثقل لدى الجيوش المقابلة المخاصمة ، فيجب ، والحالة هذه ، الالتفاف على أجنحتها . واذا اتكأت هذه الاجنحة على البحر، فيقتضي أن تكون مناورة الالتفاف عندئذ برمائية ، وأن ترتبط بالطاقة البحرية ..

ب ــ يكون هدف الهجوم أضعف نقطة استراتيجية فى مراكز الخصم ، ولا يكون بعض نقاطه القوية ..

ج ــ تعطى الاولية ، عادة ، الى الساحة الفاصلة ..

د ــ يجب أن يتوفر لكل خطة اطلاع تام على طبيعة الاراضي فى ساحة العمليات ، ومعرفة بشروط القتال فى هذه الاراضي ..

هـ ــ يبحث فى كل مجموعة من القوى المعادية ، لتعيين نوعية هذه القوى ، والتمييز بين أقواها وأضعفها ، ومكان القوة الأقوى والقوة الأضعف . حتى اذا حصلت القناعة بأنه لا يستطاع التغلب مباشرة على أعظم قوة ، وان هذه القوة لا تستطيع نفسها الصمود والاستمرار على القتال دون وجود أضعفها فى المجموعة ، فالقوة الضعيفة عندئذ هي التي تكون هدفا أوليا للعمليات الاستراتيجية ..

و ــ لا يشرع بتعرض أرضي ، أو جوي ، أو بحري ، الا بعد أن تتهيأ له الاسباب اللازمة الفعالة : العدد والوسائل ــ المباغته ــ الذخيرة الخ ... وكذلك بعد أن يتم ، لأجله ، اكتشاف الوسائط الميكانيكية التي تسمح بنجاح التعرض ومتابعته ..

ز ــ يجابه الخطر الميكانيكي ، بتدبير ميكانيكي .

هذه المبادىء ، وسواها من الحقائق الثابتة ، هي فى الحروب مسيرة بالوقائع الراهنة والظروف المتغيرة ، التي يعود النجاح فى تقديرها وتحليلها ومعالجتها ، الى اجتهاد القيادة المسؤولة . واذا لم تكن هنالك

وقائع وظروف متعددة متبدلة ، وقائع وظروف تستدعي الاجتهاد في انتهاج قواعد التطبيق والمعالجة ، وتستوحي من حقائق المحاربة ، فالاستراتيجية والحالة هذه ما هي الا عبارة عن مجرد معرفة بسيطة للغاية • انها عندئذ نوع من كتيّب قد أعد للتمرين على المحاكاة والتقليد ، ككتيب التمرين على الخط مثلا ، وليست كما يجب أن تكون فنا رفيعا متميزا • وهي عندما تكون فقط مجرد تقليد ومحاكاة ، فهي عندئذ معرفة عادية ، وقيود وقواعد تقليدية جامدة ، وليست على العكس علما قائما على الاطلاع الواسع، والدراسة والتفكير والاجتهاد، والمعرفة المتفوقة في تقدير وتأويل القيم والحوادث والنسب ، على مسرح دائم التبدل والتغيير •

٣ ـ روحية الاستراتيجية

الطرف الأضعف ، في العدد والوسائط ، لا يرضى بالمعركة الا أملا في نصر حاسم لا يكلفه خسارة كبيرة بالمعدات وبالطاقة البشرية • ان هزيمة واحدة قد تقضي على الضعيف وتحطم آماله •• وان انتصارا مشكوكا في نتائجه ، أو معركة تتعادل نتائجها لدى الطرفين ، هما للضعيف تماما كالخسارة والفشل ، وتكرارهما يؤدي حتما الى هزيمته النهائية •

كل معركة تستهدف نصرا فاصلا ، لا تكتفي بمقصد استراتيجي ضيق • والنصر لا يعتبر حاسما الا اذا استغل ، وكل نصر يفسح المجال لاستغلاله • واذا اكتفى القائد بمقصد موضعي محدود ، فقد أخطأ ، وفوّت على نفسه فرصا كان من الممكن أن تعطيه مكاسب استراتيجية لا تعوض • والاستغلال لا يتم الا بالمطاردة •

يخرج الخصم المهزوم من المعركة ، مضعضع التنظيم والمعنويات ، تعبا منهوكا • وفي هذه الفترة بالذات ، يجب ان يطارد ، لأنه يكون حالئذ فريسة هينة لخسارة اكبر عدد من الأسرى والغنائم • ان القوات التي تهزم ، تقع في الفوضى والذعر ، لكنها سريعا ما تسترد وعيها وأعصابها اذا أفسح لها في الوقت ، فترتد الى القتال بعد عزوفها عنه ، وتعود من جديد الى حالتها كتشكيلة منظمة ، ومجموعة محاربة فعالة • ولذا يجب ان تطارد بينما هي في حالة الذعر والتضعضع ، وان لا

يسمح لها بتمالك نفسها ولم شعثها ، وان تظل القوات المطاردة على أعقابها باستمرار ٠

ان الامتناع عن المطاردة ، دليل على ضعف القائد وتقصيره ٠ كما وان الانسحاب منها ، قبل الوصول الى غايتها المنشودة ، يكاد يكون ناتجا دوما عن عجز المساعدين الاداريين ، وفشلهم فى التغلب على الصعوبات المترتبة عن امتداد خطوط التموين ، وفى مقابلة هذه الصعوبات بوسائط نقل مؤمنة منتظمة ٠ ان القائد الذي يهتم كثيرا بآراء ضباط التموين . والذي يسمح لتقديراتهم بالتأثير على تخطيطه الاستراتيجي دون فحص وتدقيق ، مثل هذا القائد يخل بواجبات قيادته ، ويسيئى الى ضباط اركانه بتعويدهم على التردد والاحجام امام الصعوبات ، وبتشجيعهم على التشكيك وتضخيم العثرات والعراقيل وذلك عوضا عن ان ينهضوا بأعباء المهام الطارئة المطلوبة منهم بحماس واندفاع ، مستخدمين فى سبيلها كل امكاناتهم فى التخيل والتفنن والابتكار ٠

القرار الذي يتخذه القائد بالكف عن المطاردة ، بعد انتصار كبير ، وبناء على نصيحة المدير الاداري ، هو غالبا قرار خاطيء ٠ فضباط التموين محافظون ، يتقيدون كثيرا باللوائح البيانية والسوابق القياسية ، مدللين بها على صدق آرائهم ، وبذلك يتسببون فى ضياع فرص ثمينة وتوفيقات عظيمة ٠ ان البيانات والسوابق لها صفة الظرفية المحدودة ، ولا يصح لذلك ان تكون قاعدة جامدة ابدية ، حتى ولو كانت من صنع اناس على درجة عالية من الذكاء والمقدرة ٠ وقد حدث كثيرا ، فى الماضي ، ان احاقت الهزيمة بقائد يتمتع بنسبة مرتفعة من الذكاء ، من قبل خصم كان اقل منه ذكاء ، لكن اقوى ارادة واصلب منه عودا ٠

القائد الناجح ، يستغل مساعديه ، ويستفيد من امكاناتهم ، لكن دون ان يسمح لهم ابدا بالتأثير عليه ٠ والنجاح فى القيادة والمحاربة ، هو حاصل لتفاعل عدد كبير من الاجراءات والتصرفات التي تصدر عن القائد ، والتي يمكن التحدث عنها فى نطاق الامور التالية :

ا ـ التقدير الشخصي :

على القائد ان يقدر نفسه ، بروية ووضوح وصراحة ، وان يقيم حقيقة استطاعات منظمته التموينية ، وان يستند فى تحديد المدى لطلبات خطته على اساس تقديراته الشخصية هذه • وهو بعمله هذا ، وعلى هذا الأسلوب ، يفرض على مساعده الاداري وأركان التموين ، واجب الرجوع الى ذاتهم وبداهتهم • ومع انهم قد يتذمرون ويتقولون ، لكنهم رغم ذلك سينتجون اضعافا مضاعفة عما كان سيكون عليه انتاجهم، فيما لو تركوا لأنفسهم ونظرياتهم الجامدة المستظهرة عن ظهر قلب ••

ب ـ أهمية المعركة الاولى :

الخسارة فى المعركة الأولى خطيرة النتائج • فهي تصيب المعنويات بصدمة عنيفة وتضعفها ، وتفقد الجنود ثقتهم بالضباط والمعدات ، ويمتلكهم من جراء ذلك شعور بمركب النقص حيال العدو ، خاصة اذا سبق الخسارة ادعاء ودعاية مضللة ، وتقليل من شأن الخصم وكفاياته • واذا وقعت الخسارة ، وكان من غير المستطاع تلافي وقوعها ، فمن الضرورة القصوى ان يعمل على افهام المقاتلين ، واقناعهم بأنها لم تنتج عن تقصير من قبل القيادة ، ولا عن سؤ سلوك أو تصرف غير مناسب من قبل الضباط • ان اعادة بناء القوى المعنوية عقب الخسارة فى بدء المحاربة ، هو ، فى كل وحدة وتشكيلة ، عمل صعب وجهد شاق ••

ج ـ القرار الجريئى :

تحتوي القرارات الجريئة ، ضمنا ، على اعلى نسبة من احتمالات النجاح • بيد انه يجب ان يميز بين الجرأة الاستراتيجية او التكتيكية ، وبين المقامرة العسكرية • فالعملية الجريئة ، هي مناورة لا تضمن الحصول على النجاح بصورة اكيدة ، لكنها تترك ، فى حالة الاخفاق ، فى يد القيادة

قوى كافية لمواجهة كل حالة طارئة · اما المقامرة ، فهي مناورة تؤدي الى واحد من نقيضين : فاما نجاح باهر ، واما تدمير تام لكامل القوات المقامر بها · وقد تطرأ حالات تجعل المقامرة مقبولة او واجبة · من هذه الحالات ، توقع الهزيمة بناء على ما ظهر من سياق الحوادث الجارية ، وان وقوعها هو مسألة وقت ، وان السعي لاكتساب الوقت لا يفيد ولا ينجي من الهزيمة المتوقعة ، وان الامل الوحيد لاحتمال تجنبها يكون فى الاقدام على عملية غاية فى التهور والمخاطرة · مثال على ذلك الهجوم الالماني المضاد ، الذي قامت به القيادة الالمانية ، فى الحرب العالمية الثانية ، فى قطاع مدينة « بستون » من منطقة الاردن ، فى اوروبا الغربية ، فى نهاية عام ١٩٤٤ ·

د ـ التنبؤ بالنتائج :

ان التنبؤ مسبقا بسياق المعركة ، لأمر يكاد يكون من المستحيلات · والحالة الوحيدة ، التي هي قابلة لأن تسمح للقائد بحساب صحيح لسير المعركة فى مختلف مراحلها ، قبل وقوعها ، هي تلك التي تكون فيها قواته على حالة عظيمة من التفوق العددي والمادي والتكتيكي ، بحيث يصبح الربح استنتاجا مفروغا منه · ذلك لأن المسألة تصير عندئذ موضوع أسلوب ، لا موضوع وسائط · ومن الأصلح ، حتى فى حالة كهذه ، ان يتصرف القائد على مقياس واسع وتفكير بعيد ، لا ان يتلمس طريقه ومقاصده على اطراف ساحة المعركة وحواشيها ببطء وقلق ، وعليه ان يتخذ كل تدابير الأمن والحيطة الممكنة ضد كل حركة محتملة من جانب العدو ·

هـ ـ الحلول المثالية :

ليس هنالك من حلول مثالية للمسائل العسكرية العارضة· فلكل اتجاه عيوب وحسنات · وعلى القائد ان يختار الاتجاه الذي يراه الأفضل ، بمنظار أبعد الأوجه والاحتمالات المتغيرة ، وان يتابع هذا الاتجاه باصرار ، وان يتقبل نتائجه

مهما يكن امرها • ومـن الأحسن الابتعاد عـن قبول حلول التسوية الوسطية ، لأن مثل هذه الحلول سيئة النهاية فى معظم الاحيان • •

التطور التكنيكي :

تخضع المبادىء العسكرية ونظرياتها ، مـن حيث اساليب التطبيق ، الى كـل مـا يحـدث فى عالـم التكنيك مـن تقدم وتطور • من هذه المبادىء والنظريات ما كان صالحا ، على نحو معين ، للاعتبار والتطبيق فى حرب العالمية الاولى ، مثلا ، لكن هذا النحو يصلح اليوم فقط عندما تكون غالبية القوات المحاربة لا آلية لدى الطرفين ، او عندما تتألف قوات المهاجم بمعظمها من قطعات لا آلية • فى حالة كهذه ، تستعمل الاسلحة الحديثة السريعة الحركة كما كانت تستعمل الخيالة سابقا ، مع وجوب استباق حركات العدو ، وتقطيع مشاته • امـا فى حالة المحاربة بين طرفين آليين ، فقد اختلفت عندئذ القواعد المطبقة اختلافـا كليا • وكذلـك تختلف القواعد فى حالـة الضعف بالتغطية الجوية • ذلك لأن الدخـول فى المحاربـة ، بتغطية جوية ضعيفة أو مفقودة ، يستدعي مراجعة جذريـة كاملة لقواعد المحاربات الأرضية • •

ز ـ توزيع الثقل :

لا يمكن تحقيق القوة المؤثرة الفعالـة فى كـل مكان • ولا يستطيع طرف ان يتوصل الى القناعـة بحصولـه على القوة الكافية ، فى مركز ثقله ، وذلك بعد ان يقوم بتوزيع قواتـه بالتساوي فى كـل مكان • لذا كان مـن الضروري ان يجري حشـد غالبيـة القوى عند المركـز الرحـوي ، وان يتجنب التبعثر ، وان يبقى فى الاستطاعة جلب القوى ، وحشدها عند النقطة الفاصلة • ان التوفيق فى اقامة مراكز استراتيجيـة مركزة فى النقاط الحاسمة ، لدليل على النبوغ والعبقرية • وان الخطة الاستراتيجية الجيدة ، هي تلك التي تميل غالبـا

الى تفضيل الرد غير المباشر على حركات العدو ، عوضا عن الرد المباشر ..

ح ـ الحشد الأمثل :

ينصرف الجهد الرئيسي ، فى كل خطة ، الى حشد القوى فى الزمن وفى النقطة الحساسة ، هادفا فى الوقت ذاته ، الى تجزئة قوى العدو مساحة، وتدميرها على أزمنة مختلفة. ومن اكثر النقاط حيوية وحساسية ، نقاط التموين وخطوطه . فهي أقنية الحياة ، وشرايين المادة الدموية لمجموع القوى المحاربة . هذه الحساسية الخطرة ، هي التي تفرض اللجؤ الى اقوى التدابير واكثرها أمنا لحفظ خطوط التموين وصيانتها وتأمين حريتها ، والتي تقضي ايضا بالسعي الدائب المتواصل المستمر ، الى قطع مواصلات العدو فى كل ما يتعلق بتموينه وامداده ، او الى ازعاجها وخلق الفوضى فيها ، هذا اذا استحال تدميرها وقطعها .

ط ـ التقاليد والعادات :

مهما بلغ الاحتفاظ بالتقاليد العسكرية ومراعاتها من تقدير ومجلبة للحمد والثناء ، فى نطاق المميزات التراثية ، فيجب الكف عن ذلك عند ابواب القيادات . ذلك لأن واجب قائد اليوم ، هو التفكير الجدي بتكنيكات جديدة تلغي قيم ومنافع التكنيكات القديمة . فطاقات المحاربة تتعدل ، باستمرار ، مع التقدم التكنيكي .

على قائد الجيش الحديث ان يتحرر من ربقة المناهج المتوارثة ورتابتها ، وان يدأب على طلب التفهم العميق للأمور التكنيكية . عليه ان يظل مستعدا ليكون تفكيره وآراؤه فى المحاربة ، مطابقا لحقائق الساعة وامكاناتها ، وكذلك ليكون قابلا لقلب كيانه الفكري كله ، داخلا وخارجا، اذا تطلب الظرف ذلك .

الفصل العاشر

القائد واوصافه

١ ـ عموميات

تعطي الجماعات المنظمة للحرب ، والمعدة لها ، بأعمالها وسلوكها وفاعليتها ، اصدق صورة وخير مثال عن القيادة التي تأتمر بها • والقيادة ، وان كانت تعبيرا جامعا لأكثر من شخص واحد ، هي مدلول مباشر على شخصية الآمر دون سواه • وقد تتأثر هذه الشخصية الى حد كبير بهيئة المعاونين والمساعدين ، التي تحيط بالآمر وتعينه على ممارسة قيادته • غير ان هذا التأثير ما هو الا نتاج غير مباشر لعمل الآمر نفسه ، نتاج لاختياره لأفراد هذه الهيئة ، ولباقته فى الحصول على مؤازرتهم ، ونجاحه فى تقسيم الاعمال وتوزيعها فيما بينهم ، لكل حسب قابليته وميوله وبروزه •

يخلق القائد نفسه ، ويبني من صبره ، وجلده ، وعلو همته ، ومطالعته ودراسته ، وخبرته وتجاربه ، ونجاحه وفشله ، ومقارعته للأحداث ، يبني من هذا كله أسس عصاميته ومعطيات تفوقه ونبوغه ، ودعائم نجاحه وتوفيقه • ولو وضعنا بأسماء القادة الكبار بيانا ، لما وجدنا فيه سوى تعداد لأشخاص قد عرفوا بمثل هذه الصفات جميعها ، وتميزوا بها على الخصوم والأقران بصورة بارزة جلية •

٢ ـ تعريف القائد

القيادة الناجحة ، نبوغ فطري ومواهب مكتسبة • انها عبقرية تتجلى بالقدرة على الابداع والابتكار ، وباللياقة للزعامة • والعبقرية العسكرية نوعان :

ـ عبقرية مبدعة ،

ـ وعبقرية منفذة ٠

في العصور والحضارات السابقة ، عندما كـانت الجيوش صغيرة ، والأسلحة محدودة قصيرة المدى ، ومجال القائد ميدان المعركة لا ساحة العمليات ، كانت النظرة الصائبة في القائد صفة كافية مثلى ٠ والنظرة الصائبة ، تعبير يجمع الى دقة الملاحظة ، سرعة الاحساس الصحيح بمـا يجري وبما يجب ان يكون ٠ ان القـادة العظام ، في المـاضي ، تمتعوا كلهم ، الى درجة عالية ونسبة مرتفعة ، بموهبة الالمام الخاطف بأشكال الأرض وصورهـا ، والتفهم السريـع العسكري في ميدان المعركـة ، وبموهبة الوصل ما بين هاتين الحاستين ، وربط الجزء منهما بالمجموع ٠ وكان ذلك ، كما قلنا ، كافيا وافيا في عصره وزمانه ٠

اما في الأزمنة الحديثة ، وقد طـال مدى الأسلحة ، وتعددت انواع الصنوف المقاتلـة ، واتسعت مجـالات الجيوش وتضخمت مقاييسـها وأحجامها ، فقد تغير الحال عن ذي قبل ، وقامت الحاجـة في القادة الى موهبة أوسع وأقوى من مجرد النظرة الصائبة ٠٠ الى نوع من الالهام ٠٠ الى استطاعة التنبؤ بما يجري الى الوراء من خطوط العدو ، وبما يجول في خاطر قياداته ٠ ان الحاضر يطلب اكثر بكثير من الماضي ٠ انه يطلب من القائـد ، بالاضافـة الى متطلبات المـاضي ، تفهما عميقا للنفسية البشرية وطبيعة الانسان بوجـه عـام ونسبة اعظم ، ولنفسية الخصم وطبيعته بوجه خاص ٠

يصل هـذا التفهم النفسي ، لـدى القائد الموفق ، الى درجة الملكة النفسية الحساسة المرهفة ٠ وحـاسة النفسية هذه ، بدورهـا ، مبعث لعامل آخر مـن عوامـل العبقرية العسكريـة ٠٠ عامـل حيوي عظيم الايجابية ٠٠ عامل القدرة على خلق المباغتة ٠٠ على انتاج حركـات لا منتظرة تضعضع تـوازن الخصم وتشوش تفكيره ٠ ولكي يؤثـر هـذا العامل تأثيره الكامل ، يجب ان يدعم بحاسة اخرى دقيقة ، حاسة حساب الزمن وتقديره ، وكذلك بالقدرة على تنشئة أعلى درجـة ممكنة مـن الطاقة الحركية ٠ فالسرعة ـ حاصل الزمن والحركية ـ هي ، والمباغتة، عنصران توأمان ، وظاهرتـان دالتان على جـدارة القائد وكفايته ، وتؤلفان المطيـة الديناميكيـة للقيادة الصحيحـة ٠ وان نمو هـاتين

الموهبتين : موهبة الحركية ، وموهبة المباغتة ، هو ، كنمو كل ملهمات الوحي والالهام ، مرتبط بوجود موهبة أخرى ، هي الخيال المبدع ·

قلة هم القادة ، الذين امتازوا بالمقدرة على الاتيان بالحركات اللامنتظرة ، وبالدقة فى الحاسة الزمنية ، وبالقابلية على تنشئة سرعة تصاعدية متعاظمة ، سرعة تزعزع تفكير الخصم ، وتصيبه بما يشبه العجز والشلل · ومن هذه القلة البارزة ، على سبيل المثال ، نذكر الاسكندر المكدوني ، وخالد بن الوليد ، ونابوليون ، ورومل ·

يسعى القائد العبقري ، باستمرار ، الى تحطيم توازن الخصم ، بينما يظل هو محتفظا بتوازنه · وهو لذلك فى حاجة فطرية الى الشجاعة الهادئة فى وجه العواصف ·· الى النفس الساكنة الصابرة فى حالة الخطر ·· الى رباطة الجأش وسرعة التكيف ·· الى ما يسميه الانكلوسكسونيون بالرأس البارد · وعليه ، علاوة على ما ذكر ، ان يتمتع بما يسميه الفرنسيون بحاسة الممكن ، حاسة معرفة ما هو قابل للتحقيق وما هو غير قابل لذلك ، تكتيكيا واداريا · هذه المطالب ، تجتمع كلها فى اطار اصطلاح واحد ، اصطلاح « الحسابية الباردة » · هذه الحسابية ، هي للقائد ، كصمام الامان للمرجل البخاري · ورمال التاريخ مفروشة بحطام الخطط العالية التصميم ، الخطط البديعة التي انقلبت رأسا على عقب ، لافتقارها الى مثل هذا الصمام من الامان ·

تتوج الصفات المتقدمة الذكر جميعها ، باللياقة للزعامة ، هذه اللياقة هي للقائد كالقوة الكهربائية للآلة الحربية ، قوة لا تستطيع المهارة فى السياقة ان تحل محلها اذا افتقدت · فالزعامة الكبيرة كهربائية ديناميكية ، تيارها يحرك الجيوش ويلهمها ، فتأتي بأكثر مما يتراءى ممكنا لأول وهلة ، وبذلك تدخل الخلل والفوضى ، فى حسابات العدو وتقديراته (١) ·

لقد أتى سقراط على ذكر الصفات الاساسية التي هي من ميزات القائد العظيم ، فقال بهذا الصدد ان القائد يعرف كيف يؤمن لجنده الطعام ومختلف الضروريات الاخرى اللازمة للمحاربة · وعليه أن يكون

---

(١) مثال ذلك ديناميكية رومل ، في رده على هجوم الجنرال اوتشنليك ، في العملية كروزادور ، في شمال افريقيا عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ ·

ذا خيال خلاق يؤهله لوضع الخطط الفذة المبتكرة ، وأن يتمتع بالحاسة العملية الحيوية التي لا بد منها للنجاح في تطبيق هذه الخطط • وعليه أيضا أن يكون شديد الملاحظة ، دائب النشاط ، حاذقا ، رؤوفا قاسيا ، بسيطا وداهية ، حارسا ولصا ، مسرفا وشحيحا ، كريما ومقترا ، عجولا ومتأنيا • يجب أن يكون القائد حائزا على كل هذه الصفات ، وعلى صفات أخرى كثيرة كذلك ، وأن يكون ، بالطبع ، عالما ضليعا بعلومه التكتيكية ••• ان الجماهير الفوضوية ليست هي ، من الجيش ، بأكثر من كومة من مواد البناء ، مواد ملقاة في زاوية المهملات من باحة الدار •

والامر الذي يجلب الانتباه ، في هذا التعريف السقراطي لصفات القائد ، هو الترتيب الذي تم ادراجها بموجبه • لقد بدأ الفيلسوف اليوناني الكبير كلامه بموضوع الادارة ، لأن الادارة العسكرية هي العقدة المعقدة في القيادة • وانتهى سقراط فوضع التكتيك وتدبير الجند في المعارك ، في آخر القائمة ، عوضا عن وضعها في البداية ، كما يفعل معظم الناس • ولا يجب أن نرى في هذا الترتيب دلالة على أسبقية في الخطورة والاهمية ، بل نوعا معقولا من التسلسل الطبيعي والتدرج المنطقي ، بالخطوات والمراحل المتعاقبة • فمن الطبيعي أن يطعم الجندي ويكسى ، قبل أن يساق الى ساحة المعركة • ومن الطبيعي أيضا أن يتطبب ويشفى من أوجاعه وأمراضه ، قبل أن يعتبر صالحا لدخول القتال •

وقد أجمل سقراط ، في وصفه الموجز ، معظم الصفات المطلوبة من القائد ، حسب رأيه • لكنه لم يأت على ذكر هذه الصفات جميعا ، ولا تزال هنالك صفات أخرى لا تقل خطورة وأهمية عما ذكره الفيلسوف الكبير ، صفات أشار اليها تلميحا ، دون أن يسميها • ومن أهم هذه الصفات ، كما يرتأي المارشال ويفيل (١) ، هي :

ـ متانة العافية والعقل ،

ـ العصامية ،

ـ الاحساس بالامكانية ،

(١) ويفيل قائد انكليزي كبير ، كان آمرا عاما للقوى البريطانية في الشرق الاوسط، في بداية الحرب العالمية الثانية ، ثم نقله تشرشل الى حاكمية الهند ، لكونه القى بهزيمة الحملة الانكليزية في اليونان على عاتق تشرشل نفسه •

ـ المعرفة العسكرية الشاملة ٠

٣ ـ متانة العافية والعقل

المراد بمتانة العافية والعقل ، القابلية على تحمل صدمات الحرب والصمود لها ٠ ولا شك أن هذه الصفة كانت ضرورية ومطلوبة فى أيام سقراط ، لكن ليس الى الحد الذي بلغته الحاجة اليها فى هذا الزمن ٠ فحروب الامس تعتبر ، دون مبالغة ، كلعب الاطفال بالمقارنة مع حروب هذه الايام ٠

عقل القائد ، اليوم، مدفون لأيام وأسابيع ، تحت أوحال المعلومات المشكوك فى صحتها ، وتحت وطأة العوامل الكثيرة الغموض والالتباس٠ والقائد المعاصر عرضة ، فى كل وقت ، لأن يتلقى نكبة غير مرتقبة، بنتيجة حركةطارئة يقوم بها الخصم، أو أن يبلى بتحول غادر فىالاحوال الجوية ، نكبة أو بلية تصيبه بصدمة مؤلمة ، كما لو هوى على أرض صلدة ، من ارتفاع ثلاثين مترا ٠ ان الميكانيك السريع العطب ، قليل النفع فى المحاربة ٠ وكذلك هو الحال مع عقل القائد وبدنه، ومع الجيش وروحيته، ومع مختلف الاسلحة وتجهيزات القتال٠ جميعمواد المحاربة، بما فى ذلك القائد ، يجب أن تمتع بنوع من المتانة ، بنسبة تزيد كثيرا عن النسبة المحددة لهامش الامان اللازم للمعنويات حيال التعب والاجهاد ٠

لا نستطيع ، بصحة ودقة، أن نضع مقارنة بين العلم العسكريوفنه، وبين العلوم والفنون المدنية ، ذلك لأن المقارنة غير ممكنة ٠ فليس هنالك من علم ولا فن مدني يتبادل أصحابه التراشق بالحديد والنار ، ويسرق بعضهم أدوات البعض الآخر أو يدمرها ، بينما يكون صاحبها غارقا فى العمل والمتاعب ، وفى حالة سباق مستمر متواصل مع الطوارىء والزمن ٠ المقارنة الوحيدة الممكنة ، تصح من صيد الوحوش ، الذي هو صيد قاس وقذر ، والذي يلزمه كذلك عقل متين وبدن متين ٠ ولقد كان البرابرة، فعلا ، يحاربون كما كانوا يصيدون الوحوش فىالغابات، وكان جنكيزخان يدرب جيشه على القتال، ويضعاستراتيجيته وتكتيكه موضع الاختبار، فى مواسم صيد كان يخصصها لهذا الغرض٠ كان يجعل من جنده طرفا، ومن وحوش الغاب طرفا آخر، ثم يضع خططه وتمارينه

على هذا الاساس • ولقد طبق أسلوبه هذا ، وما اكتسبه من ورائه من خبرة ، فيما بعد فى حروبه مع بني الانسان ، وعامل أعداءه المغلوبين تماما كما كان يعامل الوحوش فى مواسم الصيد •

يتعامل القائد بأرواح الناس • ومن الواجب أن تكون لديه المتانة العقلية الكافية ، حتى يكون قادرا على تحمل الضغط المتاتي عن هذه المسؤولية الجسيمة • أما مقدار هذه المتانة ، أو درجتها ونسبتها، فأمر لا يمكن تعيينه ، ولا وضع موازين ومقاييس دقيقة له• وكل ما يمكننا قوله فى هذا الخصوص ، هو ان المتانة المطلوبة يجب أن تكون فوق المستوى الوسطي ، وأنه كلما ارتفعت فوق هذا المستوى ، كلما كان ذلك أحسن لخير الجنود وصالح الوطن •

وبالرجوع الى دراسة التاريخ العسكري ، نرى ان معظم المعارك الفاشلة ، ان لم تكن كلها ، قد نتجت عن ضعف ونقص فى هذه الصفة الحيوية لدى القادة الذين كانت لهم القيادة فى تلك المعارك • والحديث عن المتانة البدنية والعقلية ، لا يعتبر تاما ، ما لم يكتمل بالاتيان على بعض الصفات البدنية والنفسية الهامة، كالشجاعة، والعافية والفتوة• فالقائد يجب أن يكون مقداما ، يتقدم الى مجابهة الاخطار ويتقبلها ، وأن تكون حالته النفسية العامة مساعدة له على تحمل المشاق والمتاعب والحرمان • ولا نعني بالفتوة عدد السنين ، بل نعني طاقة الجسم ومدى استطاعته المادية على العمل ، وعلى مقاومة العدوى بالامراض•

٤ ـ العصامية

المراد بالعصامية ، الشخصية المتميزة التي هي نسيج وحدها، والتي من أولى خواصها معرفة القائد جيدا لما يريد ، وتحليه بالشجاعة والعزم والاصرار على بلوغ ما يريد • ومن خواصها أيضا الاهتمام الحق بالناحية الانسانية دون نكوص أمام العقبات ، وتوفر المعرفة العميقة بالمادة البشرية التي هي العنصر الرئيسي فى صناعة القتال • والأهم من ذلك كله ، هو ما يتحلى به القائد العصامي من روحية كفاحية ، ومن ارادة للفوز والغلبة • هذه الخاصة الاخيرة ، تلاحظ عادة فى عالم الرياضة، لدى اللاعب الذي يثابر على اللعب بأحسن ما يستطيع، وذلك بالرغم عن كون الامور حوله لا تسير كما يود ويشتهي ، ولكنه يداوم

مع ذلك على الكر والارتداد ، رغم مظاهر هزيمتــه البادية ، رافضــا باصرار أن يعترف بالهزيمة ما ظل فيه نفس على الصمود والمقاومة ٠

وهنالك أيضا صفة أخلاقية أخــرى ، تستــدعي أن يتوجه الانتباه اليها ، والتي تميز القائد الكبير عن القــائد العــادي البسيط ٠ هذه الصفة ، هي مزيج من حب المغامرة ، مع مسحة من عقلية المقامرة ٠ كان نابوليون يردد دائما ، انه اذا كان الاحجــام عــن القبــول بالمجازفات والاخطار هو فن الاحتراب ، فالمجد عندئذ يكون فى متناول كل انســان من أصحاب المواهب العادية ٠ وكان نابوليون أيضا ، يتحرى عن أحوال قادته وسيرهم ، ويستفسر ليعرف من منهم كان محظوظا فى القتال٠ انه بالطبع لم يكن يعني بالحظ شيئا خارج حيز الارادة، بل كان يعني شيئا هو نتاج الجسارة والاقدام والنظرة الصائبة ٠ قد يكون القائد الجسور محظوظا ، لكنه لا يمكن لقائد أن يكــون محظوظــا ان لم يكن جسورا مقداما ٠ أما القائد ، الذي يجيز لنفســه أن يكــون مكبــلا بالقواعد واللوائح والانظمة ، فانه نادرا ما يكون الرابح فى معركة ٠

٥ ـ الاحساس بالامكانية

الاحساس بالامكانية ، ملكة تجمــع كــل معــاني الادراك والتمييز والحصافة ، وتسمح بالتفريق بين الغث والسمين ، وفصل الأمر الممكن تحقيقه ، عن الامر غير الممكن ٠ الاحساس من هذا النوع شيء حيوي لكل قائد٠ وهو يقوم على أساس معرفة عميقة صحيحة كاملة بديناميكية المحاربة وميكانيكيتها ، أي معرفة بالارض والحركة والتموين ٠ وهذه المعرفة المثلثة ، هي الاصل والقاعدة لكــل ليــاقة للقيادة ، وليست هي الاستراتيجية والتكتيك كما يظن كثيــر من النــاس ٠ فالنقص فى هذه المعرفة ، النقص فى معرفة الامور والمسائــل الاداريــة ، والتحركــات العسكرية ، وممارسة هذه المعرفة عمليا ، هو الــذي يتسبب فى أخطاء الهواة الاستراتيجيين، لا المبادىء الاستراتيجية نفسها ، التي يمكن لكل من لديه مقدار معقول مــن الذكــاء ، أن يتفهمهــا فى وقــت قصير ٠ وديناميكية المحاربة تعــرف اليوم باصطــلاح «اللوجستيــك» ، وهــو اصطلاح أنكلوسكسوني، وقد صار اصطلاحا عالميا، كاصطلاح التلفون٠

٦ ـ المعرفة العسكرية الشاملة

يندر لغير العسكريين ، أن يستوعبوا جيدا مدى ما هي عليه العسكرية المعاصرة من شمول وتعقيد · فالقائد ، في هذه الايام ، مكلف أن يعرف كيف يتصرف بالقوى الجوية ، والعجلات الميكانيكية المدرعة، والمدفعية المضادة ، والمواصلات اللاسلكية ، وكيف يتحسب للمحاربة بالدخان والغازات السامة والمواد النووية ، وذلك في جميع حالات الدفاع والهجوم · هذا بالاضافة الى المام جيد بالدعاية ، والتمويه وتطور الهندسة العسكرية ، واتقان لمتطلبات حرفته ومنصبه وأعماله المسلكية اليومية ·

والأمور ، في ساحة القتال المعاصرة ، ليست من السهولة بالدرجة التي كانت عليها أيام الاسكندر وهانيبال وخالد بن الوليد وجنكيزخان ونابوليون · في هاتيك الايام الخوالي ، كان القائد يشرف على ميدان المعركة ، كما لو كان أمام صندوق الرمل في قاعة التدريس ، ناظرا بأم عينه جميع ما يجري في ساحة المعركة ، وقادرا أن يطوف على جميع قواته ، وهو على حصانه، في ظرف ساعة أو ساعتين· هكذا كان الحال فيما مضى · أما اليوم ، فليس باستطاعة آمر كتيبة، أي قائد حوالي ألف جندي ، أن يتمتع بمثل تلك التسهيلات ، حتى ولا أن يرى بعينه ما يجري على جبهة واحدة من جبهات سراياه · أما القائد العام ، فميدانه هو الخارطة ، في غرفة بعيدة أميالا عديدة عن جبهات القتال ، أو في مكان قريب نوعا ما من احدى هذه الجبهات ، أو في عجلة تنتقل به هنا وهناك ، يمينا ويسارا ، وأماما وخلفا ، وكل ذلك بانتظار ورود أخبار تكاد لا تاتي أبدا ، وعندما تأتي ، فانها كثيرا ما تكون مغلوطة أو مضللة · كان قائد الماضي يرى بعينيه ، ويتجول بأنظاره على أرض طبيعية · بعكس قائد اليوم ، الذي يرى أكثر الاحيان بأذنيه ، ويكاد لا يرفع أنظاره عن الخارطة، وخاصة اذا كان قائدا عاما لعدة جبهات ·

هكذا كان الحال في الماضي والأمس القريب · اما في المستقبل ، فالذي لا شك فيه هو ان الحروب ستأتي بأسلحة وأشكال جديدة للمحاربة · ولقد ظهرت منذ اليوم ، على الأرض وفي الهواء ، قوى

وطاقات كثيرة لا تزال امكانات معظمها غير معروفة ولا مقدرة بالضبط حتى الآن • وحيال واقع كهذا ، تُرى ما هي المتطلبات المفروض توفرها فى قائد المستقبل ؟ ان هذه المتطلبات ستكون كثيرة بلا جدال ! سيكون عليه ان يتصرف بقوات ذات حركية لم تخطر من قبل على بال ، وان يكون دارسا عارفا بالاستراتيجية البحرية والتكتيك البحري ، علاوة على معرفته بالاستراتيجية البرية والتكتيك البري ، كما وان يحسن استعمال القوى الجوية ، كحسن استعماله للقوات البرية • ولا يمكن القول منذ الآن ، فيما اذا كان قائد المستقبل سيكون عسكريا بريا قد درس الطيران حق الدراسة ، أم طيارا قد درس كل ما يتعلق بالقوات البرية بجد واخلاص ومقدرة •

لقد امتزج سلاح البر مع سلاح الهواء امتزاجا كليا ، بحيث صار من غير الممكن ان يكون النصر نتاجا لجهود احد السلاحين بمفرده • كل هذا مضافا الى اساس القائد من العصامية ، والى حصيلته من المعرفة بالطبيعة الانسانية ، هذه المعرفة التي يقوم فن المحاربة وممارسته بنجاح على أساس ما تمنحه لصاحبها من قوى وطاقات ، وليس على خصائص الماكينات •

وقد تخرج حروب المستقبل عن هذا الاطار العسكري خروجا كبيرا، ربما يكون من نتائجه امكان اشتعال الحروب بواسطة العلماء وهم فى مخابرهم ، ومن ثم تسييرها والتأثير على مجراها دون ان يتحركوا من اماكنهم • ومثل هذا الاحتمال لم يعد تحقيقه بعيدا ، نتيجة للتحول السريع فى الاستطاعة التدميرية وللتعاظم المتزايد فى قدراتها ، وانتقال هذه القدرات من عالم التكتيك والاستراتيجية ، الى عالم المخبر والمصنع والمعادلات الالكترونية • وعندما يتحقق هذا الاحتمال ، فالقول الفصل فى الحروب المقبلة سيكون من شأن العلم والعلماء ، وستقتصر واجبات الجيوش حالئذ على مهمات الاشغال والاحتلال •

الفصل الحادي عشر

القيادة

١ ــ الأركان

الأركان في الجيش ، وفي التشكيلات العسكرية الكبرى ، هي الهيئة المساعدة ، التي يستعملها القائد واسطة للتوجيه والسيطرة على قواته ، جيشا كانت ، ام فيلقا ام فرقة . والقائد ، في تعامله مع هيئة أركانه ، يتقيد بقاعدتين :

ــ اولا ، الامتناع عن القيام بعمل ضباط الأركان بنفسه ،

ــ ثانيا ، الحيلولة دون حلول هيئة الأركان كحاجز بينه وبين جنوده .

يستحسن ضباط الأركان ويحبون ، من القائد ، ان يعطيهم الأوامر والتعاليم بصورة واضحة باتة ، وان يتركهم بعد ذلك لحالهم ، ليعملوا على وضع هذه التعاليم والاوامر موضع التنفيذ ، دون مداخلة من قبله . ويستحسن الجنود والضباط المرؤوسون ، ويحبون ، من القائد ، ان يكون دائما على اتصال وتماس شخصي معهم ، وان لا يرى الأشياء فقط بأعين أركانه .

٢ ــ علاقة القائد مع ضباطه

من المهم كثيرا ان يتعرف القائد على نوعية الضباط العاملين تحت امرته ، وما ينفرد به كل منهم من عيوب او حسنات . الغاية من هذه المعرفة ، هي الوصول الى استطاعة تقييم خصائص وكفاية كل ضباط ، ومستواه الثقافي والأخلاقي ، ومقدار الثقة في وجدانه وكلامه وتحسسه بمسئولياته ، وذلك بصورة دقيقة صحيحة . يجب على القائد ان يعرف في مرؤوسيه من الضباط ، من منهم الذي يتطلب كبح الجماح ، ومن الذي يجب ان يشجع او يستحث .. من الذي يجب ان لا يبتعد

ابدا عن أنظار القائد ورقابته ٠٠ من الذي يلزمه تلقي تعاليم مفصلة واوامر مبينة مشروحة دقيقة ، ومن الذي يكفيه فقط علم عام وايضاح مختصر دونما حاجة الى شروحات وتفاصيل ٠ هناك مرؤوسون يبدعون كمنفذين تحت أنظار الآمر مباشرة ، لكنهم سرعان ما يظهر عجزهم وتنهار اعصابهم حالما يجدون انفسهم على رأس قيادة مستقلة ٠ وهنالك من هم شرسون ومتعبون كمرؤوسين ، لكنهم اهل للثقة والاعتماد اذا كانوا فى قيادة منفردين لوحدهم ٠ انه لمن المهم جدا ان لا يكون اختلاط فى المعاملة بين هذه الانواع من الضباط المرؤوسين ٠ كل هذا يعني ان على القائد ان يكون ذا فراسة ، بارعا فى الحكم على الاشخاص ، قادرا على سبر اغوارهم واستطلاع المخفي من حقائقهم وطبائعهم ، عارفا حدود كل منهم ، ومدى جدارته واستطاعاته ٠

٣ ـ علاقة القائد مع الجنود

الحديث فى هذا المجال واسع جدا ، ويصعب الجزم ، بدقة وتحديد ، فى نواحيه المتعددة وأبعاده الواسعة ٠ ان الموضوع الاساسي فى هذا البحث ، الموضوع الذي يجب ان يظل ماثلا للعيان ، يدور كله حول ماهية الدافع الذي يحمل المحارب على التضحية بحياته ، ببسالة وطيب خاطر ، ودور القائد فى تغذية الباعث لهذا الدافع ، وفى تنمية مولدات الجلد والصبر على مواجهة المشاق والاخطار ٠ ان الانسان يكره الموت بفطرته ٠ واذا كان هذا حقا وصدقا ، وهو كذلك ، فما هو الدافع اذن لأن يقدم الانسان المقاتل على مواجهة الموت ؟ قد يكون الدافع طمعا فى النهب والسلب ، او طلبا للعلى والمجد ، او خضوعا للتقاليد والانضباطية ، او يكون وفاء لشعب ، او اخلاصا وتضحية فى سبيل عقيدة او زعيم ٠ بيد انه لا تأثير لعوامل النهب او المجد فى هذه الايام، كما انه ليس هنالك اليوم من مجال لطلب المجد او الغنيمة ٠٠ قد تؤثر الأوسمة والرتب نوعا ما ، لكن على شرط ان يجري منحها وتوزيعها بكثير من الحذر ، وبأقصى ما يمكن من العدل والانصاف ٠٠ وقد تؤثر العقيدة كثيرا ، وخاصة اذا تكرست لخدمتها دعاية قوية ذكية ناشطة ٠٠ لكن كل هذا لا يعطي الجواب الشافي على السؤال المطروح ! فلقد ثبت بالتجربة ، ان الانسان لا يتهرب من القتال لاعتقاده فقط انه لا يسير الى

الحرب من اجل قضية عادلة ·· وهو لا يهاجم ، ويندفع الى لقاء الموت ، فقط لأن قضيته صحيحة ونبيلة ·· كما وان الخوف شيئي طبيعي لدى الانسان ، وكل مقاتل معرض لأن يهرب من ساحة المعركة ! · ان الهروب من المعركة معناه الاعتقاد الشخصي بالضعف تجاه الخصم ، وذلك على عكس الثبات والغزو والاحتلال الناشئة عن اعتقاد المحارب بنفسه بأنه الأقوى ، اما لثقة قوية بشخصه ، او لأن قائده قد حمله على الاعتقاد بنفسه انه الأقوى · وفوق ذلك ، فان كل المولدات للدافع الحقيقي للقتال ، تظل ناقصة ، وغير كافية لتعتبر جوابا كاملا على السؤال المطروح ، اذا هي لم تقم جميعها على أساس متين من الانضباطية والتقاليد العسكرية القوية الصحيحة ·

التقاليد والانضباطية العسكرية ، هي الجذور الاساسية للموضوع الذي نحن بصدده · ومهما كان نوع الحكم القائم فى البلاد ، ونوع الجيش الذي يعد للقتال ، فان من واجبات القائد ان يهتم بالتقاليد العسكرية ويعمل على تقويتها ، وان يسهر على سلامة الانضباط والتهذيب العسكري باستمرار ، لكن بصورة انسانية وطريقة ذكية معقولة · ان أساس الانضباط العسكري هو العدالة فى المعاملة · فالجندي لا يكترث لصرامة القانون ، على شرط ان يسري القانون والنظام سواسية على الجميع ، بالعدل والانصاف ، وبالمنطق الذي يقبله العقل السليم ·

ويلي التقاليد والانضباطية اهمية ، احساس الجندي بالارتياح ، ارتياح لحالته المادية خاصة · هذا الاحساس بالارتياح يأتي حاصلا للعناية التي يلقاها ، والتي تتألف مقوماتها من اطعام جيد ، ولباس نظيف جميل ، وسكن مفرح لائق ، وعناية طبية حديثة ومتوفرة · ثم يأتي بعد ذلك تفكير الجندي بسلامته الشخصية · ان مفهوم الجندي من هذه السلامة ، ينحصر فى تطلعه لأن لا يرسل الى القتال الا بعد ان يتهيأ له أقصى ما يمكن من حظوظ النصر والبقاء على قيد الحياة · وبتعبير آخر ، يجب ان يتوفر للجندي الزبدة والسلاح ، كما يقول الغربيون · ان الجندي لا يحارب بمعدة خاوية ·· وهو لا يستطيع ان يقاتل بلا سلاح مناسب كذلك · وهذا القول حقيقة لا تقبل جدلا · لنأخذ ، على

سبيل المثال ، ما جرى فى نهايـة الحرب العالميـة الاولى • فقد تحطمت معنويات روسيا القيصرية ، وانهزمت ، لنقص فى السـلاح والطعام • وخسرت المانيا فى النهاية كذلـك ، للنقص فى الزبـدة ، اي للنقص فى الطعام والتموين • اما الأتراك العثمانيون ، فقد خسروا فى هذه الحرب للنقص فى كـل شيئى تقريبا ، فى الاكـل واللباس والتسليح والادارة معا •

القائد ، الذي يجهد لكي يطعم الجنود جيدا ، والذي يرعى الجندي ويتابعه بالعناية والاهتمام على الدوام ، واينما كـان ، والذي يقود جنوده فى ساحـة الشرف الى الظفر والغلبة ، ويربـح لهم أكاليل الغار وآيات المديح والثناء ، مثل هـذا القائـد لا بـد مكتسب لثقة الجنود وتقديرهم بلا ادنى جدال • الا ان اكتساب التقديـر والثقة لا يؤدي حتما الى اكتساب المحبة والمعزة • لكن هـل مـن المهم كثيرا ان يحصل القائد على محبة جنوده بالاضافة الى فوزه بثقتهم وتقديرهم ؟ الجواب طبعا بالنفي ، لأن الفوز بالثقة والاحترام هو الاساس ، وفيه الكفاية المرغوبة ، وليس على القائد ان يسعى الى اكتساب الشعبية على حساب الواجبات المسلكية • اما اذا حصل القائد على ثقة الجنود واحترامهم ومحبتهم ، فذلك هـو الفوز العظيم بالنسبة اليه ، وهـو نجـاح كبير بالنسبة للقيادة وللجيش بوجه عام • الا انه يشترط لذلك ان تكـون المحبة عفوية تلقائية ، أي غير ناتجة عن تخطيط مقصود على حساب الامور المسلكية • ينتظر الجنود ، من القائد ، المقدرة والكفاية ، وهذا حق من حقوقهم • وهم كذلك محقون فى انتظار اللطف والمعاملة الحسنة من قبله ، فى جميع الاحوال •

هل من واجب القائـد ان يخطب فى جنوده بين حين وآخـر ، وان يتحدث اليهم ، اجماعيا ، أو فرادي ؟ الواقـع ان المخاطبة الاجماعيـة مفيدة ومساعـدة على تمكين التعارف وتسهيل التفاهـم بين القائـد وجنوده ، لكن فقط اذا كان القائد فصيحا ، يحسن قـول الكلام الملائم فى وقته المناسب • واذا تصدى القائد للكتابة والخطابة ، فعليه ان يكون واثقا من نفسه ، ملما بموضوع حديثه ، والا تعرض الى خسارة قد لا تعوض فى القيمة والاعتبار • فكل لهجة او عبارة او كلمة غير موفقـة

قد تسبب للخطيب ضررا ، يفوق بكثير النفع الذي كان يأمل فى تحقيقه من وراء خطبته • وكذلك هو الامر فى المظهر الخارجي ، الذي يجب ان يظل لائقا طول مدة الحديث •

ولا ضرر فى ان يحتد القائد احيانا ، وان ينفجر هادرا مزمجرا • فهذه الانفجارات ، التي يجب ان لا تتكرر بصورة منتظمة رتيبة ، هي مقبولة من الجنود ، ومعتبرة لديهم كحق من حقوق القيادة • فالجندي يرى ان من حق القائد ان يحتد ويغضب من حين لآخر • هـذا بعكس التهكم ، الذي هو دائما مؤذ ، وغير قابل للنسيان ، وعلى القائـد ان يتحاشاه ، وان لا ينساق مع دوافعه • اما النكتة والفكاهة فشيئى آخر • فالجندي يحب هذا النوع ويستطيبه • وعلى القائد ان يكون فكها كلما استطاع ، وان يشجع على انتشـار روح الفكاهـة والمرح على جميع المستويات •

٤ ـ المعرفة بالطبيعة الانسانية

الانسان كان ولا زال السلاح الاول فى المعركة • وان دراسة الانسان فى المعركة ، هي التي تضفي طابـع الحقيقة والواقع على مـا يجري فى ميدان القتال • ان الاحساس بهذه الحقيقة ، هي مسألة حيوية للقائد ، ولا يمكن الشعور بهذا الاحساس ، والاستفادة منه الا بدراسة الماضي ، هذه الدراسة التي ترينا كيف قاتل الانسان المحارب فيما مضى ، وكيف سيقاتل فى المستقبل •

دراسة الماضي ، بالنسبة للقـادة العسكريين ، هي دراسة للتاريخ العسكري • والتاريـخ العسكري مبادىء واصـول قتاليـة ، وسـير انسانية • ان المبادىء الاستراتيجية والتكتيكية هامة ومفيدة ، لكنهـا الآن ليست غرضنا الاول مـن الدراسة التي نحن بصددها • ان غرضنا الآن هو القراءة المتفهمة المتمعنة لسير القادة ، ومذكراتهم ، والقصص التاريخية عـن الوقائـع العظيمة ، كواقعة « كـان » مثلا ، او واقعة « اليرموك » ، او احتلال العرب لاسبانيا وسيرة طارق بن زياد • وان معرفتنا ، مثلا ، بكيف سار خالد بن الوليد بجيشه من العراق الى بـلاد الشام عبر الصحاري الجرداء ، وكيف ناور وقاتل وانتصر فى اجنادين واليرموك ، لشيئى ملذ ومفيد بلا جدال ، لكن الشيئى الذي هـو اكثر

فائدة ، هو ان نعرف ، وان نكتشف كيف استطاع ذلك القائد ان يبعث، فى مجموعة من البدو الحفاة العراة الجياع ، العزيمة والرضا بالقتال المنظم ، وكيف امكنــه ان ينتصر بهم عــلى جيش نظــامي عريــق فى العسكرية والفنون الاحترابية ، جيش كــان متفوقــا بالعدد والعدة • وعندما ندرس تاريخ نابوليون ، فغرضنا من ذلك الاطلاع على كيفية توصل هذا القائــد الى السيطرة على قــادة يكبرونــه ســنا ، وان نلم بأساليبه وطرقه فى بناء خططه ، كما نتوخى ان نقف على أسباب نجاحه وتفوقه فى تعامله وعلاقاته مع الجنود ، ولِم أحبه هؤلاء ، وتعلقوا بــه حتى درجة التقديس • لقد كــانت لنابوليون معرفــة عميقة بتفاعــل الطبيعة الانسانية فى ساحات الحروب • ومن المهم لكل قائد ان يقف على اقصى ما يمكنه معرفته من هذه المعرفة • لقد اقــام نابوليون ، اثنــاء حصار الانكليز لمدينة تولون ، موقعا مدفعيا معرضا جدا لنيران سفن العدو ، موقعا اعتقد رفاق نابوليون من الضباط انه سيظل خاليا مــن المدافعين ، وذلك لقلة المتطوعين الراغبين فى اشغاله • لكن نابوليون لم يكن من هذا الرأي • فلقد نصب سارية امام الموقــع المذكور ، وعلق عليها لوحــة كتب عليهــا ، بخط كبير واضــح وأحــرف عــريضة ، ما يلي : « هنا بطارية الرجال الذين لا يخافون » ! وكانت النتيجة ، ان ذلك الموقع لم يخل قط من المدافعين المتطوعين ، طوال المعركة •

٥ ــ خلاصة

نورد ، للايجاز والتلخيص ، فيما يلي بعض الوصايا العملية التي يتبعها القادة الناجحون ، والتي تؤلف الأسس التي تقوم عليها علاقات القادة مع جنودهم • هذه الوصايا هي :

أ ــ على القائــد ان يكــون انضباطيا وصارما ، دون ان يكون بالضرورة جافا عبوسا ••

ب ــ على القائد أن يمنح المديح ، عندمــا يجب المديح ، شفهيا او بالأوامر المكتوبة ، وان يصدر ذلك منه عــن طيبة خاطر ••

ج ــ على القائد ان يكثر من الظهور امــام جنوده ، وان يكون ظهوره دائمــا فى هيئات واوضــاع تبعث على التاثير

والهيبة · وللتظاهرات العسكرية الرسمية فوائد جمة ، ولذا يقتضي ان يجري اعدادها باتقان ، وان يجري تنفيذها بدقة وعظمة وروحية عالية ··

د ــ على القائد ان يتجنب التهكم والاستهزاء لأن ذلك يتسبب فى جروح اليمة نفسية لا تندمل ··

هـ ــ على القائد ان يقول الحقيقة لجنوده ، باستثناء الظروف التي تفرض عدم افشاء الخطط والاسرار · كثير من الاشياء لا يتضايق منها الجندي كما يتضايق من النفاق والدعاية الكاذبة ، خاصة اذا كانت تتعلق بأشياء خبرها الجنود وعرفوها بأنفسهم ، كأن نصف جنود الخصم بالجبن وسؤ المحاربة ، فى حين هم فى الواقع رجال اشداء ومقاتلون ممتازون ·

هذه الوصايا الخمس ، المتقدمة الذكر ، يمكن اعتبارها الوصايا التي تنظم علاقات الفارس مع جواده ، او شبيهة بها الى حد كبير · فالجواد يتطلب السيطرة والتهذيب ، ويتطلب فى نفس الوقت التشجيع المتواصل وتنشيط العزائم · ان الاعتناء بالجواد فى الاسطبل ، الاعتناء الجيد ، واجب ومطلوب كما لو كان الجواد يساوي ثروة كبيرة · هذا الجواد نفسه يُستعمل فى الميدان بشراسة والى اقصى حد ممكن ، كما لو كان لا يساوي شروى نقير · والجواد يعلم جيدا ، ويحس فيما اذا كان صاحبه يجيد الركوب او لا يجيده ، واذا كان فارسه مقداما او جبانا رعديدا ، عازما او مترددا ·

يتطلب الموقف احيانا ، من القائد ، تصلبا فى تصرفاته ، وتشديدا فى طلباته · وهو غالبا ما يلجأ الى ذلك على كره منه · وقد ينجح قائد ما ، لبعض الوقت ، فى اقناع رؤسائه بمؤهلاته وكفايته وصلاح قيادته ، لكنه لن يتمكن ابدا من اقناع جيشه بأنه قائد جيد حقا وفعلا ، الا اذا توفرت له بالتأكيد جميع المؤهلات اللازمة للقيادة والزعامة ·

٦ ــ علاقة القائد مع السياسيين

لا بد من ان يظهر ، بين الحين والآخر ، شيئى من الاحتكاك بين القائد ورجل السياسة ، بين العسكري والمدني · مثل هذا الاحتكاك ،

الذي هو ظاهرة من الظواهر المرافقة لطبيعة الحياة والنظم الاجتماعية، لا يمكن تجنبه ، وهو قابل لأن يحدث مهما يكن نوع النظام السياسي المهيمن على الطرفين ·

في العصور القديمة ، كان مجال الاختلاف ضيقا جدا بين المدني والعسكري ، اللذين كثيرا ما كانا يتناوبان السياسة والقيادة · لكن هذا المجال قد اتسع كثيرا في العصور الحديثة · بيد انه لمن الممكن دائما تجنب الخلافات المحتملة الوقوع ، هذا اذا كان الزعيم السياسي على معرفة تامة بميكانيكية المحاربة المعاصرة ، واقفا على الامور اللوجستيكية وقوفه على المبادىء الاستراتيجية والتكتيكية ، او اكثر · وان التفهم المتبادل المخلص ، بين العسكري والمدني ، لواجبات كل منهما وصعوباته ، لما يعين ويساعد كثيرا على التغلب على كل اختلاف ، الامر الذي هو ضروري لتسيير دفة الحروب في هذه الايام ·

لكن كيف السبيل الى قيام مثل هذا التفاهم المتبادل ؟

الجواب ، او السبيل ، هو في الدراسة العميقة للماضي ، وفي التحلي بعقلية حساسة واقعية ، عقلية متجاوبة مع ظروف الحاضر والمستقبل · ان العسكري ، يعيش معظم الوقت بمعزل عن الحياة المدنية وعن التيارات السياسية ، ويكون لذلك برما بكثرة الوعود وقلة التنفيذ ، وعرضة لأن يستخف بصعوبات رجل السياسة ، أو لأن لا يكترث لها على الاطلاق · وذلك هو نتاج الحياة العسكرية ، وهو بعيد كل البعد عن التعمد وسؤ النية · وعلى رجل السياسة ان يدرك هذه الناحية جيدا ، وان يسلك في تعامله مع القادة العسكريين على ضؤ هذا التفهم والادراك ·

٧ ـ ممارسة القيادة

لا تقتصر واجبات القائد ، على عمله مع ضباط اركانه · ان من واجبه ايضا ان يهتم بتفاصيل قيادته ، وان يزور القطعات والخطوط يوميا ، وان يتعرف بنفسه على الافراد والرتباء ، دائبا على ذلك باصرار وعزيمة ثابتة ، وذلك للأسباب التالية :

أ ـ ان التنفيذ الصحيح للمخطط والأوامر ، شرط من شروط النجاح · وانه لخطأ الاعتقاد بأن الضابط يعمل ، عادة ، غاية جهده

للقيام بواجباته ، ويستغل الظروف والمناسبات دائما لصالح الخدمة • فالضباط ، بمعظمهم ، يندفعون بسرعة الى نوع من حياة الكسل والجمود •• حياة تقنع بالحد الأدنى من الجهد والنشاط ، وتتميز بسيل من الاقوال والتقارير ، التي تبسط باسهاب مختلف الصعوبات في وجه تنفيذ هذا العمل او ذاك • ان غريزة الكسل نشطة في الاكثار من المبررات لمطالبها ، وضحاياها يتشبثون بكل مبرر ، بسهولة غريبة وقناعة فورية • ولهذا الاسباب ، وللحد من فطرة الكسل المتأصلة في النفس البشرية ، يضطر القائد لأن يشعر بسلطته وتدقيقه ورقابته القاسية الشاملة ، كافة الضباط من مختلف المراتب والدرجات • فالقائد هو القلب في كل جهاز للتحضير العسكري ، والمحرك الأساسي لدفة المعركة ورياحها ، والمسئول اولا واخيرا عن كل فشل وتقصير • انه دماغ القوات ، وباعث الروح ، ومجدد النشاط والحيوية فيها • انه لمن الافضل ان يكون القائد محبوبا من الضباط والرتباء والجنود • لكن هذه الأفضلية تأتي في الاعتبار الأخير ، بعد واجبه في تحقيق السيطرة الشخصية والاشراف الكامل على الجميع ، وفي جعل شخصه عنوان قلق وتحسب لكل مرؤوس لا يبذل لواجبه ، من نفسه وراحته وخياله وتفكيره ، غاية ما يستطيع ••

ب ـ يتحتم على القائد ، باستمرار ، ان يواظب على تكييف عقلية قواته ، واساليبها الكفاحية ، وفقا للتطورات التكنيكية ، وان يفرض التقيد بمطالب كل تطور ، وتطبيق تفاعلاته ونتائجه • وهو فرض عليه ايضا ان يستهدف تحقيق أعلى نسب النجاح لجنوده ، وتجهيزهم بأحدث الادوات والمعدات ، واخضاعهم الى اسمى درجات التحضير والاعداد • ان ابتغاء الكفاية والقابلية الكفاحية الممتازة فرض وواجب ، لكنها في حد ذاتها تجسيم للاخلاص والاعزاز والمحبة الحقيقية للمقاتلين ، لأنها تمكنهم من الاحساس بعزة النفس ، ولذة الفوز ، ونشوة الاستطاعة ، وتوفر من جهودهم وخسائرهم يوم يشتد أوار القتال • وفي ذلك وحده ما يكفي للدلالة على محبة القائد ، وعلى تفانيه في سبيل جنوده • والشرط للكفاية الممتازة ، هو التدريب المستمر ،

والسعي المتواصل للتحسين فى الوسائل والأساليب • وعلى القائد ان يتحرى مشاهد آثار هذه الكفاية بعيونه ، ويلمسها بيديه ، لا ان يتلمسها من خلال السطور فى تقارير مساعديه ••

ج ـ ان احسن واسطة لتقدير الأشياء وتقييمها ، هي المشاهدة الشخصية • هذه حقيقة لا نقاش فيها ، حقيقة يؤول العمل بموجبها الى خير القائد وتوفيقه فى قيادته • ولا يتطلب تطبيق هذه القاعدة ذكاء خارقا ، ولا جهدا شاقا • انها وقوف يومي على صورة عينية لمجمل الجبهة ، والوصول شخصيا الى فكرة واضحة عن الأمور والقضايا التي تواجه المرؤوسين • والعمل على هذه الصورة ، يمكن القائد من الاحتفاظ بتفكيره ديناميكيا متجددا ، متطورا مع الوقت ، ملما بالحالات الطارئة فى حينها ، متكيفا مع الظروف المتغيرة • واذا خاض القائد معاركه ، ومارس قيادته كلاعب الشطرنج على رقعة اللعب فى غرفة مغلقة ، فانه لا بد صائر الى الجمود والتعنت والتشبث بالنظريات الاكاديمية المفروضة ، والى الاعجاب السخيف بآرائه واجتهاداته الخاصة • اما القائد ، الذي لا تتحدد افكاره او تتسير فى اتجاهات محدودة ، بل على العكس يظل يسرح بتفكيره فى عالم الدراسة والنظريات طليقا متجردا من كل قيد ، محلقا بنشاطه وتفكيره ، مرتفعا فوق السوابق والعادات والتقاليد المحيطة ، مثل هذا القائد يكون النجاح رفيقه ومصاحبه فى معظم الأحيان ••

د ـ ان القائد ، الذي يتقيد تقيدا أعمى بالمناهج والمقاييس ، فلا يبدع فى انتاجه ، ولا يجتاز أبدا حدود الأسطر المكتوبة ، لشخص يفتقر الى الهمة وبعد النظر والطموح وسمو الدافع ، شخص يجب ان ينحى عن عمله بسرعة ، وان يستغنى عن خدماته باقصر مدة • وكذلك يقتضي ان يعامل هكذا كل ضابط من هذا النوع ، سواء أكان على رأس وحدة محاربة ، ام كان عضوا فى المقرات القيادية •

يتوجب على القائد ، ان يعود نفسه منذ البداية ، وكذلك اركانه ، على الانتاج العالي والابداع المتواصل• وعليه ان يسير على هذا النهج باستمرار • ان الذي يكتفي ولو لمرة واحدة بالمقاييس ، او بجهد يكون ادنى من الجهد الكلي ، فهو يتخلى من تلقاء ذاته ومطلق حريته ، منذ اللحظة الاولى ، عن السبق فى ميدان الصراع ، وعن الأمل بالفوز

والنجاح • والقائد الذي من هـذا النوع لا يلبث طويـلا حتى يتلقى درسا مؤلما من القائد المخاصم ، الذي يكون أسبق فى التفكير والحيويـة والحركية ، درسا يضطره ، ان هو خرج بجلده كاملا سليما ، لأن يضرب عرض الحائط بكل مقاييسه ، وبجميع أفكاره ونظرياته الجامدة ••

هـ ـ وكما يجب على القائد التشبع بروح قيادته فى نواحيها المادية والفنية والمسلكية ، كذلك يجب عليه ان يتوجه برعايته واهتمامه الى النواحي المعنوية • فللقائد دور خاص فى هذه النواحي • هذا الدور هو الفوز بثقة جنوده وتقديرهم ، ومشاركتهم فى الأحاسيس والمشاعر •

ان الاتصال المباشر ، المستمر ، مع الجنود والرتباء ، هـو الطريق القويم الى مشاركة القائد لقواته فى التفكير والأحاسيس ، والى الالمام الصحيح بما يجول فى دخيلة الجنود ، وبما تدور حوله الاحاديث عن العسكرية فى حلقاتهم • هذا الطريق سليم ومضمون ، وهو منته بالقائد الى معرفة ما يجب عليه عمله لرفع المعنويـات ، والسمو بها الى المستوى المطلوب لصيانة الحيوية والروحية الكفاحية ، فى مختلف مراحل القتال •

والاتصال المبـاشر هـو ايضا السبيل الى الفوز بثقة المرؤوسين • هنالك مبدأ يجب ان لا يبرح حدود الذاكرة ابدا •• مبدأ ينصح بتجنب التظاهر بالعواطف الكاذبـة نحـو الجنود ، وخاصـة فى حضورهـم • فللجندي حاسـة فى الشم غريبة •• حاسـة التفريـق والتمييز بـين الحقائق والأكاذيب ، فى معظم ما يرى من مشاهد وما يسمع من أقوال وعواطف •

يهدف القائد الى تحقيق نوع من الأخوة والزمالة مع جنوده ، دون ان يتخلى ولا عن قيراط واحد من سلطته • وهو يحاذر ، تحقيقا لهذه الغاية ، ان يقوم بأي اجراء يشعر الجنود ، او يحملهم على الظن بأن قتلاهم وجرحاهم قـد جـرى حسابهم مقدمـا ، وفقا لقوانين النسبة المحتملة او ما شابهها من المقاييس • ان ظنا كهذا لكفيل بالقضاء على الحماسة واقتلاع جذورها ، لكونه يحمل المحارب على الاعتقاد بالجمود واللامبالاة فى قيادتـه ، وبالانسياق فى عملها وتصرفاتها مـع التقاليد والعادات ، فلا نشاط يتدفق فى تفكيرها وأوصالها باستمرار ، ولا سعي الى الابداع والابتكار •

وان ثقة الجندي ، بضباطه وقيادته ، هي دعامة حيوية لكل تشكيلة مقاتلة • ولكي يكون للجندي مثل هذه الثقة ، ويحتفظ بها ، فانه يطلب بفطرته ان يُواجه بظاهرات ملموسة تستدعي قيام الثقة ، وتعمل على تعاظمها ومواصلة وجودها دون انقطاع • واذا لم يُواجه الجندي، يوميا ، بمثل هذه الظاهرات المؤيدة للثقة والداعية الى بقائها ، فانه سريعا ما يقع فى دوامة من التساؤل والتشكك ، ولا يلبث ان تنهار آماله فى الضباط واعتماده عليهم ، وان تضمحل قناعته باحتمال النصر، وبصحة القضية التي يضحي فى سبيلها بأغلى وأقدس ما يملك •

ان الانتصار فى الحروب ، هو فى متناول المحارب الذي يتوجه الى ميادين القتال بنفس قانعة وفكر مطمئن مرتاح ، فلا يداخله ريب ، ولا تساوره شكوك بخصوص القيادة التي يحارب تحت امرتها • ولا شيئى ادعى الى تقويض هذه الحالة النفسية ، الحيوية والضرورية ، من الشعور بالاهمال ، او التعرض الى حالات حرجة قاسية ، خاصة عند الاشتباك مع عدو يتفوق فى العدد والمعدات • مثل هذا الشعور الخطر يجب ان لا يقع • ولذا يتحتم اللجؤ الى جميع الاحتياطات الممكنة ، تفاديا لوقوع أي اهمال بحق القطعات ، ومنعا لحدوث حالات انفراد وعزلة عن الأصدقاء اثناء الاشتباكات • هذه الأمور عظيمة الأثر والأهمية ، وعلى القيادة ان تهتم بها كثيرا • وان اهتمام القيادة بهذه الامور ، وهو اهتمام ظاهر ولا يمكن ان يخفى ، لما يخفف من حدة التوتر والقلق لدى الجنود ، ويدخل الهدوء والاطمئنان على أنفسهم • ويجب ان تلفت أنظار الضباط الى هذه النواحي باستمرار ، وان يُحملوا على تخصيصها بما تستحق من اهتمامهم ، وان يكون هذا الاهتمام واضحا وثابتا ، وفى كل مناسبة •

٨ ــ مبادىء ممارسة القيادة

يتضح ، على ضؤ ما تقدم ، ان تعاطي القيادة وممارستها عمل ليس من السهل تحقيقه • ويمكننا ان نقول ، ايضا ، انه عمل لا يصعب النجاح فيه ، اذا كان القائد مخلصا فى جهوده ونواياه ، وكان فى عمله متفقا ومنسجما مع مطالب القيادة الموفقة ، هذه المطالب التي شرحناها

في المادة السابقة ، والتي تتألف عناصرها البارزة من القواعد القيادية التالية :

أ ـ السيطرة التامة ، والاشراف الكامل ،

ب ـ الكفاية المسلكية المتطورة ،

ج ـ التقييم والتقدير على اساس الوقائع الملموسة ، والمشاهدة الشخصية ،

د ـ التحليق فوق المناهج والمقاييس ،

هـ ـ الايحاء بالثقة ، والحصول عليها ٠

٩ ـ في الاعداد للقيادة

كل ضابط يعتبر مرشحا لأن يكون قائدا في احد الايام ٠ الا انه لا يمكن لكل مرشح ان ينجح في بلوغ ما يصبو اليه ، ولا كل ضابط يستطيع ان يعهد اليه بشرف القيادة وحمل اعبائها الجسام ٠ فللقيادة مطالب كثيرة من النبوغ والمواهب ، وشروط عديدة من الجدارة واللياقة ، ومراحل طويلة من الاعداد والتحضير ٠

مراحل الاعداد ، هي مراحل ممارسة عملية ، ودراسة شخصية ، ومران متطور ، وتثقيف موجه ٠ ان الممارسة ، والدراسة الشخصية والمران جميعها خطوات في متناول الضابط ، منذ ابتداء حياته المسلكية ٠ اما التثقيف الموجه ، فمرحلة تختص بالضباط من مرتبة القادة ، وتقوم على تتبع دائم للتطورات العلمية ، وتفهم عميق للأمور التكنيكية والتنظيمية ٠ والغاية من هذه المرحلة ، هي التوجيه والسعي الى تكوين الاستقلال الفكري ، وتنمية هذا الاستقلال الى درجة عالية ، بحيث يتقرب الضباط من كل مسألة لها علاقة بمبادىء المحاربة الأساسية ، وبالنظريات وقواعد التطبيق الموضوعة على أساس هذه المبادىء ، بتفكير حر طليق من القيود والمؤثرات ، تفكير مجرد يتحرى الدقة والقناعة الشخصية الاختيارية ٠ اما الخطوط البارزة التي تسير بموجبها هذه المرحلة ، فتتألف مما يلي :

أ ـ طلب الحقيقة المجردة :

توضع امام الضابط ، للدرس والاطلاع ، آراء هذا القائد او ذاك ، ويطلب منه معرفتها واحترامها ٠ لكن هذا الطلب لا يذهب الى حد

الدعوة الى التقيد بحرفية هذه الآراء ، ولا الى الامتناع عن مناقشتها بجرأة وصراحة • فمعرفة الحقيقة هي الرائد لكل دراسة وكل توجيه • ومن الواجب ان يشجع لدى الضباط الميل القوي المتعاظم الى تطلب الحقائق التامة • ولا بد ، للوصول الى تحقيق هذا الغرض ، من معرفة جيدة بالمبادىء العسكرية الاساسية ، فى مجالات التكتيك والاستراتيجية، وبالحروب التاريخية وظروفها السياسية والاقتصادية •

كل باحث عسكري ملم بنواحي فنه ، يستطيع من تلقاء نفسه ، اذا كان هادىء الطبع منطقيه ، ان يتوصل الى معظم الحقائق والأصول والفروع فى كل حالة تعرض لتحليله ومناقشته ، شرط ان لا يكون مسمم المواهب والآراء بتفكير متأثر متحيز ، وعادات مكتسبة ضيقة •

ب ـ العزم والهمة :

كل تصميم فكري يثبت للتدقيق والتحليل ، يستدعي ان يتبع بتنفيذ فوري • وكل تصميم يبدأ تنفيذه ، يقتضي ان يتابع حتي النهاية • انها مسألة همة ومثابرة • والقائد فى حاجة دوما الى خليط من همة عالية وثقافة واقعية • ومن الواجب ان يتفهم الضابط الشاب منذ البداية ، منذ ان يُشرع فى تحضيره واعداده ، ان حاجته الى العزم والهمة ، هي مثل حاجته الى الكفاية الفكرية • ان الانتصارات الباهرة، كانت ولا تزال نتاجا للهمم العالية الشديدة ، لدى الضباط من مختلف الدرجات •

ج ـ المعرفة بالنفس البشرية :

يتربى القائد على مبدأ عدم القناعة بحد الكفاية الوسطية فى مجهوده الخاص ، وفى جهود قواته ومساعديه ، بحيث يرفض التوقف عند هذه الكفاية ، ولا يعتبرها مرضية • وتكون الناحية النفسية على جانب عظيم من الخطورة والتأثير فى نجاح هذه التنشئة • وانه لمن الأهمية القصوى ان يتعرف ، بالحس واللمس ، الى موقف المقاتل وطبيعة مشاعره تجاه المحاربة • فهذا المقاتل ، الذي يترك بيته وعائلته ، مدعو الى حمل أعباء ثقيلة ، فى ظروف وشروط بالغة الخطورة والفظاعة والقسوة • ومن المفروض فيه ان يقبل على هذه الواجبات المخيفة ، بدافع من تأثير عقلية مثالية ، وروحية سامية •

غير انه يجب ان لا يذهب ، فى تقدير هذه الروحية وتلك المثالية ، الى حدود الاستحالة البشرية ، أي يجب ان لا يفترض فى المحارب تحقيق ما هو فوق استطاعة الناس · بل يجب ان يظل التقدير المذكور محصورا فى نطاق الممكن والمعقول ، وان لا تتعلق القيادة بأهداب الخيال وخيوط العنكبوت · وانه لواجب دائم ،على كل ضابط ، ان يحافظ على سلامة المثالية والروحية العالية فى نفوس رجاله ، وان يرعاهما بجد واهتمام، وان يحميهما من كل عارض وسؤ ·

المهارة فى المعالجة النفسية ، والدراية بتشخيص أعراضها ومواجهة حالاتها ، فن ينمي الثقة والكفاية لدى الجنود الى درجة عظيمة · وهو فن تقوم فيه القدرة الشخصية بالدور الرئيسي · والقائد الذي يحسن هذا الفن ، وينجح فى تطبيقه ، يجهز نفسه بأداة حربية متفوقة ، أداة يستغلها فى الحالات التكتيكية استغلالا واسعا يتسبب فى اعجاز خصمه ، ويضع هذا الخصم فى وضع يبقيه بعيدا عن حدود التفوق طيلة المحاربة ·

يلتقي الجيشان المتحاربان ، فى ميدان المعركة ، ولكل قائد خطة يأمل ان يسيِّر بموجبها دفة القتال حيال خصمه · بيد ان المعركة تنتهي عادة وقد تجاوزت الى حد بعيد حدود الخطط المرسومة للعمل ، لدى الطرفين على السواء · وانه لينذر العثور ، فى سجلات التاريخ ، على مثل لمعركة جرت تماما وفقا للخطة التي وضعت لها قبل حدوث المصادمة · واذا اتفق وعثر على شيئى من هذا القبيل ، فلن يكون ذلك سوى حاصل لتفوق المنتصر تفوقا ساحقا فى النوعية والكيفية والكمية ، او يكون نتاجا لفقدان الكفاءة لدى المغلوب فقدانا كليا كاملا ·

وفى محاربة حديثة ، على السهول والأراضي المبسوطة والمكشوفة خاصة ، صارت المعارك لا تتقرر بمادة الزمن وتعداد الايام ، وغدت المبادأة لا تستطيع فصلا فى تطور القتال ومجرى الحركات · فقد يتأزم الموقف فوق نفس البقعة من الأرض ، وقد تمضي أيام عديدة دون الوصول الى قرار · وفى حالة كهذه ، وبوجه عام ، تنتهي الازمة وينجلي الموقف اخيرا عن نصر الى جانب القائد الذي يتفوق بمعرفته لأحوال خصمه ، وبالمامه العملي بالتفاعلات النفسية · فمثل هذا القائد

يستعمل ذلك الالمام ويستغل تلك المعرفة للقيام بتدابير واجراءات من شأنها ان تؤثر على سير المعركـة ، وتميل بكفتها الى ناحيته ، لكونهـا مجموعة تصرفات قد بنيت على أساس تنبؤ صحيح بمدى قابلية الخصم لمواجهتها ، هذا الخصم الـذي يكـون فى حالـة معينة مـن الاستعداد النفسي ، حالـة تتهيأ بتأثير انعكاس أوضاعـه العامـة على عقلـه ، وأعصابه ، وعواطفه ، وفطرته العنصرية ٠

ومن الثابت المؤكـد ، ان بناء الحركـات وقيامها على أساس تنبؤ نفسي صحيح ، ينتجان غالبا أخـذ العدو على غـرة ، ومفاجأتـه مـن حيث لا يحتسب ، فيتضعضع ويتردد ، ولا يكاد يفيق من اثر الصدمة الا وقد اصابته الضربة القاضية ٠ هذه النقطة الحساسة ، تدعو للتخطيط لكي تتهيأ للضباط القادة ، فى مراحل التحضير والاعداد ، فرص عديدة للاختبـار ، فـرص يتعرضـون خلالهـا الى مختلف انـواع الضغوط النفسـية ، وذلـك ليلمسوا بـأنفسهم تأثيرهـا ونتائجها ، فيتعودوا عليها ، ويتشبعوا بأهميتها ، ويتجهزوا مـن تجاربهم هـذه بـالخبرة اللازمة الى حسن استخدام النواحي النفسية لصالحهم ٠

د ـ الجهود الموحدة :

كل تصرف ينأى عن الطريق الى وحدة الغرض ، ويضع العراقيل فى وجه الارادة العاملة على توحيد الجهود وتكتيلها ، مثل هـذا التصرف ضار ، ولا دواء له سوى اجتذاذه مـن جذوره وأساساتـه ٠ ويجب ان يكون موضوع مكافحة منذ مراحل التنظيم والاعداد الاولي ، فى المكاتب واللجان ، وفى التراسل والتدريب ٠ وانـه لمـن الواجب كذلـك ، ان تُحارب الميول الانعزالية لدى المصالح والصنوف المقاتلة ، لما فيها مـن ضرر على الصالح العام ٠

هـ ـ قاعدة التصميم :

فى كـل تصميم يعد لغرض العمليـات العسكريـة ، تبنى الفكـرة الاستراتيجية وتتقرر على اساس الجهد ، الذي يمكن تأمينه والقيام به تكتيكيا ، لا على أسـاس التفكير فى آفـاق استراتيجية تتعدى نطـاق الممكن ، من الناحية التكتيكية ٠

١٠ ـ التنبؤ وسياق المعركة

يستهدف العمل الرئيسي ، والتوجيه الأساسي فى المعارك ، غرض التدمير التكتيكي لطاقة العدو الكفاحية • وان قائد الميدان فى المستقبل ، القائد الناجح الذي يقرر بجهوده وسلوكه مصير المعركة ، مثل هذا القائد لم يعد ليكتفي بمواهب عقلية بارزة فحسب ، بل يحتاج الى قوة أعصاب عظيمة ، قوة لن يكون بدونها كفوًا لواجبه وقيادته • وبالنظر الى ما هنالك من تعدد كبير فى الاحتمالات التكتيكية التي تتمخض عنها الميكانيكية ، فقد صار التنبؤ المبدئي الصائب بسير المعركة ، أمرا يكاد يستحيل الوصول الى تحقيقه • كما واصبحت النتائج تتقرر بالمعرفة والمرونة العقلية ، وبالاخلاص فى تحمل المسئولية والاقبال عليها • هذا مع مزيج متناسق موزون من الاقدام والحذر ، ومن السيطرة التامة على القوات المحاربة •

١١ ـ طمانينة القائد الفكرية

الحروب مراحل ، وهي جولات وأيام متداولة • وقد يجري سياق الحرب يوما جريانا حسنا ، ثم يميل الى السؤ والخسارة فى اليوم الذي يلي • هذا التداول ، يجعل من مستلزمات القيادة الصالحة ، لغرض الحصول على النصر ، ان يُعطي القائد حرية العمل ، وان يترك له المجال واسعا لممارسة قيادته ، وان تفسح له الفرص واحدة تلو أخرى ، للتغلب على ظروفه وصعوباته •

ومن واجب الحكومة ، ان تشعر قادة القوات ، فى البر والبحر والجو، بانهم يتمتعون بثقتها الكاملة ، وبأنها تقف حاجزا منيعا بينهم وبين كل شكل من أشكال النقد والتقولات العلنية أمام الرأي العام • قديخطئى الرجال ، لكنهم يتعلمون من أخطائهم • وقد يعاكس الحظ قائدا يوما ، وقد يتحسن حظه بعد ذلك ، وتتعاقب خطواته السعيدة الناجحة • الا انه لا يستطاع ، فى جميع الحالات ، العثور على قادة يقبلون حمل المسئوليات والمخاطرات ومن ورائهم حكومة ضعيفة • كما ولن يوجد قادة تكون لديهم الشجاعة على اتخاذ القرارات الجريئة ، اذا هم أجبروا على ان يلتفتوا بأنظارهم دوما الى ما فوق اكتافهم وخلف

ظهورهم ، وكانوا عرضة للاصابة والتأثر بما يجري فى ميادين السياسة الداخلية ، واذا لم تتأمن لهم راحة الفكر والبال حتى درجة الاشباع ، تلك الراحة التي تمكنهم من تركيز جهودهم ضد العدو ، بـــلا حد ولا حرج ، ولا تحسب لقيل او قال ٠

الباب الرابع

المناورات والمعارك العربية

الفصل الثاني عشر
المناورة والسياسة

١ ـ حقيقة المحاربة المعاصرة

تتصف المحاربة العسكرية المعاصرة بالاستطاعة الواسعة ، وبالتنوع المخيف فى وسائط القتل والتدمير • وتتميز حروب اليوم عن حروب الماضي بالقسوة البالغة • فهي تجمع كل أهوال العصور الفائتة بصورة كثيفة مركزة ، وتتسم بطابع القلق المستمر ، والتخوف الدائم من المفاجئات التي لا تتوقف ولا تنقطع ، فى عالم الاختراع والابتكار ، وفى خدمة الآلة الحربية التي لا تكف أبدا عن طلب المزيد •

والقوات المقاتلة ، اليوم ، طليعة لأمة تحارب بأجمعها • انها جزء قليل من كل كثير ، جزء يتقدم صراعا يعم جميع الساحات والميادين ، صراعا هو اصطدام أمم بأمم ، وقارات بأخرى • وكثيرا ما يؤدي هذا الاصطدام الى نتائج تتعادل فى التكاليف والأضرار ، لدى الغالب والمغلوب على السواء •

والمحاربة العسكرية ، فى كل عصر ووقت ، تقوم على حقائق لا تتغير • بيد ان نظريات التطبيق ، التي تستوحي من هذه الحقائق ، او تستند عليها ، هي نظريات مرنة متكيفة • وهي تستلخص وتنتقى لكل حالة ، وفقا لظروف لا تستقر على حال • هذا يعني انه اذا كانت حقائق المحاربة العسكرية ثابتة ، فقواعد العمل المستخلصة منها ليست

كذلك • انها قواعد متبدلة • وما من قواعد جامدة يمكن وضعها لتكون صورة لنوع من العمل وأسلوبه فى حالة بعينها •

ان دراســة المـاضي ضرورة لازمــة لنمو المـدارك وتنمية العقل وتهذيبه ، وللسمو به فى مراتب النضج والكمال • لكن هذه الدراسة لا تفيد ابدا فى تعيين المناهج والسبل ، اذا هي لـم تدعم بقابلية وقدرة على الانتقاء والتمييز ما بين المعطيات والمعادلات الظرفية وأهميتها ، وعلاقاتها بعضها مع بعض ، ونسبها مـن التأثر والفاعلية على سـير الاحداث •

الحقيقة الثابتة الاولى ، من حقائق المحاربة العسكرية العامة ، هي ان المحاربة سياسة ومناورة • والمناورات فى الحروب كثيرة ومتنوعة ، لكن القليل منها هو الذي يجري عادة فى ميادين القتال • من المناورات ما هي عسكرية ، تجري بعيدا عن الجبهات ، على الأجنحة والمؤخرات • ومنها مـا هي منـاورات فى الـوقت ، والدبلماسـية ، والميكانيكية ، والنفسية ، وجميعها تحصل بعيدا عـن ميادیـن القتـال ، ولا تؤثـر عادة فى هذه الميادين ، بصورة فاصلة مكشوفة • والغاية المتوخاة مـن هذه المناورات ، هي التوصل الى بلوغ الغرض الرئيسي ، عـن طريق أبسط السـبل ، وبالابتعاد ، كلما امكـن ، عـن استعمال الوسـائط المؤدية الى التكاليف الباهظة بـالارواح • ان الفـارق بين السياسـة والاستراتيجية ، يتضاءل تصاعديا ، كلما صحت وجهات النظر وارتفع مستواها ، بحيث يزول كـل فارق تمامـا عند القمة ، وبحيث تكـون الاستراتيجية والسياسـة الصحيحة عندئـذ جوهرا فـردا وموضوعـا واحدا •

والمناورة السياسية ، التي تـأتي الى ميدان القتال بحليف جديـد ، تقدم خدمة جليلة لا تقل فائدة وقيمة عن المناورة العسكريـة ، التي تؤدي الى ربح معركة كبيرة • والمناورة العسكرية ، التي تكسب موقعا استراتيجيا ، قد تكون أدنى أهمية واقل اثرا ، من المناورة السياسية التي تنجح بتخويف طرف محايد خطر ، وتضطره هكذا الى الاخلاد هادئا ساكنا ضمن حدوده •

ان موضوع الحـرب واحـد لا يتجزأ ، ولا يجـوز التطلـع اليه ،

والتقرب منه ، بوجهات نظر مختلفة ، وجهود متقطعة • فالحرب لا تعرف التفرقة الجامدة بين العناصر والاحلاف ، بين الارض والبحر والسماء ، بين ربح الانتصارات واكتساب الحلفاء ، بين الدعاية والميكانيكية ، بين التصور والواقع • انها فعلا ، وبأبسط تعبير ، مجموع القوى والجهود والمؤثرات العاملة معا ، خلال حقبة زمنية معينة • انها جهود عسكرية ومدنية مشتركة ، ومناورات سياسية وعسكرية ، أي قتال ودبلماسية • وهي ، من حيث الناحية العسكرية الصرف ، قتالات ومعارك تستهدف ابادة جيوش الخصم ، او تعطيل عمل هذه الجيوش كآلة حربية • والمعارك تجري وتكتسب بالتقتيل والمناورة •

وكلما عظم القائد العسكري ، وسمت مداركه وتفوقت شخصيته ، كلما مال الى تطلب المناورة ، والى ابتغاء التوفير فى التقتيل وازهاق الارواح • والنظرية ، التي تبنى عليها معركة الاستنزاف او التآكل المتبادل ، هذه النظرية لا تمت الى المناورة بصلة • فجميع المعارك العظيمة ، المعارك التاريخية التي تعتبر نموذجية مثالية ، والتي ساهم كثير منها فى تغيير مجرى التاريخ ، هي معارك مناورة ، مناورة أدت الى ان يجد العدو نفسه مغلوبا على أمره ، بنتيجة تدبير فذ وطريقة مبتكرة فى التصميم والتنفيذ • وفى مثل هذه المعارك ، تكون خسائر الغالب عادة ضئيلة جدا •

ولكي يكون القائد عظيما ناجحا ومناورا بارعا ، يجب أن يحوز على مقدار وافر من المنطق السليم والتفكير الصحيح ، وان يتمتع بقوة التصور والخيال الى حد كبير ، وان يضيف الى كل ذلك عامل الابداع ، هذه الموهبة ، او المقدرة ، او النظرة الثاقبة المخيفة بدقتها وبساطتها ، وكذلك الاجتهاد العملي الذي يترك الخصم مغلوبا وفى حيرة من أمره فى آن واحد • هذا الابداع ، بتعبير اخر ، هو المعرفة بما يقتضي عمله فى الوقت الملائم ، وتخصيص العمل بما يلزمه ويكفيه من حاجات، فى وقته وحينه •

اننا نفترض ، ونريد ان يكون كل قائد عسكري مبدعا ، وأن يكون ابداعه من النوع الذي تقدم شرحه وتفصيله • اما أولئك

الروبوتيون (١) ، الذين يحتلون مراكـز قيادة عسكريـة ، والذين لا يعرفون مـن الفن العسكري سـوى تلك الطريقة السخيفة البشـعة ، طـريقة تبـادل الأرواح وتعـداد الجماجـم ، فهم ليسـوا بقـادة ، وليسوا أهـلا للاعـزاز والتكريم وتقديـر التاريـخ · وهـو اجرام ان يعهد الى مثل هؤلاء الناس بأمر التصرف بمقدرات البلاد وأرواح العباد ·

٢ ـ المعركة

المحاربة ، بين متساوين فى القدرة ، سلسلة انتقاضات يُعلَّق عليها كل شيئى ، ويتخصص لها كل شيئى ، وتؤدي الى نتائج تكون ، فى حـد ذاتها ، ذات صفة مزمنة · وتعرف هذه الانتفاضات باسم المعارك ·

تجري المعركـة على جبهة · والجبهة ساحـات فاصلة ، وساحـات رئيسية · الساحة الفاصلة ، هي كـل ساحة قابلـة ، فى أي وقت ، لأن تؤدي الى قرار حاسم عقب معركة موفقة · اما الساحة الرئيسية ، فهي مكان تمركز الاساطيل والجيوش الرئيسية · وقـد تكون هذه الساحة فاصلة ، لكنها لن تكون كذلك فى كل حين ·

المعركة ، مبدئيا ، كلهـا مهاجمة · طـرف يهاجم ، وآخـر يـرد بالمدافعة · فاذا اكتفى الطرف المهجوم عليه بالرد وهو جاثم فى مكانه ، فرده هذا هـو المدافعة الثابتة ، او المدافعة المكانية · واذا كـان الرد مزيجا من المدافعة المكانيـة والمهاجمات العكسية الواسعة ، فهو دفـاع حركي يجري مستندا على دفاعات تكتيكية قوية · والدفاع الحركي ، ايضا ، هو الأسلوب المتبع فى قتال المؤخرات ، وفى مناورات الانسحاب ·

والمعركة ، فى حد ذاتها ، اشارة الى ان مجموع الامكانات لدى المهاجم ـ الامكانات التي استطاع حشدها للضرب بقوة وفاعلية ـ هي ، خلال فترة من الزمـن ، موجهة بكثافـة وتركيز لتنصب على رأس العدو · والمفروض فى المعركة ، كل معركة ، أن تبنى على أساس واضح ، او على مقياس او نسبة واجبة من مجموع القدرة القتالية لـدى القوات المحاربة · ان التحام خمس فرق ، مثلا ، من جيش يتألف بمجموعه من

(١) نسبة الى روبوت (Robot) ، بمعنى التنفيذ كالآلة الصماء

سبع فرق ، هـو التحام قـائم على المقياس الصحيح ، ويصح ان يدعى معركة • اما التحام خمس فرق ، من جيش يتألف من سبعين فرقة ، فهو التحام لا يدعى معركة ، حتى ولو كثرت فيه الخسائر والأضرار لـدى الفريقين • انه اشتباكة بسيطة • وان سلسلة من مثل هذه الاشتبكات لتزيد فى الخسائر ، دون ان تغير من مجرى الأحداث بصورة محسوسة •

لا يجوز ايضـا ، فى نطـاق التصميم والمنطق الصحيح ، ان تكـون المعركة موضوع نظر منفصل عن عامل الزمن • فاذا سيطرنـا ، مثلا ، على جناح العدو الأيمن بقوة كاسحة ، فانا نضع أنفسنا فى وضع ملائم للهجوم على جناحه الآخر المكشوف ، او على مركز ثقله عند قلبه •• او نحن نأمل مـن وراء اختراقنا لمركـز ثقلـه ، ان نتوصـل الى طي أجنحته •• أو نأمل من وراء احتلالنا لموقع معين ، ان نحقق السيطرة على خط مواصلات العدو • لكن لن تصير ، من كـل هذه الاحتمالات القيمة ، ولا واحدة ممكنة التحقيق ، فيما لو كان الوقت ، الذي يصرف فى العمليات الجارية لتحقيق الشق الاول مـن الفرضية ، مـن الطول بحيث يستغله الخصم لمعالجة الموقف الطارىء باحتياطات جديدة ، كأن يتراجع ، مثلا ، بخطوطه على جوانب الثغرة المفتوحـة ، او يعمد الى تقوية هذه الخطوط •• او كـأن ينسحب بقواتـه قبل ان يتم احتلال المرتفع المسيطر على مواصلاته ••• فاذا توفر للعدو الوقت الكـافي لاتخاذ مثل هذه التدابير المضادة بنجاح ، فقد ذهبت عند ذلك الفرصة السانحة سدى ، ولم تثمر المعركـة المبدئية التي أنتجت تلك الفرصة الثمينة ، ونشأ كذلك موقف جديد يتطلب معركة جديدة •

ان مقدار الزمن ، المتوفر لمواجهة المواقف الطارئة خـلال المعركة ، لن يكون أبدا طويلا • انه على العكس وقت قصير جدا ، ومن واجب القائد ان يستغله الى أبعد مدى ، قبل فواته ومضيه • ان ليلة واحـدة لكافية لاشغال موضع جديـد ، وتنظيمه وخندقتـه •• وان ثمانـي وأربعين ساعة لمـدة وافية للسيارات والقطارات والطائرات ، لجلب الامداد الواسع بالمدافـع والمقاتلين ، الى أيـة نقطة مهددة • وعندئذ سيجد المهاجم نفسه مواجها بموقف جديد ، وموضوع مختلف ، ومعركة جديدة مستقلة عـن المعركة السابقة • وانـه لخطأ كبير ، فى التعبير

والتصرف ، ان نرى فى متابعة الهجوم ، فى ظـروف ومواقف مختلفة ، جزءا من المعركة المبدئية الأولية ٠٠ او ان ننظر الى سلسلة من الجهود المتقطعة ، على انها معركة واحدة طويلة الأمد · فالعمليات الحربيـة الجارية على فترات مديدة ومراحل متقطعة ، والتي تتجزأ بفاصلات زمنية تطرأ خلالها مواقف مستجدة ، يمكن اعتبارها مراحل متعاقبـة لمناورة واحـدة ، (كمناورة فرنسا) عـام ١٩٤٠ ، ولكـن لا يمكن اعتبارها معركة واحدة · هذه السلسلة من الجهود المتقطعة هي النموذج لمعارك اليوم · أما المعارك التاريخية الفاصلة مـن أمثال « اربيل » ، و « اليرموك » ، و « سيدان » و « تاننبرغ » ، فلم تعد ممكنـة فى هـذا الزمن ·

الربح فى المعركة ، يحصل فقط بعظم المجهود ، وكثافته وفاعليته ، فى هجوم يجري على نطـاق محدود ، وفترة زمنية معينـة · ان غايـة الهجوم ، هي احتلال جيش الخصم ، لا موضع هذا الجيش · والسياسة الحربية التي تخطط وفقا لقاعدة التآكل او الاستنزاف المتبادل ، ولو بين خصمين غير متعادلين ، ليست بالسياسـة التي تـؤدي الى قرار فى ظروف وشروط معقولة ، ولا هي بالتي تمسك بخناق الخصم ، وتغلق فى وجهه أبـواب المفاجئات · ان الموضوع ليس هـو استنفاد احتياط الخصم فحسب ، وانما هو استنفاد هـذا الاحتياط بسرعـة ، وبحيث يستحيل على الطرف الآخـر ان يتمالك زمـام أمـره ، وان يستبدل نواقصه ويعيد بناء قواته المحطمة · وكل هجوم لا يوصـل بالعدو الى نتيجة كهذه ، ما هو الا خسارة للأرواح ، وتضييع للوقت والجهود · انه حالئذ عبارة عن تآكـل متبادل ، على مقياس واسع ، وبخسائـر مؤلمة باهظة لا تتناسب مع النتائج الحاصلة والغايات المنشودة ·

٣ ـ المعركة العادية والمعركة الفاصلة

كانت الحروب فيما مضى ، حتى نهاية القرن التاسع عشر ، تنتهي عادة بمعركة واحدة محدودة فى الزمان والمكان · وكانت هذه المعركة الواحدة تعرف بالمعركة الفاصلة ، او المعركة الحاسمة · ولقد ظل ذلك ممكنا ، طالما بقيت الحروب حـرب جيوش لا حـرب أمم · اما اليوم ، وبعد ان صارت الحروب شاملة لجميع مرافق الأمة ، فلم يعد بالامكان

انهاء المحاربة بمعركة واحدة من طراز « واترلو » او « سيدان » ٠ فالمعركة الواحدة ، ذات المناورة البسيطة ، قد أخلت المكان اليوم للمناورة الواسعة ، ذات المعارك العديدة المختلفة ، او ذات المعركة المكونة من مراحل قتالية متعاقبة وفواصل زمنية متعددة ٠ مثل هذه المعركة ، قد تكون فاصلة بالنسبة الى الحرب كلها ، لكن بعد زمن ، كمعركة او بالأحرى مناورة غزو فرنسا ، التي بدأها الحلفاء صباح ٦ حزيران عام ١٩٤٤ ، والتي قد أدت الى هزيمة ألمانيا الهتلرية ونهاية الحرب العالمية الثانية فى أيار عام ١٩٤٥ ٠ وقد تكون غير فاصلة بالنسبة الى الحرب ككل ، لكن فاصلة بالنسبة الى ساحة من ساحات الحرب الرئيسية ، كمعركة فرنسا ، التي دارت ما بين ١٠ ايار و ١٧ حزيران عام ١٩٤٠ ، بين المانيا الهتلرية وبين فرنسا وحلفائها ، والتي انتهت بعد ان تم القضاء على المقاومة المسلحة على كامل الأراضي الفرنسية فى اوروبا ٠ وكذلك هو الحال بالنسبة الى معركة الشمال الأفريقي ، التي بدأت بتاريخ ٢٣ تشرين الاول عام ١٩٤٠ ، وانتهت فى أواخر عام ١٩٤٢ ، والتي أدت الى اخراج قوات المحور نهائيا من مصر وليبيا ، فى الحرب العالمية الثانية ٠

المعركة غاية المناورة ٠ وكل معركة تنتهي دون ان تقضي على ارادة الخصم وعزيمته ، ودون ان تلحق العطل الطويل والخلل المزمن فى بنيان تنظيمه ومقاومته ، هي عندئذ معركة عادية ٠ والمعركة العادية لا بد متبوعة بمعارك أخرى ٠ وكل معركة عادية يخسرها العدو ، تؤدي عادة الى شيئى من التراجع ، والى الارتداد الى حيث يستعد الخصم ويتأهب لمعركة جديدة ٠

٤ ـ نقطة التوازن

من أولى واجبات المهاجم ، ان يسعى جاهدا لكي يحمل خصمه على الدخول معه فى معركة فاصلة ٠ وعلى الطرف الآخر ، الطرف المهجوم عليه ان يرفض الدخول فى المعركة الفاصلة ، الا بعد ان يطمئن الى نتائجها ٠

اذا استطاع المدافع ان يتحاشى المعركة الفاصلة ، وان يقود المهاجم الى معارك عادية تنهكه ، وتبعثر قواه ، وتبعده عن قواعده ،

فهو واصل بخصمه ، آخر الأمر ، الى حيث يحصل توازن بين الفريقين ، فتتعادل النسب فى القوى ، ويفقد المهاجم تفوقه المبدئي الذي كان يتمتع به . واذا سمح المهاجم لنفسه بأن يوصله خصمه الى نقطة التوازن هذه، فمفاد ذلك انه قد بلغ أقصى ما يستطيع من جهد ، ولم يعد بمقدوره ان يسيطر على مجرى القتال ، وانه قد ازدادت مقدرة المدافع على الاضرار به ، وتعاظمت احتمالات تعرضه نفسه الى معركة فاصلة ، او الى التراجع والانسحاب .

تذهب فوائد التعرض والهجوم سدى ، اذا وصل المهاجم الى نقطة التوازن دون ان ينجح فى حمل خصمه على الدخول فى معركة فاصلة . ووصول المهاجم الى هذه النقطة ، معناه انه قد صرف جهوده السابقة فى قتالات استنزاف وتآكل ، وان خسائره فى هذه القتالات كانت اكثر من مرابحه .

واذا استمر الهجوم ، بعد الوصول الى نقطة التوازن ، فكل تعرض للمهاجم يؤول الى فائدة المدافع ، وذلك نظرا للخسائر التي ترافق اعمال الهجوم عادة ، والتي تزيد على خسائر المدافع كثيرا ، ونظرا الى تزايد ابتعاد المهاجم عن قواعده ، وامتداد خطوط مواصلاته ، وحاجة قواته الى الراحة واعادة التنظيم وتعويض الخسائر .

كثيرة هي الأمثلة ، فى تاريخ الحروب ، على فشل كل مهاجم يبلغ نقطة التوازن ، دون ان ينجح فى خوض معركة فاصلة . ففي عام ١٨١٢ ، عندما وصل نابوليون الاول الى مداخل موسكو ، على أعقاب القوات القيصرية المنسحبة ، كان المجهود الفرنسي عندئذ قد بلغ أقصى مداه . لقد قاتل الروس تراجعا بحنكة ومهارة ، دون ان يمكنوا الفرنسيين منهم ، ودون ان يستطيع نابليون حملهم على مواجهته فى معركة يكون فيها القول الفصل . وقد اخذت الطاقة الحربية الفرنسية ، ابتداء من موسكو ، تتقلص وتتضاءل ، دون ان يكون بالامكان ايقاف هذا التدهور او معالجته . وقد زاد الأمر سوءا ، من جراء قيام الروس بتدمير كل شيئى خلفهم ، مما جعل الجيش الفرنسي عاجزا عن التموين بالطعام والعلف ووقود التدفئة . وكانت

النتيجة ان اضطر نابليون الى العودة متقهقرا على أعقابه ، ولم يصل الى قواعده الأصليـة الا بعد ان ذهب معظم جنوده ضحايـا للبرد والجوع ونيران المطاردين ·

وقد حل بهتلر ، نفس ما حل بنابـوليون ، وذلك بعد حوالي قـرن وربع مـن الزمـن · ففي الحـرب العالميـة الثانيـة ، بلغت الجيوش الالمانية النازية ضواحي موسكو ، بعد انتصارها فى عدة معارك كبيرة ، لكن غير فاصلة · وقـد وصلت هـذه الجيوش الى نقطة التوازن مـع الروس السوفيـات عند أبـواب موسكو ، بحلول شتاء عـام ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ · وكان المفروض فى القيادة الألمانية حالئذ ان تتوقف عن متابعة الهجوم ، وان تعمد الى معالجة الموقف الناشب بتدابير ملائمة · لكـن شيئا من هذا لم يحدث · بـل جرى عكس ذلك تماما · فقد أصر هتلر على الاستمرار فى الهجوم رغم اعتراض قواده ، ورغم البرد القاتـل ، والنقص الكبير فى الاعاشـة واللوازم ، وأخصها الألبسـة الشتويـة لمحاربين كانوا غارقين فى بحار من الثلوج والصقيع والطين · وكـان ذلك بداية النهايـة · فقد استطاع السوفيات تـدمير معظم القـوات الألمانية فى موسكو وستالينكراد ، وأرغموا البقية الباقية على التراجع فى ظروف وشروط سيئة للغاية ·

وفى الحرب العالمية الأولى ، بدأ الألمان الحرب بمناورة التفاف كانت تستهدف القضاء على الحلفاء الغربيين بمعركـة كبيرة فاصلة · لكن القيادة الالمانية لم تعط للخطة جميع مطالبها كما كان ينبغي ، فاختل توازن المناورة من جراء ذلـك ، مما أدى الى فشـل الهجوم فى تحقيق غايته ، والى توقف الجيوش الالمانية عند نهر المـارن دون ان تستطيع عبوره واجتيازه · ولم يكن هذا الموقف ، فى حد ذاته ، سيئا كل السـوء بالنسبة الى الألمان ، وكان باستطاعة هؤلاء ان يحولوه الى صالحهم ، وذلك بالوقوف عنده على الدفـاع ، تاركين للفرنسيين امـر تحطيم قواتهم واهراق دماء جنودهم أمام خنادقه وأسلاكه الشائكة ، فى حين يعمدون أنفسهم الى التفتيش عن حل جديد وخطة بديلة ملائمة · لكن الألمـان لم يفعلوا ذلك ، بل عمدوا الى مجاراة الفرنسيين والانكليز فى مهاجمة المواقع المخندقـة وحقول الأسلاك الشائكـة ، باستمرار واصرار وبلا

جدوى . وبذلك سمحوا لأنفسهم بالوصول الى نقطة التوازن مع خصومهم ، وفقدوا تفوقهم الذي كانوا يتمتعون به فى بداية الحرب . وبقبول الالمان لحرب الخنادق ، واستمرارهم عليها رغم التكاليف الباهظة فى الأرواح والدماء ، اخذت قواهم تتضاءل تدريجيا ، بتأثير الاستنزاف والحصار المحكم الذي ضربه الحلفاء حولهم ، الى ان انهاروا تماما ، فاستسلموا فى ١١ تشرين ثاني عام ١٩١٨ ، وذلك بعد أربعة أعوام من قتال متواصل بلا معارك فاصلة ، قتال تآكل واستنزاف كان الخاسر فيه هو الطرف الذي نضبت موارده ، وضعفت عزائمه ، وتلاشت آماله ومعنوياته قبل خصمه .

وفى الشمال الافريقي ، اثناء الحرب العالمية الثانية ، انتصر المارشال رومل على البريطانيين وحلفائهم فى عدة اشتباكات كبيرة ، لكنه لم يفز عليهم ولا مرة فى معركة فاصلة . ولم يكن ذلك نتيجة لخطأ فى تكتيك رومل وتخطيطه . بل كان منشأه خطأ فى تفكير القيادة الألمانية العليا وتخطيطها ، الأمر الذي أدى الى خسارة الالمان للحرب فى هذه الساحة الهامة ، والى خروجهم منها مكرهين بعد انتصار الانكليز وحلفائهم فى معركة العلمين ، ونزول القوات الامريكية والبريطانية فى تونس والجزائر والمغرب .

فى الأزمنة السابقة ، وحتى بداية الحرب العالمية الاولى ، كانت المعركة الفاصلة تجري غالبا على مساحة ارض صغيرة لا تتجاوز بضع كيلومترات مربعة ، ولا تزيد احيانا كثيرة عن مساحة ميدان كبير لسباق الخيل فى هذه الأيام . ومثال ذلك : « اربيل » ، « اليرموك » ، « سيدان » ، « واترلو » . اما اليوم ، فالمعركة الفاصلة ، اذا صح الاستمرار على استعمال هذا التعبير ، هي نتيجة لعدة اشتباكات متعاقبة ، تجري جميعا وفقا لمناورة واحدة وخطة موحدة ، وعلى جبهة او عدة جبهات تقع كلها فى ساحة رئيسية واحدة قد تزيد مساحتها على عدة آلاف من الكيلومترات المربعة .

وقد كان الشمال الافريقي ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، ساحة من ساحات الحرب الرئيسية . وكان الانتصار الحاسم ، لأحد الطرفين ، فى هذه الساحة ، بمثابة وضع حد للحاربة فى أفريقيا كلها ، ومساهما فى

تقريب هذا الطرف من النصر النهائي فى الحرب العالمية الدائرة ، لكنه لم يكن بالضرورة منهيا لهذه الحرب • وفى موقع العلمين ، داخل الأراضي المصرية ، بلغ الألمان والطليان نقطة التوازن مع البريطانيين، وظلوا عاجزين عن اجتياز هذه النقطة صعدا ، وبذلك عاجزين فى الوقت نفسه عن اقتحام مراكز البريطانيين عند العلمين ، وعن متابعة اندفاعهم باتجاه الاسكندرية والقاهرة •

كان الألمان أمام امرين : فاما الانسحاب عائدين أدراجهم الى قواعدهم فى ليبيا ، واما الاسراع باعادة بناء قواتهم وتجهيزاتهم الموجودة عند العلمين ، بقصد ايصالها الى مستوى متفوق يسمح لهم بالعودة الى الهجوم بنجاح ، وباختراق دفاعات البريطانيين ، وذلك قبل ان يتمكن هؤلاء من تحقيق مثل هذا البناء لصالحهم • ولكنهم لم يفعلوا شيئا كهذا ، ولذا هزمهم البريطانيون عند موقع العلمين ، وكانت تلك الهزيمة نقطة تحول فى تاريخ الحرب العالمية الثانية ، وبداية لسلسلة متواصلة من الهزائم الألمانية المتلاحقة دون توقف ، حتى هزيمتهم النهائية •

كانت العلمين نقطة توازن القوى فى الشمال الافريقي • وكان هذا الجزء من أفريقيا ساحة من الساحات الرئيسية فى الحرب العالمية الثانية • وكانت معركة العلمين حاسمة فى هذه الساحة الافريقية الرئيسية ، لكنها لم تكن كذلك بالنسبة الى الحرب كمجموع ، فقد بقيت هنالك ساحات حرب أخرى ، ولم يتوقف القتال فيها عقب الانتصار فى العلمين ، كما كان الحال قديما بعد كل معركة فاصلة •

المعركة الفاصلة بالمفهوم المعاصر ، هي غاية المناورة الجيدة • وغاية المناورة أيضا هي الاستمرار فىالتفوق على الخصمفى جميع مراحل القتال وتطورات المعركة • ولكي تكون المناورة قابلة للتنفيذ والجريان ، ومن ثم ناجحة ، يجب ان تتأمن لها أسباب النجاح وميكانيكية التشغيل فى النواحي الاستراتيجية والتكتيكية • ومثل هذه الأسباب والمتطلبات عديدة ، ولكل موقف مستلزماته الخاصة من هذه الناحية • لكن هنالك أربعة متطلبات ، او بالأحرى أربع مجموعات من الضرورات الرئيسية العامة لجميع المواقف ، والتي لا بد من توفرها جميعا حتى يكون

بالامكان تصميم المناورة ، وتطبيقها بصورة ناجحة · هـذه الضرورات هي :

- تحضير القوات وتجهيزها ،
- تركيز القوى ، وحشدها فى المكان الفاصل والاتجاه الفاصل ،
- تأمين التموين وانتظامه ،
- التوافـق والانسجام بين الأهـداف السياسـية والأهـداف العسكرية ·

الفصل الثالــث عشر

بعض المعارك الكبرى في التاريخ

١ ـ عموميات

سبق فقلنا ان المعركة الفاصلة كانت كثيرة الحدوث قديما ، وانهـا كانت الخاتمة المثلى لكل حرب ، والأمنية الاولى لكل قائد ، وانها كانت معركة رئيسية واحـدة تنتهي بنهايتها الحرب القائمة · أمـا اليوم ، فيكاد يكون فى حكم المستحيل انهاء حرب بمعركة واحدة حاسمة ·

ولا يصح ، فى هذه الأيام ، استعمال تعبير المعركة الفاصلة ، الا اذا أُريد بذلك ، جوازا ، الاشارة الى قتال قد جرى فى احدى ساحات الحرب الرئيسية ، ودام طويـلا ، ثـم انتهى بتقريـر مصير القتـال فى تلك الساحة ·

ومن المعارك التاريخية الفاصلة ، على سبيل المثال ، المعارك التالية :

- زاما او (جاما) ،
- اليرموك الثانية ،
- واترلوا ،
- سيدان ·

ومن المعارك الفاصلة ، فى ساحة من ساحات الحرب الرئيسية ، فاصلة جوازا بمفاهيم اليوم ، معارك :

- أجنادين ،
- تاننبرغ ،
- فرنسا عام ١٩٤٠ ،
- العلمين ، فى الشمال الافريقي ·

٢ ـ معركة زاما

وقعت معركة زاما ، او جاما ، بين روما وقرطاجة ، عام (٢٠٢)

قبل الميلاد ، فى أفريقيا ، على ساحل البحر ، بالقرب من موقع مدينة تونس اليوم · وكانت تلك المعركة خاتمة للحروب البونية التي نشبت بين الرومان وقرطاجة ، والتي استمرت اكثر من قرنين من الزمن ، وانتهت بتدمير قرطاجة ودولتها عام(١٤٦ ق· م·) · فى معركة زاما ، كان الجيش الروماني بقيادة القائد سيبيون الملقب بالافريقي ، والجيش القرطاجي بقيادة القائد الكبير هانيبال برقة ·

٣ ـ معركة اليرموك الثانية

نشبت معركة اليرموك الثانية ، المعركة الفاصلة، فى وادي اليرموك، بالقرب من مدينة درعا فى سورية ، فى نهاية عام (٦٣٦) ميلادية على وجه التقريب · يدعي المؤرخون العرب ، الذين اخذوا فى كتابة التاريخ بعد مضي اكثر من مائة عام على وقوع المعركة ، بأن القيادة فى اليرموك كانت لخالد بن الوليد · وهذا الادعاء صحيح بالنسبة الى معركة اليرموك الأولى ، لكنه مشكوك فى صحته لما يتعلق بأمر معركة اليرموك الثانية ، المعركة الأساسية الفاصلة ·

لا يتكلم التاريخ العربي بصورة عسكرية ، ولا بدقة ووضوح ، عما جرى بين العرب والروم البيزنطيين ، على أرض اليرموك · انه يتكلم فقط عن وقوع معركة باسم اليرموك ، وعن بعض التدابير المستحدثة التي اتخذها العرب ، وعدد الجيوش لدى الطرفين والقتلى لدى الروم، وان المعركة بدأت بقيادة خالد بن الوليد ، وانتهت بقيادة ابي عبيدة ابن الجراح ، وذلك عام ٦٣٤ ·

ولكن هنالك معركتان جرتا على أرض اليرموك ، بفاصل سنتين من الزمن بين المعركة الاولى والمعركة الثانية · والمعركة التاريخية الفاصلة التي نحن بصدد الحديث عنها ، هي المعركة الثانية ، وقد جرت بعد عامين من تراجع البيزنطيين حتى انطاكية ، ثم خروجهم مجددا من هذه المدينة بقوة ، بعد استكمال استعدادهم واعادة تنظيم جيوشهم ، متوجهين الى قتال العرب المسلمين فى جولة ثانية ·

وقد قابل العرب تحركات للجيوش البيزنطية ، وزحفها جنوبا ، باخلاء مدن حماه وحمص ودمشق ، متراجعين بقصد التجمع وحشد القوى فى مكان أمين يحمي مؤخراتهم ، ويضمن سلامة مواصلاتهم مع

قواعدهم فى الحجاز ، عن طريق خليج العقبة · وقد اجتمعوا هذه المرة ايضا فى نفس المكان الذي اجتمعوا فيه قبل ذلك بعامين ، على الضفاف الجنوبية من وادي اليرموك · والمرجح ان القيادة العربية العامـة فى هذه المعركة كانت لأبي عبيدة بن الجراح ·

وقد حقق العرب ، بانتصارهم فى هذه المعركـة ، فوزا حاسما على جيش الامبراطور البيزنطي هرقليوس ، هذا الجيش الذي كان القوة العسكريـة الوحيدة ، المتبقية لبيزنطة فى الديـار السوريـة · وبهذا الانتصار خرجت سورية من حكم الرومان البيزنطيين ، لتدخل فى حكم العرب الفاتحين وتعود هكذا ارضا عربية · وسيأتي ذكر مفصل لهذه المعركة العربية التاريخية الهامة ، فى الفصل الخامس عشر التالي مـن هذا الكتاب ·

٤ ـ واترلوا

واترلوا مكان فى بلجيكا ، فى أوروبا الغربية ، وفيه جرت المعركـة المعروفة بهذا الاسم ، عـام ١٨١٥م ، بين الفرنسيين بقيادة العاهـل نابليون بونابرت ، وبين الانكليز وحلفائهم ، بقيادة القائد الانكليزي « ولنكتون » ، والقائـد البروسي « بلوخر » · وكانت هـذه المعركة فاصلة ، من حيث انها وضعت نهايـة لحروب الثورة الفرنسية والعهد النابوليوني الاول ، وأطاحت بحكم نابليون بونابرت ونظامه ، وحررت أوروبا من الهيمنة الفرنسية ·

٥ ـ سيدان

وقعت معركة « سيدان » فى فرنسا عـام ١٨٧٠م ، بين البروسيين والفرنسيين · وقد انتصر البروسيون الألمان فى هذه المعركة التاريخية الفاصلة ، على يد الجيش البروسي ، وانتهت الحرب بهذا الانتصار · وكان من نتائج هذه المعركة ، ان انهار عهد الامبراطور نابليون الثالث فى فرنسا ، وتحققت آمال الألمان بتحقيق الوحدة الاتحاديـة الألمانية ، وقيام الامبراطورية الجرمانية الأولى ، بزعامة الدولة البروسية ·

٦ ـ أجنادين

تحمل معركة أجنادين اسم المكان الذي كان ساحة لجريانها ، والواقع

بين الرملة وبيت جبرين ، الى الشرق من غزة ، فى فلسطين • وقد جرت هذه المعركة بين العرب والبيزنطيين ، عام ٦٣٤ م ، وفى شهر تموز من تلك السنة كما يظنّ •

كان وضع القوات لدى الطرفين على الوجه التالي :

أ ـ الرومان البيزنطيون :

كان للبيزنطيين فى سورية جيش فى حوران يرابط دفاعيا على الجانب الشمالي من وادي اليرموك ، ما بين هذا الوادي ومدينة « درعا » ، وواجبه اغلاق الممر بين هاتين النقطتين والمعروف باسم ثغرة درعا • وكانت هذه الثغرة هي المنفذ الوحيد من شرق الاردن الى دمشق ، وقد أغلقها الرومان فى وجه القوات العربية المهاجمة ، الصاعدة شمالا من خليج العقبة •

وكان قيصر الروم ، فى حمص ، قد انتهى من بناء جيش ثان ، وقرر ان يرسل هذا الجيش الى جنوب فلسطين لتدمير جيش عمر بن العاص الذي كان يسرح ويمرح فى تلك المنطقة ، مستندا على قاعدته فى وادي عربة • والقرار بارسال هذا الجيش البيزنطي الثاني بعيدا عن القوى العربية الرئيسية المجتمعة عند ثغرة درعا ، دليل على ان القيصر كان واثقا من قوة تحصيناته فى تلك المنطقة ومن استطاعتها على الثبات والصمود • وكانت خطته هذه اعادة لخطة مماثلة كان قد نفذها بنجاح ضد الفرس عام ٦٢٣ م •

ب ـ العرب :

كانت القوة العربية الرئيسية مجتمعة فى منطقة اليرموك ، عند الطرف الجنوبي من ثغرة درعا • وكانت قوة عمرو بن العاص تعمل منفردة فى جنوب فلسطين •

ج ـ المناورة البيزنطية :

بنيتالمناورة البيزنطية على افتراض عجز القوة العربية الرئيسية عن النفاذ من ثغرة درعا والوصول الى دمشق ، واغتنام فرصة انشغالها مع قوات الدفاع البيزنطية التي تسد الثغرة ، لتسيير الجيش البيزنطي الى فلسطين لتدمير جيش ابن العاص ، مارا بطبرية ،

والناصرة وقيصرية ، ومتمونا عن طريق البحر بواسطة الأسطول • كان غرض المناورة تدمير قوة عمرو بن العاص فى منطقة بئر السبع ، ثم التوجه الى العقبة (ايله) لقطع العرب عن طريق اتصالهم وامداداتهم مع المدينة ، أو ارغامهم على التراجع والانسحاب تفاديا لهذا الاحتمال •

د ـ المعركة :

علم قادة العرب عند اليرموك بتحرك جيش الشمال البيزنطي من حمص باتجاه فلسطين • وكان لا بد لهم من الاسراع الى نجدة القائد عمرو بن العاص والا تعرض هذا الى أشد الأخطار • ولم يكن أمامهم متسع من الوقت • غادروا منطقة اليرموك فى جنح الظلام ، تحملهم جمالهم ، وتسير بهم الليل والنهار دون انقطاع ، خفافا غير ثقال ، فى سباق وقت وسرعة كان عليهم ان يربحوه مهما كلف من تعب وعناء • ساروا جنوبا مارين بالرمثا وعمان حتى مضيق مؤاب ، حيث مدينة الكرك حاليا ، ومن ثم جنوبا مع انحراف نحو الغرب حتى عين الحص فى وادي عربة ، ومن وادي الحص ساروا غربا شمالا الى بئر السبع حيث كان عمرو بانتظارهم مع جنده • لقد ربحوا السباق لقلة أحمالهم ، وسرعة ابلهم ، وكفاف زادهم ، وقوة احتمالهم ، وخسر الجيش البيزنطي فوصل بعدهم ، وذلك لما كان من بطء حركته ، وكثرة أحماله وتعدد معداته ، وتقيده الأعمى بالمواقيت والمسيرات اليومية المحددة التقليدية •

اصطدم الفريقان فى أحد أيام شهر تموز عام ٦٣٤م ، وكانت معركة طاحنة ، انتهت بتدمير الجيش البيزنطي عن بكرة أبيه • أحبطت هذه الهزيمة تعرض هرقل الاستراتيجي المعاكس ، وسمحت للعرب بالعودة جميعا الى وادي اليرموك دون خوف على مؤخراتهم ومواصلاتهم مع القيادة العليا فى المدينة • وفى نهاية شهر آب من تلك السنة عاد العرب ثانية الى مواجهة الدفاعات البيزنطية عند ثغرة درعا •

تعتبر معركة أجنادين نموذجية من حيث الجرأة وحسن التصميم وسرعة التنفيذ • وهي المعركة التي قامت عليها شهرة خالد بن الوليد ، الشهرة التاريخية الحربية ، على اعتبارها المعركة التي تجلت فيها

عبقريته القتالية بصورة بارزة طاغية ، والتي انتهت بها حياته الحربية كقائد عـام للقوى العربية الغازيـة • معظم المؤرخين العرب ، الذين كتبوا للتاريخ أخـذا عـن الرواة ، وبعد مـرور اكثر مـن مائة عـام على جريان المعركـة ، لا يفرقون بين مـا أعقب الانتصار فى أجنادين من مناوشات وغـارات عربية خفيفة عند اليرموك فى تموز مـن عـام ٦٣٤ م ، وحينما كان خالد لا يزال قائـدا للقوات العربية الاسلامية ، وبين معركة اليرموك الحقيقية ، التي جـرت فى نفس المكـان ايضا ، ولكن فى نهاية عام ٦٣٦ م ، والتي هي معركة اليرموك المشهورة التي أنهت احتلال الـروم البيزنطيين لسوريـة وأدخلتها فى حكـم العرب الفاتحين ، القادمين من شبه الجزيرة العربية •

وتعتبر أجنادين معركة كبرى ايضا ، لكونها وضعت نهاية للقتال فى ساحة رئيسية من ساحات الحرب ، لكنها لا تعتبر فاصلة ، لكونها لم تؤد الى انهاء القتال فى سورية • فقد ظلت حالة الحرب قائمة بعد أجنادين ، وظل الأمبراطور البيزنطي هرقليوس مصرا على متابعة القتال وقادرا عليه ، وقد تراجع ببطء وانتظام حتى أنطاكية • وفى أنطاكية أخـذ الروم يعدون قواتهم المسلحة للجولة القادمة ، هذه الجولة التي اختتمت بموقعة اليرموك عام ٦٣٦ م •

وفى معركـة أجنادين ، لا نعلم كم كـان عدد القوات المتحاربة لدى الطرفين ، ولا يمكن الأخذ بأقوال المؤرخين العرب كأساس للبت فى هذا الموضوع • كل ما نستطيع قوله بخصوص هذه الناحية ، هو ان القوات البيزنطية كانت متفوقة على العرب فى العدد والمعدات الحربية ، وظل هـذا التفوق قـائما حتى خـروج البيزنطيين نهائيـا مـن سوريـة وفلسطين •

٧ ـ تاننبرغ

تاننبرغ معركة عظيمة ، جـرت على مرحلتين • وقـد وقعت بين المانيا وروسيا القيصرية ابـان الحرب العالمية الاولى ، فى خريف عـام ١٩١٤م ، وفى بروسيا الشرقية • فى هذه المعركة ، كان الالمان بقيـادة المارشال هندنبورغ ومعاونه الجنرال لودندورف • وكـان فى الطرف الآخـر جيشـان روسـيان ، بقيـادة الجنرال سامسونـوف والجنرال

رينينكامف • وقد انتصر الألمان فى هـذه المعركـة ، واستطاعوا سحق الجيشين الروسيين ، كـل جيش على حدة ، وبقوات تقل عـددا عن القوات الروسية مجتمعة • وهذا الانتصار أنقذ بروسيا من الاجتياح الروسي ، وأراح الالمان من أعباء القتال على حدودهم الشرقية ، ومن أخطار المحاربة على جبهتين رئيسيتين • ولو كـانت ألمانيا يومئذ فى حرب فقط مع روسيا لوحدها ، لكانت معركة « تاننبرغ » بحق معركة فاصلة من نوع معارك زاما واليرموك وواترلو •

٨ ـ معركة فرنسا

جرت معركة فرنسا بعد ثمانية اشهر مـن انـدلاع الحرب العالمية الثانية • وقـد دامت سبعا وثلاثين يومـا ، وانتهت بانتصار المـانيا النازية ، وهزيمة فرنسا واستسلامها • وهي معركة فاصلة بالنسبة الى فرنسا ، فاصلة بالمفهوم الحديث ، لكنها لم تضع حدا للقتال والمحاربة الا" فى أوروبا ولمدة قصيرة ، بينما بقيت حالة الحرب قائمة بين المانيا وبين حلفاء فرنسا خارج القارة الاوروبية • لقد كان النصر الألماني فى المعركة عظيما جدا ، لكن الالمان لم يحسنوا الاستفادة مـن نتائجه ، ولم يتمكنوا على أعقابه من بلوغ الغايات التي أشعلوا الحرب لأجلها • ويمكن الاشارة الى هذا النوع من المعارك بتعبير السفر ، بكسر السين وتسكين العين ، فنقول مثلا ، عند التكلم عـن معارك الحـرب العالمية الثانية ، السـفر الفرنسي الاول ، والسـفر الفرنسي الثاني والسفر الافريقي ، وهلم جرا •

٩ ـ الحرب فى الشمال الافريقي ومعركة العلمين

استمر القتال فى أفريقيا الشمالية ، أثنـاء الحرب العالمية الثانية ، مدة تزيد عن السنتين • ولم يكن لهذه الحرب ، منذ البداية ، هـدف استراتيجي واضح فى تفكير الألمان وتخطيطهم • اما فيما يتعلق بأهداف حلفائهم الطليان من هذه الحرب ، فقد كانـوا يستهدفون مـن ورائها احتلال سورية ومصر وجميع بلدان الشرق الأوسط والأدنى • لكـن الالمـان لـم يشاركـوا عمليا فى هـذا التفكير ، ولذا لم يوجهوا لهذه الساحة الحربية الرئيسية ما كانت تستحقه مـن المجهود والاهتمام ،

وتصرفوا كمن لا يرى فيها فائدة ولا خدمة لخططهم وعملياتهم الحربية ٠

والقتال في الشمال الافريقي ، عبارة عن سفر حربي مؤلف من عدة معارك ٠ وقد جرى هذا القتال على مرحلتين :

أ ــ الطليان والالمان في وجه البريطانيين ،

ب ــ الطليان والالمان في وجه البريطانيين والامريكيين ٠

وقد انتهى هذا السفر الحربي ، بفوز الحلفاء البريطانيين والأمريكيين ، وطرد الوجود العسكري للمحور في آفريقيا ، وتدمير القوات الألمانية والايطالية التي كانت في ساحات مصر وليبيا وتونس ٠ وفوائد هذا الفوز ، بالنسبة الى الحلفاء ، كانت عظيمة ٠ فقد استعادوا حرية الملاحة في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وأبعدوا نهائيا كل خطر عن أفريقيا والشرقين الأوسط والادنى ، وصار باستطاعتهم ان يحشدوا كل طاقاتهم على مسرح القتال الرئيسي في اوروبا ٠

القتال في الشمال الافريقي ، كالقتال في فرنسا ، من حيث ان كلا منهما كان فاصلا في نطاقه الموضعي وساحاته الاقليمية ٠ ومع ان هذا القتال ، الذي تتوج بمعركة العلمين ، لم يضع حدا ونهاية فورية للحرب العالمية الدائرة رحاها آنذاك ، الا انه أسهم عظيما في تقريب هذه النهاية ، وكان نقطة تحول هامة في طريق الحلفاء الى النصر وكسب الحرب ٠

الفصل الرابع عشر

المناورة التعرضية

١ ـ عموميات

الغرض من المناورة الحربية ، هو تأمين حركات الجيوش وحشدها ، فى أحسن الشروط وأسرع الاوقات ، ومن ثم الاحتراب بها فى قتالات ظافرة ، ومعارك رابحة تؤول بالتدريج الى ابادة جيوش العدو ، والى القضاء على مصادر الطاقة والاستطاعة لهذه الجيوش ٠

والمناورة ، بتعبير آخر ، هي تجميع الجيوش وترتيبها ، وتحريكها ، وايصالها الى ميدان المعركة بأحسن حال واعظم فاعلية ، من أجل قتال فاصل قصير ام مديد ، تكون الغاية منه انهاك قوى العدو ، وتدمير جيوشه تباعا بقتال شديد لا يتوقف ولا ينقطع ٠ ولا يمكن تصميم المناورة بصورة جيدة ، ولا تنفيذها بمهارة ومرونة ونجاح ، الا اذا تأمن التفوق بالمادة ، والنوعية ، والمعنوية ، والقيادة الممتازة ٠

والمناورة ، ايضا ، حركات مستمرة ، وسلسلة من القتالات المتواصلة ، والجهود التصاعدية المتعاظمة ٠ ولا يكون النصر فيها الا للفريق الذي يستطيع الاحتفاظ بالزخم والضغط على خط العمليات ومحور الجهد الرئيسي ، والذي ينجح فيمنع خصمه من استعمال احتياطه بسرعة وفائدة ونجاح ٠ والنجاح فى المناورة التعرضية (١) ، وقف على المناورة التي يظل فيها المهاجم متفوقا على خصمه طوال جريانها ، والتي لا تسمح ولا تقبل بالوصول الى نقطة التوازن مع الخصم فى أي من مراحلها المتنوعة المتعددة ٠

(١) التعرض هو الهجوم بالمعنى الواسع العام ، ولا يستعمل اصطلاح الهجوم الا في الساحة التكتيكية ٠

١ ـ أشكال المناورة التعرضية

المناورة التعرضية اربعة اشكال رئيسية ، هي :

ـ المناورة الجبهوية ،
ـ مناورة الاختراق ،
ـ مناورة الجوانب والالتفاف ،
ـ مناورة المؤخرات ·

لا بد لكل مناورة تعرضية ، من ان تبنى على شكل من هذه الاشكال الأربعة · لكن هـذا لا يحول دون الاستعمال ، اثناء التنفيذ ، لأشكال اخرى ، فى عمليات ثانوية تهدف الى انجاح الشكل الأساسي الذي قامت عليه المناورة · والغرض النهائي لجميع اشكال المناورة ، هـو تطويق العدو ، وتدميره بعد تجزئته الى جماعات صغيرة · وهكذا فقد تتعدد المناورات فى ساحة القتال ، الا ان اختيار شكل المناورة يظـل مرتبطـا بنوعية الجيوش ، وبالوسائل الموضوعة تحت تصرف القيادة ، وبميزان القوى ، وبطبيعة الارض على مسرح العمليات ، وبوجود التحصينات أو عدمها ، وبمهمة الجيش أو الجبهـة ، وبمعنويـات القيادة العليـا وكفايتها ·

٢ ـ المناورة الجبهوية

تقوم المناورة الجبهوية ، او مناورة الاستنزاف ، على قاعدة تمكين التماس مع الخصم ، لغرض الالتحام الشديد معه ، وتثبيته فى ارضه ، وحمله بالتالي على استعمال احتياطه ، والاستمرار هكذا على اضعاف قوته وكفايته ، الى ان يصبح عاجزا عن مواجهة ضغط جديد · وعندما يصل الحـال بالعدو الى هـذا المستوى ، يضطر عندئـذ الى الانسحاب لتفادي التدمير التام ، وبذلك يتعرض الى المطاردة · والمطاردة هجوم جديد ، يقتضي ان تقوم بها قوات قوية مستريحة ·

هذا الشكل مـن المنـاورة اكـثر الاشـكال بـداءة ، واعظمهـا خسارة · والأفضل ان يصار الى تجنب هـذا النوع كلما امكـن ذلك ، وخاصة فى هذه الايام · ذلك لأن القوة النارية ، فى حالة المدافعة ، هي اليوم اشد تأثيرا وفتكا من القوة النارية العائدة الى المهاجمة · ولهذا السبب ، وعلى افتراض الـوصول الى هزيمة المدافعة بصورة تامـة ،

فالثمن الذي يدفعه المهاجم يكون فاحشا جدا ، الى درجة لا تتناسب مع النتيجة الحاصلة ·

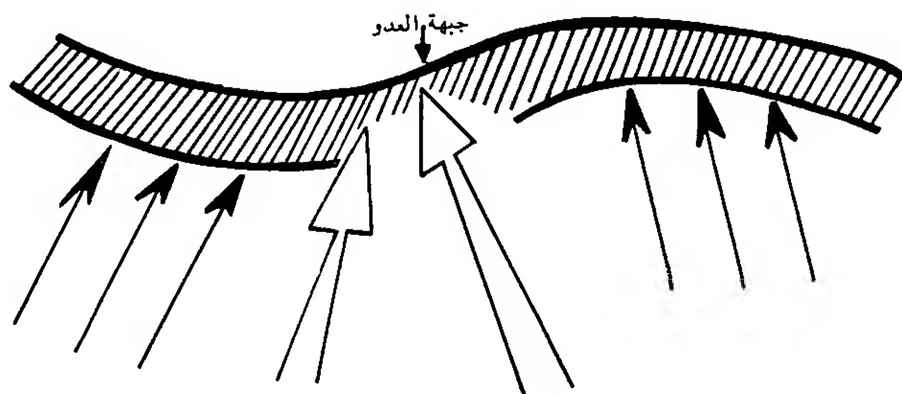
هنالك من يجيز ، بل يحبذ اللجؤ الى المناورة الجبهوية ، لكن عند وجود تفاوت كبير فى عدد السكان والمقاتلين ، ما بين الأطراف المتحاربة · وقد استعمل الاتحاد السوفياتي كثيرا هذا الشكل من المناورة ، أثناء الحرب العالمية الثانية · كما استعمله الصينيون فى حرب كوريا ، فى أوائل الخمسينات من هذا القرن ·

٣ ـ مناورة الاختراق

يتقصد المهاجم ، بهذه المناورة ، حشد قوة كبيرة فعالة ، وتوجيهها الى قلب العدو واختراق جبهته عند هذا القلب ، وشطرها الى قسمين · والشرط لنجاح هذه المناورة ، هو مباغتة الخصم ، أي حشد القوات وتحريكها لتوجيه الضربة اليه ، قبل ان يبلغه العلم بذلك ويستعد للمقابلة · ولذا يجب :

ـ ان يتحقق الاختراق قبل ان يستطيع العدو حشد قواه لمواجهة الضربة المنتظرة ،

ـ ان يجرى توجيه الضربة الى الموطن الضعيف فى جبهة العدو ·



الشكل رقم (٨)

مناورة الهجوم لغرض اختراق الجبهة

لمناورة الاختراق تطبيقات عديدة ، ومتطلبات شتى ، منها :

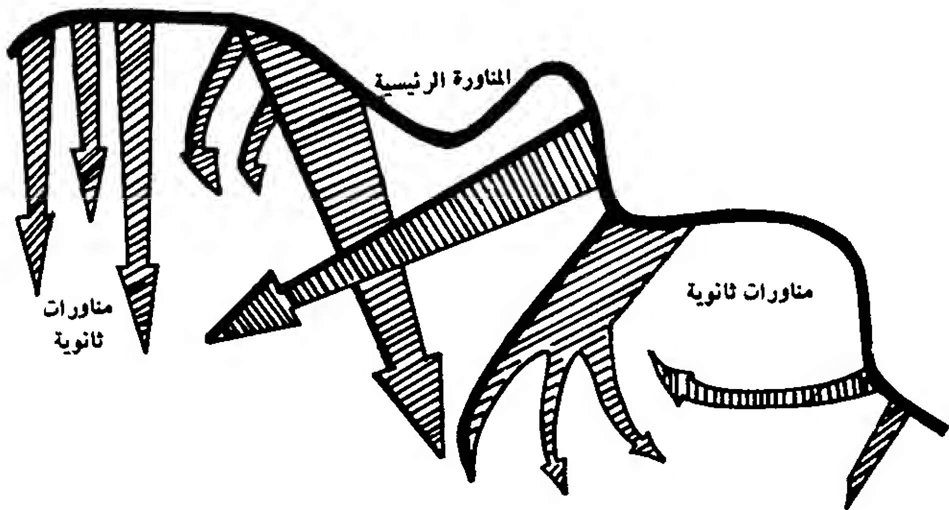
ــ قد يجــري الاختراق بعدة مهاجمــات ، لغرض تحطيم جبهة العدو ، وتــدمير تشكيلاتــه المنعزلــة واحــدة تلــو الأخرى ··

ــ وقد يجري بالهجوم على جبهة ضعيفة بقصد احــداث ثغرة فيها ، ثــم توسيع الثغرة الحاصلــة ، بــواسطة هجمات منطلقة على اتجاهات متعددة ··

ــ وقد يجري بهجوم مركز تقوم به تشكيلات من قــوات الاقتحام المختصة ··

ــ وقد يحصل الاختراق ، ثم يجري الحاقه فورا بمناورة بالجناح ، وبالالتفاف على قــوات العدو بجناح واحــد ، او بالجناحين · وتتقصد منــاورة الجناح هــذه تطوير الهجوم لصالح المهاجمة بسرعة ، وتطويق القسم الأعظم من قــوات العدو · وقد تجري هــذه المنــاورة بالاشتراك مــع الجيش الحليف المجاور ، لنفس الأغراض السابقة ·

تستهدف المناورات الجانبية الثانويــة ، مضايقة وازعــاج اجنحة العدو ومؤخراته ، بواسطة مفارز مستقلة تعمل دون ارتباط او تعاون مباشر مع العملية الجبهوية الرئيسية · هكذا بعكس مناورات الالتفاف، الموجهة ضد الجوانب والمؤخرات ، والجاريــة بالارتباط المباشر مــع المناورات الجبهوية ، والتي غرضها تطويــق قــوات العدو · يجب ان تجري جميع المناورات الثانوية فى نفس الوقت ، وعلى جبهة واسعة · والغرض منها تحويل اهتمام العدو وجهده عــن مكان جريــان المناورة الرئيسيــة ، وتغطيــة الاتجــاه لهــذه المنــاورة ، فى مراحلهــا الأولى خاصة · ومن الواجب ان لا يغيب عــن البال ان المناورات الثانويــة لا تغني ابدا عن وجوب حشد القوى بصورة متفوقــة الى درجــة كبيرة ، وذلك للمناورة الرئيسية ، وعند نقاط التماس الحاسمة ·



الشكل رقم (٩)
مناورة اختراق مدعومة بمناورات جانبية ثانوية

تتطلب مناورة الاختراق الجبهوية استخداما ضخما للقوات ، ليمكن بواسطة ذلك توجيه ضربات ساحقة وعميقة الى جبهة الخصم الدفاعية ، ضربات يكون الغرض منها دق وتمزيق وطحن كيان العدو الحربي ، أي طاقته وقدرته على القيام بالمناورات والاجراءات الاحترابية ، وكذلك سحق أجزائه وعناصره المعزولة بالتتابع • هذا النوع من المناورة والاقتتال ، يتطلب سيلا متواصلا من القوات المقاتلة الطازجة ، أي الجاهزة المستعدة المستريحة • ويجب ان تتدرج المعركة الهجومية بصورة تصاعدية متعاظمة ، وان تكون المناورة ملائمة لدرجة استعداد العدو ، وملبية لمطالب الغرض المنشود ومقدار التقدم المراد تحقيقه •

للنجاح فى مناورة الاختراق ثلاثة شروط :

ـ تامين الوسائط والقوى اللازمة ، لكي تكون للهجوم

الكثافة الضرورية . ولكي يتحقق انقضاض واقتحام مستمر متواصل على كامل عمق المدافعة ..

ــ تحقيق التنسيق عمقا ..

ــ جمع قــوات كافية في الوراء ، كاحتياط مستعد لتأمين متابعة الحركــة ، ومواصلتها الى ان يتم تدمير العدو تدميرا تاما بقوات الاقتحام .

وتبعا لعمق التوغل ، يكون الاختراق :

ــ استراتيجيا ،

ــ او تعبويا ،

ــ او تكتيكيا .

ان اختراق الخط الأول ، أو الخطين الأولين من دفاعات العدو ، لا يعتبر اختراقا تكتيكيا . ولكي يكون الاختراق كذلك ، يجب ان ينجح في احداث ثغرة تصل حتى خطوط الدفاع في المنطقة التعبوية من جبهــة العدو ، أي حتى العناصر المتقدمة التابعة للفيلق مباشرة . وقد يتراوح عمق الثغرة المطلوبة من اربعة الى سبعة عشر كيلوامترا ، وذلك حسب الأهمية التي يعلقها العدو على هذا القطاع ، وحسب القوات المتوفرة لديه . اما عرض الثغرة ، فقد يتراوح ما بين خمسة عشر الى ثلاثين كيلومترا .

يمتد الدفاع التعبوي ، عادة ، حتى عمق خمسين كيلومترا . فــاذا أمكن تمزيق هذا الدفاع بقوة ، فلن يكون باستطاعة العدو بعدئذ ان يوقف الزحف والتقدم ، الا بعد ضياع مئات الكيلومترات من أراضيه . اما الاختراق مــن النوع الاستراتيجي ومــدى أهميته ، فيكون عــادة كحاصل لعدة مناورات تنطلق في اتجاهات تعبوية واستراتيجية متعددة ، وتتضافر جميعها لتحقيق غرض استراتيجي واحد ، وهدف واحد .

بقي هنالك أمران يتعلقان بالمناورة الجبهوية ، هما :

ــ المناورة بالضربة الصاعقة ،

ــ وتكتيك المناورة بالاختراق .

أ ــ المناورة بالضربة الصاعقة :

لهذه المناورة طابع المغامرة . ولكنها ليست مقامــرة . وهي تبنى

اما على أساس الحركة ، واما على أساس الكتلة الضخمة ، واما على مزيج من الحركة والكتلة • وتجري على النحو التالي :

- تقوم مجموعة من القوات القوية الضاربة بمهاجمة دفاعات العدو بقسوة وضراوة ، وتداوم على ذلك الى ان يصير العدو فى وضع عام يكف فيه عن التفاعل المعاكس الملائم ، على مجمل عمق دفاعه التكتيكي ، وعندئذ تتدخل قوات المهاجمة المتحركة السريعة التي كانت قد وضعت جانبا لهذا الغرض ، ويصبح الاختراق بعيد الغور ، ويتخذ الطابع التعبوي •

فى معظم الحالات ، ترمي المناورة بالضربة الصاعقة الى تحقيق اختراق تعبوي أو استراتيجي ، فى ظروف لا يستطاع بها القيام بمناورة الاختراق التقليدية ، المبنية على أساس المباغتة فى المرحلة المبدئية على الأقل • وتكون المناورة بالضربة الصاعقة واجبة :

- عندما يكون المهاجم واثقا من نفسه وقوته ،
- وعندما يكون الاختراق ممكنا ، ولا خطر عليه من احتمال التعرض الى هجوم معاكس قد يطوق القوات المتقدمة المخترقة ،
- وعندما لا يقوم فى وجه الهجوم خطوط دفاعية قوية التحصين ، خطوط تستدعي الشق والتمزيق والتدمير بمهاجمات التدمير العادية وعمليات التصفية بالتطويق •

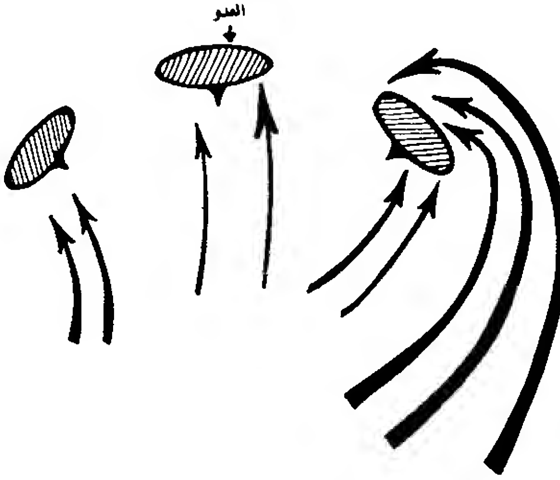
ب ـ تكتيك المناورة بالاختراق :

يقوم تكتيك المناورة بالاختراق ، على خطوط مماثلة لتكتيك المناورة بالاستنزاف • هذا فى الظاهر • اما فى الواقع فالأمر غير ذلك • فتكتيك الاختراق يدأب على مهاجمة جبهة العدو ، لكنه يرمي من وراء ذلك الى جس هذه الجبهة بحثا عن نقطة ضعيفة يستطاع المرور منها بقوة ، دون ان يكون الاستنزاف غاية للقتال • والنموذج التقليدي لهذه المناورة ، وللمناورة بالضربة الصاعقة ، كان ولا زال معركة « أرابيلا » ، التي انتصر فيها الاسكندر المكدوني على دارا الفارسي ، فى اول تشرين اول عام ٣٣١ قبل المسيح • ومن هذا النوع ايضا ،

المناورة التي اخترق الالمان بموجبها جبهة الحلفاء الغربيين عند منطقة الاردن (١) ، اعتبارا من (١٠) ايار عام ١٩٤٠، والتي وضع تصميمها المارشال الألماني فون مانشتين (٢) ٠

٤ ـ مناورة الجوانب

أ ـ تقوم مناورة الجوانب ، او المناورة بالأجنحة ، على مبدأ وجوب تثبيت العدو بمهاجمات جبهوية ، فى حين يجري الالتفاف بقوة على احد جناحيه ، او على كليهما ، اما لتحقيق اختراق جانبي ، والعمل هكذا على تداعي جبهة العدو وانهيارها ، واما لتطويق الخصم وقطع خطوط مواصلاته ٠



الشكل رقم (١٠)
المناورة بالجناح

فى هذه المناورة ، الجيوش المهاجمة على الجناح تكون متقاربة ، بحيث تستطيع ان تتساعد ، وبحيث يتمكن القائد من توجيه المناورة وتسييرها كما يرغب ، ومن اجراء التعديل اللازم على قوى الأرتال

---

(١) Ardennes
(٢) Von Manstein.

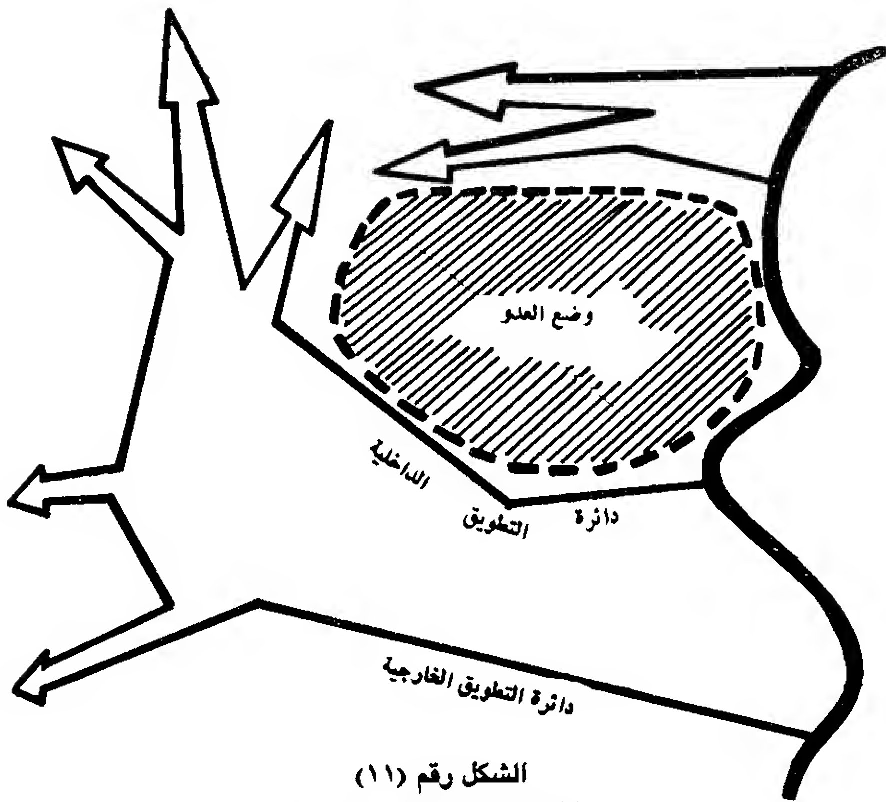
تبعا للمعلومات الواردة تباعا عن العدو ٠

الغاية من مناورة الجناح ، هي تحقيق هجوم ناجح على العدو ، بواسطة القيام باختراق موفق على جانبه ، بحيث يضطره هذا الاختراق الى الانسحاب ، او الى ارسال الامدادات على جناح السرعة ، لنجدة الجانب المهدد ٠ وفي كلا الحالتين ، ستضعف جبهته من جراء ذلك ، ويختل توازنه ، ويسهل بعد ذلك القيام بمهاجمته جبهويا ، لتحقيق الاختراق من هذه الناحية ٠ ولا تعتبر المناورة الجانبية ناجحة تماما ، الا اذا استطاعت ان تحقق الاختراق حتى مؤخرة العدو ، وان تقطع بنتيجة ذلك خطوط موصلاته وانسحابه ٠

ب ـ تستهدف المناورة التعرضية غاية واحدة ، هي تدمير قوات العدو المسلحة ٠ وأحسن واسطة الى بلوغ هذه الغاية ، هو تطويق قوات العدو ، وتجزئتها ، ثم تدميرها جزءا تلو آخر ٠ يتحقق التطويق ، عادة ، بمناورة الالتفاف ، وبالالتفاف المزدوج خاصة ٠ ولهذا فان جميع المناورات التعرضية تبنى بحيث يؤدي تطبيقها الى التطويق النهائي للخصم ، وبالتالي الى تفتته وابادته ٠

لا يمكن ان يكتب النجاح لحركة تطويق ما ، ما لم يبدأ بتجميد العدو وتثبيته ، على كامل جبهته ومواضعه ٠ والأسلحة الميكانيكية ، من طائرات ، ودبابات ، ومدفعية دفعذاتية ، وغير ذلك من الأسلحة الحديثة ، هي اليوم خير الوسائل وأسرع الوسائط الى تحقيق التطويق ٠ فهذه الأسلحة تمكن من القيام بالتعرض على مجمل مساحة التنظيم الدفاعي للعدو ، ومن عزل العدو وتجزئته ، وبالتالي تدميره شيئا فشيئا ، وجزءا بعد جزء ٠

اذا استهدفت المناورة تحقيق اختراق على جناح الخصم ، فالهدف النهائي من ورائها ليس هو ارجاع الخصم على أعقابه ، بل تطويقه والاستيلاء على تجهيزاته ومعداته ٠ واذا كانت أجنحة العدو غير مكشوفة ، فيجب ، قبل كل شيئ ، ان يتوصل الى زلزلزلة تنظيمه ، وتمزيق أوصاله ، وتخريب ترتيباته ، لاجباره بذلك على كشف أجنحته وتعريضها ٠ ومتى تم ذلك ، أمكن الاختراق والمرور خلال الثغرات ، وامكن كذلك تجاوز العدو ، والالتفاف حوله وتطويقه ٠



الشكل رقم (١١)
شكل بياني للتطويق المزدوج

ج ـ ان تطويـق قـوات معاديـة ، ثـم تدميرهـا عمل يتوقف انجازه بنجاح على اخـلاص القوى المهاجمة لواجبهـا ، وعلى قيمتها وبطولتها وكفايتها ، وعلى المعرفة لدى القادة ، وكفاءتهم ومهارتهم • وهو عمل يجب ان ينظر اليه على انـه احسن مـا يمكن تحقيقه زمن الحرب •

يجري تدمير العدو المحصور وابادتـه ، بواسطة تطويقات داخلية ضمن نطاق دائرة الالتفاف الخارجية • والغرض من هـذه التطويقات الداخلية هو حشر تشكيلات العدو الصغيرة، وحصرها فى مساحات ضيقة محدودة تغطى بنيران الرشاشات والهاون والمدفعية ، بصورة متشابكة كثيفة •

د ـ مراحل :

تقوم مناورة التطويق على أربع مراحل ، هي :

١ ـ الاختراق الحاسم لدفاعات العدو ، فى نقطتين أو اكثر ،

٢ ـ التقدم السريع ، والحركة الخاطفة للقوات المتحركة ،

٣ ـ تطويق تشكيلات العدو الرئيسية ،
٤ ـ تدمير العدو المطوق ٠

هـ ـ حلقات التطويق :

ولمناورة التطويق ، عقب النجاح ، حلقتان أو دائرتان ، هما :

١ ـ الدائرة الداخلية ، التي تطبق على العدو ، والتي تعمل على تدميره ،
٢ ـ والدائـرة الخارجية ، التي تتفرغ بوجـه خاص لصد المحاولات التي يقوم بها العدو لنجدة قواتـه المطوقـة ، ورد هجماته المعاكسة ، وكذلك سد كل ثغرة قد تحصل فى الدائرة الداخلية ٠

العمق فى الـدائرتين ، قـد يبلغ عـدة كيلومترات ، تبعا لطبيعة الارض ، وللامكانيات المتقابلة ٠ ويستعمل طيران القتال ، والمدفعية ، والمشاة على الدائرة الداخلية ٠ ويستعمل طيران القصف ، والدبابات والقوى الميكانيكية الأخـرى على الدائـرة الخارجية ٠ وقـد لا تكون الدائرة الخارجية كلهـا حلقة متصلـة ، لكـن يجب أن تشكل الدائرة الداخلية جبهة تكتيكية موصولة متواصلة ٠

و ـ موازنة القوى :

فى مناورة تعرضية بقصد التطويـق ، تؤخـذ بعين الاعتبار نسبة القوى عند بدء الحركة ، لدى الطرفين ، وامكانـات العدو فى زيـادة قواته ، ونوعية التفاعلات المتوقعة من قبل القوات المطوقة ، ومن قبـل القوات المعادية الموجودة خـارج الطوق ، وكذلك مـدى ملاءمة طبيعة الأرض لقيام الدائرتين الداخلية والخارجية ٠

ز ـ دور الأسلحة المكانيكية :

تلعب الدبابات والأسلحة الدفعذاتية الأخرى دورا هاما وحاسما فى مناورات التطويق المعاصرة ٠ انها تستطيع ان تغلق سريعا كل ثغرة قد تحصل فى الأطواق المضروبة حول الجيوب المحاصرة ، وتحول دون هروب العدو من هذه الثغرات قبل ان يتم اغـلاقها ٠ وهي تمكن مـن توسيع حلقات التطويـق سريعا ، وذلـك بالاستيلاء على المراكـز الهامـة فى الدائرتين الداخلية والخارجية ٠

وكذلك يلعب الطيران دورا رئيسيا فى مناورة التطويق · فهو مكلف بتحقيق السيطرة الجوية فى سماء المناورة ، وبالاشتراك مع المدفعية والهاون والمشاة فى تصفية عناصر العدو ضمن الدائرة الداخلية · ولا تعتبر مناورة التطويق ناجحة ، الا عندما تؤدي الى تصفية قوات العدو المحصورة ·

ح ـ التصفية :

تجري تصفية العدو المحصور على مرحلتين متتاليتين ، هما :

١ ـ مرحلة التضييق المتواصل لمنطقة التطويق ودائرتها ،

٢ ـ ومرحلة تقسيم المنطقة الى جيوب صغيرة معزولة ·

ط ـ الجوانب والمؤخرات :

عند القيام بالمناورات على جوانب العدو ، يجب ان يتوجه الاهتمام الكلي للحفاظ على سلامة الجوانب والمؤخرات ، التي تكون هي ايضا هدفا لمحاولات الخصم وضرباته · هذه حقيقة ثابتة · وقد تتغير الأزمان والأشكال والوسائل ، لكن هذه الحقيقة تظل على حالها دون تغيير · النقاط المفضلة التي تكون هدفا لمحاولات العدو هذه ، هي الأجنحة المكشوفة ، ومفاصل التماس ما بين القطاعات · فهذه النواحي هي أضعف النقاط فى الجبهة ، سواء فى التعرض والهجوم او المدافعة · والجهد الرئيسي فى كل مناورة ، يجب ان يصرف لغرض حمل العدو على كشف جوانبه ، واغتنام الفرصة فورا لمهاجمة هذه الجوانب المكشوفة · يجب ايضا ان لا ننسى ابدا ان جناحا مكشوفا ليس الا حدثا عارضا ، وانه يجب اغتنامه حال حدوثه ·

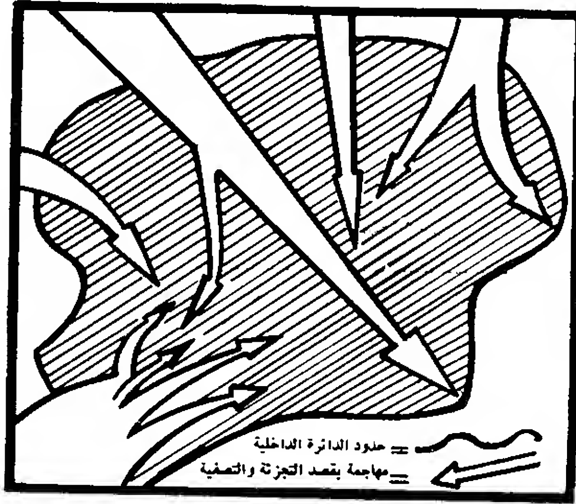
ي ـ الاستعمال :

تستعمل مناورة الجوانب ، عادة ، للالتفاف والتطويق · وتستعمل ايضا لتدمير توغلات العدو ، ولاحباط محاولاته فى الاحاطة والالتفاف، وذلك دائما بعد تثبيت الخصم جبهويا · ولا تثمر المناورات من هذا النوع ، الا اذا قامت بها تشكيلات سريعة الحركة ، وبقوة كافية ·

يمكن ان تجري مناورات محدودة على الجوانب والمؤخرات ، بواسطة التسرب ليلا خلال مواقع العدو ، لأغراض محدودة ، ووفقا للظروف والفرص والامكانات · ومن الممكن ان يعهد بمثل هذه الواجبات الى الأنصار ومشاة الهواء ·

ك ــ قتال المصادفة :

كثيرا ما تؤدي مناورات الجوانب الى ملاقاة العدو على غير انتظار، والى الاشتباك معه فى مــا يسمى قتال المصادفة · هــذا القتــال يتميز بالمرور سريعا من ترتيب التقرب الى تعبئة القتال ، وبحاجته الماسة الى النجاح بتطويق العدو وتدميره بسرعة · يتصف هــذا القتال ، ايضا ، بالغموض من حيث التطورات والنتائج ، وبالتفاعلات العنيفة لدى كل من الطرفين ، وبالطابع الانتقالي وعدم الثبوت على حال ، وبالتسابق وراء زمام المبادرة · ويتطلب هذا القتال ، كذلك ، درجــة عالية مــن المبادرة ، ومن المهارة فى التصميم والمناورة ·



الشكل رقم (١٢)
شكل بياني لتصفية المطوقين بطريق التجزئة الى جيوب داخلية

٥ ــ مناورة المؤخرات

قبل ظهور الطيران ، جميع المهاجمات على مؤخرات الخصم ، وخاصة تلك التي لا تنتج عن مناورات الاختراق او التطويق ، كانت تبنى على اساس مناورة مستقلة ، تقوم بها قوات لا علاقــة لها بالقوات المشتركة فى المناورة الرئيسية ، ولا بمناورة التثبيت والاشغال ·

اما فى هذه الايام ، أي بعد ظهور الطيران ، وانتشار استعماله الى الحد الذي نعرفه ، فقد صار من الصعب جــدا القيام بمناورة مستقلة من هذا النوع · ولكي يمكن القيام والنجاح بمناورة من هذا النوع فى

ايامنا هذه ، يجب ان تتأمن السيطرة الجويـة لصالح المناورة ، او ان تجري الحركة فى ستار الظلام • وفى هـذه الحالة ، يقتضي ان لا يزيد الوقت اللازم لاتمام الحركـة عـن ساعات الظلمة ، او ان يتأمن مكان صالح للتواري عـن الأنظار اثنـاء النهار ، بانتظار العودة الى متابعة الحركة مع حلول ظلام الليل التالي •

ومن الممكن انـزال المظليين ومشـاة الهواء ، ليلا وراء مؤخـرات العدو • لكـن منـاورة كهذه كثيرا مـا تكـون قليلة الدقـة ، كثيرة الخسائر • واذا تـأمنت السيطرة على السماء ، فيمكـن حالئذ القيام بمثل هـذه العمليات اثناء ساعـات النهـار • واسـتعمال الطائـرات العامودية الاقـلاع والهبوط ، كالهليكوبتر ، للنقل الجـوي يساعـد كثيرا على انجاح هذه العمليات ، ويقلل مـن الخسائر الجسيمة التي كانت تحصل قبلا ، عند اسـتعمال الطائـرات والسابحات لمثل هـذه التحركات •

وباستطاعة الطرف ، الذي يسيطر على المواصلات البحريـة ، ان ينزل ما يشاء من قواته فى مؤخرات خصمه ، بطريق البحر • وقد قـام الأمريكيون ، فى الحرب العالمية الثانية ، بانـزال من هـذا النوع ، فى سالرنو وتارنتو (١)فى ايطاليا ، عام ١٩٤٢ ، لكن هذه العملية لم تنجح كل النجاح كما كان منتظرا • وان نزول الحلفاء فى افريقيا الشمالية ، فى اواخر عـام ١٩٤٢ م ، يعتبر بمثابـة مناورة ناجحة على مؤخرات قوات المحور ، التي كانت تحارب فى العلمين ، ومـن ثم فى تونس عقب تقهقر هذه القوات وانسحابها من مصر وليبيا • وفى الحرب الكورية ، عام ١٩٥٢ ، قام الجنرال ماك أرثر بعملية انزال للقوات الامريكية فى خليج أنتشيو (٢) ، بعيدا الى الوراء مـن قوات كوريا الشمالية ، مما اضطر هذه القوات الى التراجع على أعقابها بسرعة ، متخلية دون قتال عن جميع ما كانت قد احتلته من أراضي كوريا الجنوبية ، وذلك تفاديا للأسر او التدمير التام •

---

(١) Salerno - Tarento

(٢) Anshiev.

الفصل الخامس عشر

مناورات تاريخية

فيما يلي بعض المناورات التاريخية الهامة ، كأمثلة عن المناورة :

- بالاختــراق ،
- والاحاطة البسيطة ،
- والاحاطة المزدوجة ،
- والاحاطة والاختراق ،

والتفتيت والاستنزاف ،

- وعلى المؤخرات ٠

١ ــ المناورة بالاختراق

تعتبر معركة أرابيلا ، أو أربيل (١) ، النموذج المثالي التقليدي ، للمناورة بالاختراق وبالضربة الصاعقة ٠ وقد جرت هذه المعركة بين الاسكندر المكدوني والملك دارا الفارسي،في شمال العراق ، قرب الموقع المعروف بهذا الاسم ، في أول تشرين أول عام ٣٣١ قبل المسيح ٠ وكان النصر فيها من نصيب الاسكندر ٠ وقد جرت هذه المعركة عــلى النحو التالي :

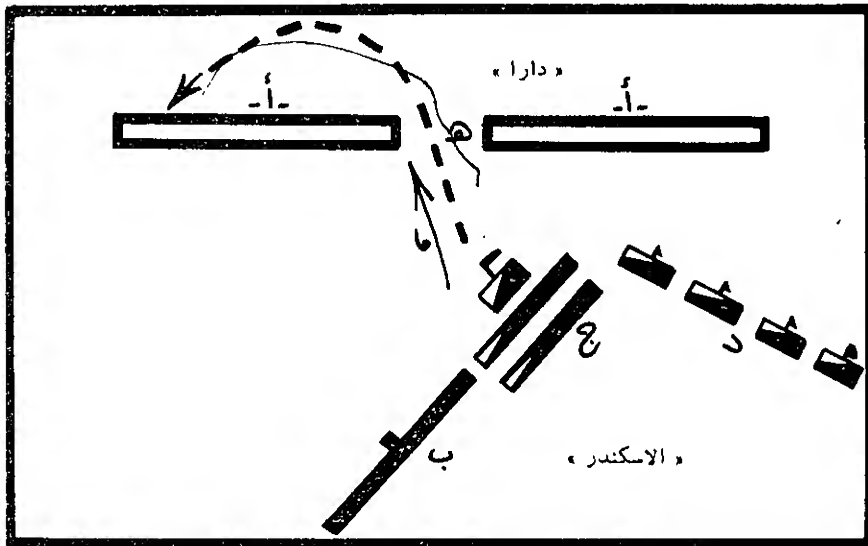
ــ زحف الاسكندر ، على رأس جيش مؤلف من (٤٥) الف مقاتل ، مندفعا على اتجــاه يميل منحرفــا نــحو الجنــاح الأيمن لقلب الجيش الفارسي ٠ وكــان الفرس يتفوقون عــلى المكدونيين عددا ٠ ولما صار الاسكندر قريبا من قلب جيش الخصم ، بادر الى تعبئة جيشه على شكل رأس حربة ، واضعا كتائب مشاته الثقيلة على يساره،وقواته الخفيفة على يمينه ، وفي الوسط خيالته الثقيلــة المتراصة كاسفين ٠ وقد بعث

---

(١) Arbelles.

تقدم الكتائب المكدونية المتواصل ، فى نفوس الفـرس ، مشاعر القلق والذعر (١) ، كما وحدثت فى صفوفهم ثغرة واسعة اثر انطلاق بعض الكوكبات الفارسية الى ملاقاة كتائب الاسكندر المتقدمة ·

ـ وقد لاحظ الاسكندر تلك الثغرة فور حدوثها ، فحمل على الفرس فى ذلك الاتجاه ، ونجح فنفذ مـن تلك الثغرة بسرعـة ، وتحول مندفعا فيها بخيالته الثقيلة الى اليسار ، الى أن بلغ مؤخرة الجيش الفارسي · وقد أحدثت تلك المناورة البارعة آثرهـا المنشود من البلبلـة والخوف والفوضى فىصفوف الفرس ، وكانت دافعا لهم على التفكك والفرار · وهكذا انتهت المعركة ، وانتهت الحرب مع الفرس فى آن واحد ، وقتل الملك دارا بيد أحد الخصيان ، بينما كان يحاول النجـاة بنفسـه بـعد المعركة ·



الشكل رقم (١٣)

مناورة معركة ارابلا (Arbelles) عام ٣٣١ ق·م·

أ ـ الجيش الفارسي
هـ ـ الثغرة في الجيش الفارسي
ب ـ كتائب المشاة المكدونية
ج ـ الخيالة المكدونية الثقيلة
د ـ الخيالة المكدونية الخفيفة
و ـ خط اندفاع الاسكندر

(١) كان الاسكندر قد ترك في نفوس الفرس اثرا عميقا بنتيجة انتصاره عليهم في معركتين سابقتين ، في اليونان وآسيا الصغرى ·

هذا النوع من الاختراق ، بالشكل الذي جرى عليه فى أرابيلا ، لم يعد ممكنا فى الزمن المعاصر . والغرض من ذكر هذه المعركة هو الالمام بالتاريخ العسكري أولا ، وهو الدعوة الى تقصد النتيجة الحاسمة المشابهة ، لكن بالطرق والوسائل والوسائط المستعملة فى هذا العصر .

٢ ـ المناورة بالاحاطة البسيطة

من الأمثلة التاريخية الحديثة ، على المناورة بالجناح ، المناورة البسيطة ، خطة الحرب الألمانية فى الحرب العالمية الأولى. فى هذه الخطة، كانت مناورة الهجوم الألمانية مبنية على حركة التفاف بالجناح الألماني الأيمن ، حول يسار الجيوش الفرنسية والبريطانية ، بطريق الأراضي البلجيكية المحايدة . وقد عرفت هذه الخطة بخطة « شليفن ».

عهد بتنفيذ هذه المناورة الى خمسة جيوش ، هي :

- جيش فون كلوك ،
- جيش فون بيلو ،
- جيش فون هوز ،
- جيش الدوق ورتامبر ،
- جيش الأمير ولي العهد ،
- بالاضافة الى قوات كثيرة من الخيالة .

وقد أنيطت مناورة التثبيت والاشغال :

- بالجيش السادس ، بقيادة الأمير روبريخت البافاري ،
- وبالجيش السابع بقيادة الكولونيل جنرال فون هيرنجن ،

وكانت واجبات هذين الجيشين ، بمساندة بعض القوات الاقليمية، تثبيت الفرنسيين فى مقاطعة اللورين ، والحفاظ على سلامة خطوط نهر الراين الاعلى .

وكان يقف فى وجه الألمان ، فى الطرف الآخر ، خمسة جيوش فرنسية

منتشرة من منطقة الأردن حتى حدود سويسرا • وكان أحد هذه الجيوش ، وهو الجيش الرابع ، مسحوبا قليلا الى الوراء ، وقائما على أهبة الحركة للتوجه الى بلجيكا اذا دعت الحاجة • وكان للفرنسيين ، بالاضافة الى الجيوش الخمسة المتقدمة الذكر ، أربع فرق من نوع الاحتياط ، وكذلك حاميات المدافعة المتمركزة فى حصون باريس الكبرى • وكان للبلجيكيين حوالي خمس فرق جاهزة •

فى خطة « شليفن » الأصلية ، كانت الفكرة الأساسية فى المناورة هي الدوران حول محور متز ـ ديدنهوفن (١) ، باتجاه مدينتي بروكسل ونامور البلجيكيتين، وبقوى تبلغ سبعة أضعاف مجموع القوى المخصصة لعمل الجناح الأيسر فى منطقتي الألزاس واللورين (٢) • لكن الجنرال مولتكة الأصغر (٣) ، خليفة شليفن على رأس القيادة الألمانية ، عمد الى تخفيض هذه النسبة فى قوى جناحي الجيش الألماني ، نسبة سبعة لواحد ، متوقفا بها عند حدود ½ ، ٢ (اثنين ونصف) لواحد تقريبا • أي انه جعل الجناح الأيمن المكلف بناورة الالتفاف ، فقط أقوى بمرتين ونصف من الجناح الآخر المكلف بالاشغال والتثبيت •

كانت القوات العائدة الى الجناح الألماني الأيمن ، والعاملة على جبهة هذا الجناح ، قوية الى درجة الكفاية • لكن احتياط هذه الجبهة كان غير كاف لعمليات التحويل المحتملة الى حصار القلاع وتطويق جزر المقاومة،والى ما قد يترتب من الواجبات الخاصة على طرق المواصلات• كما وان خروج ايطاليا من الحلف الأوسط ، واعلانها لحيادها ، حرر الفرنسيين من أعباء الدفاع الفعال على حدودهم فى جبال الألب ، وحوّل بالتالي قوات اضافية كبيرة الى الاحتياط الفرنسي العام ، وهو أمر لم يكن فى حسبان شليفن الحفيد •

وكان ان فشلت المناورة ، بسبب التحريف الذي أصاب خطتها ، وبسبب التغيير الذي طرأ على الموقف الايطالي ، وأيضا بسبب ما كان

---

(١) Metz - Die Denhofen.

(٢) Alsace - Loraine

(٣) Moltke هو حفيد شليفن الكبير • وقد اختير للقيادة العامة على هذا الاساس ، من جهة ، ولانه كان ذا قامة مديدة ، وطلعة جميلة محببة لدى الامبراطور غليوم الثاني •

فى تفكير القيادة الألمانية العليا من تعقيد وجمود ، ومن عجز عن اتخاذ القرارات بسرعة فى حينها ، وعن معالجة الحالات الطارئة على الفور • يضاف الى ذلك كله ، ان الجنرال مولتكه كان لا يثق بنفسه ولا بأهليته للقيادة العامة ، وكذلك كان حال القيصر الألماني ، بحيث صارت الدفة العليا ، فى الواقع ، بلا ربان • وقد وصل الهجوم الألماني الى نقطة التوازن عند نهر المارن ، وتحولت الحرب من جراء ذلك الى قتال الخنادق ، والى حرب استنزاف متبادل كان النصر فى نهايتها من نصيب الحلفاء الغربيين ، أي من نصيب الطرف الذي تفوقت نتائج الجمع والطرح لموارده وخسائره ، على مثل هذه النتائج لدى الطرف الآخر •

ومثال آخر على المناورة بالاحاطة البسيطة ، لكن نموذج القرن الثامن عشر ، هو مناورة معركة لوثن (١) ، التي جرت فى (٥) كانون الأول عام ١٧٥٧ م ، بين النمسويين والبروسيين ، والتي كان النصر فيها للقوات البروسية بقيادة ملك بروسيا ، فريدريك الكبير •

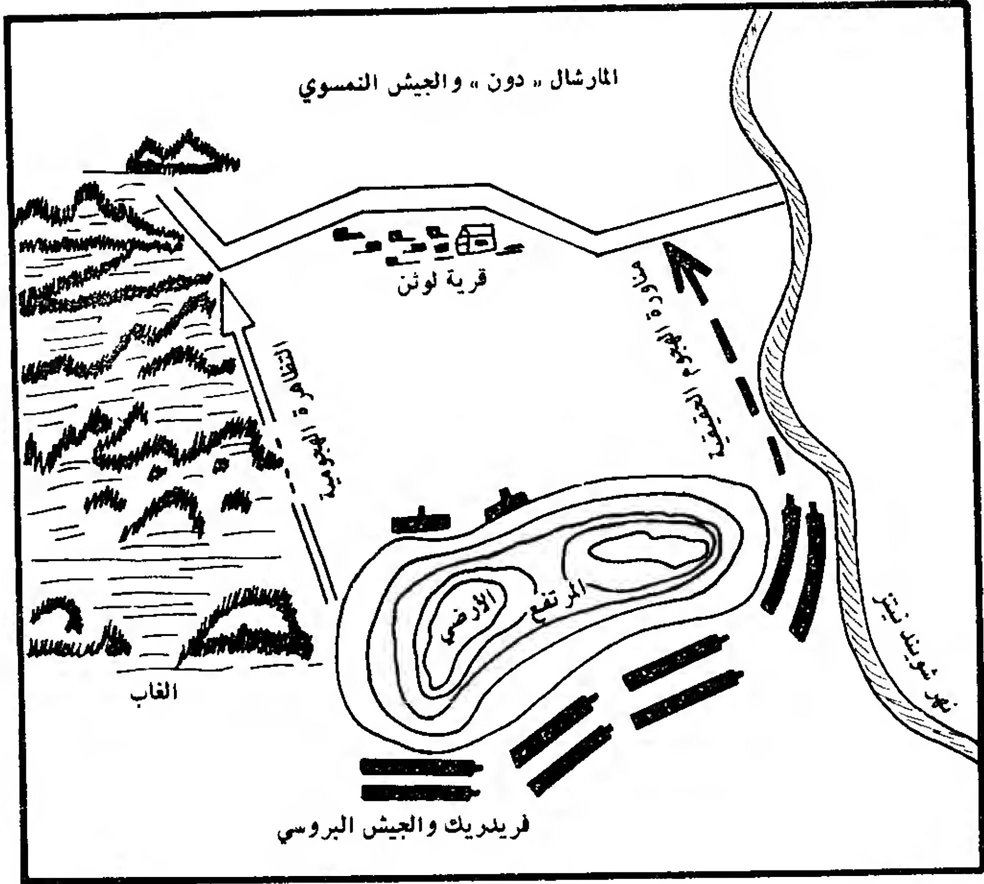
تألف الجيش البروسي من (٣٦٠٠٠) مقاتل • وكان تعداد الجيش النمساوي يربو على (٨٥٠٠٠) مقاتل ، بقيادة المارشال دون (٢) • وقد استطاع الملك فريدريك أن يباغت النمسويين ، وأن يبرز أمامهم بقواته قبل أن يكونوا قد استعدوا للقتال•وكان من جراء ذلك أن عمد القائد النمسوي الى ترتيب قواته على عجل ، فوضع جناحه الأيمن مستندا على غاب ، وجناحه الأيسر على نهر شويندنيتز (٣) ، بينما أرتكز بقلب الجيش على قرين لوثن •

وكان يقوم بين الجيشين المتقابلين ، قريبا من مراكز البروسيين ، مرتفع من الأرض • وقد استفاد فريدريك من ستر هذا المرتفع،فأخفى معظم قواته خلفه ، ثم سار بها خفية فى حركة التفاف بالجناح الأيمن ، ووجهته الجناح الأيسر للقوات النمسوية • واستطاع فريدريك هكذا أن يصل الى هدفه قبل أن يشعر به الخصم ، وأن ينقض على جناحه الأيسر فيمزقه ، ويدفع بفلوله المتقهقرة الى قرية لوثن • ثم اندفع بعد

---

(١) Luthen.
(٢) Don.
(٣) Schweidenitz.

ذلك متحولا الى قلب القوات النمسوية ، فأطاح بها بسرعة ، بعد أن دمر كل قوة معادية أخرى صادفها فى طريقه • وقد وصف نابليون بونابرت هذه المناورة بقوله « انهـــا تحفة فنية رائعـــة فى التصميم والتنفيذ والحركية » •



الشكل رقم (١٤)
مناورة لوثن عام ١٧٥٧

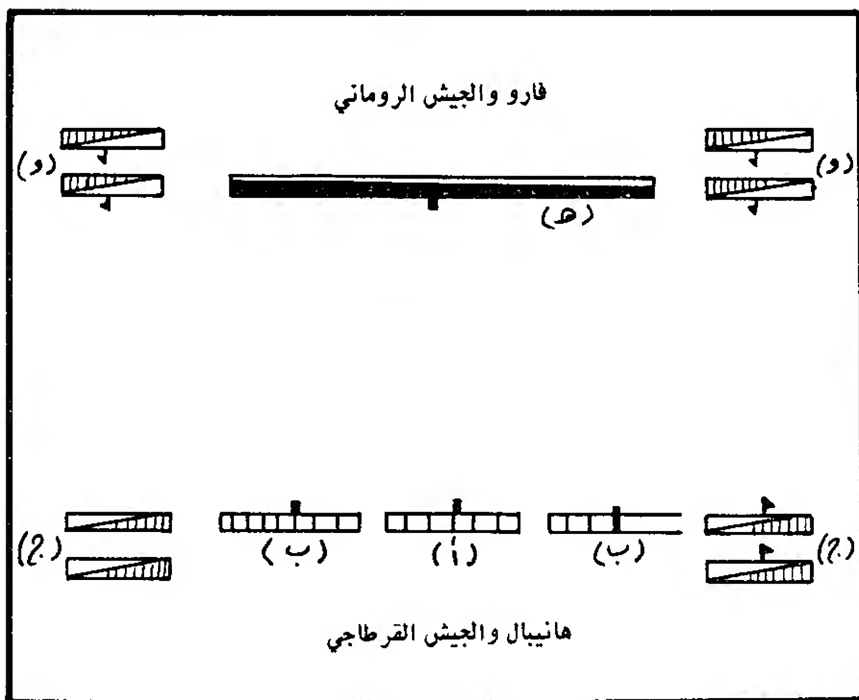
٣ ـ المناورة بالاحاطة المزدوجة

النموذج التاريخي المثالي ، للمناورة بالاحاطة المزدوجة ، هو معركة

« كانّ » ، التي انتصر فيها هانيبال على الرومـان ، في ٢ آب عام ٢١٦ قبل المسيح • وقد جرت مناورة تلك المعركة على النحو التالي :

ـ نظم هانيبال مشاته ورتبها بقصد المعركة ، موزعة على ثلاثـة أقسام • وضع الاسبان والغالبين في القلب (الوسط) ، والأفريقيين على الجناحين • ثم عمد فشطر خيالته القوية الى شطرين ، واضعا كل شطر منها على أحد جناحيه • وكان الرومـان بامرة قائدهم « فارو » ، يواجهونه بترتيب مماثل •

ـ حمل هانيبال ، بخيالة جناحه الأيسر ، على خيالة الجناح الروماني الأيمن ، فدحرها • ثم حمل بخيالة جناحه الأيمن ، على خيالة الجناح الروماني الأيسر ، فدحرها كذلك،وطردها بدورها من ميدان المعركة• وثم ، وبينما كانت المشاة الرومـانية تتقـدم صوب مشـاته ، عمد الى جنوده الاسبان والغاليين ، فحركهم بحيث صاروا على شكل قوس • ولما بلغ الرومان هذا القوس البشري والتحموا بـه كـانت أوامر هانيبال تقضي بأنتثبت أطراف القوس في أماكنهـا ، وأن تتراجع دائرة الجزء المقوسالى الوراء ببطء ، وأن تتابع هذه الحركـة هـكذا الى أن يتخذ القوس كله شكلا مقعرا على عكس الشكل المبدئي الذي كان عليه عند الالتحام • وهكذا كان • وفي هذا الجيب ، ألقى فارّو بجنوده،وحشرهم فيه • وعلى حين غرة ، دفـع هانيبـال بمشاته الافريقيين ، وحركهم دائريا يمينا ويسارا ملتفا على أجنحة الرومان•وما كادت هذه الحركة تنتهي ، ويتم تطويق الرومان من الأمام والجوانب ، حتى عادت الخيالة القرطاجية من مطاردة الخيالة الرومانية ، لتنقض على مؤخرة المشـاة الرومانيين ، وتحقق بذلـك تطويق القـائد فارّو وجنده مـن جميع الجهات • وهكذا تلاشى الجيش الروماني من الوجود ، كما لـو كانت الارض قد انشقت وانطبقت عليه •



الشكل رقم (١٥)

معركة كانّ (Cannae) ـ الترتيب المبدئي للمعركة

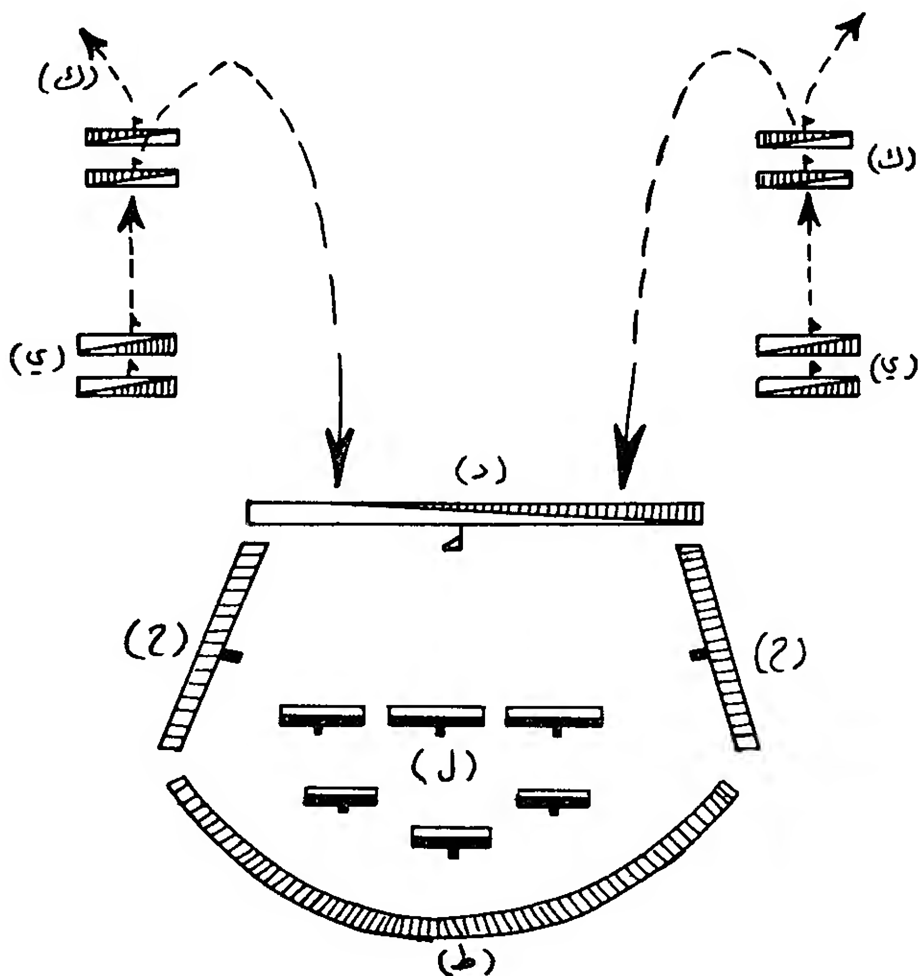
أ ـ المشاة الاسبان والغاليون

ب ـ المشاة الأفريقيون

ج ـ الخيالة القرطاجية

و ـ خيالة فارو

هـ ـ مشاة فارو



الشكل رقم (١٦)

المرحلة الاخيرة والنهائية من معركة كان

(ك)ـ الخيالة الرومانية فيحالة الهروب·

(ي)ـ الخيالة القرطاجنية مندفعـــة الى مهاجمةثم مطاردةالخيالة الرومانية (الوضعية الاولى) ·

(د)ـ خيالة هانيبال ، الوضعية الثانيـة ، بعد العودة من مطاردة الخيـــالة الرومانية ·

(ج)ـ المشاةالافريقيون ، الوضعية الثانية

(ط)ـ المشاةالاسبان والغاليون ، الوضعية الثانية ·

(ل)ـ المشاة الرومان في حالة التطويق ·

٤ ـ المناورة بالاحاطة والاختراق

تعتبر معركة فرنسا ، التي جرت بين الألمان والحلفـاء الغربين ، فى الحرب العالمية الثانية ، والتي تدعى أيضا بالسفر الفرنسي الأول من هذه الحرب ، تعتبر مثـالا نموذجيـا معـاصرا للمناورة بالاحاطـة والاختراق • وقد وضع خطة هذه المعركة ، المارشال فون مانشتن • الا أن تبنيها وتطبيقها عمليـا فى ساحـات القتـال ، فى أيار وحزيران عام ١٩٤٠ م ، كان من عمل الصدفة المحضة ، ورغما عن القيادة الألمانيـة العليا ، وعدم رضاها •

الخطة الأصلية ، للقيادة الألمانية العسكرية ، كانت هي ذاتها خطـة عام ١٩١٤ على الجبهة الغربيـة ، أي خطـة شليفن ، لكن مـع بعض التعديل • وكانت المناورة فى هذه الخطـة المعدلـة ، عبارة عن احاطة والتفاف موسع بالجناح الألماني الأيمن ، بحيث دخل ضمن هذه الحركة كل من دول اللوكسمبورغ وبلجيكا وهولاندا ، بدلا من الاكتفاء فقط باللوكسمبورغ وبلجيكا كما حصل فى الحرب العالمية الأولى• الا أن هذه الخطة وقعت فى أيدي الحلفـاء بسبب هبوط خـاطىء ، فى هولانـدا ، لطائرة ألمانية كانت تقل ضابط ركن وفى حوزته نسخة طبق الأصل عن الخطة المذكورة • ومع أن الحلفاء لم يروا فى هذا الحادث سوى خدعـة ألمانية مدبرة بقصد التضليل ، ولم يهتموا لذلك بالخطة التي وقعت فى حوزتهم دون عناء،فان القيادة الألمانية كانت فى حكم المكرهة على تغيير الخطة من أساسها ، وعلى وضع خطة بديلة •

وكان هتلر وقت الحادث فى حالة نفسية متوترة • ولمـا لم تكن لدى القيادة الألمانية العليا من خطة أخرى بديلة جاهزة ، وكان قد سبق لخطة فون مانشتن أن وقعت من نفس الدكتاتور الألماني موقعا حسنا ، لما رأى فيها من جرأة وتجديد وابتكار ، لذا عمد الى تبني هـذه الخطة ، وأمر القيادة العسكرية بتنفيذها فورا•وقد عرفت تلك الخطة بالاسم الرمزي « الحقيبة الصفراء » • وكان قرار هتلر هذا صائبـا وموفقا • صحيح انه كان فى خطة فون مانشتن هذه كثير من المغامرة والمجازفة ، لكن هذا الأمر نفسه هو الذي جعلها تحظى بقدر معقول من احتمالات النجاح • هذا بعكس الحال مع خطة القيادة العسكرية ، تلك الخطـة التي وقعت

نسخة عنها فى أيدي الحلفاء عقب هبوط الطائرة خطأ فى بلجيكيا كما سبق فذكرنا ، والتي كانت خطوطها الرئيسية معروفة من الافرنسيين والانكليز ، وكانت شيئا عتيقا من مخلفات الحرب العالمية الأولى · كان نجاح هذه الخطة مشكوكا فيه الى درجة كبيرة · فجميع احتياطات الحلفاء ، وكافة ترتيباتهم التعرضية والدفاعية ، كانت متخذة على أساس معرفتهم المسبقة بالخطوط العريضة لخطة الحرب الألمانية · وعلاوة على ذلك ، فقد كانت هذه الخطة غير صالحة لتحركات القوى الميكانيكية وسرعتها ، لكثرة القنوات المعترضة،ولعظم مساحة الأراضي القابلة لأن تصير مغمورة بمياه الأنهار والقنوات والبحار المالحة ·

تألفت القوات الألمانية ، التي قامت بالهجوم على الجبهة الغربية ، تنفيذا لخطة فون مانشتن ، من ثلاث مجموعات من الجيوش :

أ ــ مجموعة جيوش فون بوك ،
ب ــ مجموعة جيوش فون رونشتيد ،
ج ــ مجموعة جيوش فون ليب ··

أما الفكرة الرئيسية ، التي بنيت عليها الخطة والمناورة ، فكانت كما يلي :

ــ هجوم تثبيت واشغال وتضليل ، على اليمين ، فى بلجيكا وهولاندا ،

وثم ، وبعد أن يتورط الحلفاء فى الشمال ، فى اندفاعهم الى نجدة بلجيكا،عندئذ يقوم الألمان بضربتهم الرئيسية خلال منطقة الأردن الوعرة ، عند الكوع المفصل لحركة الحلفاء ·

وقد أختيرت نقطة الاختراق فى منطقة شديدة الوعورة ، منطقة كان الفرنسيون يعتبرونها غير صالحة لسلوك الآليات اطلاقا · هذا بالاضافة الى أن هذه المنطقة لم تكن محصنة ولا قوية المدافعة ، وكان خط ماجينو (١) ، الفرنسي ، يتوقف على محاذات حدودها الشرقية ، منتهيا عند نهر الموز (٢) ·

وكانت مراحل التنفيذ وصور الحركات كما يلي :

---

(١) Maginot.
(٢) Meuse.

مجموعة جيوش فون بوك : ـ

كونت هذه المجموعة جناح الهجوم الألماني الأيمن • وكان واجبها الالتفاف حول يسار القوات الغربيـة المعادية ، خلال أراضي اللوكسمبور وبلجيكا وهولاندا ، راميـة الى تحقيق الأغراض التالية :

ـ تضليل الخصم ، وصرف أنظاره عـن الهجوم الرئيسي الأصلي ،

ـ تثبيت الحلفـاء ، واشغـالهم ، وتوريـط احتياطهم واستنزافه بهجوم ثانوي يجري على أساس مناورة شليفن ، بعد أن أدخل على هذه المناورة التعديل الذي تقدم ذكره ،

ـ اجبار الحلفاء ، بمناورة ثانوية كانوا يتوقعونها ، لكن يعتقدون أنها الرئيسية ، على مغادرة مواقعهم فى فرنسـا ، وعلى الاسراع الى نجدة بلجيكـا وهولاندا ، تاركين جناحهم الأيمن، وكذلك منطقة الأرد ن التي تغطي قلب الترتيب على جبهتهم ، فى حراسـة خـط ماجينو وبعـض الفرق من جنود الاحتياط ،

ـ كانت منطقة الأردن الكتف والمفصلة لحركـة الجيوش الحليفة المتقدمة غربـا شمالا ، فشمالا • وكانت هذه المنطقة ضعيفة الحراسة والدفاع كمـا ذكرنا ، وكـان خط ماجينو ينتهي عند حدودها الشرقية ،

ـ كان هجوم مجموعة جيوش فون بوك ، عبارة عن عملية ثانوية فى خدمة الفكرة والغاية الرئيسية لخطة الهجوم العامة• أما رد الحلفاء على هجوم فون بوك ، فكان الجوهر الكلي فى خطتهم • وبتنفيذ الخطة الحليفة هذه ، ردا على هجوم فـون بوك ، صارت منطقة الأردن أضعف نقطـة ومنطقة فى جبهة الحلفاء، أو هكذا اعتقد الألمان حسب اجتهادهم وتقديراتهم• وقد أثبتت الأحداث فيما بعد صحة هذا الاعتقاد ،

ـ وكانت منطقة الأردن هذه ، هي المكان الذي عينته خطة فون مانشتن لهجوم القوى الألمانية المدرعة واختراقها •

مجموعة جيوش فون رونشتيد : —

حشد فى هذه المجموعة معظم القوى المدرعة . وكان واجب هذه المجموعة تحقيق الاختراق خلال منطقة الأردن ، ومن ثم الاندفاع غربا صوب البحر ، باتجاه مدينة الهافر (١) .

وكان على هذه المجموعة أن لا تتحرك الا بعد مضي بعض الوقت على هجوم فون بوك ، وذلك بانتظار تورط الحلفاء فى ردهم على هذا الهجوم .

مجموعة جيوش فون ليب : —

كانت هذه المجموعة أضعف المجموعات الألمانية الثلاث . وقد عهد اليها بالبقاء على الدفاع عند خط سيغفريد (٢) ، مواجهة للقوات الفرنسية فى خط ماجينو .

التطبيق

كان للفرنسيين والانكليز ، مساء ٩ أيار عام ١٩٤٠ م ، شمالي مدينة سيدان (٣) وجنوبها ، مجموعتان من الجيوش ، بقيادة الجنرال بيوت (٤) والجنرال بريتالا (٥) . وكان واجب هذا الأخير أن يتقدم، عند اللزوم ، بأربعة جيوش ، وبالقوة البريطانية المؤلفة من ست فرق، فى الأراضي البلجيكية لمقابلة كل التفاف ألماني .

من الجهة الألمانية ، كان ثقل الهجوم كله مركزا فى مجموعة جيوش فون رونشتيد ، ومكونا من كتلة ضخمة من المدرعات بقيادة الجنرال فون كليست . وقد احتوت تلك الكتلة على أكبر حشد عرف للمدرعات حتى ذلك التاريخ . وقد تألفت تلك الكتلة المدرعة من ثلاث فيالق ميكانيكية ، منها فيلقان دبابات فى المقدمة ، وفيلق من الفرق الآلية فى المؤخرة . وقد تجمعت تلك الفيالق بقصد الهجوم ، بعضها وراء بعض، منتشرة على عمق بلغ (١٥٠) كيلومترا تقريبا . ولقد تحقق هذا

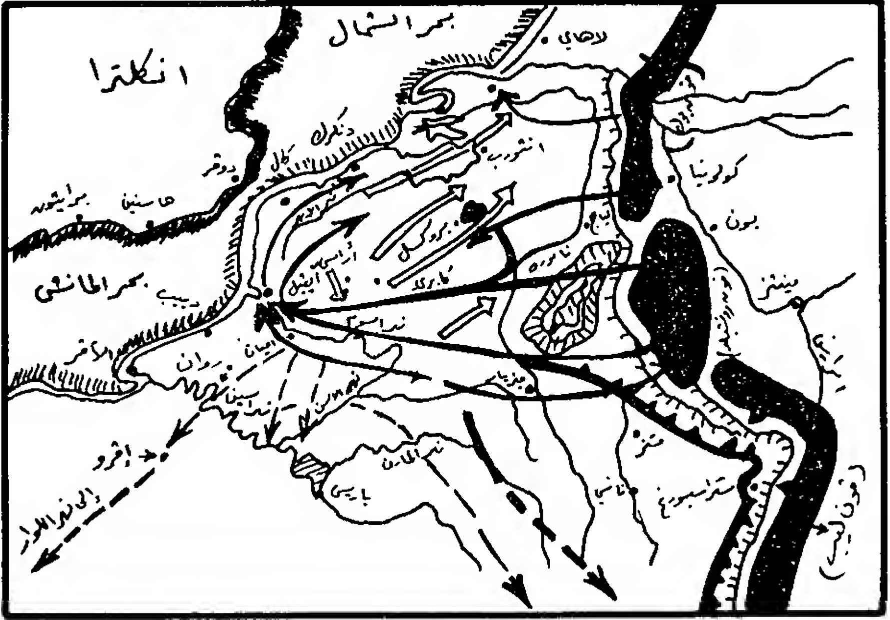
---

(١) Havre.
(٢) Siegfried.
(٣) Sedan.
(٤) Billote.
(٥) Pretalat.

التجمع ومرّ دون أن يعلم به الحلفاء بالمرة • وكان الموضوع الرئيسي، لقيادة مثل هذه القوة الميكانيكية الضخمة ، ليس هو سحق دفاعات العدو وتحقيق الاختراق ، بقدر ما كان تأمين اندفاع الدبابات وحركتها الى الامام باستمرار،ومواصلة تزويدها بالمحروقات بلا توقف ولا انقطاع•

بدأ الهجوم الألماني فى (١٠) أيار•فى هذا اليوم شق الجيش السادس، بقيادة الجنرال ريخنو ، طريقه الى بلجيكا • واستولت فرق المظليين ومشاة الهواء ، بقيادة الجنرال ستودنت ، بالاشتراك مع الجيش الثامن عشر ، الذي كان بقيادة الجنرال فون كوخلر ، على هولندا ، التي استسلمت بعد خمسة أيام من بدء الهجوم • وبمجرد أن اجتازت القوات الألمانية حدود اللوكسمبور وبلجيكا وهولاندا ، سارعت الجيوش الفرنسية والانكليزية ، وكأنها كانت على موعد ، بالدخول الى بلجيكا دون تردد • ولم يقم الطيران الألماني ، الذي كانت له السيطرة التامة على الأجواء فوق مناطق القتال يومئذ ، من جهته ، بأية محاولة لعرقلة تحركات القوات الحليفة ، الأمر الذي كان وحده كافيا لأن يلفت انتباه الحلفاء الى الشرك المعد لاستقبالهم •

وبينما كانت جيوش فون بوك تتوغل فى بلجيكا وهولاندا ، وجيوش فون ليب تقيم على الدفاع عند خط سيغفريد ، والجيوش الفرنسية والانكليزية تندفع الى حيث الشرك المعد لاصطيادها ، فى هذه الاثناء كانت المدرعات الألمانية تشق طريقها خلال مرتفعات وغابات الأردن ، متغلبة بسهولة على بعض الخيالة التي اعترضت سبيلها ، والتي كانت تدافع عن هذه المنطقة التي كان الحلفاء قد حكموا عليها بأنها غير صالحة للتحركات العسكرية الكبيرة •



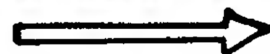
الشكل رقم (١٧)

مناورة معركة فرنسا عام ١٩٤٠

الرموز :

 خط سيغفريد (ألمانيا)

 خط ماجينو (فرنسا)

 تقدم الحلفاء

 الاختراق الألماني ، المرحلة الأولى

شقت المدرعات الألمانية طريقها عبر منطقة الأردن،وتدفقت كالسيل الذي لا يوقفه شيء ٠ وكان الجيش الفرنسي التاسع ، بقيادة الجنرال كوراب ، متمركزا على الدفـاع فى هذه المنطقـة ٠ لكنـه تلقى الأمر بالتخلي عن مراكزه الدفاعية عند بدء الهجوم الألماني ، ليتحرك منطلقا باتجاه مقاطعة نورماندي ، فى طريقـه الى بلجيكـا ، للتصدي للتوغل

الألماني فى هذه البلاد • وهكذا حدث انه حين تحركت مدرعات فون كليست فى طريقها للاختراق عبر الأردن ، كانت القوة الوحيدة،الباقية لتأمين الدفاع عن هذه المنطقة ، مكونة من أربع فرق من المشاة من صنف الاحتياط ، ومن لواء من القناصة البلجيكية • وقد حاول الجنرال كوراب الرجوع على أعقابه لمواجهة الخطر ، لكن محاولته هذه باءت بالفشل •

وفى هذه الأثناء ، كانت مجموعة جيوش الجنرال بيوّت ، مع القوة البريطانية ، قد بلغت قناة ألبير • وكان كل تقدم لهذه القوات ، عبر بلجيكا ، يبعدها عن مركز ثقل الجيوش الفرنسية ، ويساهم هكذا فى تعاظم توغل الدبابات الألمانية ونجاحها •

وقع الهجوم الألماني قبيل فجر نهار (١٠) أيار عام ١٩٤٠ م دون أن يسبقه ما يمكن الحلفاء من التنبؤ بموعد وقوعه• كان اليوم يوم جمعة، وكانت الجيوش المتقابلة متساوية فى العدد تقريبا • ففي جبهة تمتد من بحر الشمال حتى حدود سويسرا ، حشد الألمان مقدار (١٣٦) فرقة ، مقابل (١٣٥) فرقة الى جانب الفرنسيين والانكليز والبلجيكيين والهولانديين •

استسلمت هولاندا فى غضون خمسة أيام • وكان الرد المبدئي ، للانكليز والفرنسيين على الهجوم الألماني ، مبنيا ، كما سبق القول ، على الاعتقاد باستحالة عبور مرتفعات الأردن وغاباتها على جيش حديث كبير ، وعلى أن ثقل الهجوم الألماني سيكون لذلك فى الجناح الأيمن من هذا الهجوم • وكانوا فى ذلك مخطئين •

وكان الحلفاء قد حشدوا قواتهم على خط الحصون ما بين مدينتي نامور وانتورب،مما جعلهم يتفوقون بمقدار الضعفين على عدد القوات الألمانية المهاجمة فى تلك المنطقة • وفجأة ، وبلا سابق انذار ، اخترق الألمان منطقة الأردن ، وتوغلوا فيها بكتل متلاحقة متراصة من المدرعات السريعة الحركة ،تتقدمها أسراب كثيفة متتابعة من الطيران التكتيكي، وقد جرى كل ذلك بحجم وفاعلية لم يعرف لهما العالم مثيلا من قبل •

ومدينة سيدان ، التي كانت مسرحا لهزيمة نابليون الثالث عام ١٨٧٠ ، عادت فغدت فى شهر أيار من عام ١٩٤٠ م مسرحا لكارثة ثانية من ذلك القبيل • فقد اخترق الألمان منتصف جبهة الحلفاء عند هذه

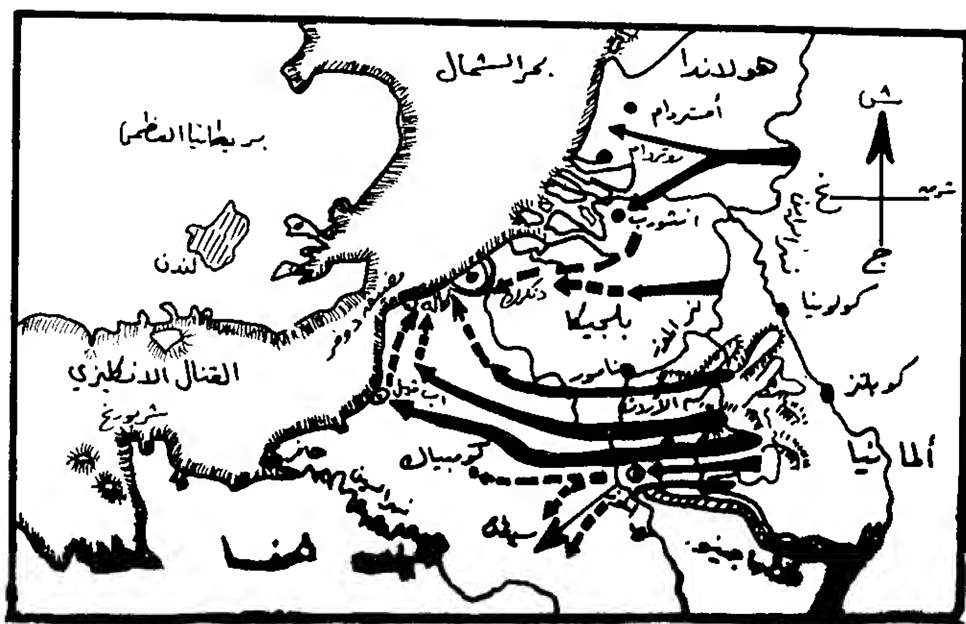
النقطة،ولم يكن لهؤلاء عندها ما يستطيعون به سدّ هذه الثغرة وايقاف تدفق أرتال الدبابات منهـا • وقد اندفعت الدبابات الألمانية من ثغرة سيدان بالسرعة القصوى ، متجاوزة وملتفـة حول الجيوش الحليفة ، وآخذة الأسرى بالآلاف ، بالاضافـة الى المـدن الـتي أخذت تتسـاقط بالعشرات ، وذلك دون مقابل بخسائر تستحق الذكر •

وبعد أن توغل الاختراق الألماني عميقا داخل الأراضي الفرنسية ، تحول الهجوم بثقله صوب البحر ، فسقطت كاله وآبيفيل فى (٢٥) أيار ١٩٤٠ م ، وبذلك قطع جناح الحلفاء الأيسر عن مواصلاته الجنوبيـة والشرقية ، وصـار محصورا فى جيب ضيق ، يستند بظهره على البحر عند مضيق مدينة دوفر • وقد انحصر،فى هذا الجيب ، الجيش الفرنسي الأول ، والفيلق الفرنسي السادس عشر ، والحملة البريطانية برمتها، والجيش البلجيكي فى الشمال •

وأخذت وضعية الجيوش المطوقة تزداد حراجة ساعة بعد أخرى ، الى أن أصبحت ميؤوسا منها تقريبا ، بعد مضي ثلاثة أيام • ففي الصبـاح المبكر ليوم ٢٨ أيار ، استسلم الجيش البلجيكي بلا قيد أو شرط،كاشفا باستسلامه عن ثغرة بعرض ثلاثين كيلومترا ، على جناح البريطانيين والفرنسيين •

وفى تلك الأثناء حدث ما يسميه الحلفـاء معجزة دنكرك • فقد عمد البريطانيون بسرعـة الى اغـلاق الثغرة التي سببهـا استسلام الجيش البلجيكي ، وقد ساعدهم فى ذلك توقف المدرعـات الألمـانية عن متابعة حركتها باتجـاه دنكرك ، توقف كان بنـاء على أمر من هتلر ، دونمـا مبرر معقول ولا مقبول • وهـكذا اسـتطاع البريطانيون أن ينسحبوا بانتظام الى مدينة دنكرك بقصد الابحار منهـا ، بواسطة قتال تراجعي ناجح ، وفى وجه عدو كان يتفوق كثيرا فى العدد والعدة •

أقام البريطانيون يدافعون عن دنكرك وضواحيها،تحت وابل منهمر متواصل من قنابل المدفعية وقنابل الطائرات المغيرة ، الى أن تمكنوا من ترحيل حوالي (٣٣٨٠٠٠) جـندي حليف معظـمهم كـان من جنود الامبراطورية البريطانية ، وايصالهم عبر البحر الى الجزر الانكليزية • وقد كان محكوما على هذه الآلاف المجندة أن تقع فى الأسر ، لو لم يصدر



الرسم رقم (١٨)
معركة فرنسا عام ١٩٤٠ (١٠ أيار ـ ١٧ حزيران)
التقدم الألماني من ٢٥ أيار الى ٤ حزيران
التقدم الألماني من ١٠ الى ٢٥ أيار
المقياس ١٠٠ كم ٧٥ ٥٠

هتلر أمره الأحمق بتوقف قواته المدرعة عن الحركة ، كما ذكرنا أعلاه، توقفا استمر أربعة أيام ٠

وبجلاء البريطانيين ، تحول ثقل المدرعات والطيران التكتيكي الألماني كله ضد الفرنسيين ، وضد بعض الشراذم الحليفة التي لم تستطع الابحار قبل فوات الأوان ٠ ففي (٥) حزيران عام ١٩٤٠ ، تابع الألمان تقدمهم بهجوم عام على جميع الجبهات ٠ وفى (١٠) حزيران ، انتقلت الحكومة الفرنسية من باريس الى بوردو ٠ وفى نفس

اليوم ، أعلنت ايطاليا الحرب على الحلفاء ، وباشرت القتال الى جانب الألمان ضد الفرنسيين • وفى (١٤) حزيران ، سقطت باريس ، وفى (١٦) منه ، استقالت حكومة السيد بول‌رينو •وفى اليوم التالي،تشكلت حكومة جديدة برئاسة المارشال بيتان ، الذي سارع الى الاعتراف بالهزيمة وطلب الصلح مع الألمان • وفى (٢١) حزيران ١٩٤٠ م ، وقعت فرنسا على وثيقة الهدنة فى مدينة كومبياك ، وفى نفس مركبة القطار الحديدي التي كانت مسرحا ومكانا لتوقيع الألمان،عام ١٩١٩م، على وثيقة الاعتراف بهزيمتهم فى الحرب العالمية الأولى •

٥ ـ المناورة بالتفتيت والاستنزاف

أتينا فى فصل سابق ، فى حديثنا عن المعركة الفاصلة،على ذكر لمعركة اليرموك الشهيرة ، هذه المعركة التي نشبت بين العرب والرومان البيزنطيين ، فى مستهل الفتح العربي الاسلامي ، فى تاريخ يرجح أنه كان فى خريف عام ٦٣٦ م •

لقد وقعت بين العرب والبيزنطيين ، على ضفاف وادي اليرموك مواجهتان حربيتان كلاهما عرفتا باسم معركة اليرموك،وكان ذلك سببا فى اختلاط الأمر على المؤرخين ، الذين كتبوا عن الحرب بعد أكثر من قرن من الزمن على مضيها ، مستندين على أقوال الرواة ، ولذا فهم لم يتكلموا سوى عن مواجهة واحدة ، ولم يعطوا عن القتال الذي جرى وصفا مقبولا ولا معلومات دقيقة •

جرت مواجهة اليرموك الأولى فى صيف عام ٦٣٤ م ، عقب معركة أجنادين الشهيرة ، التي انتصر فيها العرب على البيزنطيين بقيادة خالد بن الوليد ، والتي كان من نتائجها القضاء على القوة العسكرية الرئيسية لبيزنطة فى سورية الجنوبية ، فى فلسطين • أما القوات العسكرية البيزنطية الأخرى ، الموجودة آنذاك فى سورية نفسها ، والتي كانت تعرف باسم جيش الشمال ، فقد كانت متمركزة على الدفاع فى منطقة درعا ، وواجبها منع طريق دمشق وسورية الشمالية على القوات العربية المتحركة شمالا من خليج العقبة وشرق الأردن ، وذلك باغلاق الثغرة الواقعة ما بين وادي اليرموك غربا ، ومنطقة الصخور البركانية المنتشرة الى الشرق من مدينة درعا • وكان قسم من القوات العربية قد

وصل الى تلك المنطقة للتجمع فيهـا ، على الضفـة الجنوبية من وادي اليرموك ، وأقام ينتظر أن يوافيه خالد بن الوليد وقواته ، قبل القيام بأي عمل جدي ضد البيزنطيين المتمركزين عند الضفة الشماليـة من الوادي المذكور ٠

كان اعتماد القيادة البيزنطية منصبـا جله على الجيش الجنوبي فى فلسطين ٠ فلمـا هزم هذا الجيش في أجنـادين ، وعاد العرب ثانية الى اليرموك ، وبلغ الروم خبر هزيمة جيشهم ، رفضوا حالئذ أن يدخلوا مع العرب فى معركة ثانية قد تكون فاصلة وقرروا على العكس الانسحاب الى أقصى الشمال ٠ وقد تراجعوا فعلا ، مغطين تراجعهم بقتال عرقلة وتأخير تقوم بـه المؤخرات ، وذلك ليتسنى لـهم الوقت الكافي للحاق بمعقلهم الحصين فى انطاكية وضواحيها ٠ وقد أخلوا فى انسحابهم هذا مدن دمشق وحماه وحمص ، وكان العرب يحتلون كل مدينة فورخلوها من البيزنطيين ٠

وهكذا جرت مواجهة اليرموك الأولى كما هو مرجح ٠ أما المواجهـة الثانية ، التي هي معركـة اليرموك المشهورة ، فـقد جرت على نفس الأرض التي كانت ساحة وميدانا للمواجهة الأولى ، فى نهاية صيف عام ٦٣٦م ٠ لـم يكتب الرومـان البيزنطيون عن حروبهم مـع العرب فى سورية ، أو لم يصل الينا شيء من كتاباتهم عن هذه الحروب ٠ أمـا العرب ، فـقد كتبوا الشيء الكثير ، لـكن بغموض السيرة ومبـالغة الرواية ، وبعد مضي زمن طويل على وقوع الحوادث،وأخذا عن السنة الرواة والمحدثين ٠ والذين كتبوا ، من العرب ، لم يكونوا من اصحاب الاختصاص ، أو كانوا لا يكترثون بالمعارك والقتالات من حيث نواحيها الفنية والعلمية ، بقدر اهتمامهم بابراز التفوق العربي وبخاصة تأثير الاسلام الذي كان السبب فى قيام ذلك التفوق ٠ وحيال الغموض وعدم الدقة ، يجد البـاحث نفسـه مضطرا الى الاعتمـاد عـلى الافتراض والتخمين ، فى كل محاولة لـه للكتابـة عن حروب العرب والبيزنطيين عند الفتح الاسـلامي ، وخـاصة فيمـا يتعلق منهـا بنواحي التنظيم والتخطيـط والتطبيق ، وفى التكتيك والاستراتيجيـة ، وهي النواحي التي تعتبر أساسـا للدرس والتثقيف العسكري واستخـلاص الدروس والعبر من تجارب الماضي وأحداثه ٠

فى هذه الحروب التي نحن بصددها ، تفوق العرب على البيزنطيين بالمعنوية ، وبالحركية ، وبالمعرفة العميقة بالصحراء التي كانت أعظم حليف لهم ، والتي حمتهم فى الماضي من جحافل الغزاة والفاتحين،والتي كانوا يسارعون باللجوء اليها كلما واجهتهم معضلة ، أو أحاقت بهم الأخطار • وكانوا لا يدخلون معركة كبيرة الا وظهورهم الى الصحراء تجنبا للمفاجئات من الخلف ، ولكي يلجأوا اليها سريعا عند الحاجة •

وفى الطرف الآخر ، كانت القوات البيزنطية مثقلة بالأحمال والتجهيزات الثقيلة ، بطيئة الانتقال والحركة ، ولذا لم يكن بوسعها أن تتبارى ، فى السهل والأرض الصحراء ، مع العرب فى الخفة والسرعة والحركات الآنية الخاطفة• بيد أن هذه القوات كانت متفوقة فى التنظيم والتسليح ، وكانت تشكل فى الالتحام قوة ضاربة شديدة الخطر على العرب فى معارك وتكتيكات عسكرية تقليدية •

لقد كان العرب ، بفعل بيئتهم ونشأتهم ، يحسنون أصول المحاربة الجهادية (١) الأولية بالفطرة والسليقة ، لكن فقط فى الصحاري والسهول المتاخمة لصحاريهم • وقد ساعدهم ذلك كثيرا على التغلب على جميع المقاومات الموضعية المنعزلة التي اعترضت طريقهم، فى سورية الجنوبية وشرق الأردن • ولما كانوا لا يحسنون القتال فى الجبال والمناطق الوعرة (٢) ، لذا كانوا يتجنبون المحاربة فى مثل هذه الأراضي قدر استطاعتهم • وقد عرف الرومان البيزنطيون عنهم ذلك بالتجربة • ولما ظهر أمرهم ، وبرزوا لبيزنطة دولة فتية ناشطة وجارا خطرا ، وأخذوا يغيرون على الأراضي البيزنطية المتاخمة للجزيرة العربية ، عمد الرومان ، كما يرجَّح ، فى بدء الثلاثينات من القرن السابع الميلادي ، الى تخصيص سورية الجنوبية (فلسطين) بجيش ميدان قوي ، والى اقامة معسكر محصن بالقرب من مدينة درعا،مغلقين به الثغرة الواقعة بين وادي اليرموك العميق من جهة ، وبين منحدرات منطقة حوران المفروشة بالصخور والسوائل البركانية المتجمدة ، من جهة ثانية •

---

(١) Guerilla Warfare.

(٢) الكلام هنا عن عرب الحجاز ونجد ، لا عن عرب اليمن •

بدأ العرب زحفهم على سورية فى مستهل عام ٦٣٤م · وقد جرى هذا الزحف ، فى أول الأمر ، على أســاس أرتــال صغيرة مستقلة ، كل رتل يتألف من خمسة آلاف مقاتل تقريبا ، وكان تنظيمه الحربي هو التنظيم القبلي للقتال المعروف عند العرب فى ذلك الوقت· كان عدد هذه الأرتال فى بداية الأمر ثلاثة ، بقيادة عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيــان وشرحبيل بن حسنة ، وقد أمر عمر بن العاص أن يتوجه الى فلسطين، بينما كان على يزيد وشرحبيل أن يعملا باتجاه الشمال صعودا من خليج العقبة · وقد استطاع ابن العاص أن يتحرك فى منطقة عملياته بنجاح ، وأن يتغلب فى طريقه على كثير من المقاومات الموضعية ، فى حين تمكن يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة ، فيما بينهما ، من احتلال كامل المنطقة المعروفة اليوم بشرق الأردن ، وذلك دون مقاومة جدية تذكر ، فيما عدا انتصار ليزيد على قائد منطقة قيصرية فى وادي عربة ، ومن ثم قتله لهذا القائد البيزنطي فى معركة لاحقة ·

تابع يزيد وشرحبيل تقدمهمــا نحو الشمال · لكنهما اضطرا آخر الأمر الى التوقف ، عندما عجز كل منهما عن المرور بقواته الى ما وراء جبل حوران ووادي اليرموك ، وعلى النفاذ من ثغرة درعا ، واختراق دفاعات البيزنطيين فى هذه المنطقة · وقد اجتمعا بعد تراسل واتفاق ، عند الطرف الجنوبي من وادي اليرموك ، وأقاما فى هذا المكان بانتظار ورود الأوامر والتعاليم الجديدة من المدينة · وقد بقي الشمال السوري هذا مغلقا فى وجه العرب ، الى أن اضطر البيزنطيون الى الانسحاب من معسكرهم المحصن ، على أعقــاب هزيمــة جيش المـيدان البيزنطي فى أجنادين ، على يد خالد بن الوليد ، هذا الجيش الذي كانت خطة الدفاع البيزنطية فى وادي اليرموك مبنية على وجوده كقوة ضاربة متحركة · وكانت محــاولات يزيد وشرحبيل التي سبقت التحــاق خالد بن الوليد بوادي اليرموك ، ومــا أعقب اجتمــاع القوى العربيــة والانتصار فى اجنادين ، من مناوشات واصطدامات خفيفة مع مراكز الدفاع البيزنطية فى ثغرة درعــا ، كل هذا يشكل مجــابهة اليرموك الأولى ، الــتي سبقت الاشارة اليها فى الفصل الثالث عشر من هذا الكتاب ·

وكان من نتائج الانتصارات العربية فى غزة ، ووادي عربة ، ودوما ، وبصرى ، وأجنادين ، ومرج الصفار ، ان جلا البيزنطيون عــن سورية

الجنوبيـــة ، أي فلسطين ، وعن سوريـــة الوسطى ، بمـــا فى ذلك دمشق وحماه وحمص ، باستثنـــاء القدس وعكا والمدن الساحليـــة التي كانت تعتمد ، فى حمايتها وتموينها ، على الأسطول البيزنطي ، هذا الأسطول الذي لم يكن له ، فى بحـــار المنطقة ، من منـــافس فى ذلك الزمن ٠ وقد انسحب القيصر الى انطـــاكية غير يـــائس ، وفى نيته أن يعود الى قتال العرب فى جولة أخرى ٠ كان ذلك فى نهاية عام ٦٣٤م ، أو فى أوائل عام ٦٣٥م ٠ ولقد اتخذ قيصر الروم هرقل من أنطاكية مقرا له عوضا عن حمص،وأخذ يعمل بكل جد ونشاط على تجهيز قواته العسكرية واعادة تنظيمها من جديد ٠

٦ ـ معركة اليرموك الكبرى

نجح القيصر البيزنطي ، بعد مجهود شاق ، فى تشكيل جيش ميدان جديد ، مؤلف بثلثيه تقريبا من الأرمن والعرب الغساسنة،وبثلثه الآخر من سكان الأناضول ٠ وبعد أن انتهى من تشكيل ذلك الجيش وتنظيمه وتجهيزه ، عهد بقيـــادته الى القـــائد البيزنطي تيودوروس ٠ وكـــانت القوات الأرمنية ، الداخلة فى تأليف هذا الجيش ، بقيادة القائد الأرمني بعانس ، تشكل جيشا شبه مستقل عـــن الأناضولين والغساسنة ٠ ويقول بعض المؤرخين ان آلقائد الأرمني بعانس كان يرى نفسه أحق بالقيادة العامة من القـــائد تيودوروس البيزنطي ، ولذا كـــان قـــليل الاهتمام بتوجيهات هذا الأخير وأوامره ٠ وقد أدى هذا التنافر بين القائدين الى قيام حالة من عدم الانسجام والتعاون بين قوتي الجيش الرئيسيتين ، والى الشلل فى عمل القيـــادة البيزنطية العـــامة ، فى كثير من الأوقـــات الحرجة ٠

من حيث العدد ، كان الجيش البيزنطي الجديد أكبر الجيوش التي واجهها العرب حتى ذلك التاريخ ٠ كان هذا الجيش يتفوق عددا على جميع القوات العربية مجتمعة ٠ وما كاد يبدأ حركته جنوبـــا ، فى شهر آذار أو نيسان عـــام ٦٣٦م ، حتى أسرع الـــعرب الى التخلي عن جميع فتوحات السنتين السابقتين ٠ أخلى خالد بـــن الوليد حمص ٠ وخرج أبو عبيدة بـــن الجراح مـــن دمشق ٠ واتجهت جميع القوات الاسلامية للتجمع مرة أخرى فى المنطقة الواقعة جنوب اليرموك٠وكان البيزنطيون

يسيرون على أعقاب العرب المنسحبين ، لا بقصد التعرض لهؤلاء والاشتباك معهم بقصد تدميرهم فى معركة فاصلة ، وانما ليتوقفوا عند ثغرة درعا ، وليعودوا مرة أخرى الى اشغال هذه الثغرة ، والى التمركز فيها دفاعيا ضمن معسكر محصن ، تماما كما فعلوا عام ٦٣٤م ٠

فى الطرف العربي ، كان الانسحاب عملا طبيعيا ، واستراتيجية جيدة دون جدال ٠ فقد كان العرب موزعين متفرقين ، وكان عليهم أن يجتمعوا حتى يتمكنوا من مواجهة الجيش البيزنطي الجديد ، الذي يفوقهم عددا وعدة ٠ وكانوا يطمئنون الى الصحراء ، ويحاولون دوما ان يقاتلوا وظهورهم اليها ٠ ولهذا فقد تراسلوا ، واتفقوا على العودة الى الاجتماع فى شرق الأردن ، فى نفس المكان الذي اجتمعوا فيه عام ٦٣٤م ، عندما أقاموا بانتظار تعاليم الخليفة ، ووصول خالد بن الوليد من العراق ٠

ولربما أمل العرب فى أن يستمر الخصم على متابعتهم،فيستدرجوه، ويطمعوه بهم لعله يتوغل فى الصحراء على أعقابهم ٠ لكن أملهم هذا لم يتحقق ٠ فقد توقف البيزنطيون هذه المرة أيضا عند ثغرة درعا،وعمدوا كالسابق الى تنظيم أنفسهم فى معسكر محصن ، فى نفس الموضع الذي أقاموا فيه منذ عامين ٠ وكانوا هذه المرة أكثر اطمئنانا على مؤخراتهم وخطوط مواصلاتهم مما كانوا عليه فى المرة الأولى ٠ فهذه المرة لم يكن خالد بن الوليد ، ولا سواه ، حرا يعمل خلف ظهورهم ، بل كان جميع القادة العرب مجتمعين أمامهم ، على الطرف المقابل من ميدان القتال٠

وهكذا وجد العرب أنفسهم أمام باب مغلق لا مرور لهم الا منه ٠ وقد مكث الطرفان وجها لوجهه زهاء أربعة أشهر ، لم يتزحزح أثناءها البيزنطيون عن مراكزهم ، ولم يتعدوا حدود دفاعاتهم ، هذه الدفاعات التي عجز العرب عن اختراقها منذ أن تواجه الطرفان ، أو التي لم يقوموا بعد بمحاولات لاقتحامها واجتيازها بالقوة ٠

الا أن المعارك والحروب لا تكتسب بالمواقف السلبية ، والمدافعة الجامدة البليدة ٠ واذا كان باستطاعة الروم البيزنطيين أن يقيموا على مثل هذا النوع من المدافعة والمحاربة الى ما شاء الله ، أو هم قد رأوا فى ذلك تكتيكا يناسبهم ، وسياسة تخدم مصالحهم واستراتيجيتهم ، فالعرب ، على عكس ذلك ، كانوا على عجلة من أمرهم ، وكانت السرعة

احدى عناصر استراتيجيتهم ، وسببا رئيسيا فى تفوقهم حتى الآن • كان لا بد لهم من ايجاد مفتاح للباب الموصد فى وجههم ، خاصة وأنهم كانوا أكثر نشاطا وحركيـة من خصومهم ، وأعظم ميـلا الى العمل والمجازفة وركوب الصعاب •

كانت أجنحة البيزنطيين ترتكز على أرض وعرة لا تصلح ميدانـا لنوع القتال الذي كان معروفا فى القرن السابع الميلادي • لكن وعورة الأرض هذه لم تـكن لتحول دون تسرب الـعرب وتسللهـم بالجماعات الصغيرة ، عن يمين ويسار الجبهـة البيزنطيـة ، لغرض الوصول الى مؤخرات الخصم للاستيلاء عـلى قوافل التموين ، أو لادخـال الفوضى والاضطراب فى سير مواصـلات العدو مـع قواعد تموينـه وامداده • والظن الغالب أن العرب قد خططوا للمعركة على أساس هذا التكتيك •

فاذا صح هذا الظن ، فبامكاننا أن نستنتج أن العرب قد هدفوا من وراء تكتيكهم ذاك الى ازعاج الخصم ، والى مضايقته فى تموينه وحرية تحركاته • ولربما أرادوا بهذا التكتيك ، أيضا ، الضرب على أعصاب البيزنطيين ، أمـلا فى حملهـم عـلى الـرد عليهم تحت سورة الغضب والهياج ، كالخروج مثلا من مواقعهم للمهـاجمة والقتـال فى الأرض المكشوفة المنبسطة • وكـان مـن شأن ذاك التكتيك أيضا أن يساهم فى الحفـاظ على المعنويات العربية ، بتـأثير الحركة الناشطـة المثابرة والتعرض الضاري المتواصل • هذا بينما يقوم الجمود والقعود والسلبية بعملية هدم لمعنويـات البيزنطيين ، وخـلق الظروف والمناسبات لبعث الشقاق والخصومة ما بين العنـاصر المتنـافرة التي كان يتألف منهـا جيشهم • والربـح ، فى أحوال وظروف كهذه ، يميل عـادة الى جانب الطرف الذي يظل متفوقا بمتانة الأعصاب ، وقوة المعنويات ، والايمان الكامل بالعقيدة الروحيـة • والذي لاجدال فيـه ، هو أن الـعرب قد بدأوا ، وظلوا حتى النهاية ، متفوقين على خصمهم فى هذا المضمار •

كان البيزنطيون ، كما تقدم القول ، يتفوقون عـلى العرب بالعدد والتسليح والتنظيم • وكـان المفروض أن يحملهم هـذا التفوق على تطلب التعرض والهجوم ، وليس على الركون الى المدافعة السلبيـة الجامدة ، كما فعلوا فى اليرموك • لا نعرف الأسباب التي حملت القائد البيزنطي تيودوروس على الاقامة ، طول الوقت ، على ذلك النوع من

الدفـاع العقيم . فسلوك كـهذا محـطم للمعنويـات ، مـفل للعزائم والأحلاف . وهو ، علاوة على ذلك ، يفسح أمام العرب من مجال تلقي الامدادات والنجدات ، مـن قواعدهم فى الحجـاز . وليس من المستبعد الظن بأن الأمل كان يراود الروم بأن ييأس العرب بعد طول انتظار ، فينسحبوا راجعين الى صحرائهم ، قانعين بما حصلوا عليه حتى الآن من أمجاد وغنائم . واذا صح وكـان لدى البيزنطيين مـثل هذا الأمل أو الاعتقاد، فلا تفسير له الا انهم كانوا لا يزالون على جهل مطبق بحقيقة النهضة الاجتماعية العارمة ، التي تحققت فى الجزيرة العربية بظهور الاسلام .

يقول بعـض المؤرخين العرب ، ان تيودوروس قـام بعدة غارات محدودة على القوات العربية ، وانه فشل فى تلك الغارات جميعا ،وعاد كل مرة على أعقابه خاسرا.ولكن أولئك المؤرخين لا يذكرون التواريخ التي حصلت فيها الغارات المذكورة . فاذا افترضنا انها وقعت فى عـام ٦٣٦م ، وان الأمر كان صحيحا ، فمعنى ذلك ان القائد البيزنطي العام كان ، فى بداية الأمر على الأقل ، يتبع سياسـة ايجـابية صحيحة . لكن لماذا عدل عن هذه السياسة ، ولماذا لم يبادر ، فور أن التقى الجمعان ، الى خوض معركة فاصلة ؟ خصوصـا وقد كـان أكثر عـددا وعدة من خصمه ؟ . هذه التساؤلات ، وكثير سواها ، لا نجد لهـا جوابا فى كتب التاريخ العربية القديمة ، التي تروي أخبار المعركة .

وقد ورد على لسان بعض المؤرخين ، انه كان هنالك خلاف حاد بين القائد البيزنطي العام ، تيودوروس ، وبين قـائد القوات الأرمنية ، بعانس ، وان هذا الخـلاف لم يكن سرا ، بل كـان على العكس حديث الجيش البيزنطي على جميع المراتب ، وقد أدى الى انقسام الجنود مـا بين مؤيد لتيودوروس ومتحزب لبعانس . وقد تطور الأمر مرة، بسبب هذا الخلاف ، الى حد قيام الجيش بمحـاولة لتنصيب القـائد الأرمني قائدا عاما ، عوضا عن تيودوروس .

ويقال أيضا أن العرب الغساسنة ، الذين كانوا يؤلفون ثلث الجيش البيزنطي تقريبا ، لم يكونوا مرتاحين الى الأوضاع العامة السائدة فى هذا الجيش ، وانهم كانوا يتطلعون الى المستقبل بكثير من مشاعر القلق والتشاؤم . وتضيف الرواية قائلة ان هؤلاء الغساسنة ، بعد أن يئسوا

من تحسّن الأوضاع فى الجيش البيزنطي ، وتراءى لهم المستقبل مظلما قاتما ، خلعوا عنهم رداء الولاء والاخلاص للدولة البيزنطية ، وأخذوا يمهدون لمستقبل أفضل ، بالتراسل والتفاوض مع العرب المسلمين • هذه الأقوال والروايات ، ان صحت ، كانت بلا جدال باعثا على تدهور المعنويات العامة لدى البيزنطيين ، وعلى ازدياد الأحوال سوءا فى معسكرهم ، وعلى اصابتهم بهزيمة نفسية كانت عاملا رئيسيا فى هزيمتهم العسكرية فيما بعد •

أما العرب ، باجماع المؤرخين والرواة ، فقد كانت معنوياتهم قوية عالية ، وكانت الامدادات وتعاليم الخليفة تردهم من الحجاز بصورة مستمرة • ولم تكن لديهم أية نية فى النكوص على أعقابهم • وقد استطاعوا بفضل هذه المعنوية الممتازة ، وبالنشاط الدائب ،والمبادءات المتواصلة ، والضراوة فى التعرض والاغارة ، استطاعوا تحقيق نوع من التطويق المائع المتنقل على ثلاث جهات من المواقع البيزنطية ، وادخال الخلل والاضطراب فى مواصلات الخصم مع قواعده ، فى الجهة الرابعة الأخرى ، أي الجهة الخلفية •

كل ما تقدم ذكره أعلاه ، عن الأحوال العامة التي كانت سائدة لدى الطرفين المتحاربين ، فى منطقة اليرموك ، لا يخرج عن كونه تحليلا واستنتاجا مما وصل الينا من روايات وأحاديث • لكنه كله منطقي ومعقول ، ونعتقد انه كان الحقيقة ، أو قريبا جدا من الحقيقة • أما بخصوص القتال نفسه ، وكيف جرى الصدام الأخير على أرض المعركة، وكيف انتهت تلك الجولة الأخيرة من الحرب بين العرب والبيزنطيين ، فذلك يبقى كله فى عالم التخمين والافتراض،لانعدام المصادر التاريخية الثابتة ، المسجلة من لدن معاصر حيادي أو شاهد عيان ، والتي وحدها يصح اعتبارها مرجعا عند التكلم فى شئون التاريخ •

يقول كلوب باشا (١) ، فى مؤلفه القيم « الفتوحات العربية الكبرى » (٢) ، « انه فى يوم ٢٠ آب من عام ٦٣٦م ، هبت على منطقة القتال ريح صحراوية عاتية رملية محرقة،آتية من جهة الجنوب الشرقي،

---

(١) John Bagot Glub.

(٢) The Great Arab Conquests

أي مــن الجهــة الواقعــة خــلف القوات العربيــة ، والمواجهــة لمواقع البيزنطيين • وقد جاءت تلك العاصفة بمثابة كارثــة ماحقة بالنسبة الى هؤلاء ، ووقعت عليهم وقوع صاعقة مهلكة من السماء ، وكانت سببا فى هلاكهم ، وفى اختفاء جيشهم من أرض المعركة وكأنه ما كان ، وبحيث لا يدري أحد حتى الآن شيئا مؤكدا عن حقيقة ما آل اليه أمره بعد ذهاب العاصفة وانتهاء المعركة •

ويتابع كلوب باشا فيقول ان تلك العاصفة الرملية دامت عدة أيام، حارمة البيزنطيين ، طوال تلك المدة ، من نعمة النظر صوب خصمهم ، ومن استطاعة الأكل والنوم وسلامة التصرف والتفكير • أما العرب ، فقد رأوا فى هذه العاصفة فرصة العمر،الفرصة التي يحلم بها كل مقاتل وكل قائد ، فسارعوا الى اغتنامها ، والى وضع خطة للهجوم الفاصل على أساسها • وكانت تلك الخطة سهلة بسيطة • فقد اندفع الــعرب وراء العاصفة كالأشبــاح ، ونفذوا ، فى سترهـــا وتغطيتهــا ، الى مواقــع البيزنطيين ، بينما كان هؤلاء مشغولين بحماية أنفسهم ووقاية عيونهم وأنوفهم وأفواههم وآذانهم من رمالها الناعمة اللاهبة ، تاركين هكــذا العرب يعملون فيهم طعنا وتقتيلا دون مقاومة » •

فى الأرض الصحراء ، ومن حيث المضايقــات والمزعجــات ، لا يوجد مثيل لعاصفة صحراوية محملة بالغبار والرمال المحرقة • فعاصفة كهذه تقوض الخيام وتطيح بها ، وتجعل من عملية الطبخ والخبز وكل مــا يتطلبه تحضير الطعام أمرا مستحيلا ، وخاصة على غير البدو ، وتملأ الشراب والطعام بالرمال والغبار، وتحرق ما يتعرض لها من جلد الوجه واليدين ، وتغلق الأعين وتعمي الأبصار • لا يمكن مواجهة ريح كهذه، ولا شيء يستطاع فعله سوى الانكباب على الأرض،وتغطية الرأس كله، والبقاء على هذا الوضع المزعج الى أن تهدأ العاصفة • والعواصف من هذا النوع ، غالبا ما تدوم يومين أو ثلاثــة أيــام متتابعة • والعاصفة المفترض انها حدثت ، والتي نحن بصددها ، يحتمل أن تكون قد بدأت فى مساء ١٩ آب عام ٦٣٦م ، وأن يكون القادة العرب ، وهم من سكان الصحراء ، وأعرف النــاس بالعواصف الرمليــة ومددها ، يحتــمل أن يكونوا قد خططوا لهجوم عام على متن العاصفة الطارئة السانحة ، فى صباح اليوم التالي ، أو ليلا قبل ذلك بقليل •

العواصف الرملية ، بصورة عامة ، خطرة وشديدة الضرر والازعاج لجميع الناس الذين يتعرضون لها ، بما فى ذلك سكان الصحراء أنفسهم· لكن الصحاري هي منبت العواصف الرملية ، والعرب سكان الصحراء معتادون على مواجهة مثل هذه العواصف ، عارفون كيف يخففون عن أنفسهم من مضارها وأخطارها · وعلاوة على ذلك ، فقد كانت العاصفة المزعومة آتية من جهة العرب ، ومن خلفهم بالنسبة اليهم ، متحركة صوب البيزنطيين ، أي مواجهة لهم ، وضاربة فى أعينهم وأفواههم وأنوفهم · لقد كان مجال النظر للعرب محدودا ولا شك ، لكنهم كانوا يستطيعون أن يقاتلوا وأعينهم مفتوحة على الأقل ، وأن يتحركوا منتصبين ، راجلين أو راكبين ، وكان لباسهم مما يساعد على التخفيف من مضار الرمال وحبات الغبار المحرقة المتطايرة · ولقد دخلوا المعركة والريح الرملية تهب من ورائهم وتدفع بهم من خلفهم ، لذا فهي لم تسبب لهم سوى الازعاج الخفيف والأذى المحتمل·وهكذا تكون الشروط والظروف قد تضافرت جميعا لتأمين انتصار العرب فى تلك الموقعة الفاصلة ، وبذلك قضي على حكم البيزنطيين لسورية ، وأخرجو منها بلا رجعة بعد ذلك قط ·

ونحن اذا قبلنا بفرضية وقوع العاصفة ، فلن نجد غريبا بعد ذلك أن ينتصر العرب ذلك الانتصار الساحق،وأن تنتهي المعركة وقد اختفى كل أثر للقوة العسكرية البيزنطية من ساحة القتال ·

كان الجيش البيزنطي لا يحسن غير القتال بالصفوف المنتظمة ، المتسلسلة ، والاشارات البصرية المرئية ، ولذا كان تحت العاصفة الهوجاء كالمشلول الأعمى ، فلا يستطيع حراكا ، ولا يبصر شيئا · صحيح أن العرب كانوا لا يحسنون المحاربة بالنظام وبالصفوف المترابطة المتماسكة ، لكنهم كانوا بارعين فى عمليات السطو والاغارة والتسلل ، كل بشخصه ومفرده ، وهذه خصائص وجدت يوم العاصفة أحسن فرصة للاستعمال والاستثمار لصالح أصحابها ·

وكان الموضع ، الذي قام عليه المعسكر البيزنطي ، قويا وضعيفا فى آن واحد · لقد كان قويا لارتكاز مجنباته على مواقع طبيعية لا يستطيع المهاجم أن يأتي منها بقوة ، ولا تمكن الحركة فيها الا بصعوبة،وبأعداد صغيرة محدودة ·كان يحد المعسكر من جهة الغرب ، أي من جهة ميمنة

البيزنطيين ، وادي اليرموك ووادي الرقاد ، وهما واديان عميقان لا يمكن اجتيازهما الا بواسطة الجسور والعبارات المنصوبة فوقهما • وقد يستطيع أفراد مختصون أو معتادون أن يجتازوا هذه الوديان بوسائل أخرى غير الجسور والعبارات ، لكن بعد مجهود شاق ووقت طويل ، وفقط فى رابعة النهار • أما حدود المعسكر من جهة الشرق ، فكانت منطقة وعرة مفروشة بالصخور والأحجار البركانية المختلفة الأحجام ، والمزعجة جدا لحركة الانسان والحيوان ، والتي لا يمكن السير فيها الا بصعوبة فائقة •

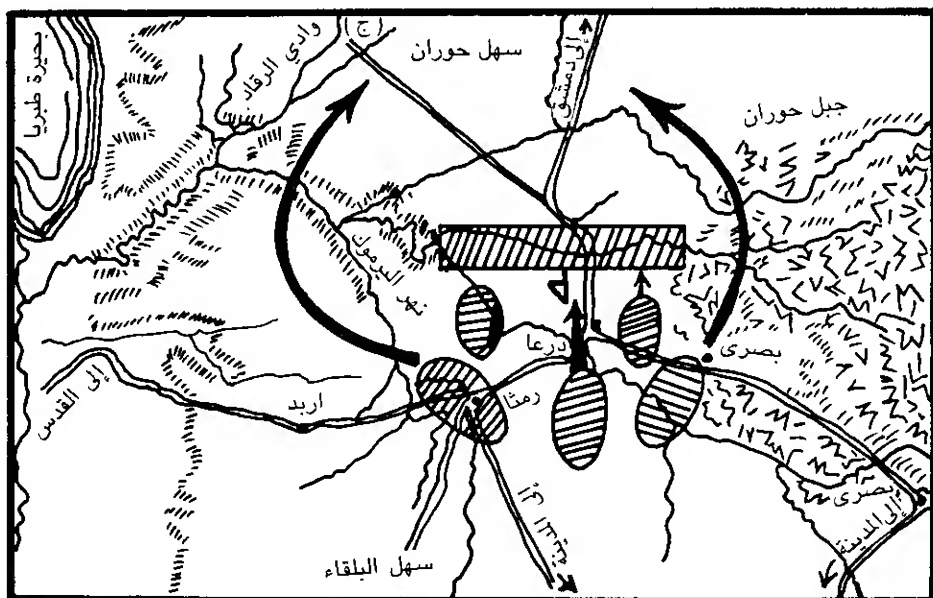
كان البيزنطيون مطمئنين هكذا ، الى حد ما ، الى مناعة جوانبهم ، لكنهم كانوا ، فى الوقت نفسه ، أسرى لهذه المناعة ، من حيث انهم كانوا أنفسهم لا يستفيدون لحركاتهم من هذه الجوانب ، الأمر الذي جعلهم وكأنهم مطوقون من ثلاث جهات :

- من الشرق والغرب ، حيث الأراضي والأودية غير الصالحة لحركات الجيوش ومقاتلتها ،
- ومن الجنوب والجنوب الشرقي ، حيث الجيش العربي المتحرق للقتال

وكانت الجهة الرابعة ، جهة الشمال ، هي الجهة الوحيدة المفتوحة للبزنطيين • وحتى هذه الجهة لم تكن تستعمل لحركاتهم وتموينهم الا جزئيا ، لأن خطوط مواصلاتهم الرئيسية كانت تمر فوق جسر الرقاد باتجاه طبريا ، فمحاذاة الساحل ومن ثم الى بعلبك وحمص • والمعتقد انهم كانوا يعتبرون منطقة دمشق وضواحيها غير مأمونة بالنسبة اليهم، وان تموينهم كان يأتي عن طريق البحر ومرافيء الساحل ، عند صيدا وبيروت •

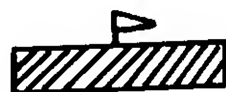
وهكذا كان الموقف البيزنطي ، فى اليرموك ، من الضعف والغرابة ، بحيث انه لو امتنع عليهم استعمال الجسر القائم فوق وادي الرقاد ، لصاروا من جراء ذلك شبه معزولين ومطوقين من جميع الجهات ، ولاستحال عليهم أن يغادروا معسكرهم بيسر وسهولة متى أرادوا ، وأن يتلقوا فيه التموين والامداد بالدرجة الكافية • وهذا ما يرجح انه قد وقع بالفعل يوم المعركة الحاسمة فى اليرموك •

وليس من المستبعد أن يكون العرب قد استطاعوا التسلل ، أفرادا

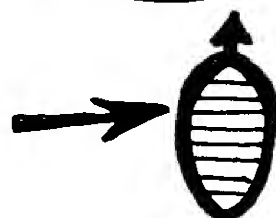


الشكل رقم (١٩)

المخطط المفترض لمعركة اليرموك الكبرى

 الجيش البيزنطي متمركزا فى معسكره المحصن

 مناورة التسرب والالتفاف العربية

 الارتال العربية المهاجمة

= الجسر الذي أغلقه العرب على وادي الرقاد

وجماعات صغيرة ، عن يسار المعسكر البيزنطي وميمنته ، ليبلغوا بذلك مؤخرات البيزنطيين ، ويضعوا أيديهم على الجسر المنصوب على وادي الرقاد ، قاطعين هكذا طريق الانسحاب على خصمهم ، ومانعين عنه ورود الامداد والتموين • أما سبل المواصلات الأخرى ، وخاصة تلك المؤدية الى دمشق،فمن المحتمل أن تكون قد قطعت من قبل العرب كذلك، هذا بالاضافة الى أن البيزنطيين كانوا لا يطمئنون الى دمشق وضواحيها، كما أسلفنا ، ولم يستعملوا طرق هذه المنطقة لحركة قوافلهم عام ٦٣٦م •

كانت فكرة المناورة العربية بسيطة • وقد بنيت على أساس النوايا التالية :

- القيام بالهجوم ، بقصد حسم الموقف ، فى سترالعاصفة وتغطيتها ،
- استباق ساعة الصفر ، بحركات تسرب وتسلل على جوانب المعسكر البيزنطي ومؤخراته ، لغرض قطع مواصلات العدو، واغلاق طرق التراجع فى وجهه ،
- بدء الهجوم فى الساعة التي تكون فيها العاصفة على أشدها والاستمرار عليه حتى النصر التام •

جميع المؤرخين العرب ، الذين كتبوا عن معركة اليرموك ، أو الذين أتوا على ذكرها ولو عرضا ، مجمعون على القول بهلاك أعداد كبيرة من جنود العدو فى واغوصة اليرموك ووادي الرقاد • ومثل هذه الرواية ، ان صحت ، تحمل على الظن بأن البيزنطيين كانوا وقت الهجوم العربي فى شبه شلل تام ، كذلك النوع من الشلل الذي يصيب كل قوم يتعرضون فى العراء ، الى مواجهة عاصفة رملية عاتية •

وجميع المؤرخين متفقون ، أيضا ، على القول بانه لم يبق من البيزنطيين حي بعد انتهاء المعركة ، وان قتلاهم كانت لا تعد ولا تحصى • وهو قول يؤيد النظرية باحتمال اشراك العرب للطبيعة معهم فى قتالهم للعدو ذلك اليوم • ومن الأرجح ان معظم القتلى كانوا من الأرمن والأناضوليين • أما بخصوص الغساسنة ، فليس من المستبعد أن يكونوا قد انسحبوا من المعسكر عند بدء الهجوم العربي ، مستفيدين من العاصفة لتغطية انسحابهم ، ومتحركين شمالا وشرقا الى حيث

معارفهم وأصدقائهم من القبائل الرحل المنتشرة فى تلك الأصقاع ·
ولم يكن من صالح هؤلاء الغساسنة أن يعلنوا فيما بعد عن هروبهم ، ولا عن انهم كانوا يحاربون ضد النظام الجديد الذي أعقب هزيمة الروم البيزنطيين ورحيلهم نهائيا عن البلاد السورية ·

والخلاصة ان هزيمة البيزنطيين ، فى اليرموك ، كانت نتيجة طبيعية للعوامل التالية :

- سوء القيادة ،
- ضعف المعنويات
- تعدد الأجناس ،
- قابلية المعسكر البيزنطي للعزل بسهولة ،
- العاصفة الرملية المفترضة (١) ·

ولقد كانت المناورة العربية بسيطة ومألوفة · فهي لم تخرج عما رأيناه من العرب فى اشتباكاتهم السابقة مع الفرس والرومان البيزنطيين ، من حيث استنادهم دوما بظهورهم الى الصحراء ، ومن حيث قيامهم بالغارات الخاطفة المتكررة على نقاط الخصم الحساسة ، لغرض المضايقة والازعاج ، وقطع الطرق والاستيلاء على قوافل التموين · والنقطة البارزة فى واقعة اليرموك ، هي ما أظهره العرب من براعة فى استغلال عوارض الأرض وأحداث الطبيعة الطارئة لصالحهم · وانه لخسارة للعلم والفن والتاريخ ، ان المؤرخين الأقدمين لم يكتبوا عن هذه المعركة الخالدة غير التافه الفارغ من الكلام ، ولم يضعوا عنها سوى الكتب المحشوة بما قال وقيل ، وذلك بعد مرور أكثر من مئة عام على وقوع المعركة ·

وان القول بنظرية العاصفة الرملية ، لقول مقبول ومعقول جدا ، ولا يخفف من قيمة القيادة العربية أو يحط منها · ومما يقوي هذه النظرية ، ويحمل على الاعتقاد باحتمال صحتها ، ما وقع لأحد الجيوش العثمانية فى الحرب العالمية الأولى ، بعد ثلاثة عشر قرنا من معركة اليرموك ، وفى ظروف وأحوال زمنية ومكانية مشابهة لتلك التي أحاطت بتلك المعركة ·

---

(١) فرضية منطقية مقبولة ، وستظل كذلك الى ان يقوم دليل على بطلانها

ففي (٩) تشرين ثـــاني عام ١٩١٧م ، وكـــان القتال مستعرا ، فى فلسطين ، بين الجيش العثماني الثامن ، المتراجع نحو الشمال ، وبين القوات البريطانية المتقدمة على أعقاب العثمانيين ، على جبهة تمتد من الساحل حتى التينـــة وعسقـــلان ، فى ذلك اليوم هبت فوق المنطقة عاصفة رملية شديدة ، آتية من ناحية النبي يونس ، أي مـــن الاتجـــاه الذي كان مواجهـــا لجنود الجيش العثماني الثـــامن · وقد أفقدت تلك العاصفة الطارئة الجيش العثماني توازنه ، وضعضعت ضبطه ونظامه، وأعمت أنظاره وبصائره ، ولم يشعر أفراده الا والعدو بينهم يفتك بهم فتكا ذريعا ، وينزل بهم خسائر جسيمة ، مما اضطر معه الجيش الثامن الى التقهقر فى الفوضى والاضطراب ، والبريطانيون يطـــاردونه عـــلى الأعقاب · وقد جـــاءت هذه المعلومات فى الصفحـــة (١٠٤) ، من كتاب « كيف دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى » ، تأليف احمد رؤوف بك ، وتعريب فؤاد ميداني ·

٧ ـ المناورة على المؤخرات

تهدف المناورة على المؤخرات ، الى وضع الخصم بين نارين ، نـــار تواجهه ، ونار تهدد مؤخرته وقياداته وخطوط مواصلاتـــه وتموينه ، بحيث ينتهي أمره امـــا الى التطويق والتدمير فيمـــا اذا ظـــل جامدا فى أرضه ، أو يضطر الى التقهقر والانسحاب لتفادي هذا المصير ، متراجعا بكل سرعة قبل أن تغلق أبواب الحرية فى طريقه ·

الأمثلة على هذه المناورة كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال،نزول الحلفاء الانكلوسكسونيين على شواطىء أفريقيا الشمالية ، فى مراكش والجزائر ، بتاريخ (٨) تشرين ثاني عام ١٩٤٢م ، وذلك ابان الحرب العالمية الثانية · وقد عرفت هذه المناورة بالاسم الرمزي « الشعلة » ·

غرض المناورة : ـ

وضعت خطة الشعلة ، لغرض تحقيق الأهداف التالية :

ـ طرد جيوش المحور من أفريقيا ، وبالتالي تطهير البحر الأبيض المتوسط من قواعد الألمان والطليان،البرية والبحرية والجويـــة ، الموجودة عـــلى شواطىء هذا الـــبحر الأسيويـــة والأفريقية ··

ـ تحويل أفريقيا الشمالية الى ركيزة حليفة ، وقاعدة ينطلق الحلفاء منها الى غزو أوروبا الجنوبية والشرقية ،

ـ تعميد القوات الأمريكية بالنار ،

ـ السيطرة على القوات الافرنسية المرابطة فى أفريقيا ، واستخدامها بالتالي لصالح الحلفاء ٠

مراحل المناورة : ـ

بنيت المناورة وأعدت بقصد التطبيق على مرحلتين :

ـ مرحلة الانزال فى مراكش والجزائر ،

ـ ومرحلة استثمار هذا الانزال ، وهي مرحلة مقسومة بدورها الى قسمين :

ـ قسم يخصص لاحتلال الجزائر ومراكش ،

ـ وقسم يتفرغ الى مهاجمة قوات المحور فى ليبيا ومصر ٠

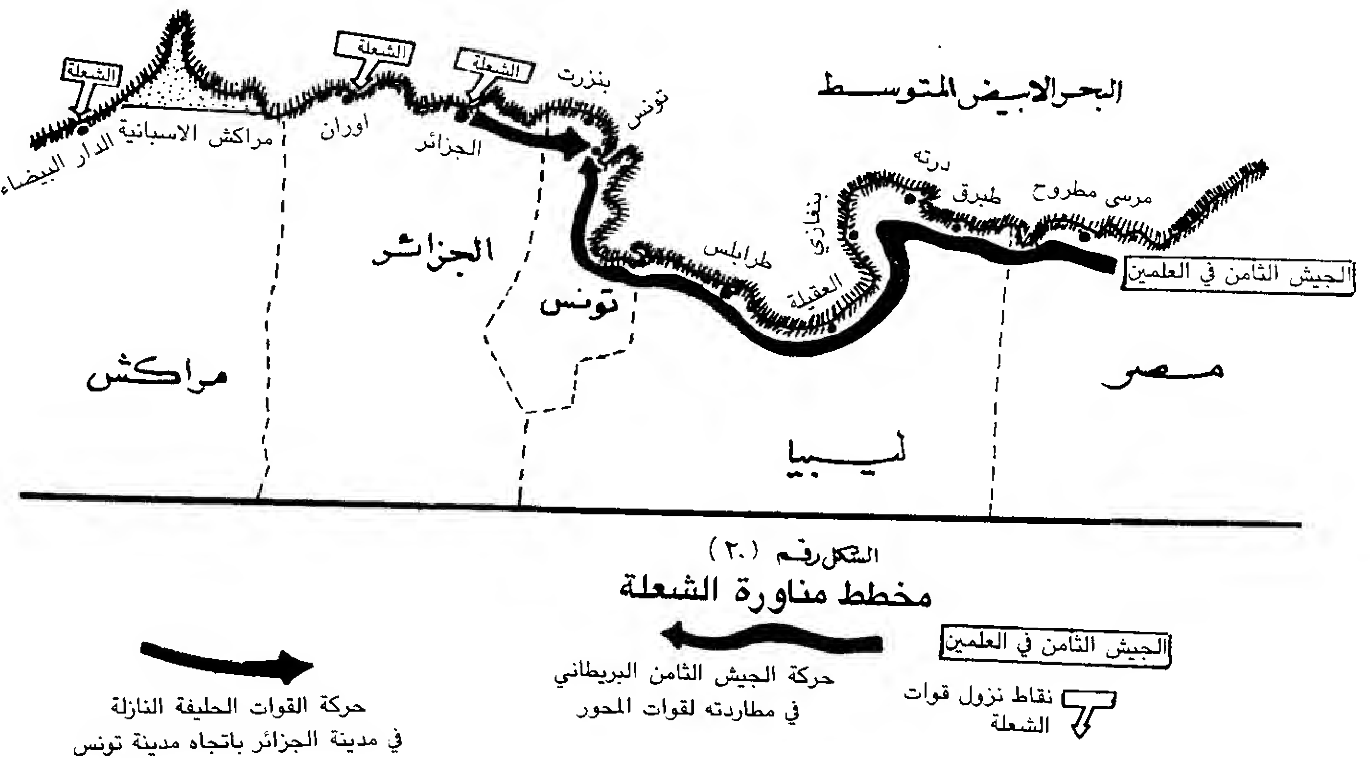
التنفيذ : ـ

بدأت قوات الحلفاء بالنزول على الشواطىء الأفريقية فى صباح يوم (٨) تشرين ثاني عام ١٩٤٢م٠ومع ان بعض الضباط الفرنسيين، فى الجزائر ، كانوا على علم بالعملية ، لكنهم لم يبلغوا بساعة الصفر الا قبيل موعد الانزال بقليل ٠

قاوم الفرنسيون بعض الشيء فى بادىء الأمر ، الا ان هذه المقاومة لم تدم سوى خمسة أيام ، من (٨) الى (١٢) تشرين ثاني عام ١٩٤٢ ٠ هذا فيما يتعلق بمراكش والجزائر٠أما فى تونس ، فقد كان الحال على عكس ذلك تماما ٠ فقد سارع الألمان الى احتلال هذه البلاد بطريق الجو ، حامين بذلك مؤخرة قوات المحور العاملة فى مصر وليبيا ، التي كانت وقتئذ مشتبكة فى معركة طاحنة مع القوات البريطانية ، فى العلمين ، منذ (٣) تشرين ثاني المذكور ، والتي سارعت الى التقهقر والانسحاب فور علمها بنبأ الانزال الحليف المتقدم الذكر ٠ أخذت هذه القوات تتراجع من العلمين تحت ضغط القوات البريطانية من جهة ، ومن ثم لاكتساب الوقت ، واعادة التنظيم والتجهيز ، وتأمين الاستطاعة على مواجهة الخصم على جبهتين متقابلتين ، بعد أن كانت تقاتل على

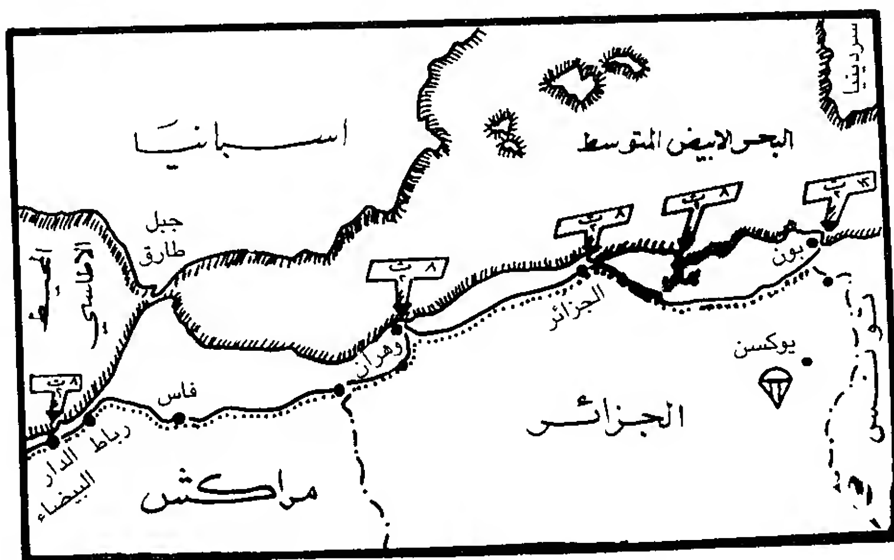
جبهة واحدة هي الجبهة المصرية ·

ولقد حققت الشعلة فى النهاية جميع الأغراض المنشودة منها ، وتم بواسطتها طرد قوات المحور من أفريقيا ، وانقاذ مصر والمشرق العربي من احتلال النازية والفاشستية · كما ارتاح بال الحلفاء من أفريقيا ، وانصرفوا بعدئذ بمعظم جهودهم الى ساحات القتال فى أوروبا والشرق الأقصى ·

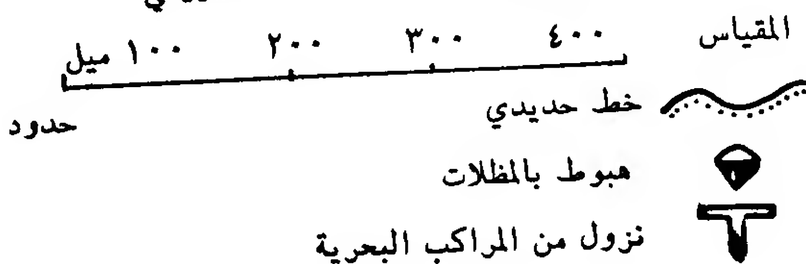


الشكل رقم (٣٠)

مخطط مناورة الشعلة



الشكل رقم (٢١)
مخطط النزول في الشمال الأفريقي



الباب الخامس

مبادىء الحرب ـ جريان المحاربة ـ المناورة الحربية

الفصل السادس عشر

مبادىء الحرب

١ ـ عموميات

ورد فى فصل سابق تعداد لمبادىء الحرب ، كما ترد فى المذهبيات العسكرية لدى أرقى الأمم • ورغم وجود تشابه كبير بين هذه المبادىء عند الجميع ، فانه لا يوجد اجماع على عدد معين واحد لهذه المبادىء ، ولا على ترتيب محدد يدل على درجة كل مبدأ من حيث الأهمية والأسبقية •

مبادىء الحرب ، بصورة أولية عامة ، هي مبادىء استراتيجية • ولكنها تعتبر أيضا مبادىء تكتيكية ، أو تكتيكية استراتيجية ، وذلك عندما يجري تطبيقها فى حقل التكتيك ، على اعتبار التكتيك جزءا من الاستراتيجية يقتصر على ميدان المعركة ومستوى الفرقة المقاتلة •

لقد جمع القائد الاميركي ، فورست ، معظم مبادىء الحرب فى جملة واحدة ، وذلك عندما قال « انني أكون الاول دائما ، مع القوات الاقوى » • فقد احتوت هذه الجملة البسيطة المختصرة ، على مبادىء الحرب الست التالية :

ـ المفاجأة ،
ـ الحركية ،
ـ وحدة التصرف ،

ـ التعرض ،
ـ التحشد ،
ـ والاقتصاد فى القوى ٠

وهذه المبادىء ذاتها ، وردت منذ حوالي خمسة وعشرين قرنا فى كتاب « الحرب » للمؤلف الفيلسوف الصيني « سان تزو » (١) ، وفى المؤلفات المعاصرة لـ « جوميني » (٢) ، و « كلاوزويتز » (٣) ، « وليدل هارت » (٤) ، و « فوللر » (٥) ، و « كودريان » (٦) ٠ وهي واردة كذلك فى الأنظمة والنشرات العسكرية الرسمية ، فى فرنسا ، وبريطانيا ، وأمريكا ، والاتحاد السوفياتي ٠

واعتمادا على المصادر العسكرية الرسمية وغير الرسمية ، لدى الدول العسكرية الراقية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية ، فباستطاعتنا أن نضع بالمبادىء الحربية لائحة عامة تتألف من قسمين :

أ ـ قسم التأسيس ،
ب ـ وقسم الاستغلال ٠

يتألف القسم الأول ، من المبادىء التأسيسية التالية :

١ ـ تنظيم الجيش ،
٢ ـ الادارة فى الجيش ،
٣ ـ عدد الجيش وحالته ، أو الكم والكيفية ،
٤ ـ المعنوية ،
٥ ـ استقرار المؤخرات ٠

ويتألف القسم الثاني ، من مبادىء الاستغلال ، أو التطبيق التالية :

١ ـ العمل الموحد ،
٢ ـ حشد القوى ،
٣ ـ الاقتصاد فى القوى ،
٤ ـ التعرض ،
٥ ـ الحركية ،

---

(١) San TZU (٢) Henri Jomini (٣) Clausewitz (٤) Liddle Hurt
(٥) J.F.C. Fuller (٦) Quderian

٦ ــ المفاجأة ،
٧ ــ الحيطة ،
٨ ــ البساطة ٠

٢ ــ تنظيم الجيش

يتألف الجيش ، عادة ، من تشكيلات مقاتلة متعددة الأنواع ، متميزة الشخصية ، لكل نوع منها وسائط واستطاعات تعين طبيعة عمله وحدوده ، وتحصره فى نطاق خاص به ، فلا يستطيع أن يتعدى هذا النطاق ، ولا أن يقوم بنجاح بالعمل المعين لنوع آخر ٠ والنوع هو الصنف ، أو السلاح ٠

والنصر فى المعارك يكون بالعمل المشترك ، وبالجهود المجتمعة لجميع الصنوف ٠ هذا يعني ، بتعبير آخر ، انه لا يوجد سلاح قادر لوحده على الربح فى القتال ، فى كل حالة يتعادل فيها الطرفان المتخاصمان بالقدرة الصناعية ، وبالاستطاعة العلمية والتكنولوجية ٠ والعمل المشترك ، عمل الفريق المؤلف من جميع الأسلحة والمصالح ، هو القاعدة للمحاربة ، وهو الشرط الأساسي للنجاح ٠

والاختصاص ، فى كل صنف أو مصلحة ، ينتج عن الخصائص الذاتية ، التي تكوّن شخصية الصنف ، وتحدد استطاعته وأبعاده ٠ وعمل القيادة العليا ، هو ادارة وتنسيق عمل جميع الصنوف والمصالح ، واستغلال طاقاتها جميعا فى السعي لبلوغ الهدف المنشود ٠

ومن واجب القيادات العليا ، السياسية والعسكرية ، العمل المستمر والسهر الدائب على تجهيز القوات المسلحة بأحدث الأسلحة والتجهيزات وأحسنها ، وعلى تتبع التطورات المتواصلة التي تحدث فى هذا المجال ٠ والقاعدة التي تتبع كأساس فى تجهيز الجيش ، تنتج عن طبيعة الأهداف القومية التي تعمل السياسة على تحقيقها ، وعن نوع وقدرات الأطراف التي يحتمل أن تقف فى وجه تحقيق هذه الأهداف ٠

ورغم التطور العظيم الذي طرأ على بقية الصنوف ، تظل المشاة نواة رئيسية لكل تجمع بقصد القتال ، أو عنصرا من عناصر أساسية أربعة ، فى حين تتكون العناصر الأساسية الثلاثة الأخرى من الطيران التكتيكي ، والمدفعية ، والمدرعات ٠ والتنظيم للعمل المشترك لمجموع

الجيش ، وفى كل تجمع وكل تشكيلة كبيرة (فيلق وما فوق) ، يجري من قبل القائد ومعاونيه ، الذين أخصهم رئيس أركانه ، وضابط العمليات ، وقادة الدبابات والطيران والمدفعية • فهؤلاء الضباط جميعا يشتركون فى وضع مخطط عام ، يكون الأساس والمرجع للخطط الاستراتيجية والعملياتية (التعبوية) والتكتيكية ، لجميع التشكيلات التي يتألف منها الجيش • وفى هذا المخطط ، يكون القسم المخصص للخطط التعبوية والتكتيكية بسيطا غير معقد •

ولقد ثبت بالتجربة ، ان العمليات الميدانية والتكتيك هما اللذان يحددان المجال لمدى استطاعة الصنوف فى حقل الاستراتيجية ، وذلك على أساس الاستعمال المشترك لجميع الصنوف (١)،وعلى أساس الخصائص الذاتية فى كل صنف • ولا يتعارض هذا القول مع آراء فوللر وليدل هارت وكودريان ، التي تعطي المقام الأول والأميز للدبابات بسبب سرعتها واستطاعتها على تحقيق المفاجأة • كما وان هذه الآراء القيمة لا تنفي وجوب اشتراك الدبابات فى العمل المشترك مع الصنوف المسلحة الأخرى • هذا بعكس الحال مع آراء « دوهه » ، و « ميتشل » و « سيفرسكي » (٢) ، التي تبني كل شيء على الطيران ، الاستراتيجي منه بوجه خاص ، والتي أثبتت تجارب الحرب العالمية الثانية ان فيها كثيرا من المغالاة ، وان مصائر الحروب لا تتوقف على الطيران ، اللهم الا اذا كان هنالك تفاوت كلي بين الخصمين ، فى الاستطاعة الصناعية ، وفى القدرة على التسلح والتجهيز •

لقد جعل « دوهه » و « ميتشل » و « سيفرسكي » من الطيران سلاحا كاملا • وقد أثبتت الحرب الكونية الأخيرة بطلان ذلك كما قدمنا • لكن اذا قلنا بفساد نظرية الصنف الكامل ، فيجب أن لا نقع فى خطأ الاهمال لأي صنف • فكل الصنوف يجب أن تستعمل حتى أقصى مداها وغاية استطاعاتها • وما يقال أيضا عن الطيران ، يقال أيضا عن السلاح النووي • فهذا السلاح الرهيب ، وان كان بحق سلاحا كاملا ، الا انه فى الواقع ليس كذلك • هذا لأنه لن يستعمل لأغراض حربية ، نظرا

---

(١) وبالتالي مدى قدرة الاستراتيجية على الاستفادة من كل صنف

(٢) Douhet - Michell - Seversky

لعواقبه الوخيمة على جميع الأطراف المتحاربة على السواء ، ولأنه لم يعد من الممكن حصر صنعه وملكيته بالدول الصناعية الغنية فحسب • وهكذا فقد أوجد الخوف المتبادل ذلك المانع ، أو بالأحرى الرادع اللازم الذي يحول دون اللجوء الى الأسلحة الذرية للأغراض الحربية ، والذي يجعل من هذه الأسلحة ، فى الظروف الحاضرة على الأقل ، غير ذات موضوع فى مجال الاستعمال ، باستثناء الأسلحة الذرية الصغيرة ، التي يقتصر مفعولها وضررها على ميدان المعركة ، والتي لذلك لا تعتبر سلاحا كاملا •

٣ ـ الادارة فى الجيش

لتحقيق القيادة الناجحة فى مختلف الصنوف ، يقتضي أن يتأمن للضباط تنشئة عامة ممتازة ، ومعرفة متينة متمكنة بصنوف المدفعية ، والطيران ، والدبابات ، والهندسة • هذه المعرفة ، هي وحدها التي تعد القائد لكي يكون قادرا على تنسيق العمل بين الصنوف المختلفة ، فى الحركة وأثناء القتال •

يكوّن التحضير للقيادات من عمل هيئة الأركان وواجبها فى كل صنف • هذه الهيئة تمسك بأيديها جميع خيوط القيادة ، سواء فيما يتعلق بادارة القتال ، أو فيما يتعلق بالاعداد التكتيكي • وهي تحدد الأهداف والوسائط الأساسية لكل قيادة تبعا للواجبات الملقاة على عاتق هذه القيادة ، وتدير نشاطات الأركانات التابعة ، وتنظمها بالتوافق مع الهدف العام •

تعبير الادارة يغطي ، فى شموله ، مفهومين واضحين :

ـ الأول : وهو الايحاء ، واتخاذ المبادرات ، والتشغيل ، والحسبان ، والتسيير والتخطيط ،

ـ والثاني : يفيد التنفيذ والسير وفقا لخطة مرسومة •

فى التشكيلات الكبيرة ، التشغيل يعني اعمال البديهة، والحسبان ، وأخذ المبادرة ، ووضع الخطط ، والفصل فى الأمور،واتخاذ القرارات• والمراد بالحسبان ، تلك القدرة على الحساب الهادىء الرزين للنسبة فى القوى ، والقدرة على التنبؤ بسير الأحداث • والتسيير يعني التشغيل مضافا اليه القدرة على التنظيم ، وخاصة فى ذاتية القيادة ، والقدرة

على التكيف مع الحالات الطارئة بيسر وسهولة وفاعلية ·

فى المجال العسكري الصرف ، يستعمل اصطلاح القيادة عوضا عن اصطلاح الادارة ، وتكون القيادة ، من حيث التطبيق والمكان ، متسلسلة على ثلاث درجات أو فروع :

- القيادة الاستراتيجية ،
- والقيادة العملياتية أو (الميدانية ، أو التعبوية) ،
- والقيادة التكتيكية ·

القيادة الاستراتيجية ، هي القيادة العليا ، التي تضع الخطط لجميع القوات وتشرف على تنفيذها ، والتي تسمي القيادات التابعة ، وتوزع التشكيلات ، وتحدد المهام والواجبات · والقيادة العملياتية ، أو (الميدانية أو التعبوية) ، (١) ، هي القيادة التي تلي القيادة الاستراتيجية ، والتي تدير القوات فى جيش أو جبهة ، وتكون وسطا ما بين القيادة الاستراتيجية والقيادة التكتيكية ·

تشكل القيادة التكتيكية فرعا من القيادة العملياتية والقيادة الاستراتيجية ، وتخضع لمطالب هاتين القيادتين · من واجب القيادة التكتيكية أن تعرف جميع أشكال المعركة بصورة عميقة جيدة ، وأن تكون لها القدرة على تطبيق هذه الأشكال تطبيقا صحيحا ، وأن تحصل عند التطبيق على أحسن النتائج بالوسائط النسبية المتوفرة · والمراد بتعبير « أحسن النتائج » ، تلك النتائج اللازمة التي تمهد السبل وتعدها للنصر الاستراتيجي ·

تتلخص كل قيادة وتتميز بشيئين :

أ التعبير عن النوايا ، ونوعية هذا التعبير ،

ب ـ هيئة الأركان ·

أ ـ التعبير عن النوايا

يعبر القائد عن أفكاره ونواياه وقراراته ، **بواسطة الأوامر** والتعليمات والأنظمة · والمطلوب لوسائط التعبير هذه أن تكون :

- واضحة غاية الوضوح ،
- دقيقة ،

---

(١) Operational

ـ مفصلة دون تكرار وتطويل ،
ـ ممكنة ،
ـ سريعة التنفيذ ·

وعلى القائد أن يبين ويحدد الواجب العام المعطى لقيادته (أي للتشكيلات الموضوعة تحت تصرفه وامرته) بصورة واضحة دقيقة ، وأن يبرز الفكرة الرئيسية من القرار المتخذ بجلاء ، ونعني بذلك اتجاه الجهد الرئيسي الهادف الى تحقيق الغرض النهائي من المعركة · أما البلاغة والفن فى صياغة الأمر ، فيكون ذلك فى حسن التعبير عن الفكرة الرحوية الأساسية من العملية ، بوضوح وببضع كلمات ·

وأن يكون الواجب واضحا ، يعني تحليل :

ـ طبيعة الوضعية العامة ، (أو الموقف العام) ، لغرض ايضاح الفكرة التكتيكية أو الاستراتيجية ،
ـ خطة العمل للقيادة العليا ،
ـ الواجب الخاص ، كجزء من الخطة العامة ،
ـ مهمات التشكيلات المجاورة ·

ويُعطى الواجب الخاص موضحا بطريقة بسيطة نافذة وذلك على النحو التالي :

ـ شرح وتفهيم واجب القتال المعطى للتشكيلة العليا ،
ـ تحديد المكان ، وتفهيم الدور المعين للتشكيلة الخاصة ، وذلك فى نطاق خطة التشكيلة العليا التي ترتبط بها (التشكيلة الأم) ،
ـ توضيح وتفهيم واجبات التشكيلات المجاورة ، ونوع النشاط المشترك معها ، ودرجة الأسبقية لهذا النشاط ،
ـ تفهيم الواجبات المعطاة الى تشكيلات المنزلة الثانية (النسق الثاني) ، وكذلك الى التشكيلات التالية ، ونظام النشاط المشترك معها خلال جريان المعركة ،
ـ تفهيم واجبات الصنوف المختلفة،وشروط النشاط المشترك معها ،
ـ توزيع الواجب الخاص الى سلسلة من الواجبات ، بترتيب الأسبقية ، واجبات يؤدي تنفيذها الى تحقيق الواجب الكلي

المحدد من قبل السلطة العليا ، والى بلوغ الهدف الرئيسي للمعركة (أو للعملية) ·

كل قرار يتخذه القائد ، يكون مبنيا على العوامل التالية :

- تقدير قوى العدو ،
- تقدير القوى الخاصة ،
- تقييم الأرض ،
- تقييم الوقت وحالة الطقس ·

كل قرار أو أمر يصدر عن القائد ، يجب أن لا يكون فيه مساس أو تدخل فى صلاحيات الآمر المرؤوس · ويجب أن يحتوي الأمر على كل ما يقتضي على المرؤوس أن يعرفه ، وذلك حتى يستطيع القيام بواجبه ، والمساهمة فى انجاز مهمة التشكيلة التي تأتي فوقه مباشرة · يعين الأمر المعطى نوع العمل المطلوب ، دون أن يتطرق الى كيفية جريان العمل ، ولا الى كيف يجب أن يكون نوعه · الأساس ، بالنسبة الى القائد ، هو الوصول الى تحقيق النتيجة المطلوبة باحدى الوسائط الممكنة ·

فى نطاق الكتائب وما دون ، تعطى أوامر العمليات موجزة ، وشفهية كلما أمكن ذلك وكان لا مجال الى حدوث اهمال أو مغالطة · وتنفذ الأوامر بتمامها ، بكل حرص ودقة ، وبلا أدنى مناقشة · فى الأحوال الطارئة ، وفى حال عدم الاستطاعة على تنفيذ الأوامر المتلقاة بفعل الطوارىء ، يحق للآمر أن يتصرف حسب اجتهاده وبديهيته · والنقص فى وضوح الأوامر الصادرة ، أو فى شمولها ، لا يكون أبدا سببا مقبولا لتبرير سلبية المرؤوس وانعدام نشاطه ·

ب ـ هيئة الأركان

تتألف هيئة الأركان ، فى كل تشكيلة كبيرة ، من رئيس لهذه الهيئة، ومن عدد من المعاونين أهمهم ضابط العمليات ، والمفوض المكلف بالمعنويات · فى حال غياب قائد التشكيلة ، يقوم رئيس هيئة الأركان بالنيابة عنه مدة غيابه ، ويكون المسؤول الوحيد المخول باصدار الأوامر باسم رئيسه ·

وتتكون هيئة الأركان الميدانية من عدة شعب أهمها :

شعبة العمليات (أو الحركات) · والجزء الحيوي فى هذه الشعبة ، هو المديرية · فمديرية العمليات ، فى كل تشكيلة محاربة ، هي حجر

الرحى فى كل أمر له علاقة بالتحركات والمقاتلة ، وتكون مباشرة تحت امرة قائد التشكيلة نفسه • وهي تتألف من نخبة من خيرة الضباط كفاءة وجرأة واخلاصا • ويكون بعض هؤلاء الضباط على ارتباط قوي وتعاون وثيق مع شعبة الاستعلامات •

الواجبات الرئيسية الأولى لرئيس وهيئة الأركان ، هي التصميم والتخطيط والتحضير للعمليات المتنوعة • أما بقية الواجبات ، التي تعتبر روتينية وعامة شاملة ، فهي جمع المعلومات ، واعداد الخطط والمشاريع ، ووضع المخططات • ولكي تكون الأركان منتجة وذات فعالية ، يجب أن تتسلح بالمرونة والحركية ، وبالقدرة على تأمين استمرار سيطرتها على جميع التشكيلات المقاتلة • وكلما تعاظمت حركية الجيوش وسرعتها ، كلما كانت الحاجة ماسة الى المرونة فى الادارة والمخابرة •

ومن واجب هيئة الأركان ، فى التشكيلات الكبيرة ، تحويل خطة الحرب العامة الى خطط فرعية ، والى أوامر تعبوية وتكتيكية واقعية (١) • وقد أثبتت المعارك ونتائج الحروب ، فى كل العصور ،أن حسابات القيادة ونواياها تكون أكثر سهولة وقابلية للتحويل الى مقررات مؤثرة فعالة ، عندما تقوم هيئة الأركان بالتحضير والاعداد اللازمين لذلك ، بحكمة وروية واتقان • كما وان قيمة التشكيلة المحاربة بوجه عام ، وقيم القطعات الداخلة فى تأليف التشكيلة ، وقدرتها على تنفيذ الاوامر وتلبية ما يطلب منها ، كل هذا يكون نتاجا للطاقة التنظيمية والقدرة التوجيهية لدى هذه الهيئة •

ان هيئة الأركان ، فى دورها كمنظم وموجه ومدير ومراقب ، تسيطر على كل حلقة من حلقات السلسلة المكونة من التشكيلات المتتابعة ، وتشرف ، بيقظة واصرار واستمرارية ، على كيفية تطبيق التفاصيل•

٣ ـ الكم والكيفية

عدد الجيش ، أي الكم ، يتحدد تبعا لامكانات الشعب والدولة ، وبمقتضى الأهداف القومية والنوايا العدوانية للخصوم القائمين

---

(١) نكرر ، للتنكير ، بأن حقل التعبئة ياتي ما بين الاستراتيجية والتكتيك •• انه المرحلة الانتقالية من مجال الاستراتيجية الى ميدان التكتيك ، ويتطابق مع ساحة العمليات الميدانية لفيلق وجيش •

والمحتملين · أما حالة الجيش ، أي الكيفية والنوعية ، فهي حصيلة كل متكامل ، مؤلف من النظام ، والانضباط ، والمعنويات،ومقدرة الضباط ولياقتهم ، واخلاصهم للعسكرية وتفانيهم فى سبيلها ·

ومن المعلوم ان الانفاق على الدفاع الوطني ، هو استهلاك لقسم كبير من الدخل القومي وطاقات الأمة ، دون تعويض ، استهلاك يتعاظم مع الأيام تصاعديا بصورة مستمرة متواصلة · ولهذا كان هنالك مبدآن يجب التقيد بهما فى الدفاع الوطني ، وذلك حتى يظل عبء العسكرية محتملا ، فلا يؤدي بالأمة والدولة الى الفقر والافلاس · هذان المدآن هما :

أ ــ تقصد الاكتفاء الذاتي فى كل ما يتعلق بالتسلح والتجهيز،

ب ــ الاقتصار فى اقامة العسكرية على بناء يكون ويظل فى حدود الاستطاعة القومية ·

ان العمل بمبدأ الاكتفاء الذاتي ، فى أمور الدفاع الوطني ، يعيد الى الدخل القومي قسما كبيرا مما ينفق على الجيش سنويا ، ويحول دون تسرب الأموال الى الخارج · وهو يمكن من توفير فرص العمل الكريم الى العديد من المواطنين · كما وان هذا الاكتفاء الذاتي ، يجعل من الأمة سيدة نفسها فى أمور دفاعها ، ويحفظ عزتها وكرامتها ، فلا تكون تحت رحمة الغير ، كل مرة تحتاج فيها الى شراء حاجاتها من الأسلحة والمعدات ·

وبناء العسكرية الوطنية على قدر الاستطاعة ، يعني اقتصار هذا البناء فى حدود الممكن تحقيقه ، دون ارهاق للأمة ، ودون تعريض البلاد الى خطر العجز والاملاق سعيا وراء الخيال والأحلام · ومن أولى شروط العمل بهذا المبدأ ، التأني والتعقل وعدم استعجال الأمور والنتائج · ولا شيء مثل العسكرية كعمل يحتاج الى صبر ووقت وطول بال · وكل فريق لا يبني عسكريته على هذه الأسس ، مكتوب عليه الغلبة والهزيمة فى كل حرب يخوضها ، وذلك بالرغم عن كل ما قد يتوصل الى جمعه وتكديسه من معدات وتجهيزات ·

٤ ــ المعنوية

للمعنوية ، وللرأي العام الناتج عنها ، أهمية بالغة مؤثرة فى سلوك

الجيش وتصرفه بوجه عام ، وفى استعداده للنظام والانضباط والمحاربة عن طيبة خاطر • وتقوم المعنوية على الدعائم الرئيسية التالية :

أ ـ التوجيه العقائدي الصحيح ،

ب ـ الرعاية الصحية ،

ج ـ المراقبة ،

د ـ النظام والانضباط •

ولتعريف المعنوية العسكرية تعريفا واضحا دقيقا ، نقول انها الموقف النفسي والفكري ، للجندي ومجموع الجنود ، حيال الحياة العسكرية وكل ما يتعلق بها وينتج عنها • المعنوية الجيدة ، تعبر عن نفسها بالتجاوب الايجابي من قبل الجنود لكل ما يطلب منهم ، وباندفاع فى سبيل الواجب يفوق الحد المتوقع بلوغه،وبالسرعة العفوية والحماس التلقائي القلبي فى تلبية رغبات الرؤساء وتنفيذ الواجبات • وقد دلت التجارب الطويلة ، والدراسات النفسية الدقيقة الصحيحة ، على أن الجندي مطيع لرؤسائه بصورة أفضل ، اذا استعان هؤلاء عليه بمشاعر الفخر والتقدير والاعتزاز ، التي يتحسس بها الجندي نحو نفسه ووحدته •

جميع القادة والاستراتيجيين ، عبر التاريخ ، أقروا بما للمعنوية من قيمة ، وأحلوها من تفكيرهم مكانا عظيما ، واعتبروها عنصرا حاسما من عناصر النصر • وقد أجمعوا على القول بأن المعنوية مرتبطة، بالدرجة الأولى وقبل كل شيء ، بالأهداف السياسية للحرب ، أي بالقيم التي يجري القتال من أجلها، وبدرجة نضج الجنود والضباط وتحررهم، ومقدار تحسسهم بعدالة الحرب التي يخوضون غمارها ، وعمق العواطف التي يكنونها للوطن ، ونسبة ثقتهم بالرؤساء الذين هم على رأس البلاد والجيوش المحاربة •

أ ـ التوجيه العقائدي الصحيح

الجندي فى الجيش ، هو المادة الخام التي تحولت الى آلة محاربة عاقلة بتأثير أجهزة التثقيف والتدريب والسيطرة • ونتاج هذه الأجهزة ،أو الصناعة ، الذي هو الجندي ، يكون من النوع الصالح الممتاز ، وأداة قتال رائعة ، فيما اذا خرج من تحت يد الصانع والمهندس متمتعا بالخصائص التالية :

ـ الشجاعة ،
ـ الانضباط الكامل ،
ـ القدرة على تحمل المشاق والحرمان ،
ـ تعلق حقيقي وغير معقد بأرض الوطن ،
ـ الايمان بالعقيدة والتفاني فى سبيلها ٠

ومن الضروري ، للنجاح فى القتال ، أن نجعل من الشجاعة عاملا استراتيجيا أساسيا ، ومبدأ تكتيكيا أوليا ٠ الجندي يعبر عن شجاعته ، بحبه الخالص للنظام ، وبالسهولة التي يعرف بها كيف يجابه ظروف المعركة فى أقسى الشروط ، وأخطر المواقف والأزمات ٠ ومن مظاهر الشجاعة ، أيضا ، الاحتفاظ بهدوء الأعصاب ومتانتها،وسلامة التفكير، وروح البشاشة والمرح ، والأمل الضاحك ، وذلك فى وجه أحلك الأوقات وأعظم الأخطار ٠

والتوجيه يجري ويتحقق بالتثقيف ، والتعويد على النظام ، والاعداد الروحي والمادي للواجب ٠ والغاية من كل ذلك ، هي أولا تحويل المادة البشرية الخام المجندة ، الى أحسن المواد البشرية اللازمة لصنع وتكوين الجيوش المحاربة ٠ وثم هي العيش فى أحضان الطبيعة ، والمهارة فى استخدام الأرض ، والبراعة فى الاختفاء والتضليل ٠ فاذا أضفنا الى ذلك مناعة ضد الأمراض ، وعقيدة متأججة مشتعلة باستمرار فى داخل كل فرد ، وطاقة للصبر على المكاره والحرمان والصمود أمام الأحداث ، ومعرفة وتفوقا فى استعمال السلاح ، وقائدا مهذبا كفؤا كاملا ، اذا أضفنا كل هذا كان لنا من ورائه أفضل الجنود وأحسن التشكيلات العسكرية المقاتلة على الاطلاق ٠ ومن الواجب أن تقوم لدى كل فرد ، بصورة دائمة ، عقيدة الايمان بالقضاء والقدر ، والاعتقاد الراسخ بالمكتوب فى عالم الغيب ٠

ومن الواجب أن لا يرسل المجند الى القتال ، الا بعد أن يصبح بنتيجة التدريب مقاتلامن الدرجة الممتازة التي لا تعلو فوقها درجة ٠ وبعد أن يدخل أتون المعركة ،ويتعمد بالنيران ، ويتذوق طعم القتال باللمس والحس والمعيشة والممارسة والاختبار ، عليه بعدئذ أن يصبح جنديا كاملا متفوقا ٠ والجندي من هذا النوع ، يقاتل بذكاء وبراعة وحيلة وضراوة ، ويتفوق على خصومه أي كانوا بالثبات والصبر والصمود

وقوة الجلد والاحتمال ، كما ويكون باستطاعته أن يستغني بسرعة وسهولة عن كثير من الأشياء التي تعتبر ضرورية لسواه ٠

وهو مطيع للتو واللحظة ، بلا أدنى تذمر أو تردد،وقادر على المسير عشرات الكيلومترات كل ليلة ، وعلى حفر الملاجىء والخنادق والممرات والسراديب الطويلة العديدة ، وعلى الاختفاء فى بطن الأرض بأقصر وقت ، لا يمنعه عن ذلك جوع ولا برد أو تعب ، ولا يتأفف أو يكل من قيامه على المدافعة ، أو على المطاردة ، أياما وليالي عديدة كاملة متواصلة ٠

ومن العوامل المؤثرة فى قيام المعنويات ، والمساعدة على نموها وتقويتها باستمرار ، التظاهرات الرسمية فى المدن والمعسكرات والأرض العراء ، كالاستعراضات ، والمناورات ، ومراسيم الأعياد وتقديم الرايات وتعليق الأوسمة ، وتسليم واستلام القيادات ٠ ومن تلك العوامل ، أيضا ، حياة الرفقة والزمالة التي يعيشها الجنود ، وعصبية الوحدة ، التي هي قوة غير منظورة ، لكن قوة حقيقية فعالة ، تجمع برباطها السحري بين كل جماعة يعيش أفرادها معا ، ويقاتلون معا ، ويشتركون على قدم المساواة فى التعرض الى نفس الأخطار والصعوبات والمشاق ٠ هذه الروابط والأحاسيس المشتركة بين المحاربين فى كل جماعة مقاتلة منظمة ، تصير مع الزمن جزءا أساسيا من قانون شرف يدين به الجميع ويقدسونه ٠ وحياة الخطر والحرمان ، تعلم جيدا كيف يجب أن يكون التقييم والتقدير لقيمة الأخوة العسكرية ، ولزمالة النضال المشترك المجبول بالدماء ٠ يضاف الى كل ما سبق نتاج التثقيف العقائدي والسياسي والاجتماعي والفكري ، الذي يتلقاه المجند طيلة وجوده تحت السلاح ٠

ترتبط المعنوية ارتباطا وثيقا بمفاهيمنا لمعاني المؤخرة وأبعادها ٠ فاصطلاح المؤخرة يعم بشموله كل الأراضي الوطنية ، ويفيد معاني التموين ليس فقط بالأشخاص والطعام والتجهيزات والوسائط التكنيكية والأسلحة ، بل وأيضا بالأفكار والعقيدة والتوجيه والمعنوية٠ ولكي نفهم ونلمس ما للمعنوية المتاثرة بالخلفية الشعبية من تأثير حاسم على سلوك الجيش وتصرفه ، يكفي أن نعود بالذكرى الى جميع

الانتفاضات والثورات والانقلابات الناجحة ، التي لم يكتب لها التوفيق الا بعد أن توصل قادتها الى النيل من معنوية الجيش وتحطيمها ، ومن ثم الى استمالة الجيش الىصفهم واكتسابه لقضيتهم ، أو تحييده وجعله قوة مجمدة لا تخلص لنظام الحكم القائم ، وليست مستعدة للدفاع عن هذا النظام والمخاطرة من أجله ٠

يتبع الضباط والأفراد عموما ، دون استثناء ، دروسا عقائدية منتظمة ، ويحضرون كل ندوة أو محاضرة من هذا النوع ٠ ويقع عبء هذا التثقيف العقائدي الحيوي على عاتق المرشدين ، الذين هم ضباط غير حربيين،والذين يتفرغون لواجبات التثقيف العقائدي والاجتماعي والمعنوي ٠ والمرشد ، علاوة على ما تقدم ، قائد روحي للتشكيلة ، ومسئول عن الترفيه والتسلية ، ومدير للجريدة اليومية أو الاسبوعية العائدة للتشكيلة ، كما وهو المؤرخ الذي يسجل الأحداث والحياة العسكرية يوما بعد يوم ٠

ومن واجبات المرشد ، أيضا ، أن يشرف على سير التعليم السياسي (١) في الدروس والمحاضرات ، وأن يمارس الرقابة على وسائل المتعة والترفيه والتسلية ووسائطها ، أثناء الدوام وخارجه ، وعلى الصحف والمجلات وغيرها من المطبوعات ، وعلى أماكن اللهو كالمسارح ودور السينما وغير ذلك ٠ ان جميع الحالات الدالة على المعنوية السيئة ، وحالات الخروج على الضبط السياسي ، تدخل كلها ضمن صلاحيات المرشدين،وعليهم يقع أمر معالجتها واستأصال جذورها ومحو أسبابها ٠

يقوم المرشد ، اذن ، بدور الدليل الروحي ، الذي يأخذ على عاتقه مهام تهدئة مشاعر التذمر ، ومنع هذه المشاعر عن التعاظم والخروج الى المكشوف والعلنية ٠ والمرشد يرفع ، بصورة منتظمة ، تقارير مكتوبة الى رئاسة التوجيه العقائدي ، حول معنوية التشكيلة المقاتلة أو المصلحة

---

(١) يتوقف التعريف لمفهوم التعليم السياسي ، على مفهوم نظام الحكم القائم لوضع الجيش من حيث الأمور السياسية ٠ فاذا كان النظام القائم يدين بمبدا ان لا سياسة في الجيش ، فالتعليم السياسي في الجيش هو عندئذ يدور حول وجوب الابتعاد عن السياسة ، وحول الحياد التام في المنازعات الداخلية ، ووجوب الانقياد لأوامر الحكومة الشرعية القائمة ايا كان نوعها وشكلها ٠

التي يعمل فيها ، وحول حالة الضباط النفسية والروحية والفكرية • وهذه التقارير بمجموعها تشكل الأساس الذي تعتمد عليه الدولة وقيادة الجيش فى تقييم وتحديد مستوى المعنوية ونوعها لدى القوات المسلحة •

ومن واجب رئاسة التوجيه العقائدي ، أن تعمل على تحقيق هدفين مختلفين :

- التأثير على نفسية كل جندي ، بغية الحصول منه على أعظم مردود وأحسن نتيجة فى النواحي العسكرية ،
- تحويل كل جندي بحيث يصير أساسا للأمن والنظام والشرعية فى الحكم ، ومدافعا متحمسا ضاريا عن سلامة الدولة والوطن والحكومة •

ب ـ الرعاية الصحيحة

الانسان ، هو الأداة الرئيسية للمحاربة • أما بقية الأدوات ، فهي ثانوية ومتغيرة باستمرار ، بينما يظل الانسان عنصرا ثابتا • هذا الانسان ، الذي هو أداة القتال الرئيسية ، لا يكون أداة صالحة الا اذا تأمنت له رعاية صالحة • والرعاية المطلوبة نوعان :

- رعاية مادية ،
- ورعاية نفسية •

فالرعاية المادية ، هي عبارة عن تلبية لحاجات الانسان ، بصفته مخلوقا حيا يأكل ويشرب • وهو فى ذلك لا يختلف عن آلة ميكانيكية لا تشتغل ولا تدوم اذا لم يتوفر لها الوقود والزيت والصيانة ، بصورة مستمرة منتظمة • والانسان ، كما الجيش ، هو قبل كل شيء معدة وآلة ، وهو من ثم عقل وروح وأحاسيس • والرعاية المادية ، هي كل شيء له علاقة بالمعدة والآلة ، أو بالمعدة والجسم ككل ، من طعام ولباس وما يتفرع عنهما ، للفرد المحارب نفسه ، ومن بعد لأفراد عائلته الأقربين • لا يمكن أن نطلب من انسان مجند أن يذهب الى لقاء الموت ومعدته خاوية ، أو عاري الجسم حافي القدمين ، أو فريسة لهم مقيم نظرا لما تتخبط به عائلته من ضنك وضيق • وحياة الجندية أشق حياة وأخطرها ، ولهذا فهي تستدعي تقييما وتقديرا ومعالجة على أساس هذا الواقع •

فيما يتعلق بالرعاية النفسية ، فالوسائط الى ذلك عديدة متنوعة • من هذه الوسائط ، يشكل التثقيف المتعدد الأنواع ، السياسي والروحي والاجتماعي ، بالاشتراك مع رقابة دائبة يقظة وقصاص عادل صارم ، يشكل الواسطة الرئيسية لتنمية المشاعر الوطنية والمعنويات القويـة ، وللحفاظ على سلامة هذه المشاعر واستمرار حيويتهـا • ومن وسائط الرعاية النفسية أيضا ، وأهمها،العدالة فى توزيع الواجبات والمكافئات، وتأمين فرص الترفيـه والتسليـة ووسائطهـا ، وتنظيمها ، واعطاء الاجازات والمأذونيات ، والاستمرار على المساعي بقـصد الوصول الى مستوى الكمـال فى مجـال التكنولوجيات ، هذا المجال الذي من شأنه أن يجنب المحاربين كل تعرض الى الأخطار من جراء الجهل أو التقصير فى هذا المضمار •

'تواجه الانتفاضات والتفاعلات ، التي هي من النوع العاطفي ،بقوة الايحـاء والاقنـــاع لـدى المرشدين المختصيـن فى الأمور السيـاسية والعقائدية • ومن واجب كل رئيس أو مرشد أن يعـلم رجـاله كيف يتغلبون على الخوف ، وكيف يسيطرون عليـه ، لأن الخوف هو العدو الأول للانضباط والمعنوية • والخوف غير المنضبط يسوق سريعـا الى الذعر • وكل تشكيلة عسكرية تسقط فريسة للذعر ، تفقد حالئذ كل صلة بالضبط والنظام،ومن ثم تتحول الى ما يشبه القطيع المرتعب الذي بلا راع • وما من انسـان يـكون سليم العقل صحيح الفكر ، الا وهو عرضة للتأثر بعامل الخوف لأول وهلة •• لكن حاصل الانضباط الجيد ، والمعنوية العالية يمكن من السيطرة على الخوف فور الاحساس بـــه ، وذلك بفعل المشـاعر النبيلـة المكتسبة ، مشـاعر التفـهم للواجب ، والشجاعة ، والولاء ، وأيضا بتأثير أحاسيس الفخر والاعتزاز من قبل كل فرد تجاه وطنه ووحدتـه وشخصـه • ان واجب الضباط ، فى هذا المجال ، هو فى غاية الأهمية والصعوبة • فالضـابط مكلف أن ينجح فى ايجاد تشكيلة مقاتلة تكون على مستوى رفيع من المعرفة والكفـاية ، متمتعة بحيوية وفاعلية من نوع أعلى من المعتاد ، وقادرة على الصمود فى وجه أشد عوامل الذعر والفوضى والتفكك خطرا ، ألا وهو عـامل غريزة البقاء ، وعامل الخوف من الموت •

الخوف شعور انساني يشترك فيـه البشر دون استثناء • انه ملازم

لغريزة حب البقاء • والجندي الممتاز ، فى التشكيلة الممتازة ، ومع الضباط الممتازين ، يستطيع التغلب كل مرة على الخوف من الموت بأيدي العدو ، وذلك بصيرورته أكثر خوفا على نفسه من سوء السمعة والاحتقار ، ومما قد تتعرض له التشكيلة الجماعية بتصرفه من أخطار أو من تجريح وانتقاد •

والخوف عدوى فتاكة • وأكثر ما تؤثر هذه العدوى فى الحالات التي يكون فيها الجنود منعزلين ، أو معزولين بنتيجة عملية التفاف وتطويق يقوم بها العدو ، أو حين تتعرض خطوط مواصلاتهم الى المهاجمات والغارات ، وخاصة من قبل الأنصار والقناصة • والجنود ، بوجه عام ، يكرهون كثيرا أن ينفصلوا عن ضباطهم ، كما وتتخوف الجماعة أو التشكيلة المقاتلة من كل ابتعاد أو افتراق عن التشكيلة الصديقة المجاورة •

والخلاصة ان المعنويات هي مسألة قيادية أكثر من كونها قضية فردية شخصية • انها ، فى الأصل والأساس وعلى الدوام ، من واجبات القيادة على جميع المستويات ، ومسئوليتها • فى العسكرية ، كل شيء له تأثير مباشر على المعنويات : الطعام ، اللباس ، المنامة ، التدريب ، سلوك الضباط والرتباء ، نمط الحياة الجندية اليومية ، الحياة البيتية ، نوع العلاقات مع المدنيين ، ألخ • • • لقد قيل ويقال ان العقل السليم فى الجسم السليم • وباستطاعتنا أيضا أن نقول ان الجسم السليم بالعقل السليم • فكلا القولين صحيحان، وهما فى العسكرية متلازمان متكاملان، وفيهما شمول وتلخيص لمفهومنا من اصطلاح « الرعاية الصحيحة » وممارستها بحيث تعطي ثمارها على الوجه الأكمل •

ج ــ الرقابة

تقوم الرقابة على الجيش ، بواسطة جهاز خاص متفرغ لهذا الغرض • وعمل هذا الجهاز لا يتعارض مع عمل مديرية التوجيه العقائدي ، ولا مع عمل المرشدين والمفوضين التابعين لهذه المديرية •

يعين المرشدون الى التشكيلات المقاتلة اعتبارا من السرية والكوكبة وما فوق • ولكل مرشد عدد من الأعوان والمساعدين • وعلى المرشد أن يتعاون تعاونا وثيقا مع الضباط العائدين الىجهاز الرقابةعلى الجيش•

ومن واجبات ضابط الرقابة ، بالتعاون مع المرشد اذا لزم الامر :

ـ اكتشاف العناصر العسكرية الداعية الى التدخل فى السياسة ،
ـ مراقبة الضباط والرقباء والأفراد فى جميع القوات المسلحة ،
ـ حمـاية الجيش ، أشخـاصه وأسراره ، من مؤامرات الـعدو ومحاولاته التخريبية ·

د ـ النظام والانضباط

النظام أساس العسكرية · بل يمكننا أن نقول بـأن لفظ العسكرية مرادف للفظ النظام · هذا لأن الشيء الرئيسي ، الذي يميز العسكرية عن الرعاع والغوغاء والجماعات الفوضوية المسلحة ، ما هو الا النظام·

والنظام هو الانتظـام فى الـغرض والاستهداف ، وفى المعيشة وفى الدرس والتخطيط والتصميم ، وفى التحضير والاعداد والتنفيذ ، وفى التوقيت وتوزيع الواجبات وتعيين التبعات · ويصدر كل ذلك عن هيئة قيادية ناضجة واعيـة ، ويكون فى شـكل أوامر وأنظمـة ومحاضرات ومخططات ·

لا نظام بدون انضباط · فالانضباط هو القوة المعنويـة والماديـة التي تحمل على التقيد بالنظـام ، بالحسنى والرضى والاختيـار ، أو بالعنف والقسر والاكراه · والقصـاص هو الواسطـة الأولى الى قيام الانضباط · وقد تساعد التربيـة والمكافئـات على التقليل من فرص اللجوء الى القصاص ، أي الى العنف ، لكن لا يمكن ان تحل مكانه ، ولا أن تكون عذرا الى الاستغناء عنه ·

يجب أن يـكون الانضبـاط صارمـا ، وأن يجري فرض القصاص وتطبيقه وفقا للأنظمة والقوانين المرعية ، لكن بعدالة ، وبلا تحيز أو محاباة · وكل تهـاون فى شئون الانضباط ، هو حتما اخلال بالنظام ، وخطوة مباشرة فى طريق افساده وتخريبه ·

٥ ـ استقرار المؤخرات

قبل أن تصل الاذاعات والدعاية ، عقب الحرب العالمية الثانية ، الى ما هي عليه الآن من تعـاظم وتضخم وتنوع ، كـان المفهوم من تعبير المؤخرة مقتصرا على الاعداد ، والادارة العسكرية ، والتموين ، وعلى ما يتبع ذلك من طرق المواصلات ووسائل المخابرات ·

أما اليوم ، فالمفهوم من هذا التعبير يشمل كل ما يتعلق بحياة الأمة

ونشاط الدولة وسلامة المجتمع ، فى مجالات السياسة ، والاقتصاد ، وأجهزة الانتاج ، ومعنوية العمال ومستوى تنظيمهم ، ومعنويات الشعب ودرجة تنظيمه وتقدمه ونوع مستواه بصورة عامة · هذا المفهوم ، الذي يعم كل الوطن ، يجري العمل بمقتضاه فى التنظيم والتجهيز لأغراض الحرب ، على قواعد عسكرية ، ولخدمة المحاربة ومصلحة جبهات القتال ·

لا يستطيع جيش أن يعيش دون قاعدة خلفية متينة · فالقوات المحاربة تتطلب سيلا لا ينقطع من الذخيرة والامداد والتموين · ولا أمل فى النصر والغلبة ، الا باستمرار تدفق هذا السيل دون توقف أو عرقلة · والمؤخرة لا تكتفي بتقديم كل التموين اللازم فحسب ، بل تغذي أيضا مجموع الشعب بالمعنوية ، وبالعقلية المنتجة · والمؤخرة الضعيفة ، أو المعادية ، لكفيلة بأن تتحول بأحسن الجيوش تجهيزا ، وأكثرها تماسكا ، وأقواها تجانسا وانسجاما،الى كتلة معدومة التماسك والتراص ، فاقدة للحيوية والفاعلية

والمؤخرة ، كما قدمنا،مجموع مصالح وادارات وخدمات · والمطلوب منها أن تلبي حاجات القوات المقاتلة فى كل وقت · وهي تقوم بتأدية هذا الواجب الحيوي ، فى نطاق أربع فرائض رئيسية ، هي :

١ ــ تأمين حاجات قوات الميدان ،

٢ ــ سوق الامدادات المطلوبة ،

٣ ــ القيام بالأعمال الادارية ،

٤ ــ تحرير جيوش الميدان من كل عبء قد يعرقل سير عملها فى ساحة القتال ·

وبتعبير أكثر وضوحا وتفصيلا ، نقول انه يقتضي على المؤخرة أن تقوم بتأمين وتحقيق المطالب التالية :

١ ــ التموين المستمر بالاعاشة ، والمحروقات ، وأعتدة القتال المتنوعة ،

٢ ــ المخابرات ،

٣ ــ التطبيب والأدوية ،

٤ ــ البناء والصيانة ، للطرق والجسور والخطوط الحديدية ،

والقواعد المائية والجوية ،
٥ ـ صيانة وحماية القواعد ، المخازن ، المستودعات ، المعسكرات ، المصانع ، واخلاؤها فى حالة الضرورة ٠

ولكي تتكون لدينا فكرة أكثر بروزا ووضوحا وشمولا عن المؤخرة، يجدر بنا أن نقوم بتعريفها وشرحها على أساس النقاط الثلاث الآتية :

أ ـ القيادة ،
ب ـ العمل والتنظيم فى المؤخرات ،
ج ـ اللوجستيك ٠

أ ـ القيادة

تعمل مصالح المؤخرة ، وتجتمع تحت قيادة واحدة ، هي قيادة المؤخرة او قيادة الجبهة الداخلية ٠ واجب هذه القيادة تنظيم العمل فى المؤخرة ، وتوحيد نشاطات جميع رؤساء المصالح والأقسام العاملة لصالح القوات فى الجبهة ٠ وأوامر هذه القيادة نافذة فى كل ما له علاقة بالتنظيم العام ، وبنقل المواد واخلائها ٠ والمصالح التي تتعاون معها ، او تعمل تحت امرتها ، هي بحكم المستقلة ، من حيث انها لا ترتبط بأية مصالح اخرى ٠ ورؤساء المصالح فى هذه القيادة ، يقومون بادارة مصالحهم وتأدية واجباتهم مباشرة ، كل حسب اختصاصه ٠

يتكرر مثل هذا التنظيم فى جميع المنازل (١) ، منذ الجيش برمته حتى اللواء ٠ فلكل تشكيلة محاربة مؤخرة خاصة بها ، ومعدة لخدمتها ولتأمين حاجاتها ٠ ولعمل المؤخرة ، كل مؤخرة ، تاثير حاسم على مجرى القتال فى كل تعرض او دفاع ٠ هذا التأثير يجعل من المؤخرات هدفا رئيسيا أوليا من أهداف كل تعرض معاد ، والغاية المثلى لكل عملية التفاف وتطويق ٠

ب ـ العمل والتنظيم فى المؤخرات

العمل فى المؤخرات ، يجري على أساس التقديرات الموضوعة للمدى الطويل ، والتخطيط المتقن المدروس ٠ وعندما يتطلب الأمر اعدادا

(١) Echelon وقد فضلنا استعمال تعبير المنزلة على تعبير النسق الذي لا يعطي المعنى المرغوب خارجا عن النظام المنضم ٠

طويلا ، فانه يصار عندئذ الى وضع التقديرات على أساس مرحلتين :
- مرحلة افتتاحية ، أو أولى ،
- ومرحلة أخيرة ، أو ثانية ٠

ولا تبدأ المرحلة الأخيرة ، الا بعد ان يتوصل قائد الجبهة او الحملة، أو قائد الجيش العامل ، الى قرار نهائي بخصوص العملية المنشودة ٠ اما المرحلة الأولى ، فتستعمل لاكمال التنظيم ، وتأمين التموين بالمواد اللازمة حسب التقديرات المبدئية ٠ ويصدر بخطة العمل أمر عن قائد المؤخرة ، بالاتفاق مع معاونيه من رؤساء جميع المصالح ٠ ويوقع على هذا الأمر كل من القائد العام ، ورئيس أركانه ، وقائد المؤخرة ٠

قد يناقش قائد المؤخرة ، مع مساعديه من رؤساء المصالح ، خطة العمل العامة لتنظيم المؤخرة ، والخطة الفرعية المتعلقة بكل مصلحة ، وقد يناقش هذه الأمور كذلك مع قادة الصنوف ومصالحها ، لكن القرار النهائي يظل من حقه لوحده ، ولا يستطيع تعديل قراره غير القائد العام ٠

والقرار المشار اليه ، لا يتضمن سوى ارشادات عامة ، دون الدخول فى التفاصيل ٠ وانه ليندر ، فى التطبيق ، ان تظهر الخطة العامة لتنظيم المؤخرة ، وخطة التموين بالمواد ، معا فى صلب وثيقة واحدة ٠ والعادة المتبعة ، هي ان يصدر القائد العام (قائد الجيش ، او الجبهة ، او الحملة) أمرا مبدئيا يكون بمثابة أساس يقوم عليه اعداد خطة تنظيم المؤخرة ، وخطة تحضير وتسليم المواد المقدرة للحملة ، او العملية ، او الفترة الزمنية ٠ وفى الحركة ، تتحرك المؤخرة وتتقدم ركوبا على خط سير مواز لخط الجبهة ، ووفقا لخطة قد سبق وضعها ٠

ج ـ اللوجستيك (١)

فرضت طبيعة المحاربة المعاصرة ، وجوب تخصيص المؤخرة بمكان بارز فى مخطط العمليات، وذلك كعامل أساسي فى ترتيب القوات للقتال، وفى توثيق الروابط ما بين قيادة العمليات وقيادة المؤخرة ٠ وتحتل الذخيرة والمحروقات المكان الأميز فى كل خطة لوجستيكية ٠

يتراوح عدد الأفراد ، الذين يتخصصون لأعمال اللوجستيك ، ما

---

(١) Logistic

بين الخمس ، او الربع ، او النصف ، او الثلاثة أرباع من مجموع القوى المتحركة ، ويتخصص الباقي للقتال • ففي الجيش الاميركي ، مثلا ، وفى قوة تعدادها مئة ألف مقاتل ، لا يتجاوز عدد المقاتلين الفعليين فى هذه القوة اكثر من (٢٣٠٠٠) ثلاثة وعشرين الفا ، بينما يتفرغ الباقي ، أي سبعة وسبعون الفا (٧٧٠٠٠) ، الى أعمال وخدمات اللوجستيك • اما فى الجيش الروسي ، وفى قوة بتعداد مماثل ، فالنسبة المخصصة لأعمال اللوجستيك تكون فى حدود عشرين الف رجل •

اللوجستيك ، هو ذلك القسم من واجبات وأعمال المؤخرة ، والذي هو عبارة عن تموين الجيوش وتجهيزها بكل ما تحتاجه ، فى أحسن الشروط وأسرعها ، وايضا تأمين متطلبات الشئون الصحية ، ووسائط النقل والمخابرة وصيانتها ، وكذلك بناء ، وصيانة ، واصلاح الطرق والجسور والخطوط الحديدية والمرافئى والمطارات ، واصلاح وصيانة الأسلحة والعربات وسواها من التجهيزات والمعدات ، واستعادة المتروك والمعطوب منها فى ساحات المعارك •

٦ ـ العمل الموحد

العمل الموحد ، أو وحدة التصرف ، أو وحدة القيادة ، أو توحيد المجهود ، كلها تعابير مترادفة تدل على هدف عام أساسي ، ألا وهو الوحدة المطلقة فى الاستراتيجية ، والمذهبية العسكرية ، والتنظيم والتخطيط • والغرض من وراء هذه الوحدة ، هو اقامة عسكرية متراصة متينة كالصوان ، تكون لها داخلية مطلقة التشابه والتجانس ، وخارجية متوحدة المجهود والنشاط والأشكال ، فلا مجال فيها لاختلاف او تناقض •

بنتيجة هذه الوحدة ، يتحول الجيش الى منظمة واحدة ، قائمة على أساس واحد ، متراصة متماسكة من الرأس حتى القاعدة ، خاضعة الى عقيدة واحدة مشتركة، والى وحدة فى النظر الى طبيعة المسائل العسكرية المختلفة ، والى وحدة فى أساليب اعداد الجيوش للمحاربة •

ان المحاربة ، التي هي صراع دموي لا هوادة فيه ولا رحمة ، لا يمكن ان تنتهي بالفوز لهذا الطرف أو ذاك ، الا بالاستعمال الصحيح الفوري لجميع الصنوف ، وبجريان هذا الاستعمال وفقا لمخطط يحدد الدور

لكل سلاح (١) خلال مسير العمليات • ويجب ان لا يدفع الى المعركة بأي سلاح ما ، الا بعد ان يكون قد بلغ ذروة الكمال من حيث الاعداد والتجهيز والمعنوية •

عمل الصنوف فى المعركة مجهود مشترك مختلط ، وعطاء منسجم ينبعث من كافة القوى المشتركة فى القتال • انه عمل يهدف كله الى تحقيق المهمة القتالية المشتركة ، على أفضل وجه وأسرع وقت • وهو يقوم على أساس استعمال كل صنف وفقا للوضع الحربي القائم ، وتبعا لخصائص الصنف الذاتية •

بديهي انه لا يمكن استعمال أي صنف من الصنوف فى القتال ، الا اذا توفرت للمستعمل معرفة تامة بطبيعة هذا الصنف وخصائصه • ويجب ان يظل ماثلا فى الذهن ان استعمال كل سلاح يتم بالتعاون والارتباط الوثيق مع الأسلحة والصنوف الأخرى ، وبحيث تُستغل امكانات كل صنف الى ذروتها •

٧ ــ حشد القوى

مبادىء الحشد والاقتصاد فى القوى، موجودة فى كل مذهبية عسكرية• والتعريف التقليدي للاقتصاد فى القوى ، هو استعمال مجموع القوى بالطريقة الأنجح وعلى الوجه الأكمل• لكن هذا التعريف آخذ بالاختفاء اليوم ، لكونه كثيرا ما يساء فهمه ، ويلتبس معناه مع مفهوم الحفاظ على القوى • وبموجب التعريف الأكثر قبولا فى هذه الأيام ، يعتبر مبدأ الاقتصاد فى القوى نتيجة مترتبة عن حشد القوى ، ويعرف الحشد بأنه تجميع للقوى البرية والجوية المتفوقة عددا ، فى المكان الحاسم والظرف المناسب ، واستخدامها فى الاتجاه الفاصل • مثل هذا التجميع والاستخدام يخلق الشروط الأساسية للنصر • والحشد من هذا النوع ، وعلى مثل هذا الأساس ، يفرض اقتصادا صارما فى استعمال القوى المخصصة للمهام الثانوية • ويجوز للحشد القائم على أساس الاقتصاد فى القوى ، ان يعرّف بأنه الوسيلة للحصول على التفوق فى نقطة الضربة الفاصلة وزمانها •

---

(١) كلمة السلاح ، هنا ، تعني اداة القتال كالمدفع والدبابة ، او الصنف كالمشاة والطيران •• وقد تعني الاثنين معا كما هي واردة اعلاه •

للحشد ثلاث متطلبات :

أ ـ التراص الكتلوي ،

ب ـ التفوق الحاسم ،

ج ـ العزم والاصرار فى الطلب ·

أ ـ التراص الكتلوي :

التراص الكتلوي ، هو التعبير عن الحشد بالكتلة الضخمة · وهو ، بكل بساطة ، عدم بعثرة القوى ، والضرب بالكتلة المتماسكة المركزة فى الاتجاهات المختارة · وهو ليس فقط تجميعا للقوى والوسائط وكفى · فالقيادة ، فى هذا الحشد ، مكلفة بأن تحدد بوضوح ودقة تتابع استعمال القوى والوسائط ، ونبض هذا التتابع وزخمه وسويته ، فى كل مرحلة من مراحل العملية · والقاعدة العامة ، فى هذا السبيل ، هو الاستعمال فى ذات الوقت لجميع الامكانات المتوفرة ، باستثناء الاحتياط العادي ·

انه لمن الأهمية العظمى ، ان يفاجأ الخصم بضربة صاعقة ، من قبل الطيران والمدفعية والمشاة والدبابات ، كلها فى آن واحد · لأنه اذا توزعت المهاجمات ، وتدرجت مع الوقت ، أي بفاصل زمني ، فيكون عندئذ باستطاعة الخصم ان يتصدى لها ، وان يعترضها ويردها واحدة تلو أخرى ·

العناصر الرئيسية فى حشد القوى ، هي التراص والضخامة (١) · هذا يعني ان يتم حشد جميع الوسائل ، فى النار والمقاتلين ، بحيث يتحقق التفوق الساحق على العدو فى الاتجاه الرئيسي ، مع الحيلولة دون الانتشار مهما كان الثمن · ويجب ان تستعمل المشاة بكثرة الى درجة الاشباع ، بحيث تتمكن ، بمعونة الدبابات والطيران ، من تدمير قوى العدو تدميرا كاملا ، وعلى مجمل عمق تعبئته الدفاعية · لا خوف من ان يتسبب الاشباع فى استعمال المشاة ، فى حدوث خسائر لا مبرر لها · واذا أردنا ان نعبر عن مدى ذلك الاشباع بواسطة الأعداد ، وفى حقل التكتيك ، فنقول ان جبهة السرية فى الهجوم هي فى حدود (٢٥٠)مترا ، وجبهة الكتيبة (٦٥٠) مترا ، وجبهة اللواء (١٦٥٠) مترا ، وجبهة الفرقة (٣٥٠٠) متر ، وذلك دون حساب للاحتياط

---

(١) اي بالكثرة الكثيفة ·

التكتيكي فى عداد العناصر الشاغلة لهذه الجبهات ·

فيما يتعلق بالمدفعية ، يتراوح عدد المدافع المعدة لكل الف متر ، ما بين (٢٠٠) و (٣٠٠) مدفع كحد وسطي · اما الدبابات ، فتستعمل بالتراص الكتلوي ، ويكون معدلها الوسطي حوالي (٢٥) الى (١٠٠) دبابة فى الكيلومتر الواحد · واما الطائرات ، فتتكلف بقصف الأهداف التي لا يمكن تدميرها بنيران المشاة والمدفعية والدبابات وبقية الأسلحة · وللحصول على أعظم النتائج ، يستعمل الطيران ايضا بالكتلة المتراصة ، ويحشد جهوده ويصبها عند الظرف الملائم ، وعلى الأهداف المتقدمة على سواها من حيث الأهمية التكتيكية · وللطيران المستعمل بالكتل المتراصة ، ثلاثة متطلبات :

١ ـ لكي يعطي الطيران ، المستعمل بالكتل المتراصة ، خير النتائج، يجب ان يُستعمل فى قطاع ضيق من الجبهة · ذلك لأنه يكون فى هذه الحالة أحسن واسطة الى تسهيل مهام القوى البرية ، ومساعدتها على تدمير القوى المعادية ، وعلى الاستيلاء على خطوط دفاعات العدو القوية التحصين ، وعلى نقاطه المتساندة ··

٢ ـ ان حشد الطيران ، لغرض المهاجمات بالكتل المتراصة ، يتطلب تنظيما متينا ، وخطة عمليات دقيقة متقنة ··

٣ ـ فى المهاجمات الجوية بالكتل المتراصة ، يقتضي ان لا يحدد عدد مهمات الطيران ومددها لأن هذه المهمات يجب ان تتابع وتستمر حتى انجاز الغرض المتوخي من ورائها ، ألا وهو تمكين القوات البرية من اختراق دفاعات العدو على عمقها الكامل ·

ان الهجوم بالتراص ، هو تراص بالكتلة البشرية ، وتراص بالمعدات ، فى قطاعات ضيقة ، وفى مهاجمات متجددة القوى والامكانات· ففي الفترة ما بين غمضة عين وفتحتها ، تصير الأرض أمام العدو مغطاة بالمهاجمين المنطلقين من كل مكان ، والمتلاحقين موجات أثر موجات ، كل موجة مالئة لفراغ الموجة السابقة · مثل هذا الهجوم لا يتوقف ما دامت الموجات متتابعة دون انقطاع ، ولا يواجه الا بتراص مماثل فى الكتل البشرية والآلية ، بالقوات المجربة المحنكة ، بمقاتلين قد تعودوا السيطرة على أعصابهم فى الأوقات العصيبة · ان الهجوم بالتراص الكتلوي ، ليس الا نوعا من محدلة هائلة كاسحة ، مخيفة

مدمرة ، لا تُقاوم ، ولا تُغلب ٠

ب ـ التفوق الحاسم

العمل بالتراص الكتلوي ، مـا هـو الا مبدأ مـن مبادىء المذهبية العسكرية الهجومية ٠ فى هـذا العمل ، يجب ان ينصب حشد القوى فى الاتجاه الحاسم ، المحدد بضبط ودقـة ، وفى اللحظة الحاسمة ، المغتنمة ايضا فى حينها ٠

يكاد يكون مـن المستحيل ان يتحقق ، على جميع الجبهات ، قتـال بقوات متفوقة ٠ ولهذا ، وللوصول بالمحاربة الى نتائج ناجحة ، لا بـد من تحقيق تفوق حاسم على العدو فى احـدى الجبهات ، وذلـك بحشد القوات والأسلحـة فى الاتجـاه الرئيسي ، والاكتفاء بعمليـات الالهاء والتغطية فى الجهات الأخرى ٠

يتطلب الهجوم استعمالا آنيا للقوى والوسائط العظيمة المحشدة ، بحيث يحصل تفوق على الخصم فى جبهة الهجوم ، وبحيث يظـل هـذا التفوق ساحقا فى الاتجاه الرئيسي للهجوم ٠ فاذا كان الطرفان كلاهما متعادلين فى القوى ، او كان أحدهما أضعف من الآخر ، من حيث الناحية العددية ، فباستطاعة الطرف الأضعف ان يتوصل الى النصر ، وذلك اذا استطاع ان يحشد قوى متفوقة فى اتجـاه حاسم ، وفى اللحظة الحاسمة المناسبة ٠ المهم فى الأمـر ان لا يقتصر التفوق الحاصـل فى القوى على بداية العمليات فحسب ٠ والأهم ان يظل التفوق الحاسم قائما حتى بلوغ النهاية المتوخاة ، أي الى ان يتحقق الغرض المنشود من الهجوم ٠

يمكننا التعبير عن التفوق المنشود للهجوم ، بنسبة الكثافة العددية فى القوى المحشدة ، هذه النسبة عبارة عن حاصل المقارنة ما بين القوى المتقابلة لدى الطرفين ، المهاجم والمدافع ٠ ويجب ان تكون هذه النسبة لصالح المهاجم ، وان لا تقل عن اثنين او ثلاثة الى واحد ، أي ان يكون المهاجم أقوى من المدافع بمقدار ضعفين على أقل تقدير ٠ وكلما زادت هذه النسبة ، كلما كان ذلك أحسن ٠

الهجوم المنطلق عند النقطة الحاسمة،يعرف عادة بالضربة الرئيسية٠ وتعتبر الضربة الرئيسية هـذه مفتاح التخطيط والنجاح ، فى تطبيق مبدأ حشد القوى فى حقل الاستراتيجية ٠ وترافـق الضربـة الرئيسية بمهاجمات ثانوية متعددة على جبهة واسعة ٠ وقد يتراءى هذا التكتيك،

لأول وهلة ، كأنه يتعارض مع مبدأ الحشد • لكن الأمر فى الواقع هو غير ذلك • فالعمل بأسلوب المهاجمات الثانوية المتعددة ، هو تكتيك متمم لمبدأ التحشد • انه تثبيت للعدو بعمليات ناشطة على مجمل جبهته ، وذلك لغرض حرمانه من استطاعة المناورة بقواته على المحور أو المحاور الرئيسية • وبديهي انه يجب الامتناع عن القيام بمثل هذه العمليات الهجومية ، اذا كان ذلك على حساب المحور الرئيسي للهجوم •

فى العمليات التي تستهدف تثبيت الخصم وتضليله ، قد تنشأ ظروف ملائمة تجيز شيئا من التعديل فى تطبيق هذا المبدأ ، وذلك بتوسيع نقطة الهجوم الحاسمة ، بحيث تحتوي على عدة محاور دفع مترابطة • الا انه فى مثل هذه الحالة ، وعند القيام بهجومين مثلا ، يجب ان يُخصص للهجوم الرئيسي ثلاثة أضعاف القوى التي تخصص للهجوم الثاني المساعد • واكثر ما يحصل مثل هذه الحالات ، فى عمليات الالتفاف المزدوج • ويجب ان لا يغيب عن البال ، ان اقتصار الهجوم على جبهة ضيقة ، سريعا ما يسمح للخصم باكتشاف نوايا المهاجم ، ويمكنه والحالة هذه من صد الهجوم ، باستعمال احتياطه •

ج ـ العزم والاصرار فى الهجوم الرئيسي :

لايضاح هذا المتطلب بوضوح،نعود الى تعريف الخطة الاستراتيجية• هذه الخطة ، تحدد الاتجاه الذي يجب ان تندفع عليه الضربة الحاسمة ، لغرض الحصول على النتائج القصوى فى أقصر وقت • بمعنى آخر ، ان تحديد الاتجاه الرئيسي للهجوم ، لا يعدو كونه نوعا من تنبؤ او اجتهاد بما تكون عليه طبيعة العمليات طوال مدة المحاربة التعرضية • انه بمثابة تحديد تسعة أعشار نتائج الحرب بصورة مسبقة • وهذا هو دور الاستراتيجية •

من الواجب تحديد وجهة الهجوم الرئيسية ، فى كل مرة يبان فيها الموقف بصورة واضحة المعالم ، آخذين بعين الاعتبار كون المواقف تظل عرضة للتغيير والتبدل مع الظروف • وليس من الضروري ، من أجل توجيه الضربة الحاسمة ، ان نلتزم بحرفية المخططات الموضوعة اذا نشأت ظروف يكون العمل فيها ممكنا بسهولة أكبر وشروط أفضل • ففي أحيان كثيرة ، يتطلب الأمر ان توجه الضربة الحاسمة الى حيث يكون لهزيمة العدو حظ أكبر فى التأثير على مجرى الحرب كلها ، وحيث

يُستطاع القضاء على معظم قواته ٠

فى التعرض ، يعتبر اختيار الاتجاه ، الذي تنصب عليه الضربة الرئيسية ، أشد قرارات القائد خطورة وأهمية ٠ هذا القرار يبين الفكرة ، ويحدد الهدف والمحور العام ، ويعين ، فى ذات الوقت ، مقدار وطبيعة القوى والوسائط المخصصة لذلك ٠ ويشكل هذا التبيان والتحديد والتعيين جوهر مقررات القيادة فى كل خطة تعرضية ٠ وعندما نتكلم عن المحور الرئيسي ، فانما نعني خط الاتجاه الحاسم ، ونعني كذلك وجوب تحقيق تفوق ساحق بالقوى والوسائط فى ذلك الاتجاه ٠

الاستراتيجية ، فى الحروب ، هي ادارة العمليات الحربية على جميع ساحات القتال ٠ والاستراتيجية الجيدة ، هي التي تنجح فى تعيين النقطة أو الاتجاه الذي ينصب عليه المجهود الرئيسي ٠ والفن فى الاستراتيجية، كما فىالتكتيك ، لكن بصورة أعم واعظم ، هو فى العثور على الموقع المفصلة ، الذي يكون أهم مفصلة فى كيان العدو فى زمن معين ، والذي يتحكم ببقية فقرات السلسلة ويؤثر فيها ٠ وسواء كان الأمر تعرضا ضد خصم متحرك ، أو هجوما على عدو ضمن دفاعاته ، فالموضوع الأساسي هو التوصل ، فى كل فترة بعينها ، وبين مجموع حلقات السلسلة المتصلة المتماسكة فى هيكل العدو ، الى معرفة وتعيين تلك الحلقة الواحدة ، التي تسمح بالسيطرة على السلسلة بكاملها ، والتي تتوفر فيها الشروط المناسبة لنجاحات استراتيجية او تكتيكية آنية ومستقبلة ٠ والعثور على مثل هذه الحلقة الرئيسية ، فى كل زمن بعينه ، ووضع اليد عليها ، هما العمل الأهم للقيادة فى التشكيلات التكتيكية ٠

ان تحديد الاتجاه ، الذي تنصب عليه الضربة الحاسمة ، يقوم على حاصل النسبة بين القوى المتقابلة على طول ذلك الاتجاه ، أي بمعنى انه لا امكان للحصول على التفوق الساحق على الاتجاه المذكور الا على أساس المعرفة المسبقة بتلك النسبة ٠ والعوامل التي تساهم فى تحديد القوى ، عند اتخاذ القرار الحيوي بالاتجاه الرئيسي ، هي :

ـ الغاية من التعرض (وهي فى معظم الأحيان والحالات تدمير قوات العدو) ،

ـ الامكانات الخاصة والصديقة ،
ـ امكانات العدو وتعبئته (١) ،
ـ تفاعلات العدو المحتملة ، بما فى ذلك سلوك احتياطه ،
ـ التحديدات والامكانات التيتوفرها الأرض وظروف الطقس ·

٨ ـ الاقتصاد فى القوى

يقوم مبدأ الاقتصاد فى القوى ، على أساس استحالة الضرب بنفس القوة فى كل مكان ، وعلى أساس امساك الجبهات الثانوية بقوات للتغطية ، قوات يجري تعيين مقاديرها بمفهوم الحد الضروري الأدنى ·

ان مبدأ حشد القوى ، ومبدأ الاقتصاد فى القوى ، هما مبداءان تؤامان ، يترافقان ويعملان معا فى جميع الجبهات والاتجاهات · او نقول ، بتعبير آخر ، انه لا يمكن حشد تفوق حاسم فى القوى ، فى الاتجاه الرئيسي ، وفى معظم الأحيان ، الا على أساس تحقيق اقتصاد فى القوى فى الاتجاهات الثانوية ·

وفى الدفاع ، تجري المحاربة الدفاعية ايضا على أساس الاقتصاد فى القوى ، أي على أساس عدم توريط جميع القوى فى العملية الدفاعية ، ولا معظم هذه القوى ، وبشرط تحقيق مثل هذا الاقتصاد مع امكان القيام بالمدافعة بصورة ناشطة فعالة وغير جامدة ·

ومن حيث التطبيق التكتيكي لمبدئي الحشد والاقتصاد فى القوى ، تقسم الجيوش فى جبهات القتال الى ثلاثة أنواع او مجموعات ، هي :
ـ مجموعة الاقتحام ، أو الصدام ، أو الالتحام ،
ـ مجموعة التثبيت والتغطية ،
ـ مجموعة الاحتياط ·

والعمل ، بمقتضى هذا التقسيم ، يكون على النحو التالي :

أ ـ فى التعرض : تقوم قوات الالتحام بالزحف على المحور الرئيسي · وتتوزع قوات التغطية والتثبيت عمقا ، وتظل مستعدة لمقارعة الخصم فى وجهة ثانوية واحدة او أكثر ، وكذلك لمنعه من حشد كل جهد ضد

(١) تعبئة بمعنى ترتيب القوات بقصد القتال ، وتقابلها في اللغات الاجنبية كلمة **Dispositif**

قوات الالتحام · اما قوات الاحتياط ، فتستعمل لمساعدة قوات النوعين السابقين كلما دعت الحاجة ، ولمعالجة الحالات الطارئة التي تحدث على غير انتظار ·

وفى التعرض ، يجب ان يجري اشباع ميدان المعركة بموجات المشاة المتتابعة ، كل موجة تتقدم بدورها لاستغلال نجاح الموجة السابقة · وتكون تعبئة القوات بحيث تستطيع جميع التشكيلات الاشتراك فى القتال حالا ضد العدو ، وبحيث تكون فى ذات الوقت غير معرضة الى فتك نيرانه لمجرد كونها قد عبئت بصورة غير صحيحة ·

والخلاصة ، هي ان الجيوش ، فى التعرض ، تتوزع الى مجموعتين تكتيكتين او اكثر ، وتكون واجباتها القيام بهجوم واحد او عدة مهاجمات رئيسية او حاسمة ، وذلك على أساس حشد معظم القوى التعرضية لغرض انتزاع قرار فاصل · أما بقية القوات ، فتكلف بمهاجمات ثانوية ، او بمهاجمات اسناد ، هادفة الى تقديم أقصى ما يمكن من مساعدة للهجوم الرئيسي ·

ب ـ فى المدافعة

فى المدافعة ، تكون واجبات قوات الالتحام العمل على تدمير قوات العدو ، لغرض تصحيح الموقف فى أي مكان من الجبهة ، وذلك بواسطة المهاجمات المعاكسة ، المنطلقة خلال قوات التثبيت والتغطية ·

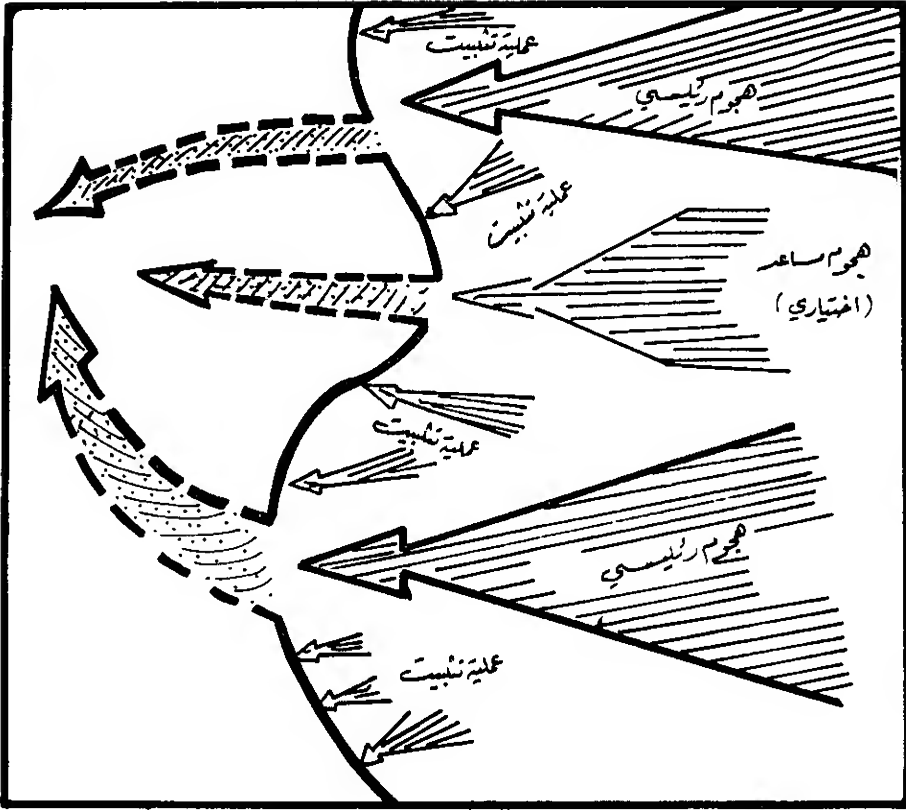
فى جبهة فرقة ، وفى قطاع لواء من المشاة ، تتوزع القوات الى قوى التحام وتثبيت والى قوات احتياط · تتكون قوى التثبيت من مجموع القوى التي تشغل منزلة الدفاع الأولى ، وواجباتها ان تمنع قوات العدو من المرور فى الأرض التي تشغلها وتدافع عنها ·

اما قوات الالتحام ، فتتألف من القوى التي تشغل خطوط ودفاعات المنزلة الثانية ، والتي تقع الى الخلف من قوات التثبيت · واجبات هذه القوات ، هي تدمير العدو بالهجوم المعاكس ، فى حال نجاحه فى اختراق دفاعات المنزلة الأولى وحدودها ·

وهكذا نرى ان الاقتصاد فى القوى ، فى قتال المدافعة ، يتحقق بواسطة قوات التثبيت ، فى حين يتمثل الحشد بقوات الالتحام · ودور الاحتياط ، فى هذا القتال ، كما فى التعرض ، هو ان يكون جاهزا تحت تصرف القيادة لمعالجة الحالات الطارئة ·

فى العملية الدفاعية ، يتخصص لواجبات الالتحام والاحتياط معظم القوات والوسائط المتيسرة • ففي مجال التكتيك العام ، وفى نطاق فرقة مثلا ، وللتعريف والايضاح بلغة الأعداد ، تتألف قوات الالتحام من ثلثي مشاة الفرقة ، أو من ثلاثة أرباع هذه المشاة ، ولا تكون أقل من لوائين بأية حال • وتتألف قوات التثبيت من لواء • يتوزع الطيران على مثل هذا الأساس تقريبا ، وتوضع المطاردات والمقاتلات وراء قوات الالتحام، وواجبها حماية هذه القوات •

والنسبة المتقدمة فى توزيع القوات فى الدفاع ، هي نسبة مطاطة مرنة وغير جامدة • المهم فى الأمر ان لا تكون قوات التثبيت او التغطية عاطلة ، وان لا يبالغ فى تقدير أعدادها وحاجاتها على حساب قوات الالتحام •



الشكل رقم (٢٢)
رسم بياني للتحشد والاقتصاد فى القوى.

٩ ـ التعرض

التعرض ، بمعنى المبادرة ، شرط من الشروط الأساسية للنجاح فى المحاربة ، ولربح الحروب • فالانطلاق الى طلب العدو هو العمل الغالب

فى كل حرب ، بينما لا يكون الدفاع سوى مرحلة وقتية ، الغرض من ورائها التحضر والاستعداد بانتظار الوقت المناسب للعودة الى قتال الحركة ·

ان النصر فى الحروب ، هو دائما من نصيب الجسور المقدام ، الذي يحتفظ بزمام العمل وحرية الحركة والارادة ، والذي يملي مشيئته على الخصم متى وكيف شاء · هذا هو المفهوم العسكري للمبادرة · ومن أولى المتطلبات للحصول على هذه المبادرة ، والاحتفاظ بها ، تقصد مباغتة العدو باستمرار ، وتحقيق هذه المباغتة ، ومنع الخصم عن تحقيقها لصالحه ·

والامساك بزمام المبادرة ، والاحتفاظ بهذا الزمام ، يشكل نوعا من السيطرة والهيمنة على تفكير الخصم ونشاطه ، ويعطي صاحبه أحسن الفرص وأقوى الاحتمالات لفرض مشيئته ، واملاء ارادته · والعكس بالعكس · ففقدان المبادرة يحول دون فرض المشيئة على الطرف الآخر، ويجعل فاقدها مرتبطا بهذا الطرف ورهن ارادته ، ويحمله على اتخاذ موقف المدافع شاء أم أبى · والوقوع تحت هذا النوع من الانتداب والوصاية ، والصيرورة أداة طيعة لمشيئة الغير ، أمر لا سبيل الى التخلص منه الا باستعادة المبادرة ، وانتزاع زمامها من يد الخصم دون ابطاء ·

١٠ ـ الحركية

الحركية شرط لا بد منه لكي تتحقق المناورة المرغوبة ، ولكي يؤدي التعرض والمبادرة الى بلوغ النتائج المتوخاة قبل فوات الأوان · ان المهارة فى المناورة ، والقابلية الحركية ، ودقة التنظيم ومرونته ، والتكيف الناجح مع الظروف والطبيعة المحيطة ، وتقدير الطيران المعادي حق قدره ، كلها شروط أساسية للفوز فى المعركة · فالجيوش التي :

- تنفذ الأوامر بسرعة ،
- وتتجمع ، أو تتفرق بسرعة عند الحاجة ،
- وتمر سريعا من وضع الاستراحة الى حالة العمل ،
- وتنفذ سريعا ما يطلب منها من حركة ،

ـ وتهب سريعا الى لقاء العدو وهي جاهزة للقتال ،
ـ وتهاجم بسرعة ،
ـ وتطارد العدو بسرعة وضراوة ،

مثل هذه الجيوش تكون دوما على ثقة من نوال النصر • ومن المتطلبات الأساسية للنجاح فى كل عمل حربي ، ايضا ، التنظيم الدقيق لعمل الأسلحة المختلفة ، والسرعة فى التنفيذ والحركة ، والاندفاع ، والسرية والمباغتة •

والحركية ، بما توفره من فرص للاحتفاظ بالمبادرة ، تساعد على تعديل النسب فى القوى ، لصالح الطرف الذي يتفوق بحركيته • والقائد الناجح يتطلب الحركية باستمرار ، لأنه بهذا فقط يستطيع ان يباغت خصمه ، وان يتسلم المبادرة ويحتفظ بها • كما وان حركية الجيوش لما يساعد على اكتساب الوقت أثناء القتال • والوقت فى الحرب ، وحين المعركة خاصة ، هو كل شيئى تقريبا • وأحسن واسطة الى اكتساب الوقت ، هي السرعة • لذا فالشرط الأولي لمناورة ناجحة ، هو سرعة الحركة واستطاعتها.

لقد ادى استخدام القوى الميكانيكية ، المدرعات ، الطيران ، المدفعية الدفعذاتية ، قوات الهواء ، الى دخول عامل الاندفاع ، السرعة، المباغتة ، قوة الصدمة ، الى مجال العمليات العسكرية بصورة لم تكن من قبل معروفة • وقد أوجد هذا الاستخدام ، ايضا ، الشروط اللازمة لتعاظم الحركية فى الجيوش ، وقلل بالمقابل من احتمالات قيام المحاربات الموضعية كما كانت تجري قديما • ان الاستطاعات الواسعة لهذه الأسلحة الجديدة ، قد زادت من مدى الاستطاعة فى مجال المناورة والعمليات الخاطفة ، وجعلت من الممكن كثيرا التوصل الى تقطيع أوصال التنظيم الأساسي للعدو على طول الجبهة وكامل العمق ، وبالتالي تجزئة جيوشه الى جيوب معزولة يسهل بفعل ذلك تدميرها جيبا بعد جيب •

١١ ـ المفاجأة

المفاجأة ، أو المباغتة ، مبدأ رئيسي من مبادىء الحرب • والقول « باغت » تربح » اكثر ما يكون صحة فى ميادين القتال • وهو قول

يعتبر قاعدة ذهبية ، قاعدة يجب ان تظل ماثلة أمام عين كل استراتيجي جيد وقائد صالح • ان الشرط الأهم لنجاح أية عملية عسكرية ، هو مفاجأة العدو ، ذلك لأن المفاجأة عامل رئيسي فى تنفيذ الحركة ، والمفتاح الى كل خاتمة سعيدة للمعركة ، وسبب ذلك ان المفاجأة تذهل الخصم ، وتشل ارادته الى حين ، وتعيقه او تمنعه عن الرد والتفاعل بصورة جيدة وسريعة •

والعوامل التي تساعد على تحقيق المفاجأة هي :

- الحفاظ على سرية النوايا ،
- اخفاء التحشدات وحركات القوات ،
- خداع العدو بأعمال ومعلومات تحمله على الخطأ ،
- تمويه الأشخاص والمعدات ،
- الحصول على تفوق ساحق وغير منتظر فى القوى ، عند نقطة الهجوم ،
- استعمال ما لم يكن فى حسبان العدو من أسلحة أو تكتيكات جديدة ،
- المناورة بمهارة وسرعة •

وبديهي انه لا امكان لتحقيق أية مفاجأة ، اذا لم يكن القائد حائزا على الشجاعة ، وعلى ميزة الوصول الى القرار بسرعة ، وعلى سعة الحيلة والقدرة على الاختراع والابتكار • وعوامل المفاجأة ، المتقدمة الذكر ، تدخل فى نطاق معرفتين :

أ - معرفة كاملة بحقيقة المفاجأة ،

ب - ومعرفة بفن التضليل •

أ - حقيقة المفاجأة : المفاجأة ، ما هي الا نتيجة للتفوق على الخصم بالتخطيط والكتمان والاستعلام ، وبالحفاظ على سرية الأوامر والنوايا والحركات • ولا مفاجأة بغير هذا التفوق • هذا يعني ، بتعبير آخر ، انه اذا أردنا ان ننجح فى تحقيق المفاجأة لصالحنا ، فعلينا لذلك ان نعرف كل شئ عن العدو : عن أعداده وأسلحته وتشكيلاته ، عن أعوانه وأنصاره وعيونه وأرصاده ، عن خططه وحركاته ونواياه ، باختصار ، عن كل ما يصدر عنه من قول وكتابة وعمل • وعلينا ، فوق ذلك ، ان نمنع كل هذه الأشياء عن العدو ، وان نبقيه على جهل تام

بها ، عاملين على تحقيق هذا المنع بكل ما نستطيع ·

لتحقيق هذه الشروط ، يجب ان يكـون تحت تصرفنا جهاز قـوي للاستعلام ، وجهاز قوي فعال لمقاومة التجسس العسكري ، وجهاز قوي ماهر متفنن فى أعمال التمويه والتضليل والتغطية · والمفاجأة ، التي هي الى حد ما شكل من أشكال المبادرة ، ترتبط ارتباطا وثيقا بمبدئي التحشد والاقتصاد فى القوى ، على اعتبار انه لا يمكن ان يكون حشد ولا اقتصاد فى القوى ، اذا لم نكن على علم بكل شيئى عـن العدو ، فى حين يجب ان يكون العدو على جهل مطبق بكل شيئى عنا ، كـل شيئى يكون فيه فائدة له ·

ان سلامة الجيوش ، كقاعدة عامة ، هي فى حفظ اللسان ، والاقلال من الكتابة ، ومنع المكتوب من الوقوع بيد العدو · وهي تغطية الحركات والتنقلات والأعمال العسكرية ، بحيث لا يطلع عليها الخصم، لا بنفسه، ولا بواسطة عملائه وجواسيسه السريين · واذا لم تتحقق مثل هـذه السلامة ، فلن يكون بالاستطاعة مفاجأة العدو ، لأن المفاجأة لا تتم الا اذا كان الخصم على جهل بتحركات الطرف الآخـر ونواياه ، فى جميع المجالات ·

ب ـ **فن التضليل** : يقوم فن التضليل ، على أساس انه يجب ان لا يُظهر طرف ما ، للمشاهدة والعيان ، كل مـا عنده ، وان لا يقول او يعبر كتابة عن كل ما يدور بخلده وتفكيره ·

يجري توجيه التضليل ، الـذي هو نوع من الخديعة ، الى الحواس بالتمويه المادي ، والى الروح والنفس بالمحاربة النفسية والمعنويـة ، وبالمعلومات الكاذبة · فى مجال السياسة ، حيث النية لا المادة هي موضوع اللعبة ، يكون التظاهر بخلاف الواقع أحيانا أكثر سهولـة · وفى كـلا الحالتين ، يكون التظاهـر والتغطية أهم الوسائـل المستعملة · وقـد يكون للتظاهر بخلاف الواقع غاية خديعة العدو ، كما قد يكون هدفـه خديعة الشعب ، شعب الطرف القائم بالتضليل نفسه ·

الهدف النهائي المنشود من خديعة العدو ، هـو مفاجأة هـذا العدو بشيئى لم يكن ينتظر او يتوقع حدوثه · اما الهدف المباشر فهو ، عادة ، الحفاظ على سرية المشاريـع ، وعلى سلامـة الوسائط المعدة للتسبب بالمفاجأة · والغرض من خديعة الشعب ، هـو حمل العدو على الخطأ ،

ورفع معنويات البلاد فى نفس الوقت · فيما يتعلق بالعدو ، يكون مثل هذا الغرض حيويا ، كل مرة تحل بالطرف الآخر خسارة فادحة · وفيما يتعلق بالشعب ، فانه لمن الضرورة الماسة أحيانا ان لا يطلع الشعب على مدى الفاجعة او الكارثة ، بجملتها ونتائجها ، وذلـك حتى لا يصاب فى نفسيته ومعنوياته ، هذا على شرط ان يكون بالامكان اخفاء الكارثة او تخفيف نتائجها ، لا ان تكون بيِّنة معروفة من كل انسان ، ولا ان يكون العمل على اخفائها من نوع الادعاء أمام أهل الميت بأن ميتهم حي بينما هم يرونه بأم أعينهم وقد وارى جسمه التراب ·

والتضليل يكون :

- اما ايجابيا ،
- واما سلبيا ·

التضليل الايجابي ، هـو ايقاع العدو فى الخطأ ، وذلـك بطريـق معلومات غير صحيحة يُعمل على ايصالها اليه · اما التضليل السلبي ، فيقوم على أساس تخبئة النوايـا والتدابير · ويُخدع العدو ، ايضا ، بأن تمنع مراقبته مـن رؤية كـل شيئى حقيقي ، وباختلاق أشياء غير صحيحة وافتعالها ، أشياء تجلب انتباه مصالح استعلاماتـه وجيوشه ، وتسيرها او توجهها نحو الاتجاه الذي يريده الطرف الآخر ·

وتعتبر القيادة ، وفـن القيادة ، مقصرين اذا هما افتقرا الى ذلـك العامل الرئيسي ، الذي هـو المهارة فى اخفاء التدابير والأعمال ، وفى صرف العدو الى طريق مغلوط ضار بمصالحه · والعمل على هذا النحو مبدأ قديم قدم الانسان نفسه · وهو مبني على قاعدة التظاهر بما هو غير حقيقي ، وتخبئة الحقيقة وتغطيتها ·

يجب ان ينتج التضليل عن تدابير واضحة دقيقة ، مذكورة فى الخطة العامة · وفى كل خطة ، وبمقتضى الظروف ، يجري تبني سلسلة مـن التدابير الآيلة الى خداع العدو ، والتي تعد دائما وفق مخطط مفصل جلي واضح · ومثل هذا المخطط هو من شروط النجاح الأساسية ·

فى الحرب العالمية الثانية ، تفوق السوفيات فى أساليب التضليل · من هذه الأساليب ، انهم كانوا يقيمون منشئات معدة خصيصا لخديعة النظر وحمل المشاهد على الاعتقاد بوجود ما لا وجود حقيقي لـه من الأسلحة والمعدات · وكانوا أحيانا يتظاهرون بوجود عطب فى الدبابات ،وبأنها

مخلاة من اصحابها ، وذلك لكي يحملوا خصمهم على الاقتراب مطمئنا ، ثم يفاجئونه بنيران هذه الدبابات مصوبة من مسافة قريبة · وقد لجأ الروس ، ايضا ، الى مجموعة كبيرة مـن أساليب الحيلـة والخداع فى الاستطلاع ، كان منها الدمى لاستجلاب نيران العدو وافتضاح مواقع مدفعيته ، والمحركات الهادرة الباعثة للضجة الشبيهة بضجة الآليات أو الآدميين ·

ومن مظاهـر التضليل ، اللجؤ الى القيام بهجمات متعددة على جبهة واسعة ، وذلـك بقصد اخفاء اتجـاه الهجوم الحقيقي ومحور التعرض الرئيسي · وهذا الأسلوب ناجح ومنتج ، لكن على شرط ان يعم المنطقة التي سينطلق منها الهجوم الحقيقي ·

فى الوقت الذي يسبق الهجوم ، يكون التضليل المتقن قابـلا للنجاح اذا لم يتقدم ساعة الصفر بوقت طويل · وكثيرا ما يقوم التضليل على أساس تحركات تظاهرية للجيوش · مثال ذلك ان يجري تحريك قوات من الخلف فى بعض الاتجاهات ، ثم ، وتحت ستار الظلام ، تُحمل هـذه القوات وتنقل الى قطاع آخر · والاستعدادات الخادعة ، التي يصار الى اجرائها فى مكان ما من الجبهة ، ثم انتقال القوات الى مكان آخر فى آخر لحظة ، لما يضلل العدو غالبا ، ويوقعه فى الخطأ ، بالنسبة الى تحديده لاتجاه الهجوم الرئيسي ·

يهدف التضليل ، اذن ، الى منع الخصم من استطاعة تكويـن رؤيـة واضحة ، صحيحة وفورية عن أوضاع الطرف الآخر · والاعداد لكـل هجوم ، يحتوي عادة على خطة خاصة بالتضليل ، تضعها أركان التشكيلة الرئيسية المكلفة بالعملية ·

والتمويه من أولى عوامل التضليل · التمويـه الممتاز يستبق كـل تحرك أو تجمع أو ترتيب ، ويستمر خلال كل اجراء من هذا النوع · تجري التحركات معظم الأحيان فى الليل · ويفضل ان لا تحتشد القوات خلف القطاع المعد لأن يكون قاعدة للشروع ، بل وراء القطاعات التي تكون نقاط انطلاق الى مهاجمات ثانوية او صورية ·

وفى المهاجمة ، يمنع اسـتعمال الأوامـر المكتوبـة وتوزيعها قبيل الهجوم ، كما ويحظر عـلى التشكيلات المشتركـة فى الهجوم ، وعـلى قياداتها ، حمل الأوامر المكتوبة المتعلقة بالعملية الجارية ، أو بغيرهـا

من العمليات الجارية فى جبهات اخرى • ويجري حشد الدبابات فى الغابات ان امكن ، او فى مخابئى معدة خصصيا لذلك ، وتكون هذه المدرعات نازلة فى بطن الأرض ، ومموهة بمهارة فائقة • والتمويه ، الذي هو فن اخفاء الاشغال والاستعدادات ، شرط رئيسي من شروط النجاح • وهو يقوم على أربعة مبادىء أساسية هي :

- التشابه ،
- التنوع ،
- الاتصال ،
- النشاطية •

يجب ان يكون التمويه طبيعيا ، مستمرا ، متصلا متتابعا ، ومتنوعا• وتعني النشاطية وجوب العمل لا على اخفاء الحقيقة فحسب ، بل وعلى خلق التوهم الملائم • والتمويه طبيعي أو اصطناعي • انه طبيعي عندما يستعمل الظلام ، وسؤ الاحوال الجوية ، والأعشاب والأراضي لاخفاء النوايا عن العدو • وهو اصطناعي ، عندما يلجأ الى وسائط مستحدثة كالدخان ، والأشجار ، والدهان • ويتحقق تمويه الأماكن والمنشئات ، والمطارات والطائرات والدبابات ، والتشكيلات الكبيرة فى المعسكرات ، بواسطة خليط من كلا النوعين من الوسائط •

وكذلك هو الحال فى التمويه الفردي ، الذي يجمع ايضا ما بين الوسائط الطبيعية والوسائط المصطنعة • ومن أهم مطالب هذا التمويه ، الضبط الصارم ، وسيطرة المقاتل على أعصابه ، فلا تدخين ، ولا أضواء ، ولا اشعال نار ، وخاصة خلال ساعات الليل •

على مستوى الجيش ، يلعب الفريق المكلف بالتمويه الميداني دورا رئيسيا فيما يتعلق بالبحث عن فنون ووسائط التمويه الميدانية ومركزية التطبيق • والمفترض ان تقوم مصالح الهندسة بأعمال التمويه وأشغالها المعقدة فى كل آن • لكن الواقع ان القوات ، فى ظروف المعركة ، تقوم بأعمال التمويه بنفسها ، ولا تلجأ الى وحدات الهندسة المختصة الا فى الحالات التي تتطلب تكنيكا معقدا ، كالحالات التي تتوخى تمويه المنشئات الخلفية ذات الصفة المزمنة • وتستعمل المياه لتمويه الجسور والعبارات ، وذلك ببنائها على نحو من ثلاثين سنتيمترا تحت سطح الماء •

وعلى العموم ، يصار الى اقامة مواضع كاذبة للمدفعية ، فى قطاعات عدة من الجبهة ، مواضع تشغل بالدمى ، ومن ثم يجري استبدال هذه الدمى ، الممثلة لآليات وأشخاص ، فيما بعد بأخرى حقيقية فى ستار الليل ، وبطريقة لا تسترعي الانتباه ولا تبعث على الشك والشبهة • ومن الوسائل المتبعة ، لتغطية تحركات القوات الى هذه المواضع ، اشاعة الاخبار الملفقة •

★ ★ ★

من الأمثلة الكثيرة ، الدالة على عظم فائدة التمويه ، وعلى المهارة فيه ، ما كان يفعله الروس السوفيات ، فى هذا المجال ، فى الحرب العالمية الثانية • ففي صيف عام ١٩٤٣ ، مثلا ، وبينما كانت الجيوش الألمانية تتأهب لمهاجمة مدينة كورسك ، أخذ الروس فى تهيئة دفاعاتهم ، ونجحوا فى تمويه مواقعهم بمهارة فائقة • لقد كانت الطائرات الألمانية،طائرات الاستطلاع ، تطير على علو منخفض ، على بضعة أمتار من الأرض ، دون أن تستطيع مشاهدة شيء غير المساحات الشاسعة القفراء • فى حين أنه كان يختبىء ، فى هذه المساحات الأرضية الفارغة بالنسبة الى طيران الألمان ورقابتهم ، عدد كبير من الألوية السوفياتية ، مع مدفعيتها وهاوناتها ودباباتها • ويعترف الألمان ، فى وثيقة وقعت بأيدي الروس، بأن طائرات الانقضاض الألمانية حلقت مرة ، ولمدة طويلة ، فوق احدى التلال ، لتعود بعد ذلك وتخبر بأنها لم تر شيئا • وكان واقع الأمر خلاف ذلك تماما • فعلى تلك التلة ذاتها ، كان يتمركز متخندقا لواء روسي بكامله • وكان تمركزه وتمويهه من المهارة والحذق ، بحيث كان يستحيل رؤيته أو الاحساس بوجوده ، حتى على بعد خمسة أمتار • وكان الألمان يظنون بأنه لم يكن للروس ، فى ذلك المكان ، أكثر من ربع القوى التي جوبهوا بها حقيقة عند قيامهم بالهجوم •

ولم تعتمد القيادة السوفياتية على التمويه البارع لخديعة الألمان فحسب ، بل انها أقامت ، علاوة على ذلك ، عددا كبيرا من المواقع الكاذبة الخادعة ، التي بلغ عددها يومئذ ما يلي :

- ١٥٠٠ خندقا وموضعا للمدفعية والرصد ،
- ٩٠٠ دبابة كاذبة تقريبا ،
- ٢٠٠ طائرة كاذبة صورية كذلك •

وزيادة على ما تقدم ، أقام الروس ثلاث مناطق كاذبة ملأى بأعداد كبيرة من المدرعات الصورية ، التي كانت تتراءى ، للمشاهد والمراقب، كقوى مدرعة جسيمة هامة ، كما وأقاموا أيضا (١٣) ثلاثة عشر مطارا كاملا • ولقد ضاع الألمان وتحيروا • وعبثا جهدوا وحاولوا النجاح ولو فى هجوم واحد فى تلك المنطقة • وفى كثير من الحالات ، كانت قذائف المدفعية الألمانية والطائرات تذهب سدى ، ضد استحكامات وانشاءات وهمية لا حقيقة لها •

★ ★ ★

يُستعمل الرمي المدفعي ، أحيانا ، لاجبار العدو على الرد بمدفعيته، كاشفا بذلك مواضعها • ثم يتحرك الرمي المدفعي ، متنقلا الى مدى أبعد ، فيظن الخصم أن الهجوم قد بدأ ، ويضطر هكذا الى معاودة الرمي المقابل ، الأمر الذي يؤدي الى الكشف عن مواضع ما بقي من مدفعيته التي لم يفتضح أمرها بعد •

والليل يستعمل غالبا لتغطية تحركات الجيوش • ويلجأ أحيانا كثيرة الى ستارات من الدخان للتحرك خلفها • كما ويلجأ الى الضجة للتشويش وخديعة الخصم • ويكون ذلك عادة بتشغيل المحركات فى الليل ، لاعطاء العدو احساسا كاذبا بتحركات قوات ميكانيكية أو غير ميكانيكية •

١٢ ـ الحيطة

الحيطة هي السلامة • أو هي الواسطة لتحقيق السلامة ، سلامة الجيش ومؤسساته ، وسلامة الوطن والمواطنين • انها الاحتياط ضد الطوارىء والمفاجئات من أي نوع كانت ، ومن جميع الاتجاهات •وانه لواجب على كل رئيس ومسئول أن لا يؤخذ أبدا على غرة ، وأن يرد بفاعلية وحزم على كل مباغته قد ينجح العدو فى تحقيقها •

والحيطة ، التي هي ، لغة ، الاحتياط للطوارىء من كل نوع ومصدر ، والتي هي ، عمليا ، عبارة عن مجموع وحاصل لعدد من التدابير والاجراءات الدفاعية والاحترازية والتحضيرية ، وكذلك نتاج لتجهيز الفرد والجماعة بالعلم والمعرفة والآلة المتقدمة • وهي كمبدأ استراتيجي وتكتيكي ، فى مقدمة المبادىء الحربية الأساسية من حيث الأهمية والأسبقية • انها البداية لكل شيء يتعلق بالمحاربة،سواء

فى حقل التفكير أو حقل الانجاز ، وسواء كذلك فى حالة التعرض فعلا الى الخطر ومواجهته ، أو فى حالة القيام على التأهب والاستعداد لكل طارىء ٠

تستدعي الحيطة ، قبل كل شيء ، معرفة بالخطر وتقديره حق قدره، وتحديدا لنوعه ومصادره واتجاهاته ، وتحضيرا للوسائل العلمية والمادية من أجل تجنبه أو مقابلته ٠ وهي ليست مقتصرة على أوقات الحرب فحسب ، بل تعم أوقات السلم والحرب معا ، وجميع الجبهات والمؤخرات ، ومختلف الأراضي والمجالات الوطنية ٠

انه لا مباغته أبدا حيث تكون الحيطة جيدة وشاملة ومستمرة دون انقطاع ٠ ولما كانت المباغته نصف الطريق الى النصر ، فالحيطة ، التي تحول دون وقوع المباغتة ، هي أيضا نصف الطريق الى النصر ، من حيث ضمانها لهذا النصف من أن لا يصير من حصة المباغتة ، فى حال نجاح الخصم بتحقيقها ٠

والحيطة نوعان :

- حيطة خارج الحرب ،
- وحيطة أثناء الحرب ٠

أ ـ الحيطة خارج الحرب : ـ

هذه الحيطة ، هي تلك المعمول بها فى الأوقات التي كانت تعرف قديما بأوقات السلم ، والتي تعرف اليوم بفترة ما بين حرب وأخرى ٠ وتتأمن هذه الحيطة ، بالتجهيز والاستعداد لرد كل اعتداء خارجي ، وذلك بالوسائل التربوية والوسائط المادية ٠

تكون الحيطةبالوسائل التربوية، باعداد العقل والنفس وتجهيزهما بالمعرفة والروحية والمعنوية ٠ والسبل الى ذلك عديدة متنوعة ، منها :

- المدارس ،
- النشر والاذاعة ،
- الرياضة ،
- النوادي والمسارح ودور العرض ،
- البيت ،
- الرحلات والأسفار التثقيفية ،
- المؤسسات الدينية ،

ـ الأعياد والحفلات القومية ٠

والغاية من كل ذلك ، تنميــة امكانيــات المواطن وشخصيته ، على اعتبار أن العمل بهذه الوسائـل والوسائط أفضل سـبيل وأضمنه الى رفع مستوى الأمــة فى كل ناحيــة ، وان رفع المستوى العقلي والخلقي يجعل الناس أكثر استعدادا وقابلية على معالجة الأمور الحياتية بنجاح وواقعية ٠ ويجب أن يستمر العمل على رفع هذا المستوى ، حتى يعـلو ويتفوق ويظل متفوقا على المستوى الذي يكون عليه الأعداء المعروفون والمحتملون ٠

يدخل فى عداد المدارس،جميع المعاهد العلمية والمهنية والتكنولوجية، الهادفة الى تزويد المواطنين بالمعرفة القوية فى مختلف المجالات المفيدة ، وجعلهم قادرين على مواجهة مطالب الحياة العصرية المتزايدة واستعمال أدواتها الآلية المختلفة ، هذه الأدوات التي يجب أن تكون نتاجا لصناعة وطنية ، فلا تُشترى من الخارج ، ولا تكون بهذا سببا فى ذهاب الثروة القومية الى خارج البلاد،كما ولا تكون واسطة الى ضغط سياسي تمارسه الدول المنتجة على حساب المصالح الوطنية ٠

هذا النوع من الحيطة ، هو حرب على الجهل وعدم الاستطاعة٠وهو عــام شامــل ، فــلا يقتصر على العسكريــة فحسب ، بــل يعم جميع صفوف الشعب وميادين نشاطه ، تعميما يعود حتما بالنفع الكبير على العسكرية ، ويساهم عظيما فى جعل هذه المؤسسة الحيوية قوية وقــادرة على معالجة كل طارىء ٠

كان ما تقدم ملخصا للحيطة بالوسائل التربوية٠أما الحيطة بالوسائل المادية ، فــهي الاستخدام والاستعــانة بجميــع الوســائط والأدوات والتجهيزات ، وبمختلف التشاريع والتنظيمات والاجراءات ، مدنيــة وعسكرية ، الآيلة الى تمكين الأمة من استطاعة الوقوف بنجاح فى وجه كل عدوان تتعرض له ٠ والوسائل المادية :

ـ سلبية ،

وايجابية ٠

يتألف الــنوع السلبي مــن جميع التدابير والمنشئــات الوقائيــة ، كمتطلبات الدفاع السلبي مثلا،وكتوفير الطبابة والأغذية والمستودعات فى أماكن حصينة مضمونة ٠ ويتألف النوع الايجابي من كافة الوسائل

المادية والبشرية التي تم اعدادها وتجهيزها ، والتي تمكن من الرد على الاعتداء ايجابيا بالقوة ، فى جميع الميادين والساحات ·

ب ـ الحيطة أثناء الحرب : ـ

تتألف تدابير الحيطة أثناء الحرب من قسمين :

١ ـ الحيطة فى المؤخرات ،

٢ ـ والحيطة أثناء القتال ·

١ ـ الحيطة فى المؤخرات : ـ

هذه الحيطة ، هي تطبيق واستخدام لكل ما تم اعداده وتحضيره خارج أوقات الحرب الفعلية ، من اجراءات وتدابير سلبية وايجابية · العمود الفقري ، فى هذه الحيطة ، هو الدفاع الأرضي والجوي ضد الطيران المعادي ، وما يتطلبه هذا الدفاع ، بالاضافة الى الأسلحة والتجهيزات والعتاد ، من ملاجيء ومستشفيات ومستودعات · وتدخل ضمن هذه الحيطة ، الاجراءات الوقائية ضد الأسلحة النووية والغازية والجرثومية ·

٢ ـ الحيطة أثناء القتال : ـ

هذه الحيطة نوعان :

أ ـ الحيطة فى قتال الحركة ،

ب ـ والحيطة فى قتال المدافعة ·

أ ـ الحيطة فى قتال الحركة : ـ

لكي لا يتعرض المسير فى طلب العدو الى كارثة ، يجب لذلك أن تتخذ جميع التدابير اللازمة لتأمين السلامة والوقاية ، على جميع الجوانب والاتجاهات ، وبصورة مستمرة متواصلة · والحيطة فى الحركة ثلاثة أنواع :

ـ حيطة بالتعبئة ،

ـ وحيطة بالتصرف والحركة ،

ـ وحيطة بالاستعلام ·

الحيطة بالتعبئة : ـ

أي بترتيب ومسير الوحدات العضوية الداخلة فى تركيب التشكيلة

المقاتلة المتحركـة · هذه التعبئـة لأغراض الحيطـة ، تتحقق بتغطية التشكيلة المتحركـة من جميـع النواحي ، وذلـك بطـلائع ومجنبـات ومؤخرات ومظلات · هذه التغطيات ، بدورهـا ، تقوم بتغطية نفسها من جـميع الجهـات كذلك ، وبالبحث عـن العدو بواسـطة الكشافـة والدوريات · يضاف الى ذلك التغطية التي تقدمها طائرات الاستطلاع، ومفارز الكشف المتقدمـة السريعة الحركـة ، التي قوامها الدراجات والمصفحات والدبابات الخفيفة ·

ومن متطلبات الحيطة بالتعبئة (١) ، عند الحركة ، الانتظام المستمر المتماسك للتشكيلة المتحركـة بقصد القتال · والمعني بهذا الانتظام ، أن تؤلف أجزاء التشكيلة ووحداتها العضوية المتنوعة ، ما بين الرأس ونهاية المؤخرة ، وبالنسبة الى مجموع القوى المتحركة ، وبين الخطوط الصديقة المجتازة ، جريانا متواصلا أو كلاّ متسلسـلا منسابـا بيسر وانسجام ودون انقطـاع · يجب أن لا تـكون فى هذا الكل ثغرة مهما صغرت ، حتى لا يتمكن العدو من التسلل منها والتمركز على مؤخرات الوحدات المتقدمة ، فيقطعها بذلك عن مواصلاتها وتموينها ، ويعزلها بالتالي بقصد أن يخرجها من حلبة الصراع ·

يشكل رتل المسير (أو الحركة) ترتيبا متماسكا متسلسلا ، جاهزا للرد الفوري على كل هجوم للعدو، وخاصة على الأجنحة، وجاهزا كذلك لتوسيع منطقة العمل على محور التقدم ، ولدعم تقدم رأس الحربـة ، التي هي الطليعة لرأس الرتل ، وذلك بعمليات جانبية · وعندما يتطلب الموقف تكليف بعض أجزاء الرتل بعملية انغلاق للقضـاء على مقاومة معادية مجتازة ، فـمن الأحسن والأفضل ، لسلامـة الرتل كله ونجاح مهمته ، أن يكلف بذلك بعض أجزاء رأس الرتل · أما اذا عهد بعملية الانغلاق تلك الى بعض عناصر الرتل الأخرى ، من الموجة الثانية (٢) مـثلا ، فسيحدث فى الرتل فراغ يتمركز فيه الـعدو ، ويقـطع بذلك

---

(١) التعبئة ، للتذكير ، هي ترتيب العناصر الداخلة في تاليف التشكيلة بقصد القتال·· وهي ايضا تعبير يشير الى حقل العمليات الوسطي ما بين الحقل الاستراتيجي وحقل التكتيك ·

(٢) المنزلة ، او الوجة ، ونعني بها مكان الترتيب في الرتل او النسق ، وتقابلهـا باللغة الاجنبية كلمة Echelon

العناصر المتقدمة ويعزلها عن العناصر الخلفية ·

الحيطة بالتصرف والحركة : ـ

تساهم الحركة المتواصلة فى تدعيم الحيطة وتقويتها ، بحيث انها تجعل الخصم عاجزا عن القيام بالرد الملائم ضد مهاجم لا يثبت فى مكان، والذي يـُعرّض ، بتقدم عناصره الرئيسية ، الى الخطر وضع وسلامة القوات المعادية ، التي تكون فى سياق الاستعداد للهجوم المعاكس ·

قديما ، كان التوقف عند نهاية كل قفزة ، أي عند نهاية كل مرحلة أو حركة انتقال من قاعدة انطلاق الى قاعدة تالية ، كان هذا التوقف يعتبر واجبا مقدسا ، وينظر اليه على انه تدبير يزيد فى القوة والمناعة وازدياد الحيطة · لكن هذه القاعدة قد بطلت اليوم ، وصارت الحركة الدائبة الفعالة اليقظة ، التي تهدد سلامة العدو باستمرار ، صارت أحسن واسطة الى توفير الحيطة المطلوبة بصورة كافية ، لكن على شرط أن تكون مواصلة فى الحركة، وأن تظل تعبئة الرتل متماسكة، متسلسلة متصلة ، كالحلقات المترابطة فى السلسلة الواحدة ·

وبديهي أنه لا بد من توقف آخر الآمر · لكن متى يكون هذا التوقف؟ يكون التوقف ضروريا ، عندما لا تبقى قوات حرة غير مرتبطة لتقوم بمتابعة التقدم ، وعندما تنقص المشاة أو سواها من الصنوف اللازمة لاستمرار الاتصال والتماسك بين الرأس وقاعدة الانطلاق · ويجب التوقف ، أيضا ، لضرورات اللوجستيك ، أو للحاجة الى اجراء تعديل على الخطة ، خاصة فى نطاق التعبئة والأهداف ، عقب احتلال نقطة هامة تكون خسارتها للعدو مدعاة الى تثبيط عزيمته ، والى صرفه بفعل ذلك عن التفاعل والرد بصورة آمنة ومثمرة ·

فى سياق الحركة ، تتطور المواقف بسرعة ، بحيث تكون التعبئة السليمة وحدها التي تعطي الحيطة اللازمة للمناورة التعرضية · والسرعة عامل هام فى الحركة وفى الحيطة · والسرعة هي اليوم من مميزات الأسلحة الآلية ومعطياتها الأولية · الا أن باستطاعة المشاة دوما أن تتحرك بالسرعة المفيدة ، وذلك بأن تواصل التقدم دون توقف، وأن تكون سرعة تقدمها كافية لمواجهة تفاعلات العدو فى حينها · ان المشاة ، فى مثل هذه الحالة ، تعمل وفق المثل القائل : « لا فائدة من

الركض فى غير أوانه، بل الفائدة هي بالحركة فىالوقت اللازم والظرف الملائم » ٠

ومما يزيد فى عامل الحيطة ، أثناء الحركة ، التقدم على المرتفعات، لأن مثل هذا التقدم المتدرج المضطرد يشكل خطرا على العدو ، لكونه يزيد فى قدرة صاحبه واستطاعته على الاشراف والمنظر البعيد ، ولما يلقاه العدو من صعوبة كبيرة عند رده المعاكس ، بالهجوم صعودا على المنحدرات وجوانب المرتفعات ٠

يدرس الآمر، قبل كل شيء، مسؤوليته بالنسبة الى المهمة التي تلقاها، والى المعلومات المتوفرة لديه عن امكانات العدو وأوضاعه ، والى جميع الفرضيات المختلفة ، المحتملة والمعقولة ٠ وبعد هذه الدراسة ، يأخذ فيقدر نوع وماهية التدابير الواجب عليه أن يتخذها لتأمين حيطته ، وذلك بالاضافة الى التدابير المعتادة ، المتخذة أثناء المسير تلقائيا كعادة روتينية وتدبير دائم ٠ كما وعليه أن يوجه عناصر وأجهزةالاستطلاع، ويسيرها على المحاور والاتجاهات التي تسمح بالكشف على نقاط الأرض الجديرة بالتحري والاهتمام ٠

وعلى الآمر ، بعد أن يتخذ قراره بنوع التعبئة التي ستنتظم عليها قواته ، أن يظل حافظا فى ذاكرته ومخيلته ان المشاة، فى الحركة، تكون شديدة الحساسية لتفاعلات العدو العنيفة ، وخاصة الدبابات والسيارات المصفحة ٠ وأكثر ما تكون هذه الحساسية بروزا وخطورة فى الجوانب ٠

الحيطة بالاستعلام

المعرفة بأحوال العدو وأوضاعه ، من أولى المتطلبات للحيطة القوية الصحيحة ٠ والمعلومات المطلوبة فى قتال الحركة ، هي تلك الحاصلة بنتيجة التماس والالتحام مع قوات العدو، وكذلك المعلومات التي تؤخذ من الأسرى ، وتلك التي تحصل عليها عناصر الكشف والاستطلاع والمراقبة٠ لكن لا فائدة من كل هذه المعلومات، ولا هي تساهم فىتدابير الحيطة وتأمين السلامة ، ما لم تعمم ويجر استغلالها حالا ، وما لم ترسل بصورة خاصة الى التشكيلات المجاورة المكلفة بتغطية الجوانب ٠ يجب استغلال المعلومات الحاصلة حالا وبسرعة، لأنها فىجوهرها كثيرة التغير

والتبديل ، فلا تثبت على حال ومكان زمنا طويلا ·

يطلب من عناصر التماس أن تسعى وتتوصل الى معرفة ما يلي :

ـ النقاط التي بلغتها العناصر الصديقة المتقدمة ،
ـ النقاط المشغولة بالعدو ،
ـ كل وجود للمعدات المدرعة والمدافع الدفعذاتية ،
ـ كل وجود للألغام الدرعية والشخصية ،
ـ التدميرات الحاصلة على طرق المسير ·

ويطلب من الأسرى :

ـ تعريف التشكيلات المعادية (هوياتها) ،
ـ التعريف بأعداد وتسليح هذه التشكيلات، وتعبئتها وخسائرها،
ـ معدات العدو المدرعة ، ومدفعيته الدفعذاتية ،
ـ حقول الألغام ، أنواعها ، ومواقعها ،
ـ مسالك التموين والتبديل ،
ـ الأوامر الأخيرة الصادرة قبل الأسر ·

أما المعلومات المطلوبة من عناصر الرصد والمراقبة ، فهي نفس المعلومات المطلوبة من عناصر التماس ، بالاضافة الى المعلومات التالية:

ـ النقاط التي بلغتها التشكيلات الصديقة المجاورة ،
ـ حركات العدو ،
ـ نشاطات العدو فى المدفعية والهاون ·

ب ـ الحيطة فى قتال المدافعة

فى قتال المدافعة ، تتأمن الحيطة :

ـ بالتعبئة ،
ـ وبالاستعلام ·

بصورة عامة ، يعمل بقتال المدافعة عند كل توقف ، سواء لأن القوات قد تعبت وصارت بحاجة الى اعادة تنظيمها ، أو لأن الاحتياط لم يعد كافيا لتأمين استمرار حاجات الدفع الى الامام ، أو لأن الموقف قد اقتضى العدول عن التعرض الى المدافعة ·

والتوقف الذي يلي الحركة مباشرة يحتاج الى تدابير حيطة شديدة· ذلك لأن هجوما معاكسا يقوم به العدو فى تلك اللحظة ، يكون قابلا لأن

يعرض الى خسارة المكتسبات الحاصلة كلها، فى حال حدوث أقل نقص أو تهاون فى تدابير الأمن والسلامة • ولهـذا يقتضي أن تتخـذ القوات المتوقفة ، رغم تعبها ونواقصها ، جميع الاحتياطات اللازمـة لسلامتها والحفاظ على نفسها من كل مفاجأة •

ومهما يكن السبب الداعي الى التوقف ، فالقتال بالمدافعـة واحد فى جميع الحالات ، وتبنى تدابير الحيطة فيه عـلى أساس جهاز المحطـات الأمامية ، وعلى تعبئة القوات أو ترتيبها وتوزيعها الى منازل متتابعة ، أولى وثانية وثالثة وهلم جرا • واذا كان الجناح مكشوفا، فيجب تغطيته بنفس الترتيبات المتخذة لتغطية الرأس والمقدمة والمؤخرة • والحيطة بالاستعلام ، فى حال التوقف ، تقوم على حاصل المعلومـات المتأتية عن طريق الكشافة والمراصد والمراقب، وعن الدوريات وطائرات الاستطلاع والتجسس •

١٣ ــ البساطة

البساطة هي التصرف والعمـل دون تكليف أو تعقيـد • ويجب أن تكون البساطة ميزة حقيقية فى مختلف نواحي الحياة العسكرية ، وان تعم بمتطلباتها الانسان المقاتل ، والسلاح المادة أداة القتال ، وأساليب التحضير والاعداد والتجهيز ، وطراز المعيشة والحياة اليومية •

والبساطة وضوح ودقة ، وخـلو من الحشـو والتطويل ، وايجـاز وسهولة تفهم لما يكتب ويقال ، وانسانية خلوقـة راقية ، وسلوك نبيل مهذب لدى القادة والضباط والأفراد ، فى تصرفاتهم فى العمل وخارجه •

وللبساطة ، لغرض التحديد ، مجالان :

أ ــ مجال الاعداد للقتال ،

ب ــ ومجال القتال •

أ ــ مجال الاعداد للقتال

تكون البساطة ، فى مجال الاعداد للقتال ، فى :

- ــ التفكير والتصميم ،
- ــ التنظيم واللباس والتجهيز ،
- ــ التدريب فى جميع مراحله ،
- ــ العادات والتقاليد العسكرية ،

ـ المعيشة اليومية الروتينية ·

البساطة ، فى المسكن والملبس والمعيشة اليوميــة للضباط ومختلف الرتباء ، تكون واسطة وسبيلا مضمونـــا الى قيــام الأخــوة العسكرية الصحيحة ، والى التعاون المخلص المتبــادل فى سبيــل الــواجب والقوم وعصبية الجيش والوحدة · هذه البساطة من شأنها أن تحول دون قيام فروقات غير معقولة بين الأفراد والرتباء والضباط ، بحيث لا يكون مجال لأن ينظر الجنود الىضباطهم ورؤسائهم وكأنهم محظوظون مترفون يعيشون ويعاملون كطبقة متميزة ، ولا لأن يُعامــل المرؤوسون معاملة تحط من قدرهم وكراماتهم ، وذلك بــدلا مــن مواطنين متســاوين فى الحقوق والواجبات ، كل فرد فى حدود قدرته ولياقته ·

والبساطة فى اللباس والتجهيز، وفى اللغةوالتعابير المسلكية، تساعد على تحبيب الحياة العسكرية وتسهيلها ، وعلى قيام عسكرية دمقراطية لا طبقية فيها ، ولا أسياد ومسودين · والبســاطة فى التجهيز ، بصورة خاصة ، أمر علىجانب عظيم من الأهميــة ، اذ أنــه كلما كان التجهيز بسيطا ، كلما كان سهل الاستعمال ، ميسور الصيانة والادامــة ، وكان لذلك قابلا لأن يخدم مدة طويلة·

ب ـ مجال القتال

البساطة ، فى مجال القتال ، تقتصر رئيسيا على الخطط والأوامر · وهي فى هذا المجال تعني وضع خــطط بسيطــة غيــر معقدة ، واعطاء الأوامر بلغة سهلة موجزة قابلة للاستظهار بسرعــة ، والابتعــاد كلما أمكن عن الكتابة والورقية · والبســاطة فى القتــال تعني السرعــة ، والسرعة هي كل شيء فى المعركة · فالسرعة هي الوقت المكتسب ، وهى عدم التردد والتباطؤ فى تنفيذ الأوامر والقيام بالمهام والواجبات · وهي أخيرا ، لا آخرا ، الامساك بالفرصة الطارئة السانحة والاستفادة منها قبل فوات الأوان ·

الأوامر المعقدة ، فى كل ظرف وزمن ، لا تصلح كواسطة الى الاتصال والتفاهم والتعبير السهل السريع المفهوم عن رغبات الآمر ونواياه · وكذلك هو الحال فى التطويل · ومن ميزات المحاربة المعاصرة ، السرعة الكلية التي لا تتماشى مع التطويل ، ولا مع الأوامــر الكتابيــة · ولذا

يجب أن تقتصر الكتابة على الضروري الذي لا بد منه ، وأن يستعاض عنها بالمخاطبة المباشرة كلما كان ذلك ممكنا ، على أن تسجل هذه الأوامر الشفهية فور اعطائها ، فى جهاز التسجيل الالكتروني المصاحب للآمر فى جميع حركاته وخطواته، وذلك لتفادي كل تهرب أو سوء تفاهم قد يقع عند التنفيذ ٠

الفصل السـابع عشر

مستلزمات الحيطة

التنبؤ ـ الاستعلام ـ الاستطلاع ـ الاعداد ـ التمرين ـ التـدارك والاحتيـاط

١ ـ التنبؤ

يلعب التنبؤ دورا هاما فى الشؤون العسكرية• وهو يقوم على قاعدة حساب النسبة فى القوى المتقابلة ، حساب يجـري على أساس المعطيات الآنية القائمة ، معطيات الساعة ، وعلى تصور مـا قد تكون عليه هذه المعطيات فى المستقبل المباشر، وكل ذلك اعتمادا على المعلومات المتوفرة•

ان طاقة قوات العدو ، والنتائج المحتمـل الحصول عليهـا من جراء استعمال هذه القوات ، كلها عناصر تظل دوما موضوعا لتقييم مستمـر متواصل ، دون تراخ ، وطبعا دون اهمال لتقييم القوى الخاصة• وعلى القائد أن يحترس فى نظرته الى هذا التقييم ، فلا يذهب حتى الاعتقاد بأنه قد توصل الى معرفة كل نوايا العدو، ويهمل بالتالي بقية الاحتمالات الأخرى للعمل ، الاحتمالات التي تظل مفتوحة •

ليس القائد منفذا فحسب • بل عليه ان يكون دائما مستعدا للتنبؤ بجريان الحوادث • هذه الأهبة ، عندما يجري تطبيقها بنجاح ، تشكل أولى ميزات فن القيادة فى الظروف المعاصرة• انه لمن أعظم الضروريات، فى العمليات الحركية ، ان تكون لـدى الآمر القدرة على التنبؤ بسياق الحوادث وجريـان المعركـة ، بسرعة وقبل حدوثها بوقت كاف • هذه الاعتبارات ضرورة ماسة ، وخاصة فى الحالات التي تكون فيها للقائـد حرية الاختيار والتقريـر ، والتي تفرض عليه وحـده وضع الخطـة وتنفيذها •

مراحل العملية الهجومية عديدة · وهي مراحـل تكـون خطوطها الكبرى قد سبق تعيينها عند التحضير للعملية · وتظل هـذه الخطوط قابلة للتعديل والتغيير خلال التنفيذ ، تبعا للموقف الظرفي وتفاعلات الخصم · ولهذا كانت الحاجة حيوية ماسة ، فى نطاق كـل مرحلة ، الى عملية تنبؤ ، أي الى مقدار كاف من التوقع والتخمين والتدارك ، ومن تحديد للشروط التي يتم بموجبها المرور الى المرحلة التالية · وكذلك ، ولكي يختصر الوقت الفاصل ما بين عمليتين ، يجب على كل قائد جبهة، على الدوام ، ان يكون قادرا على التنبؤ بالحوادث قبل وقوعها ، وعلى اتخاذ التدابير اللازمة لكي يمكن تنفيذ المرحلة التالية دون تأخير حال الطلب ·

والاصرار ، فى مجـال التطبيق ، على مبدأ التنبؤ ، يعني ، بوجـه خاص ، انـه يجب ان تقوم الخطة على تقديـر صائب للموقف · ان تصميم العمليات وتنظيمها لا يقوم على أساس المعلومات الحاصلة قبل الشروع فحسب ، بـل وايضـا على التنبؤ والتدارك خـلال جريـان الحوادث · هذا التنبؤ وما يتبعه مـن تدارك ومعالجة يبنى ، بدوره ، ويجري على أساس من الدرس والتحليل والاحتمالات القائمة فى وجه القوات الصديقة ، وعلى أسـاس التفاعلات المحتمل وقوعها مـن قبل العدو · كل هذه التقديرات والتقييمات تشكل المرجع الذي يستند عليه الآمر فى تحديده لنقاط المقاومة المعادية المحتملة ، ولو كـان ذلـك فى حدود ومعالم عامة ، وفى تقييمه لهذه النقاط ما بين الحديـن الأدنى والأعلى ·

لكن على القائد ان لا يعتمد على التنبؤ والتدارك لوحدهما فحسب، حتى ولـو تراءى ذلـك الاعتماد مبنيا على أساس متين مـن المعلومات والتحليل · بل يجب ان يظل ماثلا أمام عينيه شبح الطارىء غير المتوقع، وكذلك أشباح الأخطار التي تصاحب التحدي والمجازفة ·

فالصدفة ، والطارئة اللامسيرة ، والطارئة التي يمكن تسييرها لكن ثم لا سيطرة عليها ، كلها تشكل منذ الأزل مصدرا للقلق والانزعـاج لدى الاستراتيجيين · والسلامة ، الى حد ما ، هي القضاء حسابيا على عامل الصدفة والحيلولة دون وقوعـه · الا ان استحالـة حساب نتائج الصدف ، واستحالة التنبؤ بها بصورة معقولة صحيحة،واستحالة التوصل

الى تعديل الأثر لهذه النتائج ، هذه الاستحالة تجعل مـن مجرد الصدفة مجهولا مقلقا مخيفا ٠

وللتخلص من أخطار هذا المجهول ، لا بد من تحقيق حسبان صادق للنسبة فى القوى ، ومن قـدرة واستطاعـة على العلم بأحـوال الخصم بصورة دقيقة مستمرة وصحيحة ٠ وكذلك لا بد من الاصابـة فى تعيين الاتجاه لخط المجهود الرئيسي للعدو ، وعـدم ترك هـذا الأمر الحيوي الخطر للصدف والتقادير ٠ وفى عامـل الصدفة يمكن ان يدخـل عامل الحظ وعامل المجازفة ٠ او يمكن اعتبار عامل الحظ ، وعامل المجازفة ، بالاضافة الى عامل الصدفة ، من العوامل التي تدخل فى تكوين المجهول ، هذا المجهول الذي يجهد كـل قائد حريص ، وكـل استراتيجي جيد فى التحسب له ، وفى التوقع لمواجهته ٠

وكما يقتضي ان نحتسب لعامـل الصدفـة ، يجب ايضا ان نتحسب لتحديات العدو ، وان نتوقعها ونخشاهـا ، ونقيم دومـا على استعداد لمقابلتها ٠ واذا نحن أهملنا حساب الموقف بصورة حكيمة ، موضوعية ودقيقة ، ووضعنا الخطط ونحن على مثل هذا الاهمال ، الخطط التي تكون قابلة للتطور والتعديل طيلة مراحل القتال ، اذا نحن فعلنا ذلك ، وطبقنا مثل هذه الخطط حتى النهاية ، فانا عندئذ معرضون الى الخطر العظيم عند كل خطوة ، والى ان يسوقنا العدو ، على غير علم منا ، الى سلسلة من الأعمال التي مـن شأنها ان تعدل فى نسب القوى لصالحه ٠ وهناك اجماع على القول بـأن فقدان المبادرة ، والنقص فى الحيويـة والنشاط والضراوة القتالية هي عوامل فعالة تجيز للعدو ان يجتاز الى حالة التفوق ، فى حين يتحول الطرف الآخر الى حالة التابع ، حالة الطرف الذي لا حول له ولا عمل سوى مواجهة الضربات الواقعة عليه ودرئها ٠

ونظرا لما قد يخبئه المستقبل فى طياته مـن مفاجئات ، لذا فكل خطة انتشار للجيش ، أي دراسة وتعيين نقاط انطلاق التعرض ، ولو جرى ذلك قبل اندلاع الحرب ، يجب ان تحتوي على أقصى ما يستطاع مـن التبصر والفطنة ، ومن العمومية والمرونة والايجابية ٠ ذلك لأنـه فى وقت السلم ، عندما تكون الأعمال العدائية بعيدة الوقوع ، يستحيل ان تأتي الخطة كاملة وحاوية لجميع التفاصيل والتوقعات ٠ اما فى الحرب ، ومنذ ابتداء المراحل الأولى مـن القتال ، فالحقيقة والواقـع يفرضان

التصحيحات والتعديلات بشكل مستمر متواصل · لهذه الأسباب كان من الواجب ان تعد الخطة الاستراتيجية بصورة مرنة ، بحيث تكون قابلة للتكيف بسرعة وسهولة مع الظروف ·

٢ ـ الاستعلام

للاستعلام أهمية حيوية بالغة الخطورة · وتنبعث هذه الأهمية من مفاهيم ومرامي الحقائق التالية :

ـ من أجل ربح معركة واحدة ، يستدعي الأمر عدة فيالق من الجيش · ولكن من أجل الحيلولة دون النصر ، يكفي ان يكون للعدو بضع جواسيس بالقرب منأركان الجيش ، او من قيادة الفيلق او قيادة الفرقة ··

ـ ومن أجل بناء جسر كبير للسيارات ، أو للقطارات ، يقتضي عدة آلاف من العمال والمهندسين · ولكن لتدمير هذا الجسر نفسه ، يكفي لذلك فقط بعض المخربين ·

ان جميع المعلومات ، ذات الطابع العسكري المحض ، تتجمع فى مكتب مركزي يعرف « بالمكتب الرئيسي للاستعلام » ، أو « شعبة الاستعلامات العامة » ، ويرتبط برئاسة الأركان · وليس لهذا المكتب علاقة او ارتباط بمصلحة مقاومة التجسس ، التي هي غير الاستعلام المعاكس · هذه المصلحة الأخيرة هي عسكرية صرفة ، ويقتصر عملها على مقاومة جهود العدو فى الاستعلام عن قواتنا العاملة فى الميدان ·

والمعلومات العسكرية ، ذات الطابع العملياتي ، تكون عنوانا للتحري والبحث والاستقصاء باستمرار ودون انقطاع او توقف · ومن مهام الاستعلامات ، وواجباتها الأساسية ، الكشف عن كل ميزة وكل تفوق للعدو ، وعن كل حركة او مناورة له حال شروعه بها ، ان لم يكن فور الانتهاء من وضعها وتصميمها ·

لا يكفي التوصل الى معرفة ترتيبات العدو التعبوية والتكتيكية ونشاطه على الجبهة فحسب ، بل ويجب معرفة كل شيئى عن الحالة داخل مواضعه وضمن تشكيلاته ، وعن أوضاع احتياطه القريب والبعيد · ولا يقتصر الأمر فى تحقيق هذه المعرفة فقط على الدراسة البعيدة عن

مواقع الأحداث ، بل يجب ان تصاحب دومـا بالتحليل القريب المتتبع لأقل تغيير فى تجمعات العدو وترتيباتـه ، ولكـل الأفضليات والميزات التي قد تتمتع بها قواته ٠

ويجب التوصل أيضا ، على أساس ما تقدم ، الى الكشف عن خطط العدو ونواياه ٠ انه لمن الأهمية البالغة ، خلال هذه العمليات ، وطول الوقت . ان تظل الأنظار والحواس موجهة مسلطة على احتياط العدو ، وعلى الطـرق المحتمل ان يسـلكها فى حـركته للدخـول الى منطقـة العمليات ٠

واختصارا ، نقول ان واجب القادة وأركانهم ، عندما يضعون برامج أعمالهم ، هـو ان لا يهملوا شـيئا مهمـا كـان صغيرا ، وان يتوقعوا ويحتاطوا ويستدركوا حتى لأقل العوامل المحتمل ان تؤثر بشكل ما ، فى اتجاه او بآخر ، على سير المعركـة ، وعلى سير القتال بصورة عامـة شاملة ، وعلى سير الحرب ومصيرها ٠ والقائد مـن أي مرتبة كـان ، ملزم بأن يسعى دوما ، وقبل كـل شيئى ، ليحصل على سـيل متواصل مستمر من المعلومات ٠

٣ ـ الاستعلام فى القتال

يجري تطلب الاستعلام فى القتال ، وتحقيقه فى ثلاث مجالات :

ـ المجال الاستراتيجي ،

ـ المجال العملياتي (التعبوي) ،

ـ المجال التكتيكي ٠

ومهما نقل ونـذكّر بأهمية الاسـتعلام ، فلن نفيه حقه مـن حيث الضرورة والحيوية ، ومن حيث لزوم تحصيله ووصوله كسيل عظيم ، متواصل مستمر ، لا ينقطع ، ولا يتوقف ، ومن جميع المجالات ٠

فلا خطة صحيحة وسليمة بلا معلومـات لتبنى عليها ٠ ولا تحديد فى توقيت الاستعلام ٠ فالمعلومات هي بمثابة العيون والآذان لكل آمر ، ولا يمكن اغلاق هذه الحواس فى المحاربة ، ولا تشغيلها وفقا لميقات ، فتارة تشتغل ، وتـارة تستريـح ٠ والاسـتعلام فى القتال ، أي الاسـتعلام التكتيكي ، يجري بواسطة الاستطلاع ، قبل بدء المعركة وأثناءها ، وفى الحركة وخلال التوقف على حد سواء ٠

جميع الصنوف ملزمة بجمع المعلومات ، وبالاستطلاع فى المعركة • ولا يستطيع الآمر ، أيا كان ، ان يختبىء وراء رئيسه لتبرير خطأ أو اهمال • وعلى كل آمر ان يستطلع أنباء العدو والأرض والأهداف بواسطة عناصره الخاصة ، دون الاعتماد على الآخرين خارجا عن حدود التعاون والتنسيق وتبادل المعلومات • وعلى هذا الأساس ، يكون هنالك :

- استطلاع المستويات العليا ،
- استطلاع المستويات الدنيا ،
- استطلاع كل آمر لمصلحته •

ومهمة الاستطلاع ثلاثية الاتجاه ، غايتها توضيح الموقف وتحديده بخصوص :

- العدو ،
- الأرض ،
- السكان المحليين •

يجري الاستطلاع عن العدو بوسائل عدة ، أهمها الاستطلاع بالقوة، أي بواسطة الدوريات والغارات ، وكلها تتوخى الكشف عن أحوال الخصم ، والوقوف على حقيقة أوضاعه ، والعودة بما يمكن من الأسرى والعتاد • ويجري استطلاع الأرض والسكان المحليين ، بواسطة العناصر المكلفة بالاستعلام فى قيادة كل تشكيلة •

الفصل الثامن عشر

اعداد الخطة والقوات ـ التدارك

١ ـ المراد بالاعـداد تحضير الخطة المبنية على التنبؤ والاستنتاج والتدارك ، والمدعومة بالمعلومات الحديثة الصحيحة ، وبالتيقظ اللازم لمواجهة الطوارىء • ويكون الاعداد :

ـ سياسيا ، بما فى ذلك المعنوية ،
ـ اقتصاديا ،
ـ صناعيا ،
ـ عسكريا •

المعركة ، كل معركة ، لا تبدأ الا بعد ان تتوفر لها جميع الضمانات والوسائط اللازمة • وفيما يتعلق بالمعدات ، يستحسن ان يجري صنعها على أساس المقياس الموحد ، وان يكون تبادل ما بين قطع الغيار ، وان تقوم صناعتها على أكثر مـا يمكن مـن المرونـة والبساطـة • ويجب الاكتفاء بالحد الأدنى من النماذج ، فى السيارات والدبابات والطائرات• وفى وقت السلم ، تصنع الجرارة الزراعيـة على نفس الهيكل الصالـح للدبابة وللمدفعية الدفعذاتية •

٢ ـ اعداد القوات

اعداد القوات فرض وواجب • انه التعليم والتمرين ، والاستمرار على تحسين قابلية الأفـراد والرتبـاء والضباط • ان واجب الجيش اليومي هو تحسين مقدرته الذاتية ، وقيمته القتالية •• وهو الدرس ، دون توقف ، وبصورة واعية متعمقة ، لتكتيك العدو وأساليبه •• وهو الكشف ، بمهارة وفى اللحظة المرغوبة المفيدة ، عـن نوايا هذا العدو ، ومقابلة تكتيكه بتكتيك أفضل •

وفى أوقات السلم والحرب معا ، تكـون تجـارب الحروب والمعارك السابقة قاعدة للاعداد والتمرين • تدرس كـل معركـة ، ويستخلص الدرس والعبرة منها ، ويكشف ، بوجه خاص ، عما فيها من سلوك مثالي للمحاربين ، ومن مهارة وتفوق للقادة وللضباط الآخرين •

المبدأ المسير فى التمرين ، هو تعليم الجنود ماذا يعملون فى الحرب ، وكيف يعملون ، واتقان هذا التعليم ، والوصول به حتى يصير فى المقاتل كالفطرة الغريزية المتأصلة • وعلى أساس هذا المبدأ ، تقوم المدارس والمعاهد والمعسـكرات والمناورات والتماريـن اليومية ، وعليه تبنى وتحضر جميع المناهج والبرامج التمرينية • ويجب ان يعد كل تمرين ، وان يجري فى ظروف وشروط تكون أقرب ما يكون من ظروف الحقيقة وشروطها •

أثناء الحرب ، يتابع تمرين القوات بشدة وحزم ، فى كـل وقت لا تشترك فيه فى القتال • ويتعاظم التمريـن شدة قبل الشروع فى كـل عملية • وتستعمل المرحلة الأولى من كـل عملية تعرض لتعليم القوات وتدريبها على القيام تماما بالمهام التي تكون على وشك ان تلقى على عاتقها خلال العمليات القادمة ، ولو كان ذلك قبل سويعات محدودة •

وفى غضون دراسة خطة الهجوم وتحضيرها ، تقوم الأركان باعداد مجموعة مـن الصفحات الخططية المتنوعـة ، تـوقعا وتداركـا لجميع الاحتمالات التي قد تطرأ خلال القيام بالتنفيذ • كل صفحة من هـذه الصفحات ، تشكل خطة كاملة للتنفيذ عند وقوع طارىء معين • ومن المفيد جدا ان تُستبق كـل عملية هجوم ، بعملية تمريـن على نموذج حقيقي على الأرض، أو على مجسَّم مصغر للهدف او لمنطقة الهدف التي ستكون غـرضا للهجوم الحقيقي • يُعاد مثل هـذا التمرين ، ويتكرر مرارا الى ان تصير التشكيلات المشتركـة فى العملية قـادرة على تنفيذ الهجوم المنتظر باتقان ومعرفة وعفوية •

فى أوقات السلم ، يجري الجمع بين النظرية والتطبيق ، أي يكـون الاعداد مزيجا من التعليم والدرس والتمرين • وللتمريـن العملياتي أربعة أشكال هي :

ـ المحاضرات والدرس ،

ـ دراسة الخرائط ،
ـ التمارين على المحاربة ،
ـ مناورات الميدان ·

تتناول المحاضرات والدروس ، التي يحضرها ضباط الأركان والقيادات ، المواضيع التالية :
ـ تنفيذ مهمات عملياتية ،
ـ دراسة نقاط معينة من التاريخ العسكري ،
ـ دراسة المعارك الكبرى من التاريخ القومي ، ومعارك التاريخ،
ـ دراسة التكنولوجيا والاستعمال التكتيكي للجيوش ·

وتُصنف تمارين الاحتراب ، حسب طبيعتها ، الى :
ـ مسائل خاصة بهيئة الأركان العامة ،
ـ مسائل خاصة بهيئات الأركان التابعة : قيادة جبهة ، قيادة فيلق ، قيادة جيش ،
ـ مسائل خاصة بالمؤخرات ،
ـ مسائل أخرى معينة ،
ـ مسائل مختارة من التاريخ العسكري ، تبنى على أساس نموذج من العمليات الرئيسية فى التاريخ القومي والتاريخ العام ·

الفارق الأساسي بين موضوع عملياتي وتمرين على الاحتراب (المعركة) ، هو ان تمرين الاحتراب هذا ، الذي يحيط بالعملية بكاملها ، يطلب من جميع المشتركين فيه حلولا لعديد من الأمور المتأتية عن تتابع الأحداث ، فى حين يقتصر الموضوع العملياتي على تقييم الظروف واتخاذ القرارات ، فى مرحلة حرجة من العملية او المعركة · وعلى المشترك فى الموضوع ان يتوصل الى اتمام ذلك فى ظرف ساعتين أو ثلاثة ·

والغاية من مناورات الميدان ، هي تمرين القادة والأركان من جميع الأسلحة ، وتحسين لياقتهم وكفايتهم ، وذلك بتكليفهم بواجبات عملياتية وتكتيكية واضحة محددة ، وفى شروط وظروف قريبة جدا من شروط وظروف القتال · والمناورات خمسة أنواع عامة ، هي :

ـ الأنواع العملياتية ،
ـ الأنواع العملياتية التكتيكية ،
ـ أنواع تتعلق بالمؤخرة ،
ـ أنواع تتعلق بحالات خاصة ،
ـ أنواع تتعلق بالتاريخ العسكري ٠

هذا التنويع ناتج عن الأغراض والأهمية ٠ ان الغاية الاساسية من المناورة ، كما سبق وتقدم القول ، هي التعليم بصورة خاصة، وليست الدراسة التطبيقية الفعلية ٠ اما الدراسة الواقعية فهي الحرب ، التي تكون دروسها باهظة التكاليف ٠ وغالبا ما تقوم المناورة بتكرار أعمال جرت فى الماضي ، وبخاصة فى مراحل تاريخية معروفة ٠

٣ ـ التدارك

التدارك ، بمعنى ارتجال الحلول والتدابير الناجحة لمعالجة كل طارىء لم يكن متوقعا ، يفيد هنا نوعا من تأهب عفوي فوري ينبعث آنيا حال حدوث الطارىء ، ويصل بصاحبه سريعا الى معرفة نوع العلاج، وثم اتخاذ القرار المناسب ، والأمر بالتنفيذ دون ابطاء ٠ والتدارك ميزة قيادية عظيمة الأثر والأهمية ، ومن واجب القيادة ان تسهر على تربيتها وانمائها وتعهدها بالاهتمام والعناية والمتابعة ٠ وهي ميزة بالغة الخطورة فى ميدان المعركة ، وفى مسائل التموين ، المنشئات ، التمويه ، التصليح ، واسترداد المعدات والأسلحة التي يخلفها المتحاربون وراءهم فى ساحة القتال ٠

يكون التدارك موضوع عناية واهتمام ابتداء من القاعدة ٠ ومما يساعد على نمو خاصته وسويته ، التشجيع والاقبال على الأفكار الجديدة ، ومساعدة أصحابها على وضعها موضع التنفيذ ، وخاصة كل فكرة تكون ذا قيمة فعلية وتستحق المتابعة ٠ وكثيرا ما يكون التدارك واسطة الى معالجة النواقص ، والى مواجهة الفشل فى الأشخاص ، أو فى التمارين والعمليات ٠

الفصل التاسع عشر

المحاربة في ميدان القتال

١
عموميات

الحرب كرٌ وفرٌ . انها حركة ناشطة دائبة ، مستمرة متواصلة فى جميع المجالات والساحات والميادين . ومهما تنوعت النشاطات، وتعددت المظاهر ، واختلفت الظروف والأحوال والبيئات ، فالحرب تجري أبدا على شكلين ، أو وجهين ، هما :

ـ التعرض ،
ـ والدفاع .

ومع ان هذا التصنيف هو الواقع القائم ، الا انه لا يمكن تعيين الوجه للمحاربة ، فقط اعتمادا على الظواهر والأعمال المتفرقة ، أي الأحداث الجارية المأخوذة منعزلة ، محدودة فى الزمان والمكان ، والتي غالبا ما تكون خليطا متناوبا من حركات واجراءات تكون تارة تعرضية، وأخرى دفاعية . بل ان التعيين المذكور يتم على أساس الاطار العام للمعركة الجارية وتصميمها ، وعلى أساس مسير القتال وتطوره حسب الخطة المرسومة ، ووفقا لأوامر قائد المعركة وتوجيهه .

ان القرار بالعمل الحربي ، تعرضا او دفاعا ، لا يصدر اعتباطا ، بل يتعين ويحصل بموجب موازنة وتقييم لقوى الأطراف المتخاصمة المعنية . هذا الوزن والتقييم يعرف بحساب النسبة فى القوى . وهو لا يتم الا نتيجة لوقوف كلي على مسير الخط البياني لجيوش الخصم المتحركة فى ميدان المعركة وساحة العمليات ، وعلى متابعة لتغييرات هذا الخط دون انقطاع .

للحرب قوانين عامة ، استراتيجية وتكتيكية • هذه القوانين ، التي تدعى « مبادىء الحرب » ، والتي ورد ذكرها وتعدادها في فصل سابق ، هي ذاتها لم تتغير ولم تتبدل منذ أقدم العصور • وفي مؤلف للفيلسوف الصيني « سان تزو » (١) ، الصادر قبل الميلاد بنحو خمسة قرون ، بعنوان « كتاب الحرب » ، تعداد جامع لمبادىء المحاربة ، في حقلي التكتيك والاستراتيجية ، كما نعرفها اليوم ، دونما اختلاف أو نقصان •

لكن وسائط الهجوم والدفاع ، أي أدواتهما ، قد تغيرت ، بالمقارنة مع ما كانت عليه لقرنين من الزمن ، تغييرا جذريا كليا • وعلى الرغم من ذلك ، فقد بقيت أشكال الهجوم والدفاع ثابتة دون تغيير • واذا كان ثمة من تغيير طرأ على المحاربة من حيث الأسلوب ، فهو تغيير قد أصاب نواحي الادارة ، أكثر من أن يصيب تكتيك الميدان ، ونخص بذلك الحركة والنقل والتطبيب والمخابرة • وأعظم تغيير طرأ على حقل النقل والحركة ، كان نقل التموين والمعدات والجيوش بطريق الجو •

هذا التغيير جذري ، وجديد كل الجدة ، على اعتباره الأول من نوعه ، من حيث انه يغني عن الحركات على الطرق وعبر الحقول • كانت التحركات ، في الماضي ، مساحية سطحية لا غير • اما اليوم ، فالتحركات لا تقتصر فقط على مساحة اليابسة وسطحها ، بل أضيفت اليها التحركات الفضائية على متن الهواء ، والتحركات تحت سطح الماء • وغدت المعارك ، بفعل هذه الاضافة ، لا تجري فوق المناطق فحسب ، ولا عند الخطوط وحدها بوجه خاص ، كما جرى ذلك حتى في حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، بل صارت تجري في مساحات مكعبة •

والنتيجة التي نلمسها ، هي ان ميدان المعركة صار شبيها بصندوق تكون الجيوش بداخله ، متمركزة أم متحركة ، معدة باستمرار للدفاع عن نفسها من كل صوب : من فوق ، ومن الأمام والجوانب والخلف ، أو مكلفة بالحركة هجوما في اتجاه واحد ، أو في اتجاهين من هذه الاتجاهات •

---

(١) San Tzu

المحاربة المعاصرة كثيرة التعقيد · وان أحجار الشطرنج ، على رقعة اللعب ، قد زادت بنسبة عظيمة عما كانت عليه فى السابق · الا ان اللعبة لا تزال تجري على نفس اللوحة ، وبنفس الأساليب · ورغما عما للطيران اليوم من استطاعة وفاعلية ، فان ميدان القرار الحاسم لا زال باقيا حيث كان : على سطح الأرض ·

والمحاربة ، كما تقدم ، حركة مستمرة تتناوب فيها أعمال التعرض والدفاع بصورة متواصلة · هذه الأعمال ، التي تجري على صور وأشكال متنوعة ، تتوزع رئيسيا الى فئات أو مجموعات من الحركات والتظاهرات تعرف عند التطبيق بالتسميات التالية :

- التعرض ،
- العمليات التعرضية الهجومية ،
- الدفاع ،
- العمليات الدفاعية الهجومية ،
- التعرض المعاكس ·

لا توجد ، فى المحاربة المعاصرة ، أبدا حالة ساكنة · والتعرض والدفاع ، اللذان هما الوجهان للحرب ، يختلفان فى الأساس فقط من حيث نسبة الحركية فى الأعمال التي تعود الى كل منهما ، وفى طول الزمن المرافق لهذه الحركية · فاذا كانت نسبة الحركية ضئيلة ، وكان الزمن المرافق لمثل هذه الحركية بطيئا ، فالمعركة هي حينئذ دفاعية · واذا كان الأمر عكس ذلك ، فالمعركة حالئذ تعرض وهجوم · هذا من حيث الحكم على الأشياء بحسب الظواهر · أما فيما يتعلق بأسباب البطء أو السرعة فى مضي الوقت المصاحب للحركة ، فتعيين ذلك يتم بواسطة ما يسمى « حساب النسبة فى القوى » لدى الأطراف المتنازعة ·

حساب النسبة ما بين القوى المتقابلة ، الذي يعرف مختصرا بميزان القوى ، يجري لكل حالة بعينها ويكون الأساس فى تعيين الوجه الذي يصح ان يُعطى للمعركة · فاذا كان هذا الحساب ايجابيا ، وجاءت النسبة موافقة ، يعني اذا كان ميزان القوى يميل لصالح أحد الطرفين، وكان الموقف العام مساعدا له على تحقيق تقدم فعال ، فالتعرض حينئذ هو الاجراء المناسب ، ويتحتم القيام به · هذا مع الاشارة الى وجوب

تقدير كل تعرض وهو فى نطاقه الاستراتيجي ، الأمــر الذي يقضي ، أحيانا ، بصرف النظر عن نجاحات تكتيكية محتملة ، اذا كــانت تؤدي آخر الأمر الى خسائر أو نواقص استراتيجية ·

وعلى أساس النسبة فى قوى الأطــراف المتخاصمة ، يــوضع التقييم العام للموقف ، وللامكانات المتقابلــة ، تقييم يتغير باستمرار لصالح الطرف الذي يفوز بالتفوق · وقد تتغير نسبة القوى خــلال المعركــة الجارية ، لصالح هذا الطرف او ذاك ، بتأثير التعديلات الطارئة على الطاقات النارية المتقابلة ، ووصول النجدات بالقوات المستريحة · فاذا كانت النسبة فى القوى ، بنتيجة التقييم ، غير موافقة بصورة مبدئية ، وكانت لذلك تميل الى جانب حرب المدافعة ، فيقتضي التريث حالئذ ، وعدم الانطــلاق الى التعرض والهجوم ، الا بعد ان تتغير النســبة فى القوى ، خلال المقاتلة الدفاعية او بنتيجتها ، أي بعد ان ينتقل الموقف من حالة النقص فى الموازين ، الى حالة الكفة الراجحة ·

فى ميدان التكتيك ، يجري حسبان النسبة فى القوى وتقييمها ، على أساس الموازنة بين الكميات المتقابلة · هنالك النسبة العامة بين جميع القــوى ، الــتي تحــدد الوجــه العــام للقتــال · وهنالــك النســبة الموضعية المحدودة ، التي تحدد وضع ميزان القوى لكل حالة بعينها · فى حالة الهجوم ، مثلا ، تكون النسبة المطلوبــة فى حدود خمســة أو ستة أضعاف الى واحد · هذا يعني انه اذا كانت قوة المدافع مؤلفة من عشرة آلاف مقاتل ، فقوة المهاجم يجب ان تكون فى حدود أربعين الى ستين ألف مقاتل · بيد ان العمل على أساس نسبة كهذه ، لا يمكن ان يكون مقبولا الا فى حالة تكافــؤ الطرفين ، المدافــع والمهاجم ، فى النوعية الماديــة ، والكيفية التطبيقية ، والعقلية والنفسية· اما اذا تفوق أحد الخصمين، المهاجم فىهذه الحالة مثلا، بالنوعية والكيفية،أو بالكيفية لوحدها فقط، فالأمر عندئــذ يختلف ، وتقل نســبة التفاوت العددي كثيرا ، ويحدد المهاجم مقدار القوة الهاجمة بالنسبة الى قوة المدافــع ، وفقا لتقديــر خاص يتوصل اليه بالدراسة والاحتكاك والتجربة ·

النسبة فى القوى ، اذن ، هي موازنة بين القوى المتنازعة المتقابلة ، وتقييم لمختلف الاحتمالات على أساس هــذه الموازنة ، واتخــاذ القرار

المناسب بنتيجة هذا التقييم • انها حساب للوضع الخاص والعام ، قابل للتطور والتغيير كل وقت لصالح هذا الطرف أو ذاك ، بفعل تغييرات كمية أو نوعية أو كيفية تطرأ على الأعداد ، والمعدات ، والمخططات ، والمنفذين ، الخ •• ولا يمكن حسبان هذه النسبة ، الا اذا توفرت الاستطاعة العملية على اجراء المقارنة بين القوى المتقابلة ، بصورة صحيحة ومستمرة • والعامل الأساسي فى امكان حصول مثل هذه الاستطاعات ، هو توفر المعلومات الصادقة عن العدو والصديق على السواء ، وجدتها ، وورودها الى المراجع المختصة فى حينها •

٢
التعرض والهجوم

التعرض والهجوم اصطلاحان لمعنى واحد تقريبا • ففي اللغة ، التعرض هو هجوم ، والهجوم هو تعرض • لكن اصطلاح التعرض ، فى اللغة العسكرية ، مخصص للعمليات والحركات الهجومية التي تجري فى الساحة الاستراتيجية ، بينما يقتصر اصطلاح الهجوم على القتالات التعرضية الجارية فى حقل التكتيك • كما ويطلق اصطلاح الهجوم ، ايضا ، على احدى مراحل القتال فى هذا الميدان •

الغرض الاستراتيجي للحرب ، هو تدمير آلة العدو الحربية ، والقضاء على مصادر الطاقة والاستطاعة والقدرة لهذه الآلة • أو هو استجلاب العدو الى حيث يجد نفسه مرغما على النزول على ارادة خصمه والتسليم بشروطه • ويتم ذلك بالعمليات الحربية المتنوعة ، التعرضية والدفاعية • هذا مع الاشارة الى ان المحاربة الدفاعية ما هي الا مرحلة وقتية انتقالية ، وانه لا يمكن نيل النصر فى حالة الاكتفاء بهذا الشكل من المحاربة •

فالنصر ، بوجه عام ، لا ينال الا بالتعرض القوي الشديد ، الذي يندفع بثقله المركز على محور اتجاه رئيسي ، والذي يتميز بالحزم والزخم والصدمة الكاسحة ، وبالمطاردة الدائبة الضارية • مثل هذا التعرض ، هو وحده الذي يؤدي الى اخضاع الخصم ، والى تدمير جيوشه

ووسائط مقاومته ، وبالتالي الى الغلبة وانتهاء الحرب •

والغرض التكتيكي للمحاربة ، هو تدمير جيوش العدو فى ميادين المعركة • ان القتال فى هذه الميادين هو من نوع الهجوم بوجه خاص • والمعركة الهجومية حركة هادفة حازمة ، مندفعة باصرار واستمرار الى الأمام ، بجميع التشكيلات المقاتلة المتوفرة • وهي تستهدف سحق الخصم بفعل القوة النارية لمختلف الأسلحة ، وبتأثير الصدم بالكتلة الضخمة المتراصة ، كتلة كافة القوات المعدة للاشتراك فى القتال ، وذلك للاستيلاء على مواقع العدو على جميع الأبعاد والأعماق ، ولتدميره وتصفيته فى معارك حاسمة •

والمعركة الهجومية ، أيضا ، عبارة عن عدد يكاد لا يحصر من المصادمات والملاحم والتقتيل المتبادل بالجملة ، وعن اجراءات تركيز وحشد للقوة ، تستهدف تدمير العدو بواسطة أكثر ما يمكن حشده من نيران الأسلحة المختلفة المشتركة فى القتال ، وتعميم التدمير والفناء على المساحة الكلية لمواقع العدو ، عرضا وعمقا • وتتحقق هذه النتيجة كل مرة ، وفى كل ساحة وميدان ، بصدمة الكتلة الضخمة المتراصة ، المركزة لجميع حشود القوى المخصصة للمعركة •

ان عنصر العمل الحاسم فى كل تعرض وهجوم واصطدام ، وهيكله الفقري ، هما خليط منسجم من صنفي المشاة والمدرعات • هذا الحشد أو المزيج ، الذي هو جمع وتكتيل من كلا الصنفين للعمل المشترك بينهما ، والذي يجب ان يعمل ككل واحد فى جسم قوي صحيح ، يعطي أعظم النتائج وأحسنها بالتعاون الأخوي الوثيق ، المنسجم مع الطيران والمدفعية • هذان السلاحان يستهدفان كلاهما ، من وراء عملياتهما الهجومية ، تحقيق الاسناد الدائم للمشاة والدبابات ، بالعمل الكثيف المركز ، من قبل المدافع والهاون والصواريخ ، ومن قبل طائرات القصف والقتال والمطاردة والتوجيه والاستطلاع ، طيلة المعركة •

أ ــ سير العمليات الهجومية

عند حدود الساحة التكتيكية ، ينتهي التعرض (أو الهجوم الاستراتيجي) ، وتبدأ مرحلة الهجوم القريب على العدو فى ميادين المعركة • تبدأ هذه المرحلة بمسيرات التقرب ، التي هي حركة تقدم

يقظة مستعدة صوب عـدو معروف الاتجـاه ، لكن لـم تحدد مـواقعه بالضبط ، وفى ستار عناصر الاسـتطلاع البعيد والقريب ، وتـدابير الحيطة والتأهب •

تؤدي مرحلة التقرب الى مرحلـة التماس ، أي الى مجموعـة مـن الاشتباكات الموضعية الخفيفة ، ومن الالتحامات الشديدة الطارئة على غير انتظار ، اشتبكات والتحامـات تؤدي بدورهـا ، شيئا فشيئا ، الى تعيين أمكنة وجود العدو ، والى تحديد التخوم الخارجية للمواقع التي ينوي أن يصمد مقاتـلا عليها • وعندمـا تفشل المحـاولات الموضعية المحدودة ، التي تقوم بها عناصر اسـتطلاع المقدمـة ، فى التغلب على المقاومات التي تعترض التقدم ، وبالتالي تتوقف الحركـة على محور الاتجاه العام للزحف ، عندئذ تنتهي مرحلة التماس لتبدأ مرحلة الهجوم المباشر ، التي تجري تحت اشراف القيادة العليا فى كل جبهة أو قطاع ، وذلك ليكون العمل الهجومي منظما على مجمل جبهة القوة الزاحفة •

الاعداد من أجـل الهجوم على جبهة مـا ، لا يظل مقتصرا على هذه الجبهة وحدها ، بل يتعداها غالبا الى جبهات أخرى ، ويفرض التعاون والمساهمة على القوات المجاورة ، قوات قد لا تكون لها مصلحة مباشرة فى الهجوم المنتظر • وأكثر ما يستهدفه الاعداد من هذا القبيل ، هـو انجاح الهجوم بحركات التفاف وتطويق ، ونادرا بالاختراق •

تكون الاستعدادات للهجوم هادئة ، دقيقة ، مدروسة ، وتجري بعيدا وراء خطوط القتال • وهذا البعد نسبي مع نوع وأهمية القوة المولجة بالعملية • ولا تنتقل القوات المكلفة بالهجوم ، مـن مكـان تجمعها الى قاعدة الانطلاق ، الا ليلا ، وقبيل ميعاد الشروع بالهجوم بوقت قليل •

تُحدد الأرض ، ومقدار القوة المهاجمة ، عَرضَ تـرتيب الهجوم وعمقه • ففي فرقة مـن المشاة مثلا ، يتراوح عـرض الجبهة مـا بين كيلو متر وثلاثة كيلومترات ، ويكون العمق حوالي عشرة كيلومترات• والنسبة الواجب قيامها ، بين قوات الهجوم وقوات المدافعة ، هي أربعة الى واحد ، أو أكثر فى بعض الأحيان • معنى ذلك انالهجوم الصحيح ، فى حالة التكافؤ فى الكيفية والنوعية ، يجب ان يقع بقوة تكون أربعة أو خمسة أو ستة أضعاف القوة المهجوم عليها ، وخاصة اذا كـانت هـذه

القوة متمركزة في مواقع محصنة ·

والهجوم المباشر ، الذي هو المرحلة الثالثة من المقاتلة في ميدان التكتيك ، يتألف بدوره من أربع مراحل فرعية ، هي :

١ ـ التمهيد ،

٢ ـ الانقضاض ،

٣ ـ التقوية ،

٤ ـ استغلال الفوز ·

١ ـ التمهيد للهجوم المباشر

يمهد الطيران والمدفعية لهجوم القوات البرية ، بهجوم مدفعي وجوي قد يدوم من نصف ساعة الى ست ساعات ، ولا يتقدم هجوم القوات البرية بأكثر من نصف ساعة على أكثر تعديل · ولا يتوقف الهجوم المدفعي مم بدء هجوم القوى البرية ، بل يستمر على دعم هذا الهجوم ، ويرافقه في جميع مراحله ، ويتحرك بتعاون وتنسيق مع حركة المشاة والدبابات ·

وكذلك هو الحال مع الهجوم الجوي ، حيث يقوم الطيران بدور مدفعية هوائية بعيدة المرمى ، مدفعية ترمي على الأهداف التي ليست في متناول المدفعية البرية · ويتحرك الطيران بقصفه ، ايضا ، تحركا منسجما مع حركة قصف المدفعية على الأرض ·

يستمر نشاط الطيران والمدفعية ، في الأيام التي تسبق مرحلة التمهيد هذه ، طبيعيا على جميع الجبهات ، وذلك حتى لا ينتبه العدو ، وحتى لا يستدل ، من مظاهر النشاط المتزايد على بعض النقاط أو الجبهات ، على مكان وقوع الهجوم وتوقيته ·

٢ ـ الانقضاض

تتعاون الدبابات والمشاة في عمليات الانقضاض · وتقوم المشاة الخاصة (١) ، ووحدات الهندسة بتنظيف الأرض من الألغام المضادة للمدرعات والأشخاص ، ومن أوكار المدافع والأسلحة الاخرى المضادة للدبابات ، بينما تمضي المشاة قدما راكبة على الدبابات وعربات المدفعية الدفمذاتية ، أو سائرة على الأقدام على مقربة من هذه الآليات،

(١) تشكيلات تتخصص لعمليات الانقضاض والالتحام ·

لتحتمي بها ، ولتحميها بدورها من مشاة العدو وقناصته ·

والقوات التي تخصص لأعمال الانقضاض ، يجب ان تكون متفوقة بالسلاح والعدد ، متميزة بالاعداد المتين والمعنوية العالية · تحشد هذه القوات ، عند قاعدة الانطلاق ، لتوجيه الضربة الرئيسية فى الاتجاه الفاصل · والانقضاض الناجح الفعال ، هو ذاك الذي يسحق المقاومة العدوة بفعل وثقل الصدم بالكتلة الضخمة ، المتزايدة زخما ووطأة وقدرة على الضغط والسحق بصورة متواصلة · أنه ، بتعبير عام ، الوثبة الأخيرة للالتحام مع الخصم فى مراكزه ، لتدميره ، أو لارغامه على التراجع ·

٣ ـ التقوية

فى حال استمرار العدو على المقاومة فى بعض النقاط ، وبانتظار التغلب على مثل هذه المقاومة، يجري أولا تجميد العدو فى مراكزه ، ثم يصار الى القيام بحركات التفاف حوله ، بقصد تطويقه والقضاء عليه ، بينما تقوم موجات الهجوم التالية بمتابعة التقدم ، مساهمة ، بالحركة وبالاسناد الناري ، فى تدعيم مرابح الموجات السابقة ·

تقوم موجات الهجوم اللاحقة ، بتدعيم مكاسب الموجات المتقدمة ، وبصد المهاجمات المعاكسة التي تقوم بها عادة دبابات العدو ، وباحتلال بعض المواقع الدفاعية الاحتياطية ، وبتدمير بقايا العدو وفلوله المنعزلة · وعليها ان تحتفظ للهجوم بقوة اندفاعه المبدئية ، وحدة زخمه ·

٤ ـ استغلال الفوز

يكون استغلال الفوز ، بالسهر على ان يحتفظ الهجوم بالزخم المبدئي الذي كان له عند الانطلاق ، على مجمل عمقه ، وبمطاردة العدو بضراوة وبلا هوادة ، لكن بالحكمة والحذر والتيقظ ، وبالعمل قدر الامكان على الالتفاف حول العدو لتطويقه ، ومن ثم تجزئته الى جزر او جيوب معزولة ، وبالتالي تدميره بالتفصيل ، فى كل جزيرة وجيب ·

ب ـ عناصر الهجوم

يستطيع الهجوم ، بواسطة أدوات الاقتتال المعاصرة ان يبلغ مستوى

مرتفعا عظيما من القوة والفاعلية • والهجوم البري يجري على مساحتين ، أو حجمين :

ـ الجبهة ، من حيث الانتشار عرضا ،

ـ والعمق ، من حيث الامتداد طولا ،

ويقوم على أساس العناصر أو المعطيات التالية :

ـ الأسلوب المستعمل فى تصميم الخطة وتنفيذ العملية ،

ـ التفوق النوعي والعددي للهجوم على الدفاع ، فى جميع مراحل العملية مما يقضي بوجوب الاحتفاظ قيد الطلب بتشكيلات قوية حركية ،

ـ وضع تشكيلات العدو الهامة خارج المعركة ، وخاصة احتياطاته القريبة ، أي تدمير هذه التشكيلات ، أو منعها على كل حال من الاشتراك فى المعركة الدائرة ،

ـ فاعلية الانقضاض المبدئية ،

ـ الدفق ، أو الانتظام فى درجية زخات الدفع والزخم المتتابعة ،

ـ استمرارية الحركة ، واقتصار التوقف على الحد الأدنى الذي لا مفر منه ،

ـ حركية المؤخرات ، بمعنى درجة قابليتها للتحرك ولتلبية حاجات المعركة ومطالبها الطارئة •

هذه هي العناصر التي تعطي للهجوم طابعه وشخصيته ، والتى تميز بين هجوم وآخر ، والتي على نوعيتها يتوقف النصر أو الفشل فى كل معركة • أما المعطيات أو العناصر المعاكسة ، المؤثرة وذات الخطورة ، التي تواجه الهجوم ، والتي يجب التحسب لها والتغلب عليها ، فهي:

ـ قوة دفاعات العدو ، وعمقها ، وطبيعتها ، وكثافة اشغالها ،

ـ المستوى فى استعداد العدو وتدريبه ، وفى طاقته على الثبات والاحتمال ،

ـ طبيعة الأرض ،

ـ الأحوال الجوية ،

ـ فصول السنة •

٣

الدفاع : دوره وطبيعته

١ ـ عموميات

الدفاع عكس التعرض • انه الامتناع عن تطلب العدو ، والوقوف على تمام الأهبة والاستعداد بانتظار قدومه ، والاشتباك معه ، لعرقلة زحفه أو لتدميره، على مواقع دفاعية قوية قد سبق اعدادها وتحضيرها• ويكون الدفاع :

- ـ استراتيجيا ،
- ـ وتكتيكيا •

فالدفاع هو استراتيجي ، طالما بقي السياسة المقررة للحرب بصورة عامة أو رئيسية • وهو يعم ، فى هذه الحالة ، جميع الجبهات أو معظمها• والذي يدعو الى اتخاذ موقف القتال بالمدافعة ، هو وجود الطرف المعني، بوجه عام ، حيال نسبة فى القوى ليست لصالحه ، نسبة لا تسمح له بالتعرض •

يبني الدفاع على قاعدة الاستفادة من الأرض على أحسن وجه • والنسبة فى القوى لا تتعين على أساس المقارنة بين الأعداد المتقابلة فحسب ، بل وايضا على أساس مقارنة وتقييم للوسائط التكنيكية ونوعيتها ، وللقيم الانسانية النضالية ، حسبما تتوفر لكل من الأطراف المتحاربة •

الغرض الجوهري من الدفاع الاستراتيجي ، هو اكتساب الوقت ، واختلاق شروط قابلة لأن تحدث تغييرا موافقا فى نسبة القوى ، بحيث يصير بالامكان التحول من حالة الدفاع الى حالة التعرض والهجوم ، وبالتالي انتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية من أيدي الخصم •

هذا عن الدفاع الاستراتيجي • أما الدفاع التكتيكي ، فهو القتال بالمدافعة فى ميدان التكتيك • ويقتصر على جزء من جبهة الحرب ، على قطاع أو منطقة أو جبهة ، بينما قد يجري التعرض على بقية المناطق والجبهات •

ومهما يكن نوع الدفاع ، استراتيجيا أم تكتيكيا ، فهو يظل فى حكم

التدبير الموقت ، ويعتبر اجـراء تحضيريـا ، ومرحلـة تريث وتأهب وترقب ، بانتظار سنوح الفرصة المناسبة للمرور الى التعرض ·

٢ ـ أهداف الدفاع

يؤخذ القرار بالقتال دفاعـا ، عندمـا تعتقد القيادة بـأن ليس فى استطاعتها القيام بالتعرض ، أو عندما ترى ان التعرض لا يؤدي ، فى الظروف الراهنة ، الى نتائج رابحة · ومن أهداف الدفاع :

- الاقتصاد فى القوى على جبهة واسعة ، لصالح الاتجاه الحاسم الذي ينطلق عليه الهجوم ،
- اكتسـاب الوقت لغرض تجميع القوى وحشدهـا ، بقصـد التعرض ،
- اكتساب الـوقت ، بمليات ثانويـة ، الى ان يتمكن التعرض الرئيسي من اعطاء ثماره ،
- الاحتفاظ بالأرض (مناطـق ـ حدود ـ مضائق ـ طـرق ، الخ ··) ،
- ضعضعة العدو المهـاجم ، وزعزتـه تنظيمه ، قبل التحول الى التعرض والهجوم ·

ويستعمل الدفاع ايضا ، بصورة عامة روتينية ، لتغطية التجمعات الجاريـة لأغـراض التعرض والهجوم · ان اجـراءات تجميع القوى وحشدها ، وكل تدبير آخر يتخذ بقصد التعرض ، جميعها تُغطى ، كل مرة ، بعمليات دفاعية قد تشترك فيها فـرق ، وفيالق ، وحتى جيوش بكاملها أحيانا · وان مناورة التجمع الرئيسية للجبهة ، أو للجيش الذي يشترك فى عمليات التعرض على محور الهجوم الرئيسي ، هذه المناورة تستند ، لحمايـة جوانبها ومؤخراتها ، على فـرق أو فيالق أو جيوش تتمركز على الدفاع ضمن حدود معينة ، أو تهاجم فى اتجاهات ثانويـة لغرض تحويل بعض جهد العدو عن محور اتجاه الهجوم الرئيسي ·

٣ ـ التكتيك العام للدفاع

تكتيك الدفاع ، عموما ، نوعان :

أ ـ تكتيك مكاني ،

ب ـ وتكتيك حركي ·

أ ـ التكتيك المكاني

هذا التكتيك نوعان :

ـ التكتيك المستكن ،

ـ والتكتيك المنتشر ٠

التكتيك المستكن يتوخى الاحتفاظ بقسم معين من الأرض ، ومنعه على العدو ، وهزيمة كل هجوم عليه ٠ يرتكز القتال بهذا التكتيك على التحصين ، والموانع ، وكثافة نيران الأسلحة ، ويتميز بالمقاومة الصلبة الضارية عند كل شبر من الأرض ، وبالردّات المعاكسة العنيفة الفورية ضد كل توغل معاد فى منطقة المدافعة ٠ ويجري هذا الدفاع على خطوط محكمة منظمة ، خطوط تشكل على الأرض دفاعات طويلة متصلة ، لكن على عمق قليل محدود ٠ ولهذا الشكل من التنظيم المستكن ، أو الثابت ، أمثلة كثيرة فى التاريخ ، منها جدار الصين المشهور ، وجدران التخوم الرومانية ، وخنادق الحرب العالمية الاولى ، « وخط ماجينو » الفرنسي فى الحرب العالمية الثانية ٠

أما الدفاع المنتشر ، فهو دفاع يقوم ويتنظم على أساس القطاع أو المنطقة ٠ هذا الدفاع ، الذي يعرف ايضا بالدفاع عمقا ، تمييزا له عن الدفاع خطا ، هو تنظيم الأرض وتحويلها الى دفاعات مستكفية مستقلة، منتشرة عرضا وعمقا ، وموزعة على شكل شبكة أو رقعة شطرنج ٠ وهذا الأسلوب التنظيمي للدفاع ، هو الأسلوب المفضل للمحاربة الدفاعية بالتكتيك المكاني ٠ وهو نفس الأسلوب الذي كان مطبقا فى بناء الحصون ، فى القرون الوسطى ، وفى الهندسة العسكرية فى القرنين السابع والثامن عشر ٠

يتوخى الدفاع المنتشر امساك عقد **المواصلات والنقاط القوية** ، واغلاق مسالك التقدم الطبيعية أو الاصطناعية ، **والتغلب على** صعوبات المدافعة فى الأراضي الصعبة ، المتقطعة والوعرة ، وتأمين الدفاع على المساحات الكبيرة بوسائط محدودة ٠ والدفاع فى هذا التنظيم ، يرتكز على نقاط تكتيكية قوية ، نقاط أساسية يعتبر الاحتفاظ بها ضروريا لسلامة الدفاع بكامله ٠ كما ويرتكز ايضا على فاعلية الاحتياط ، وحركيته ، وضراوته ، وشدة بأسه فى الرد

والهجمات المعاكسة ٠

والتنظيم للدفاع بالتكتيك المكاني ، عموما ، يبنى على أساس ثلاث مجموعات من الدفاعات :

- مجموعة محطات الانذار ،
- ومجموعة المقاومة الرئيسية الأولى ،
- ومجموعة المقاومة الثانية ٠

وكل مجموعة دفاعية من هذه المجموعات ، تؤلف وضعا دفاعيا يتكون من عدة دفاعات ، أو نقاط اسناد تتبادل الحماية والمساعدة الجانبية ، وتنتشر على الأرض عمقا وعرضا ، بصورة خندقية خطية لغرض الدفاع على خطوط ، وبصورة غير منتظمة للدفاع المنتشر كما تقدم ٠ وفى كل دفاعة ، أو نقطة اسناد ، يقوم التحصين على أساس الأبراج ، ومرابض المدافع ، وأوكار الرشاشات ، والخنادق والأنفاق ، والملاجئى الجماعية ، وحقول الألغام ، ومراكز التموين والاسعاف ، ومحطات الرصد والمخابرة ٠ وتتخلل هذا الكل الدفاعي ممرات خاصة لحركات الاحتياط التكتيكي المكلف بهجمات الكر والردات المعاكسة ٠

فى الوضع الدفاعي ، كل دفاعة مستكفية، أو نقطة اسناد ، تؤلف وحدة تكتيكية ٠ والكفاية هنا تعني القدرة والاستطاعة على تحقيق المدافعة الذاتية بصورة فعالة ، وخاصة ضد الطائرات والدبابات ٠ والخط الوهمي ، الذي يجمع بين المواقع المتقدمة لمجموعة المقاومة الرئيسية فى مختلف القطاعات ، يدعى خط المقاومة الرئيسي ٠ ومن واجب جميع قوات المدافعة ، المتمركزة على المواقع المتقدمة المشار اليها ، ان تحشد نيرانها على هذا الخط ، وان تحطم عليه كل هجوم للعدو ٠ وتشترك فى هذا الواجب قطعات المدفعية الموجودة فى مجموعات المقاومة الخلفية ٠

ب ـ الدفاع بالتكتيك الحركي

الدفاع بالتكتيك الحركي كر وفر ، استنادا الى دفاعات ثابتة منتشرة فى العرض والعمق ، على كامل المنطقة الدفاعية ٠ وهو نوع يعتبر اليوم خير أسلوب لقتال المدافعة ٠ والدفاع الحركي عريق فى القدم ، أول شكل له كان الترس والدرع ، اللذان استعيض عنهما ، فى أيامنا

هذه ، بتدريع الدبابة ·

والقتال الدفاعي بالتكتيك الحركي ، كقتال الدبابة ، هـو جريان المدافعة بالتعرض والهجوم · وميدان هذا التكتيك ، عادة ، هو الساحة الاستراتيجية والساحة العملياتية · واذا جرى هذا القتال فى الساحـة التكتيكية ، وهو أمر كثير الحدوث ، فهو عندئذ تكتيك عرضي محدود، ويحدث فى الحالات التالية :

١ ـ أثناء المعركة الدفاعية ، عندما يتطلب الموقف مقابلة العدو المهاجم بهجوم معاكس ، وذلك لطرده من المواقع التي نجح فى اختراقها والتمركز فيها ، ورده على أعقابه ··

٢ ـ عندمـا يحول التفوق العددي الساحـق للخصم دون استطاعة الدفاع بالتكتيك المكاني على جبهة واسـعة ، يعمد الى تنظيم الدفاع حـالئذ على شكل جزر مقاومـة ، ويجري الدفاع الحركي عـن المساحات الفاصلة بين هـذه الجزر ، بواسطة قوات تخرج من الجزر نفسها للانقضاض على العدو وتنظيف الأرض منه ··

٣ ـ فى الانسحاب ، تقاتـل المؤخـرات قتالا تـراجعيا ، يتناوب فيه الوقوف والحركة ، أي الدفاع والهجوم · وتكون الحركة اما هجومـا معاكسا ، وامـا ارتدادا الى الوراء ، الى مواقع توقف دفاعية جديدة ، فى حمى وتغطية عناصر شقيقة متوقفة بدورها على المدافعة ·

الغاية من الدفاع بالتكتيك الحركي ، فى الساحات التكتيكية ، هي ، كما ذكرنا ، المحافظة على سلامة الوضع الدفاعي ، أو هي حماية القوات التي تقوم بالانسحاب · أمـا الغايـة منه فى الساحـات الاستراتيجية والعملياتيـة ، فهـي التعـرض الدفـاعي الاسـتراتيجي ، أو هي الدفاع الاستراتيجي الـذي يهدف الى التقليص مـن تفوق الخصم العددي بالانهاك والاستنزاف ، والى الاقتصاد فى القوى ولو كـان ذلك على حساب الأرض · هذا يعني انه يجوز التخلي عن الأراضي أحيانا ، وذلك لاكتساب الوقت الناتج عن تعب العدو وامتداد خطوطمواصلاته، أو لعدم التفريط فى القوى ، أو لكلا الأمرين معا ·

من الأمثلة على الدفاع بالتكتيك المكاني المستكن ، خط ماجينو بين ألمانيا وفرنسا ، ودفاع مدينة طبرق الليبية ضد قوات المحور ، خلال الحرب العالمية الثانية • ومن الأمثلة على الدفاع بالتكتيك الحركي ، فى ميدان التكتيك ، دفاع البريطانيين فى العلمين ، وقتال الألمان فى تراجعهم عقب معركة العلمين المذكورة ، عام ١٩٤٢ •

اما الدفاع بالتكتيك الحركي ، فى الميدان الاستراتيجي ، فأحسن مثال له ، هو فى التعرض الدفاعي الاستراتيجي الذي قام به المارشال ويفيل ضد المارشال غرازياني ، فى ليبيا والصحراء المصرية الغربية ، عام ١٩٤١ • لقد كان الغرض المبدئي الرئيسي من تعرض المارشال ويفيل ، هو اكتساب الوقت للقوات البريطانية ، وتمرين هذه القوات على المحاربة بصورة عملية • وقد تحول ذلك التعرض الدفاعي الى انتصار ساحق للبريطانيين على الايطاليين •

ومثال آخر عن الدفاع بالتكتيك الحركي ، فى الساحة الاستراتيجية ايضا ، هو القتال التراجعي للجيوش السوفياتية فى وجه القوات الألمانية الزاحفة المتفوقة ، فى نهاية عام ١٩٤١ والنصف الأول من عام ١٩٤٢ • وقد ضحى السوفيات بالأرض اكتسابا للوقت ، وانهاكا للألمان وحلفائهم ، واستنزافا لمواردهم •

ونقول ، اختصارا ، ان الدفاع بالتكتيك المكاني ، هو تكتيك القتال الذي لا تراجع فيه ، والذي يدافع فيه عن كل شبر من الأرض حتى الرمق الأخير •

اما الدفاع بالتكتيك الحركي ، أو الدفاع الحركي ، فهو الهجوم لأغراض الدفاع ، هجوم يستهدف اما طرد العدو من مكان قد احتله ، والرجوع بعد ذلك الى قاعدة الانطلاق ، واما هجوم عرقلة وتأخير وانهاك بقصد الاحتفاظ بسلامة الحركة فى حال الانسحاب ، أو هو دفاع غرضه اكتساب الوقت على حساب الارض ، بانتظار الفرصة الملائمة للتعرض الاستراتيجي • والدفاع الحركي ، فى وجه خصم ميكانيكي ، يجب ان يجري أيضا بقوات ميكانيكية ، وخاصة فى الساحة الاستراتيجية والساحة العملياتية •

٤ ـ الموقع المغلاق أو المفتاح (١)

مهما يكن النوع فى تكتيك الدفاع ، مكانيا ام حركيا ، فيجب ان يرتكز على عدد من النقاط القوية المغلاقة ، نقاط تتوقف على الاحتفاظ بها سلامة الوضع الدفاعي بكامله ، وتشبه فى أهميتها للمدافعة ، أهمية الاتجاه الرئيسي فى التعرض والهجوم • والنقطة القوية من هذه النقاط تُدعى « المفتاح » •

وهكذا عندما تتبنى القيادة قرار القتال بالمدافعة ، فعليها ، أول كل شيئى ، ان تعين المنطقة أو القطاع الذي يتوقف على سلامته مصير الدفاع • مثل هذا القطاع ، يدعى القطاع الرئيسي ، ويخصص لاشغاله ومسكه معظم القوى والوسائط المتوفرة • وعلى القيادة ، ايضا ، ان تحدد لكل قطاع ومنطقة ، مدى سيطرة القيادة المحلية على قوى الاحتياط ، وعلى الأسلحة الثقيلة المعدة للدعم والاسناد (المدفعية وقوى الاسناد الجوية) •

٥ ـ التطبيق فى تنظيم المدافعة

التنظيم المكاني للقتال دفاعا ، فى ميدان التكتيك ، يبنى على أساس ثلاث مجموعات أو تنظيمات من الدفاعات المتميزة ، هي :

أ ـ تنظيمة المحطات الامامية ،

ب ـ تنظيمة المقاومة الرئيسية ،

ج ـ تنظيمة المقاومة الثانية ، الواحدة أو الاكثر •

تنتشر المحطات الأمامية ، حتى مسافة قد تبلغ أحيانا نحوا من خمسة وعشرين كليمترا ، الى الأمام من تنظيمة المقاومة الرئيسية • مهمة هذه المحطات ، هي الانذار وعرقلة تقدم العدو ، وتعمل بمساعدة القوى الجوية ، والنيران المدفعية ، وحقول الألغام •

وتنتشر تنظيمة المقاومة الرئيسية ، عرضا وعمقا ، على خط (أو حزام) المقاومة الرئيسي ، وتكون بعمق كيلومتر ونصف تقريبا • مهمة هذه التنظيمة ، هي ايقاف تقدم العدو ، وتحطيم شوكة هجومه • وهي تتألف من عدد من النقاط والمواقع المحصنة ، التي تغطي الأرض

---

(١) النقطة او الموقع المغلاق ، هو الموقع الذي لا مرور للمهاجم الا منه ٠٠ او هو الموضع الذي لا بد للخصم من الاستيلاء عليه لكي ينجح هجومه •

أمامها بنيران الأسلحة الأتوماتيكية ، والتي يحتل فيها السلاح المضاد للدبابات والطيران مكانا بارزا وأهمية عظيمة ·

تحتوي تنظيمة المقاومة الرئيسية ، وكذلك المقاومة الثانية ، بالاضافة الى المنشئات الدفاعية القتالية وتوابعها ، عددا كبيرا من مسالك ألانسحاب والتنقل ومراكز القتال البديلة ، التي تنتشر عرضا وعمقا على عدة كيلومترات · وتحتشد الدبابات فى مراكز تجمعها ، ما بين التنظيمتين الرئيسية والثانية ، أو فى مؤخرة التنظيمة الثانية ، لتكون دوما على أهبة الحركة ، للقيام بالهجوم المعاكس ضد كل اختراق قد يحققه العدو داخل الدفاعات ·

فى الدفاع بالتكتيك الحركي ، يجري اعداد الأرض وتنظيمها بحيث تكون مواضع المقاومة كجزر مستقلة مستكفية ، تستطيع الصمود والثبات على القتال ولو تجاوزها العدو ، أو طوقها · اما فى الدفاع بالتكتيك المكاني ، فتقام الدفاعات متجاورة متساندة ، على مواضع خطية عرضانية الى حد ما ، وكل توغل للعدو فيها يشكل اختراقا لا يسمح به ، ولا يجوز السكوت عنه · وتبنى لكل دفاعة مواقع بديلة ، موقع واحد أو أكثر ، ليجري استعمالها عند الحاجة · وكل موقع بديل يحتوي ، كالموقع الأصلي ، على عدة خطوط مخندقة ، وعلى مرابض للمدفعية والدبابات ، وسدود نارية ، وحواجز متنوعة ، وحقول ألغام كثيفة ·

ومن حيث النوعية ، تكون الدفاعات اما استحكامات اسمنتية ، واما استحكامات ميدان من الخشب والتراب والحفر الفردية · ويضاف الى هذا النظام الكامل من الدفاعات ، نظام آخر ملازم من الدفاعات الكاذبة ، أي المغشوشة المزيفة ، التي يجب ان تكون على أحسن حال من الاعداد والتمويه ووسائل التضليل · ويجب ان تسمح مرابض المدفعية والدبابات بالرمي المباشر ، وان تختفي الدبابة فى بطن الأرض ، لكن على ان يظل بامكانها الخروج من مربضها بسرعة ، وكذلك الرمي فى جميع الاتجاهات ·

ان قتال المدافعة ، فى جملته وجوهره ، لا يخرج عن كونه حاصل جمع لعوامل التحصين ، والتسليح ، والشجاعة ، والتنظيم وقوة

الارادة • وتتجلى الارادة القويــة بمتانــة الأعصــاب ، التي تتمثــل بالسيطرة على التصرفــات الشخصية ، وخاصــة فيما يتعلق باستعمال السلاح • والسيطرة الناريــة ، التي هي ضبط النار وتنظيم الرمي ، وكذلك المهارة فى التمويه والتغطية ، هما أفضل تعبير وأقوى دليل على جريان المحاربة الدفاعية بصورة سليمة ونفسية قوية •

٦ ـ الهجمات المعاكسة

تكلف بالمهاجمات المعاكسة قوات من تنظيمات المقاومة الثانية ، أو من احتياط الدفــاع العام • والغرض من هــذه المهاجمات هــو تدمير العدو الذي ينجح فى اختراق خطوط الدفاع ، وذلك لاعادة الوضع الى الحال الذي كان عليه قبل الاختراق •

تدرس الحالات لاحتمالات القيام بالمهاجمات المعاكسة ، منذ الشروع بتنظيم الدفاع ، وتحضر لذلك الخطط المتنوعــة لمختلف الاحتمالات ، على أساس الاتجاهات الممكنة لمجيئى تشكيلات العدو المتقدمة ، وعلى أساس حركات العدو داخل مراكز التنظيمة الدفاعية فى حــال نجاحــه بتحقيق الاختراق •

٧ ـ شروط لنجاح المدافعة

يشترط ، لاحتمال النجاح فى قتال المــدافعة ، ان تتوفــر للدفــاع الشروط التالية :

أ ـ فى المدافعة بالتكتيك المكاني : العزم والتصميم لــدى المدافعين ، والعمق فى الدفاعــات ، والقوة والمهارة فى القتال المضاد للدبابات ••

ب ـ فى المدافعة بالتكتيك الحركي : وفى المدافعة التأخيرية (أو التراجعية) : المهارة فى المضايقة والازعاج والمهاجمات المعاكسة ، التراجع المنتظم ، تكتيك الأرض المحروقة ، تدمير كل مصادر النفع العام للعدو على الأرض المتروكة له •

ج ـ فى الهجــوم المعــاكس : النشاطيــة ، والمبادهــة ، والمبادرة ، والعنف والضراوة •

٨ ـ التعرض المعاكس

الغرض النهائي ، من استراتيجية الدفاع الفعال ، هو الاستطاعة كل

وقت على المرور الى تعرض معاكس • والفرق بين الهجوم المعاكس والتعرض المعاكس ، هو ان الأول يجري فى ميدان التكتيك ، بينما يجري الثاني فى الساحة الاستراتيجية •

يحصل التعرض المعاكس ضد هجوم للعدو ناجح بعض الشيئى ، وذلك بعد ان يتبين ان هذا العدو صار عاجزا عن تحقيق نتائج حاسمة من وراء هجومه ، وعندما ينتهي الطرف المدافع من تجميع قواه • ويهدف هذا التعرض ، فى ساحتي الاستراتيجية والعمليات ، الى انتزاع المبادرة من عدو صار ضعيفا متعبا بالمعارك الدفاعية التي واجهها ، ويهدف كذلك الى غلبة القسم الأكبر من قواته ، وبذلك ايجاد الظروف والشروط والخطوات التمهيدية اللازمة لقيام تعرض استراتيجي عام ، تكون غايته الفوز الحاسم على الجبهة ، وأحيانا ربح الحرب •

وللنجاح فى تعرض استراتيجي معاكس ، يقتضي النجاح أولا فى اختيار المحور العام للحركة والهجوم • ومع ان هذا الشرط ملازم لكل عملية تعرضية بوجه عام ، لكنه أكثر ضرورة وأهمية فى التعرض المعاكس منه فى غيره • وهو يتوخى ، قبل كل شيئى ، تحطيم التنظيم الأساسي للهجوم المعادي • وبهذه الطريقة ، فقط ، يمكن تغيير مجرى القتال على المستوى الاستراتيجي ، أي الحصول على الفوز النهائي للحملة أو الجبهة ، أو الفوز بالحرب •

٤
التحصين فى المحاربة الدفاعية

تحتل حرب المواضع مكانا ثانويا فى الحروب المعاصرة • بيد انه ليس هنالك من مناورة حربية ممكنة التحقيق ، الا وتتخللها تطبيقات متنوعة لمبادىء المحاربة الموضعية ومفاهيمها •

فى استراتيجية المدافعة ، يقوم الدفاع المكاني أساسا على مبدأ التحصين المتواصل المنتشر عرضا وعمقا ، وعلى الحواجز والسدود النارية المتعددة ، وخاصة ما كان منها ضد الدبابات • ويقوم الدفاع الحركي حول عدد من مراكز المقاومة القوية ، التي تقوم بدور العمود

الفقري فى المنظومــة الدفــاعية ، وبــدور حجر الرحى لقوات الهجوم المعاكس ٠

الغرض من المنشئات والاستحكامات الدفــاعية ، هــو أولا الوقايــة والمناعة ، وهو مــن ثم الستر والتغطية ، لكــن على شرط ان تحتفظ الأرض بمظهرها الطبيعي المتلائم مع الأرض المحيطة ، فلا تحدث فيها الحفر والموانــع والخنادق وحقول الألغــام تغييرات يســهل رؤيتهــا واكتشافها بالعين والآلة ٠ والتحصين يكون على ثلاث درجات :

أ ــ النقاط المحصنة ،

ب ــ المراكز المحصنة ،

ج ــ المناطق المحصنة ٠

والفارق بين هذه الدرجات ، هو فى الكبر والضخامــة ، وفى الدور الذي تلعبه فى المعركــة الدفــاعية ٠ تتألف المنطقة المحصنة مــن نقاط ومراكز جرى تحصينها على مقياس كبير ٠ وهي قاعدة دفاعية منيعة ، ومؤسسة مستقلــة مستكفية ، وتحتوي على جميع الانشاءات الحصينة اللازمة للدفاع ، مــن مــواضع وأجهزة للرصد والانــذار ليلا نهارا ، ومراكز لقتال المدافعة ، ومــلاجئى وأنفاق وممرات ، ومستودعــات ومحطات للاستراحــة والاستشفاء ٠ والمناطــق المحصنة ، التي يتطلب تحصينها الكثير مــن الجهد والوقت والمــال ، تســمح للقيادة بحريــة المناورة ، وتمكنها من تجميع القوات ، وتشكيل الاحتياطات لأغراض التعرض والهجوم وتحطيم هجمات العدو ٠

العمود الفقري اليوم ، فى كــل محاربة دفاعية ، هــو السلاح المضاد للدبابات والطائرات ٠ وأعظم الأسلحة البرية المضادة تأثيرا وفاعلية ، هو المدفع ٠ والدفاع فى المراكز والمواضــع المحصنة ، يتطلب أعــدادا عظيمة من المدافع المتنوعة ، الثابتة والمتنقلــة ، التي توزع وتــوضع جميعها بحيث تكون مخفية عــن أعين العدو ووسائط رصده ورقــابته وتصويره ، ومحمية من تأثير مدفعيته وطائراتــه ٠ وعندمــا يوصف دفاع ما بالقوة والمناعة ، فذلك يعني ان الأرض قــد فرشت بالمدافــع المتأهبة الجاثمة فى مرابضها الاسمنتية ، وان المدفعيين والهنادسة (١)

(١) الهنادسة ، او الهنادس جمع هندس ، وهو المقاتل العامل في سلاح الهندسة ٠

قد زرعوا الموضع وفرشوه بأعشاش الرشاشات ، والأبـراج الحصينة ، والملاجئ والسراديب ، مستعملين لذلك جميع المواد المتوفرة ، بما فى ذلك المواد التي يستطاع تأمينها محليا ·

توضع المدافع (٢) بحيث تستطيع القيام بالرمي المباشر ، فى مرابض محصنة ، وفى الأماكن المعدة لاصطياد الدبابات خاصة ، وتعمل بالتعاون الوثيق مع مجموعات من المدفعية الثقيلـة · تبقى جميع المدافـع على استعداد دائم لتركيز الرمي وحشده على أية نقطة من الجبهة · ولكي يكون الدفاع جيدا ، وفاعليته كبيرة ، يجب ان تكون على رأسـه قيادة كفء قادرة على تحريك مثل هـذا الجهاز الضخم ، وادارتـه وتشغيله بيسر وسهولـة ، وعلى تـوجيه نيرانـه هنا وهناك ، وفقا للحاجـات وتطورات الموقف ، وبأقصى سرعة وأعظم فاعلية ·

تلعب المنطقة المحصنة دورا دفاعيا على أربعة أوجه :

أ ـ تكون قاعـدة اسناد قويـة ، فى حـال اختراق العدو للجبهة الاستراتيجية ،

ب ـ تستجلب العدو ، وتثبته مـع وسـائطه بأعـداد عظيمة ، ولمدة طويلة ،

ج ـ تكون قاعدة انطلاق للتعرض ،

د ـ تحقق توفيرا فى استعمال قوات المدافعة ·

المنطقة المحصنة ، باختصار ، هي بمثابة العمود الفقري للمحاربـة الدفاعية ، مكانية أم حـركية · وهي ، ككل منظومـة دفاعية ، تنظم للدفاع على أساس العمق ، وتتألف من عـدة قطاعات قوية مستكفية · وليس من المستحيل اختراق منطقة دفاعية ، لكن هذا يستدعي تضحيات وخسائر عظيمة ، وذلك بسبب نيران الأسلحة الدفاعية المنتشرة عمقا ، وبسبب التقسيمات الدفاعية الداخلية المستكفية ، المتشابكة النيران ·

لن يكون القتال على المناطق المحصنة ناجحا ، اذا سمح للمهاجم ان يتحرك بغير مناورة الجبهة ، أي اذا تركه الدفاع يخترق جبهته بهجوم جانبي ، بواسطة مناورة جانبية · ولو استطاع المهاجم ان يحدث ثغرة

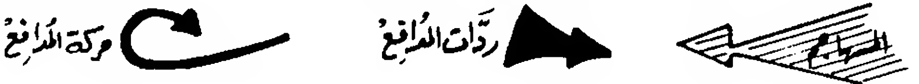
(٢) اصطلاح المدفع يشمل الصاروخ كذلك ·

فى الجبهة المحصنة ، وان يعطل تدابير المقاومة على طول محور تقدمه ، وكانت عناصر الدفاع البشرية قويـة شديدة المراس ، فالمفروض ان ينتهي ، عاجلا أو آجلا ، الى حيث يجد نفسه فى جيب ، وقد انصبت عليه النيران القاتلة من التحصينات التي تحيط به من كل جانب • واذا لم يتمكن المهاجم من الانتشار على جوانبه ، فنهايته عندئـذ هي التدمير بنيران الهجمات المعاكسة ، المتزايدة عنفا وضراوة ، والمستمرة دون انقطاع •

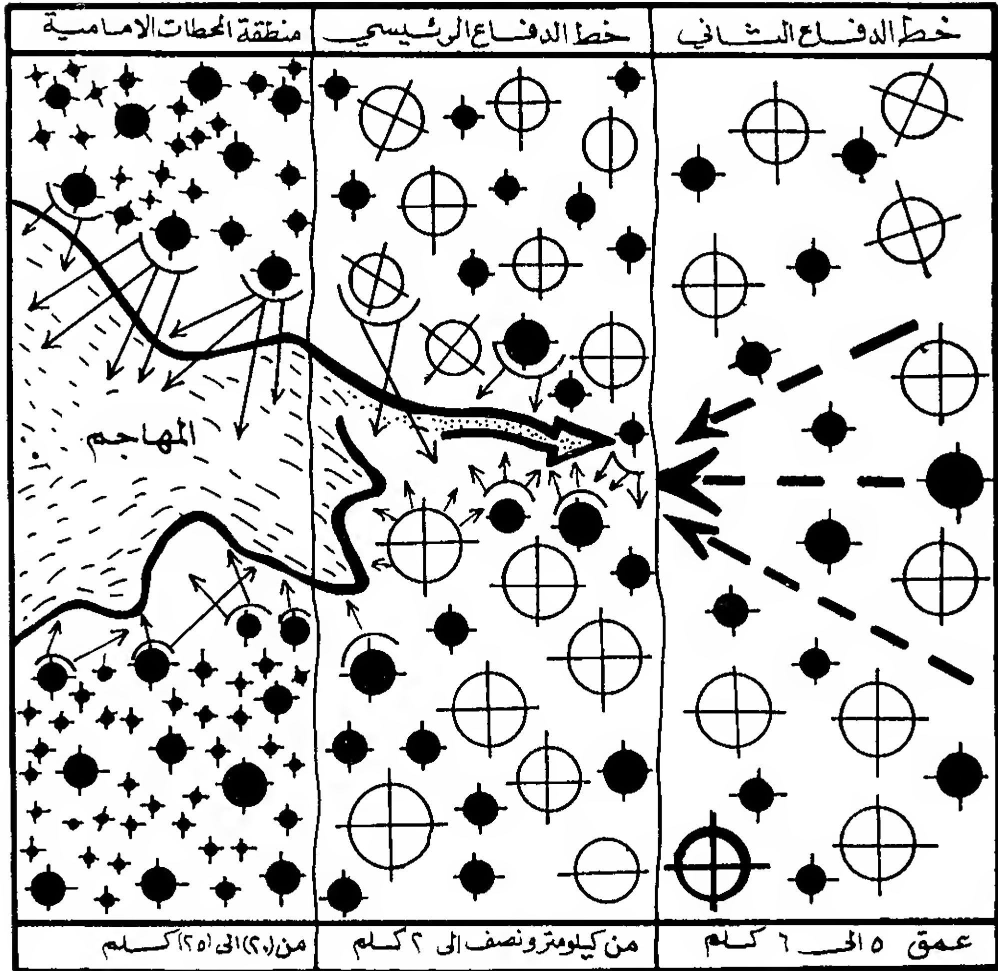
الشكل رقم ٢٣

الأشكال التقريبية للتعرض والهجوم

الاستغلال
التقويه
الانقضاض



الشكل رقم (٢٤)
مخطط لشكل فى الدفاع المكاني



المصطلحات :

موضع للرمي الافرادي — دفلعة قادره على العمل مستقله

مركز مقاومة يضرب بناره الارض حواليه — احتياط دبابات ومش

الفصل العشرون

المناورة الحربية

١ ـ عموميات

المناورة ليست غاية فى حد ذاتها • انها فقط احدى الوسائل الهامة الى بلوغ الغرض الرئيسي من الحرب ، وهو النصر الذي لا يتحقق ألا بعد تدمير طاقات العدو الحربية ، واحتلال أراضيه •

يمكن تعريف المناورة بأنها تحريك للجيوش بأمان وسرية وانتظام، وبدعم من جميع القدرات النارية لغرض مواجهة العدو فى المكان الملائم، على أفضل وضع وخير وجه • وليست للمناورة فاعلية ضمنية ذاتية ، بل الفاعلية فيها ، التي لا تظهر الا حين التنفيذ وأثناءه ، هي نتاج لحاصل الجرأة والمهارة والمرونة لدى المنفذين ، رؤساء ومرؤوسين • والفاعلية المتوخاة من كل مناورة ، هي الاستطاعة على اصابة الخصم بضربات قاصمة ، وتطويقه ، وابادته •

لا يمكن أن تكون مناورة بالمعنى الصحيح ، أي مناورة تؤدي الى تحقيق الأغراض المنشودة من ورائها ، ما لم تتأمن الأمور التالية :

ـ حرية التصرف ،

ـ النشاطية ،

ـ الايجابية والحركية •

٢ ـ حرية التصرف

المعارك فى الحروب ، فى كل وقت ، هي محاربات مناورة • ولذا فانه لمن الضروري الاحتفاظ بحرية العمل والخيار فى انتقاء هذه الحركة أو تلك ، وفى تحريك مجموعة من الجيوش أو سواها ، تبعا لما تكون عليه القوات المقاتلة من قدرة واستطاعة ، فى الظروف القائمة ، سواء كان ذلك فى مرحلة الاعداد أو فى سياق العمليات • والمناورة تعني ، أيضا ،

توفير الاستطاعة على التنفيذ السريع لمختلف تحركات التجمع التي تقتضيها طبيعة المناورة الجارية · والغرض من كل ذلك تأمين الوقت والشروط الملائمة للقيام بالتحركات العسكرية ، على أساس الاستفادة من الظروف والاوضاع الراهنة ، وتوخيا الى تحقيق الغايات المنشودة من المناورة فى أقصر زمن ممكن ، وعلى خير وجه ·

٣ ـ النشاطية

المراد بالنشاطية عكس السلبية · انها تلك الحيوية التي تنتزع زمام المبادرة وتحتفظ به ، وتفرض المشيئة على العدو ، وتمهد لصاحبها طريق الفوز والانتصار ·

تتوخى النشاطية ، فى القتال ، فرض المشيئة واملاء الارادة على الخصم ، كل وقت ، وحيثما أمكن ، وذلك بضربه وازعاجه ، واضعافه، والحصول يوميا ، وساعة فساعة ، وعلى حساب هذا الخصم ، على انتصارات متواصلة ·

أما السلبية ، التي هي عكس النشاطية ، والتي هى الجمود والقعود بلا حركة مفيدة ، فتؤدي فى الحرب الى خسارة المبادرة وتسليمها الى العدو ، وتوصل غالبا الى نهايات لا تحمد عقباها · كل طرف يتقاعس أو يتباطأ ، أو ينتظر ساكنا أن يتبلور الموقف من تلقاء ذاته ، لعامل بنفسه على تعريف الخصم بضعفه وعجزه ، وخاسر حتما لكل حركة يقوم بها · والخطيئة الكبرى ، التي يرتكبها القائد ، هي عدم اتخاذ القرارات ، أو اتخاذها متأخرا · فى العمليات الحربية ، المعاصرة خاصة ، لا يستطيع المرء أن يبقى حيث هو · فعدم الحركة معناه التراجع · والذين يتراجعون أثناء القتال دون أمر ، يتعرضون الى عقوبة القتل بيد رفاقهم وقادتهم كما هو معروف ·· أما المتراجع بنتيجة بقائه فى مكانه ، فانه مقتول أيضا ، لكن بيد العدو ·

لا سلبية فى الحرب مطلقا · ومع أن بعض الأساليب كالتمويه والتغطية تبدو سلبية فى مظاهرها ، الا أنها فى الواقع خلاف ذلك· وقد يجوز ، فى بعض الحالات ، القبول بنوع من السلبية ، لكن عندئذ كجزء من مناورة مدروسة ومقررة · أي انه يجوز ، لخداع العدو، الاحتفاظ بالمبادرة مع التظاهر بعكس ذلك · والمثال على مثل هذه السلبية

الكاذبة ، فى ميدان التكتيك ، قبوع كمين ينتظر فى مكانه مرور العدو، بلا صوت ولا حراك · المهم فى الأمر أن تكون لدى القائد خطة عمل ، وخطة بديلة ، وأن يكون كل ذلك مبنيا على المبادرة، وأن يجري التنفيذ بالنشاطية الكاملة ·

٤ ـ الايجابية الكاملة

الايجابية والحركية ، من حيث الفعل والنتائج ، عنصران متكاملان لا ينفصلان · فالايجابية هي التحرر والانطلاق ، والسيطرة على الظروف والاحداث · أما الحركية فهي الصفة الغالبة فى المبادرة ، بل هي فى الواقع ثلاثة أرباع المبادرة· واذا أردنا أن نكسب المعارك ونربح الحروب ، فعلينا أن ننجح أولا فى تحقيق المعادلة التالية :

(حرية تصرف + نشاطية + مبادرة + ايجابية + حركية = فوز + نصر)

التعرض والهجوم هما حركية ونشاطية · والدفاع الفعال هو حركية ونشاطية كذلك · وكما ان الحركة فى المخلوقات الحية هي الدليل على وجود الحياة ، كذلك الحركة فى القتال ، فهي الدليل العملي على الحيوية وعلى الرغبة فى فرض المشيئة وابتغاء الفوز والغلبة فى ميادين الصراع · لكن هنالك حركية وحركية · هنالك الحركية الهوجاء التي تعمل كالحيوان ·· وهناك الحركية الحكيمة الراشدة ، التي لا تعمل منفردة ، بل دوما مشتركة متضامنة مع بقية عناصر الفوز والظفر، أي مع بقية معطيات المعادلة السابقة الذكر ·

والايجابية عكس السلبية · ولكي نتعرف على الايجابية جيدا، يجب أن نتعرف عليها على أساس تعريفنا للسلبية · فما هي السلبية ؟

ـ السلبية هي القعود والجمود والانقياد للظروف والاحداث· والسلبية فى الدفاع تؤدي حتما الى التدمير · ان القعود داخل الحصن شيء ، والمناورة من الحصن ، أو بين الحصون ، شيء آخر · ان القعود داخل الحصن ، وعدم الخروج منه ، هو الصيرورة أسير المكان ، وعبدا له · وهو قتالية تعتمد على نوع جامد من عمل الانسان ، لا على الانسان نفسه · وهو أخيرا تسليم لزمام المبادرة الى الخصم ، دون مقاومة ، ودون تحديد لزمن · ان الطائرة والدبابة قد جعلتا من الدفاع الجامد أسلوب قتال قد عفا عليه الزمن · وهذا الجمود، أو هذه الصلابة

فى التفكير والتصرف والتطور مع الأحداث، لا تحرم صاحبها منالابتكار والمبادرة والسيطرة على سير القتال فحسب ، بل تعطي كل ذلك الى الطرف الآخر دون مقابل ·

أحسن مثال لتجسيم السلبية فى الدفاع ، ولابراز هذه السلبية وعيوبها ، هو خط « ماجينو » الفرنسي · ففي بداية الحرب العالمية الثانية ، أيلول ١٩٣٩ ـ أيار ١٩٤٥ ، أقام الفرنسيون فى حصون ماجينو وملاجئه ، وقعدوا ينتظرون ما سيفعله خصمهم· وبذلك سمحوا لهتلر أن يهاجم حيث يريد ، وعندما يريد ، وبالقوات التي يريدها ·

الشيء الذي لم يدركه أصحاب خط ماجينو ، وسواهم من القائلين بنظرية الدفاع الجامد ، هو ان استراتيجية المدافعة وتكتيكاتها ، سواء كانت ابادية ام استنزافية ، يجب أن تكون ديناميكية ، وأن يكون التخطيط لها مبنيا على الحيوية والنشاطية والاستمرار الديناميكي · واذا لم تكن كذلك ، فحياة المدافعة هي حالئذ رهن بسلامة الجبهة فى جميع نقاطها ، وكل اختراق لهذه الجبهة ، هو حدث قاتل للمعنويات ، وطعن لها فى الصميم ·

ان الدفاع الجامد، فى الواقع، هو اصرار على عدم التضحية بشيء· أو هو تضحية بأقل ما يمكن · وهذا لا يكفي فى المحاربة ، لا فى يومنا هذا ، ولا قديما كذلك · وقد حدث فى التاريخ عدة مرات أن كان رفض الاقدام على المخاطرة ، وعدم القبول بالمجازفة المعقولة ، دائما يؤدي الى خطر أعظم ، والى عاقبة أوخم · وبتعبير أكثر وضوحا ، نقول ان عدم الاقدام على مجابهة مجهول ما ، بحجة عدم المجازفة بشيء ، هو بالتالي مدعاة الى التضحية بجميع الحظوظ والاحتمالات ، نتيجة لعدم ركوب أي واحد منها ·

ان الاستراتيجية الدفاعية ، الممثلة فى خط ماجينو عام ١٩٤٠ ، وفى جدار الصين فى العصور الوسطى ، أصدق صورة وأحسن تعبير عن تفكير وعقلية الفئات القائدة المخنثة ، المتخمة بالشهوات والملذات وحب الذات ، التي ترفض مواجهة الاخطار والصعاب برجولة وحزم وشجاعة، والتي لا تريد ، أو لا تعرف كيف تتسامى وترتفع، بنفسيتها وروحيتها وعقلانيتها ، الى مستوى الأحداث · هذه الاستراتيجية

المترفة ، أو التجارية ، تشكل الفريسة الهينة لاستراتيجية الابادة • وانها لكذلك خاصة عندما تكون المناطق الحيوية فى متناول المسافة الضاربة ، للطرف الذي يقوم بالهجوم •

٥ ـ تكتيك الحركية

يقوم تكتيك الحركية على عامل الزمن، أي على السرعة فى الحركة، وعلى السرعة فى تدمير الأهداف المعادية ، وعلى السرعة فى تدمير الطرق والجسور والمعدات ، وعلى السرعة فى التموين والتبديل والمعالجة، وعلى السرعة فى المطاردة والاستغلال ، وعلى استعداد القيادة لقبول المجازفة تحقيقا لأهدافها ، وعلى السرعة فى استغلال كل ظفر الى أقصى حد ممكن • هذا التكتيك، باختصار، هو استعمال الزمن، وجعله خادما لا سيدا •

ويقوم تكتيك الحركية ، أيضا ، على أساس الاستمرار فى عامل السرعة ، وعلى أساس المحافظة على سلامة الطرق ، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالميكانيكيات ، وعلى عامل الامتزاج والانسجام التام ما بين الدبابة والطائرة • ومن المتطلبات الأخرى لهذا التكتيك :

- الحركة بالانتشار ، وبالأبعاد والمسافات الفاصلة ،
- الضربة بالكتلة المرصوصة، أي حشد القوة عند نقطة الاصطدام، لا عند نقاط الانتقال •

٦ ـ الحركية فى الهجوم

يتعلق نجاح العمليات الهجومية على الارض، بمدى التعاون الوثيق بين الطائرة وبين القوات البرية • والحركية فى الهجوم ، أفضل من الكثرة فى الدفاع • فهي تمكن المهاجم من حشد التفوق فى القوة ضد نقطة واحدة ، أو ضد سلسلة من النقاط ، فى تتابع سريع • والطاقة الضاربة فى الهجوم ، تتضاعف بالتجديد فى التكتيك والوسائط، وتتطلب غاية ما يمكن من التكامل والتعاون بين جميع الأسلحة •

وفى موضوع الهجوم ، يجب أن يميز بين المكان التكتيكي المناسب ، والوقت الاستراتيجي المناسب • ولتوضيح ذلك ، نأخذ مثلا من معارك المارشال رومل فى أفريقيا الشمالية ، ومن خطة « بربروسا » فى روسيا، ابّان الحرب العالمية الثانية • فقد أرسل رومل الى المكان التكتيكي

الصحيح ، لكنه لم يرسل فى الوقت الاستراتيجي الصحيح ، انمـا جرى ارساله متأخرا أربعة أشهر عن الوقت الصحيح • وفى روسيا ، فىحزيران عام ١٩٤١ ، حشد الألمان قواهم لخطة « بربروسـا » الهـادفة الى غزو الاتحاد السوفياتي واجتياحه ، فى المكان التكتيكي الصحيح ، لكنالوقت الاستراتيجي لم يكن صحيحا ، لأن هذا الوقت جاء متأخرا عن زمـانه الصحيح بمدة شهرين •

وبهذه المناسبة ، يقتضي أن يظل ماثلا فى الأذهـان ما سبق ذكره فى فصول سابقة ، من ان الغرض الاستراتيجي هو الأساس والمرجع لجميع العمليات والأهداف التكتيكية، وبأن كل فوز تكتيكي، مهما كان باهرا ، يذهب سدى ان لم يكن قد جرى وتحقق تبعا لغرض استراتيجيصحيح• ومن أحسن الأمثلة وأقواها لتأكيد صحة هذا المبدأ ، هو فى سفر الفيلق الألماني الأفريقي ، فى أفريقيا الشمالية ، خلال الحرب العالمية الثانية • فقد ربح المارشال رومل عدة معارك ، وحقـق كثيـرا من الانتصارات الباهرة ، الا أن كل ذلك راح سدى ، لأن الهدف الاستراتيجي الألماني ، فى تلك الساحة الحربية الهامة ، لم يكن صحيحا ، أو بالأحرى لأن الألمان لم يكن لهم أي هدف استراتيجي ، فى أفريقيا ، بالمرة •

الباب السادس
المقاتلة وخصائص الأســلحة الرئيسية

الفصل الحادي والعشرون

القــوة الحيـــة

١ ـ عموميات

الضغط المستمر على العدو ضرورة وواجب ، فى التعرض والدفاع على السواء • هذا الضغط ، فى حالة القتال بالمدافعـة ، يكون بعمليات المضايقة ، والمهاجمات المعاكسة ، وكـل طريقة أخرى قابلة لأن تزعج الخصم وتنال من وسائله ومعنوياته •

وممارسة الضغـط المستمــر على العــدو واجب أولي عــلى جميع الاسلحة • وهو فرض ملازم فى كل لحظة • انه الواسطة المثلى الى جس نبض العدو ، والى تعيين النسبة فى القوى المتقابــلة • هــذا الضغــط المستمر يُعرف فى حالةالتعرض باصطلاح « القوة الحية » أو «الفعالة»، وهي قوة تستدعي صيانة مستمرة ، واصرارا عــلى التقدم والتدعيم والمطاردة •

القوة الحية ، اذن ، هي الاندفــاع أو الزخم فى الزحــف والتقدم• وهي تنتج عن السرعة فى المناورة ، وعن فاعلية الصدمــة الساحقة فى الاتجاهات الرئيسية• ان السرعة فى القوة الحية ، تسمح بكسبالوقت، وتتسبب للعدو فى ظهور أوضاع جديدة عليه ، وتمكن من زمام المبادرة، وتحول دون استطاعة العدو على اتخاذ التدابير الملائمة لتعطيل عجلة التقدم وعرقلة مسيرته • وكلما ازدادت السرعة فى القوة الحية ، كلما ازدادت احتمالات النجاح مع أقل نسبة من الخسائر• وللنجاح فىالصدمة

المبدئيــة تــأثير كبير على مــردود القوة الحيــة وتفاعــلاتها ، كما أن ماهية هذه القوة تتأثر حتما بمقدار النسبــة فى القــوى ، ووسائل الابطال أو المضاددة ، وقتالية العدو وشدة مراسه ، والأرض والطقس الخ ..

يجب أن تـُبنى قوة الصدم فى القوة الحية ، وأن تحتفــظ بمستواها وتتأمن صيانتها ، لا لمراحل الانقضاض والاختراق فحسب ، بل وأيضا لمراحل التدعيم والاستغلال والمطاردة خاصة . والقوة الحية الفعــالة، فى كل زحف ناجح موفق ، تتعاظم بصورة تصاعدية مستمرة، وتتضخم تضخم كتلة الثلج المتدحرجة الى الوادي ، على طريق مفروش بنــديف الثلج الطازج . والدور الأول لهذا التعاظم والتضخيم، يكون للاحتياط، ولحسن استعمال هذا الاحتياط .

المفروض فى كل عملية عسكرية صحيحة ، أن تجــري وتستمر على الجريان والتقدم دون انقطاع . والعملية التي تنتهي بالنصر والنجاح، تتحقق بواسطة سلسلة من التعرضات القوية ، المواظبة على تلقي مزيد من القوة الحية بصورة متعاظمة . والفن فى ادارة عملية حربية ، ما هو الا معرفة لكيف نقذف بالمهاجمات المتتابعة المتواصلة وذات القوة الحية المتعاظمة ، دون توقف أو انقطاع . والصدمة الأخيرة هي الأشد عنفا وقوة . انها ذات طابع كاسح ساحق .

هذه النظرية ، الداعية الى التعاظم والتقويــة بالتدريج ، هي على نقيض النظرية التي تقول بحشد كل القــوة فى هجمــات صاعقة منــذ الخطوة المبدئية . وان استمرار القوة فى العمليــة حتى هزيمة الخصم التامة ، والتعاظم التصاعدي المتواصل للمجهود المدعــوم بالمؤخرات ، واستغلال الانتصارات الخاصة وتدعيمهــا ، كــل هذا يتحقق بواسطة الموجات التالية من القوات المتورطة على محور الجهد الرئيسي .

والاستمرار المنشود يعني، بديهيا ، التنسيق بين العمليات المختلفة. وبديهي أيضا أن التعاظم المطلوب للقوة الحيــة ، يــرفض كليا فكــرة التوقف والاستراحة بين كل مرحلة وأخرى ، وبين كل تعرض وآخر ، وبين كل عملية وأخرى تالية ، وذلك ما ظل الأمر ممكنا ، وظل زخــم الهجوم مستمرا بواسطة الموجات المتعاقبة .

تُقاس القوة الحية ، فى الهجوم والمطاردة ، على أساس المعدل الوسطي لسرعة التقدم • وهذا هو السبب الذي يجعل من الحركية صاحبة الدور العظيم الأهمية أثناء الاختراق وبعده ، وخاصة فى مراحل الاستغلال والمطاردة •

٢ ـ القوة الحية فى المطاردة

السرعة فى المطاردة ضرورة حيوية حتى يستطاع تطويق العدو المتراجع وتدميره ، حالما يتم الاختراق • ولا تكفي الدبابات وحدها لتحقيق ذلك • وأحسن قوة لأعمال المطاردة ، تكون مزيجا من الدبابات والمشاة الميكانيكية ، والمشاة المنقولة على ظهر الدبابات ، والطيران ، ومشاة الهواء •

تبدأ المطاردة حالا على أعقاب الاختراق وانسحاب العدو، وتستمر حتى تدميره التام • وهي تستدعي احتفاظا بالقوة الحية على الدوام، وعملا بمفهوم المتطلبات التالية :

ـ من الواجب تدمير العدو داخل نطاق دفاعاته ، والاندفاع حالا الى مطاردة حادة متواصلة لكل تشكيلة عدوة تنجح فىالافلات من التطويق ••

ـ تجري المطاردة بأقصى السرعة والفاعلية ••

ـ يعتمد القائد كثيرا على مبادهته ومبادرته ، ولا يسمح بالتوقف بانتظار التشكيلات المجاورة ••

ـ تستمر المطاردة حتى تدمير العدو المتقهقر بصورة تامة ••

ـ لا تتحقق الهزيمةالكاملةللعدو المتقهقر الا بواسطةمطاردة ضارية مستمرة ••

ـ الأمر بالتوقف أثناء المطاردة ، هو فقط من صلاحيات القادة من مرتبة الضباط الأمراء •

ان الغرض الجوهري من المعركة ، لا يعتبر حاصلا محققا اذا لم يتحقق تدمير العدو المهزوم تماما ، واذا استطاع العدو أن يتراجع مقاتلا قتال الانسحاب ، أي بحرية وانتظام وبلا فوضى • وكل نصر يجب أن يستغل بسرعة • ومن مطالب مثل هذا الاستغلال ، مطاردة العدو دون هوادة ، وتذليل جميع العراقيل والصعوبات فى سبيل ذلك •

ويجب أن لا يترك للخصم أقل فرصة أو مجال لتمالك روعه واستعادة أنفاسه ، لا فى الليل ولا فى النهار ٠

تتكون المطاردة عادة من مجموعة من مناورات الالتحام والالتفاف والتطويق وقطع خطوط المواصلات ، ومن تدمير للطرق والمستودعات ونقاط العبور الاضطرارية ، الخ ٠٠ وان أحسن التشكيلات أو التجمعات المقاتلة الصالحة لأعمال المطاردة ، هي المزيج المتجانس من الدبابات ، والقوى الميكانيكية ، والطيران ، والقوى الهوائية ، وكذلك من الخيالة اذا اقتضى الأمر وكان ذلك متوفرا ومفيدا ٠ ان المهمة الرئيسية للدبابات ، هي تحقيق الاختراق بالتعاون مع بقية الأسلحة ، بينما تقوم التشكيلات الميكانيكية والهوائية ، أساسا ، باستغلال الفوز الحاصل ، أي بالمطاردة ٠ وهذا لا يعني أبدا أن الدبابات لا تستطيع القيام بدورها فى المطاردة ، لكن بالاشتراك مع بقية الأسلحة كما تقدم الذكر ، وبعد أن تنتهي من مهمتها الرئيسية التي هي الاختراق ٠ والمطلوب من الطيران أثناء المطاردة ، هو الاستطلاع ، واحلال الفوضى فى تحركات انسحاب العدو ، وذلك بمهاجمة احتياطه ، وحرمانه من امكانات التجمع والقيام بالمهاجمات المعاكسة ٠

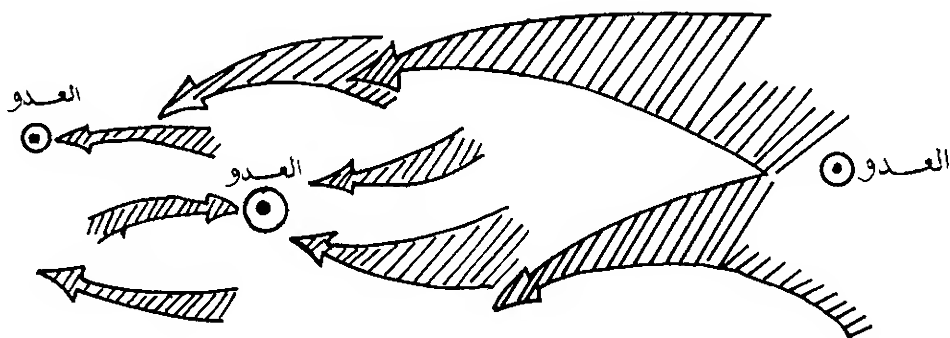
هنالك شكلان للمطاردة :

ـ المطاردة المباشرة ، أو الجبهوية ،

ـ والمطاردة المتوازية ٠

فى المطاردة المباشرة ، تجري ملاحقة العدو باتباع نفس الطرق والمسالك التي يتخذها ٠ بينما يلجأ ، فى المطاردة المتوازية ، الى سلوك طرق موازية للمسالك التي يتراجع عليها العدو ، وذلك بقصد الالتفاف على القوات المعادية المتقهقرة ، وتطويقها ، وتدميرها ٠ وقد تستهدف المطاردة المتوازية استباق العدو الى بلوغ أهداف على غاية من الأهمية ، مثلا كأرض صالحة لأن تكون موضعا دفاعيا قويا ، يحتمل أن يتوقف العدو المتقهقر للدفاع عليه ٠ واذا جرت المطاردة المتوازية بصورة مزدوجة ، أي على جناحي العدو ، فانها تؤدي غالبا الى نجاحات حاسمة ٠ وتؤدي المطاردة المتوازية الى تطويق العدو وتدميره فى منطقة المطاردة ، وتسمح ، فى ذات الوقت ، بالاستيلاء على مناطق وخطوط

عظيمة الأهمية من الناحية العملياتية • وان أحسن النتائج تحصل عن مزيج من المطاردة الجبهوية والمطاردة المتوازية •



الشكل رقم (٢٥)
رسم بياني للمطاردة والتطويق

٣ ـ القوة الحية فى التدعيم

الاصرار والاستمرار على التعرض ، وعلى الزحف كلما كان ذلك ممكنا ، مع الاحتفاظ بالقوة الحية أثناء التقدم ، كل هذا لا يعني أبدا اهمالا لمبدأ وجوب استغلال النجاحات الموضعية وتدعيمها • ولكي لا يقع اهمال فى هذا الأمر الهام ، يجب الانتباه الى الأمور الثلاث التالية :

ـ وجوب تلبية مطالب اللوجستيك والتموين ،
ـ وجوب تعايش القيادة مع الظروف الراهنة باستمرار، وتجنب الغرور والادعاء وتفاعلات هذه النزوات الطائشة ،
ـ وجوب الاستمرار على الاحتراز والتنبه للمفاجآت ، وذلك بعدم الاندفاع الأعمي الى الأمام ، وبتدعيم المواضع المكتسبة، وبتجميع القوى والوسائط على أساس الظروف المستجدة، وبتضييق الشقة مع المؤخرات والاحتياط •

العمل بمقتضى هذه المطالب ضرورة حيوية حتمية ، وذلك لكي يصير بالامكان تجنب المفاجآت وسد الثغرات التي تحدث أثناء التعرضات ، وللاحتفاظ بالقوة الحية جاهزة كل وقت وصالحة لتدمير

العدو تدميرا كاملا ·

لم تكن ، ولا يمكن أن تكون عمليات تعرض ظافرة ، دون تجميع للقوى فى سياق التعرض نفسه ، ودون تدعيم للمواضع المكتسبة أثناء التعرض ، ودون استعمال حكيم للاحتياط لغرض متابعة التعرض حتى النهاية والانتصار · وكل عملية طائشة ، أي لا تكون قائمة على أساس هذه المطالب ، تنتهي بالتعرض حتما الى نقطة العدم ، وبالتالي الى الخسارة والهزيمة · ان الاندفاع الأعمى الى الأمام هو التهور والطيش بعينه ، وهو اجراء مميت لكل تعرض ·

والتدعيم يعني ، على أساس النسبة فى القوى ، تثبيت هذه النسبة حالا عقب كل تحول موافق · هذا التثبيت ، أو التدعيم ، فرض فوري قبل أن يطرأ ما قد يحدث تعديلا فى الموقف لصالح الخصم ، ويؤهله للقيام بالهجوم · ويجب أن يجري كل تقييم لكل نجاح بحذر شديد طالما ظل غير مضمون بصورة مطلقة · ومن الواجب ، بوجه خاص ، تحاشي النوم على مشاعر الظفر ، ومتابعة تطورات النسبة فى القوى عن كثب · ان الطرف العاقل، أي غير المجنون، لا يسير بنفسه الى الهاوية· بل ان استهداف تحقيق مثل هذه النتيجة للخصم عبء يقع على عاتق الطرف الذي يريد أن ينتصر ، والذي يترتب عليه لذلك أن يقود خصمه باحكام حتى حافة الهاوية ، وأن يلقيه فى أعماقها ·

والتدعيم يعني ، أيضا ، تصفية بقايا العدو ، وبناء مواضع دفاعية للاحتراز ضد كل المفاجآت والمهاجمات المعاكسة المحتملة ، وتأمين عمل وتشغيل خطوط المواصلات والتموين الجديدة ، وتجميع القوى لغرض اضطراد الزحف ومتابعة التقدم ·

الفصل الثاني والعشرون

التطبيق لمبدأ الابادة في ساحات القتال

عموميات

يتشرب المحارب ، الآمر والمرؤوس ، بروح الكره والبغضاء للعدو، وبالارادة الكاملة على ابادته فى المعركة · ولا تعني الابادة بالضرورة تصفية جسدية ، بل تعني استئصالا تاما لكل شكل من أشكال المقاومة · ان الابادة فى الحرب مبدأ حيوي لجميع الأطراف · وكل طرف لا يعمل بهذا المبدأ ، فهو انما يعرض نفسه الى الابادة على يد الطرف الآخر·

فى الابادة ، هنالك :

- الغرض العسكري ،
- والابادة بالتجزئة ،
- والابادة بالتتابع ،
- والابادة حتى النهاية ·

١ ـ الغرض العسكري

فى الحرب ، الهدف الرئيسي ليس هو احتلال الأرض ، بل هو تدمير جيوش العدو · والجيش فى الميدان لا ينصرف الى تغطية مجمل الحدود· انه يحتشد فى الوجهة الحاسمة ، على اعتبار ان خير وسيلة للدفاع عن الحدود ، هي فى تدمير الجيوش المعادية · وعلى هذا الأساس ، تحاول الجيوش المتحاربة ، منذ البداية ، ملاقاة بعضها البعض ، كل فريق يبتغي تدمير الفريق الآخر ·

تجري العمليات العسكرية ، وتستمر الى أن يتم تدمير جيوش العدو العسكرية · والحصول على النصر الحاسم ، وابادة وسائل مقاومة الخصم تماما ، هما الأهداف الأساسية للحرب من الوجهة العسكرية · ان الغرض من جميع العمليات العسكرية هو التدمير التام لقوات العدو

المسلحة • والابادة ، بمعنى تصفية الوسائط والطاقات والاستطاعات، هي الطابع الأساسي ، والجوهري ، والفاصل فى كل عملية عسكرية ناجحة •

٢ ـ الابادة بالتجزئة

الواقع المتفق عليه ، هو ان العدو يصير مؤهلا للتدمير والابادة بصورة سهلة ، عندما يكون معزولا وعاجزا عن المناورة ، أي بتعبير آخر ، عندما يكون مطوقا • ولهذا السبب كانت الأفضلية عند الاختيار تعود الى عمليات الالتفاف والتطويق • والطريقة المثلى للقضاء على العدو بعد ذلك ، هي عزله فى جيوب ، وثم ابادته على أساس هذه التجزئة • يصار الى تجزئة العدو المطوق ، بتطويقات أخرى داخلية فرعية ، ثم يجري تدميره فى كل جيب ، بالنيران المحشَّدة المركزة المتفوقة •

الفكرة الرائدة ، فى القتال من أجل ابادة العدو المطوق ، هي تحطيم تلاحمه ووحدته ، وتقطيع عراه وأوصاله ، وتحويله الى جماعات صغيرة ، وحصر هذه الجماعات الصغيرة فى مجالات ضيقة محدودة ، وتعريضها الى النيران المتشابكة المتقاطعة من الرشاشات والهاون والمدفعية ، ومن نيران الطيران عند الحاجة • بهذه الطريقة يتم الحصول على النصر ، أي بحشد جميع أو معظم نيران الأسلحة المتوفرة ضد جماعات العدو الصغيرة المعزولة ، بحيث تجري ابادتها جماعة تلو أخرى •

هذه الابادة بالتجزئة، هي الغاية المتوخاة من الهجمات على الأجنحة، ومن مناورات الالتفاف بعد الاختراق • فالهجوم على الأجنحة، كالهجوم على المؤخرات ، يتسبب فى تضعضع هيكل قوات العدو وتفككه ، ويؤدي بالتالي الى تطويقه ، والى تدميره جزءا فجزءا •والمناورة بالنار ترمي الى بلوغ نفس الغايات كذلك • وهي عبارة عن توجيه حشود نارية سريعة وغير متوقعة على أهم عناصر العدو ، بقصد تدمير هذه العناصر بالتتابع واحدا تلو آخر •

ان تدمير العدو بالتجزئة ، هو أول مطلب أساسي فى فن المحاربة• وهذه التجزئة هي نوع من مرحلية يستعمل الفاصل الزمني فيها

لتجميع الوسائط النارية ، وتركيزها وتوجيهها ، بالتتابع والتدريج ، على كل جزء من أجزاء العدو المطوقة ، لكن شريطة أن تظل القوة الحية حقيقة ملموسة فى كل مرحلة ، وكل عملية ، وأن تكون التشكيلات المقاتلة على أحسن ما يكون حركية ونشاطية ٠

٣ ـ الابادة بالمعارك المتتابعة

تتطلب المحاربة المعاصرة عددا من النجاحات المتواصلة المنسقة٠ والاستمرار فى ادارة العمليات والسيطرة عليها يشكل الشرط الأول للنجاح ٠ وعندما يجري القتال على عدة جبهات أو نقاط ، يجب الاهتمام بكل جبهة أو نقطة بالتتالي ، على أن يكون الابتداء حيث يكون الخطر على أشده ، وأن لا ينتقل الاهتمام الى نقطة أو جبهةتالية، الا بعد انجاز التصفية الكاملة للعملية فى الجبهة أو النقطة السابقة ٠ والوقت عامل حيوي ، ولذلك فكل ما يدعو الى التباطؤ أو التوقف أثناء مختلف العمليات ، باستثناء ضرورات اللوجستيك والتموين وسوق الاحتياط ، يجب ازالته وازالة مسبباته ٠

تتجلى القوة الحية بقوة الصدمة ، واستمرارها متعاظمة بصورة تصاعدية على نفس طويل ٠ والصدمة نوعان :

ـ الصدمة الصاعقة ،

ـ والصدمة المتعاظمة ٠

تقوم الصدمة الصاعقة ، على مبدأ القذف بكل القوى فى هجوم كاسح عظيم ، وعلى مبدأ القبول بقدر معقول من المخاطرة ٠ والألمان هم أنصار هذا الرأي والعاملون به ، ونموذجه معركة « كان » ، التي انتصر فيها هانيبال القرطاجي على الرومان عام (٢١٥) قبل الميلاد٠

وأما الصدمة المتعاظمة ، وأنصارها كثيرون ، وعلى رأسهم الروس السوفيات ، فتقوم على مبدأ سلسلة من المعارك المتلاحقة ، المتعاظمة القدرة والفعالية بصورة تصاعدية متواصلة ٠ وأنصار هذا الرأي يدعون الى اجراء القتال على أساس عدد متتابع من المعارك من نموذج « كان » ، لكن على صورة مصغرة ٠ وهم يقيمون دعواهم على أساس ان المحاربة المعاصرة يندر أن تسمح بتوفر الظروف المطلوبة لتحقيقابادة الخصم بمعركة واحدة ، وانها ، أي المحاربة المعاصرة ، تميل الى جانب

العمل بمبدأ « احتراب الابادة » فى سفر أو حملة أو تعرض يتخلله عدد من معارك الابادة الصغيرة • ويطبق هذا الرأي عمليا ، بأن تندلع فى وقت واحد ، وفى عدة قطاعات أو مناطق أو جبهات ، سلسلة من العمليات المتباينة ، المتلاحقة فى الزمان والمكان على نبض واحد معين، والمرتبطة فيما بينها برباط المسعى المشترك الى تحقيق هدف استراتيجي واحد • هذا لا يعني أبدا عدم القبول بمعركة الابادة الواحدة من نموذج « كان » اذا سمحت الظروف بذلك •

والواقع ان الذي يسعى ويعمل بموجب استراتيجية المعركة الواحدة، ذات الضربة الصاعقة الحاسمة ، هو الطرف الذي لا تسمح له موارده بخوض حرب طويلة الأمد ، والاستمرار عليها • أما الطرف الذي تكون امكاناته كثيرة ، وأراضيه واسعة شاسعة ، فباستطاعته أن يعمل على انهاك خصمه بالتدريج ، وأن يناور بحيث يصل بخصمه فى النهاية الى معركة أخيرة فاصلة ، تقضي عليه وتضع نهاية للحرب • وهذا الأسلوب فى المقاتلة ، يعرف عسكريا باستراتيجية الانهاك ، أو الاستنزاف

٤ ـ الابادة حتى النهاية

القول بالابادة حتى النهاية، يعني استغلال النجاحات بالحيوية والأمان والاخلاص ، للقضاء على كل مقاومة قائمة أو محتملة للخصم • هذا التصميم على سحق العدو ثابت راسخ لا يتزعزع ، ولا يتوقف أو يلين الا بعد تدمير العدو تدميرا تاما كاملا • والوجه البارز للاستغلال هو المطاردة ، التي لا تتوقف ، والتي يجب أن تظل مستمرة متواصلة فى الليل والنهار ، وفى كل مناخ • وكل نجاح لا يعقبه استغلال موفق ومطاردة قوية فعالة ، يكون ذا أثر موضعي محدود ، ولا تأثير له يذكر على مجرى الحرب من الناحية الاستراتيجية •

الفصل الثالث والعشرون

الانسحاب

عموميات

الانسحاب مناورة تراجعية اختيارية ، كثيرة الحدوث فى سياق الحرب · والانسحاب المحدود ليس بصعب ولا هو بكارثة · فالمحاربة لا تجري دائما على خط مستقيم ، بل قد تجري على خطوط متعرجة · ولهذا فالتكيفات التكتيكية تتبع حالة المد والجزر فى الأحداث ، وفى التغييرات التي تطرأ على النسبة فى القوى · والانسحاب الموقت هو أحيانا ضروري ، بل ومرغوب فيه ، كسبيل للاعداد والتحضير الى نجاحات كبيرة فى المستقبل · والظروف تدعو أحيانا الى التراجع خطوة، لاستطاعة التقدم بعد ذلك خطوتين· والمقاتلة فى حالة الانسحاب صعبة، وتتطلب معرفة وضبطا صارما ·

فى الانسحاب ثلاثة أمور تتطلب الشرح والمعرفة ، وهي :

- الأسباب الموجبة ،
- الانسحاب والدفاع عمقا ،
- ادارة الانسحاب ·

١ ــ الأسباب الموجبة

الانسحاب نتيجة لتطور معاكس فى ميزان القوى· ويجري الانسحاب، عادة ، لغرض كسب الوقت ، بانتظار حدوث تحسن فى نسبة القوى المتقابلة · أما التراجعات الموضعية المتخذة لغرض الكمين ، أو التي تعقب تقدما كان القصد منه جس نبض العدو وتحديد نسبة القوى ، فلا تعتبر انسحابا بالمعنى الصحيح لهذا الاصطلاح ، بل مناورات لأهداف تكتيكية محدودة ·

ان الانسحاب كمناورة تراجعية، أمام عدو قوي جدا ، ما هو الا شكل

من أشكال المحاربة ، شكل طبيعي ومنطقي ومقبول كما هو الحال مع التعرض • انه التهرب والافلات من خوض معركة في شروط غير موافقة ، معركة يحاول العدو أن يفرضها ، مستفيدا من ميلان النسبة فى ميزان القوى الى جانبه • وفى بعض الحالات الاستراتيجية ، يكون الانسحاب ذا نفع لا يقل عن النفع فى التقدم (١) • ولكي يكون الانسحاب مفيدا ، يجب أن يجري بمهارة ، دون فوضى ، ودون ارتباك وبلبلة ، وذلك لغرض الاقتصاد فى الرتباء ، وتجميع القوى، وعودة كل محارب الى قطعته ، ومن ثم لاعادة تنظيم التعبئة بما يتلاءم والحالة الراهنة الجديدة ، وذلك حتى تصبح العودة من جديد الى التعرض والهجوم فى نطاق الامكان والمقبول •

الانسحاب اذن ، بايجاز واجمال، مناورة مستقلة، أي قائمة بذاتها، يصير اللجوء اليها عندما تفرض الظروف تراجع القوات ، تجنبا للاصطدام مع عدو مهاجم متفوق فى العدد والوسائط ، وذلك حتى يتسنى لهذه القوات الوقت لتجميع قواها ووسائطها للتعرض القادم•

وهنالك حالتان من الانسحاب :

- الانسحاب نتيجة لمعركة خاسرة ،
- والانسحاب لغرض تعديل المواضع ، وتدعيم التعبئة ، وذلك بعد انتصار وتقدم قد تعدى هامش الأمان •

فىالحالة الأولى ، يقاتل الجيش متراجعا ، حفاظا على نفسه ، واستجماعا لقواه للمعارك المقبلة • وفى الحالة الثانية ، يتراجعالجيش المنتصر قليلا ، من تلقاء نفسه، توخيا لتدعيم مؤخراته، وحتى لا يفقد التماس مع قواعده ، ولكي يكون على استعداد لمواجهة كل حالةطارئة• وبعد أن يتم ذلك ، تعود القوات الى متابعة التقدم ، زاحفة وهي على ثقة من نفسها ، وبكثير من حظوظ النجاح •

٢ ـ الانسحاب والدفاع عمقا

ومن الانسحاب شكل من أشكال المناورة الدفاعية ، يعرف باسم « المناورة الرجعية » ، أو المناورة الى الوراء • وليس هذا مجرد تسمية

(١) كانسحاب البريطانيين امام الطليان في ليبيا ، وانسحاب جيوش الاتحاد السوفياتي في وجه الالمان ، في بدء الحرب العالمية الثانية •

فحسب . فالانسحاب ، كمناورة ، يحتفظ بقدر كبير من المبادهة العظيمة التقدير والتأثير على سير العمليات . وهو مناورة ، على اعتباره يجري بحرية واختيار ، لغرض العودة الى استعادة حرية العمل استعدادا لعمليات تعرضية مقبلة .

تشكل مناورة الانسحاب الأساس الضروري للدفاع الناشط والحركي في العمق . ويجري الانسحاب بوثبات تراجعية قصيرة المدى ، محمية بمؤخرات قوية معدة خصيصا لهذه الحماية . تؤخذ هذه المؤخرات ، عادة ، من الاحتياط . وهي تتمركز من وثبة الى أخرى ، أثناء تراجعها الى الوراء ، في مواضع محضرة مسبقا ، من قبل القوات المنسحبة ، التي تتحرك في حمى وتغطية المؤخرات المذكورة .

عندما تتراجع المؤخرات للانسحاب ، فانها تتحرك بدورها على نفس المحاور التي تحركت عليها القوات المنسحبة، لكن على مسالك محضرة ومحمية بتعبئة دفاعية ، وبخاصة ضد الطيران والدبابات . وتدمر المؤخرات ، في انسحابها ، كل شيء قد يكون ذا فائدة للخصم ، من أسلحة ومعدات ومؤونة ومعامل ومنشآت ، الخ .. وتلجأ الى حد كبير الى استعمال الألغام والأشراك ، وخاصة ما كان منها متفجرا بالوسائط الكهربائية اللاسلكية .

٣ ـ ادارة الانسحاب

يجري الانسحاب وفقا لترتيب معين غاية في الدقة والضبط والانتظام، ومرافقا بقتالات على المؤخرات، قتالات مخطط لها ومسيطر عليها . ولما كان الانسحاب من أكثر أشكال المناورة تعقيدا ، لذا يقتضي أن تعد مناورته ، وأن تنظم وتجري وتنفذ تبعا لمخطط واضح المعالم .

لا يجوز الانسحاب ، على كل حال ، الا بأمر من القيادة المسئولة . أي ان الكتيبة لا تنسحب الا بعد موافقة اللواء ، واللواء بعد موافقة الفرقة ، والفرقة بعد موافقة قائد الفيلق او الجبهة ، وهلم جرا . ولا يجوز لوحدة مطوقة ان تحاول الانسحاب من تلقاء ذاتها دون أمر ، ولا ان تفكر في الاستسلام أبدا ، بل عليها ان تقاتل حتى الرمق الأخير ، الى ان يُقضى عليها ، أو ان تتلقى الأوامر بخلاف ذلك .

ويجب ان لا يُكتفى بنصوص القوانين والأنظمة ، ولا بوجدان

القادة المسئولين ، للحفاظ على حرفية تحريم الانسحاب دون أمر • بل هنالك ، علاوة على كل ذلك ، تشكيلات أمن خاصة واجباتها التصدي بالقوة لكل انسحاب لم يؤذن به ، وذلك بالاضافة الى واجباتها فى الحيلولة دون تسلل عناصر العدو ، ودون هروب الأفراد او مغادرتهم لوحداتهم دون اذن •

الفصل الرابع والعشرون

الاحتياط

عموميات

الاحتياط ، بمعنى عام ، هو جميع الامكانات ، المادية والمعنوية ، العسكرية والسياسية ، التي تدخل ضمن المخطط العام والموضوعة جانبا ، أي غير متورطة مبدئيا ولا مكلفة بواجب خاص ، والتي يجري استعمالها فيما بعد على أحسن ما يكون لمعالجة الحالات الطارئة أثناء القتال • وقد يشتمل هذا الاصطلاح ، أيضا ، على الأنصار والثوار والعاملين فى مؤخرات العدو •

الاحتياط عنصر أساسي فى كل محاربة وكل معركة • وهو ، من حيث الزمان والمكان ، ثلاثة أنواع :

- الاحتياط الاستراتيجي ،
- الاحتياط العملياتي (أو الميداني) ،
- الاحتياط التكتيكي •

١ ـ الاحتياط الاستراتيجي

الاحتياط الاستراتيجي ، فى مرتبة الجيوش ، هو مجموع القوات غير المتورطة ، التي تحتفظ بها القيادة العامة لتصرفها فقط • هذا الاحتياط ، يجب ان يظل سليما ، وكافيا ، وقويا ، بحيث يمكّن القيادة من مواجهة الحالات الطارئة ، ومن استعادة زمام المبادرة حالما تسنح الفرصة الملائمة • ومن واجب القيادة ان تحول دون التبذير فى استعمال الاحتياط ، وان لا تدخله فى المعركة الا بعد تفكير سليم ، وتقييم صحيح للموقف •

٢ ـ الاحتياط العملياتي

يشكل تكوين الاحتياط العملياتي (الميداني) واستعمالة نقطة هي

فى غاية الخطورة من حيث سلامـــة العمليات • ان الاحتفاظ بتفوق حاسم على محور الهجوم الرئيسي ، هــو الشرط الذي لا بــد منه لنجاح أي اجراء تعرضي تقوم به قوات الالتحام فى الجبهة • وكل شروع بتعرض لا يستند على احتياط كاف ، هو بمثابة تعرض للفشل منذ البداية • فالاحتياط هو المورد الذي تلجأ اليه القيادة للحفاظ على فعاليـــة القوة الحية ، ولتأمين تعاظم هذه القوة بصورة تصاعدية مستمرة •

يتحدد تركيب الاحتياط بطبيعة العملية المنوية وغاياتها ، وبنتيجة حسبان عملي للنسبة فى القوى ، فى سياق كل مرحلة من مراحل العملية • يجب ان يكون هنالك احتياط بصورة دائمة ، والا تعرضت العملية الى التوقف • وكل احتياط يجري استهلاكه ، يعاد تكوينه بسرعة ، فى سياق عملية خاصة تجري على حســاب القطاعــات الثانويــة • ويســتعمل الاحتياط العمليــاتي لنفس الغايــات التي يسـتعمل لهــا الاحتيــاط الاستراتيجي ، لكن فى نطاق ومهام الفيلق والجيش والجبهة •

٣ ـ الاحتياط التكتيكي

الاحتياط التكتيكي ، هو احتياط الفرق والتشكيلات الأصغر التي تتألف منها الفرقة • والواجبات الرئيسية لهذا الاحتياط ، هي :

ـ فى المدافعة : الحيلولة دون كل اختراق للمواضع الدفاعية من قبل العدو ، والقضاء على كل توغل معادي قد يحصل ••
ـ فى التعرض : طرد وسحق كل هجوم معاكس للعدو ••
ـ بعد الاختراق : استغلال كل نجاح وتوسيعه، وتدعيم المرابح، وتعظيم المطاردة •

لا يستعمل الاحتياط بجملته أبدا ، فيما عدا الحالات الميئوس منها• فالمفاجئات فى الحرب قابلة لأن تحدث فى كل وقت ، وعلى القيادة ان تظل قادرة على مواجهة كل طارىء • وهكذا فان الغاية العامة من الاحتياط، هي صد المهاجمات العدوة الطارئة ، وخاصة ما كان منها على الجوانب، وعلى مفاصل الاتصال ما بين التشكيلات المتجاورة ، وتدعيم القوات المشتركة فى المعركة ، وتقوية النجاحات والمكتسبات الحاصلة وتدعيمها•

فى المدافعة ، وفى ميادين العمليات والتكتيك ، يستعمل الاحتياط ، قبل كل شيئى ، لتدمير الاختراقات المعادية • ويكون مكــان الاحتياط

العملياتي داخل التعبئة، أي ضمن ترتيب القوات ووضعها، بحيث يستطيع القيام بواجب مزدوج لصالح الفيلق والجيش ، وواجب تدمير كل اختراق يحققه العدو ٠

وفيما يتعلق بالاحتياط التكتيكي ، بوجه خاص ، فان القوات ، المقيمة على منظومة (منزلة) الدفاع الثانية ، تعتبر احتياطا ، وعليها، بالاضافة الى واجباتها الدفاعية المحلية ، أن تنجد مواقع منظومة الدفاع الأولى ، كلما دعت الحاجة ٠ وعلاوة على القوات الموجودة على منظومة الدفاع الثانية ، فان كل تشكيلة ترفع مقدار الثلث من مجموعها كاحتياط رئيسي ٠ وعلى هذا الأساس ، فان الكتيبة ، مثلا ، تخصص مقدار سرية من مختلف أسلحتها ، كاحتياط ، وذلك علاوة على وحداتها الموجودة على المنظومة الثانية ٠

اما احتياط اللواء فكتيبة ، والفرقة لواء ، وذلك علاوة على قطعات المنظومة الثانية كما تقدم ٠ واما موضع الاحتياط الرئيسي الى الوراء، فهو حسب المسافات التالية :

- ٣٠٠ الى ٤٠٠ مترا فى الكتيبة ،
- ٥٠٠ الى ٦٠٠ مترا فى اللواء ،
- ٦٠٠ الى ١٠٠٠ مترا فى الفرقة ٠

تدخل ، فى عداد الاحتياط ، التشكيلات الخاصة المكلفة بالأمن والنظام والانضباط ، التي من واجباتها الحيلولة دون تسرب وحدات العدو وعملائه ، ودون الهروب اللامسموح به ، من قبل الجنود والوحدات المقاتلة الموجودة على الجبهة ٠

الفصل الخامس والعشرون

استعمال القوات البرية

كان سلاح المشاة ، فى الماضي ، مؤلفا من مجموع المقاتلين الراجلين ، أي الذين يقاتلون ويتحركـون ويتنقلون على أرجلهم • وقـد أ'طلق عليهم ، وعلى الصنف الذي يمثلونه فى مجموع الجيش ، اسم سلاح أو صنف المشاة ، وذلك اشتقاقا من فعل المشي على الأرجل •

وكان سلاح المشاة ، حتى بداية الحرب العالمية الثانية ، يوصف بأنه ملك المعارك • بيد ان دخول سلاح المدرعـات وسلاح الطيران الى عالم القتال ، من الباب الواسع الكبير ، فى الحرب الكونية الثانية الأخيرة ، وما كان لهذين السلاحين الجديدين ، ان كان من حيث النوع والفاعلية، أو من حيث الاستقلال فى العمل فى ساحات المعارك ، مـن الأثر الحاسم على سير القتال ومصير الحروب ، لم يترك بعده ما يجيز لسلاح المشاة ان يحتفظ بعرشه الذي كان له مدة عصور طويلة • لكن هذا السلاح ، على الرغم من ذلك ، لا يزال يعتبر سلاحا رئيسيا ، ولا يزال يساهم الى حد كبير فى تقرير نتائج المعارك ومصائر الحروب • انه يلعب فى أيامنا دورا رئيسيا فى كل قتال • لكنه لم يعد يلعب الدور الرئيسي الذي كان له فى الماضي القريب •

ومع أن سلاحي الطيران والمدرعات يعتبران اليوم أسلحة رئيسية ، بل وحاسمة ، الا انهما رغـم ذلـك يعملان لصالح المشـاة ، لا كأسلحة تابعة ، ولا لعدم قدرتهما على المحاربة والحركة دون مساعدة من المشاة، وانما لعجزهما عـن الاحتفـاظ بـالأرض ، ولقدرة المشاة على هـذا الاحتفاظ والاشغال • ان الطيران والسلاح المـدرع يساعـدان المشاة ويساندانها ، ويمهدان لها سبل التقدم فى التعرض والهجوم ، ويعينانها على الاحتفاظ بالأرض فى حالة الدفـاع • هـذا الواجب المسـتمر فى

اسناد المشاة، فى الحركة والدفاع، الواقع على عاتق الطيران والمدرعات، يجعل من هذه الأسلحة، آخر المطاف، أسلحة مساندة للمشاة، وذلك بالرغم استقلالها فى العمل والحركة فى ميادين القتال ، وبالرغم عما لها اليوم من دور حاسم فى مصير المعارك والحروب • ان عمل المشاة فى المحاربة المعاصرة ، وخاصة فى حرب الحركة ، يقتصر على استغلال أعمال الطيران والمدرعات ، وعلى السير على أعقابهما لاحتلال الأرض ، واشغالها وتدعيمها •

وللأرض ، بالطبع ، تأثير بالغ فى تنويع الدور الذي يستطيع كل سلاح ان يلعبه • ففي الصحاري والسهوب والسهول ، والأراضي المكشوفة عموما ، يتقدم الطيران والمدرعات والأسلحة الميكانيكية الأخرى على المشاة من حيث التفضيل والأسبقية فى الاستعمال ، وذلك بناء على اعتبارات الحركية ، والاستطاعة ، والفاعلية • اما فى الجبال، والأراضي الوعرة الصعبة ، والمناطق المشجرة ، فالأمر يختلف وينعكس، وتعود المشاة لتكون السلاح الأميز والأفضل للمحاربة فى مثل هذه الحالات •

لكن هذا التقسيم ، أو التنويع فى طبيعة الأرض ، وأفضلية السلاح، لا يفصل فى جوهر الموضوع بصورة حاسمة باتة ، لا سيما فى نظر المذهبية العسكرية الروسية ، والمذهبية العسكرية الأنكلوسكسونية • فالروس السوفيات يقولون ويصرون على القول بأن سلاح المشاة هو العمود الفقري للجيش برمته •ويرى الأمريكيون عكس ذلك • فهم يعتبرون السلاح المدرع سلاح الجيش الرئيسي ، الذي لا غنى عنه ، والذي لا تقوم للجيش بدونه قائمة • والروس ، وان كانوا يخالفون الأمريكيين فى هذا الأمر من الناحية النظرية ، لكنهم فى الواقع متفقون معهم من حيث التطبيق • فسلاح المشاة فى الجيش الروسي السوفياتي ، لا يتلقى نصيبه من المجندين ، الا من ضمن البقايا التي تعتبر غير صالحة للخدمة فى الطيران والمدرعات ،أي من ضمن الفئات المعتبرة من الدرجة الثانية أو الثالثة •

في سلاح المشاة ، الفرقة هي أولى التشكيلات الكبرى • وتعداد الفرقة الاجمالي يتراوح بين (١٢٠٠٠) و (١٧٠٠٠) ألف مقاتل ، وذلك تبعا للأسس التي يقوم عليها تأليف الفرقة في كل مذهبية عسكرية • ففي روسيا ، مثلا ، لا يزيد تعداد الفرقة عن أحد عشر الفا ، بينما تعد الفرقة الامريكية حوالي سبعة عشر الف رجل (١) • ومن الفروقات الأخرى ، الموجودة بين النموذجين الروسي والاميركي، ان الفرقة الأميركية غنية بالآليات ووسائل النقل الذاتية ، في حين تقل في الفرقة الروسية المصالح الساندة ووسائط النقل الخاصة • ونرى ، من جهة أخرى ، أن نسبة المقاتلين في الفرقة الأميركية هي بمعدل ٢٣ بالمئة من مجموع الفرقة ، بينما هذه النسبة في الفرقة الروسية هي في حدود ثمانين بالمئة من مجموع التعداد • وللتلخيص نقول ان فرقة المشاة الروسية هي قوية بالنار وبالاستطاعة على الاحتلال والاشغال ، بطيئة الحركة ، هذا بينما تتميز الفرقة الآمريكية بالحركية ، وبالاستقلالية في الحمل والانتقال بوسائطها الميكانيكية الخاصة •

والمشاة ، وان كانت في الأصل سلاحا قد اشتق اسمه من فعل المشي على الأرجل ، لكنها اليوم نادرا ما تعمد الى المسير والانتقال بهذه الواسطة البدائية • فهي في هذه الأيام اما محمولة تتحرك بوسائط ذاتية خاصة ، وأما منقولة بالوسائط الآلية الموضوعة تحت تصرفها لزمن محدود معين • وهي ، في كلا الحالتين ، لا تنزل من مراكبها وتمشي على الأرض ، الا عند دخولها منطقة التماس مع العدو •

وصنف المشاة اليوم ، سواء كان بالتشكيلة الكبرى ، أو بالتشكيلات الصغرى حتى السرية والفصيلة ، لا يقاتل عادة باستقلال عن الأسلحة الأخرى ، بل في نطاق ومفاهيم مجموعة من الأسلحة المختلفة ، التي تعرف باسم الجحفل أو « التجمع التكتيكي » ، والتي تكون فيها تشكيلات المشاة كعمودها الفقري • مثل هذا التجمع التكتيكي يكون تحت قيادة واحدة ، ويظل قائما الى حين تحقيق الواجب الذي دعا الى تكوينه •

---

(١) خمس هذا العدد او سدسه مقاتل ، والباقي لاعمال الخدمات •

٢

سلاح المدفعية

كانت المدفعية ، حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية ، سلاح اسناد للمشاة ، فى التعرض والمدافعة • اما اليوم فقد أضافت المدفعية الى دورها القديم هذا ، دورا جديدا عظيم التأثير والنتائج فى الدفاع والمهاجمة • هذا الدور الجديد للمدفعية ، هو دور المصادمة • والمدفعية المعنية هنا ، ليست الطائرة القاذفة ، التي هي عبارة عن مدفع منقول جوا ، ولا الدبابة التي هى مدفع متحرك فى حماية برج مدرع ، بل هي المدفعية كما عرفتها العسكرية منذ القدم ، مضافا اليها الصاروخ المعاصر •

فالمدفعية ، التي هي فى الأصل سلاح اسناد للمشاة ، هي الآن ايضا سلاح للهجوم ، وسلاح فعال للقتال ضد الدبابات فى الدفاع وفى الهجوم معا • فى الهجوم ، تشكل المدفعية حاجزا وستارا من النيران تسير الدبابات خلفه ، تاركة للمدفعية أمر استقبال دبابات العدو عن بعد بالنيران القاتلة ، بينما تتابع الدبابات الحليفة تقدمها الساكت الأخرس ، حتى أحسن مسافة رمي ممكنة للاطلاق المجدي على الدبابات المعادية •

وفى الدفاع ، تشكل المدفعية العمود الفقري لكل تنظيمة (أو منظومة) دفاعية فى منطقة المدافعة ، كما وتشكل جدارا ناريا يحيط بمراكز الدبابات الحليفة ، ويحميها من غارات العدو المدرعة •

ان مدفعية اليوم ، على كل حال ، هي والطيران أقوى وسائط القتل والتدمير بالجملة • فكلاهما يساهمان مساهمة رئيسية عظيمة فى تحطيم المقاومات التي تعترض تقدم المشاة ، والتي تحول دون احتلال الأرض وتنظيفها •• وكلاهما يضمنان للدفاع المتانة والصلابة • والمدفعية ، من بين جميع الأسلحة البرية ، هي السلاح الحائز على الطاقة الأقوى ، وعلى القوة النارية الأعظم •

ومع ان المدفعية تميل حاليا ، بتأثير التحسينات والتجارب المكتسبة أثناء الحرب العالمية الثانية ، الى الظهور والانفراد كسلاح مستقل ، أو كسلاح ذي طابع مستقل ، فان مهمتها الأساسية ، على الرغم من كل

ذلك ، تبقى مساندة المشاة والدبابات ، ودعم هذين السلاحين فى جميع مراحل المعركة ٠

مرت المدفعية ، خلال الحرب العالمية الثانية الأخيرة ، ومن حيث الاستعمال ، بالتطورات الرئيسية التالية :

ـ ازدياد الحشد الناري ،
ـ بروز مبدأ التعرض المدفعي ،
ـ مركزية متزايدة فى القيادة ،
ـ تعاظم استعمال المدفعية المحمولة ، وخاصة الدفعذاتية ٠

فى دراستنا لمبدأ حشد القوى ، نرى ان الأهمية المتعاظمة للمدفعية قد ذهبت شأوا بعيدا الى حد يدفع بالسوفيات ، مثلا ، الى تبني قاعدة حشد مقدار (٣٠٠) قطعة مدفعية فى الكيلومتر الواحد ، وأحيانا حشد أكثر من هذا القبيل ٠ وفى عام ١٩٤٢ ، استهل الروس ، لأول مرة فى التاريخ العسكري ، تحقيق نظرية التعرض بالمدفعية ٠ هذه النظرية تنادي بدعم المشاة والدبابات ، بصورة مستمرة، بمدفعية عديدة مركزة فعالة ، وبنيران أعداد هائلة من الهاون ، طيلة جريان عمليات التعرض ٠ وفى نظرية التعرض المدفعي هذه ثلاث مراحل متماسكة هي :

ـ التحضير ،
ـ اسناد الهجوم ،
ـ الدعم والمساعدة على تقوية الوضع فى نطاق المكاسب ٠

والواقع ان التعرض بالمدفعية يكمل ، بصورة عظيمة الفوائد ، مبدأ الاستعمال المختلط لكافة الأسلحة ٠ والأعظم من ذلك ، فيما يتعلق بالتجديد فى استعمال المدفعية ، هو انشاء احتياط قوي جدا من المدفعية ، تحت تصرف القيادة ، دون المساس بمدفعية الفرقة والفيلق ٠ وينتظم هذا الاحتياط فى ألوية وفرق وفيالق ، ويعتبر بمثابة احتياط استراتيجي تحت تصرف قيادة الجيش أو الجبهة ٠ ومن التجديدات الأخرى ، التي طرأت على استعمال المدفعية فى الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، الرمي المباشر على المسافات القريبة ، فى حدود (٢٠٠) الى (٨٠٠) مترا ٠ هذا الأسلوب فى الرمي يسمح بالسيطرة الجيدة على النار ، وبالاقتصاد فى الذخيرة ، ويستعمل بمعدل عشرين مدفعا

للكيلو متر الواحد ، وقد يزاد هذا العدد احيانا ، فيبلغ الثلاثين مدفعا للكيلومتر ٠

ومما يساعد كثيرا على تعظيم قوة النار المدفعية ، استعمال الهاون بأعداد كبيرة ٠ ومدفع الهاون ، علاوة على كونه سلاحا هجوميا ودفاعيا خفيفا وقويا ، وأن باستطاعته المضي مع عناصر الموجة الأولى حتى مسافة (٢٠٠) متر من العدو ، فهو يسمح بأن لا تكشف المدفعية عن نفسها الا عند اللزوم ، وبعد ان تضطر مدفعية العدو الى الكشف عن نفسها ومواضعها ، لاضطرارها الى اسكات نيران الهاون ٠ وقد ذهبت بعض المذهبيات العسكرية الى حد الأخذ بمبدأ تشكيل الوية وفرق مستقلة من الهاون ٠

وهذا الاستعمال الذي أصبح اليوم عاما ، للمدفعية المحمولة أو الدفعذاتية ، هو أيضا من ضمن التطورات المستحدثة الهامة ٠ هذا التجديد لا يُقصد منه ان تحل المدفعية محل الدبابات ، بل القصد منه تكملة عمل الدبابات والمدفعية الأخرى ، وذلك كعنصر عضوي متمم للتشكيلات المدرعة ٠ ولقد نشأت فكرة تحويل المدفعية الى آلية محمولة أو آلية دفعذاتية لسببين ، هما :

ـ تمكين المدفعية من مرافقة المشاة والدبابات خلال جميع مراحل الزحف والتقدم ، واعطاؤها جميع التسهيلات التي تجعل منها قادرة على المناورة والحركة فى مختلف الأراضي ، وعلى الوجود باستمرار قرب المشاة ، وعلى استعداد للدخول فورا بالنار الى صالح هذه ، والا فقدت الغاية من وجودها ٠٠

ـ لقد ثبت ان مدفعية الميدان القديمة تكاد تكون اليوم عديمة الجدوى فى وجه الدبابات ، بعكس الحال مع المدفعية الدفعذاتية ، التي تتفوق على الدبابات بالمرمى ، والتي تستطيع ان تأخذ بنيرانها دبابات العدو من بعيد ، دون ان يكون باستطاعة هذه ان ترد على النار بالمثل ٠ ولاستعمال المدفعية على هذا النحو ثلاث قواعد تستدعي الاهتمام بوجه خاص ، وهي :

أ ـ استعمال المدفعية عندما لا يتوقع العدو ذلك ،

ب ـ حشد المدفعية بالكتلة الضخمة ضد الأهداف الحاسمة، مع مراعاة تكوين الاحتياط ، والاهتمام بالاتجاهات الثانوية ،

ج ـ التعاون الكامل الوثيق مع المشاة والدبابات والطيران ، فى جميع مراحل المعركة ٠

أما الخصائص التي تفرض اللجؤ الى خدمات المدفعية ، فهي بعد المرمى ، والمباغتة ، والمرونة فى الرمي ، والحركية ٠ واما أسلوب الرمي فهو بسيط للغاية ، وأبسط ما يمكن ان يكون ٠ وهو يستند على محطة أو محطتين للمراقبة ، وعلى بعض طائرات الرصد والاستطلاع والارتباط ٠

بخصوص الحشد الضخم لنيران المدفعية ، يكون الرمي عادة بالتصويب المباشر على أهداف واضحة ، وليس على مناطق ٠ هذا لا ينفي قيام المدفعية أحيانا بفرش بعض القطاعات أو الأماكن المحددة بنيرانها ، وذلك عند التحضير للهجوم ٠ لكن الرمي بالتصويب المباشر يتوخى أهدافا مباشرة دقيقة، وخاصة الأماكن المعلومةأو المحتملةلنيران العدو ٠ كما وتكون تحركات الخصم عرضة لمثل هذا الرمي ، أي ان بعض المناطق تتعرض باستمرار الى نيران منع وتحريم ، وذلك بقصد اغلاقها فى وجه دبابات العدو وجيوشه ٠

وبخصوص التحضير للهجوم ، تقوم المدفعية بتكوين سد ناري كثيف قوي ، يدوم من ساعة الى ست ساعات ٠ وفى لحظة الشروع بالانقضاض، يتحرك السد المدفعي أمام المهاجمين ، تاركا ممرات بعرض بضع عشرات الأمتار ، ممرات عرضانية أو طولانية تسلكها المشاة فى تقدمها ٠ أما فى الأماكن الأخرى ، خارج الممرات المذكورة ، فيتابع السد الناري عمله بنفس القوة والزخم والكثافة ٠ وهكذا يبدأ الهجوم قبل ان يشعر العدو بتحريك السد المدفعي وانتقال نيرانه ٠ وقد يخطئى السد أحيانا ويصيب بنيرانه قوات حليفة ، متسببا فى وقوع الخسائر والضحايا ، لكن مثل هذا الاحتمال يبقى مقبولا، وتكون نتائجه الوخيمة اقل بكثير من الخسائر التي كانت مقدرة ان تحصل فيما لو لم يكن هنالك سد مدفعي ٠

يحدث أن يتوقف السد فجأة وكلية،وذلك لاجبار مدافع العدو المتبقية على فتح نيرانها ، والكشف هكذا عن مواضعها • وقد يحدث ان يتوقف السد المدفعي بعد زهاء ساعتين من رمي التحضير ، فى اللحظة التي تنطلق فيها المشاة والدبابات الى المهاجمة • الا انه فى الأعم الأغلب يتحرك السد بنيرانه حتى مواقع العدو ، على بعد مأمون أمام عناصر الهجوم الحليفة المتقدمة •

وفيما يتعلق بمدفعية الميدان المضادة للطائرات ، فهذه المدفعية تنتظم فى كتائب وألوية خاصة • والمبدأ التكتيكي المهيمن على استعمال هذه المدفعية هو مبدأ حشد الأسلحة والقوة النارية • اما الدفاع الاستراتيجي ضد الطيران ، فهو منظم فى تشكيلات مستقلة • وقد طرأت على المدفعية ، من حيث نوعية السلاح ، تحسينات هامة أخصها قاذفات الصواريخ ، القصيرة والبعيدة المدى ، التي تعمل تحت تصرف اللواء والفرقة ، ضمن تشكيلات خاصة •

٣
سلاح المدرعات

عادت المدرعات الى الظهور فى عالم القتال فى الثلاثينات من هذا القرن • وقد برهن هذا السلاح عن فاعليته وقوته فى معارك وحروب الحرب العالمية الثانية • والتشكيلات المدرعة نوعان :

ــ التشكيلات الثقيلة ،

ــ والتشكيلات الخفيفة •

التشكيلات الثقيلة ، هي تشكيلات الاصطدام الشديد ، وتستعمل للتوغل وتحقيق الاختراق فى دفاعات العدو القوية • وتقوم التشكيلات الخفيفة بتكملة عمل التشكيلات الثقيلة ، وذلك بالمطاردة واستغلال الظفر • وتعرف التشكيلات الثقيلة ، عادة ، بالتشكيلات الدبابة ، والتشكيلات الخفيفة بالتشكيلات الميكانيكية •

فى فصول لاحقة ، سنعود الى البحث فى سلاح المدرعات بشيئى من التفصيل • اما فى هذا الفصل ، فسنكتفي بموجز عن هذا السلاح الهام، فى خدود النقاط الرئيسية التالية :

ــ التنظيم ،

ـ مبادىء العمل ،
ـ مبادىء الاستخدام ،
ـ مبادىء المقاتلة :
ـ التعاون مع الأسلحة الأخرى ،
ـ التعرض ،
ـ الدفاع ،
ـ الادارة ٠

١ ـ التنظيم

التشكيلة التكتيكية الكبرى ، فى سلاح المدرعات ، هي الفرقة ٠ تعداد الفرقة الثقيلة يكون فى حدود (١٦٠٠٠) مقاتل ، ولا يقل عدد الدبابات فيها عن (٤٠٠) دبابة ثقيلة ومتوسطة ٠ هذا بالاضافة الى عدد متفاوت من تشكيلات ميكانيكية من المشاة ، والمدفعية ، والهندسة ، والمخابرة ، والطبابة والتموين ٠ اما الفرقة المدرعة الخفيفة ، أو الميكانيكية ، فقد يبلغ تعدادها (١٧٠٠٠) مقاتل ، وقوامها عدد من الدبابات الخفيفة ، بالاضافة الى عدد أكبر من المشاة الميكانيكية والمدفعية والهندسة الدفعذاتية ٠

يختلف تعداد الفرقة المدرعة ، وتسليحها ، بين بلد وآخر ٠ وكذلك تختلف نسبة المقاتلين فى مجموع التعداد ٠ فهذه النسبة ، فى روسيا مثلا ، هي فى حدود (٨٠) بالمئة من التعداد كله ، بينما لا تتجاوز حدود (٢٥) بالمئة من المجموع العام فى فرقة من النوع الأمريكي ٠ والقسم المتبقي ، الزائد عن النسبة المقاتلة ، فهو مخصص لخدمات التموين ، والصيانة ، والتصليح ، والاسترجاع والحماية ٠

تبنى الفرقة المدرعة للقتال على أساس الألوية المختلطة (١) ، أو على أساس التجمعات التكتيكية ذات الطابع الموقت (٢) ٠ وقد تحتوي الفرقة الأمريكية ، على التشكيلات التالية :

ـ المقرات :
ـ مقر الفرقة ،
ـ مقرات الجحافل أو التجمعات التكتيكية ،

---

(١) او الجحفل (٢) التجمع القتالي ، او التجمع القيادي

ـ مقر الاحتياط ،
ـ مقر المدفعية ،
ـ مقرات التموين ،
ـ مقر كل تشكيلة ضمن الفرقة ٠
ـ الدبابات المتوسطة والخفيفة ،
ـ الدبابات الثقيلة ،
ـ المشاة المدرعة ،
ـ كتيبة الاستطلاع ،
ـ كتيبة الهندسة المدرعة ،
ـ لواء المدفعية المدرع ،
ـ سرية المخابرات المدرعة ،
ـ سرية الانضباط ،
ـ كتيبة المعدات والصيانة ،
ـ كتيبة الطبابة المدرعة ،
ـ سرية التعويض بالمجندين ،
ـ الموسيقى ٠

٢ ـ مبادىء العمل

فى المحاربة الميكانيكية ، الطاقة الصناعية هي الحكم والقول الفصل٠ وليست الأسلحة والمعدات المدرعة سوى عصي هزيلة يتوكأ عليها ، اذا هي لم تستعمل بذكاء ومعرفة ٠ والعمل بالمدرعات يجب ان يجري بالمطابقة والاتفاق مع مبادىء الحرب ، ووفقا للشروط الاستراتيجية والظروف التكتيكية ٠

تقوم مبادىء العمل بالمدرعات ، مستوحاة من ميزات وخصائص السلاح التالية :

ـ الحركية العظيمة ،
ـ القوة النارية الفائقة الجسيمة ،
ـ المناعة ضد نيران الأسلحة الفردية ، والرشاشات ، وكذلك شظايا قنابل المدفعية الخفيفة ٠

هذه الميزات والخصائص ، تمكن الفرقة المدرعة من بلوغ أهدافها

بسرعة وحسمية • وتتحقق هذه النتيجة ، عادة ، بالمناورة وبحشد القوة النارية والكتلة المادية ضد أضعف الأجزاء فى دفاعات العدو ، وذلك بالسرعة الكافية لحرمان العدو من الوقت اللازم لمواجهة الهجوم •

ان فعل الصدم المختص بالدرع ، والناتج عن مزيج الحركية ، والمناورة ، وحشد القوة النارية ، هذا الفعل يصل الى أعلى حالة من الفاعلية بالتحام جماعي حميم ضمن جماعات تتألف ، كل منها ، من دبابات ، ومشاة مدرعة ، ومدفعية مدرعة ، وهنادسة مدرعة (١) • وكل نوع من هذه الأسلحة يساهم بنصيبه الخاص من العمل المشترك للجماعة • وتدعى مثل هذه الجماعة بالفريق او التجمع التكتيكي ، أو الجحفل ، وتتأمن لها المساعدة الجوية كلما أمكن ذلك • وكذلك تتأمن الحيطة والمعلومات والاعاشة ، لكل تجمع تكتيكي ،بعناصر من كتيبة الاستطلاع ومن مصالح الصيانة والتموين التابعة للفرقة •

٣ ـ مبادىء الاستخدام

تستخدم المدرعات فى القتال ، وفقا لبعض المبادىء الأساسية ، التي يجب ان لا ينظر اليها كقواعد جامدة ، بل كدليل مرشد للقائد ، الذي يعود اليها بعد ان يكون قد توصل الى تقدير لموقفه بروية وامعان • ان التطبيق الناجح لهذه المبادىء المرشدة ، مرتبط كلية بما يكون عليه القائد وأعوانه من خيال ، ومن تفكير متطور متفتح ، ومن مرونة عقلية • هذه المبادىء هي :

ـ عموما :

ـ تلقيح الضباط بالعقلية الحركية ،
ـ حشد النيران على النقطة الحاسمة ، كنيران قاتلة مباشرة، لا كنيران المدفعية ،
ـ العمل بصدم الكتلة ، لا بالهجوم بالتجزئة على نقاط متباعدة ،
ـ المرونة فى الاجتهاد ، وفى تشكيل التجمعات التكتيكية ، والتمرين على العمل بالأوامر المتجزئة ،

---

(١) الافراد العائدون الى فوج الهندسة المقاتل ، مفردها هندس (اصطلاح)

- وضع الأوامر فى نطاق نموذجي ، واعطاء المرؤوس حرية التنفيذ ومواجهة الطوارىء ٠

ب - فى التعرض :

- الحركية والسرعة فى بلوغ الهدف قبل ان يتمالك الخصم نفسه ،
- الاختراق والتوغل بسرعة خلال مقاومة العدو ، وعلى جبهة ضيقة ،
- المناورة بالالتفاف والاحاطة كلما أمكن ذلك ،
- العمل بالتجمع التكتيكي (او القتالي) ، والهجوم برتلي التجمع ، او برتلي التجمع ورتل الاحتياط اذا اقتضى الموقف ذلك ،
- الاستفادة من انطلاقة الانقضاض المبدئية الى أقصى حدودها، وعدم الحد من هذه الانطلاقة بمرحلية القفزات (الوثبات) والأهداف المحدودة ،
- التخطيط المدروس البعيد المدى ، والتنفيذ الشديد العنيف ، القائم على الذكاء والمرونة فى تنفيذ الخطط والأوامر ،
- المقاتلة بوسائط وعقلية الفريق الملتحم ، المؤلف من مختلف أسلحة الفرقة ٠

ج - فى الدفاع :

- تستطيع المدرعات ان تساهم فى قتال المدافعة بصورة فعالة، الا أنها أقوى عملا وتأثيرا فى التعرض والهجوم ،
- تشترك المدرعات فى قتال المدافعة ، بالتكتيك الحركي والتكتيك المكاني ٠ الا انه يفضل استعمالها بالتكتيك الحركي كلما أمكن ذلك ،
- تنتشر المدرعات عمقا فى حالة الدفاع ، وذلك لتمكينها من المرونة الى أقصى حد ،
- تتكلف المدرعات رئيسيا بالهجمات المعاكسة ، وبهجمات الاحباط والعرقلة على تجمعات العدو الذي يقوم بهذه

التجمعات بقصد الهجوم ·

د ـ فى التعرض والهجوم :

ـ عمل المدرعات مرهون باستمرار أعمال الادامة والصيانة ، ووصول التموين بالزيوت والمحروقات والذخيرة والماء والطعام بصورة منتظمة متواصلة ،

ـ تتعاظم فاعلية المدرعات كثيرا كلما أمكن للطيران ان يعمل لصالحها ، وخاصة فى مراحل الهجوم والاستغلال ·

٤ ـ التنظيم للقتال

تتوزع الفرقةالمدرعة الىأقسام أو جماعات مختلطة،لغرض تزويدها بالحد الأقصى من المرونة أثناء القتال · والجماعة او الفريق المختلط يكون اما جحفلا مؤلفا عضويا من مزيج من الأسلحة بصورة دائمة ، أو من تكتلات قتالية يجري تكوينها للعمل لزمن محدود ، ولحالات بعينها ·

فى حالة العمل بقاعدة التجمع القتالي ، تقوم فى الفرقة ثلاث تجمعات قتالية ، كل تجمع لا يحتوي عضويا الا على هيئة أركان تكتيكية ، موضوعة تحت تصرف وامرة قائد الفرقة مباشرة · وليس للتجمع من تشكيلات أخرى ما عدا هيئة الأركان هذه · اما المصالح وعناصر القتال ، فانها توضع موقتا تحت امرة التجمع القتالي ، أو تفرز لمساندته ، لدى كل حالة أو عملية · ولتسهيل العمل على هذا الأساس ، فقد بنيت كل كتيبة من كتائب الفرقة المدرعة على قاعدة الاكتفاء الذاتي من حيث الناحية القيادية والشئون الادارية ·

عدد التجمعات القتالية فى الفرقة ثلاثة ، اثنان منها تدعيان باسم التجمع القتالي ذاته ، والثالث باسم الاحتياط القيادي · فى معظم الحالات ، توزع معظم قوات الفرقة ما بين التجمعين القتاليين (أ) و (ب) ، فى حين لا يخصص للتجمع الاحتياط القيادي الا أضعف الحصص بالنسبة الى التجمعين السابقين · بيد ان هذا التخصيص لا يحول دون استعمال الاحتياط القيادي كتجمع قتالي ، وتجهيزه بالمصالح والعناصر المقاتلة على هذا الأساس عند اللزوم · والفرق بين الجحفل والتجمع القتالي هو فى أن الجحفل تشكيلة تكتيكية مؤلفة من عناصر القتال المختلفة بصورة منتظمة ، بينما لا يتألف التجمع القتالي عادة الا من

قيادة وأركان ، ولا تفرز الفرقة لتصرفه عناصر القتال الأخرى الا حين يكلف بواجب معين ٠

٥ ـ قتال المدرعات

الهدف التكتيكي للمدرعات ، هو تدمير مدرعات العدو ٠ ومن الصعب التوصل الى تثبيت قوات مدرعة ، لا لأن حركيتها تمكنها من رفض المعركة فحسب ، بل ولأنها تمكنها أيضا من الانفكاك بعد الاشتباك بسرعة ٠ ولهذا السبب ، ولارغام مدرعات العدو على قبول المعركة ، يقتضي القيام بمهاجمة هدف يكون من الأهمية بحيث يضطر العدو الى الدفاع عنه ٠

تقاتل المدرعات عادة :

أ ـ بالتعاون مع الأسلحة الأخرى ،

ب ـ وفى التعرض والهجوم ،

ج ـ وفى المدافعة ٠

أ ـ التعاون مع الأسلحة الأخرى

نظرية الاستعمال الصحيح للقوى المدرعة ، تقوم على قاعدة العمل المستقل ، لكن بالتعاون الوثيق مع المشاة ٠ وتتطبق هذه النظرية عمليا، فى ميدان القتال ، على النحو التالي :

ـ فى مرحلة الاعداد للهجوم ، تتجمع القوى المدرعة فى منطقة خلفية ، على بعد سبعين الى مئةكيلومترا من الجبهة ٠ ثم تنتقل الى منطقة انتظار على بعد عشرين أو ثلاثين كيلومترا خلف الجبهة ٠ وأخيرا ، وحالا قبل الشروع بالهجوم ، يجري تحريك المدرعات ليلا ، الى أماكن انطلاق على بعد نحو من عشرة كيلومترات تقريبا ٠ ثم ، وعقب تمهيد المدفعية والطيران ، تنقض المشاة ، عاملة بالاسناد الفوري المباشر مع الموجة الأولى من المدرعات ، التي تكون على (٢٠٠) أو (٤٠٠) متر خلف المشاة على الأكثر ٠ اما الموجات الثانية والثالثة من المدرعات ، فانها تقود المشاة خلال الفجوات والثغرات الحاصلة ٠

وهنالك شكل تطبيقي آخر للعمل المشترك « مشاة ـ مدرعات » ، هو المشاة الراكبة على ظهر الدبابات ٠ تركب المشاة فوق الدبابة ، بمعدل عشرة أفراد للدبابة الواحدة المتوسطة ، وتبقى هكذا حتى حصول

التماس القريب مع العدو • وعمل المدرعات فى اسناد المشاة ، بوجه عام، يجري منسقا مع عمل المدفعية والطيران • ويندر ، فى المهاجمات على المواقع المحصنة ، ان تنجح المدرعات فى توسيع الثغرة المبدئية الحاصلة فى دفاعات العدو ، دون مساعدة من بقية الأسلحة •

ب ـ فى التعرض والهجوم

فى الحركة ، تكون الفوائد كثيرة بتعاون الدبابات مع المشاة الميكانيكية ، القادرة على الحركة بسرعة الدبابات ، أو مع التشكيلات الخيالة ، عندما تقل أو تصعب المسالك الصالحة لحركة الآليات الدفعذاتية •

المهمة الرئيسية للدبابة الثقيلة ، هي تدمير دفاعات العدو وأسلحته المضادة للدرع • وتستعمل المدفعية المحمولة او الدفعذاتية ، بالتعاون الفوري مع المدرعات ، لحماية الأجنحة والمؤخرات ، ولتدمير دبابات العدو وعرباته المدرعة على أبعد مسافة ممكنة • وتقوم الدبابات المتوسطة بابطال مفعول نيران العدو فى المواقع المتقدمة •

تنطلق الدبابة الى الهجوم بالسرعة القصوى ، وتندفع متقدمة لتدمر بالنيران الكثيفة مدافع الهاون ، والمدفعية ، والرشاشات ومشاة العدو• وهي تستخدم وتستفيد ، بالمناورة الحاذقة ، من جميع أشكال الأرض ، وتتقصد الظهور على أجنحة العدو ومؤخراته ، متحاشية مهاجمة نيران العدو بالمجابهة • وقد تتحرك الدبابات الى ملاقاة العدو ، بتعبئة الصندوق المتحرك • هذه التعبئة هي من اختراع رومل (١) ، وتتحقق على النحو التالي :

« ـ تسير القوات على شكل مربع او مستطيل تبعا لطبيعة الأرض • وتؤلف الدبابات ، والمدفعية المضادة للدرع ، والمدفعية المضادة للجو جوانب الصندوق وحدوده الخارجية ، بينما تحتل المشاة المنقولة داخل الصندوق ، وكذلك قسم من المدفعية المضادة للدرع ، والمدفعية البعيدة المرمى ، وورش التصليح المتحركة ، وباقي الأسلحة والمصالح التي ترافق القوة المتقدمة » •

---

(١) Field Marshal Erwin Rommel قائد الفيلق الالماني في ميادين افريقيا الشمالية ، ابان الحرب العالمية الثانية •

وفى حالة الحركة بقصد الاستغلال ، تكون واجبات المدرعات توسيع الاختراق وتعظيم الاستفادة من الظفر الحاصل ، اما عاملة لوحدها ومنطلقة بمفردها كرأس الحربة ، او كالقبضة الفولاذية ، تتبعها المشاة على الأعقاب لاحتلال الأرض وتطهيرها ، أو عاملة بالتعاون الوثيق مع المشاة والمدفعية والطيران ·

لا يمكن للقائد ان يكون قويا جدا فى دبابات الاحتياط ، ولا ان يكون فى نفس الوقت قويا جدا عند نقطة الهجوم · لكن يجب التوفيق بين هذين المطلبين المتناقضين · ومن وسائل هذا التوفيق ، استرداد كل دبابة معطبة ، والاسراع فى اصلاحها · فالطرف الذي يستطيع ان يصلح دباباته المعطبة بسرعة أعظم من سرعة الطرف الآخر فى هذا المجال ، يعمل بالتأكيد وبسرعة على تعاظم احتياطه وزيادة عدد مدرعاته الجاهزة · هذا ويجب ان لا ننسى أبدا ان الطرف الذي يخسر ميدان المعركة ، يخسر فى ذات الوقت مدرعاته المعطبة المتروكة فى ذلك الميدان · أما الطرف الذي يربح ميدان المعركة ، فانه يضيف كمية من مدرعات العدو الى مدرعاته · وذلك لأنه يندر ان تتدمر الدبابة تماما · ومع انه قد يتعطب بعض أجزائها بصورة جسيمة ، فاصلاح البعض الآخر يتم فى غضون بضع ساعات ·

لقد تقدم القول بضرورة التعاون المشترك لجميع الأسلحة · ومع ان المشاة والمدفعية والطيران والمدرعات تعتبر جميعها فى مرتبة واحدة من حيث الأهمية والفعالية ، لكن للمدرعات الدور الفاصل فى المهاجمة · وذا قبلنا بمبدأ عدم استطاعة كل من هذه الأسلحة بمفرده على قهر الخصم ، فليس معنى ذلك أن على الدبابات أن تعمل فقط بالتعاون مع الأسلحة الأخرى ، وبخاصة المشاة ، فى كل وقت ، وكل عملية ، وأثناء جميع مراحل العملية ·

ليس باستطاعة المدفعية ، ولا باستطاعة المشاة ، ان تمزق تماما جميع دفاعات العدو · تستطيع المدفعية ان تدمر ، أو ان تبطل مفعول منظومة نيران العدو على عمق يتراوح بين ستة وثمانية كيلومترات ، وهو عمق تستطيع المشاة الجيدة التحضير والاعداد ان تقوم باحتلاله · لكن هذا لا يعني ان دفاع العدو قد اختُرق · انه يعني ان كل تعرض

دون اشتراك الدبابات ، قد يستطيع ارجاع الخط الأول لدفاع العدو نحوا من ستة الى ثمانية كيلومترات ، لكن مثل هذا التعرض عاجز عن اختراق دفاعات العدو بصورة تامة ·

عندما تُخترق دفاعات العدو ، تشرع الدبابات بالهجوم بموجات متلاحقة متعاقبة ، مفصلة عمقا · يجري هجوم الموجات الثلاثة المتقدمة، بالدبابات الثقيلة وبالمدفعية الدفعذاتية او الآلية · أما الموجات اللاحقة ، موجتان او ثلاثة أو أكثر ، فتحتوي على دبابات متوسطة ، وعلى مدفعية ومشاة آلية ، وواجبها تدعيم مكتسبات الموجات السابقة ، وتعظيم فوزها · وبديهي ان حشدا كهذا ليس هو بالضروري دائما وفي كل مكان · وبديهي ، ايضا ان تحصل في عدة قطاعات عمليات هجومية تجري حسب القاعدة المألوفة من حيث التعاون الوثيق المختلط بين جميع الأسلحة ، ومن حيث حشد الدبابات في وحدات المشاة · الا ان كل مرة تريد القيادة ان تحصل فيها على نتيجة حاسمة ، فعليها ان تحشد في ساحة المعركة أكبر عدد ممكن من الدبابات · ان تجارب الحرب العالمية الثانية كلها ، برهنت على ان أعظم الانتصارات التي تحققت ، جاءت نتيجة لاستعمال الدبابات بالكتلة الضخمة ، على أساس قيمها القتالية ، وان خسائر الدبابات كانت طفيفة ·

وانه لمن الثابت المؤكد ، أيضا ، ان الدبابات هي اليوم الواسطة الرئيسية الى ضرب العدو على مجمل عمق دفاعاته ، وان الدبابة قد أوجدت ، بصورة لا نقاش فيها ، الحل الصحيح لموضوع الهجوم على الاستحكامات والحصون ، والواسطة الى سحق دفاعات العدو وابطال مفعولها ، وبذلك صارت العامل الحاسم في الهجوم ·

وبالاضافة الى الخصائص التي ورد ذكرها في مبادىء العمل المتقدمة الذكر تحت الرقم (٢) سابقا ، فان سلاح الدبابات يتفوق أيضا على بقية الأسلحة ، للأسباب الخمس التالية :

- الدبابة ، أثناء الهجوم ، هي وحدها القادرة على الوصول الى مسافة قصيرة من العدو ، وتدميره بالتماس مع فوهة المدفع تقريبا ،
- الدبابة هي وحدها التي تستطيع ان تقوم بهجوم

متواصل غير متقطع ، مدمـرة فى سـياق تقدمهـا ، بالنـار والسلاسل والثقل ، نقاط المقاومة التي تكون قد سلمت من التدمير بنيران التمهيد المدفعية ،

ـ الدبابة ، المجهزة بالمدفـع والرشاشات ، هي وحدهـا القادرة على التدمير الكلي لجميع الوسائط المستعملة ضـد المشاة ، وعلى القتال ضد دبابات العدو ومدفعيته ٠

ـ الدبابة ، بفضل التدريـع ، تستطيع وحدهـا الهجوم دون خوف من نيران الأسلحة الأوتوماتيكية والبنادق وحتى قذائف المدفعية الخفيفة ٠ وهي تواجه هذه الأسلحة الدفاعية بوسائطها العضويـة الخاصة ، وتخرج مـن القتال منتصرة ، بفضل الجرأة والمناورة والمهارة فى الاستفادة مـن السـلاح والأرض ،

ـ الدبابة ، بفضل الحركة الذاتية والدرع والسلاسل ، هي وحدها القادرة على ان تهاجم بسرعة كبيرة ، وعلى ان تُدمر العدو قبـل أن يصيـر جاهزا قادرا عـلى التفـاعل والمجابهة ٠

ج ـ فى الدفاع

المبدأ الأساسي فى استعمال المدرعـات على الدفاع ، هـو الاحتفاظ بالقوة المدرعة كاحتياط للقيام بالمهاجمات المعاكسة ، والقضاء على كل توغل قد ينجح المهاجم فى تحقيقه ٠

ان أسلحة المدافعة الأساسية ، هي المدفعية والمشاة ٠ المدفعية تمثل الدفاع الحركي المضاد للطيران والدرع ، والمشاة تمثل الدفاع الثابت المضاد للدرع والطيران كذلك ٠ فى الهجوم، يجري الاستيلاء على الهدف بالدبابات المحمية بالمدفعية والطيران ، على ان يحافظ عليه بعد ذلك ، دفاعا ، بالمشاة والمـدفعية المحميتين بالطيران ٠ امـا الدبابات ، فانها تتراجع الى مكان خلفي مستور ، حيث تتمون وتتجهز ، لتأخـذ بعدئذ مواضعها التي تنطلق منها ، عند الاقتضاء ، للقيام بالردات المعاكسـة ضد دبابات العدو ٠

فى الدفاع ، كما فى التعرض والهجوم ، تؤلف الدبابـات والمدفعية والمشاة والطيران كلا واحدا ، وقوة واحدة لا أربـع قوى ٠ ومـع ان

الدبابات تستطيع احتلال الارض ، لكــن تكليفها بالاحتفاظ بالأرض يجعلها فى حكم المعطوبة أو المفقودة • كما وان الدبابة لا تكفي لوحدها فى الدفاع عن الموضع • وان التفكير بتثبيت القــوة المدرعــة ، تماما كالمشاة التي تتسمر فى أرضها بالنيــران ، لتفكير خــاطىء لا خير من ورائه • فالمدرعات الساكنة فى أرضها ، وخاصة فى العراء ، تتعرض الى مجزرة وكارثة • ولما كانت تحمل دفاعاتها معهــا (١) ، فلا حاجة لهــا مطلقا لأن تظل فى نقطة واحدة معينة •

المدرعات ، والدبابات بصورة خاصة ، ســلاح تعرضي فى الأساس • أما فى الدفاع ، فالتشكيلات المدرعة الكبرى تسحب من الجبهة • انهــا تستبدل ببعض الألوية الدبابة ، وببعض المدافــع الدفعذاتية ، وذلك بانتظار العودة الى حالة التعرض •

تتحول الفرقة المدرعة ، كلها أو معظمهــا ، الى احتيــاط يتجمع فى أرض مغطاة عن أنظار الطيران ، وبعيــدا عن متنــاول المــدى الفعال لمدفعية العدو • وهذا الاحتياط المدرع ، تستعمــله القيــادة تكتيكيا لمكافحة الدبابات المعادية التي تنجــح فى اختــراق الوضــع ، أو للقيام بالمهاجمات المعاكسة أو دعمها •• وتستعمــله استراتيجيــا فى التعرض المعاكس •

فيما يتعلق بالدبابات التي توضع على خطــوط المــدافعة نفسها ، والتي قد أشير اليها أعلاه ، فهي غالبا ما تنزل فى باطن الأرض ، بحيث لا يظهر منها غير البرج ، كما لو كانت منعة مصغرة • ولكل دبابة على هذا الوضع مواضع بديلة قد جرى اعدادها مسبقا ، ومسالك مستورة تؤدي الى هذه المواضع • وفى المناطق الدفاعيــة ، المفصلة عمقا ، فانه كثيرا ما تستعمل مثل هذه الدبابات بأعداد صغيــرة بصورة مصــائد وأشراك للعدو ، وبحيث يفاجأ العدو بنيرانها على غير انتظار•

وعلى كل حال ، ومهما يكن وضع الدبابــات ، على الدفــاع أم فى الاحتياط أم فى التعرض ، فعلى قائدها أن يحتفــظ لنفســه وتصرفه باحتياط منها ، فى كل وقت • ويجب أن يكون هذا الاحتياط من القوة بحيث يتيح للقائد أن يفصل فى مصير المعركة بعمليات الاستغلالالناتجة

(١) الدرع والاسلحة •

عن هجوم الاصطدام وتحقيق الاختراق ، أو بتدمير المهاجمات العكسية المفاجئة ، التي يقوم بها العدو ·

٦ ـ الادارة

الوسيلة الرابعة المثلى ، لشل قوة مدرعة ، هي تدمير تموينها ومخزونها من المحروقات ، أو فصلها عن ذلك ، أو ابعادها عنه· فبتجويع الدبابات، وحرمانها من الوقود والزيوت ، تتعرض بالتأكيد الى عمليات التدمير والابادة ، بصورة أفضل وأحسن من كل محاولة أخرى لتثبيتها على الأرض ·

ولهذا كانت مسألة التموين بالمحروقات، والاحتفاظ بهذا التموين سيلا متواصلا ، وحمايته من المهاجمات الجوية ، من أهم المسائل التي تعرض فى المحاربة الميكانيكية · ان التكتيك ، فى هذه المحاربة ، يخضع الى حد ما ، الى ضرورات الادارة واللوجستيك ، الأمر الذي يحد كثيرا من حرية القيادة ، ومن امكانيات السلاح ·

ولقد برهنت الطائرة على أنها أحسن واسطة للنقل والتموين بالبترول ومشتقاته ، فى المحاربة الميكانيكية · وأما الصهاريج المستعملة لنفس الغرض ، فتأتي بعد الطائرة والهيليكوبتر من حيث الفوائد والأفضلية· الا ان هذا النوع من السيارات يجب أن لا يكون له ما يميزه عن بقية الآليات ، لا فى مظهره الخارجي ، ولا فى خياله من قريب أو بعيد ، وذلك حتى لا يسهل على الطيران المعادي تمييزه وقصفه بسهولة · ان صهاريج البترول وسيارات نقل المحروقات هي من أهم أهداف الطيران فى المحاربة الميكانيكية ·

يتقدم التحضير لكل عملية ميكانيكية ، تحضير خطة مفصلة بلوازم العملية من اللوجستيك · تعد هذه الخطة بحيث تستطيع مواجهة جميع الحالات التي يمكن التنبؤ بها ، بما فى ذلك اللجوء الى التموين بالجو ، فى حالة تعرض القوة المدرعة الى الانفصال عن نقاط تموينها لآماد طويلة ·

ـ ٤ ـ
سلاح الطيران

١ ـ عموميات

الطائرة، هي اليوم مدفع حصار طائر، ومدفع ميدان طائر، وسفينة

نقل هوائية ٠ وهي كمدفع طائر ـ مدفع حصار أو مدفع ميدان ـ تتمتع بالحركية والمرونة الى درجة فائقة ، وبالقابلية على التدخل السريع ، مما يؤهلها للتعاون مع القوى المدرعة بطريقة أكثر مباشرة، ومجال أقرب من مجال تعاون مدفع الميدان مع هذه القوى ٠ واذا اجتمع عمل الطائرة مع عمل الدبابة ، فى العملية الواحدة والميدان الواحد ، فانه ينتج عن هذا الاجتماع مضاعفة للحركية ولطاقة الضرب فى الدبابة ٠

وكذلك غيرت الطائرة من شكل المحاربة البحرية ٠ ففي معركة بريطانيا عام ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ ، تغلبت الطائرة المطاردة على الطائرة القاذفة ، وبذلك حفظت لبريطانيا قوتها البحرية ٠ وقد جرى عكس ذلك تماما ، فى حرب الامريكيين مع اليابان ، حيث تغلبت القاذفة على البارجة ، وبذلك جمدت الطاقة البحرية اليابانية ٠ وفى المعركتين البحريتين الكبيرتين ، فى غينيا الجديدة وعند جزيرة ميدواي ، خلال الحرب العالمية الثانية ، قام الطيران بكل أعباء القتال البحري ، ولم تطلق البوارج ولا طلقة واحدة ٠

وفيما يتعلق بالنقل الجوي ، فقد أثبتت الحرب العالمية الثانية ، ان الطائرة ليست حاملة جوية للقنبلة بالدرجة الأولى فحسب ، بل هي أيضا واسطة جديدة للنقل ، واسطة يمكن ان ينظر فى تكييف المحاربة حولها على أساس من الاستطاعة الكبيرة ، ومن القدرة العظيمة على السرعة والحركية ٠ فالقابلية للاستغناء عن الطرق والخطوط الحديدية والمسالك المائية ، وعن سطح الأرض نفسها كخطوط للمواصلات ، هذه القابلية سهلت موضوع المحاربة كثيرا ، وألغت مفعول الأبعاد والمسافات ٠ فى السابق القريب ، كانت المحاربة مسألة قواعد ومواصلات وجيوش مقاتلة ، ففدت اليوم مسألة قواعد وجيوش فحسب ٠ لقد استغنت المحاربة ، بفضل الطيران ، عن احدى زواياها الأساسية ، وصار من الممكن قيامها على زاويتين عوضا عن ثلاثة ٠

الا انه لا يمكن الاستفادة من النقل الجوي ، الا فى حالة الحصول على التفوق الجوي ٠ وعندما يتحقق هذا التفوق ، عندئذ يصبح الغرض العسكري الرئيسي للطيران قائما على قاعدة لوجستيكية ، لا على

أساس ظرف وتكتيك • ان المحاربين يداومون على المقاتلة على الأرض، لكنهم يتمونون بطريق السماء • وهذا هو الفارق الاساسي بين حرب اليوم وحروب الأمس •

والطيران ، قبل كل شيء ، صناعة وتكنولوجيا • وهذه بدورها علم وكيمياء• ولهذا فانه ليس باستطاعة أية قوةمحاربة، لا اليوم ولا غدا، أن تقاتل ، وأن تحتفظ بفاعليتها المؤثرة بلا صناعة ولا تكنولوجيا ، وبلا عون من العلم والعلماء • لقد كان الصناعي ، فى الحرب العالمية الأولى ، أكثر أهمية من الجنرال • أما فى الحرب العالمية الثانية ، فقد احتل العالِم هذا المركز ، ويأتي التكنولوجي بعده •

٢ ـ أنواع الطيران

يتنوع الطيران بتنوع واجباته ، أي طرق استعماله • وبناء على هذا التعريف ، يكون هنالك :

- الطيران العامل لصالح القوى البرية المحاربة ،
- الطيران العامل لصالح القوى البحرية ،
- الطيران العامل لصالح المجهود الحربي عامة ، وهو ما يسمى بالطيران الاستراتيجي ،
- طيران الاعتراض ، العامل لصالح الدفاع الجوي ،
- طيران النقل ،
- الطيران المدني •

٣ ـ الطيران العامل لصالح القوى البرية

هذا الطيران ، هو الاسناد التكتيكي للقوات البرية • ويعمل بالقصف ، والانقضاض ، والمطاردة ، والاستطلاع ، والنقل • ونسبته، من مجموع القوة الجوية ، هي الثلثان •

استعمال الطيران فى المعركة ، مبني على مبدأ الاعتقاد بأن النصر يتحقق بفضل الجهود المشتركة لجميع الأسلحة • وعلى هذا الأساس ، فان تنظيم التشكيلات الجوية وتجهيزها وتدريبها يتوخى كله ، وقبل كل شيء ، توفير الاستطاعة على تقديم العون المباشر للقوى البرية فى كل أنواع العمليات •

حالما تبدأ مراحل الاعداد والتنفيذ للمعركة البرية،تصير للأهداف

التكتيكية أسبقية على الأهداف الاستراتيجية ، أسبقية واجبة يتقيد بها الطيران المخصص للجبهة التي ستجري المعركة المقبلة على ساحاتها • ان النصر فى المعركة يعوض عن كل ما عداه • وهو يتسبب فى ايجاد حالات موافقة كثيرا ما يكون لها طابع حاسم فاصل •

يعين قائد المعركة ، لقائد الطيران ، الأهداف والواجبات المطلوبة من الطيران ، فى المهاجمات التمهيدية على مؤخرات العدو ، وفى النشاط الجوي فى ميدان المعركة وطيلة جريانها • وعلى قائد الطيران ان يستعمل جميع وسائطه لتحقيق هذه المطالب ، بأحسن وسيلة وأقوى فاعلية • وهذا الالتزام لا يسري فقط على الأسراب المعينة للتعاون الدائم مع الجيش ، بل يسري كذلك على مجمل القوة الجوية العاملة فى مسرح العمليات •

فى المراحل التمهيدية ، يقوم الطيران بطلب طيران العدو والتعرض له كل وقت، فى الليل والنهار، وكذلك بقصف مؤخرات العدو وقوافله• الغرض من طلب الطيران المعادي ، هو اجبار الخصم على الدخول في مباراة للقوة ، وذلك من أجل الحصول على السيطرة الجوية المحلية • كل نشاط يكون صالحا في المرحلة التمهيدية ، هو أيضا صالح للتنفيذ طيلة المعركة • وكل محل تجمع ، وكل مكان تموين بالوقود ، وكل رتل متحرك يقتضي مهاجمته كلما سمح الوقت (١) بذلك ، الأمر الذي يؤدي الى صراع جوي تكون نتائجه بالغة الأهمية ، ليس فى حد ذاتها فحسب ، بل ولكونها تؤدي مباشرة الى خدمة النتيجة العامة وتسهيل تحقيقها •

وفى نطاق ما تقدم ، وعملا بمفاهيمه ، تتحدد المهام الرئيسية ، للطيران ، العامل لصالح القوى البرية ، على النحو التالي :

- الحصول على التفوق الجوي فوق الجبهة وحواليها ، وذلك بتدمير طيران العدو ، فى الجو وعلى الأرض ،
- مهاجمة احتياط العدو فى الرجال والمعدات ، وابطال مفعوله،
- منع حركة تموين العدو ، بين المؤخرة والجبهة ،
- الاشتراك بالعمل مع القوى البرية أثناء الهجوم والاختراق ،

....

(١) من حيث الانقشاع والاحوال الجوية •

- الاشتراك بالعمل مع القوى البرية أثناء الاستغلال والمطاردة،
- تغطية تحركات وحشود القوى الصديقة ،
- المساهمة فى ابادة قوى العدو المطوقة ،
- الاستطلاع ،
- النقل ،
- المساهمة فى تموين الأنصار العاملين فى مؤخرات العدو ·

هذه المهام جميعها ، تؤول وتنتج عن تحقيق السيطرة الجوية · وليست هذه السيطرة غاية فى حد ذاتها ،وانما هيسبيل الىخدمةالجيوش البرية ومنفعتها · هذا الدور المساعد ، العامل لصالح الجيوش البرية، يجعل من هذه القوى الجوية تابعة للقيادة البرية العامة ، وخاضعة لأوامرها وتعليماتها فى كل ما له علاقة بالتوزيع والمهام والاستخدام · لكن هذا الرأي لا يحظى بالاجماع· فالروس اليوم يأخذون به ويعملون بموجبه ، بينما يرفضه الأمريكيون ، الذين يقولون باستقلال القوى الجوية عن القوى البرية ، وبعدم تبعية أولاهما للأخرى ·

العمل الاعتيادي ، للقوى الجوية العاملة لصالح الجيوش البرية، هو التعرض الجوي ، أي العمل المشترك المركز بين الطيران والقوات الأرضية · هذا التعرض الجوي يرافق القوى البرية ويدعمها ، منذ التمهيد للهجوم حتى آخر مراحل التعرض ، بما فى ذلك المطاردة· ونقول ، بتعبير آخر ، ان دور الطيران هو كنوع من مدفعية بعيدة المرمى ، مدفعية تعمل بتعاون وثيق مع المشاة والمدفعية والمدرعات ، ومع الخيالة اذا اقتضى الأمر ، ولصالح هذه الأسلحة جميعا · لكن الطيران ، مهما كان قويا ، لا يعني امكانية الاستغناء عن المدفعية الأرضية ، وبخاصة عندما يكون دفاع العدو قويا ومطمورا فى بطن الأرض · هذا مع الاعتراف بأن للطيران ميزة السبق فى خلق ما يسمى « بسيكولوجية الرعب من الطائرة » لدى الجيوش الناقصة الدراية والكفاية المسلكية · هذا الرعب ، لدى مثل هذه الجيوش ، قابل لأن ينال من سلامة المعنويات بصورة بالغة ، وأن يدمر أو يعطل موقتا كل قدرة على القتال ·

أ - تبعية الطيران لقيادة الجبهة

تبعية الطيران لقيادة الجبهة واقع قائم · لكن هذه التبعية هي من

نوع يقتضي ممارسته بدقة وحذر وعناية · فقائد الجبهة ، وقائد الطيران فى هذه الجبهة ، يضمان سوية خطة العمليات · يعين قائد الجبهة نظام الأسبقية فى المهام والواجبات · ويعين ، بالاتفاق مع قائد الطيران ، طبيعة المهام المطلوب من القوى الجوية تقديمها لدعم العمليات الارضية ·

يعين قائد الجبهة محور الاتجاه الذي سيحشد عليه معظم قواته ، ويبين كيف يرغب أن تستعمل القوات الجوية فى كل مرحلة من مراحل المعركة · وعلى أساس هذه المقررات والرغبات ، يقوم قائد الطيران بوضع خطته لاستعمال طيرانه ، بمراحل متعاقبة · وهو يعين لكل تشكيلة جوية مهمتها ، آخذا بعين الاعتبار ، الوسائل الموضوعة تحت تصرفه ، والتي يجري حسابها واستهلاكها على أساس عدد مهمات الوجود فى الجو · كما ويعبر عن الأوامر والرغبات العامة لقائد الجبهة، بتحويلها الى مهام فى حدود الواجبات التالية :

١ ـ الاستطلاع ، بالارتباط مع الهجوم الرئيسي ، وتوقيت العمليات ،

٢ ـ تغطية التحشدات الحليفة ، وخاصة التشكيلات الدبابة ،

٣ ـ واجب الطيران قبل شروع القوى البرية بالتعرض (مهاجمة المواصلات ، نقاط تحشد جيوش العدو، المطارات الخ···) ،

٤ ـ الواجبات التي تتقدم هجوم القوى البرية مباشرة (خطوط دفاعات العدو ، مقراته ، احتياطاته الخ ··)،

٥ ـ الواجبات أثناء العمل على تحقيق الاختراق (الدعم المباشر للقوى البرية) ،

٦ ـ واجبات التعاون مع عمليات العمق للقوى البرية (دعم التشكيلات البرية ، أو الافراز للعمل لصالح هذه التشكيلات البرية مباشرة ودون وسيط) ·

وعملا بهذه الواجبات ، تقوم أركان الطيران باعداد خطة مفصلة باستعمال القوى الجوية ، تعين فيها التشكيلات والزمن والكيفية للقيام بكل مهمة · يصادق قائد الجبهة على هذه الخطة · وهذا اجراء ضروري

لا مفر منه ، لأن الوضع قد يتطور سريعا ، مما يتسبب فى احداث تغييرات على الخطة الأولية العامة للقوى البرية والجوية • ويندر ، على كل حال ، وقوع تغيير أساسي • والتغيير من هذا النوع لا يحتمل حدوثه الا اذا طرأ تغيير على وضع الجبهة بكاملها •

وهكذا فان جميع التشكيلات الجوية تعمل متقيدة بخطة الجو المشتركة (١) ، طوال مرحلة التحضير للعملية • اما بعد الاختراق ، وخلال العمليات عمقا فى دفاعات العدو ، وأثناء المطاردة ، فان كل تشكيلة جوية مهيأة لأن تقدم دعمها الى تشكيلة برية معينة •

فى مرحلة التحضير ، وفى سياق الهجوم والاختراق ، يكون عمل الطيران ، كما رأينا ، مركزا • فكل تشكيلات الجو تعمل متقيدة بدقة ، بخطة القيادة • وفيما عدا ذلك ، وعندما تدعى التشكيلات الجوية الى اسناد وحدات برية معينة ، وخاصة أثناء المطاردة ، فان قائد التشكيلة الجوية المكلفة بهذا الاسناد يقوم بتنسيق عمل تشكيلته ، مع عمليات التشكيلة الأرضية التي يجري اسنادها •

تُعطى أهمية بالغة الى التحضير الدقيق للخطط ، والى اعداد كل عملية • وعند وضع الخطة التكتيكية لعمل تشكيلة جوية مكلفة باسناد تشكيلة من الدبابات ، يجب ان يُعمل حساب للعوامل التالية :

- الوقت الصحيح المعين بدقة،الذي تبدأ به الدبابات عملياتها،
- لحظة وصول الدبابات الى الخطوط التي سبق تعيينها ،
- محور تقدم الدبابات ،
- وسائط المخابرة بين الدبابات والطيران ،
- المهمات الملقاة على عاتق الطيران ، فى كل مرحلة من مراحل العملية •

ب ـ التعاون بين البر والجو

فى سياق المعركة ، يقوم قائد كل تشكيلة جوية ، بصورة متواصلة ، بتنسيق النشاط الجوي لتشكيلته مع عمل القوات البرية فى ميدان المعركة ، ومع مدى مهام الخروج التي كلف باجرائها • وقد يقوم تنظيم

---

(١) وهي قسم من الخطة العامة ، الموضوع من قبل قائد الجبهة البرية بالاتفاق مع قائد القوة الجوية •

التعاون بين القوى الجوية والبرية ، على سبيل المثال ، تبعا للخطوط النموذجية التالية :

١ ـ عند اعداد الخطة ، يقوم رؤساء الأركان فى تشكيلة طيران الانقضاض ، مثلا ، وفى تشكيلة الدبابات ، سوية باعداد كافة الوثائق المتعلقة بتنظيم العمل التكتيكي المشترك لكلا التشكيلتين ،

٢ ـ واجب طيران الهجوم (الانقضاض) يكون مرافقة المشاة والدبابات ، واقامة حاجز من النيران المؤثرة على جبهة ومجنبات تشكيلة الدبابات الآخذة بالتقدم ،

٣ ـ للحفاظ على محور العملية (خط الاتجاه) ، يكون قائد القوة الجوية ، وقائد تشكيلة الدبابات المكلفة بولوج الثغرة التي أحدثها الاختراق ، يكونان معا فى مقر قيادة الجبهة • تصل برقيات الراديو من وحدات البر والجو ، ويتم تنسيقها اعتبارا من مقر القيادة المذكورة • وتجري ادارة العمليات وفقا للخطة التي سبق وضعها • وتقوم أسراب من طيران الانقضاض جاهزة باستمرار ، على المطارات المجاورة، للتلبية الفورية حالما تدعى الى العمل • وتتعارف وحدات الدبابات والطيران فيما بينها باشارات ضوئية خاصة وبرموز لاسلكية • ويستعمل نفس هذا الأسلوب فى حالات التعاون مع المشاة والمدفعية ،

٤ ـ فى كل حالة ، يجب ان تعرف المدفعية بالضبط متى وأين وعلى أي ارتفاع سيقوم الطيران الصديق باجتياز خط الجبهة •• ويجب ان تعرف كذلك الاشارات المستعملة للدلالة على الأهداف ، والاشارات التي تطلب من المدفعية نقل نارها ، أو الكف عن اطلاق النار • وعندما يهاجم الطيران والمدفعية نفس الهدف ، يجري اعداد الأوامر مسبقا ، وعلى الطيران والمدفعية ان يعملا وفقا لخطة واحدة موحدة • ويقتضي ان تبين هذه الأوامر بوضوح ، وبصورة ملزمة ، مدى ارتفاع الطيران حتى لا يتعرض بطريق الخطأ الى قنابل المدفعية •

ج ـ الاسناد التكتيكي

يجري اسناد القوى البرية بالطيران ، وفقا لأحد المبدئين التاليين :

ـ الاسناد ،

ـ والتخصيص ٠

ان الاسناد هو الشكل المعتاد والأساسي لاستعمال الطيران التكتيكي٠ وهو يفترض المركزية فى القيادة والأوامر ، ليظل العمل ضد الأهداف بترتيب الأسبقية ممكنا ومؤكدا ، فى الظروف العصيبة ٠ ويفترض فى التخصيص تبعية تشكيلات الطيران لقادة التشكيلات البرية ٠ والتخصيص يقتصر على وحدات خاصة ، وعلى مراحل بعينها من العملية ٠ ويلجأ اليه لتقوية تشكيلات من الأسلحة المشتركة ، وخاصة تلك التي تعمل على أجنحة العدو ، أو على مؤخراته فى اتجاه العمق ، أي القوى المفصولة عن معظم القوات الحليفة ، كما هي الحال عادة فى الدبابات والقوى الميكانيكية الأخرى ٠ وفى مثل هذه الحالة ، يكون قائد تشكيلة الطيران فى حكم التابع لقائد التشكيلة البرية المكلف بدعمها ، وذلك من حيث الأوامر ، ويكون مكانه فىمركز قيادة هذا القائد ، أو فى مرقبه ٠

وقائد التشكيلة الجوية ، المفرزة من القوى الجوية للقيام بالاسناد عملا بمبدأ التخصيص ، هو نسبيا أكثر حرية من زميله العامل بالاسناد العادي ، وذلك فى اختيار أهدافه ٠ وفى غير هذه الحالة ، فان قائد التشكيلة الجوية ، وقائد التشكيلة البرية المتمتعة باسناد الطيران ، يقومان سوية باختيار وتعيين جميع الأهداف التي يجب على الطيران ان يهاجمها ٠ هذا لا يمنع قائد التشكيلة الجوية من العمل بالبديهة والمبادرة كلما رأى هدفا متحركا مهما لم يكن قد ذكر مسبقا فى لائحة الواجبات المتفق عليها مع قائد القوة البرية ، وعلى شرط ان يخبر بذلك رئيسه الجوي المباشر ، وان يقتصر مثل هذا التصرف على الأهداف المتحركة ٠ اما التنسيق فى المراتب الدنيا والمتوسطة ، فيتم بواسطة ضباط الطيران المكلفين بالارتباط ، والمفرزين الى القوات البرية ، كل ضابط طيران الى التشكيلة البرية المساوية لمرتبة تشكيلته الجوية ٠

د ـ عمل ضابط الارتباط

يقوم ضابط الارتباط بالواجبات التالية :

١ ـ اعلام التشكيلات الجوية بالتغييرات التكتيكية التي تطرأ على الموقف فى الجو والبر ،

٢ ـ توصيل طلبات الاسناد الآتية من قادة القوات البرية الى مراجع الطيران الايجابية ،

٣ ـ اعطاء المشورة الى قادة القوى البرية فى القضايا المتعلقة بالطيران ،

٤ ـ اجراء التعديلات على الواجبات المطلوبة من القوى الجوية أثناء التحليق ، بمعنى انه يقوم بتبليغ التشكيلات الجوية بما يطرأ من أهداف جديدة أهم ، أو يأمرها بمهاجمة هدف بديل قد سبق تعيينه ، عوضا عن هدف رئيسي ٠

يتصل قادة التشكيلات الجوية وضباط الارتباط ، من الأرض ، بقادة الأسراب المحلقة بواسطة الراديو ٠ فى العمليات الهامة ، يتخذ قائد القوة الجوية ، أو معاونه ، مقره قرب القيادة المتقدمة للقوات البرية ، وذلك لكي يبقى على اتصال مباشر مع القادة المسئولين عن الجبهة ، أو الجيش ٠

هـ ـ الاسناد والتحريم

الفارق بسيط بين مهام التحريم (أو المنع) ، وبين مهام الاسناد المباشر ٠ فتعبير الاسناد للقوى البرية ، يحتوي على هذين المفهومين معا ٠ لكن الأمر يختلف عند التطبيق ٠

ان توزيع المجهود الجوي فى ميدان المعركة ، ما بين التحريم والاسناد المباشر ، مرتبط بسير العمليات ٠ ففي مرحلة الاعداد للتعرض ، وأحيانا خلال عملية دفاعية ، يكون جميع الطيران التكتيكي (القاذفات والمطاردات والمنقضات) قابلا لأن يستعمل ضد الاحتياط العملياتي للعدو ، وضد الطرق ، ومستودعات التموين ، وخاصة المحروقات ، ومقرات القيادة ، والقواعد الجوية ٠ والخطة ، لمثل هذه العمليات ، توضع من قبل أركان الجيش الجوي ٠

اما اذا كان الامر متعلقا بعملية مشتركة بين عدة جبهات ، فيجري

وضع الخطة من قبل القيادة العامة ٠

فى مرحلة الهجوم ، وخلال استغلال النجاح ، تداوم القاذفات على تحريم المرور الى منطقة المعارك على احتياط العدو وتموينه ، وعلى تدمير طيرانه فى أماكن انطلاقه ٠ هذا فى حين يستمر طيران المطاردة على حماية القوى الصديقة من المهاجمات العدوة ، وعلى منع الطيران المعادي من التحليق فى أجواء القتال ٠ ومنذ اللحظة التي تبدأ فيها مهام الاسناد المباشر ، تأخذ تشكيلات الهجوم الجوية ، وتشكيلات القصف ، بتنسيق عملها مع القوى المقاتلة على الأرض ٠ وتظل القوة الجوية مستعدة لعزل منطقة القتال فى حالة قيام العدو بالهجوم المعاكس ، وللعمل ضد أرتال العدو المتحركة ووسائط نقله ٠

وهكذا فان القيام بهذين الواجبين ، التحريم والاسناد المباشر ، مرتبط فى الزمان والمكان ، ارتباطا وثيقا ٠ ويستمر العمل على تحريم منطقة القتال دون انقطاع ، طيلة مدة العملية ، وفقا لتعاليم قائد التشكيلة الجوية المكلف بالواجب ، وتبعا للخطة العامة لقيادة الجيش الجوي فى الجبهة ٠

يتوقف مقدار النسبة ، فى القوى الجوية المعينة لكل من الواجبات المذكورة ، على نوع كل مرحلة من مراحل العملية ٠ ففي المرحلة الأولى ، التي هي مرحلة الاعداد عادة ، يجري أحيانا تخصيص معظم القوى الجوية المتوفرة لعزل منطقة القتال ، أي تحريم الوصول الى هذه المنطقة على العدو ٠ وفى المرحلة الثانية ، مرحلة المهاجمة ، تقوم الكتلة الرئيسية للقوى الجوية ، على العكس ، بتوفير الاسناد المباشر الى القوات البرية فى ميدان المعركة ٠ وتتنوع أصناف الطائرات العاملة لصالح القوى البرية ، بتنوع الواجبات والمهام ، كما سيأتي ٠

و ـ طيران المطاردة

طيران المطاردة هو ذلك الجزء من القوى الجوية الذي يتخصص لاصطياد طائرات الأعداء ، ومنعها عن التحليق فى الأجواء الصديقة ٠ والمهام الرئيسية لهذا الطيران ، هي :

ـ الحصول على السيطرة الجوية ، وتأمين حرية العمل للقوات البرية ،

- مرافقة وحماية طيران القصف (القاذفات الخفيفة وطائرات الانقضاض) ،
- تغطية العمليات البرية ،
- القيام باستمرار ، ودون انقطاع ، باستطلاعات تكتيكتية وعملياتية ،
- القيام بالدوريات ،
- المساهمة فى المهاجمة المباشرة لقوى العدو البرية ، وخاصة أثناء المطاردة ·

ونرى مما تقدم ان اعتراض القاذفات المعادية ، التي تغير على الأراضي الوطنية ، لا يدخل عادة ضمن الواجبات الملقاة على عاتق طيران المطاردة العامل لصالح قوات الجبهة · ذلك لأن هذا الواجب هو من وظائف قيادة مستقلة ، التي هي قيادة الدفاع الجوي · لكن يجوز ان يدعى طيران المطاردة للمساهمة فى الدفاع الجوي ، فى المنطقة التي تكون له تشكيلات فيها ·

ان طيران المطاردة ، هو الأداة الرئيسية للقتال ضد طاقة الخصم الجوية · ومهمته الأساسية ، هي تدمير وسائط هذه الطاقة ، فى الجو وعلى الأرض · ولا يستطيع طيران المطاردة ، ان يقوم بتأدية هذه المهمة ، الا بالعمليات الايجابية والخطوات الحاسمة الهادفة الى تحقيق التدمير الكامل لقوى العدو الجوية ·

يتمتع طيران المطاردة ، تكتيكيا ، بالخصائص الميكانيكية التالية :
- السرعة الأفقية ،
- السرعة الصعودية ،
- القابلية للحركة والمناورة ،
- الارتفاع ،
- المدى العملي والتسليح ·

ومن حيث التشكيل للقتال ، تبدأ الوحدة الصغرى بالمثنى ، اي الزوج من الطائرات ، ثم يلي الرف المؤلف من ثلاثة أزواج أو أربعة ، ثم السرب الذي يتألف من رفين · والغاية الرئيسية من وراء التشكيل

والعمل بالمثنى ، هي التغطية المتبادلة · وهذه التشكيلة ايضا هي وحدة الرمي ·

ويأتي الجناح بعد السرب · يتألف الجناح الهوائي من أربعة أسراب ، تتناوب حالة التأهب والاستنفار دوريا ، وباستمرار · وفى حالة الحرب أو حالة الانذار باحتمال نشوب الحرب ، لكل سرب يكون فى الهواء ، يكون مقابله ، على الأرض ، سرب جاهز للطيران ، مع الطيارين داخل الطائرات · وتكون مطارات طيران المطاردة ، عادة على مسافة تتراوح ما بين (١٠ الى ٥٠) كيلومترا الى الوراء من خط الجبهة · وتتحرك هذه المطارات قدما مع تقدم القوات البرية صوب العدو ·

يقوم طيران المطاردة ، علاوة على الواجبات التي تقدم ذكرها ، بمهام الاستطلاع التكتيكي · وكثيرا ما يلجأ ، من أجل تحقيق هذه المهام ، الى المطاردة الحرة ، او الدوريات المنفردة ، التي تقوم بها تشكيلة المثنى المؤلفة ، كما سبق القول ، من زوج من المطاردات ·

ز ـ طيران الانقضاض

يتخصص طيران الانقضاض للدعم التكتيكي المباشر للمشاة والمدرعات · وتكون قواعده عادة على بعد يتراوح ما بين (١٥ الى ١٠٠) كيلومتر وراء الجبهة · ومن الجائز ان تربض ، فى نفس القاعدة، تشكيلة من طيران المطاردة ، الى جانب تشكيلة من طيران الانقضاض ·

يطلب من طيران الانقضاض :

ـ الاسناد المباشر للقوات البرية خلال المعركة ،
ـ تدمير قوى العدو البرية : الرجال والمعدات ، وخاصة الدبابات والمدفعية ،
ـ قصف طرق ووسائط المواصلات ،.
ـ قصف المطارات وما عليها من مطارات وانشاءات ،
ـ قصف المستودعات ، وقوات الاحتياط ، والمقرات ، وعقد المواصلات ،
ـ تحريم التحركات على القوى المعادية ،
ـ مطاردة العدو المنسحب ،

ـ الاستطلاع ،

ـ المساهمة فى تصفية قوى العدو المحاصرة ·

السرب هو التشكيلة المقاتلة الأكثر استعمالا فى طيران الانقضاض· اما فى الاستطلاع وفى المهام المنفردة ، فغالبا ما تستعمل تشكيلة المثنى · والتشكيل الأساسي فى تعبئة طيران الانقضاض بقصد المحاربة ، نوعان :

ـ التشكيل بالكتلة الضخمة ،

ـ والتشكيل بالموجات ·

وهذا التشكيل الأخير هو الأكثرشيوعا ، لكونه يسمح بأكبر قسط من المرونة فى المناورة ، ومن الاستمرار فى الجهد دون توقف او انقطاع· ان ظروف المعركة البرية هي التي تحدد عادة نوع التعبئة التشكيلية · ومثال ذلك انه عندما تكون المدفعية كافية وقادرة لوحدها على تحقيق الاختراق ، عندئذ يعمد طيران الانقضاض الى المهاجمة بالموجات · وعندما لا تكفي المدفعية لوحدها ، ويتطلب الموقف استعمال الطيران كمدفعية بعيدة المرمى ، عندئذ يصار الى استعمال أسلوب الهجوم المركز بالكتلة الضخمة ·

ان تنسيق عمل طيران الانقضاض مع القوات البرية يتم وفقا لخطة موضوعة · وخطة التنسيق هذه ، تحتوي على توزيع للواجبات ما بين الأسلحة ، وخاصة المدفعية والدبابات ، وذلك على أساس الخطة العامة للعملية ، وبالنسبة الى الوقت والهدف والأعمال المتفق عليها لسحق العدو ·

وللعمل المشترك مع القوات البرية ، تستطيع الوحدات الجوية اما دعم هذه القوات ، واما ان تلتحق بها للعمل فى نطاق التبعية العملياتية (الميدانية) · وطيران الانقضاض العامل بالاسناد ، مفروض فيه ان يتداخل فى كل مرحلة من مراحل التعرض البري ، وذلك كجزء أساسي من التعرض الجوي · وهذا الاسناد يمتد حتى المطاردة ·

سيأتي ولا شك يوم لا تكون فيه حاجة الى تنويع كبير فى أصناف الطائرات · ولقد أمكن منذ اليوم ، بفضل التسليح والتصفيح ، ان تقوم طائرة نفاثة حديثة مزدوجة الاستعمال ، مطاردة قاذفة ، معدة

لتأدية قسم عظيم من الواجبات التي كانت من قبل من خصائص الطائرة المطاردة • هذا النوع الحديث من الطيران ، باستطاعته القيام بمهام الاستطلاع ، والدورية ، والقتال ، دون ان يكون بحاجة الى حراسة من قبل طيران المطاردة • وقد يعهد اليه بأدوار أخرى فى المستقبل ، وفقا للنتائج والتعديلات التي ستتأتى عن استعماله على المدى الطويل •

ح ـ طيران القصف

الغاية من طيران القصف ، هي التوصل الى سحق جيوش الخصم وابادتها ، وكذلك تدمير وسائط النقل والتسليح والتجهيز ، وجميع الأهداف الهامة ، وذلك فى ساحات القتال ، وعلى المؤخرات العملياتية (الميدانية) ، وبعيدا خلف الجبهة • ويعمل طيران القصف ليلا نهارا ، منفردا ، أو بالاشتراك مع أنواع أخرى من الطيران •

وطيران القصف ، العامل لصالح القوات البرية فى ساحة القتال ، قصير المدى ، وتحد مهمته بالعمل فى النطاق التكتيكي المباشر المشترك مع القوى المقاتلة على الأرض ، وبالعمل ضد جيوش العدو ومؤخراته العملياتية • وقد يذهب الأمر فى استعمال طيران القصف القصير المدى ، أحيانا ، حتى التكليف ببعض أعمال طيران الانقضاض ، كتدعيم عمل المدفعية ، مثلا ، ضد أهداف عظيمة الأهمية فى منطقة دفاع العدو •

لكن المهمة الرئيسية لطيران القصف ، هي عزل ميدان المعركة ، ومنعه على احتياط العدو وامداداته • كما هو يتقاسم مع طيران الانقضاض مهمة تحييد الطيران المعادي وهو فى قواعده • والمراد بالتحييد هنا جعل هذا الطيران غير صالح للعمل • كانت القاصفات قليلة المرونة فى مناورات الهجوم ، وفى الحركة بوجه عام ، الا ان هذا التقصير آخذ بالزوال تدريجا ، مع خروج النماذج الجديدة من طائرات القصف الحديثة • وبدخول القاصفات النفاثة الى ميدان المعركة ، صار من الممكن توجيه الاهتمام ، أكثر من السابق ، الى مهام التحريم ، فى حين كان الجهد الرئيسي ، فى الطيران القديم ، موجها الى الاسناد المباشر للمعركة •

يعمل طيران القصف ، فى هجومه، بتعبئة طيران الانقضاض، فيهاجم

بالكتلة الضخمة المركزة ، او بالموجات • ويجب ان تظل الأرض على اتصال دائم بالجو ، لغرض الادارة ، وحتى يمكن التدخل عند الضرورة لتغيير الاتجاه أو الأهداف •

٤ ـ الطيران البحري

الطيران العامل لصالح القوى البحرية هو ، اليوم ، وبالنسبة الى كافة الأساطيل التي تعمل فى البحار ، القوة الأكثر فاعلية وشمولا • ومهمته هي التعاون مع جميع القوى المائية لغرض تأمين سيطرة الأسطول ، وتوسيع مدى هذه السيطرة •

يقوم الطيران البحري بدوره فى القتال ، فى نطاق الواجبات الخاصة التالية :

- الاستطلاع لصالح الأساطيل ،
- تدمير الغواصات المعادية ،
- مهاجمة حاملات الطائرات وتدميرها ،
- حراسة القوافل والمراكب المنفردة ،
- تدمير القوى الجوية والسطحية للعدو ،
- زرع الألغام البحرية ،
- مهاجمة قواعد العدو البحرية •

الا أن الواجب الخاص والأهم ، للطيران البحري ، يبقى مهاجمة الغواصات وحاملات الطائرات المعادية • والعمل ضد الغواصات يجري بواسطة تشكيلة مختلطة ، جوية سطحية • أما العمل ضد الحاملات ، فيقع أساسا على عاتق القاصفات المنطلقة (١) من على ظهر الحاملات ، أو الآتية من السواحل القريبة ، والتي تتعاون لذلك مع طائرات الاستطلاع والمطاردة •

يتنوع الطيران البحري ، بتنوع واجباته ، وفقا لما يلي :

- الاستطلاع ،
- القصف ،
- زرع الألغام ،

---

(١) واخصها طائرات الانقضاض المتوسطة ، وحاملات الطوربيد قديما والصواريخ حاليا •

ـ الطوربيد والصواريخ
ـ المطاردة ،
ـ الانقضاض ،
ـ طيران المساعدة : التموين ، الارتباط ، توجيه الرمي ، انقاذ الغرقى ، اخلاء الجرحى ، الخ ٠٠

كانت البارجة الكبيرة ، فى الأمس القريب ، أهم قطعة بحرية فى الأسطول ، وكانت النواة ومركز الثقل لكل تشكيلة بحرية ٠ اما اليوم، فقد مضى عصر البوارج ، وغدت حاملة الطائرات أول قطعة وأهمها فى الأسطول ، وركنا حيويا لطاقته وقدرته ٠ وقد ظهر هذا جليا فى الحرب العالمية الثانية ٠ فقد تمكن الطيران البحري الاميركي من تدمير الأساطيل اليابانية ، ومن طرد اليابان من بحار الباسيفيك والمحيط الهندي وذلك لوحده تقريبا ، دون أن تساهم السفن الحربية الأمريكية فى هذه النتائج بشيئى يستحق الذكر ، اللهم الا حراسة حاملات الطائرات والدفاع عنها من غارات الطائرات والغواصات المعادية ٠

٥ ـ الطيران الاستراتيجي

الدور الرئيسي للقوى الجوية ، بصورة عامة ، هو المساهمة فى تقدم القوات البرية ، هذه القوات التي تتضافر لأجلها جهود جميع القوى المتوفرة ٠

والطيران الاستراتيجي يساهم فى تحقيق هذا الدور ، ولو بطريق غير مباشر ٠ فهو بتدميره للأهداف الصناعية ، وطرق المواصلات ، وبتعطيله لأجهزة الادارة والعمل على مستوى الأمة والدولة المعادية وقواتها المسلحة ، يساهم بذلك فى تسهيل عمل القوى البرية الحليفة ، ويزيد فى امكاناتها وطاقاتها بالمقارنة مع الامكانات والطاقات المقابلة ٠

مجال العمل الاعتيادي للطيران الاستراتيجي ، هو فى الساحة الاستراتيجية ، وفى الساحة العملياتية (الميدانية) التي تكون وسطا ما بين الساحة الاستراتيجية والساحة التكتيكية ٠ وتقوم قواعد هذا الطيران بعيدة عن الجبهة ، عادة ، مسافة تزيد على مئتي كيلو متر تقريبا ٠

من واجب هذا الطيران ، العمل على :

- مهاجمة مؤخرات الخصم البعيدة ، لغرض تـدمير قوتـه العسكرية والاقتصادية ، بالاضافـة الى تـدمير معنويـة الجيش والسكان ،
- تدمير الأساطيل البحرية ، وقواعد هذه الأساطيل ،
- تدمير التحركات الحديدية والبرية والبحرية على خطوط المواصلات الرئيسية ،
- تدمير قوى العدو الجوية على المطارات البعيدة ، والقوى التي تُغذي هذه المطارات ·

ومن واجبـات الطيران ، أيضـا ، القيام بـالاستطلاع · ويكـون الاستطلاع :

- استراتيجيا اذا كان لصالح القيادة العليا ،
- وعملياتيا (ميدانيا) اذا كان لصالح جيش او جبهة ،
- وتكتيكيا اذا كان لصالح الفيلق او الفرقة ·

ويعود تحقيق كل نوع من الاستطلاع الى الطيران العامل لصالح هذا النوع · ويجري الاستطلاع عـادة دون حراسة · ومـن تجارب الحرب العالمية الثانية تخصيص الطيارين بمناطق محدودة معينة ، تكون مجالا لنشاطهم الاستطلاعي · فالرقابـة المنتظمة ، الـدائبة المستمرة لنفس المدينة او المنطقة ، تسمح للطيار بدراسـة منطقته تفصيليا ، وتسهل عليه اكتشاف أي تغيير يحدث على الأرض حال وقوعه ·

٦ - طيران النقل

يستعمل طيران النقل للتموين والامدادات · وهـذا النوع مـن الحركة آخذ بالازدياد والتعاظم يوما بعد يوم ، وأكثر مـا يستعمل فى تموين القوى الميكانيكية بالزيت والوقود ، وفى نجدة النقاط الحساسة التي تتعرض الى الخطر بصورة فجائية · والمطلب الأول لهذا النوع من النقل ، هو ان تكون الطائرة الناقلة كبيرة بحيث تتسع لعدد كبير مـن الأفراد والمعدات ، وان تكون ذا مدى بعيد يسمح لها بالبقاء فى الجو مدة طويلـة ، وبقطع المسافـات الكبيرة على أسـاس وقودهـا المتوفـر فى مخازنها عند الاقلاع ·

ولقد تأتى عـن استعمال الطيران كواسطة للنقل ، ظهور سـلاح

خاص ، أو بالأحرى قـوة خاصـة يشار اليها بالمظليين ومشاة الهواء ٠ وتحتاج هذه القوى الى طائرات وسابحات (١) ، والى عناصر انـزال . والى طواقم (٢) لقيادة الطائرات والسابحات وخدمتها وصيانتها ٠ ومن خصائص هذه القوى :

- الحركية الكبيرة ،
- الأسلحة الأوتوماتيكية القوية ،
- القابلية للظهور سريعا وفجـأة ، وللقتال على مؤخـرات العدو ٠

أما واجباتها فتكون :

- مساعدة القوى البريـة على تطويـق وتصفيـة القوات المعادية ،
- تعطيل قيادات جيوش الخصم وعمل مؤخراته ،
- احتلال وامساك التقاطعات والقطاعات الهامة فى مؤخرات العدو ،
- احتلال وتدمير المطارات والقواعد الجوية ،
- مساعدة نزول القوات البرمائية ، وذلك عن طريق احتلال مناطق ساحلية ،
- انزال العملاء ، والمغاوير ، وضباط الاتصال ، وجماعات التخريب خلف خطوط العدو ٠

تعمل القوى المنقولة جوا بالارتباط الوثيق مع بقية الأسلحة ٠ ذلك لأن علينا أن لا ننسى بأن كل انزال جوي لا يكون محميا،ولا يجري تبعا لتوقيت دقيق محدد ، ولايكون منسقا مع خطة العمليات العامة ، أو اذا لم يتوافق مع المهمة الموكولة ، مثل هـذا الانزال يتعرض الى خسائـر فادحة وغير مفيدة ٠

والعمليات مـن هـذا النوع ، تطلب درجـة عـالية مـن المباغتـة والقتالية (٣) ، ومن الجرأة والحركية واللياقة للمناورة ٠ وكل موقف

---

(١) Planeurs (٢) مجموع الافراد الذين يعملون في خدمة كل طائرة ، او كل عربة ميكانيكية ، او كل طائرة او كل سفينة ، والمفرد طاقم ، ويمكن استعمال كلمة ركب جمع اركاب (٣) العزم والاصرار والضراوة في المقاتلة ٠

سلبي أو متردد ، يؤدي حتما الى الخسارة والفشل ، والى التضحية بالأرواح والمعدات بلا جدوى ·

توزع القوى المنقولة جوا الى :

- قوى استراتيجية ،
- وقوى عملياتية ميدانية ،
- وقوى تكتيكية ·

تتخصص القوى الاستراتيجية للعمليات الاستراتيجية · وتكون تحت تصرف القيادة العامة · وتعمل القوات الأخرى فى الجبهة وفى الساحة العملياتية الميدانية ، تحت امرة قيادة الجبهة · والتكتيك الأساسي ، للهجوم بالقوى المنقولة جوا ، يجري على موجتين :

- موجة أولى تتألف من المظليين ، وتقوم باعداد الأرض لاستقبال الموجة الثانية ،
- وموجة ثانية تأتي بواسطة السابحات أو طائرات النقل ·

تحتوي الموجة الأولى على تشكيلة ذات اعداد خاص ، مهمتها الاحتلال الفوري لجميع المحطات التلفونية والتلغرافية واللاسلكية فى منطقة الهبوط ، بحيث يمتنع على العدو الاستفادة منها فى تلقي خبر مجيئى القوات المنقولة جوا ، فى الوقت المناسب · ومن واجب الموجة الأولى تحضير أماكن صالحة لهبوط السابحات وطائرات النقل ، وذلك حتى يمكن انزال الموجة الثانية وتفريغ معداتها من هاون ، ومدافع صغيرة، وسيارات خفيفة · ويتقدم كل عملية انزال بالجو ، استطلاع جوي دقيق وشامل للمنطقة ·

أما تكتيك القتال بعد الوصول ، فيتوقف أسلوبه على نوع الهدف· فقد يمكن التوصل الى هزيمة العدو ، وتدمير طاقته القتالية ، بفضل مناورة جازمة (١) ، على جوانبه أو مؤخراته · ومهاجمة الهدف فى النهار تجري من جميع الجهات · اما فى الليل ، فيهاجم الهدف من جهة واحدة فقط · ومن المستحسن تدعيم مثل هذا الهجوم بكمائن على أساس جماعة صغيرة لكل كمين ·

العمليات النقلجوية ممكنة فى جميع فصول السنة · وهي مفيدة

---

(١) اي جارية بكثير من التصميم والعزم ·

خاصة فى الجبال ، وفى السهوب والمناطق الصحرائية • والغرض التكتيكي الأول ، للعملية من هذا النوع ، هو تحقيق اقامة رأس جسر لتأمين اجتياز الحاجز ، أو لتأمين حدوث عملية الانزال • ومن الأغراض التكتيكية الهامة ، التي قد تقوم القوات النقلجوية بتحقيقها، هي المساعدة فى العمليات البرمائية ، أو القيام بعمليات مشاركة مع البحرية • ويكون الهدف فى مثل هذه الحالة :

- اما احتلال خط ساحلي ، وامساكه بانتظار الانزال البحري ، ومنع وصول الامدادات المعادية الى منطقة الانزال ،
- واما احتلال وتدمير بعض الأهداف الساحلية ، لأهميتها بالنسبة الى البحرية ،
- واما الاشغال ، عقب انزال بحري ، لبعض النقاط المسيطرة على المواصلات البحرية ، أو لبعض قواعد أسطول العدو •وقد تقوم القوات النقلجوية باحتلال هذه النقاط أو القواعد ، قبل الانزال البحري ، لكن باسناد من الأسطول •

الا أن جميع هذه المهام ، وكذلك مهام تعطيل سير العمل فى مؤخرات العدو ، تظل كلها فى مرتبة ثانوية ، وذلك بالنسبة الى المهمة الرئيسية ، التي هي التعاون مع القوات البرية فى التقدم والمطاردة •

بعد انتهاء العملية ، تلتحق القوات النقلجوية بكوكب القوات البرية أو البحرية ، أو تعود فتجتاز خطوط القتال عائدة الى قواعدها • وعندما يستحيل على قوة نقلجوية ان تعود الى منطقة صديقة ، فانها تتحول حالئذ تلقائيا الى جماعة مستقلة ، يتفرغ نشاطها الى القيام بأعمال الأنصار على مؤخرات العدو •

٧ ـ فى التكتيك لهبوط المظلات

كان التكتيك الذي استعمل فى الحرب العالمية الثانية لمهاجمة المطارات والتمهيد لهبوط المظليين كما يلي :

أ ـ تقوم القاصفات المنقضة بقصف الدائرة المحيطة بالمطار، لاجبار عناصر المدافعة ضد الجو على البقاء متوارية فى ملاجئها ،

ب ـ ثم تتبع المقاتلات المنقضة ، لترش المدافعين بالرصاص والقنابل المحرقة ، وترغمهم هكذا على البقاء داخل

ملاجئهم ،

ج ـ وبعد المقاتلات يأتي المظليون على الفور ، ويهبطون على أرض المطار ، بحيث انه عندما يخرج المدافعون من الملاجئى للاستطلاع واستنشاق الهواء ، فانهم يجدون أنفسهم مواجهين بفوهات المسدسات الرشاشة ، ولا سبيل لهم عندئذ الا واحد من أمرين : فاما الموت ، واما الاستسلام ٠

٨ ـ الدفاع ضد العناصر الهابطة من الجو

للدفاع ضد هبوط المظليين والمشاة الهوائية ، يجب القيام بدراسة المناطق الصالحة لهبوط هذه القوات ، وتنظيم هذه المناطق بحيث تتحطم عليها كل طائرة او سابحة هابطة ، وبحيث تلحق بالعدو من جراء ذلك أضرار جسيمة فى المعدات والمقاتلين ٠

تُدرس الأرض ، لهذا الغرض ، الى عمق عشرة كيلومترات على الأقل من خطوط الجبهة ، وذلك لتعيين المساحات الصالحة لجريان العمليات الهوائية ٠ تُربط الأراضي المعينة هكذا ، فيما بينها بدفاعات قوية ضد الجو ، فى المطارات ، وعقد المواصلات ، ومراكز التموين ، وسواها من القواعد ونقاط العبور الاضطرارية ٠ اما الأراضي الصالحة للهبوط ، والقائمة موزعة ما بين الدفاعات المضادة المذكورة ، فتفرش بأنصاب حديدية (خوازيق) تعلو أربعة أمتار عن وجه الأرض ٠ وتكون هذه الأنصاب جارحة الرأس ، متصلة بعضها مع بعض بالأسلاك الشائكة المتشابكة ٠ وتعلق فى عنق النصل لكل نصب قذيفة متفجرة ، يوصل مفجرها بالسلك الشائك ، بحيث تنفجر القذيفة عند تعرض السلك لضغط معين ٠ ويكون الكل ، الأنصاب والأسلاك ، تحت حماية الأسلحة الرشاشة المطمورة المخفية ٠

٩ ـ الدفاع عن طرق المواصلات

المواصلات المؤدية الى الجبهة حياة المعركة ، ولذا يجب ان تظل مفتوحة لسيل لا ينقطع من الامداد والاسعاف والتموين ٠ وهي معرضة باستمرار لتدمير الجسور ونقاط العبور الاضطرارية بالقصف الجوي، وللقطع المديد او الموقت بغارات القوات النقلجوية ، كما وتكون

القوافل المتحركة على طرق المواصلات هدفا أوليا للقصف والرش من قبل القاصفات والمنقضات • والهدف الأهم للقصف هو الصهاريج وسيارات نقل المحروقات •

يقوم الدفاع عن طرق المواصلات على أساس مراكز متعاقبة من الدفاعات المضادة القوية ، ومضاعفة عدد الطرق والمسالك من الجبهة واليها ، والاكثار منها • وتقسم الموصلات بقصد الحركة الى مجموعتين على الأقل :

- مجموعة تستعمل للحركة من المستودعات ومناطق التجمع والحشد الى مناطق القتال ،
- ومجموعة تخصص للحركة فى طريق العودة من مناطق القتال الى المراكز والقواعد والمستودعات الخلفية •

تُقام مراكز الدفاع ضد الجو ، على مسافات ومحطات متتالية موزعة ما بين المجموعتين من طرق الموصلات • وتغطى المسافة الفاصلة بين كل محطة مضادة جوية وأخرى ، بأسلحة مضادة حركية دفعذاتية تروح وتغدو بين المحطتين الثابتين ، على أهبة دائمة للمساهمة معها فى صد الغارات الجوية المضادة •

لهذه الدفاعات المضادة قيادة خاصة ، ومخابرات مستقلة قوية ، لاسلكية وسلكية مطمورة • وهذه الدفاعات وقيادتها وتجهيزاتها كلها جزء من قيادة الدفاع السطحي ومنظومته ، على مجمل الأراضي الوطنية •

١٠ ـ الطيران العامل لصالح الدفاع الجوي

يُعرف الطيران الذي يعمل لصالح الدفاع الجوي ، باسم طيران الاعتراض • وهو جزء من جهاز الدفاع الجوي العام • وهذا الجهاز يقوم على الأسس الرئيسية التالية :

- الانذار عن بعد ، بواسطة الرادار ، الأرضي والجوي ،
- المحطات الفنية لتحديد الهوية ،
- وسائط المخابرة السريعة ، بين المحطات الفنية وبين محطات الانذار ومقرات الأسلحة المضادة ،
- الأسلحة المضادة ،

ـ الدوريات الجوية ،
ـ الملاجئى والمستودعات والاسعاف ،
ـ المستشفيات المتقدمة ٠

من واجب محطات الهوية والانـذار ان تعطي المعلومـات السريعة التالية :

ـ الوقت ،
ـ اتجاه الطيران المعادي ،
ـ العلو ،
ـ العدد وأنواع الطائرات المغيرة ٠

فيما يتعلق بأسلحة المضاددة ، فالسلاح الأكثر تأثيرا وفاعلية ، هو طيران الاعتراض ، الـذي هـو نفسـه طيران المطاردة فى مثل هـذه الأحوال ٠ ان الواجب الرئيسي لهذا الطيران ، هو الدفاع عن الأهداف الاستراتيجية ٠ وقد يُعهد اليه أحيانا بواجب الدفاع عن أهداف غير استراتيجية فى المنطقة ٠ وهو يعمل مستقلا ، كما ويعمل بالتعاون مع المدفعية المضادة ٠

فى حالـة الحرب ، يقوم طيران الاعتراض بتنظيم جهاز دائم مـن الدوريات المتواصلة المستمرة ٠ ويقع على هـذه الدوريـات ، واجب مراقبة الأجواء ، والتفتيش عن طيران العدو واعتراضه ومناجزته ، أو الهاؤه وتحويل اتجاهاته ٠ وتتألف الدوريـة الجوية مـن وحدات صغيرة ، مـن طائـرة واحـدة الى اثنتين الى أربعة ، تتعقب تشكيلات العدو الجويـة ، لغرض ان تظـل على علـم بوجهتها ، وأعدادهـا ، وأنواعها ، وسرعتها ، ومنوياتها ٠

١٩ ـ فاعلية القصف الجوي

فى حالة تقصد هدف بعينه ، لا يستطيع رمي الطيران ان يكون مؤثرا مصيبا كرمي المدفعية ٠ وفى حالـة القيام بقصف أهداف عامـة ، فقد أثبتت الحرب العالمية الثانية على ان القدرة الجويـة لا تسـتطيع ان تدمر بالمعنى الكامل ، لكنها تعطل وتخرب ٠ ولا يستطيع الطيران ان يمحو من الوجود منطقة صناعية بغارة واحدة ، ومن النادر ان تتضرر المنطقة المهاجمة بغارة أو غارتين بحيث يتعذر اصلاحها ٠ ويتعذر على

الطيران كذلك قطع خطوط المواصلات لمدة طويلة ، الا اذا عمل الطقس لصالح المهاجم ، أي كان صحوا رائقا،وكانت الغارات عديدة متكررة ٠

يقلل الطيران كثيرا ، بكل تأكيد ، مـن فاعلية وفائدة كـل شيئى يصير هدفا لهجومه ٠ ويستطيع ان يصل بهذا التقليل الى حدود الكمال، فى حالات الظروف المؤاتية للطيران وللقصف الكبير المركز ٠ والتأثير النفسي ، الذي يحصل لدى المهاجمين بفعل الطيران الثقيل المركـز ، هذا التأثير لا يمكن الحصول على شيء مثله بواسطة المدفعية ٠ وأسوأ خصم للطيران هو الطقس السيئى ٠

٥

البحرية والعمليات البرمائية

عموميات :

التنظيم العام ، لسلاح البحرية ، يقوم على التنظيمات التالية :

- الأساطيل المكشوفة (أو السطحية) ،
- الأساطيل التحتانية (أو الغواصة) ،
- الطيران البحري ،
- المدفعية الساحلية ،
- التشكيلات النهرية الداخلية ،
- مشاة البحرية ،
- القواعد البحرية ،
- المناطق البحرية المحصنة ،
- المصالح الادارية المختلفة ٠

١ ـ الأساطيل

تتوزع الأساطيل ، على أساس البحـار التي تغمر الشـواطئى ، الى قيادات متميزة لكل منها قوى بحرية خاصة ، وترتبط بكل منها دفاعات ساحلية وقوات جويـة ٠ ان الواجب الأساسي للأساطيل هـو مساعـدة القوات البرية فى الدفاع عن سلامة الأراضي الوطنية ، وفى الحفاظ على سلامة المواصلات عبر البحار ٠ وتعمل الأساطيل على أساس ان الحرب البحرية ما كانت ولن تكون أبدا حدثا مستقلا بذاته ، بل ودائما جزءا من الحرب ككل ٠

فى المحاربات البحرية ، يربط البحر ما بين الأجزاء المختلفة من دولة واحدة ، أو من مجموعة دول متحالفة ، ويفصل عن الأعداء • ولهذا فان الحرب على البحار تكون ، أول كل شيئى ، صراعا من أجل المواصلات البحرية ، أي دفاعا عن سلامة الطرق البحرية الخاصة ، وسعيا الى قطع طرق العدو هذه •

الحرب عملية مشتركة بين القوى البرية والجوية والبحرية • وهذه العملية المشتركة تكون اما استراتيجية ، واما عملياتية ، واما تكتيكية• فى البحر ، العمليات الاستراتيجية هي عمليات الدفاع عن الطرق البحرية الخاصة والصديقة ، وعن الشواطئى الوطنية عموما ، وهي أيضا مهاجمة الطرق البحرية للعدو • وتتعين الأهمية فى العمليات البحرية على أساس العوامل الثلاث التالية :

أ ــ درجة ارتباط الدولة ، أو العدو ، بالتموين بواسطة البحر ،

ب ــ درجة الضرورة فى التعرض الاستراتيجي على البحر ضد السواحل المعادية ، أو درجة الضرورة فى المدافعة الاستراتيجية عن السواحل الوطنية ،

ج ــ درجة استطاعة الأسطول فى الدفاع عن مواصلاته والقيام بمهامه الأخرى ، وفى مهاجمة المواصلات البحرية للعدو ، أو مهاجمة شواطئه •

وعلى أساس هذه العوامل ، يمكن ان يكلف الأسطول بالواجبات التالية :

ــ الدفاع عن المواصلات البحرية الخاصة ،
ــ قطع المواصلات البحرية المعادية ،
ــ حماية الأراضي الوطنية من الغزو البحري ،
ــ غزو الأراضي المعادية بطريق البحر ،
ــ الدفاع عن المؤسسات الساحلية الوطنية ،
ــ تدمير المؤسسات الساحلية للعدو ،
ــ دعم مجنبات الجيش ،
ــ اخلاء منطقة معزولة •

فى البلدان المنعزلة المحاطـة بالبحار كالجزر ، والتي تتعامـل مـع الخارج فقط بواسطة الطرق البحرية ، يكون للأسطول مكان الصدارة بالنسبة الى بقية القوى المسلحة ، ويكون غير تابع للقوى البرية ، بـل تكون هذه القوى على العكس تابعة له • وفى مثل هــذه الحالة ، تعتبر السيطرة على البحار هدفا استراتيجيا حيويا ، ولا بد من بلوغه حتى يمكن متابعة الحرب والسير بها نحو الخاتمة الناجحة •

لكن مهما يكن الحال ، فالحرب تبقى عملية مشتركة بين قـوى البر والجو والبحر ، ويكون النجاح فيها نتيجة للتعاون الحميم بين كل هذه القوى مجتمعة • تتعاون البحرية مع القوى البرية ، بدعم هذه القوى بعمليات بحرية خاصة ، عمليات قد تكون بعضا من الأنواع التالية :

- تدمير تموين العدو بطريق البحر ،
- حماية التموين الصديق الجاري بطريق البحر ،
- الدفاع عن الشواطئ ضد كل غزو معادي ،
- تغطية القواعد البحرية ،
- القيام بعمليات الانزال على شواطئ العدو ،
- صد محاولات الانزال على السواحل من قبل العدو ،
- قصف الأجنحة الساحلية للعدو ، أجنحة جيوشه البرية ،
- الاخلاء ، بطريق البحر ، للجماعات الصديقة المعزولة ،
- المساهمة فى تصفية قوات العدو المقطوعة المحصورة على الشواطئ •

وتتعاون القوى البرية ، مع القوات البحرية ، بعمليات من الأنواع التالية :

- الانزال على بعض سواحل العدو ، للاستيلاء على قواعده ،
- تغطية المناطق الساحلية ، لغرض حماية القواعد البحرية ،
- الاشتراك فى عمليات تستهدف صد انزال معادي ،
- اشتراك الطيران العامل مع القوات البرية فى مهمات عائدة الى البحرية •

فى حالة القيام بعمليات برمـائية ، تكـون المسئولية الرئيسية على عاتق البحرية • وتبدأ الحركة ، عادة ، فى مثل هذه العمليات ، من قبل

مشاة البحر ، وتظل كذلك الى ان تبلغ العملية حدا معينا من الخطورة والتعاظم والأهمية ، وعندئذ تبدأ عناصر القوى البرية بالنزول من المراكب ، وبالحلول تدريجا محل مشاة البحرية فى اشغال الأرض ومتابعة التقدم ·

تُقسم كل عملية اشتباك بحرية الى أربع مراحل رئيسية ، هي :

- التحضير ،
- والانتشار ،
- والتنفيذ ،
- والتنظيف ·

٢ ـ المدفعية الساحلية

المدفعية الساحلية ، بالاشتراك مع الطيران الساحلي ، والاحتياط المتحرك ، هي العمود الفقري فى كل دفاع عن الشواطئ · يقع عبء هذا الدفاع على عاتق البحرية ،ويكون بعمق نحو من ثمانين كيلومترا تقريبا ، وقوامه القواعد البحرية التي تتوزع الى :

- قواعد خلفية ،
- وقواعد عملياتية دائمة ،
- وقواعد المناورة ·

تكون قواعد المناورة عادة على مقربة من الساحل · وتتألف وسائل الدفاع فيها من مصالح الرقابة والمخابرة الساحلية ، بما فى ذلك أجهزة التحري بالرادار ، ومن مدفعية ساحلية ثابتة ومتحركة ، ومدفعية مضادة للجو ، ووسائط دفاع ضد المطاردات ، والغازات ، والألغام وغيرها من الحواجز والمهالك ، ومن حاميات من المشاة البحرية المتمركزة فى قواعد الأسطول ، وفى بعض النقاط الخاصة ·

٣ ـ العمليات البرمائية

الانزال البرمائي ، كالالقاء المظلي ، أو كهبوط القوات النقلجوية ، نوع من عمليات الانزال · وتجري العملية البرمائية بالاشتراك مع عمليات مختلطة من القوات البرية ، او مع قوات نقلجوية · ولا تنجح عملية من هذا النوع ، الا اذا جرت بالمفاجأة التامة ، وتأمنت السيطرة الجوية فوق الأسطول ، فى منطقة العملية ·

ذلك لأن الطيران قد أحدث ، فى غضون الحرب العالمية الثانية ، فى المحاربة البحرية ، تعديلا حاسما لا يقل أهمية وتأثيرا عما أحدثه البخار والمحرك فى هذا المضمار ، فى القرن التاسع عشر • فلقد أثبتت الطائرة أنها العدو الأول للباخرة الحربية ، وصارت حاملة الطائرات القطعة البحرية الأساسية ، والنواة لكل عمارة أو أسطول • وأصبح فى حكم الكسيح العاجز كل أسطول بحري تنقصه التغطية الجوية ، وذلك حيال قوة بحرية معادية ، مصحوبة بحاملات تكون أسرابها كاملة سالمة •

وبنتيجة هذا التعديل ، لم يعد من الممكن النجاح فى عملية برمائية ، ضد شاطئى محمي بالطيران المعادي • فالمباغتة المطلوبة لا تتحقق ، وسيطرة طيران الخصم فى سماء العملية تجعل من مناورات الانزال عمليات انتحارية ، ومن المراكب الناقلة وسفن الحراسة فريسة سهلة للمنقضات والطوربيدات الجوية والصواريخ •

تعتبر العمليات البرمائية ، على وجه العموم تقريبا ، بمثابة مناورات تجري لغرض المساهمة فى انجاح عمليات التطويق • وتستهدف العملية البرمائية اما تطويق عناصر معادية موجودة على جناح العدو المرتكز على الساحل ، وتدميرها ، واما تحقيق حركة عملياتية مستقلة بقصد افتتاح جبهة جديدة • وهذا النوع الأخير من المناورات يلعب دورا عظيما فى العمليات المشتركة ، الجوية البرية البحرية •

تتعاون البحرية مع القوات البرية بمطاردتها للأسطول المعادي ، وبالمناورة المباشرة ضد جيوش الخصم ، سواء بعمليات الانزال ، أو بقصف هذه الجيوش بنيران المدفعية البحرية • ويتعاون الجيش مع الأسطول ، بالاستيلاء على بعض النقاط الهامة على الساحل ، كالقواعد والمرافئى وغير ذلك ، والبقاء فى هذه النقاط ، والمساهمة فى حماية الأسطول من الطيران المعادي ، وذلك بواسطة طيرانه ومدفعيته •

تدرس العملية البرمائية وتبحث فى نطاق :

- المهمة (الواجب) ،
- والتنفيذ ،
- والمتطلبات ،

ـ والتصميم ٠

أ ـ المهمة

يمكن ان تكون المهمة لقوة برمائية كما يلي :

ـ مهاجمة أحد أجنحة العدو ، بالارتباط مع تعرض بري ،
ـ عمليات ازعاج وتوغل فى مؤخرات العدو ،
ـ اقامة رأس جسر على ساحل معادي ، لغرض افتتاح جبهة جديدة ،
ـ افتتاح جبهة للتضليل والتحويل أو للاستطلاع ٠ والتحويل أو صرف الأنظار هو الطابع الغالب ٠

ب ـ التنفيذ

يجري الانزال على موجتين ٠ تتألف الموجة الأولى عادة (وهي موجة الانقضاض) من مشاة البحرية ٠ وتتألف الموجة الثانية من قوات برية جرى اعدادها خصيصا لمثل هذه الأعمال ٠ ان واجب الموجة الأولى هو اقامة رأس الجسر ٠ وبعد نزول الموجة الثانية ، يجري استبدال مشاة البحرية ، لتنسحب هذه وتعود الى مراكبها ٠

أثناء عملية الانزال البرمائية ، تكون واجبات الطيران هي الاستطلاع ، والتمهيد للمهاجمات ، والقصف بالانقضاض على المدفعية الساحلية المعادية ، والتغطية الساندة للقوات خلال عمليات الانزال ٠ واذا جرت عملية الانزال بالارتباط مع حركة للجيوش الصديقة على مقربة من ساحل النزول ، فهي عندئذ عملية من أكثر العمليات تعقيدا، وأشدها حاجة الى التعاون الوثيق ما بين القوى البحرية والبرية والجوية ٠ وهي تستدعي ، كجميع العمليات التعرضية ، تعرضا تمهيديا من المدفعية البحرية ، وذلك لتدمير الدفاعات المعادية المقامة فى منطقة الانزال ٠ وتستدعي العملية ايضا ، بعد نجاح الانزال ، دعما متواصلا من المدفعية والطيران لتقوية الدفاع عن المنطقة الساحلية التي تم احتلالها ٠

تكون القيادة ، فى كل عملية انزال تقوم بها مشاة البحرية ، لقيادة الأسطول ٠ اما عمليات الانزال ، التي تقوم بها القوات الأرضية ، ولو بالاشتراك مع مشاة البحرية ، فقيادتها ، عند بدء الانزال ، هي لقائد

القوى البرية .

ج ـ المتطلبات

العملية البرمائية ، التي تعد للانزال على شاطئ محصن ، تستدعي الحصول على السيطرة البحرية والجوية فى منطقة العملية ، ومن ثم عددا كبيرا من مراكب الانزال المعدة خصيصا لقطع المسافة من الباخرة حتى الشاطئ ، وثم لصعود هذا الشاطئ تحت وابل منهمر كثيف من قذائف الدفاع . تستدعي العملية كذلك مداخلة فعالة مركزة من مدافع الأسطول ضد الشاطئ المقاوم ، بالاضافة الى قصف جوي منظم ، مستمر وكثيف وثقيل .

العملية البرمائية ، كما تقدم القول ، عملية مشتركة مع كثير من الأسلحة المختلفة . وهي تقوم على أساس تنظيم متقن كامل ، وتدريب قوي مشترك ، ونجاحها رهن بلياقة القوات الهابطة للعمل كفريق واحد منسجم متفاهم ، كعمل فريق لكرة القدم فى ميدان المباراة . ويجري هذا العمل بالتعاون الكامل التام مع القوى البحرية والجوية .

د ـ تصميم العملية البرمائية

تقوم العملية البرمائية على أساس التصميم المفصل من جميع القيادات والمصالح التي تدعى الى الاشتراك ، وذلك لغرض صياغة الخطة العامة النهائية للعملية . وتشرف على التحضير للعملية ، وعلى تطبيقها وتنفيذها ، هيئة أركان خاصة ، وذلك لتعدد العناصر المقاتلة المشتركة ، والتشعبات والمطالب . وبالاضافة الى العناصر المشتركة ، يقتضي للعملية تحضير قوافل المراكب وحشدها ، وتوزيعها فى المرافئ والقواعد الملائمة ، ومرافقتها أثناء الابحار بالمراكب الحربية ، وتحشيدها أخيرا فى منطقة المعركة ، فى الوقت الملائم .

ومن متطلبات الخطة أيضا ، اختيار مواقع الانزال . فلكل موقع عيوب وحسنات يجب ان يوازن بينها جميعا بمقتضى مجموعة من الأسس والمعطيات المختلفة ، وأحيانا وفق عوامل غير مضمونة بالمرة . ومن أهم هذه العوامل : الشواطئ ، الطقس ، المد والجزر ، الأماكن الصالحة لاقامة المطارات ، مدة السفر البحرية ، المرافئ القريبة التي يمكن الاستيلاء عليها ، طبيعة الأرض ما بعد الشاطئ ، وقابليتها

للحركات بعد الانزال ، التغطية الجوية ، تدابير العدو ، حقول الألغام البحرية ، الدفاعات الساحلية ، الخ ... ولا تنجح عملية انزال ما لم تقم على المباغتة ، والسرعة ، وضراوة الهجوم .

٤ ـ الدفاع ضد العمليات البرمائية

يمكن النجاح فى صد عملية برمائية ، فى ثلاث حالات :

أ ـ النجاح فى تحقيق حشد قوي فى غضون الساعات الاولى ، فى بقعة مركزية من المنطقة الساحلية المهددة ، حشد زمني ، والنجاح فى الحفاظ على سريته ، ثم قذف العدو الى البحر ، ورده من حيث أتى ،

ب ـ أو تمديد الفترة الزمنية الخطرة ، المستعملة لعمليات الانزال العدوة الى اليابسة ، وذلك ريثما يتمكن الدفاع من حشد القوى اللازمة للضربة المعاكسة . وبتعبير آخر ، جعل عناصر المدافعة على نقاط الانزال قوية كفاية بحيث تستطيع منع العدو من توسيع رقبة جسره طوال الأيام المعدودة الأولى ، التي تبقى فيها المدافعة الموضعية مقاتلة لوحدها ، مكتفية بوسائطها الخاصة ،

ج ـ واذا كان المدافع مسيطرا على السماء فى منطقة الانزال ، فيكتفي بدفاعات ثابتة محدودة ، تاركا لطيرانه علاج العدو والقضاء على حملته وهي لا تزال بعد بمعظمها على سطح الماء .

اذا تأمنت للمُدافع القوى الكافية لتلبية مطالب الحالتين (أ) و (ب) فى آن واحد ، فعليه حالئذ ان يقيم دفاعه الساحلي على أساس هاتين الحالتين . ويكون سلوكه فى المحاربة الدفاعية على هذا الوجه هو السلوك الأمثل . اما اذا عجز بقواته عن الجمع بين الحالتين المذكورتين ، فهو عندئذ مواجه بأحد أمرين :

ـ فاما تقوية نقاط المدافعة على حساب الاحتياط العملياتي ،

ـ واما تقوية هذا الاحتياط على حساب قوات المدافعة .

أما اللجؤ الى حل وسطي بين هذين الأمرين فهو ، غالبا ، تدبير مشكوك فى صلاحه وجدواه ، تدبير ينتج عنه ضعف فى المدافعة وضعف فى الاحتياط العملياتي على السواء . ومن الأفضل دائما تجنب الحلول من هذا النوع (١) .

---

(١) ارتكب المارشال الالماني فون رونشتيد هذا الخطأ عينه في تخطيطه لصد نزول الحلفاء على شواطىء النورماندي في اواخر الحرب العالمية الثانية .

واذا تعادل الدفاع مع المهاجم ، جوا ، فباستطاعة المدافع ان يميل حالئذ الى جانب الاحتياط فيقويه ، ويوزعه وراء الجبهة على نقاط رحوية ، نقاط يستطيع منها ان يوجه احتياطه محشدا كثيفا الى المنطقة المهددة ، بسرعة وتبعا لميقات قد سبق تنظيمه وتفصيله ·

واذا تفوق العدو فى الجو ، وعجز المدافع عن اعتماد خطة تكون مبنية على أساس الحالتين (أ) و (ب) المذكورتين آنفا ، فأمامه والحالة هذه طريقان :

- فاما تحصين مراكز المدافعة ، وجعلها من القوة والمناعة ، بحيث تنجح فى الصمود بقوات قليلة ، والاحتفاظ بباقي قواته كاحتياط تكتيكي فى محلات انتظار أمينة ،
- أو تقوية المدافعة الثابتة واحتياطها المتورط ، الى أقصى حد يعتبر لازما ، واكتفاء باحتياط تكتيكي ضعيف ·

ومهما يكن نوع الاختيار ، فيجب أن يوضع الاحتياط التكتيكي فى محطات قريبة من خطوط القتال ، وذلك لكي يستطيع الوصول الى هذه الخطوط عند الحاجة ، بسرعة وفى الوقت المناسب ، وقبل ان ينتهي طيران الخصم من تدمير الجسور وعقد المواصلات وسواها من نقاط العبور الاضطرارية المؤدية الى منطقة القتال ، ولكي لا يطول زمن تعرض القوات المتحركة الى غارات العدو الجوية وهي فى طريقها الى ساحة المعركة ، هذه الغارات التي تستهدف عزل الجبهة عن مصادر الامداد والتموين ·

واذا كان العدو مسيطرا على الأجواء فى سماء المعركة وضواحيها ، فالاحتياط العملياتي ، الذي ينتظر بعيدا عن خطوط القتال ، هو احتياط لا يستطيع بلوغ ساحة المعركة الا بالشراذم والفلول ، وغالبا بعد فوات الأوان · وهو عندما يصل الى هذه الساحة ، فانما يصل مهشما محطما مضعضعا ، وبالشرذمة والمفرزة ، ملاحقا بالقذائف والنيران الجوية المعادية ، على طرق ومسالك يكون طيران الخصم قد حطم جسورها وعقدها وأرضيتها · وقد حصل مثل هذا للمدافعة الألمانية على الساحل الفرنسي ، عند غزو الحلفاء لشواطئ النورماندي ، فى فجر يوم (٦) حزيران عام ١٩٤٤ ·

٦
سلاح الفرسان

كان سلاح الفرسان ، لخمسين عاما خلت ، يحتل نفس المكانة التي تحتلها المدرعات فى هذه الأيام · وقد انتزعت المدرعات من سلاح الفرسان مكانته ، بنتيجة تفوق الآلة المحركة والناقلة ، أي المحرك ، على الحصان · وبنتيجة ذلك صار هذا السلاح ، سلاح الفرسان ، صنفا كماليا يستعمل للرياضة وتعلم الفروسية ، وذلك فى البلدان التي تكثر فيها الطرق والمسالك الصالحة لحركة الآليات عليها · اما فى البلاد الوعرة ، الفقيرة فى طرق المواصلات ، فالحصان لا يزال مفيدا كواسطة نقل وحركة ، وبالتالي لا زالت الحاجة ماسة الى وجود الخيل والفرسان كسلاح من أسلحة المقاتلة ·

وكان دور الخيالة فى المعركة ، نفس الدور الذي تلعبه الآليات المدرعة فى المحاربات المعاصرة · كانت هنالك الخيالة الخفيفة والخيالة الثقيلة ، تماما كما توجد اليوم مدرعات ثقيلة ومدرعات خفيفة · وكانت واجبات الخيالة الخفيفة شبيهة بواجبات المدرعات الخفيفة ، وواجبات الخيالة الثقيلة لا تختلف مطلقا عن الواجبات والأعباء الملقاة اليوم على عاتق المدرعات الثقيلة ·

فى البلدان ، التي تقوم فيها الحاجة الى سلاح الفرسان ، لا يستطيع هذا السلاح ان يكون ، بالمفهوم الاحترابي المعاصر ، بديلا لسلاح الدبابات وسواها من القوى الميكانيكية · انه فقط متمم لعمل هذه الأسلحة · ويكون استعماله رهنا بشروط خاصة من الأرض والجو واللوجستيك ، شروط لا تسمح باستعمال المدرعات وغيرها من الأسلحة الآلية بالنجاح المرغوب ·

تستعمل الخيالة ، بوجه خاص ، فى الأراضي الموحلة التي لا توجد فيها طرقات معبدة ، والتي تحولها الأمطار الى مهالك للآليات ، وكذلك فى المناطق الوعرة التي تحد من عمل المدرعات واستطاعتها · والواجبات التي تكلف بها الخيالة ، فى مثل هذه الأحوال ، هي :

- مهاجمة جوانب العدو ومؤخراتـه ، بصورة مستقلة عـن بقية الأسلحة ، أو بالتعاون مع المشاة أو المدرعات ، وذلك لغرض اختراق خط دفاعي ضعيف ،
- الالتفاف والتطويق ،
- تطهير جيوب يشغلها عدو مطوق ،
- الازعاج فى المدافعة الحركية ،
- الازعاج فى المطاردة ٠

وعلاوة على ما تقدم، يتمتع سلاح الخيالة بنسبة عالية من الاستقلال وحرية العمل وتوافر الفرص أمـام القائـد للاسـتفادة مـن بديهته ومبادرته ٠

٧
سلاح الهندسة

كان سلاح الهندسة ، فى الأصل ، متخصصا فى البناء والتحصين واقامة الطرق والجسور ٠ ثم أضيف الى هذه المهام ، قبيل الحرب العالمية الأولى وأثناءها ، مهام عبور الأنهر ، ووضع الحواجـز والعراقيـل ، وحفر الخنادق ، ونصب الأسلاك الشائكة ٠

وجاءت الحرب العالمية الثانية ، لتجعل من هذا السلاح المساعد سلاحا فعالا عظيم الخطر والأهمية ٠ فلقد أصبح يقوم ، علاوة على واجبات المساعدة الكثيرة المتعددة ، ببعض واجبـات الأسلحة المقاتلة نفسها ، وأخصها المشاة ومصالح المؤخرة ٠

ان الأعباء الملقاة اليوم على سلاح الهندسة هي كثيرة ، وحيويـة ، وأخصها بالذكر بناء الجسور والمطارات ، وانشاء الحصون ، والتزويد بالأدلاء والمدربين والمرشدين فى حفر الخنادق ، ومد الأسلاك الشائكة ، وزرع الألغام فى الأراضي الصالحـة لذلـك للحد مـن عمل المدرعـات واستطاعاتها ، وتطهير الأرض من الألغام التي يزرعها العدو ٠

ومن الواجبات الخاصة ايضا بالهندسة ، والتي ازدهرت كثيرا خلال

الحرب العالمية الثانية ، وواجبات التدمير المختلفة ، وأعمال التمويه الجماعية ، ومد الخطوط الحديدية ، وفتح الطرق الهامة التي لا تستطيع المشاة ان تقوم بأعباء شقها وتعبيدها بوسائطها الخاصة ، وكذلك بناء المطارات وملاجئى الطائرات ·

والهندسة سلاح مستقل قائم بذاته · لكنه توجد فى كل فرقة محاربة ، فى المشاة والمدرعات ، كتيبة هندسة كجزء عضوي من ملاك الفرقة · ومن أسلحة هذه الكتيبة قاذفات الضوء واللهب الكبيرة ، التي تستعملها الكتيبة لصالح أسلحة الفرقة الاخرى، والتيقد تزود بها هذه الأسلحة عند الحاجة ·

٨
مصلحة الأسلحة الكيماوية

تهتم هذه المصلحة بالمواد السامة ، والمواد المدخنة ، والمواد المحرقة ، والميكروبات المتنوعة القابلة لأن تستعمل كأسلحة فى المحاربة · واهتمام هذه المصلحة بالمواد والميكروبات المذكورة ، ينصرف أساسا الى تأمين وسائط الوقاية ، والى الالمام والتعرف والاحاطة بطرق وكيفية استعمال هذه المواد الفتاكة كأسلحة فى ميدان القتال ، وفى المؤخرات وصفوف المدنيين ·

وتكون الوقاية ، التي تؤمنها هذه المصلحة ، بتأمين الكافي من الأقنعة والألبسة والتجهيزات اللازمة للحماية من الغازات السامة ، والمواد المحرقة ، حماية الأشخاص ، ولوقاية الملاجئى والملابس والمياه وتطهيرها · وعليها ان تؤمن ، لكل مقاتل فى الجبهة ، قناعا يقي من الغازات السامة ، وألبسة خاصة لا تتأثر بالمواد المشتعلة ولا تحترق أو تتأثر بقنابل النابالم وقاذفات اللهب خاصة · وعلى هذه المصلحة ان يكون باستطاعتها ، اذا لزم الأمر ، تزويد جميع المواطنين بالأقنعة والألبسة الخاصة الواقية ·

الباب السابع
القتـــالات المدرعة

الفصل السادس والعشرون
تاريخ الدبابة ـ الاساســات والاغراض التكتيكية

١ ـ عموميات

كتب « كلوزويتز » (١) عن الحرب ، فقال انها عراك فقط لا غير • فالعراك حاجة غريزية فى الانسان • وقد قادته هذه الغريزة مسرعا فى طريق الاختراع والاكتشاف ، وذلـك طلبا للغلبة ، وسـعيا الى الفوز بالغرض الذي من أجله خاض المعركة • وكان لذلك ان تغيرت أشكال العراك كثيرا ، لكن دون ان يطرأ أي تغيير على المبدأ الباعث ، وظـل العراك ،أبدا ، العامل الأساسي فى الحروب • هذا العراك هو الذي يقرر كل ما له علاقة بالأسلحة ، وبالتجهزات ، وهذه بدورها تغير من أشكال المعاركة • انه تأثير متبادل بين طرف وآخر •

وكتب الجنرال « فوللر » (٢) عن تكنيك الحرب (٣) ، فقال بامكان تعريفها ، باختصار ، بأنها أدوات من جهة ، واستعمال لهذه الأدوات من جهة أخـرى • فـالأدوات تحتوي على الأسـلحة وطـرق اسـتخدامها

---

(١) Carl Von Clausewitz ، ضابط الماني وضع النظريات والمبادىء العسكرية وفقا للمفاهيم المعاصرة ، وذلك في مؤلفه « عن الحرب » ، الذي صدر عام ١٨٣٢م •

(٢) J.F.G. Fuller   (٣) تكنك او تقنية

وصناعتها • ويتكون الاستعمال من السياسة ومـن عمليات المقاتلة • أما « كوينسي رايت » (١) ، فيعرّف تكنيك الحرب ، بأنها فـن اعداد الأدوات العسكرية لغرض التغلب بأقل الخسائـر الممكنة ، على جميع الأعداء المحتملين، وبأن هذا الفن يستعمل ، في كل حالة ، كافة الأدوات العسكرية المتأمنة ، على أحسن حال ممكن ، وأشده فاعلية • ويضيف كوينسي ، فيقول ان التكنيك ، من حيث الاعداد ، هي موضوع يتعلق بأنواع الأسلحة ، والتجهيزات ، والتنظيم • وهي ، أي التكنيك ، مـن حيث الاستعمال ، موضوع نفير عام ، واستراتيجية ، وتكتيك •

ويعرف « كوينسي رايت » الأدوات العسكرية ، بقولة انها وجـود اجتماعي ومادي ، تستخدمـه الحكومـة لتدمير حكومـة أخـرى ، أو للسيطرة على هـذه الحكومـة بالتهديد والاكـراه • ويقول الأميرال الاميركي « برادلي » (٢) ، ان الأدوات ، عندمـا تستعمل للدفـاع أو الهجوم ، تصبح سلاحا ، أي أداة للاحتراب • امـا الجنرال « فوللر » ، فيفضل تعريف السلاح بقوله انه أداة مجهزة بقوة تدميرية • وبموجب هذا التعريف ، لا يجوز اعتبار السفينة الحربية ، أو الطائرة الحربية ، أو الدبابة ، وكلها أدوات ناقلة ، أسلحـة الا عندمـا يجري تجهيزهـا بقدرات تدميرية •

يصنف كل سلاح ، من حيث الخصائص والميزات ، وفقا للاعتبارات التالية :

- المرمى ،
- الطاقة التدميرية ،
- الدقة ،
- كثافة النار ،
- سهولة التشغيل •

(١) Quincy Wghrit مؤلف كتاب «دراسة عن الحروب» ، الصادر عام ١٩٤٢•

(٢) Bradley

الاعتبار الأول ، من هذه الاعتبارات الخمس ، هو الأهم ، وهو الذي يسيطر على القتال • وكل سلاح يتميز بهذا الاعتبار ، هو الذي يحدد الدور للأسلحة الأخرى • وبمعنى آخر ، ان السلاح الذي يتمتع بالمدى الأكبر ، أو بمجال العمل الأوسع ، يكون القاعدة التي تقوم عليها مختلف التطبيقات التكتيكية •

السلاح الرئيسي اذن ليس هو ، حكما ، السلاح الأقوى ، ولا هو السلاح الأكثر رميا او الأسهل تشغيلا • انه السلاح المتمتع بالمدى الأكبر ، والذي ، بسبب ذلك ، يستطيع ان يدخل الأول فى المعركة ، وان يُستعمل لتغطية بقية الأسلحة ، هذه الأسلحة التي تعمل بعدئذ وفقا لاستطاعاتها ، وفى نطاق حدودها • وكلما تحسنت استطاعات السلاح ، فى المدى والدقة وكثافة النار وسهولة الحمل والتشغيل ، والطاقة التدميرية الكبيرة ، كلما سيطر هذا السلاح على سياق المعركة •
وهكذا ، وبناء على هذا التعريف ، يكون السلاح الرئيسي اليوم :
- أولا الطائرة ،
- ثانيا الدبابة ،
فهذان السلاحان يتمتعان ، بالاضافة الى الاعتبارات الخمس التي تقدم ذكرها ، بالسرعة والحركية وهما الميزتان الرئيسيتان فى التعرض والهجوم •

كان الحصان ، حتى وقت قريب ، سيد المعركة • كان يمثل السرعة والحركية ، وكان السلاح الأفضل والأنسب للتعرض والالتفاف والمطاردة • وقد بقي محتلا لهذا المركز الممتاز ، الى حين ظهور الأسلحة النارية ، بأشكال المدفع والبندقية السريعة الطلقات ، التي سريعا ما أزاحت سلاح الفرسان عن مركز الصدارة ، بعد ان أعطته درسا مؤلما فى معركة الأهرامات ، ذلك الدرس الذي تلقته خيالة المماليك على أيدي الجنرال « بونابرت » الفرنسي ومدفعيته ،عند نهاية القرن الميلادي الثامن عشر ، عام ١٧٩٨م •
وبظهور الأسلحة النارية ، انتقل التكتيك من عالم الحيوان وقوة العضل ، الى عالم النار وقوتها وكثافتها • وتطورت الأسلحة المقاتلة ،

بأشكالها مع تطور الأسلحة النارية • كانت الأسلحة المقاتلة (١) ، حتى عهد ليس ببعيد ، مؤلفة من الخيالة الخفيفة ، والخيالة الثقيلة ، والمشاة والمدفعية • ثم ظهر الطيران وسلاح الدبابات فى مستهل القرن الميلادي العشرين • لكن استعمال هذين الصنفين ظل . حتى الحرب العالمية الثانية ، مقتصرا على حدود وأشكال بسيطة • وقد اختلف السبب فى ظهور سلاح الطيران ، عن السبب فى ظهور سلاح الدبابات •

الدبابة ، فى الواقع ، ليست اختراعا مستحدثا جديدا • فالفكرة قديمة جدا ، وقد استعملها الأوائل كثيرا ، وخاصة ضد النبال والنار اليونانية ، كما استعملوا الضبر ضد النبال كذلك • وكان الحصان هو القوة المحركة فى الدبابة القديمة • لكن التصفيح ، الذي كان مكونا بعظمه من الجلد والألواح الخشبية ، أصبح عديم النفع والجدوى بعد ظهور الأسلحة النارية وقذائفها ذات القوة الاختراقية الكبيرة • وقد استعملت الدبابة القديمة ، لآخر مرة ، فى حرب البوير ، عام ١٨٩٩ ــ ١٩٠٢م ، فى أفريقيا الجنوبية •

ولما اخترع المحرك ذو الاختراق الداخلي ، بفضل البترول ، أمكن عندئذ تجهيز الانسان بقدرة تفوق قدرة الحصان ، وأمكن كذلك استبدال تصفيح الخشب والجلد والنحاس ، بالتصفيح بألواح الفولاذ السميكة ، التي لا تخترقها العيارات النارية البسيطة • ولما اخترعت السلسلة التي تسمح بالمسير والحركة على مختلف أنواع الأراضي ، أمكن حينئذ لفكرة الدبابة المعاصره الحديثة أن تخرج الى حيز الوجود •

٢ ــ الفكرة فى تحقيق الدبابة

فى مطلع القرن العشرين ، آلت السيطرة فى ميدان المعركة ، الى المدفع والرشاش • لكن المدفع والرشاش هما سلاحان ثقيلان ، يتحركان ببطء وبلادة ، وليس لهما ما يقي من الرصاص ، ولا قدرة على اختراق الأسلاك الشائكة واجتياز المواضع المخندقة •

وكان الموضوع المطروح للحل ، هو معرفة كيف يمكن التوصل الى نزع فاعلية الرصاص ، أو بمعنى آخر ، كيف السبيل الى تجريد

---

(١) بمعنى الصنف •

الحشود المدججة من مشاة العدو من سلاحها ، لا بصورة تدريجية ، بل للتو واللحظة ؟ ولم يكن الجواب فى زيادة قوة القذائف ، أو الرصاص ، أو القنابل ، ولا حتى فى الغازات السامة ، بل كان فى ايجاد درع يقي من فتك الرصاص ! ٠

هذا الموضوع تفهمه جيدا الكولونيل « سوينتون » وآخرون فى بريطانيا ، والكولونيل « اتيان » فى فرنسا ٠ ثم تبين ان الجندي لا يستطيع حمل الدرع الواقي بنفسه ، وانه يجب ان يعهد بهذا الحمل ، كما هو الحال فى البحرية ، الى عجلة مدرعة ٠ ثم ظهر ان هذه العجلة ، التي يُفرض فيها ان تغدو وتروح على جميع أنواع الأراضي ، تتطلب ان تدب على سلاسل ، عوضا عن الجري على دواليب ٠ تلك هي قصة ميلاد الدبابة ، التي هي نوع من سفينة برية دفعذاتية ، لا يؤثر فيها رصاص البنادق والرشاشات ٠ وقد ولدت الدبابة الحديثة ، او السفينة البرية المدرعة ، ودخلت ميدان القتال ، لأول مرة ، فى ١٥ أيلول عام ١٩١٦م ، وذلك فى معركة نهر السوم فى فرنسا ٠

مضى وقت طويل على ظهور المحرك والسلسلة ، قبل ان تظهر الدبابة المعاصرة كسلاح للاحتراب ٠ ذلك لأن جمود العقلية العسكرية، وكسلها ، وتمسكها بالأعراف والمخلفات التقليدية ، حال دون استغلال هذين الاختراعين فور ظهورهما للأغراض العسكرية ٠ ولقد اقتضى ، للوصول الى تحقيق هذا الاستغلال ، قيام الحرب العالمية الأولى ، وتحول قتالاتها الى معارك مخندقة ، وعجز الأطراف المتحاربة عن الوصول الى قرار حاسم لفريق على آخر ، عجز نتج عن مراوحة المحاربة فى مكانها ، ودورانها على نفسها ، دون تطور ، فى الخنادق والسراديب ، وحول الأسلاك الشائكة ٠

يعود الفضل ، كما أسلفنا ، فى تحقيق الدبابة الحديثة ، الى الكولونيل الانكليزي « سوينتون » ، والكولونيل الفرنسي « اتيان » ، وذلك أثناء الحرب العالمية الأولى ٠ وقام الكولونيل « فوللر » (١) ، والكابتن « مارتل » ، والكابتن « هوتبلاك » ، وكلهم من الانكليز ،

(١) هو عين الجنرال فوللر الذي سبق ذكره ٠

بوضع تكنيك الاستخدام للسلاح الجديد وأنظمته ، فى الجيش الانكليزي ·

وظهرت ، بعد الحرب العالمية الأولى ، مؤلفات عديدة عن الدبابات والسيارات المدرعة · ظهر أولا كتاب الجنرال « فوللر » عن « حرب المدرعات » ، وكتابات الناقد العسكري البريطاني « ليدل هارت » عن امكانيات السلاح الجديد ومستقبله ، وكتاب الجنرال « دي كول » عن « القوى الميكانيكية » · وظل الحال هكذا الى أن جاء الضابط الالماني « كودريان » (١)، الذي قرأ وهضم جميع ما كتب ونشر لهؤلاء الكتّاب السابقي الذكر ، عن امكانات السلاح المدرع ومستقبله ، والذي كان ان تحمس لهذا السلاح وآمن به ، وكرس لتحقيقه معظم جهوده · وهكذا ، وبفضل هذا الضابط الألماني ، قام السلاح المدرع ، فى المانيا النازية (٢) ، لأول مرة ، على الأسس والقواعد الصحيحة التي قال بها « فوللر » ، و « ليدل هارت » ، والجنرال « دي كول » ·

٣ ـ التعريف التكتيكي للدبابة

الدبابة درع ، ونار وحركة ·

فالدرع يقي من نيران الأسلحة الفردية ونيران الرشاشات ، ويحطم الأسلاك الشائكة ، ويدمر بالمدافع والثقل أوكار الرشاشات وأعشاش المقاومة الفردية ، ويجتاز الحفر والخنادق ، ويهدمها على من فيها ·

والحركة ، هي عجلة النصر ·· أو هي العامل الأول فى استجلاب النصر · قديما كانوا يستعملون للحركة ، الأرجل والخيول والبغال والجمال وسواها من الحيوانات الناقلة ، ثم السكك الحديدية ، ثم توصلوا أخيرا الى السيارة فالطائرة · هذه الوسائط ، كلها ، كانت تؤمن الحركة فى اتجاه العدو · لكن كل حركة كانت تتوقف عند حاجز نيران العدو المنبعثة من أسلحته · ولكي تعود للحركة حريتها ، ويتابع التقدم بالرغم من نيران العدو المانعة ، كان يقتضي اما تدمير العدو نفسه ، واما جعله غير فعال ، وذلك بطرده من مواضعه · وكان هذان

---

(١) فيما بعد الجنرال كودريان

(٢) وللحقيقة نقول انه كان لهتلر تاثير حاسم في تبني القيادة الالمانية لآراء « كودريان » ونظرياته ·

الغرضان يتحققان ، سابقا ، بتركيز النيران الكثيفة على مواضع العدو ، ثم بطرده من هذه المواضع بالالتحام المباشر • بيد ان كل عملية من هذا النوع ، كانت باهظة التكاليف ، بطيئة لا تكاد تنتهي الا ويكون العدو قد أقام مواضع دفاعية جديد ، وتمركز فيها ، ليعود هكذا الى ايقاف حركة المهاجم من جديد •

وللخروج من هذه الدوامة ، أخذ التفكير يجد فى البحث عن شيء بديل • لقد كان من الضروري العثور على شيء ما، شيء يسمح بالحركة بأسرع مما كان معروفا من قبل ، وبالمثابرة على الحركة رغم نيران العدو الدفاعية ، ومنع العدو من اقامة مواضع دفاعية جديدة بسرعة وسهولة ، وأخيرا بمتابعة الهجوم عمقا داخل دفاعات العدو • ولقد أدى البحث ، على أساس هذه المتطلبات التكتيكية ، الى ايجاد الدبابة المعاصرة ، والى تركيز عمليات الهجوم على أساس النجاح فى جهود هذه الدبابة • وهكذا صارت الدبابة ، عوضا عن المشاة ، عامل النصر الأعظم ، ولم تعد المشاة ملكة المعركة كما كانوا يصفونها من قبل، وانما حلت الدبابة مكانها فى احتلال هذا المقام • لقد صار النجاح فى الهجوم، ينتج عن نجاح الدبابة وفشله عن فشلها • وبمعنى آخر ، لقد صارت الدبابة مفتاحا للنصر والفشل على السواء •

تكلمنا فيما تقدم عن التدريع والحركة • وبقي ان نتكلم عن النار • ان الدبابة قوة نارية عظيمة • وباستطاعتها أن تطلق النار بالتصويب المباشر ، متوقفة كانت ام متحركة • فى حالة التوقف ، تتم عمليات الرمي بسرعة ، ويتم تدمير الهدف بالحد الأدنى من الذخيرة المستهلكة • أما فى حالة الحركة ، فيكون من العسير تعيين الأهداف واصابتها ، وذلك لصعوبة التصويب والمراقبة • غير ان هذا النقص يتعوض ، الى حد ما، بوجود السلاح الناري مرتفعا عن الأرض ، بصورة نسبية ، الأمر الذي هو كثير الفائدة ، وخاصة فى الأراضي المغطاة بالمزروعات • وفى هذه الميزة ، أيضا ، تعويض عن المساوىء الناتجة عن ارتفاع الدبابة وعلو هيكلها عن سطح الأرض ، الشيء الذي يجعل منها هدفا واضحا للنيران المعادية • ان نسبة الاصابة بنيران الدبابة ، فى حالة الحركة والرمي على المسافات القصيرة ، هي جيدة • لكن هذه النسبة تقل كلما بعدت

المسافة ، وزادت السرعة ، وكانت الأراضي صعبة وعرة ·

وعلى كل حال ، ومهما تكن مساوىء الدبابة ، فهي وحدها التي تتمتع بميزة عظيمة، ميزة الاستطاعة على الاشعار بقوتها النارية وهي متحركة مندفعة صوب العدو· وتحتفظ الدبابة بهذه الميزة في كل وقت، حتى ولو استمرت مدافع الخصمورشاشاتهتعمل دون توقف او انقطاع· ومما لا شك فيه أن الأسلحة التي تعمل من مواضع ثابتة ، هي أكثر دقة واصابة من تلك التي تعمل وهي قيد الحركة · والذي لا شك فيه ، أيضا ، هو ان الحركة هي وحدها التي تجلب النصر ·

نخلص من كل ذلك ، الى القول بأن الدبابة هي أحسن سلاح للتعرض والهجوم · فهذا المزيج المؤلف من المحرك ذي الاحتراق الداخلي ، وصفائح التدريع ، يحمل نيران المهاجمة حتى العدو ، دون أي تمهيد مدفعي ، ودون أن يسبقه ما يفضح أمره ، لكن على شرط أن تتوفر له المتطلبات الموافقة التالية :

- الأراضي المناسبة ،
- والمباغتة ،
- والاستخدام الكثيف بالكتلة ،
- والتغطية الجوية أثناء النهار ·

ولقد ثبت بالتجربة ان النصر في معركة مدرعة ، بنتيجة اختراق دفاعات العدو ، لا يكون كاملا الا اذا كانت الدبابات متبوعة على الأعقاب بالقطعات المساندة ، قطعات تتحرك بسرعة الدبابات · وكان هذا هو السب الذي أدى الى تشكيل الفرقة المدرعة المعاصرة، بشكلها القائم اليوم ·

٤ ـ قواعد الاستعمال التكتيكية

حرب اليوم ، قبل كل شيء ، هي مسألة أسلحة · والطرف الذييدخل التحسين على أسلحته باستمرار ، ويكون أسرع من خصومه في هذا المضمار ، هو الذي يفوز بالنصر · والتحسين المعني هنا ، يشمل النوعية والكمية والمعرفة بالتشغيل والاستخدام· هذهالقاعدة البديهية الأولية لم يعمل بموجبها لا الفرنسيون ولا الانكليز ، وذلك طيلة الفترة ما بين عام ١٩١٩ وعام ١٩٣٩ م ·لقد ظلوا متمسكين بالأساليب

وبالأسلحة والمعدات التي انتهت عندها الحرب العالمية الأولى ·

ومنذ دخول الأسلحة النارية عالم الاحتراب ، برزت فى تكتيك القتال صعوبتان ، هما كيف يمكن التوفيق المنسجم المتكامل بين النار والحركة وبين الحركة والوقاية· وقد أمكن التغلب اليوم على هاتين الصعوبتين بواسطة الدبابة · فهي تزيد فى الحركية باحلالها القوة الميكانكية محل القوة العضلية والحيوانية· وهي تزيد فى نسبالأمان والسلامة بتجريد الرصاص من فاعليته ، بواسطة صفائح التدريع · وهي أخيرا تزيد من الاستطاعة والقدرة على التعرض زيادة عظيمة ، بتحرير المقاتل من عبء أسلحته وأثقاله ، والحصان من حملها وجرها · وهي ، بوقايتها الديناميكية للمقاتل ، تجعله قادرا على المحاربة وهو ساكن ، أي على الاشتراك فى القتال وهو فى موضع لا يبرحه · ان الدبابة ، باختصار، أدخلت التكتيك البحري فى المحاربة البرية ، ولذا فهناك شبه كبير بين المحاربة البحرية والمحاربة المدرعة · ولقد استعملت الدبابة المعاصرة، بذكاء ودراية ، ولأول مرة ، فى معركة « كامبري » فى الحرب العالمية الاولى ، فى (٢٠) تشرين الثاني عام ١٩١٧ م · أما بعد ذلك التاريخ، وحتى اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية ، فالدبابة لم تستعمل استعمالا صحيحا ، كما هو الحال اليوم، أيسلاحا رئيسيا، علىاليابسة، الا من قبل الألمان ، وعن هؤلاء أخذ الآخرون · لكن الألمان لم يخترعوا شيئا من عندياتهم · كل ما عملوه ، كان أن آمنوا بأقوال النبي الذي رفضه بنو قومه وكفروا به · لقد طبقوا، فقط وبكل بساطة ، نظريات « فوللر » ، و « ليدل هارت » ، و « دي جول » ·

فى حروب اليوم ، الحروب البرية ، المدفع هو أداة الاقتتال الرئيسية · والغرض التكتيكي من الدبابة هو زيادة طاقة المدفع فى المدى والمجال والوقاية · أو يمكننا القول ان الدبابة هي مدفع مدرع متحرك بالدفع الذاتي · لكننا لا نستطيع ان نكتفي بحرفية هذا التعريف فى مجال الاستعمال · لأن استعمال الدبابة فى حدود ضيقة ، فقط كالمدفع فى بطارية تتحرك بقوة الحيوان أو الآلة السيارة، لا يوصل ابدا الىبلوغ الغرض الحقيقي ، الذي كان الباعث على ايجاد الدبابة · فالدبابة لا تعطي النتائج الباهرة المرجوة منها ، الا اذا استعملت كما كان يستعمل

الحصان فى الأزمنة الماضية،فى الخيالة الخفيفة والخيالة الثقيلة،بالاضافة الى الفوارق التي يتطلبها العصر · هذا يعني وجوب استعمال الدبابة،فى نطاق تنظيمات عسكرية كلية الجدة ، وكأساس لهذه التنظيمات ، التي يجب ان تحتوي على جيوش مدرعـة دفعذاتية ، وعلى جيوش سانـدة ميكانيكية أرضية وجوية ·

فى الأسلحة المدرعـة ، يقوم المحرك ذو الاحتراق الـداخلي بعملية التوفيق بين الوقاية والقوة · وكان الغرض الأولي ، فى هذه الأسلحة ، زيادة الوقاية للقوة التعرضية المتحركة · وكـان الموضوع حالئذ هـو معرفة كيف يتم الامتزاج العملي بين العناصر التكتيكية الثلاثة : القوة والوقاية والحركية · يقول الجنرال « فوللر » ان الألمان والروس الذين كانوا الدول العسكرية الرئيسية عام ١٩٣٩ ، لم يروا هـذا الموضوع بوضوح ، ولم يوجدوا له الحل بصورة صحيحة تامة · فهم ، عوضا عـن ان يسيروا نحـو الامتزاج التام المتكامـل لهذه العناصر ، وقفوا على العكس ، وبوجه عام ، عند الحد الذي كـان قائما أثناء الحرب العالمية الأولى ، الحـد بين مـا يمكن ان يسمى بالجيش العتيق ، جيش الأذرع والأيدي ، وبين القوى الجديدة ، قوى الماكينات · وقـد قادهم هـذا التوقف الى نوع من تنظيم نابوليوني متجدد ، الى جيش قائم على أساس مبدأ « الأمة تحت السلاح » ، بعد ان أضافوا اليه ، كتوابع ، عددا مـن المصالح التكنيكية المساعدة ، وذلك عوضا عـن ان تكون هـذه المصالح مركبة فيه ، وجزءا عضويا فى كيانه · الا ان الألمان والسوفيات تحاشوا مع ذلك خطأ الفصل بين قوات الجو والقوات البرية · وهم لم يأخذوا ، كذلك ، بنظريـة الحـرب الجويـة المطلقة ، التي نـادى بها الجنرال « دوهت » (١) بصورة خاصة · ان الطائـرة والدبابـة هما العاملان الحاسمان فى بلوغ النصر ، ولا غنى لأحدهما عن الآخر ·

الدبابة ليست سلاحا تملكه المشاة ، وتتصرف به على هواها · ولا هي أداة أو مصلحة لخدمة هذا الصنف · لقد اعتبر الحلفاء ، فى السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الأولى ، الدبابة فقط كمحدلة كانسة تفتتح

---

(١) Douhet جنرال ايطالي

طريقا خلال أدغال دفاعات العدو الكثيفة العميقة الممسوكة بالمشاة والمدفعية ، والمحشوة حتى الاختناق بالأسلحة المضادة · وان عسكريي فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، باستثناء بعض أشخاص قلائل ، رأوا فى الدبابة سلاحا مساعدا ، واجبه الأوحد التعاون الوثيق الضيق مع موجات المشاة المهاجمة ، سلاحا مكيفا مع سلم القيم فى الفضاء والزمن ، سلم العسكري الراجل · ولقد كان ذلك التفكير خطأ جسيما، خطأ دفع أصحابه ثمنا غاليا فيما بعد ، فى الحرب العالمية الثانية ·

لا يطلب من الدبابة ، ان تقضي الأسابيع والأشهر ، فى الاستطلاع والمراقبة ، ولا ان تعتمد لنجاحها على استهلاك هائل من الذخيرة · المطلوب منها هو ان تسيطر فقط على دفاعات العدو ، على كامل أعماق هذه الدفاعات وامتداداتها ، بأسرع وقت ، وان تمنع العدو من تمالك نفسه واستطاعة تنظيم دفاعات جديدة · ولا تستعمل الدبابة لرمي مدفعي محضر ، ولا تقوم بالقصف المركز ، بمعنى أنها لا تقلد أبدا مدفعية الميدان فى القيام بمثل هذه الواجبات ، لأنها لم تخلق لذلك ، ولا تستطيعه · ان واجباتها هي على النقيض من ذلك تماما · وان غايتها المثلى هي تدمير أهدافها بطلقة واحدة صائبة ، والنجاح فى هجوم سريع ، هجوم يتوغل عمقا وعرضا ، فى دفاعات الخصم كلها · والدبابة لا تطلق نيرانها فوق الرؤوس ، بل توجه رميها على أهداف معينة ومحدودة ، أهداف يجري تعيينها وتدميرها كلما ظهرت أثناء التقدم ·

المطلوب من الدبابة ، ان تفتح فى دفاعات العدو ثغرة تندفع منها القوات التابعة للمدرعات ، وقوات الاحتياط الميكانيكية أو المحمولة · ولذلك ، ولكل الأسباب المتقدمة الذكر ، يجب ان لا ينظر الى الدبابة كسلاح اضافي مساعد لربح المعارك ، بالتعاون مع الأسلحة الأخرى ، ولصالح المشاة وخدمتها ، كما فعل الفرنسيون والانكليز حتى منتصف الحرب العالمية الثانية · ان التصرف على أساس هذا التفكير ، يعود بالمحاربة الى عهد حرب الخنادق ، ويجعل صاحبه تحت رحمة خصم لا يدين بمثل هذه النظرية البالية ، ويقضي على كل أمل بقرارات سريعة وحاسمة ، فى المستقبل المنظور ·

شكل المحاربة بالدبابة ، فى التعرض والهجوم ، وفى المدافعة ، واحد لا يتغير • انه الحركة الدائمة • وهذه الحركة هي تقدم فى التعرض والهجوم ، وأنسحاب وهجوم فى الدفاع • انه تارة كر واندفاع ، وطورا فر وكر ، وهكذا دواليك • وليس الانسحاب دليلا على عجز أو ضعف • انما هو المناورة ، مناورة لاجبار العدو على انهاك قواه فى المطاردة ، ثم الكرة بعد الفر ، وعودة الى الأخذ بزمام المبادرة من جديد • ان الحال فى حرب الدبابة اليوم ، كالحال فى حرب الحصان بالأمس ، من حيث ان التعرض والدفاع مرتبطان كلاهما بالحركة •

الفصل السابع والعشرون

الفرقة الآلية

١ ـ عموميات

نعني بالفرقة (١) الآلية ، كل فرقــة مقاتلة تنتقل بوسائط النقل والحركة الدفمذاتية ، أي بالوسائط التي تسيرها المحركات المعدنيــة ذات الاحتراق الداخلي • والفرقة الآلية ثلاثة أنواع هي التالية :

أ ــ الفرقة المدرعة ،

ب ــ الفرقة الميكانيكية ،

ج ــ الفرقة المحمولة •

يتكون الهيكل الأساسي ، للفرقة المدرعة ، مــن الدبابات • وتتألف الفرقة الميكانيكية مــن تشكيلات مقاتلــة قــوامها المــدفعية والمشــاة والهندسة ، تشــكيلات تقاتــل وتتحرك وتتنقل بوسائطها الخاصــة ، وسائط آلية دفمذاتية صالحة للقتال والســير على مختلف الأراضي • اما الفرقة المحمولــة ، فتتألف بمعظمها مــن المشاة ، وتتحرك منقولــة بآليات جماعية يقتصر استعمالها على النقل فقط حتى أرض المعركة •

٢ ـ الفرقة المدرعة

الفرقة المدرعة تشكيلة تكتيكية كبرى ، مستكفية ، تحارب بوسائطها الميكانيكية الخاصة ، على جميع الأراضي ، وفى مختلف مراحل القتال وتطوراته • وهي تعمل ، مع سواها مــن الفرق المدرعــة ، فى الضرب والاختراق والاستغلال والمطاردة •

وتأتي الفرقة الميكانيكية ، والفرقة المحمولة ، مباشرة على أعقاب

---

(١) الفرقة من اي صنف كانت ، هي تشكيلة كبرى ، يتراوح تعدادها ما بين عشرة وعشرين الف مقاتل

الفرقة المدرعـة ، لتدعـم عمل المدرعـات ولاشغال الأراضي المحتلـة وتنظيمها ، ولتأخذ عن عاتـق الفرقـة المدرعـة جميع الواجبات ذات الصبغة الزمنية الطويلة الأمد من دفاعات ، ومواصلات ، وتمويـن ، وحماية للمدرعات نفسها ، عندما تكون هذه قيد الاستراحة ، أو قيد التجمع والتموين واعادة التنظيم ·

توجد ، فى التطبيق ، أنواع مختلفة فى تشكيل الفرقة المدرعة · لكن اكثر الأشكال شيوعا ، وأحسنها انتاجا وفاعلية ، تأتي على شكلين ، أو نموذجين ، هما :

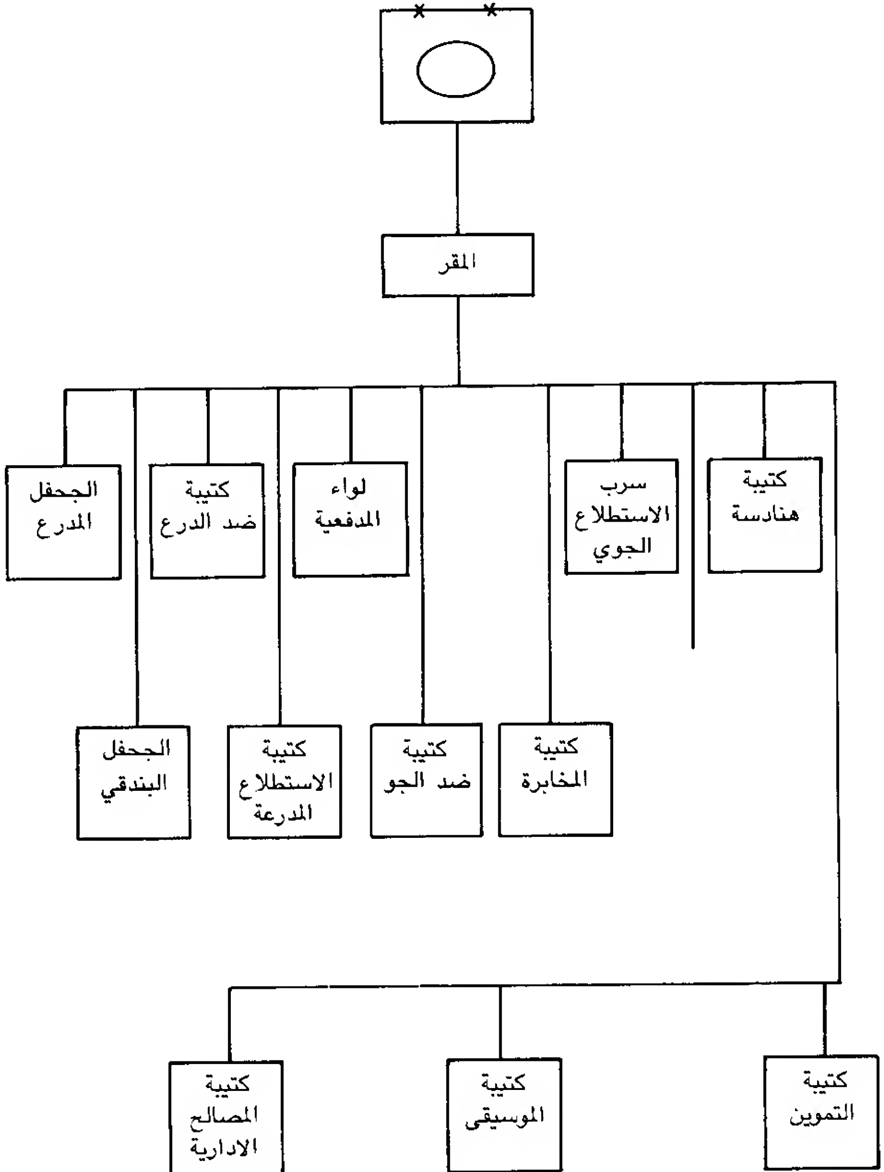
ـ النوذج (أ) ،
ـ النموذج (ب) ·

٣ ـ النموذج (أ)

هذا النموذج ، الذي هو الماني ألطابع ، والـذي يشـكل الفرقـة المدرعة الثقيلة ، يتألف على الوجه التالي :

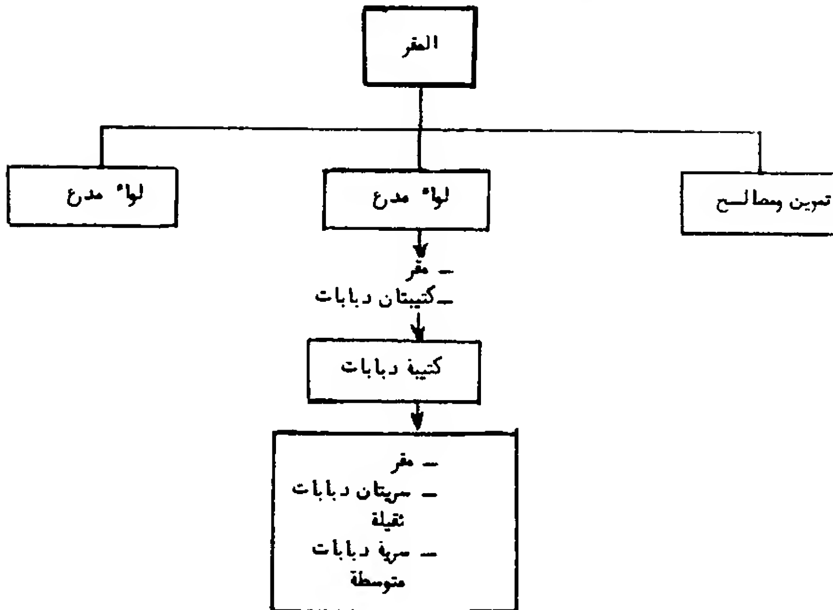
الشكل رقم (٢٧)

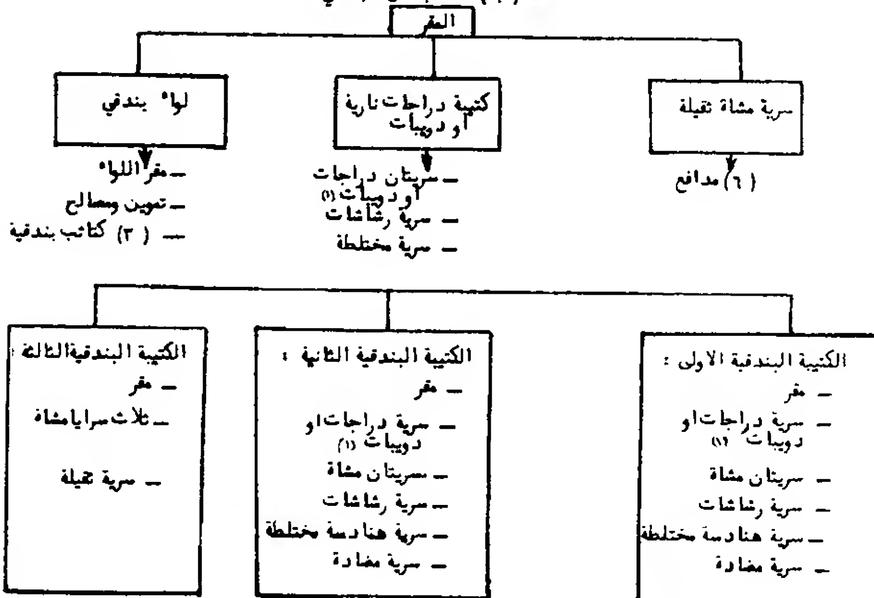
مخطط للفرقة المدرعة الثقيلة



الشكل رقم (٢٨)

مخطط (أ) : الجحفل المدرع

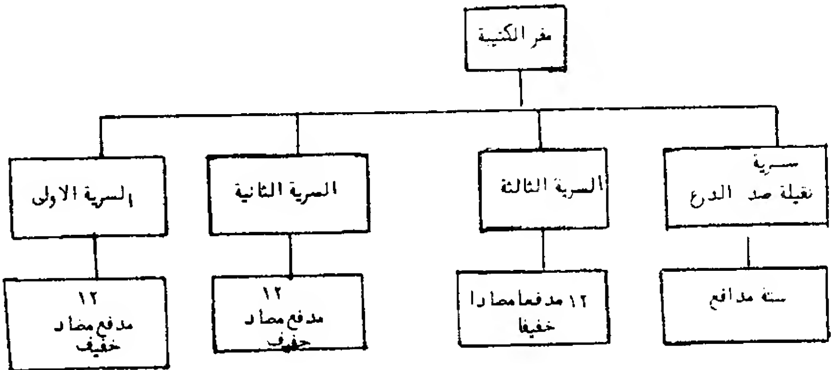




(١) دبابة صغيرة (٢) تشكيلة هندسة ، الفرد منها هندس .

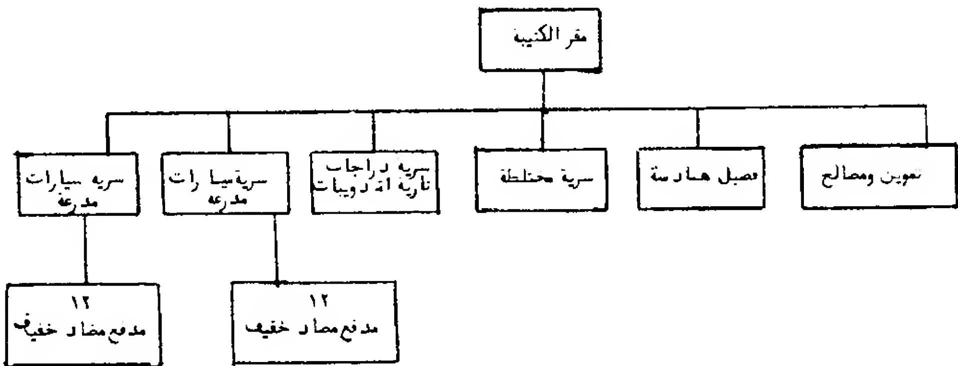
الشكل رقم (٢٩)

مخطط (ج) ـ الكتيبة ضد الدرع



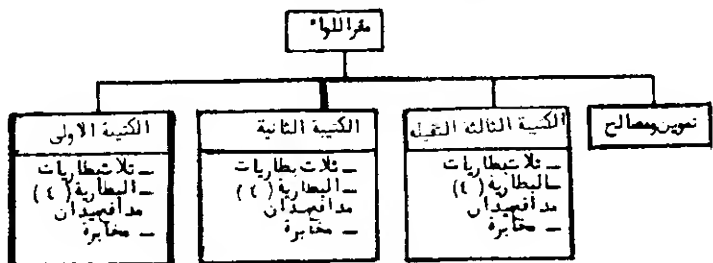
الشكل رقم (٣٠)

مخطط (د) ـ كتيبة الاستطلاع المدرعة



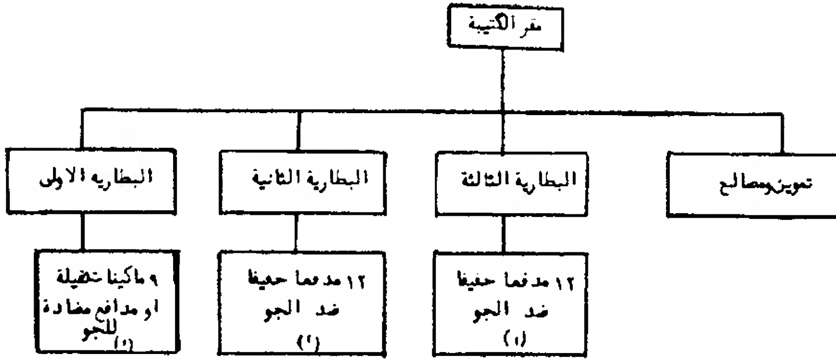
الشكل رقم (٣١)

مخطط (هـ) ـ اللواء المدفعي



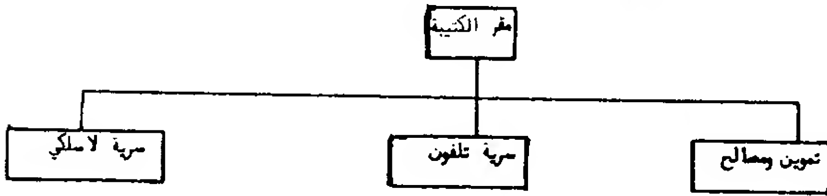
الشكل رقم (٣٢)

مخطط (و) ـ الكتيبة ضد الجو



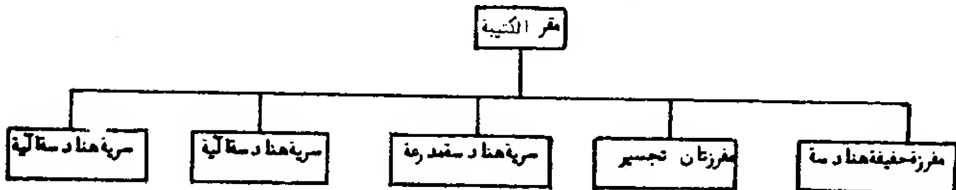
الشكل رقم (٣٣)

مخطط (ز) ـ كتيبة الاشارة (المخابرة)



الشكل رقم (٣٤)

مخطط (ح) ـ كتيبة الهنادسة



---

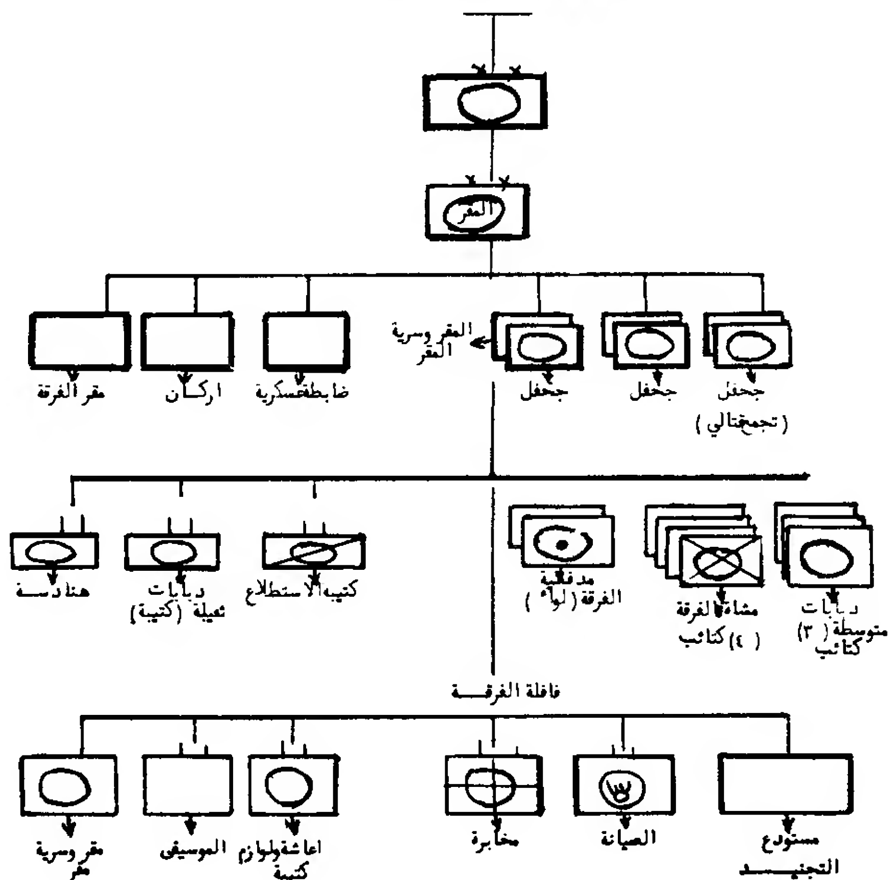
(١) او صواريخ ٠

٤ ـ النموذج (ب)

هذا النموذج أميركي الطابع ، ويتشكل على النحو التالي :

الشكل رقم (٣٥)

مخطط فرقـــة مدرعة



أ ـ مقر االفرقة المدرعة

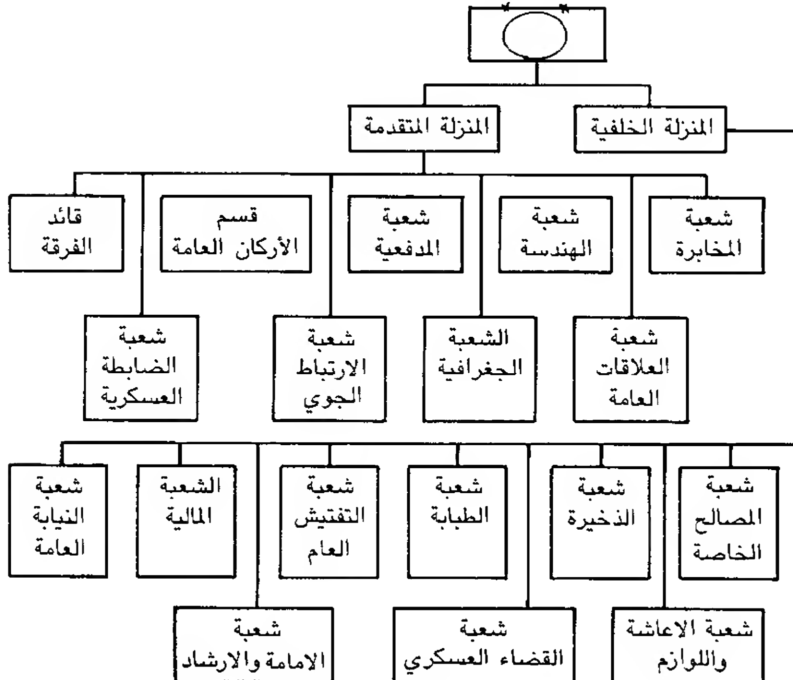
مقر الفرقة المدرعة ، يؤمن الأشخاص اللازمين للقيادة ، والأركان ، والمراقبة والتفتيش والاشراف على الفرقة وعلى أجزائها الملحقة • وهو يحتوي على شعب الأركان الضرورية لمساعدة القائد فى تأدية واجبات قيادته • والمقر ، الذي يتألف من عدة مقرات ، يعمل أثناء القتال موزعا على منزلتين هما :

ـ المنزلة المتقدمة ،
ـ المنزلة الخلفية •

كما ويتقدم المنزلة المتقدمة ، عادة ، مفرزة قيادة تعمل الى الأمام من هذه المنزلة • ومن واجبات المقر القيام بجميع أعمال التخطيط والتصميم ، والتنظيم ، والتنسيق ، والاشراف على الاعداد والتحضير، والادارة والادامة اللوجستيكية للفرقة بكاملها • ونظرا لكثرة الأشخاص الذين يعملون معظم الأحيان على مقربة من مقر الفرقة فقد جهز هذا المقر بمفرزة طبية صغيرة خاصة به •

الشكل رقم (٣٦)

مخطط المقر العام

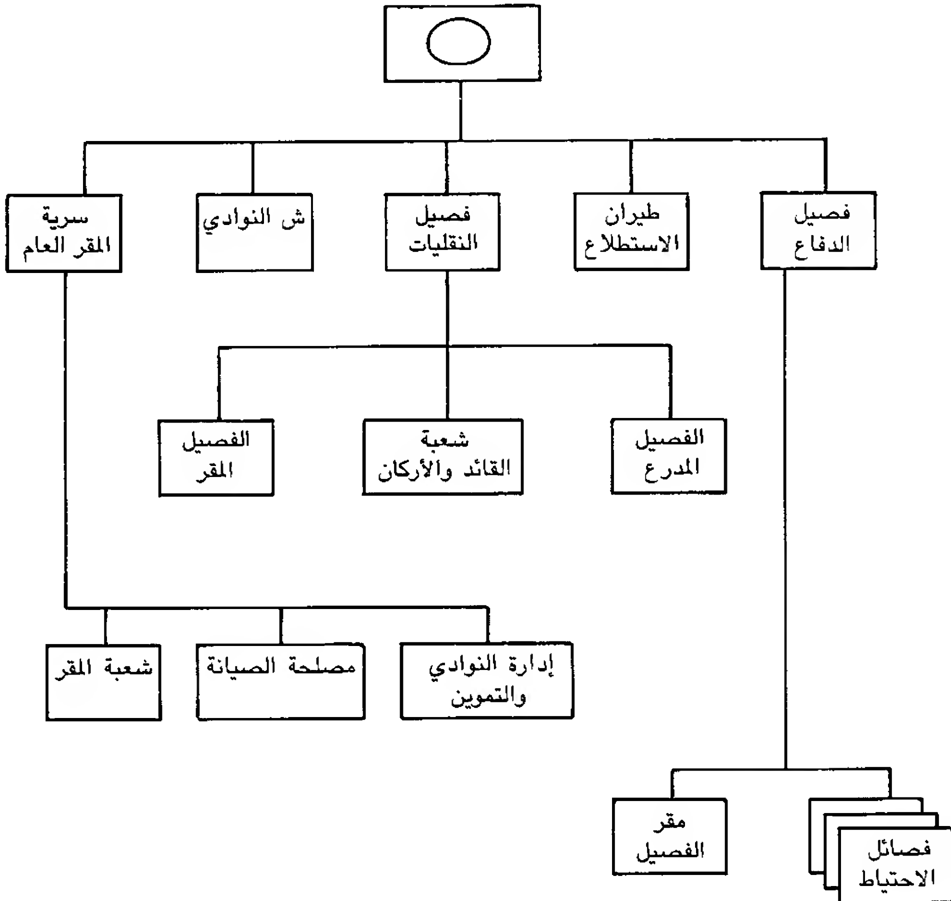


ب ـ سرية المقر العام

تؤمن سرية المقر العام ، للمنزلة المتقدمة من المقر العام ، كل ما يعود الى الادارة ، والنوادي ، والنقل ، والارتباط ، والخدمات الجوية. والحد الأدنى من الحماية والوقاية ٠

الشكل رقم (٣٧)

مخطط لسرية المقر العام



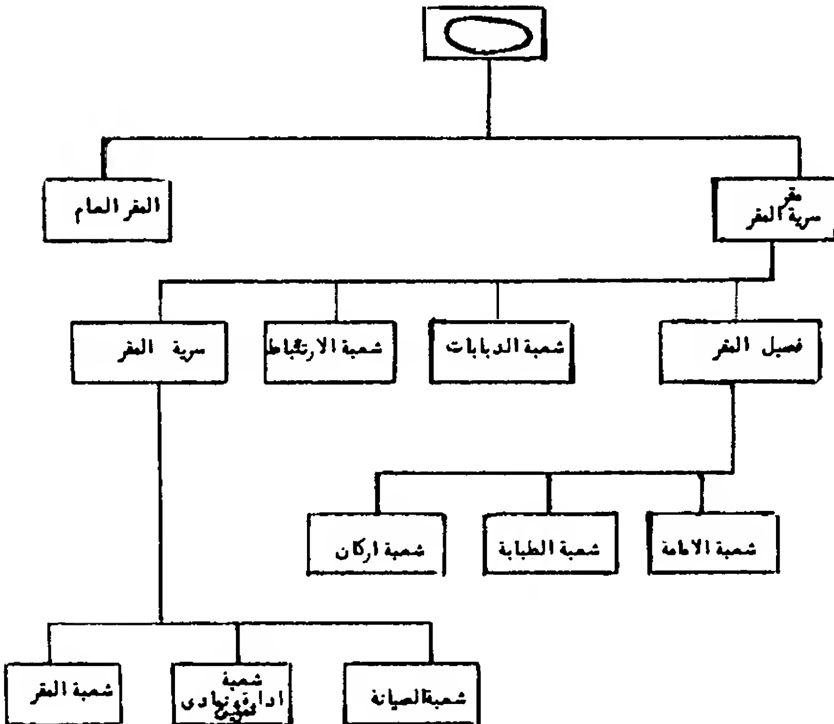
ج ـ مقر التجمع القتالي

عمل المقر ، فى كـل تجمع قتالي ، هـو توفير القيـادة اللازمـة ، والأركان ، لأجل القيادة والسيطرة على عناصر الفرقة الملحقة بالتجمع القتالي او العاملة اسنادا له • ويقوم التجمع القتالي ، أيضا ، بالاشراف والسيطرة على التشكيلات المرتبطة به لأغراض التدريب •

وتؤمن سريـة المقر جميع أعمال وخدمـات الادارة ، الصيانـة ، التموين ، النوادي والمطاعم ، النقل ، وكذلك خدمات الارتباط ما بين جميع مقرات التجمع القتالي •

الشكل رقم (٣٨)

مخطط لمقر التجمع القتالي (جحفل)



د ـ التجمع الاحتياط

مقر التجمع الاحتياط ، واجبه تـأمين الأشخاص اللازمين لقائـد التجمع وأركانه ، من أجل القيادة والسيطرة على التشكيلات المرتبطة بالتجمع • ويشكل التجمع القتالي الاحتياط ، عادة ، احتياط الفرقـة أثناء العمليات • وهـو قـد يستعمل كتشكيلة تكتيكية لاستغلال ظفر تجمع قتالي آخـر ، أو تفرز منه بعض عناصره لدعم هـذا التجمع • ولتجمع القتالي الاحتياط القيادة على التشكيلات المرتبطة بـه بقصد التدريب • وقد ترتبط بتجمع الاحتياط هذا تشكيلات تكون بحاجة الى الراحة واعادة التنظيم ، وذلك عندما لا يكون التجمع القتالي الاحتياط مدعوا الى استعمال فوري •

يتكون مقر التجمع القتالي الاحتياط بصورة مطابقة لتكوين مقرات التجمعات القتالية الأخرى • وتقوم سرية المقر فيه ، بواجبات الادارة والصيانة والتموين ، والمطاعم والنوادي ، والنقل وخدمـات الارتباط لجميع مقرات المقر العام للتجمع •

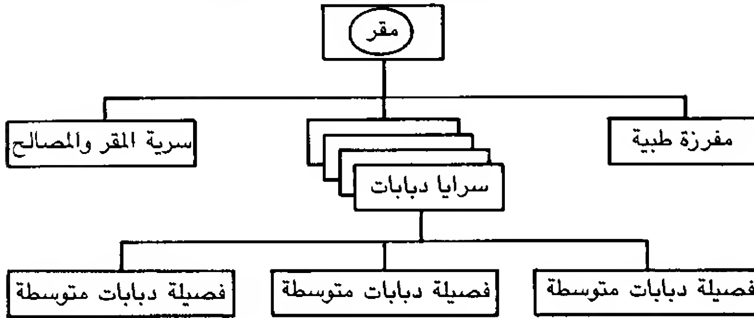
هـ ـ كتائب الدبابات المتوسطة

تحتوي الفرقة المدرعة ، من الطراز «ب» ، على ثلاث كتائب من هذه الدبابات • وتتميز كتيبة الدبابات المتوسطة بقوتها النارية المحميـة بالدرع ، وبالحركية والصدمة الضاربة الفعالة • وهـذه الكتيبة هي القوة الضاربة الرئيسية فى الفرقة المدرعة ، ومهمتها هي الالتحام مـع العدو وتـدميره ، مستعملـة لذلـك النـار والمنـاورة والصدمـة • وباستطاعتها :

١ ـ العمل تعرضا ودفاعا ، بمساعدة من أسلحة أخرى ،
٢ ـ تدمير مدرعات العدو بالنار والمناورة ،
٣ ـ الرد بالمهاجمة المعاكسة ، بمساعدة من أسلحة أخرى ،
٤ ـ دعم المشاة المدرعة ، أو تشكيلات أخرى من الدبابات ،
٥ ـ الاستغلال بعد اختراق ،
٦ ـ قابلية للحركية السريعة عبر الأراضي ، ولياقة كبيرة للمناورة ، وقوة اختراق نارية لا تقل عن قوة الاختراق لدى الدبابة الثقيلة الا قليلا •

الشكل رقم (٣٩)

مخطط كتيبة الدبابات المتوسطة

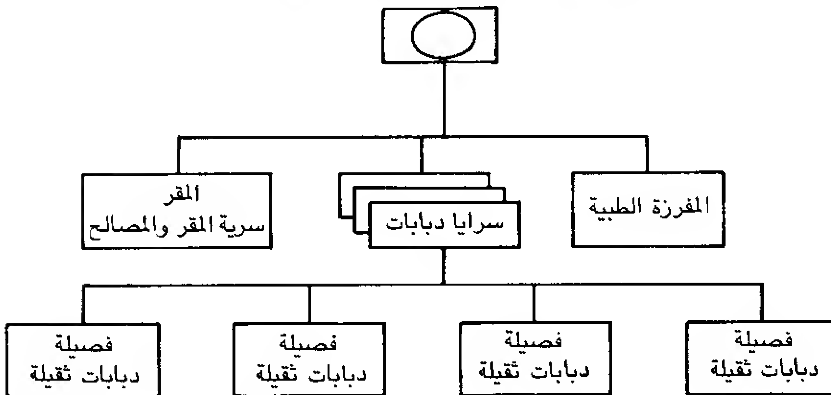


و ـ كتيبة الدبابات الثقيلة

تحتوي الفرقة المدرعة ، من النموذج الذي نحن بصدده ، على كتيبة واحدة من الدبابات الثقيلة · ولهذه الكتيبة تدريع أقوى ، وقوة اختراق أعظم مما هو الحال لدى الدبابات المتوسطة ، لكنها أقل من هذه قابلية للمناورة · والكتيبة أعظم سلاح مضاد للدرع فى الفرقة ، ويجري استعمالها لهذه الغاية ضد دبابات العدو ، كما ويمكن تكليفها بواجبات مماثلة لتلك الملقاة على عاتق كتيبة الدبابات المتوسطة ·

الشكل رقم (٤٠)

مخطط كتيبة الدبابات الثقيلة



ز ـ كتائب المشاة المدرعة

فى الفرقة أربع كتائب من هذه المشاة · الدور المخصص لكتيبة المشاة المدرعة هو الاقتراب من العدو وتدميره بالنار والمناورة ·· وهو أيضا صد المهاجمات المعادية فى القتال القريب ، واسناد دبابات الفرقة فى جميع مراحل القتال وأنواع المقاتلة · وهذه الكتيبة تعمل عادة كجزء من « فريق دبابات ـ مشاة » ، فى كل أشكال المحاربة ·

كتيبة المشاة هذه مدرعة بصورة خفيفة وتمتع بالسرعة والحركية الى درجة عالية · انها تشكيلة تكتيكية قادرة :

١ ـ على مرافقة الدبابات فى التعرض ، سواء داخل حاملات الأشخاص المدرعة ، أم راجلة ، أو راكبة على هياكل الدبابات ، وذلك للاقتراب من العدو وتدميره فى القتال القريب ··

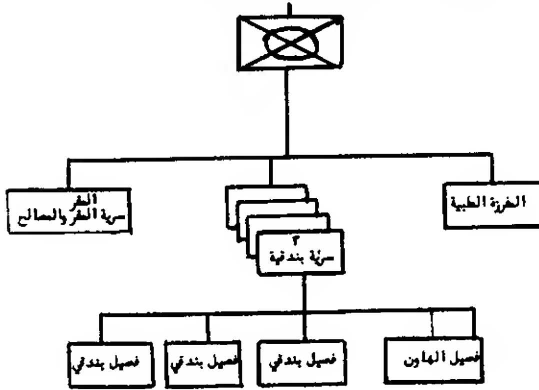
٢ ـ على استقبال النجدات وامتصاصها لتشكيل عدد من « مجموعات الأسلحة المختلطة » ، وعلى امداد الآخرين ، لنفس الغاية ، بسرايا المشاة المدرعة ··

٣ ـ معالجة الموانع والعراقيل المختلفة وازالتها ، واقامة الحواجز المدعومة بالدبابات وسواها من الأسلحة ··

٤ ـ تنظيم الأرض والدفاع عنها ، بمساعدة من أسلحة أخرى ·

الشكل رقم (٤١)

مخطط كتيبة المشاة المدرعة (١)



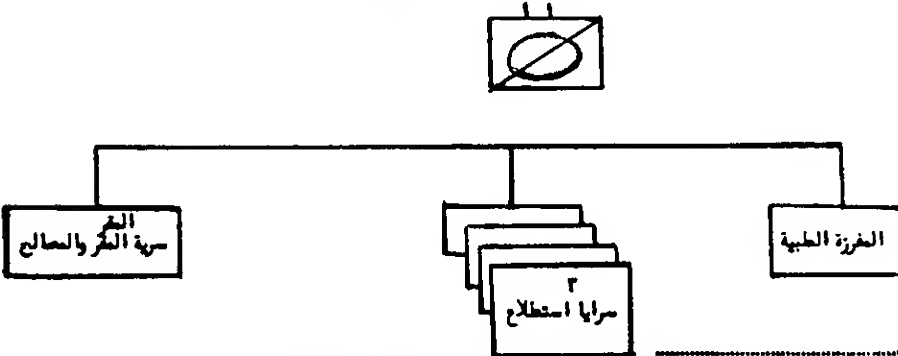
ح ـ كتيبة الاستطلاع

كتيبة الاستطلاع هي تشكيلة الاستطلاع والأمن للفرقة المدرعة ٠ ومن مهامها :

- ـ الاستطلاع الأرضي ،
- ـ الاستطلاع المضاد ،
- ـ الأمن على الجوانب والجبهة والمؤخرة للفرقة المدرعة ولتشكيلاتها التابعة المرؤوسة ،
- ـ أعمال تعرضية ودفاعية محدودة ٠

الشكل رقم (٤٢)

مخطط كتيبة الاستطلاع



(١) وهو نفس تشكيلة الكتيبة الميكانيكية في الفرقة الميكانيكية ٠

ط ـ كتيبة الهندسة المدرعة

الغرض من كتيبة الهندسة المدرعة تسهيل حركة الفرقة المدرعة ، وتنظيم فاعليتها القتالية بواسطة العمل الهندسي العام • ومن استطاعات هذه الكتيبة :

١ ـ التصميم الهندسي على مستوى الأركان والاشراف على التنفيذ ، على نطاق الكتيبة وتشكيلات الهندسة التي قد تعمل مرتبطة مع الكتيبة ••

٢ ـ الاستطلاع الهندسي ••

٣ ـ البناء ، والتصليح ، والصيانة للطرق ، والجسور الثابتة والعائمة ، والعبارات والطوافات ، والحواجز ، وحقول الألغام ، ومدارج الهبوط ، ومقرات القيادة ، والملاجئى ، والاستحكامات الدفاعية ••

٤ ـ الهدم ، وازالة الحواجز ، بما فى ذلك حقول الألغام ••

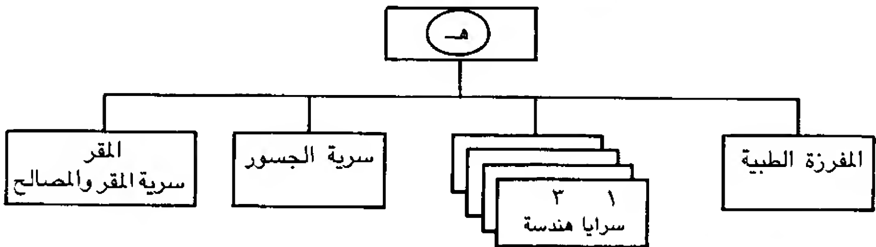
٥ ـ تهيئة وتوفير الأعداد والمعدات اللازمة لعمليات اجتياز الأنهار بالقوة ، وللانقضاض على التحصينات ••

٦ ـ توفير العمل والخدمات الهندسية اللازمة للتموين ، بما فى ذلك نقاط الماء ••

٧ ـ القتال كمشاة عند الضرورة الطارئة •

الشكل رقم (٤٣)

مخطط كتيبة الهندسة المدرعة



ى ـ مدفعية الفرقة المدرعة

١ ـ الواجب الأول لمدفعية الميدان فى الفرقة المدرعة ، هو تأمين

الدعم الناري القريب لعناصر القتال فى الفرقة ، بحيث تدمر أو تشل مقاومات العدو العظيمة الخطر التي تعترض التقدم • هذه المدفعية ، الفائقة الحركية ، والدفعذاتية ، والمدرعة ، تستطيع :

١ ـ ان تغطي بالنار حركة انتشار الفرقة المدرعة ،

٢ ـ الاشتراك فى حماية مناطق التجمع واعادة التنظيم ،

٣ ـ التمهيد بالنار للهجوم ،

٤ ـ تقديم الدعم القريب للقوى أثناء هجوم الفرقة ، وذلك بحشد النار على المراكز المعادية ،

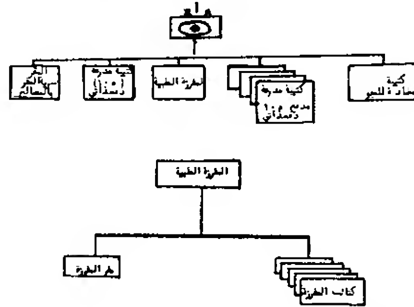
٥ ـ الرد على بطاريات العدو ،

٦ ـ الاشتراك في المهاجمات الميكانيكية ،

٧ ـ القيام بنيران المدافعة •

الشكل رقم (٤٤)

مخطط لمدفعية الفرقة المدرعة



٢ ـ المدفعية المضادة للجو

كتيبة المدفعية المضادة للجو ، فى مدفعية الفرقة المدرعة ، هي تشكيلة ميكانيكية دفعذاتية ، واجبها ان تقي الفرقـة ضد الهجمات الجويـة ، وان تشارك ، عند الحاجة ، فى الرمي على عناصر العدو الميكانيكية ، أو على غير ذلك من الأهداف • وهي فائقة الحركية ، سريعة الاطـلاق ، خفيفة التدريع ، قابلة :

ـ لأن ترافق عناصر القتال وتحميها ،

ـ لمهاجمة طيران العدو ، فى نطـاق المـدى الممكن ، وخاصة

الطيران المنخفض ، وتـدميره ، أو اجباره على النكوص على أعقابه ، أو على الأقل تنقيص الكثير من فاعليته ،
- لمهاجمة وتـدمير مـاكينات العدو العاديـة أو الخفيفـة التدريع ، وغير ذلك من الأهداف الأرضية ،
- لوقاية منطقة الفرقة ومنشئاتها ،
- لحماية الجسور والمضائق الهامة ،
- لتوفير مصلحة استخبارات مضادة للجو ٠

٣ ـ المفرزة الطبية

تقوم المفرزة الطبية ، فى مدفعية الفرقة المدرعة ، بتأمين الخدمات الطبية لجميع التشكيلات التابعة لمدفعية الفرقة ، بما فى ذلك المعالجات المستعجلة ، والعمليات ومحطات الاسعاف ، واخلاء المصابين كلما كان ذلك ممكنا ، والاشراف على الحالة الصحية العامة ٠

ك ـ سرية المخابرات المدرعة

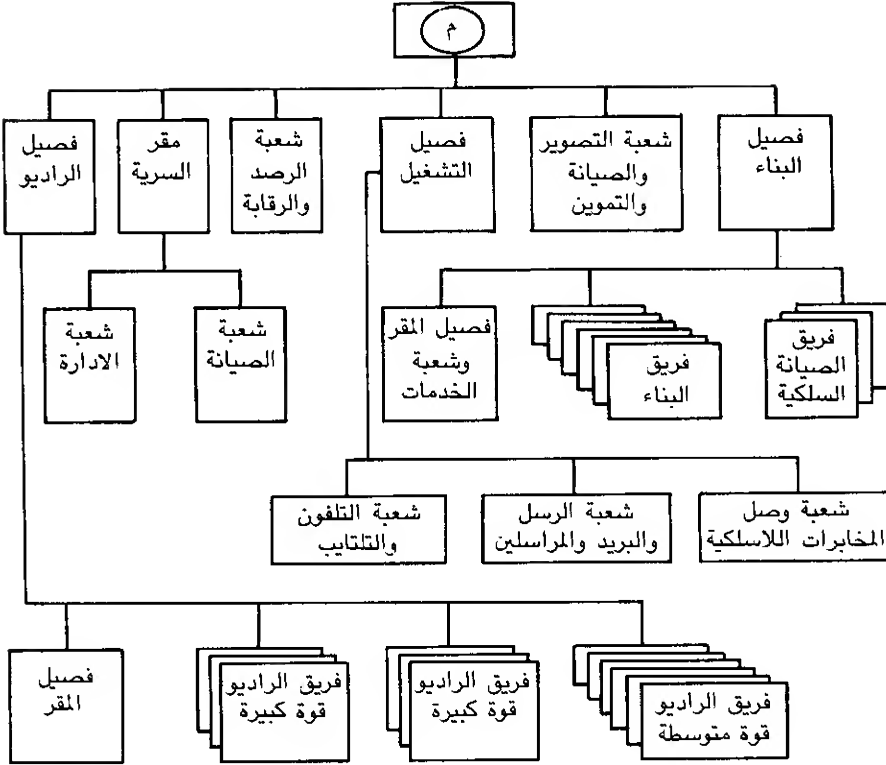
تكلف هذه التشكيلة بتأمين وسائل الاتصال والمخابرة لجميع مقرات الفرقة ، بما فى ذلك مخابرات التشكيلات الحليفة العاملة مباشرة تحت مقرات الفرقة ٠ كما وعليها ان تؤمـن التصوير ، والتمويـن بلوازم المخابرة ، وصيانـة معدات المخابرة للفرقـة فى الميدان ٠ وهي تتمتع بحركية فائقة ، وبدرجة خفيفة من التدريع ٠

من واجبات هذه السرية :

- الاشراف والتصميم والتوجيـه عـلى مسـتوى الأركـان لنشاطات التدريب وكل ما يتعلق بأعمال المخابرة ،
- الاتصال السلكي واللاسلكي مع جميع التشكيلات الموجودة مباشرة تحت امرة مقرات الفرقة ،
- مصلحة التلتايب ،
- مصلحة وصل والتقاط للمخابرات اللاسلكية الخارجيـة فى نطاق محدود ،
- مستودع لخدمات الرسل والمراسلين لمقرات الفرقة ،
- التموين بمختلف تجهيزات المخابرة ،
- التصوير والتحميض للصور الساكنة والمتحركة ٠

الشكل رقم (٤٥)

مخطط لسرية المخابرة فى الفرقة المدرعة



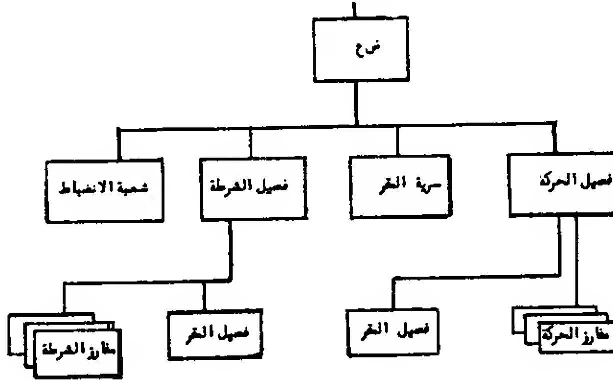
ل ـ سرية الانضباط العسكري

توجد هذه السرية للقيام بواجبات الشرطة العسكرية الآيلة الى دعم أعمال الفرقة المدرعة • ويجب أن يكون باستطاعة هذه السرية تأمين مـا يلي :

ـ توفير النظام لغرض السيطرة على المواصلات على الطرق،
ـ نصب الأنصاب والاشارات ،
ـ السهر على تطبيق القوانين والأنظمة العسكرية ،
ـ القبض على المتأخريـن والمتغيبين والفاريـن ، والبحث عنهم ،
ـ التعاون مع الشرطة المدنية ،
ـ حراسة سجناء الحرب وادارتهم •

الشكل رقم (٤٦)

مخطط للضابطة العسكرية



م ـ مقرات قطار الفرقة

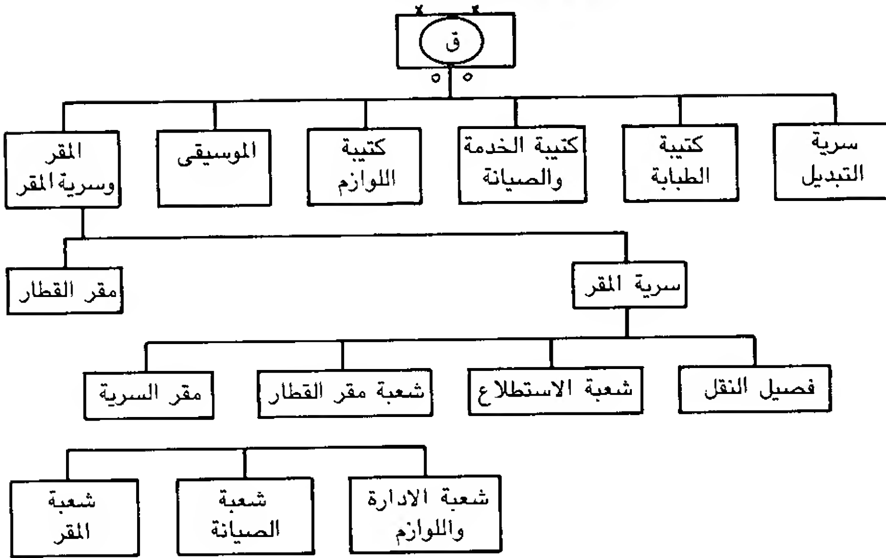
عمل المقرات وسرية المقر فى قطار (١) الفرقة المدرعة ، هـو تأمين السيطرة التكتيكية على هذا القطار ، وعلى قطارات التشكيلات التي قد تكون موضوعة تحت تصرف الفرقة ، وكذلك تأمين الادارة والاطعام والخدمات السانـدة للمنزلـة (٢) المؤخـرة مـن مقرات الفرقـة ، وللموسيقى • وقـد يشتمل عمل مقرات القطار ، أيضا على واجبات التدريب ، واعادة التنظيم ، وتجهيز تشكيلات القتال الملحقة بالفرقـة بصورة مؤقتة •

تنظم هذه المقرات ، وتجهز بحيث تتمكن من القيام بالأعباء المذكورة أعلاه ، ومن توفير النقل الميكانيكي والأمن الموضعي لمنزلة المؤخرة من مقرات الفرقة ، وللموسيقى •

(١) Train (٢) او القدمة ، او القافلة

الشكل رقم (٤٧)

مخطط لقطار الفرقة المدرعة

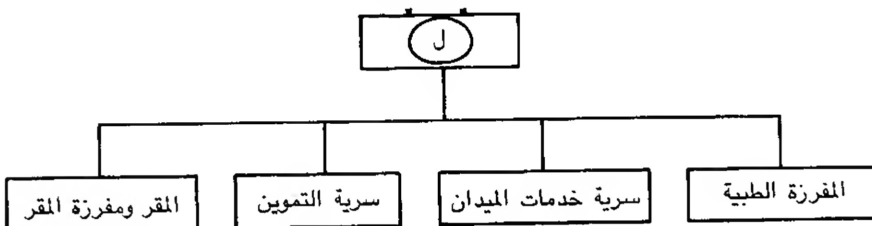


ن ـ كتيبة اللوازم

تقوم كتيبة اللوازم ، فى الفرقة المدرعة ، باعالة الفرقة والقوات الملحقة ، وذلك بتأمين الاطعام ، المحروقات ، الزيوت ، اللحوم ، الألبسة ، التجهيزات ، خدمات الغسيل والاغتسال ، وكل ما يتعلق بالموتى • وتقوم مفرزتها الطبية بتأمين الخدمة الطبية للكتيبة نفسها ، وللمقرات وسرية المقرات فى قطار الفرقة ، وللموسقى ، وسرية التبديل ، بما فى ذلك المعالجات المستعجلة ، وعمليات محطات الأسعاف ، واخلاء المصابين كلما كان ذلك ممكنا ، والاشراف العام على الحالة الصحية •

الشكل رقم (٤٨)

مخطط لكتيبة اللوازم فى الفرقة



ص ـ كتيبة الخدمة والصيانة

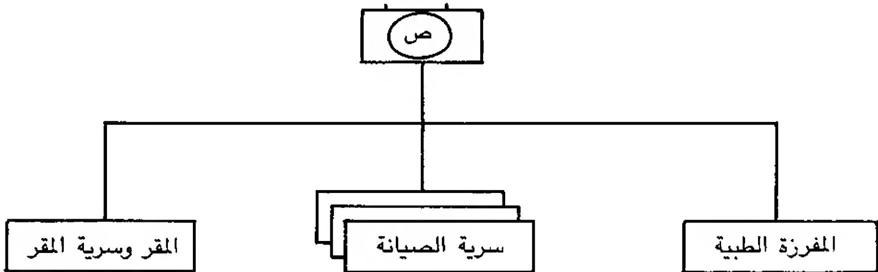
تقوم هذه الكتيبة بخزن وتوزيع المتطلبات الداخلة فى نطاق الخدمة العامة ، وبالصيانة فى الميدان لجميع عناصر الفرقة ، وبالتفتيش الفني على معدات الخدمة ، وبالسيطرة الادارية على التموين بالذخيرة ، وذلك للفرقة المدرعة وللتشكيلات الأخرى الملحقة بها ٠

وقد بنيت الكتيبة وأعدت لكي :

- تقوم بالصيانة الميدانية لمعدات الخدمة فى الميدان ،
- تؤمن التموين بمعدات الخدمة فى الميدان وقطع الغيار ،
- تنظم القيود بصرفيات التموين بالذخيرة ،
- تكون وسيط الاتصال بين الفرقة وبين مصالح التموين العليا ،
- تقوم بالتفتيش والاشراف التكنيكي على حالة المعدات وطرق استخدامها ،
- تتحرى المعدات المتروكة فى ميدان القتال ، وتنقذ القابل للتصليح منها ٠

الشكل رقم (٤٩)

مخطط لكتيبة الصيانة

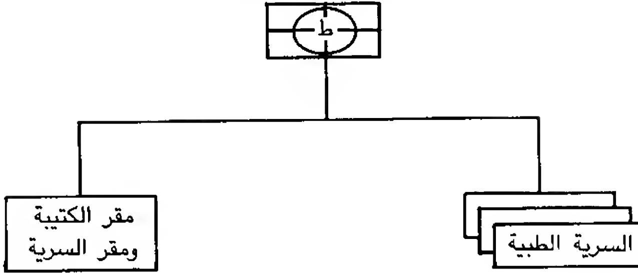


ع ـ كتيبة الطبابة المدرعة

يقع على هذه الكتيبة واجب الخدمات الصحية للفرقة ، بما فى ذلك اخلاء المنشئات الصحية ، وعمليات محطات الاسعاف ، وطبابة الأسنان ، وتموين الفرقة باللوازم الطبية ٠

الشكل رقم (٥٠)

مخطط لكتيبة الطبابــة



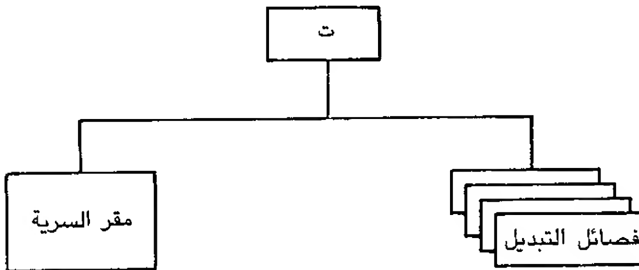
ف ـ سرية التبديل

تقوم هذه السرية باستقبال وتدريب وادارة الأفراد المعدين لملء الشواغر فى صفوف الفرقــة • وتكون هــذه التشكيلة تحت الســيطرة المباشرة لقائد قطار الفرقة • وهي منظمة ومجهزة بحيث تستطيع ان :

- تتلقى البديل ، وان تلبي طلبات الاستبدال ،
- تقوم بــالأعمال الاداريــة اللازمــة لعمليــات التبديــل والاستبدال ،
- تقدم الاعــداد المسلكي الأساسي اللازم ، وتنمي عصبية الفرقة ،
- تساهم فى المدافعة الموضعية •

الشكل رقم (٥١)

مخطط لسرية التبديل فى الفرقة المدرعة



س ـ الموسيقى

يقع على عاتق الجوقــة الموسيقية واجب تقديم الموسيقى اللائقة فى

المراسيم ، والمناسبات الاجتماعية ، والحفلات • وهكذا فالجوقة تساهم فى تقوية المعنويات والمحافظة على مستواها الرفيع ، وفى نشؤ وبناء وتعظيم الأخلاقية وعصبية الوحدة • وباستطاعة الجوقة الموسيقية ان :

- توفر الموسيقى المناسبة فى المظاهرات العسكرية ،
- توفر موسيقى الترفيه ،
- توفر أو تشارك فى تأمين الأمن لمقرات قطار الفرقة ،
- تزيد فى اليد العاملة فى الفرقة ،
- تساهم فى حراسة الأسرى •

٥ ـ مهام الفرقة المدرعة

تقاتل الفرقة المدرعة ، مستفيدة من خصائصها القوية البارزة الى أقصى ما يستطاع • فالفرقة تحتوي فى كيانها على الأسلحة الملائمة لتجعل منها أداة حربية عظيمة ، وعلى المصالح والخدمات اللازمة لاعالتها • وهي قابلة للاستعمال فى معظم أنواع الاراضي • وقد جعلت منها خصائصها ، الناتجة رئيسيا عن تفوق الدبابات فيها ، مهيأة للقيام بالواجبات التالية :

- عمليات التعرض ، وخاصة التوغل والاختراق العميق ، والاحاطة والمطاردة ، والاستغلال ،
- المدافعة ، بوجهيها الساكن والحركي ، والتي يكون طابعها المميز القيام بالهاجمات المعاكسة ،
- عمليات التأخير ،
- تدمير مدرعات العدو ، فى حالتي التعرض والدفاع •

٦ ـ استطاعات الفرقة المدرعة

التنظيم الخاص بالفرقة المدرعة ، يعطيها الحركية ، والسلاح الثقيل ، والدرع ، وذلك ضمن مزيج فعال من الأسلحة والمصالح المجمعة المتشاركة • هذا التكوين ، وهذه الميزات تؤهل الفرقة المدرعة لتحقيق الأعمال التالية :

- الاستغلال على أعقاب الاختراق ،
- مهاجمة أهداف تقع عميقا فى مؤخرة العدو ،

ـ تدمير التوغل المعادي بالهجوم المعاكس ،
ـ الاختراق والالتفاف حول تحصينات العدو المنظمة ، وذلك عندما تكون الفرقة مدعومة بالجو ، وبالمدفعية الاضافية وبقية الأسلحة ، بصورة متلائمة مع الوضع والظرف ،
ـ المطاردة ،
ـ احتلال موضع دفاعي ،
ـ الحركة السريعة ، والانتقال عبر مسافات شاسعة ، بوسائط نقلياتها ومعداتها العضوية الخاصة ٠

٧ ـ محدودية الفرقة المدرعة

تتألف غالبية الفرقة من دبابات وسيارات ميكانيكية ثقيلة ٠ والتأليف على هذا الشكل يفرض بعض التحديد فى استعمال الفرقة ٠ ان وضع هذه التحديدات نصب العين ، والتخطيط الواعي المبكر للتغلب عليها ، يساهمان كثيرا فى زيادة امكانات الاستعمال للفرقة المدرعة ، ويسمحان باستخدامها فى مهام وظروف لم تكن لتخطر على البال من قبل ٠

من هذه التحديدات :

ـ الاستمرارية فى التموين والتزود بالشحوم والزيوت والوقود ،
ـ حساسية المدرعات للتربة ، وللموانع والأحوال الجوية ،
ـ استهلاك الوقت الكثير فى العناية والصيانة ٠

الفصل الثامن والعشرون

مســــيرات الفرقة المدرعــة

١

١ ـ عموميات

فى مسرح العمليات ، تقضي التشكيلات المدرعــة معظم أوقــاتها فى المسيرات ، الأمر الذي يجعل من تنفيذ المسير بترتيب وانتظام وسرعة وفاعلية ، عاملا حيويا فى نجاح العمليات المدرعة ·

ان غرض القائد مــن مسيره ، هــو الحركة مــن مكان الى آخــر ، والوصول فى الوقت المحدد ، مع الأشخاص والمعدات على أحسن حــال ، وعلى استعداد لدخول المعركة فى التو واللحظة · تحقيق هذا الغرض ، يتطلب تخطيطا كاملا ، وقيادة متوثبة ، واستمرارية فى الاشراف التام خلال تنفيذ الحركة ·

مسيرات التشكيلات المدرعة نوعان :

- المسيرات الادارية ،
- والمسيرات التكتيكية ·

٢ ـ المسيرات الادارية

تكون المسيرات ادارية ، عندما لا يكون هنالك مجال لنشاط العدو أو تداخله · فى هذه الأحوال ، وعندما تكون احتمالات التماس مع قوى العدو البرية مستبعدة الوقوع ، يكون الاعتبار الأولي ، من وراء تهيئة الأشخاص والعربات للمسير ، هــو راحــة الأشخاص وتأمين انتقالهم بسرعة · أي يكون هذا الاعتبار ، بمعنى آخر ، تسريع حركة المقاتلين، والاحتفاظ بنشاطهم ومعنويتهم على أحسن ما يمكن ان يكون · ومــن الأفضل ان تتألف الأرتال مــن أجزاء متساويــة فى درجــة السرعــة ،

ومحتفظة بكياناتها كاملة • واذا اختلفت نسبة السرعة ومعدلها بين التشكيلات ، يصار حالئذ الى اختيار مسالك مسير مختلفة •

٣ ـ المسيرات التكتيكية •

المسيرات التكتيكية ، هي تلك التي ترتب فيها التشكيلات والمركبات فى الرتل ، بحيث يسهل استعمالها قتاليا حال وقوع التماس مع العدو • والعوامل التي تتحكم فى تدابير وترتيبات المسيرات التكتيكية ، هي قوات العدو البرية وطيرانه ، قربها ومقدارها •

يجدر ان يظل ماثلا فى الذاكرة ان البعد لم يعد يؤمن للجيوش ما كان يؤمنه قبلا من نسب الوقاية وحرية التصرف • وعندما تحتوي القوات المعادية على عناصر مدرعة ، يجب عندئذ ان يعتبر تدخل العدو والتماس معه ممكنا فى كل وقت ، ومن كل جهة لا تكون محمية بالقوى الصديقة أو بالموانع الأرضية الموثوق منها •

٤ ـ التنظيم فى المسيرات التكتيكية

ان تنظيم الفرقة المدرعة وتوزيعها الى أرتال مسيرات ، والى التكوين والترتيب فى كل رتل ، أمر يتعلق بالموقف التكتيكي ، وبالظروف المسيرية القابلة لأن تؤثر فى حركة الفرقة •

يتحكم الموقف والمسالك الصالحة للسير فى تعيين عدد أرتال الفرقة • ولكل نوع من الرتلية (١) حسنات وسيئات • فالرتل الواحد ، الذي هو المسير على طريق واحدة ، يتطلب من الفرقة وقتا طويلا لبلوغ أماكنها الجديدة ، ويمد الفرقة عمقا على طول أميال عدة ، ويقلل من مرونتها ومناعتها ، ويزيد من قابليتها لتلقي الاصابة والضرر • وللحركة بأكثر من رتل واحد ، أي على أكثر من طريق ، حسنات كثيرة ، وبعض السيئات أيضا • من حسناتها أنها تقصر الزمن اللازم لبلوغ الأماكن الجديدة ، وتقلل كثيرا من طول الفرقة ، وتزيد من مرونتها ، وتؤمن لها انتشارا أعظم وحماية جانبية لأرتالها • لكن هذا النوع من المسير ينزع من القائد بعضا من سيطرته • وهكذا ، واذا وجدت شبكة طرق ملائمة ، فعلى القائد ان يوازن ما بين كل هذه

---

(١) من رتل ، وهي حالة الوجود بالرتل •

العوامل بدقة وروية أثناء تكوينه لقراره ٠

يمكن للفرقة المدرعة ان تتوزع الى التفرعات الرئيسية التالية :

- التجمع القتالي (أ) ،
- التجمع القتالي (ب) ،
- التجمع القتالي الاحتياط ،
- مشاة الفرقة ،
- مدفعية الفرقة ،
- قطار الفرقة ٠

وكل فرع يمكن بدوره أن ينقسم الى وحدات مسير ٠ ان وحدة المسير ، مثلا ، قد تكون كتيبة من الدبابات ، أو كتيبة من المشاة المدرعة ، أو كتيبة من المدفعية المدرعة ٠ وقد تكون أيضا عبارة عن كتيبة معززة بالدبابات أو المشاة المدرعة ٠ وكذلك يمكن لوحدة المسير ان تكون تشكيلة من وزن السرية ٠

٥ ـ التشكيل في المسيرات التكتيكية

يخضع تشكيل الفرقة ، بقصد المسير ، رئيسيا الى الموقف التكتيكي ، والى الترتيب المطلوب من الوحدات المرؤوسة ان تكون عليه عند وصولها الى المعسكر الجديد ، أو منطقة التجمع ، أو قاعدة الهجوم ٠ وعندما تتحرك الفرقة للهجوم على العدو ، يكون تشكيل مسيرها قريبا جدا من التنظيم الذي يفرض ان تكون عليه عند الهجوم ٠ ويكون ترتيب الفروع ، في التنظيم للمسير وأثناء المسير ، مؤلفا بحيث لا يحتاج التجمع القتالي لسوى أقل جهد في الحركة والاجتماع ، قبل مروره الى الهجوم ٠ وهكذا فان خطة الهجوم تتحكم بتشكيل المسير الى حد كبير ٠

اما وضع الوحدات داخل التجمع القتالي فخاضع لوقت الحركة ، وسرعة الحركة لدى الوحدات السائرة ، والموقف التكتيكي ٠ ففي مسير ليلي للتجمع القتالي ، مثلا ، يتوجه الاهتمام الى وضع قوة كبيرة من المشاة على رأس الرتل ، بينما يفضل ، أثناء النهار ، ان تتقدم الرتل تشكيلة قوية بالدبابات ٠

وكلما سمح الموقف التكتيكي ، تؤلف الأرتال من عجلات متشابهة في الخصائص والميزات ٠ وعندما يفرض الوضع التكتيكي ان يتكون الرتل

من عجلات غير متشابهة فى خصائصها ، فسرعة المسير حالئذ هي السرعة التي تكون لأضعف العجلات الداخلة فى تركيب الرتل ٠

٢

اعتبارات هامة

فى المسيرات التكتيكية

تدابير الأمن والسّرية

أ ـ يصرف كل جهد لمنع العدو عن العلم بالعزم على الحركة ٠ فاذا تحقق ذلك ، فقد حرم العدو من فرصة التفاعل المبكر الكافي لتداخله الناجح حالما تشرع الحركة فى جريانها ٠ ومن الوسائل المعينة على بلوغ مثل هذه النتيجة ، وسائل التمويه والتضليل ، والتي منها المحافظة على روتينية الأعمال اليومية على حالها ، بما فى ذلك تنقل العجلات السيارة وعمل المخابرات اللاسلكية ٠ ويجب ان تقتصر الاستطلاعات والمفارز المتقدمة على الحد الأدنى ٠

ب ـ الفرقة المدرعة التي تكون فى مسير تكتيكي ، قد تغطي رأس مسيرها بمفرزة متقدمة ٠ مهمة مثل هذه المفرزة ، تكون العمل على بلورة الموقف فى وقت مبكر ، بما فى ذلك سحق ما قد يعترضها من مقاومات للعدو كلما أمكن ذلك ، أو تكون وضع اليد على ظاهرة أرضية مفتاحية (١) ٠ تسير هذه القوة على بعد من طليمة الفرقة ، وتتحرك بالوثبات من موضع الى آخر ، وتؤمن سلامتها وأمنها بوسائطها الخاصة ٠

ج ـ المقدمة

كل رتل فى الفرقة المدرعة ، يسير أمامه مقدمة واجباتها الحيلولة دون حدوث ما قد يعيق قوة الرتل الرئيسية ، وحماية الرتل من المهاجمات المفاجئة ، وكذلك القيام بالمراقبة الأرضية ٠ ويقرر آمر الرتل مقدار قوة المقدمة ، بناء على المهمة ، والأرض ، والوضع التكتيكي ٠

---

(١) نسبة الى مفتاح ، اي الموضع الارضي الذي يكون كمفتاح لاستطاعة متابعة التقدم ٠

د ـ المجنبة

تجري حماية الجوانب بواسطة المجنبات ، وبخاصة عندما تخلو الجوانب من مجاورة القوات الصديقة· واجب المجنبات تغطية جميع مسالك التقرب ، تلك المسالك التي قد تستعملها قوات العدو لمهاجمة أجنحة الرتل · وتقوم المجنبة بهذا الواجب اما بالحركة على طرق موازية للطرق التي يتحرك عليها الرتل الذي أفرز المجنبة ، موزعة على عمق كاف بحيث تستطيع الانذار أو الوقوف فى وجه هجوم العدو المفاجيء، أو موزعة على منازل (١) جانبية تتحرك بالانتقال من موضع الى آخر ، ماسكة فى كل موضع ما تصادفه من الظواهر الأرضية المفتاحية، الصالحة للمراقبة الجيدة ·

هـ ـ المؤخرة

تستعمل المؤخرة لحماية الرتل من الخلف · ومن واجب المؤخرة ، أيضا ، جمع المقصرين واللاحقين من الأشخاص والمعدات ، وحماية القطار عند اللزوم ·

و ـ طائرة الارتباط

هي أحسن واسطة لتزويد قائد المدرعات بالمعلومات أثناء المسير · فهي تستطيع أن تعطي أحسن المعلومات وأسرعها عن الطرق ، وقوى العدو ، مقدارها وترتيباتها ·

ز ـ الوقاية ضد الجو

تؤمن التشكيلة المدرعة حماية نفسها ضد الهجمات الجوية ، أثناء المسير وفى التوقف · وتقوم هذه الحماية على أساس الراصد الجوي فى كل عجلة ، والاستمرارية على الاحتفاظ ، كل وقت ، بالأسلحة المضادة الجوية على استعداد للعمل فى التو واللحظة· ويجري التأكد من استمرار قيام حالة التأهب هذه من قبل القادة أنفسهم ، وكذلك بواسطة ضباط الأركان · يضاف الى ذلك تدابير الوقاية السلبية ، التي تقوم غالبا على انتشار العجلات وفصلها عن بعضها بالمسافات الكافية ، وعلى الحيلولة

(٢) او قدمات ·

دون كل تجمهر وفوضى عند المواقف، والموانع، والعقد المسيرية (١)٠

ح ـ سلامة المخابرات

ان نشاط استخبارات العدو أثناء القتال ، فى مجال المخابرات ، يفرض تقيدا صارما بتدابير الأمن والسلامة العامة لشؤون الراديو (اللاسلكي) والتنصت ، والانضباط ، وحماية الارسال ٠

ط ـ الانكماش

عندما تكون الفرقة فى المسيرات التكتيكية ، أو فى حالة توقف طويل المدى ، ويكون خوض القتال محتمل الوقوع بين اللحظة والأخرى ، يفضل عندئذ اللجوء الى تقصير طول الرتل ، ويتم ذلك على أساس طبيعة الأرض ٠ يجري التقصير ، أو الانكماش ، هذا اذا سمحت الأرض به ، بأن تنكمش كل وحدة على أحد جانبي الطريق ٠ ولهذه الغاية ، تنتقي كل وحدة ، أو يحدد لها ، منطقة خارج الطريق ، فتنتقل اليها بكل عجلاتها ، تماما كما لو كانت تتحرك صوب مخيم أو منطقة تجمع٠ ويجب أن توضع الوحدات بحيث تكون متأهبة دوما للحركة فى اتجاه العمل المحتمل ٠

ي ـ المسير خلال منطقة معادية

قد تدعو الظروف الى القيام بالمسيرات الادارية خلال منطقةسكانها معادون ٠ فى مثل هذه الحالة ، يوجه الاهتمام بدقة وعناية الى تدابير الأمن البرية ، أثناء الحركة والتوقف على السواء ٠ يوضع الخفراء على جوانب كل وحدة ، ويبقى طاقم كل عجلة فى حالة التيقظ المستمر كما لو كانت الحركة جارية بحضور العدو ٠ وعندما يضطر الرتل لأن يخلف وراءه عرباته المعطلة ، فالواجب أن تجري حماية هذه العجلات وجماعات التصليح التي تعمل على معالجة أسباب العطب ، بواسطة عناصر من نفس الوحدة التي تعود اليها العجلات ، أو من قبل الوحدات او الفروع التالية ٠

ك ـ المسير بالرتل المنكمش

عندما تقضي الظروف بتحريك عدد كبير ضخم من الآليات لمسافة

---

(١) Traffic Bottle-Necks

معينة ، وفى غضون أقل وقت ممكن ، يلجأ حـالئذ الى التشكيل بالرتل المنكمش • مثل هذا التشكيل مرغوب فى الحركات الليلية، وفوق المسالك الضعيفة التحديد والمعالم ، وذلك لكي يستطيع السائقون أن يظلوا على تماس بصري مع العجلات السابقة •

ولما كان السير على هذا التشكيـل يؤدي الى قيـام حشـد كبير من العجلات بصورة مركزة متقاربة ، فانه لا يستعمل أثناء النهار ، الا اذا كانت هنالك سيطرة جوية محلية تستطيع ، بالاضافة الى تدابير الدفاع المضادة للجو، أن تؤمن للرتل حماية كافيـة من الغارات الجوية• ومن مساوىء السير على هذا النحو ، أيضا ، ما قد يحدث من العقد المسيرية على طول طريق المسير •

ل ـ المسير بالرتل المنفتح

المسير بالرتل المنفتح ، هـو المسير العـادي للرتـل أثناء النهار• والمسير على هذا النحو ، يجري فى الحركات التكتيكية الواجب أنتحدث فى النهار دون تغطية جوية ، وعندما يكـون الوقت مـن الأهمية بحيث يقبل بالنقص فى السرية ، وبالخسائر المعقولة التي قد تنتج عن غارات العدو الجوية • تحدد لذلك كثافة السير فى الكيلومتر الواحد ، أو تعين المسافة الفاصلة بين كل عجلة وأخرى •

م ـ المسير بالتغلغل

المسير بالتغلغل ، أو المسير بالتسرب ، يعمل به عندما يتأمن الوقت الكافي والطرق الصالحة ، ويكون التضليل ، والانتشار والسرية سبيلا وواسطة الى الوقاية السلبية من غارات العدو الجوية ورقابته • يعطي هذا الشكل من المسير أحسن وقاية سلبية ممكنة من المراقبة والمهاجمـة الجوية • الا أنه يتسبب فى تطويل المسافات كثيرا بين العجلات ، ممـا يجعل السيطرة على الرتل غاية فى الصعوبة ، ويدعو الى تأشير الطـرق مسبقا بكل عناية ، وذلك للحيلومة دون ضياع السائقين •

وقد يُستعمل هذا المسير ، فى بعـض الحـالات ، لتحريك تشكيلة مدرعة الى موضع جديد ، على نفس الطرق التي استعملتها أو لا تزال تستعملها أرتال أخرى فى ذات الوقت •

الفصل التاسع والعشرون

الاستعمال في التعرض

١ عموميات

الغرض الأول من كل عمل تعرضي ، هو القضاء على قوات العدو المسلحة • وتعمل الفرقة المدرعة على بلوغ هذا الغرض بأقصر وقت ممكن • ويتميز عملها التعرضي بالحشد المركز للطاقة النارية ، وبالحركية ، والسرعة ، والعنف ، والتعرضية (١) ، والمفاجأة، والتضليل ، والمهارة فى الابتكار والحيلة والاختراع • تقوم فلسفة استعمال المدرعات على اعتبار انه كلما تحققت السرعة فى الانتقال والحركة ، كلما أمكن الوصول الى تحقيق المهمة بسرعة ، وكلما كانت المرابح عظيمة والخسائر قليلة • أما استراتيجية هذا الاستعمال ، فقوامها التخطيط الجيد الجريء ، والتنفيذ بعنف وضراوة تعرضية •

تهاجم المدرعات العدو ، فى نقاطه الضعيفة القابلة للتلف بسهولة، وبطريق الأراضي المساعدة على استعمال الدبابات وسواها من التشكيلات المدرعة • تحشد الفرقة ، أو التشكيلة المدرعة ، قواها وتوجهها مركزة ، بشكل طعنة عنيفة قاسية ، الى العدو عند النقطةالتي وقع الاختيار عليها ، وذلك بقصد التغلب سريعا على دفاعاته المنظمة، والوصول من ثم الى مؤخراته ، حيث يمكن أن تحل الفوضى التامة الكاملة بسهولة نسبية •

تتوصل المدرعات ، فى حالة بلوغها مؤخرة مواضع العدو المنظمة ، الى تحقيق درجة عالية من الحرية فى العمل والحركة • وهي تسعى ، فى مثل هذه الحالات ، الى التسبب فى قيام الفوضى حتى ذروتها ، وذلك

(١) بمعنى الرغبة المتوثبة في الاستمرار على الهجوم •

بتعطيل الحركة على خطوط مواصلات العدو ، وتدمير مقرات قياداته، واحتياطه ، وتموينه ، وبالتهديد الحي الماثل لسلامة الخطوط الأمامية كلها • ولا تخفف المدرعات من حدة جهودها ، الا بعد أن يتم الاستيلاء على الهدف الأخير •

٢ ـ نوعية العمليات التعرضية

العمليات التعرضية للفرقة المدرعة ، يمكن أن تتحدد فى نطاق شكلين من التعرض هما :

ـ الاختراق ،

ـ والالتفاف (الاحاطة) ،

أما الاستغلال ، فهو مرحلة من عملية تعرضية قد تكون احدى هذين الشكلين •

٣ ـ الاختراق

الاختراق هجوم يمر خلال بقعة مختارة فى منطقة تتمركز فيها قوات العدو أو تشغلها ، وغايته الوصول الى هدف قائم فى مؤخرة هذه القوات •

٤ ـ الالتفاف

الالتفاف هجوم موجه ضد جانب واحد أو جوانب قوات العدو ، أو ضد مؤخرة عناصره المتقدمة الرائدة ، أو مؤخرة خطوطه الجبهوية • ويسعى هذا الهجوم الى تطويق قوات العدو التي تكون على جبهةالهدف المقصود ، أو ضرب هذه القوات عند الهدف ، من الجانب أو الخلف ، عوضا عن ضربها على جبهتها • وهنالك ثلاثة أنواع من الالتفاف ، وكلها تستعمل نفس المبادىء فى العمليات التي تكون على مقياس كبير•

هذه الأنواع هي :

ـ الحركة المتحولة ،

ـ الالتفاف البسيط ،

ـ الالتفاف المزدوج

٥ ـ الحركة المتحولة

الحركة المتحولة ، أو الحركة الدائرة ، مناورة التفاف تمر حول

قوى العدو الرئيسية ، وغايتها أن تضرب نقطـة حيوية عميقة داخل مؤخرة العدو ٠

٦ ـ الالتفاف البسيط

الالتفاف البسيط مناورة تقوم بها القوة الملتفـة حول أحد جوانب العدو ، بينما يتعرض هذا العدو نفسه الى هجوم ثانـوي على جبهـة الموضع الذي يشغله ٠

٧ ـ الالتفاف المزدوج

الالتفاف المزدوج قيام فى آن واحد بالالتفاف على جناحي ترتيبـات العدو أو موضعه ٠ ويجري التنفيذ ، عادة ، بواسطـة ثلاث جمـاعات تكتيكية رئيسية ، جماعتان للالتفاف ، وجماعة ثالثـة للقيام بهجـوم جبهوي ثانوي ٠

٨ ـ الاستغلال

الغرض من كل هجوم مبدئي على موضع العدو ، سواء أكان ذلـك بالاختراق أم بالالتفاف ، هو ايجاد الفرصة الملائمة لقوة أخرى جاهزة لاستغلال الظفر ٠ والعادة أن تبدأ مرحلة الاستغلال على أعقاب حركة اختراق أو التفاف ناجحة ٠ وتتميز هذه المرحلة بالتقدمات السريعة فى وجه مقاومة متضـائلة ٠ يُعطى الى القوة المستغـلة كقاعـدة ، هدف مادي بعيد فى مؤخرة العدو ، هدف يقتضي بلوغـه بأكبر قوة وأقصر وقت ٠

تسعى القوات المستغلة ، العاملة فى مناطق مؤخرة العدو ، الى القيام بمهاجمات التفافية ضد كل مقاومـة معترضة يجب اخضاعها ٠ وكثيرا ما يلجأ الى الحركات الملتفة ، فى حال اختراق ناجح ، لقطع الطريق على قوات العدو المتراجعة ، أو لمنع الامدادات بالمؤن والنجدات عن الوصول الى عناصره الموجودة على خطوط المواجهة ٠

٩ ـ الفرقة المدرعة فى نطاق الفيلق

تستعمل الفرقة المدرعة ، عادة ، فى نطـاق فيـلق يتألف من فرقة مدرعة واحدة أو أكثر ، ومن فرقتين أو أكثر من المشاة الميكانيكية٠ فى

مثل هذا التشكيل ، الذي يكوّن فريقا قتاليـا (١) ، تكتيكيا وتعبويا (عملياتيا) (٢) ، تكون الفرقة المدرعة بمثابة تنظيم مكمل ومنسـق لفرق المشاة ، ولا تستعمل ، عادة ، الا بعد أن تقوم فرق المشاة بايجاد وتهيئة الفرصة الصالحة الموافقة لهذا الاستعمال ٠

تساعد الفرقة المدرعة على تقـدم الفـرق الميكانيكيـة ، بقيامها بالالتفافات والاختراقات العميقة ، دون مراعـاة للجوانب المكشوفة ، مشلّة هكذا جزءا عظيما من جبهة العـدو التي تقف حائـلا دون تقدم التشكيلات الميكانيكية الصديقة ٠ وتستطيع الفرقة المدرعة ، فى الحالات التي تكون صالحة لاستعمالها خاصة ، أن تقوم بالجهد الرئيسي فى هجوم الفيلق ، سواء بريادتها للهجوم ، أو بالعمل المنسق مع فرقـة ميكانيكية واحدة أو أكثر ٠

١٠ ـ تشكيلات الفرقة المدرعة فى التعرض

لقد جرى تنظيم الفرقة المدرعة ، بحيث تستطيع القتال باثنين من التجمعات القتالية (٣) ، وبتجمع قتالي واحد فى الاحتياط ٠ ويتـألف التجمعان القتاليان ، فى أغلب الاحيان ، من معظم القوى التي تدخل فى تكوين الفرقة ٠

يكون تشكيل الفرقة للقتال ، أي ترتيبها ، على شكلين :

أ ـ رتل الفرقة ، أو الفرقة بالرتل ، ويكون على الترتيب التالي : التجمـع القتالي الأول ـ التجمـع القتالي الثانى ـ التجمع القتالي الاحتياط ٠

ب ـ نسق الفرقة ، أو الفرقة بالنسق ، ويكون كما يلي: التجمعان القتاليان فى المقدمة، أي فى المنزلة (القدمة) الاولى، والتجمع القتـالي الاحتياط فى الاحتيـاط ، أي فى المنزلـة الثانية ٠

١١ ـ الفرقة بالرتل عند بدء الهجوم

التشكيل بالرتل هو المعتاد للفرقـة المدرعـة كخطوة أولية ، وذلك عندما تدعى الفرقة الى تحقيق اختراق لموضع العدو ، أو الى اكمال مثل

---

(١) Equipe Team (٢) Operational (٣) Combat Commands

هذا الاختراق • فجبهة الاختراق ضيقة نسبيا فى أول الامر ، ومثل هذا التشكيل يوفر العمق للهجوم • وهو يساعد على الاحتفاظ بزمام المبادرة ، من حيث استطاعة التجمع القتالي التالي القيام بالحركة خلال التجمع القتالي الرائد، أو حوله، وذلك من أجل الابقاء على استمرارية دفق الهجوم • وهو يسمح أيضا بالمرونة ، بسماحه لتشكيلة تكتيكية رئيسية بالمرور حول أو خلال التشكيلة التكتيكية المتقدمة • وهو يزيد كذلك من نسب السلامة والأمن ، لأن التجمع القتالي التالي يكون فى وضع يسمح له بمواجهة كل تهديد من كلا الجانبين ، مؤمنا هكذا استمرارية التقدم للعناصر الرائدة • وهذا العمل بدوره يسمح للتجمع القتالي الأمامي بالرد بأقصى سرعة على كل تطور يحدث مباشرة على جبهته •

١٢ ـ الفرقة بالنسق عند بدء الهجوم

يُتخذ هذا الشكل فى المهاجمات المعدة خلف مواضع دفاعية جيدة الاعداد والتحضير • وقد يحدث ذلك أيضا عندما تكون الفرقة المدرعة متموكزة دفاعيا على قسم من خطوط الجبهة مع العدو • وفى حالات كهذه ، يحتمل أن تكون هنالك حاجة الى هجوم رئيسي ، والى هجوم ثانوي ، وكلاهما يجريان فى نفس الوقت •

وقد يستعمل هذا التشكيل لتحقيق اختراق فى خطوط العدو ، وذلك عند بدء الهجوم ، وعندما تكون دفاعات العدو رقيقة ، ويكون من المستطاع تمزيقها بسهولة بالهجوم على جبهة عريضة بصورة نسبية• وعمق التشكيل ، فى هذه الحالة ، لا يكون له نفس الأهمية والأساسية كما لو كان الأمر متعلقا بالهجوم لاختراق موضع قوي التحصين •

١٣ ـ الاستغلال بتشكيل الرتل

للتشكيل بالرتل نفس الحسنات فى الاستغلال كما فى الاختراق • تتقدم الفرقة المدرعة بهذا الشكل كلما سمحت الأرض بذلك • وفى هذا التشكيل ، لا يتقيد التجمع القتالي الأمامي ، ولا التجمعات القتالية الرئيسية التابعة ، بمحور تقدم واحد منفرد • فالتربة وشبكة الطرق يفرض فيها أن تسمح للتجمع القتالي التالي بالحركة المستمرة ، فى أي اتجاه يريد • ويستطيع كل تجمع قتالي أن يتحرك على عدة طرق، على

شرط أن تتساند هذه الحركات ، على مستــوى الكتيبــة ، وأن تتعاون للتغلب على عوامل الوقت والمسافة • وتكون هذه الحركات متســاندة، عندما تسمح شبكة الطرق لرتل بالاسراع الى مساعدة رتل آخر ، عــلى وقت قبل أن تحل الهزيمة بهذا الرتل على انفراد • ومن الواجب ، بعد كل ذلك ، أن يكون الاتصال مؤمنا بين جميع الأرتال المتحركة على مثل هذا التشكيل •

عندما تكون الفرقة بالرتل ، يسهل على قائدها الاحتفاظ بمرونــة الحركة ، وبالاستطاعة على تأمين استمرارية الــزخم فى دفق الهجوم، وعلى التأثير فى مجرى العمل بصورة حاسمة • وفضلا عن ذلك فانــه يحتفظ بالقدرة على المناورة بقواتــه ، وعلى مواجهــة أي تهديد قد يطرأ • وباستطاعة قائد الفرقة أن يستعمل التجمع القتالي الثاني، أو التجمع الاحتياط ، تبعا لتطورات الموقف ، لهجوم بالتنسيق مع التجمع القتالي الأمامي ، أو للالتفاف حول موضــع العــدو ، أو لتجاوز هــذا الموضع ، أو لاحلال تجمع آخر فى مقدمة الفرقة ، أو لمجابهة تهديد مــا على هذا الجناح أو ذاك •

١٤ ــ الاستغلال بتشكيل النسق

يجري اللجؤ الى هذا التشكيل ، فى مرحلة الاستغلال ، عندما تتوفر المحاور العديدة التي تسمح للتجمعات القتالية ، كل على حدة ، بالتقدم على رتلين أو على عدة أرتال تتبادل المساعدة بمفهوم الوقت والبعد على السواء • ويُختار هذا التشكيل ، ايضا ، عندما تُدعى الفرقة الى تغطية جبهة عريضة ، او عندما تتطلب المهمة وصول عناصر الفرقة الى الهدف بأسرع وقت ممكن ، أو عندما تدعو الحاجــة الى الاقتراب مــن الهدف من عدة جهات ، فى وقت واحد •

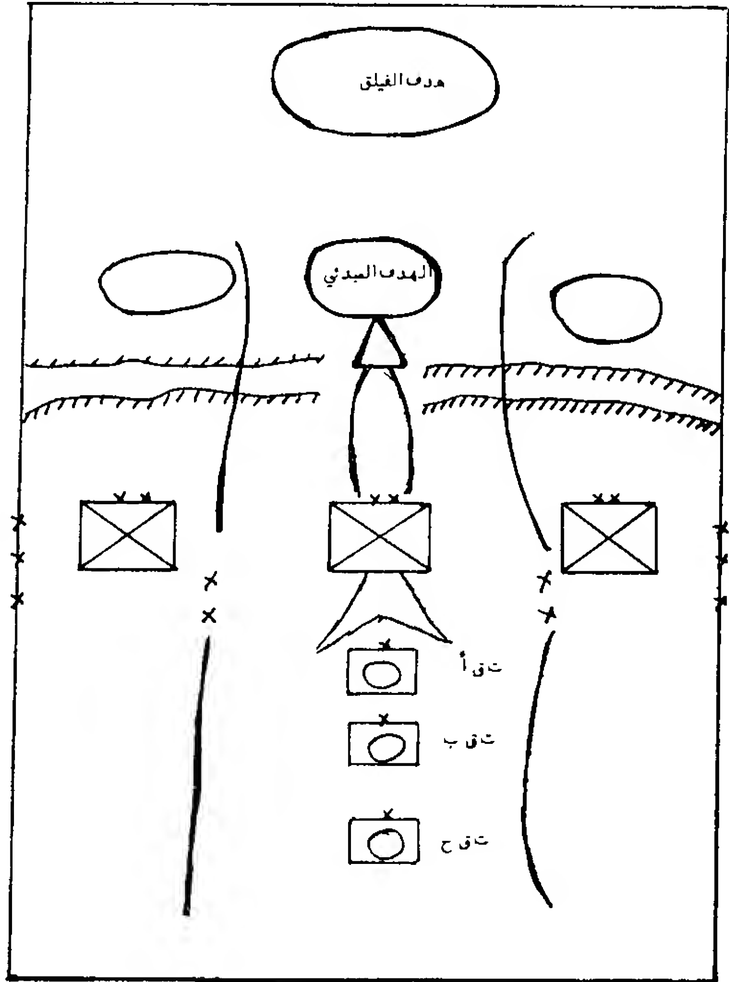
ويصلح هذا التشكيل ، بوجه خاص ، للواجبات التي تقضي بوصول عناصر الفرقة المدرعــة الى الهدف بأسرع مــا يســتطاع • مثل هــذه الواجبات تكون قابلة للتحقيق على أساس هذا التشكيل ، لأنــه يسمح لبعض العناصر بمتابعة التقدم ، حتى ولو توقف البعض الآخــر بفعل العدو •

عندما تكلف الفرقــة بالمطاردة ، فى مهمة تتطلب الضغط المبــاشر

والقيام بحركة التفاف ، يكون التشكيل الملائم لمثل هذا العمل ان يتحرك كل تجمع قتالي على محور خاص به ٠

وفى بعض الحالات ، يحدث ان يتطور التشكيل بالنسق الى حد تسيير ثلاثة تجمعات قتالية متجانبة فى الطليعة ٠ ويحصل هذا عندما يتطلب الموقف تغطية أوسع من تلك التي يحققها تجمعان قتاليان ، أو عندما تدعو الضرورة للاقتراب من الهدف على أعرض جبهة ممكنة ، كما هو الحال ، مثلا ، فى محاولة للاستيلاء على جسر سليم فوق نهر رئيسي ٠

ومهما يكن الأمر فهذا التشكيل يفتقر الى القابلية للمناورة ، والمرونة ، والقدرة المستمرة ٠ ويجب ان لا يستعمل الا حين الضرورة، وفقط ضد مقاومة متفرقة ضعيفة ٠

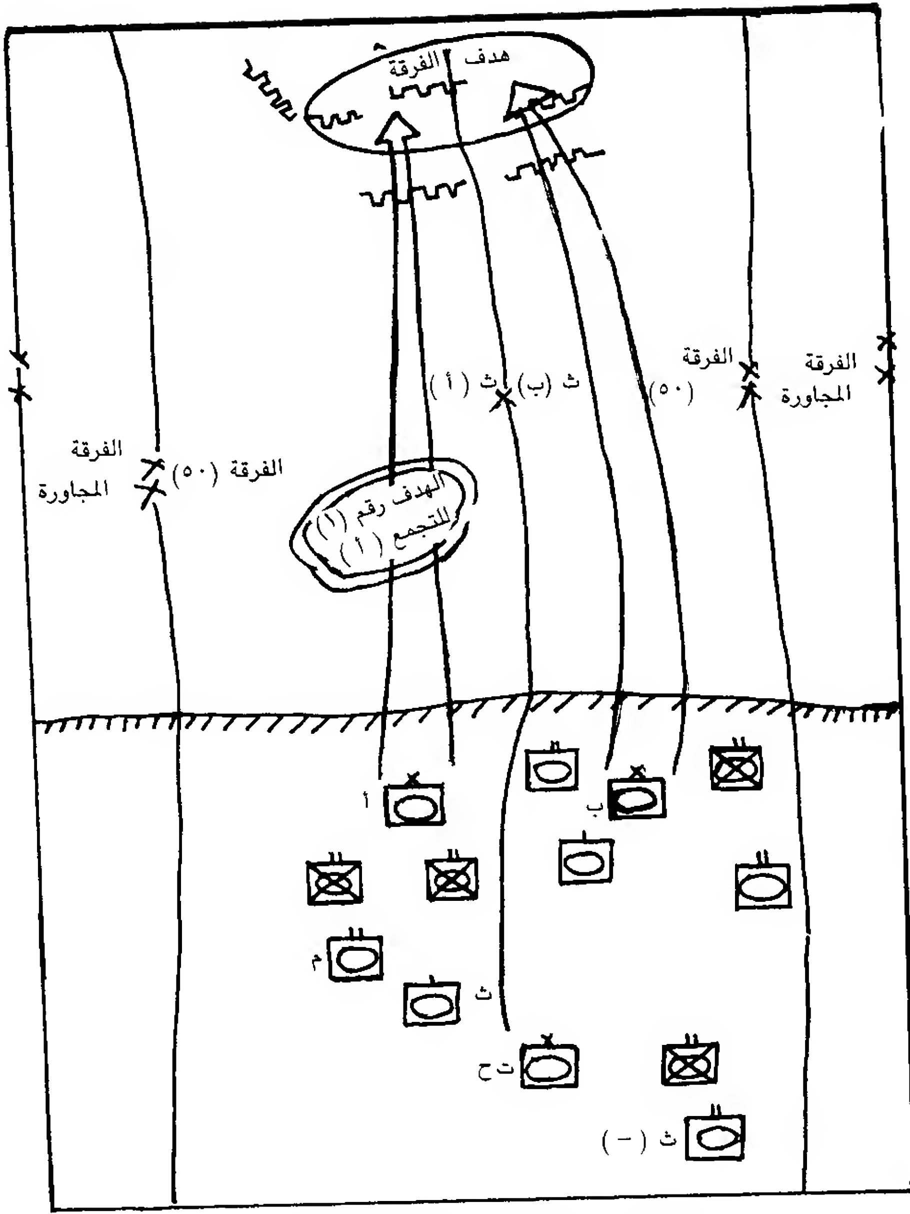


الشكل رقم (٥٢)

الفرقة المدرعة بالرتل ، عند الهجوم المبدئي
خلال مشاة صديقة ، وذلك للقيام باختراق او
لاتمام عملية اختراق

ت ق أ = تجمع قتالي أ ـــ ت ق ب = تجمع قتالي ب
ت ق ح = تجمع قتالي احتياط

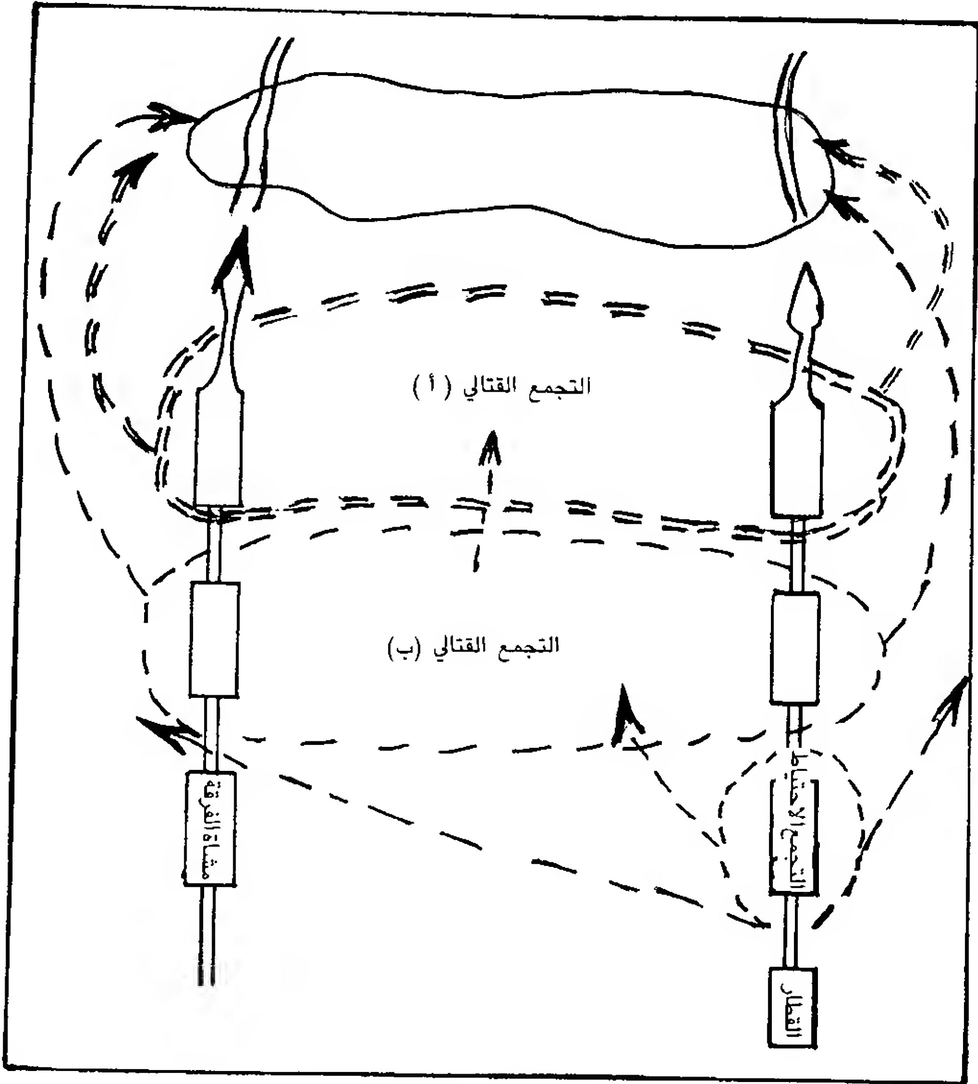
ملاحظة : يجوز استعمال اصطلاح (جحفل) عوضا عـن اصطلاح (تجمع قتالي) ، فنقول ، مثلا ، الجحفل الاول، الجحفل الثاني ، جحفل الاحتياط •



الشكل رقم (٥٣) ـ الفرقة بالنسق

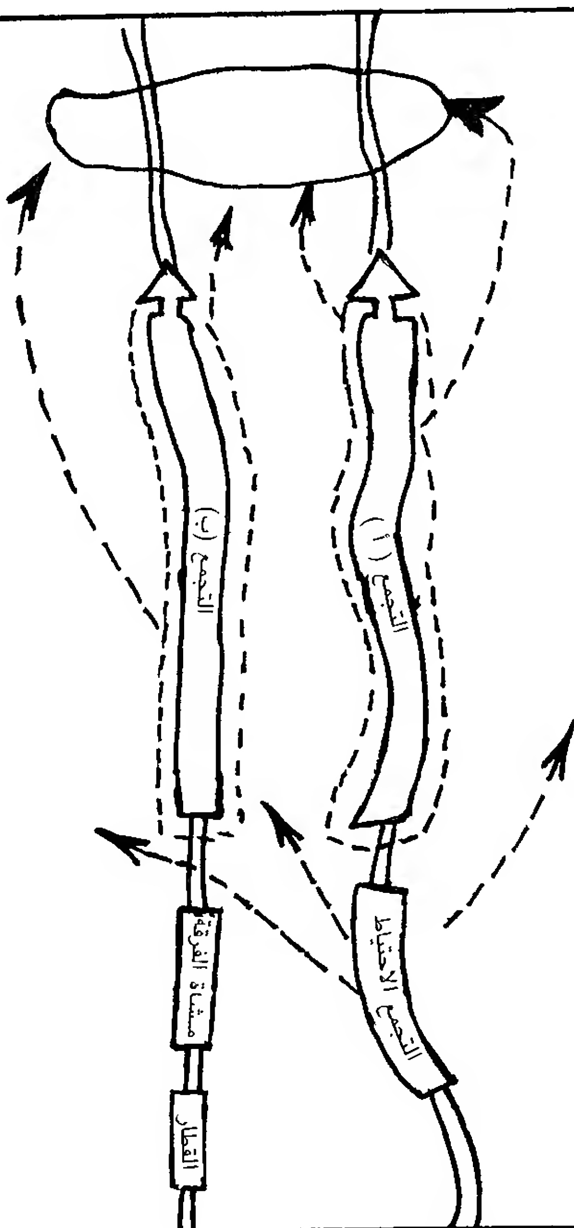
تجمعان قتاليان على الجبهة ، فى هجوم منسق للاستيلاء
على هدف محدود

الرموز : أ = تجمع قتالي (أ) ـــ ب = تجمع قتالي (ب) ـــ
ح = تجمع قتالي احتياط ـــ م = دبابة متوسطة ث = دبابة ثقيلة ـ
ث (ـ) = الباقي من الدبابات الثقيلة ·



الشكل رقم (٥٤)

التجمعان القتاليان (أ) و (ب) بالرتل ، كل تجمع على محورين متجاورين ، متبوعان بتجمع الاحتياط



الشكل رقم (٥٥)

الفرقة بالنسق ، فى الاستغلال ،
بتجمعين قتاليين متصدرين فى المنزلة (أو القدمة) الأولى
وعلى محاور مختلفة

١٥ ـ الاختراق

يتميز الاختراق بالتمزيق الكامل لترتيبات العدو ، وبالاستيلاء على هدف هام بنتيجة القيام بعمليات سريعة خلال الفتحة التي تم تحقيقها ، وبايجاد الفرصة لاستغلال الفجوة الحاصلة ·

والاختراق هو الشكل الوحيد للتعرض ، وذلك عندما لا تسمح الظروف بمناورة الالتفاف · والظروف التي تجبر على مناورة الاختراق ، هي استحالة القيام بمهاجمة أجنحة العدو ، ووقت لا يكفي لتنظيم مناورة الالتفاف · اما الظروف التي تميل الى تفضيل مناورة الاختراق ، فهي زيادة في انتشار مواضع العدو ، وأرض مساعدة على استعمال أسلحة مختلطة متعددة في مثل هذا الهجوم ·

تستدعي عملية الاختراق ، ان يتحقق للقوة المهاجمة ، تفوق في النيران عند نقطة الاختراق · ويقتضي لذلك طاقة نارية كافية متفوقة ، وقوات ملائمة للمضي بالهجوم حتى بلوغ غايته · وعندما يبدأ الهجوم ، فهو ينطلق على جبهة تكون مبدئيا أعرض من جبهة الفجوة المنشودة · والغرض من ذلك تجميد العدو وابقاؤه في مكانه على جوانب الاختراق ·

ومع تدرج الاختراق ، وتقدم العناصر الأمامية ، تتبع التشكيلات التالية ، متقدمة على جبهة أوسع من جبهة العناصر السابقة · وتقوم هذه التشكيلات التابعة بمهاجمات لاخضاع العناصر المعادية على الجوانب ، ولبسط أجنحة الاختراق ومدها ، عاملة هكذا على توسيع الفجوة التي حققتها العناصر الأمامية · وتقوم هذه القوات كذلك ، علاوة على ما تقدم ، بالامساك ، بقوة ، بأجنحة الاختراق وأكتافه ومفاصله ، للحيلولة دون مفاجئات العدو ، ولايقاف جهوده المعاكسة الهادفة الى اغلاق الفجوة الحاصلة في جبهته ·

وأخيرا ، وحالما تبدأ المقاومة المعادية في التضاؤل ، تتعاظم عندئذ سرعة تقدم العناصر الأمامية ، وتشرع في استغلال النجاح الناتج عن اختراقها · انها تتقدم بأقصى سرعة ممكنة ، باتجاه الهدف الذي اختير ليكون بلوغه ضمانة واعلانا بتحقيق المهمة ·

١٦ ـ الفرقة المدرعة فى الاختراق

تستعمل الفرقة المدرعة فى تعرض الاختراق ، على شكل من الأشكال الثلاث التالية :

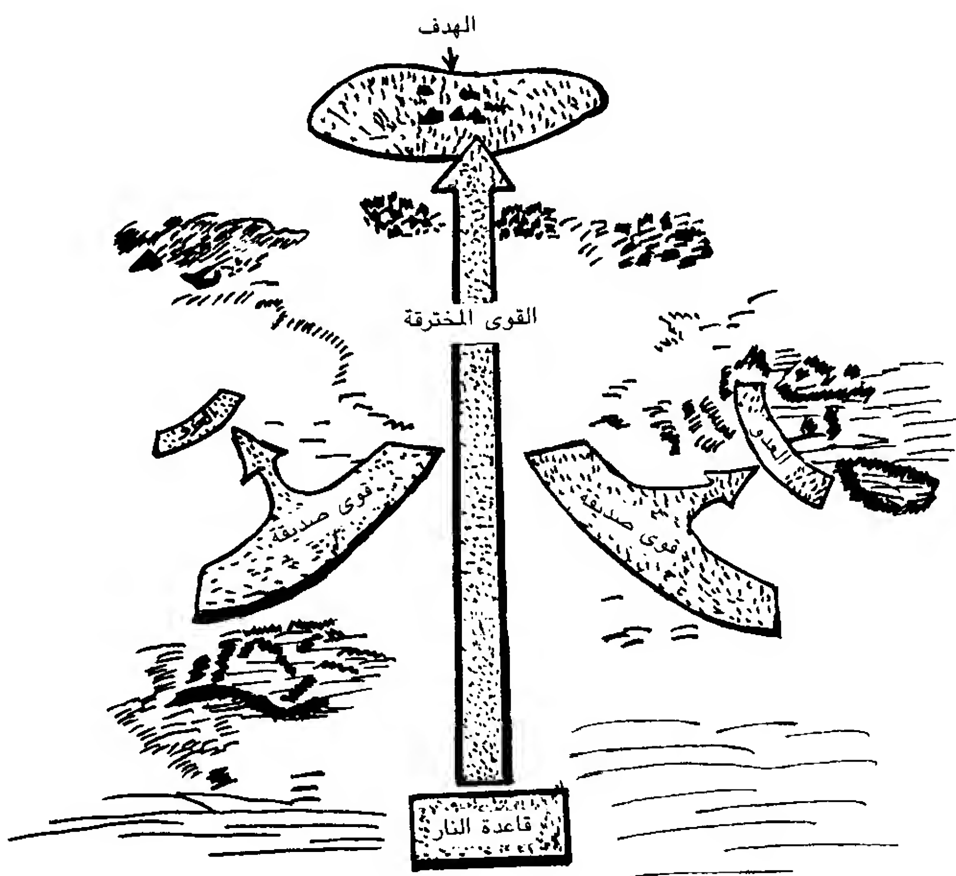
أ ــ امرار المدرعات خلال وحدات المشاة القائمة بعملية الاختراق لصالح الفيلق وبعد ان يتحقق هذا الاختراق ،

ب ــ تكليف المدرعات بتسريع عملية الاختراق ، وذلك بالقيام بمساعدة المشاة المولجة بتحقيقه ، وقبل ان يتم تحقيق هذا الاختراق ،

ج ــ قيام المدرعات نفسها بعملية الاختراق ، بالتعاون مع تشكيلات أخرى • والغالب فى مناورة الاختراق ان يكون تشكيل الفرقة المدرعة هو التشكيل بالرتل • وقد تهاجم الفرقة ، أحيانا ، بجبهة مكونة من تجمعين قتاليين ، وذلك لغرض ضمان وضع اليد على هدف محدود •

١٧ ـ التقييم السابق لهجوم المدرعات

كل هجوم للفرقة المدرعة ، تسبقه بحوث وتحريات بقصد الاستعلام عن ترتيبات العدو ، وعن الأرض التي ستكون مسرحا للعمليات المقبلة• يضاف الى حاصل هذا الاستعلام ، ما توفره النشرات الاخبارية الصادرة عن المقرات العليا ، والخرائط ، والصور الجوية ، وتقارير المخابرات، وتقارير الاستطلاعات الأرضية ، ليشكل هذا الكل أساسا تتوضح فيه الصورة المعبرة عن قوى الخصم المواجهة ، وأوضاعها ، وطبيعة الأرض الفاصلة بين الطرفين المتحاربين • وعلى آمر القوة المدرعة ، ان يضيف الى تلك المعلومات ، كلما سنحت له الفرص ، نتائج استطلاعات شخصية جوية تمكنه من الوقوف بنفسه على أحوال التربة ، ومواقع الحواجز والموانع المعترضة ، وعلى أحوال العدو بأكثر ما يستطاع من وضوح ودقة وتفصيل •



الشكل رقم (٥٦)
الاختراق والاستغلال

١٨ ـ الالتفاف

الالتفاف ، بعد الاختراق ، هو الشكل الثاني لعمل الفرقة المدرعة فى الهجوم • هذا النوع من الهجوم يهدف الى طي القوات المعادية أو تطويقها ، أو ضرب هذه القوى من الخلف أو الجانب • ولهذا فانه لمن الضروري ان يحدث ما يتسبب فى كشف جناح العدو ، أو أجنحته ، لتتهيأ من وراء ذلك الفرصة لحصول مثل هذا النوع من التعرض والمهاجمة والمناورة • والالتفاف ممكن فى كل وقت ، حتى ولو أقام الخصم أجنحته وأسندها على نقاط لا تمكن مهاجمتها ، كالأنهار العظيمة والجبال المنيعة والمستنقعات ، مثلا ، وقام فى ذات الوقت ، باشغال الأراضي الواقعة بين هذه النقاط • ذلك لأن دراسة الأراضي ، بدقة ، وتمعن ، لكاشفة غالبا عن وجود مناسبات واحتمالات عدة تفضل فيها مناورات الالتفاف على عمليات الاختراق والمجابهة • ويصح هذا الأمر أيضا ، فى الأراضي المسطحة ، حيث تتوفر ، عادة ، الامكانات والفرص للهجوم على الأجنحة بفعل تشكيل الأرض بصورة غير متماثلة ، ولوجود الفواصل والمسافات بين مواقع العدو ونقاط دفاعاته القوية ، المقامة معظم الأحيان فى المدن والقرى •

وأكثر ما يكون الالتفاف تأثيرا وفاعلية ، عندما يستعمل ضد جوانب للعدو قد انكشفت بفعل الاختراق • ففي حالات كهذه ، يدب الخلل والاضطراب فى صفوف العدو ومواقعه ، مما يسمح للمهاجم المخترق ، غالبا ، بحرية العمل والمناورة فى مناطق مؤخرة العدو •

وقد أثبتت التجربة على ان مراحل العملية الهجومية تجري ، على الوجه الأعم ، متتالية متتابعة على النحو التالي :

أ ـ اختراق الموقع ، وهي مرحلة قد تتم بواسطة هجوم جبهوي ومهاجمات التفافية ••

ب ـ الاستغلال عقب الاختراق : فى هذه المرحلة ، تكلف الفرق المدرعة اما بالاندفاع والتوغل طلبا للاستيلاء على هدف عميق فى مؤخرة العدو ، واما بالقيام بحركة دائرية حول جناح واحد أو أكثر من أجنحة القوى المعادية ، التي انكشفت بفعل وقوع الاختراق ، وذلك لمنع هذه القوى من

الافـلات والانسـحاب ، او لمنعها مـن تحريـك الامـدادات والنجدات الى الأمام ، وثم لوضع اليد على الظواهر الأرضية الهامة ، المساعدة على تدمير القوى المعادية المشار اليها ·

١٩ ـ أنواع الالتفاف

هنالك من أنواع الالتفاف :

- ـ الالتفاف الصغير ،
- ـ الالتفاف الكبير ،
- ـ الحركة الدائرة ،
- ـ الالتفاف البسيط ،
- ـ الالتفاف المزدوج ·

أ ـ الالتفاف الصغير :

فى هذا النوع مـن المناورة ، يتأمـن للقوة الملتفة ، طيلة حركتها صوب الهدف ، الاسـناد الناري مـن قبل القوة التي تقوم ، فى نفس الوقت ، بالهجوم الثانوي ، وأيضا من قبـل المدفعية والأسلحة الساندة الأخـرى ، الموجودة على قاعـدة النار ·

ب ـ الالتفاف الكبير :

عندما تكلف قوة بحركة التفاف كبير ، فانها تتحرك بعيدا عن القوة التي تقوم بالهجوم الثانوي ، وتكون لذلك فى وضع يصعب معه ، أو يسـتحيل تلقي الاسـناد الناري مـن القوة الأخرى المهاجمة ، أو من لدن العناصر المتمركزة على قاعدة النار ، هذه القاعـدة التي تكون قريبة مـن عناصر الهجوم الثانوي · وفى حـالات كهذه ، يُستحسن أن يضاف الى القوة الملتفة بعض المدفعية ، وذلـك لتوفير الدعم الناري المدفعي عند الحاجة ·

وفى كـلا النوعـين مـن الالتفاف ، الصغير والكبير ، ومهما تكـن المسافة الفاصلـة مبدئيا بين العناصر المهاجمة ، عنـاصر القوة الملتفة وعناصر القوة المكلفة بالهجوم الثانوي ، فالمرحلة الأخيرة من العملية

مؤدية الى مجهود متقارب متلاق عند الهدف وضده ·

ج ـ الحركة الدائرة :

تختلف الحركة الدائرة ، عن الحركة بالالتفاف ، صغيرا كان أم كبيرا ، بكونها تتجنب مهاجمة جوانب قوى العدو الرئيسية ومؤخراتها ، وتهدف فقط الى ضرب هدف عميق فى مؤخرات العدو البعيدة · هذه الحركة تجري بواسطة قوة مناورة ، وقوة أخرى تقوم بالهجوم الثانوي · ولهذا يجب أن تكون كل قوة دائرة قادرة حتى الكفاية ، ومتوازنة بحيث تصعب هزيمتها بالتجزئة والتفصيل · ويكون لكل قوة دائرة قائدها المستقل ، وتكون المدفعية وسواها من التشكيلات الساندة العاملة مع القوة الدائرة بقيادة آمر هذه القوة ·

د ـ الالتفاف البسيط :

يجري الالتفاف البسيط على أساس قوتين تكتيكيتين رئيسيتين :

ـ قوة للالتفاف ،

ـ قوة للهجوم الثانوي ·

وقد يكون هذا الالتفاف صغيرا ، أو كبيرا ، لكن على جناح واحد من أجنحة العدو ·

تقوم قوة الالتفاف بالحركة والمناورة ، بينما تنصرف القوة الثانية الى مهاجمة مواقع العدو ·

هـ ـ الالتفاف المزدوج :

تقوم بالالتفاف المزدوج ثلاث جماعات تكتيكية رئيسية ، اثنتان منها للالتفاف ، والثالثة للهجوم الثانوي · والقيام بالالتفاف على كلا الجناحين ، من قبل قوتين تعملان سوية فى عملية واحدة وفى نفس الوقت ، هو أمر يستدعي على وجه العموم تفوقا عدديا كبيرا · كما ويقتضي ان تكون القوة القائمة بالهجوم الثانوي ، من الكفاءة والقدرة بحيث تستطيع أن تنتشر على جبهة عريضة ، ضد عدو يدافع على جبهة ضيقة · والهجوم الثانوي هذا ليس فرضا اجباريا ، بل انه عمل اختياري ، لكنه ضروري فى معظم الأحيان ·

يتوقف النجاح فى عملية الالتفاف على تحقيق المباغتة بصورة خاصة ، وعلى قدرة وقابلية قاعدة النار والهجوم الثانوي فى احتواء القسم الأعظم من قوات العدو • وتتحقق المفاجأة بهذه المناورة كلما أمكن الافلات من رقابة العدو ، وأمكن خداعه وتضليله • وعلى مناورة الالتفاف ان تتجنب مهاجمة العدو على الأرض التي اختارها بنفسه ، وان ترغمه على القتال على جبهتين أو أكثر فى آن واحد • والالتفاف الذي ينجح فى الاستلاء على مواقع حيوية فى مؤخرة العدو ، او الذي يهدد خطوط تموين العدو وطرق انسحابه ، مثل هذا الالتفاف قد يجبر العدو على اخلاء مراكزه والتراجع تجنبا للتطويق والأسر •

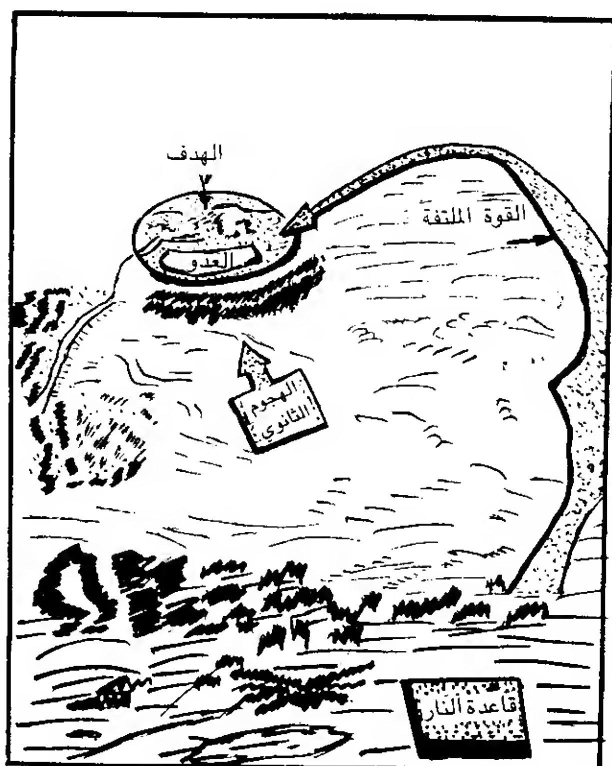
٢٠ ـ الاستغلال

يبدأ دور الاستغلال ، عندما يصل الاختراق او الالتفاف الى مناطق المؤخرة خلف دفاعات العدو • ومن الممكن التنبؤ مسبقا بقرب ابتداء هذه المرحلة ، بظهور بعض الدلائل والوقوعات ، التي منها :

ـ تحقيق مكتسبات حاسمة من قبل القوى الصديقة ،
ـ تضاؤل المقاومة فى وجه التقدم،وخاصة فيما يعود الى نيران المدفعية ،
ـ ازدياد عدد الأسرى من جنود العدو ،
ـ تزايد كميات التجهيزات والمعدات المخلفة على أرض المعركة•

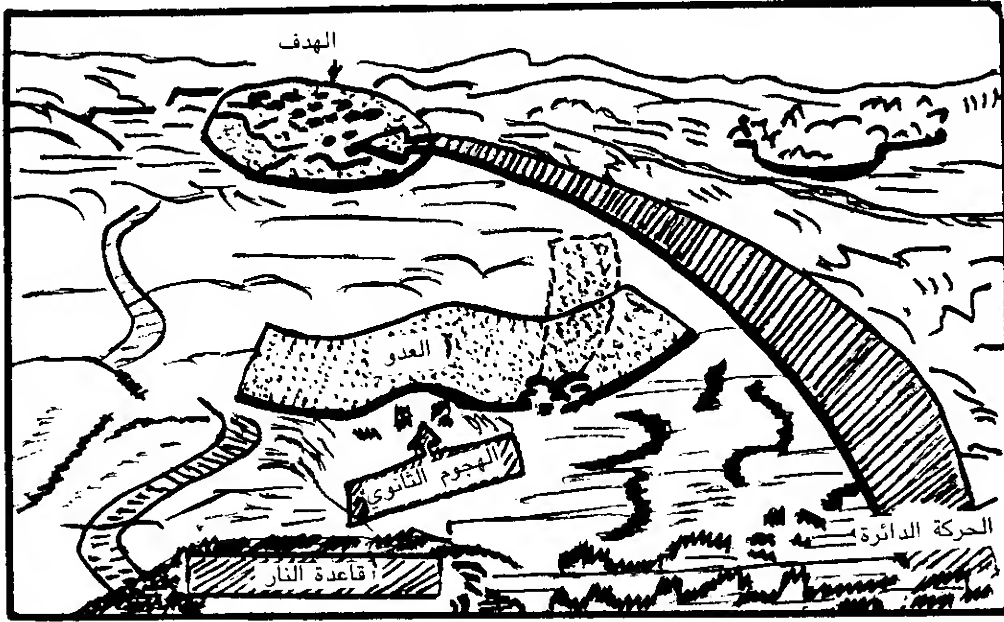
والانتقال من الاختراق أو من الالتفاف الى الاستغلال ، قد يحصل بصورة متدرجة ، مرحلة مارة بأخرى ، تباعا مع النجاح فى سير الهجوم • والعادة أن يُحدد هدف مبدئي ، يكون بلوغه بمثابة انتهاء لقسم الاختراق او الالتفاف من العملية • ثم يأتي دور الاستغلال ، الذي قد يبدأ بعملية اعادة تنظيم اذا لزم الأمر ، وبعدئذ بالتقدم حتى بلوغ الهدف التالي ، أو النهائي • يجب ان يُبذل كل مجهود لمتابعة التقدم دون توقف ، بالاستعانة عادة بالتشكيلات التي أمضت أطول مدة خارج العمل ، أي دون تكليف بواجبات قتالية • وفى هذه المرحلة ، يجوز أن تنتقل الكتائب من تشكيلات تكتيكية الى تشكيلات تكتيكية أخرى ، بأوامر شفهية •

ان الغاية من الاختراق ، أو من الالتفاف ، هي ايجاد المناسبة للاستغلال • فى الاستغلال ، تستهدف القوة المهاجمة هدفا قائما عميقا فى مؤخرات العدو ، هدفا يؤدي احتلاله الى قطع خطوط تموين الخصم أو مواصلاته ، أو الى اتلاف ما لديه من مؤن فى المجمعات والمستودعات ، أو الى تحقيق الاتصال مع رأس جسر هوائي قد سبقت اقامته جوا لمثل هذه الأغراض • ويتميز الاختراق المؤدي الى مرحلة الاستغلال بالتقدمات السريعة تجاه مقاومة ضعيفة أو معدومة، وبمهاجمات متكررة من قبل رتل المسير ، وباجتياز لنقاط المقاومة العدوة ، وذلك بالمحيد عنها أو بالالتفاف حولها ، وبالاشتباكات مع الامدادات التي يسيرها العدو الى المعركة بقصد ايقاف الاستغلال •



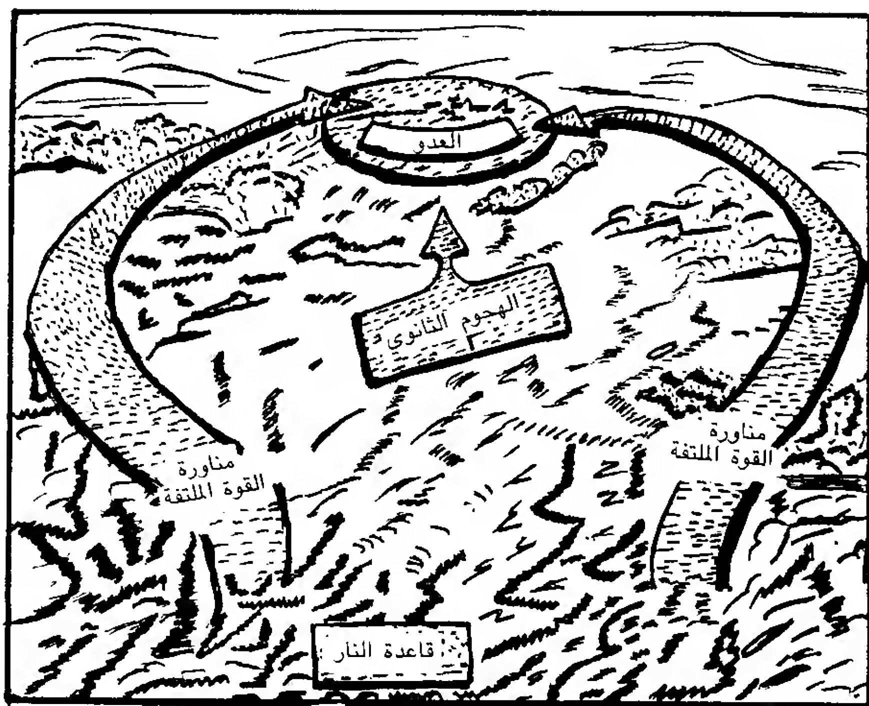
الشكل رقم (٥٧)

المناورة بالالتفاف البسيط ، صغيرا أم كبيرا



الشكل رقم (٥٨)

الحـركة الدائـرة



الشكل رقم (٥٩)

المناورة بالالتفاف المزدوج

تسعى القوات المستغلة الى بلوغ الهدف المعين لها بأسرع وقت ممكن • وتعمل ، بعد استيلائها على الهدف ، على تحكيمه وتقوية دفاعه كي يصمد فى وجه محاولات العدو لاسترجاعه • ثم تشرع بعدئذ فى الاستعداد للعمل المقبل الهادف الى تعظيم النجاح • تتوغل هذه القوى عميقا داخل أراضي العدو ، تتبعها على الأعقاب جميع القوات الساندة، هذه القوات التي تحمي الجوانب ، وتنظف الأرض من جيوب المقاومة المتبقية ، وتوسع فى مساحة منطقة الاستغلال بالانتشار يمينا ويسارا •

وفى مرحلة الاستغلال ، تقوم تشكيلات من الفرقة المدرعة بواجبات خاصة ضرورية لمتابعة التقدم ، كاجتياز الأنهار ، واخماد نيران القتال فى المدن ، ومهاجمة المواقع المحصنة المعترضة •

٢١ ـ أهداف وشروط الاستغلال

يجري اختيار أهداف الفرقة منذ بداية التخطيط • وتكون هذه الأهداف نقاطا قوية يكلف الاستيلاء عليها ثمنا غاليا فيما اذا استطاع العدو تنظيمها والدفاع عنها بقوة •• أو هي تمكن من قطع خطوط تموين العدو ومواصلاته ، وتحول دون تراجعه • من مثل هذه الأهداف : اجتياز الأنهار ، المضائق الاضطرارية ، منطقة تموين ، منطقة صناعية هامة ، مقر قيادة عسكرية كبيرة ، قاعدة جوية أو مطار كبير ، الخ ••• وأول الشروط لنجاح الاستغلال ، هو وصول القوات المستغلة الى هدفها النهائي بأعظم قوة وأقصر وقت • وتتألف العناصر الأمامية ، للقوى المستغلة ، عادة بمعظمها من الدبابات ، وذلك لتزويد الهجوم بأعظم قوة صادمة ، والسماح باستغلال كل مباغتة الى أقصى ما يمكن • ويُعمد الى تجنُب كل مقاومة عدوة ، الا اذا كان باستطاعة هذه المقاومة ان تعرقل او تحول دون متابعة اتمام المهمة ، وحالئذ يجب ازالتها من الطريق •

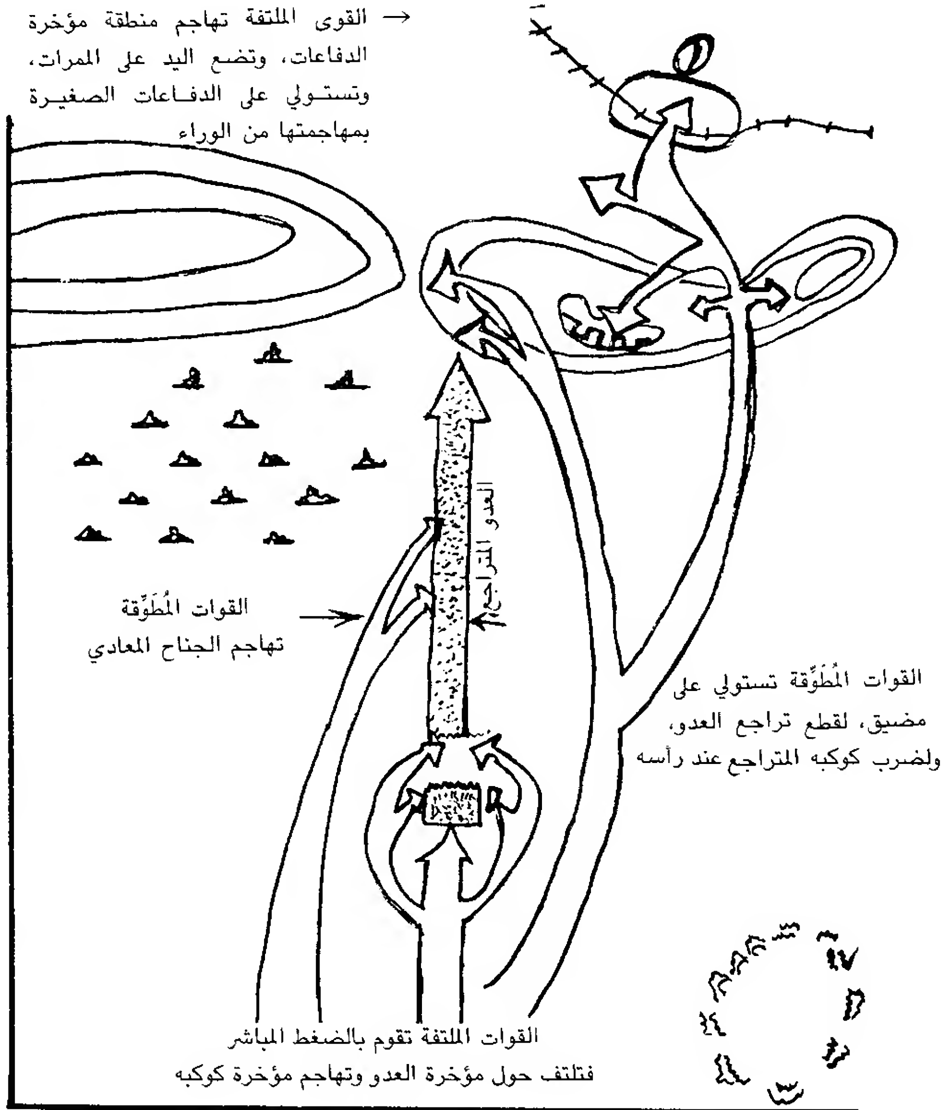
فى القوة المدرعة ، تكون السيطرة لامركزية ، أي تُعطى حرية التصرف للتجمعات القتالية ، التي تعطي بدورها حرية العمل الى الكتائب المفرزة التي تتقدم الأرتال • هذا لا يحول دون قيام القيادات العليا بمتابعة أعمال مرؤوسيهم عن كثب ، مكثرين من استعمال طيران الارتباط لتحقيق هذه الغاية • ولا تُعطى للفرقة المدرعة أهداف

متوسطة ، كما ولا يُعطى مثل هذه الأهداف للتجمعات القتالية كذلك • الا أنه يُستثنى من ذلك ان يكـون الهدف المتوسط ذا أهمية حيويـة للنجاح فى بلوغ الهدف النهائي •

٢٢ ـ المدفعية فى الاستغلال •

عندما تكون الفرقة المدرعة بتشكيل الرتل ، تبقى مدفعية الفرقـة عادة تحت السيطرة المركزية للفرقة ، وذلـك لتستطيع هـذه المدفعية اسناد التجمع القتالي الأمامي ، دون ابطاء عند الطلب • ولكن العادة ، أيضا ، عـند بدايـة العمليـة ، أن تُكلَّف كتائب المـدفعية الخفيفة بواجبات الـدعم المباشر للتجمعات القتالية ، وذلـك للتأكد مـن قيام الارتباط اللازم ، ومن وجود المراقبين المدفعيين المتقدمين مـع جميع الكتائب • وعندما تدخل التجمعات القتالية التالية فى المعركة ، أو عندما توجه للسير على محاور مختلفة ، وفقا لمتطلبات الموقف ، عندئذ تأخذ المدفعية ترتيباتها لتكون دوما على أهبة الاستعداد لتقديم الاسناد لهذه التجمعات •

واذا كانت الفرقة المدرعة بتشكيل النسق ، فيحتفظ بالمدفعية تحت سيطرة الفرقة ما ظل الى ذلـك مـن سبيل • وعندمـا تصير التجمعات القتالية مفصولة بعضها عـن بعض بمسافات كبيرة ، أو عندمـا تقوم بينها عوارض أرضية تحول دون حصول الاسناد المتبادل ، عندئذ يمكن فرز كتائب من المدفعية لتكون مع هذه التجمعات •



الشكل رقم (٦٠)

الاستغلال والمطاردة

٢٣ ـ الهندسة فى الاستغلال

فى مرحلة الاستغلال ، وعندما تكون الفرقة المدرعة بتشكيل الرتل ، وحال ابتداء الاستغلال ، توضع سرية هنادسة مع فصيل تجسير تحت تصرف كل تجمع قتالي • والباقي من فوج الهنادسة ، يبقى تحت سيطرة الفرقة • هذا الباقي ، وما قد يكون قو وضع تحت تصرف الفرقة من هنادسة التجسير الاضافية ، يظل تحت سيطرة الفرقة الى ان تحصل حاجة اليه لدى التجمعات الأمامية ، أو الى ان يتورط التجمع الاحتياط فى المعركة •

وعندما تكون الفرقة بتشكيل النسق ، ويكون التجمعان القتاليان سائرين على محاور مختلفة ، يُعطى كل تجمع منهما كفايته من الهنادسة ومن تجهيزات التجسير اللازمة لتسهيل حركته على محاور تقدمه •

٢٤ ـ كتيبة الاستطلاع فى الاستغلال

عندما تكون الفرقة بتشكيل الرتل ، تعمل كتيبة الاستطلاع المدرع تحت اشراف الفرقة • والفرقة ، كقاعدة عامة ، تطلب من كتيبة الاستطلاع اعلاما مستمرا متجددا عن الأرض والعدو ، لأن لمثل هذا الاعلام تأثيرا على توريط التشكيلات التي تلي التجمع القتالي الأمامي • وعندما يتقرر ان هنالك مهمة أمن وسلامة أكثر أهمية من مهمة الاستطلاع لغرض الاعلام ، فانه يجوز حالئذ ان تلحق كتيبة الاستطلاع بالتجمع القتالي الأمامي الرائد ، ويكون دورها بمثابة تدبير أمن احترازي اضافي من الفرقة للتجمع القتالي الرائد • حتى اذا دخل التجمع القتالي التالي المعركة ، عندئذ يمكن ان تلحق بهذا التجمع سرية استطلاع أو كتيبة الاستطلاع بكاملها ، أو المتبقي من هذه الكتيبة ، وفقا لما يتطلبه الموقف •

ويكون استعمال كتيبة الاستطلاع المدرع ، عند تشكيل الفرقة بالنسق ، تبعا لمتطلبات الأرض والموقف التكتكي •

٢٥ ـ التموين خلال الاستغلال

من الطبيعي ، فى مرحلة الاستغلال ، أن تُفرز عناصر تموين الى

التجمعات القتالية فى الفرقة المدرعة • وتكون السيطرة على حركة هذه العناصر بيد قائد التجمع القتالي ، وذلك ليضمن سلامتها من جهة ، وليتأكد من الدعم القريب لقواته فيما يتعلق بتسهيلات التموين المتنوعة •

٢٦ ـ دور القوى اللاحقة فى الاستغلال

الدور المبدئي للقوى التي تتبع المدرعات ، فى مرحلة الاستغلال ، هو الحيلولة دون اغلاق الثغرة التي أحدثها الاختراق ، أو هو ضمان أهداف مبدئية قد تم ربحها أثناء الاختراق أو الالتفاف • ومع اضطراد تقدم القوى المستغلة عميقا فى مناطق مؤخرة العدو ، يكون من واجب القوات اللاحقة ضمان المواصلات والتموين ، ودعم العناصر المستغلة العائدة الى الفرقة المدرعة ، والتنظيف الكامل للأرض على أعقاب هذه العناصر ، وتدمير أو احتواء جيوب العدو التي اجتازتها عناصر الاستغلال المدرعة ، وتوسيع منطقة الاستغلال عرضا ، ابتداء من محور تقدم الفرقة المدرعة •

القوات اللاحقة ، التي يُقدمها الفيلق عادة ، يجب ان تكون ميكانيكية ، حتى يكون باستطاعتها العمل بنفس سرعة القوات المدرعة القائمة بالاستغلال • وعلى هذه القوى اللاحقة أن تحل ، بأسرع وقت ، مكان عناصر الفرقة المدرعة المخلّفة لحماية المناطق أو المؤسسات ، حتى تتمكن هذه العناصر من اللحاق سريعا بتشكيلاتها • وقد يحدث أن تُوضع بعض العناصر ، من تشكيلات تابعة ، مباشرة تحت سيطرة الفرقة • لكن الأعم الاغلب هو بقاء مثل هذه القوى تحت امرة قيادتها• وفى هذه الحالة ، يجب أن يكون هناك ارتباط وثيق بين قائد القوى الملحقة ، التي يجب ان يكون معظمها من المشاة الميكانيكية ، وبين قائد الفرقة المدرعة • وعندما لا يكون هنالك قائد عام واحد لكلا الطرفين فى ساحة المعركة ، يجب عندئذ ان يقوم بين القيادتين مستوى رفيع من التعاون والانسجام •

الفصل الثلاثون

الفرقة المدرعة في حرب المدافعة

١ ـ عموميات

قامت الفرقة المدرعة ، فى الأصل ، للعمل التعرضي • لكن هذه الفرقة ، بالنظر الى استطاعاتها الكبيرة ، وتنوع هذه الاستطاعات ، يمكن أن تستعمل أحيانا للقيام بدور دفاعي • وعملها فى هذه الحالة يكون فى مساعدة المشاة على الاحتفاظ بسلامة الخط الدفاعي ، وذلك باضافة العمق الى ميدان المعركة ، وبالرد المعاكس ، وتدمير مدرعات العدو ، والقيام بضربات طاعنة مضادة •

وقد تعمد الفرقة المدرعة من تلقاء نفسها الى القتال بالمدافعة ، عندما تبتغي اكتساب الوقت بانتظار حصول شروط أكثر موافقة للشروع بالتعرض ، أو لتحقيق اقتصاد فى القوى على جبهة ما ، لغرض حشد قوى متفوقة فى جبهة أخرى ، وذلك بقصد التوصل الى نتيجة فاصلة على هذه الجبهة •

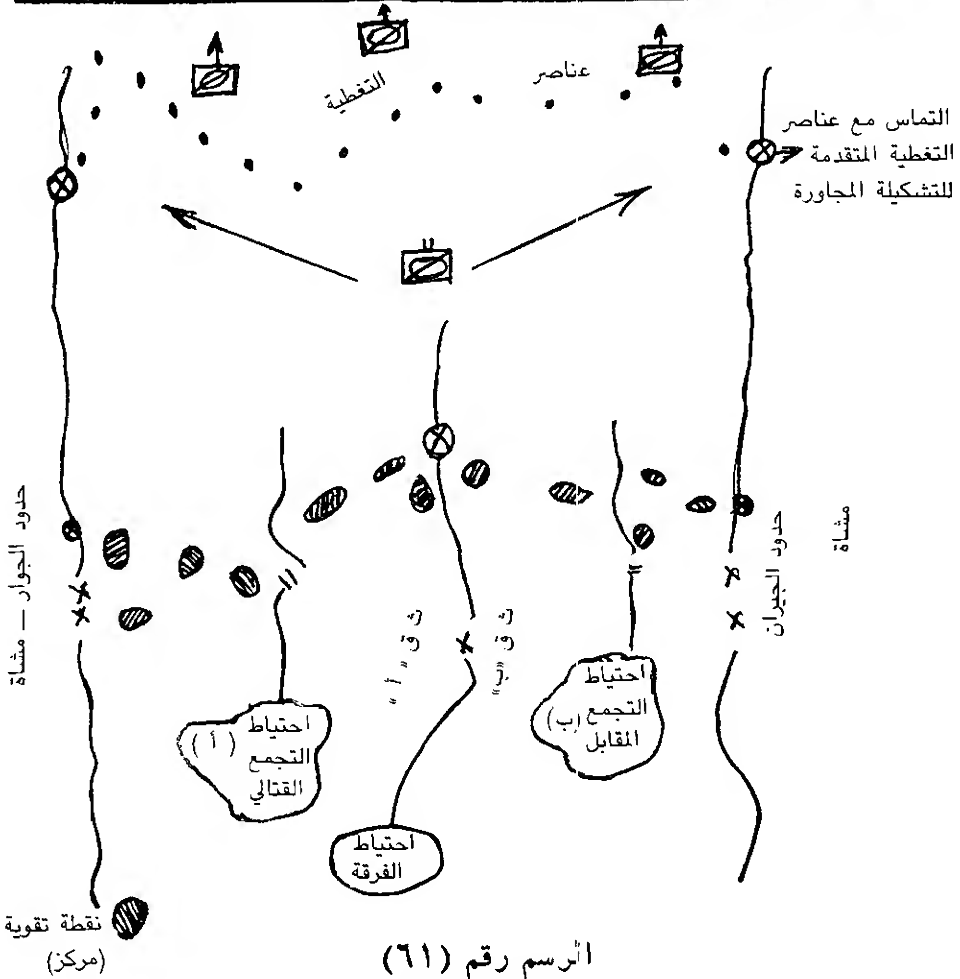
عندما تتلقى الفرقة المدرعة واجب القيام على المدافعة ، كجزء من فيلق أو جيش ، فانها تعمل عندئذ ضمن المخطط الذي يضعه قائد الفيلق • وفى مثل هذه الحالة ، ونظرا لما تتمتع به من خصائص ذاتية فى الحركية والطاقة النارية ، فانه يمكن للفرقة ان تستعمل لواجبات الاعاقة أمام جبهة الوضع الرئيسي للمقاومة او تستعمل كاحتياط للفيلق ، للقيام بالهجمات المضادة •

وقد تحدث حالات تستدعي قيام الفرقة المدرعة باشغال قطاع من وضع الدفاع الرئيسي • وعندما تعمل الفرقة المدرعة مستقلة الى حد ما ، فانها قد تلجأ الى الدفاع من تلقاء نفسها • مثل هذه الحالات قابلة للحدوث فى الاستغلال والمطاردة ، وذلك عندما تتعرض الفرقة الى

مهاجمات معاكسة من قوات متفوقة ، أو عندما تصل الى هدفها وتضطر للدفاع عنه بانتظار وصول القوات الصديقة اللاحقة .

٢ ـ حقيقة المدافعة

تتوخى المدافعة اختيار وتنظيم موضع قتال يحتفظ به ، واستعمال قوات تغطية لاعاقة تقدم العدو ، وضعضعة صفوفه ، وخديعته بخصوص الموقع الحقيقي لمكان المعركـة ، وثم استخدام الاحتياط لتدمير العدو بالهجوم المضاد ، العدو الذي ينجح فى اختراق الدفاعات .



الرسم رقم (٦١)

الفرقة المدرعة فى المدافعة الحركية
على قطاع دفاعي أمامي ، محاطة بفرق من المشاة

٣ ـ أنواع المدافعة

المدافعة نوعان :

أ ـ المدافعة الحركية .

ب ـ والمدافعة المكانية ، أو الساكنة ٠

أ ـ المدافعة الحركية :

المدافعة الحركية ، هي المدافعة عن منطقة أو عن وضع ، على أساس مزيج من المناورة وتنظيم النيران ، واستخدام الأرض لغرض أخذ المبادأة من يد الخصم ٠ يتألف هذا الدفاع عادة من منظومة من المراكز الدفاعية ، ومن احتياط حركي قوي فعال ٠ يجري اشغال المراكز الدفاعية بقوات قليلة بينما يستعمل الاحتياط لتدمير العدو عند المكان التكتيكي الأكثر ملاءمة للدفاع ٠

يتلاءم الدفاع الحركي خاصة مع استطاعات الفرقة المدرعة ، وذلك عندما تكلف الفرقة بجبهات عريضة لا يمكن أن يقوم عليها تنظيم ملائم للأرض على أساس الدفاع بواسطة المشاة المدرعة التابعة للفرقة٠ وتتكون المنظومة الدفاعية فى هذه الحالة من محطات مراقبة نهارية ومحطات تنصت ليلي ومن مراكز قوية متنوعة القوة وفقا للمهمة ، والأرض ، والعدو ٠

تُرسل محطات المراقبة والتنصت من قبل المراكز القوية ، ويكون واجبها مراقبة نشاطات العدو ، والاعلام عن هذه النشاطات ، وتوجيه نيران المدفعية ٠ وتقام المراكز القوية تكتيكيا فى أماكن حساسة هامة ، متبادلة الدعم والاسناد بعضها مع بعض الى أبعد حد ممكن ، وواجبها خديعة العدو ، واعاقته ، وايقافه ، وصده ٠ ويكون الاحتياط تحت امرة أعلى سلطة موجودة ، وبأقوى قوة ممكنة ، وأبعد ما يمكن وراء مراكز المدافعة ، وذلك حتى يستطيع المناورة عند تحركه للهجوم المضاد ٠

ب ـ المدافعة الساكنة

المدافعة الساكنة ، هي القتال للدفاع عن منطقة أو وضع دفاعي ،

وتهدف الى ايقاف العدو على خط الدفاع الرئيسي • وهو قتال تقوم به المشاة عادة ، ولا تستعمل الفرقة المدرعة فيه الا اذا كان القطاع المنوي الدفاع عنه من العرض بحيث لا تكفي المشاة المدرعة في الفرقة لحمايته •

٤ ــ مبادىء الدفاع

المبادىء ، التي يقوم عليها الدفاع ، ستة :

ــ تنظيم الأرض ،
ــ تنسيق الاسناد بالنار ،
ــ الهجوم المضاد ،
ــ العمق ،
ــ الأمن ،
ــ المرونة ••

أ ــ تنظيم الأرض :

تنظيم الأرض ، يعني مسك الظواهر الأرضية الحساسة ، او تغطيتها بالنيران ، وذلك لمنعها على العدو •

ب ــ الاسناد بالنار :

تنسيق الاسناد بالنار يكون كاملا وصحيحا بوضع المخططات لغرض الاستعمال الصحيح للطاقة النارية الجسيمة المتوفرة لدى الفرقة المدرعة • تدخل جميع الأسلحة ضمن مخطط النار هذا ، ويجب ان يُنظم هذا المخطط بحيث تنصب الكتلة العظمى من النيران على المناطق الحرجة الحساسة •

ج ــ الهجوم المضاد :

يجري الهجوم المضاد بالاحتياط الحركي ، هذا الاحتياط الذي لا يستعمل الا ككل ، والذي يكون واجبه تدمير العدو • يتطلب الهجوم المضاد جمعا بين النار والمناورة ، وضرب العدو بالعناصر المدرعة عند أحسن الأماكن ملاءمة لذلك •

د ــ العمق :

يكون الوضع الدفاعي على عمق كاف لتقليل مفعول النيران

المعادية ، ولتأمين الاستمرارية المتواصلة لنيران المدافعة ، وللسماح بالحركة ضد العدو ، حتى ولو استطاع هذا ان يحقق اختراقا فى الوضع ·

هـ ـ الأمن :

تقوم كل تشكيلة بواجب تأمين أمنها بنفسها · ويتحقق الأمن بواسطة محطات الدفاع والمراقبة المتقدمة ، وبالقوات الموضوعة على المجنبات ، بالاستطلاع الدائب للأراضي الواقعة أمام جبهة كل تشكيلة ·

و ـ المرونة :

يكون دفاع المدرعات مرنا · وتتميز هذه المرونة بالقابلية على تحريك القطعات بسرعة الى مواقع الاغلاق البديلة ، وعلى الهجوم المضاد فى جميع الاتجاهات ، وعلى توجيه النيران المركزة المحشدة لمقابلة أي هجوم قد يقع · توضع المخططات لمواجهة جميع الاحتمالات القابلة للحدوث ، على أن لا تكون هذه المخططات جامدة ، وأن يقوم القائد باجراء التعديل عليها كلما دعت الحاجة ، وذلك بقصد الاستفادة القصوى من كل سانحة طارئة ·

الفصل الحادي والثلاثون

المدافعة الحركية

١ ـ دور محطات المراقبة

في المدافعة الحركية ، تُعتبر المعلومات الواردة من العناصر المتقدمة على أعظم ما يكون أهمية وتأثيرا على النجاح في تحقيق المهمة . ولهذا يجب أن تكون محطات الرقابة ، ومحطات التنصت أثناء الليل ، مجهزة بما يلزم من أدوات وتجهيزات ، وان تعمل بصورة منتجة فعالة . ويجب ان يظل ماثلا في المخيلة ، ان القائد يتخذ قراره بتوريط احتياطه ، بناء على المعلومات التي يتلقاها من هذه المحطات .

٢ ـ دور المراكز القوية

تقوم المراكز القوية ، (او النقاط القوية) بالواجبات التالية :

- تبطئة هجوم العدو وتقنينه ، أي حصر تقدمه في مسالك معينة ،
- اجبار العدو على الانتشار ،
- ايقاف الهجوم المعادي اذا أمكن .

تتألف حاميات المراكز القوية من تشكيلات من مختلف الأسلحة ، على نسب مختلفة تعلو فيها نسبة المشاة المدرعة . وتكون الدبابات من جملة هذه الأسلحة ، وتقوم بتوفير الاسناد القريب ، والنيران البعيدة ، والقوة اللازمة لتبطيئى هجوم العدو المدرع . وعلى القائد ان يحقق بارادته واستطاعته تقوية مراكزه القوية اذا اقتضى الموقف ذلك .

تكون المراكز القوية مرنة في التنظيم والتحكيم والاشغال والمقاتلة . ولما كانت هذه المراكز خفيفة الاشغال غالبا ، لذا فهي معرضة لأن تُطوق وتُعزل ، مما يفرض على حاميتها حالة دائبة من الحذر واليقظة

المستمرة ، ويفرض كذلك اعداد خطة دفاع تستطيع معالجة مثل هذا الاحتمال حال حدوثه ٠

٣ ـ الاحتياط فى المدافعة الحركية

العمل الرئيسي فى المدافعة الحركية هو الهجوم المضاد بواسطة احتياط قوي فعال ٠ يُوزع القائد قواته ما بين الاحتياط والمراكز القوية ، بناء على اعتبارات الأرض ووضع العدو واستطاعاته ، والمهمة ٠ ومن الأفضل ان توضع فى المراكز القوية تشكيلات بكامل أعدادها . ولا يجوز للمركز ان يشكل احتياطا لنفسه الا باذن من القائد الذي يرتبط به ٠ وعلى هذا القائد ان ينظم من بقية قواته ، غير المكلفة بواجبات معينة ، احتياطا كبيرا قويا ، يحتفظ به متأهبا لعمليات الهجوم المضاد ٠

٤ ـ تنظيم الأرض فى المدافعة الحركية

ليس لتنظيم الأرض ، فى المدافعة الحركية ، ما لهذا التنظيم فى الدفاع الثابت ، ومن اعتبار وقوة ٠ ففي محطات المراقبة ، يقتصر تنظيم الأرض على تأمين الحماية من المباغتة الأرضية والجوية ، وعلى توفير الاستطاعة القصوى على القيام بالمراقبة واستمرار المواصلات بسهولة ٠ أما المراكز القوية فهي وحدها التي تتطلب نوعا من التوسع فى التنظيم ٠ وهذا التنظيم هو عبارة عن تحسين مجالات الرمي للأسلحة ، واعداد أماكن قوية موقتة للأشخاص والسلاح ٠ ويجب ان يمتنع عن اقامة كل ما قد يعيق الحركة والمناورة فى وجه التشكيلات التي تشغل المراكز القوية ، وفى وجه حركات الاحتياط ٠ ولكنه يجوز اقامة الحواجز وحقول الألغام التي من شأنها ان تتجه بالهجوم المعادي نحو أماكن ومسالك متوخاة معينة ٠ ولا يتطلب الاحتياط تنظيم الأرض الا قليلا ، وأكثر ما يطلبه هذا التنظيم هو تحسين المسالك المعدة لمرور الهجوم المضاد ، والاختفاء عن أنظار العدو البرية والجوية ٠

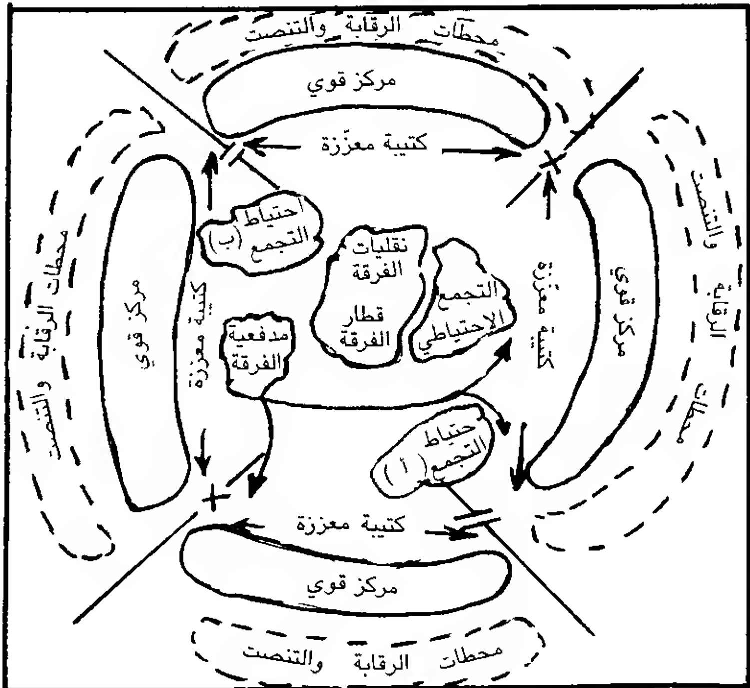
٥ ـ الأمن فى المدافعة الحركية

يقوم الأمن فى المدافعة الحركية ، على أساس مراقبة العدو وتأويل حركاته ٠ ويتم ذلك بواسطة محطات الرقابة والتنصُت الأمامية الكثيرة

المتعددة ، بالاضافة الى جهاز كامل من وسائل المخابرة لدى الفرقة المدرعة • وفوق ذلك ، فان استعمال طائرات الارتباط والاستطلاع ، والمعلومات التي ترد من المقرات العليا ، كل هذا يساهم فى عملية الأمن ويقوي من فاعلية جهاز الانذار عند موضع المدافعة • ويجب أن يكون هنالك استمرار فى قيام الارتباط مع الجوار ، وفى سهر كل وحدة على تحقيق أمنها المباشر بوسائطها الخاصة •

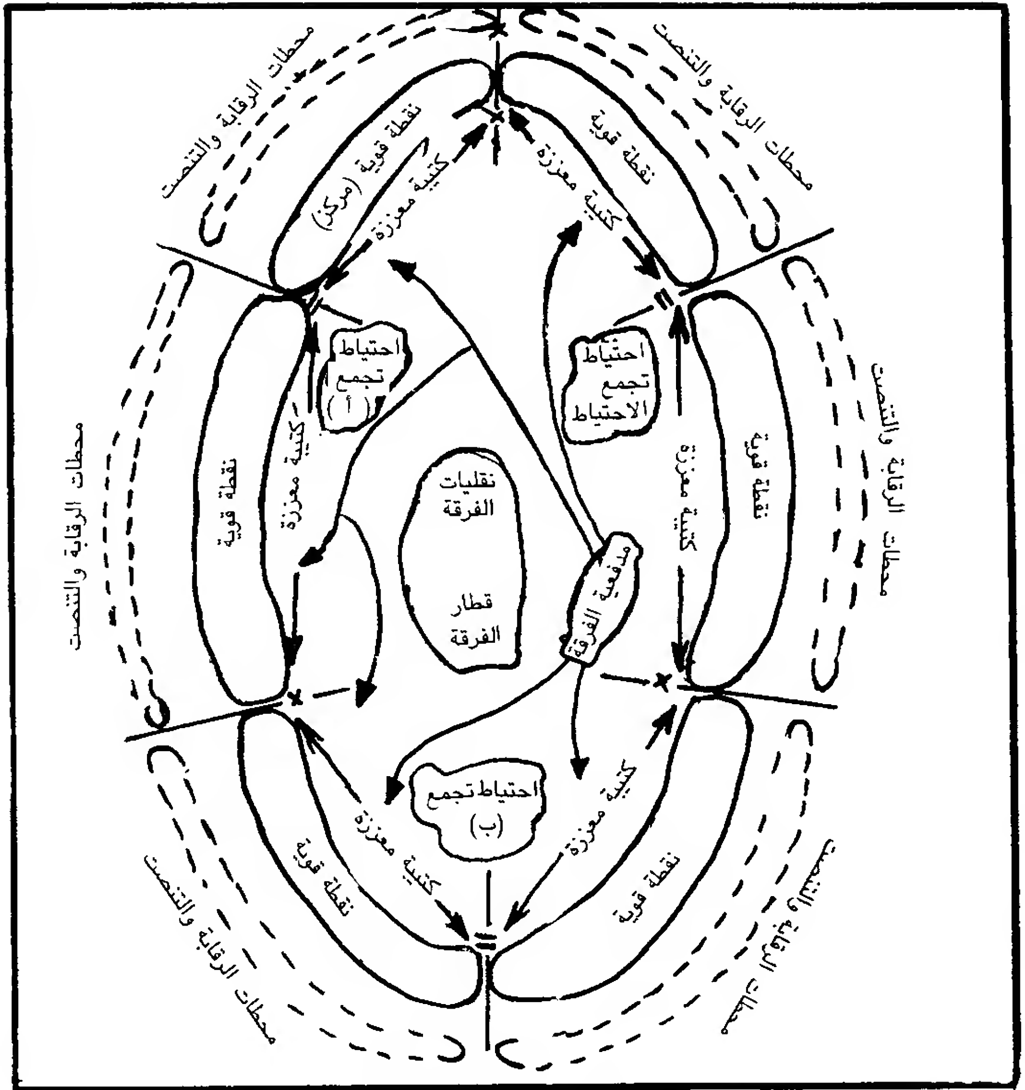
٦ ـ تنظيم منطقة للمدافعة الحركية

تتعرض الفرقة المدرعة ، أثنا ءالاستغلال أو الاختراق أو المطاردة ، الى حالات قد تضطرها الى الوقوف على المدافعة ، بعيدا عن اسناد القوات اللاحقة ، والى الاحتفاظ بالهدف أو الأرض التي بلغتها حتى وصول قوات أخرى • فى مثل هذه الحالات ، تلجأ الفرقة الى المدافعة الحركية ، وتنظم الدفاع لهذا الغرض على طول محيط الأرض المحتلة •



الشكل رقم (٦٢)

المدافعة الحركية ـ قطاعان من تجمعين قتاليين ـ لكل تجمع قتالي احتياطه ، بينما يشكل التجمع الاحتياط احتياط الفرقة



الشكل رقم (٦٣)

لكل من التجمعين القتاليين وتجمع الاحتياط قطاع خاص به ·

لا يوجد احتياط للفرقة · يستطيع قائد الفرقــة ، عند الضرورة ، استعمال احتياط أحد التجمعات أو احتياط جميع التجمعات القتالية ·

٧ ـ الهجوم المضاد في المدافعة الحركية

مفتاح النجاح ، في المدافعة الحركية ، هو الهجوم المضاد الذي يقوم به الاحتياط • ويُعد هذا الهجوم ، ويجري كما يلي :

أ ـ التخطيط

بعد أن يجري استطلاع كامل متقن للأرض ، وبعد دراسة وتأويل جميع المعلومات المتوفرة عن العدو ، يُصار بعد ذلك كله الى وضع خطط الهجوم المضاد المعد لمواجهة كل حالة طارئة • هذا التخطيط المسبق ، ضروري لضمان مضيٍّ الحد الأدنى من الوقت ، بين قرار الشروع بالهجوم المضاد ، وبين اجتياز خط الانطلاق •

ولكي يتحقق التنسيق بين مختلف العناصر القائمة بهذا الهجوم بصورة صحيحة ، يجب ان تأتي الخطط بوضوح ودقة على تفاصيل مخططات النيران ، وقواعد الهجوم ، ومناطق العمل أو اتجاهات الهجوم ، وأن يجري استطلاع لقواعد انطلاق الهجوم • ولدى تعيين المسالك والممرات لتشكيلات الهجوم المضاد ، يجب ان يتوجه الاهتمام الى التغطية ، وذلك لغرض الزيادة في عامل المفاجأة عند شن الهجوم المضاد • وتحوي الخطط على المعلومات المتوفرة عن العدو عند بدء الشروع بالهجوم • كما ويجب ان توزع هذه الخطط على جميع المراتب والمستويات على وقت ، حتى يتسنى للجميع دراستها بدقة وروية وكلية ، وحتى يتمكن كل مسئول من القيام باستطلاعاته اللازمة • هذا ويجب ان توضع الأوامر والمعلومات في أوجز الجمل وأدق العبارات ، وأن لا تتعدى كلماتها حدود ثلاث وريقات من الحجم الصغير •

ب ـ انطلاق الهجوم

يُشن الهجوم المضاد بجميع القوى المتوفرة ، وذلك حالما تتأمن للقائد صورة واضحة كافية عن الموقف • الا انه يندر أن تتوفر المعلومات الكاملة الصحيحة ، عن الموقف ، في الوقت

المنشود لشن الهجوم المضاد • ولذلك فانه يتوجب على القائد أن يكون مستعدا دومـا لتقبل المجازفـة المدروسـة وركوب أخطارها عند استعمالـه لاحتياطه الكلي ، وذلـك سعيا الى اصابة العدو بضربة حاسمة •

ج ـ جريان الهجوم

يشن الهجوم المضاد ضد هدف واضح معين ، دون أن يكون هذا الهجوم محدودا بالمنطقة المدافع عنها • القاعدة العامة . هي ان يظل الهجوم المضاد ضمن مدى فعالية المدفعية الساندة • لكن اذا سمح الوقت والموقف ، فبالاستطاعة تحريك المدفعية الى مواضع قد جرى اعدادها مسبقا كمواقع اضافية متقدمة . الأمر الذي يسمح بتطويل مدى المدافع وتعظيم المجال هكذا للهجوم المضاد •

المدفعية القويـة ، وتغطية تحركـات الاحتياط بصورة جيدة ، هما بمثابـة قاعـدة النار للهجوم المضـاد • ويجري توريط الاحتياط ككل ، تبعا لمخططات قـد سبق تحضيرها . لكن مخططات قابلـة لأن تُعدل ، فى كـل لحظة ، حتى يمكن تدارك كـل طارئـة بصورة ملائمة فعالـة • وعلى الهجوم المضاد ، كلما أمكن ، ان ينطلق قبـل ان يتسى للعدو بلوغ الزخمية الكاملة فى هجومه • وهكذا ، واذا أشارت المعلومات الى قيام العدو بالتجمع بقصد الهجوم ، واذا كانت الشروط ملائمة ، فيجب أن يُشـن الهجوم المضاد لضرب العدو وهـو بعد عند قاعدة انطلاقه • وان تحديد مـدى الهجوم المضاد ، لا يمنع هذا الهجوم منتحري كل فرصة ممكنة لتدمير احتياط العدو ، وتـدمير أسلحته السانـدة ، ومطاردة تشكيلاتـه وفلوله ، والمثابرة على ذلك الى أن يتم تدميره كامـلا • بيد ان واجبات كهذه ، لا يبدأ فى تنفيذها ، الا بعد اعلام قائـد الدفاع وموافقته • وهي واجبات تبنى عـادة على مجازفـة مدروسة •

فى حالة هجوم مضاد ضمن منطقة الدفـاع ، يكون هـدف

الهجوم سد الطريق امام استمرار التوغل المعادي ، واغلاق الثغرة التي فتحها هذا التوغل ، وذلك لايقاف حركة العدو وتكاثره ، ومن ثم تدميره على الأرض التي يحتلها ٠

يجري تعيين اتجاه الهجوم المضاد، بحيث تستعمل الأرض الأفضل لجريانه ٠ والنقطة التي يجب على الهجوم المضاد أن يضرب العدو عندها بمنتهى الشدة والصدمة ، هذه النقطة يقتضي أن تكون أحسن النقاط ملاءمة لتلك الغاية ، دون اعتبار لمدى البعد عن قاعدة الانطلاق ٠ والأفضل ، كلما سمحت الأرض ، أن يكون اتجاه الهجوم خطا مستقيما ، وأن يبتعد عن المناورات العويصة ٠

ومن الصعب عادة ، اذا لم نقل من المستحيل ، معرفة المكان الصحيح للعدو بصورة مسبقة ، وكذلك معرفة مكان التشكيلات الصديقة التي تكون على تماس معه ٠ ولهذا وجب أن يكون الاحتياط مرنا ، ليستطيع التكيف السريع مع التعديلات الطارئة على خطط الهجوم المضاد ، وذلك حتى يصير بالامكان مواجهة الظروف التي يمكن توقعها قبل حدوثها ٠

ان المفاجأة ، والجسارة ، والسرعة ، والضراوة هي العوامل الرئيسية فى انجاح كل هجوم مضاد ، هذا الهجوم الذي يجب أن يكون مدعوما بالحد الأقصى من حشد النيران المدفعية ونيران التشكيلات الصديقة الموجودة على تماس مع العدو ٠ ويجب أن لا ننسى أبدا أن توريط الاحتياط بالجزئيات ، أي بالاستعمال جزءا بعد جزء ، هو اجراء فاسد، وتصرف ضار يجب تحاشيه ٠

الفصل الثاني والثلاثون

المدافعة المكانية

١ ـ التنظيم للقتال

أ ـ فى المدافعة المكانيـة (١) ، يقوم قائد الفرقـة المدرعـة بدراسة طبيعة الأرض الواجب الدفاع عنها ، ثم يوزع الدبابات والمشاة المدرعة ما بين تجمعاته القتالية ، وبالنسبـة التي يراهـا أحسن ملاءمة لتنفيذ المهمة ٠

والعادة الغالبة ، هي أن تحتل المشاة المدرعة العائدة للفرقة موضع القتال الرئيسي ، معززة بشيء من الدبـابات ، بينمـا ُيحتفظ ببقية الدبابات ، أي بالقسم الأعظم منها ، الى الوراء كاحتياط للهجوم المضاد٠ ويتنظم كل تجمع قتالي فى كتائب معززة ، وكل كتيبة معززة تكلف أما بالمدافعة عن قطاع معين ، أو توضع فى الاحتياط العام ٠ ويكون هـذا الاحتياط قويا بالدبابات ٠

ب ـ يجوز الحاق عناصر من الهنادسة المدرعة بالتجمعات القتالية ، كما ويجوز أن تبقى هذه العناصر جميعها تحت سيطرة كتيبة الهندسة المدرعة ، مع قيامها بدعم التجمعات القتالية عند الطلب ٠ أما الأساس، أو الميزان فى الاختيار مـا بين الالحـاق أو الدعم ، فهو ليـاقة المقرات المختصة ، أي هنا لياقة كتيبة الهندسة المدرعة ، وقدرتها على السيطرة وعلى توجيه وتشغيل عناصرها ٠ والهنادسة المفرزون الى التجمعـات القتالية يظلون عادة تحت اشراف وسيطرة التجمع القتالي،ولا يلتحقون أو يوزعون على الكتائب المعززة ٠

ج ـ فى المدافعة المكانية ، وبصورة غالبة ، تستطيع مقرات المدفعية،

---

(١) بمعنى الثابتة او الساكنة في ارضها

فى الفرقة المدرعة ، أن تجري وتوجه وتسيطر على نيران جميع مدافعها • ويجوز افراز بعض مدفعية الميدان الخفيفة ، كتيبة واحدة أو أكثر ، للعمل بالدعم المباشر مع كل تجمع قتالي • مثل هذا التدبير يوفر حدا أقصى من المرونة فى نقل النيران وحشدها لمواجهة كل خطر طارىء ، ومن كل جهة •

أما بخصوص كتيبة المدفعية المضادة للجو ، فانها تبقى عادة تحت السيطرة المركزية لمدفعية الفرقة ، وذلك لتنسيق الدفاع المضاد للجو ، ولمنع طيران العدو من القيام باستطلاعات وهجمات جوية منخفضة على مواقع المدافعة • ومن واجب هذه الكتيبة ، علاوة على ما ذكر ، أن تؤمن حماية الاحتياط من المهاجمات الجوية ، وكذلك حماية مدفعية الميدان ومنشئات الفرقة الحساسة •

د ـ كتيبة الاستطلاع :

تستعمل كتيبة الاستطلاع أما ككل ، وأما بالسرايا المفرزة الى التجمعات القتالية ، وذلك لواجبات الأمن أمام موضع القتال الرئيسي، عندما يكون هنالك مجال لاستخدامها ما بين هذا الموضع وبين الحد الذي بلغته عناصر العدو • وقد يجري تعزيز كتيبة الاستطلاع بدبابات متوسطة أو ثقيلة ، وبالمشاة المدرعة والمدفعية والهنادسة ، وذلك لمساعدتها على القيام بمهامها كقوة متقدمة للتغطية •

يجوز ، فى الظروف والحالات الحرجة،أن تستخدم كتيبة الاستطلاع على خطوط المدافعة نفسها ، فيعهد اليها بقطاع من أرض المعركة ، وذلك طلبا للاقتصاد فى القوى الأخرى • ويجوز أن تقوم هذه الكتيبة بواجبات أمن وارتباط ، بالاضافة الى واجبات الاستطلاع • كما ويجوز أن تدخل فى عداد الاحتياط • تقوم كتيبة الاستطلاع بهذه الواجبات ككل ، أو موزعة بالسرايا ، تحت سيطرة الفرقة ، أو تحت سيطرة التجمع القتالي الذي تعمل الكتيبة أو سراياها لصالحه •

هـ ـ المصالح : ـ

وبالنظر الى قرب القطعات فى المدافعة بعضها من بعض ، فان مصالح الخدمة فى الفرقة تستطيع أن تقوم بوظائفها تحت سيطرة الفرقة المركزية ، وذلك بالتفضيل على الحاقها بالتجمعات القتالية ، أو وضعها

تحت سيطرة مقرات أخرى خارج الفرقة ٠

٢ ـ استطلاع الموضع واختياره ٠

أ ـ اذا صدر أمر الدفاع عن مقر الفيلق ، فهذا الأمر يحدد ، عادة ، الخطوط الخارجية لموضع المقاتلة ، وكذلك النقاط والتخوم لحدود القطاع المعين للفرقة المدرعة ٠ وفى نطاق هذا الأمر الصادر عن السلطة العليا ، يكون لقائد الفرقة المدرعة بعض الحرية فى اختيار موضع المقاتلة الرئيسي ٠ أما عندما تكون الفرقة عاملة بمفردها ، فلقائدها حالئذ مطلق الحرية فى اختيار مواضعه ٠

ب ـ يجري اختيار موضع المدافعة بناء على نتائج دراسة الأرض ، وخصائص العدو واستطلاعاته المعروفة ، والواجب الملقى على عاتق المدافعة ، والمدة المحتمل للفرقة أو للتجمع القتالي أن يظل فيها على الدفاع ٠ وعند دراسة خصائص العدو واستطلاعاته ، ينصب الاهتمام بوجه خاص على قوته العددية ونوع تسليحه ، وعلى مواقعه والميادين التي هي أكثر احتمالا لتكون مجالا لعمله ٠

تُعطي نتائج دراسة الأرض معلومات عن الطرق والمسالك لتقرب العدو ، وعن الأرض الصالحة لمراقبته ، وعن الممرات الأصلح والأفضل لجريان هجومه ٠ وهي تبين أيضا مناطق تجمع العدو المحتملة ، وأحسن الأراضي لحركات مدرعاته ، وأصلح المناطق لهجومه الرئيسي ٠

يجري اختيار موضع القتال الدفاعي الرئيسي حيث يمكن استخدام السلاح والمعدات على أحسن ما يكون ٠ وأهم النقاط والأماكن الأرضية ، فى مضمار الدفاع ، هي المراصد الملائمة للمدفعية ، وميادين الرمي الجيدة الصالحة لرمي أسلحة الرمي المباشر حتى المدى الأقصى ، والأراضي الساترة من المراقبة المعادية ، وتلك الصالحة لاستعمال الدبابات فى الهجوم المضاد ٠

٣ ـ تنظيم الأرض للمدافعة المكانية

أ ـ بعد أن يتم اختيار الموضع الرئيسي للمعركة ، يضع قائد الفرقة خطة الدفاع ، ويقسم قطاعه الى قطاعات فرعية ، ثم يعهد بكل قطاع فرعي الى تجمع قتالي ٠

ب ـ على قائد الفرقة أن يتوصل الى هذه القرارات بسرعة ، وأن

يبلغها الى مرؤوسيه بسرعة كذلك ، حتى يتسنى لهؤلاء الوقت الكافي لاعداد مواضعهم ·

ج ـ تعين قطاعات المسئولية الى العناصر المرؤوسة ، وتُحدد بحيث تكون كل طريق محتملة لتقدم العدو ، وكذلك معالم الأرض البارزة المسيطرة على هذا الطريق ، من ضمن الواجب الملقى على عنصر دفاع معين لوحده · والغاية من مثل هذا التصرف هي الوحدة المركزية فى قيادة الدفاع عن المراكز والأماكن الخطيرة · وتُعين التخوم بين القطاعات بصورة لا تسمح بقيام اختلاف على مسئولية · وتمتد هذه التخوم ، الى الأمام من الموضع الرئيسي للمعركة ، حتى نهاية المرمى لأطول الأسلحة مدى . الأسلحة التي تكون معدة لتلبية مطالب الاسناد ، أو حتى حدود المراقبة ، أي الى أبعد مما تقدم · ويجب أن تمتد هذه التخوم أيضا بعيدا الى الوراء ، وذلك لتعيين الطرق المخصصة لمصلحة التشكيلات اللاحقة ·

د ـ التجمع القتالي ، المكلف بالمدافعة عن قطاع خاص به فى الجبهة ، يقسم قطاعه هذا الى قطاعات فرعية ، ثم يعهد بكل قطاع فرعي الى كتائبه المعززة ، متقيدا بدوره بالمباديء الواردة أعلاه ·

هـ ـ يجري تحسين وتعظيم المزايا والقابلية الدفاعية للأرض الى الحد الأقصى الممكن ، وذلك بواسطة الأشخاص ، والمواد ، والوقت المتوفر · يكون هذا العمل بوضع الألغام والأسلاك ، واقامة الحواجز ، وتنظيم محطات القيادة والمراقبة والملاجيء للمحاربين ، وانشاء مواضع الرمي للأسلحة ، والمواضع البديلة ، والأماكن الكاذبة والدمى ، وتحسين التمويه وميادين النار ومراصد المراقبة ، وحماية طرق التموين ·

و ـ وعندما تسمح المسافة القائمة ما بين العدو وبين الموضع الدفاعي المختار ، تعمد الفرقة الى استعمال بعض عناصرها لغرض اقامة منظومة من المحطات الأمامية · كما ويمكن للتجمعات القتالية أن تقيم مثل هذه المحطات ·

٤ ـ تنظيم النيران فى المدافعة المكانية

أ ـ ابتداء من مستوى الكتيبة المعززة ، ومنها الى التجمع القتالي فالفرقة ، تقوم كل تشكيلة مقاتلة ، متمركزة فى قطاع من الموضع الدفاعي ، بوضع خطة للنيران ، مستعملة جميع الأسلحة المتوفرة لديها

لغرض تغطية الأرض أمام جبهتها بالنار • وفى هذه الخطة ، تعطى الأهمية القصوى لمسالك التقرب المحتمل أن يستعملها العدو ، كما ويوجه الاهتمام الى نيران المجانبة ما بين الوحدات المتلاصقة المتجاورة•

ويجري تنظيم نيران الدعم المباشر من المدفعية بواسطة ضباط الارتباط المدفعيين • يهدف هذا التنظيم الى ايصال النيران المدفعية الى المناطق التي لا تستطيع نيران بقية الأسلحة تغطيتها بصورة ملائمة، والى تقوية وتعظيم الطاقة النارية عند المحلات الخطرة • تقوم مدفعية الفرقة بتحضير خطط نار مفصلة ، خطط يجري تنسيقها ضمن الفرقة بكاملها ومع مدفعية الفيلق •

تستعمل المدفعية لوضع العدو تحت النيران ابتداء من مرمى المدفعية الأقصى ، وتستمر على الرمي بحجم متزايد وفاعلية أعظم ، تصاعديا مع تقدم العدو نحو موضع المعركة • وتقوم المدفعية ، علاوة على ما تقدم ، باطلاق قذائفها لغاية ضعضعة هجمات العدو ، أو لايقاف هذه الهجمات بعد أن تبلغ موضع المعركة • وعلى المدفعية ، أيضا ، أن تسند الهجمات المعاكسة التي تنطلق من الموضع الى ملاقاة العدو ،سواء كان ذلك على جبهة موضع المعركة ، أم داخل هذا الموضع •

ب ــ مكان المدفعية ، فى موضع المعركة ، يجب أن يؤهلها للقيام بالنيران البعيدة المدى ، ونيران الاسناد القريبة ، والنيران داخل موضع المعركة • ويجب أن تتمركز المدفعية بعيدا جدا الى الوراء ، فيما اذا أرادت حشد نيرانها على جبهة واسعة ، وذلك لغرض الاسناد القريب لموضع المعركة • أما اذا أرادت المدفعية أن يكون باستطاعتها صب النيران على مدى الرمي الأقصى ، فيقتضي حينئذ أن يكون تمركزها فى مناطق متقدمة جدا • ولتأمين الاستطاعة على القيام بهذين النوعين من النيران ، يصار الى توزيع المدفعية عمقا ، بالكتيبة وضمن الكتيبة على السواء • ويجب أن تعيَّن مواضع المدفعية بحيث لا تكون حاجة الى تغيير هذه المواضع ، فى حال نجاح العدو باختراق جبهة المعركة •

ج ــ يستعمل طيران القتال لاكتساب السيطرة الجوية فى سماء المعركة والاحتفاظ بهذه السيطرة ، وللحيلولة دون حرية الحركة لاحتياط العدو وامداداته وتموينه وكل تصرفاته فى سبيل دعم هجومه•

ويقوم هذا الطيران ، فوق ذلك ، بالتحليق فى مهام دعم واسناد لقوات المدافعة ، بناء على الطلب ، وضد استعدادات العدو من حيث وضع مدفعيته واحتياطه فى الأماكن المخصصة لها بقصد الهجوم ·

٥ ـ الحيطة فى المدافعة المكانية

أ ـ الحيطة فى الدفاع مستمرة متواصلة ، وعامة لجميع الجهات ، وذلك لمنع العدو من النجاح بالمفاجأة · تتأمن الحيطة على الجبهة بواسطة استعمال قوات أمن تكون واجباتها اعاقة ، ومضايقة ، وضعضعة ، وتضليل العدو · يمكن أن يدخل فى تأليف قوات الأمن هذه قوات تغطية يرسلها الفيلق ، ومنظومة عامة من المحطات الأمامية التابعة للفرقة ، وكذلك محطات قتال أمامية متقدمة تعود الى التجمعات القتالية الموجودة على الجبهة الأمامية · تكون قوات التغطية عظيمة الحركية ، ومدعومة بالمدفعية · وعندما تكون المسافة الفاصلة بين الطرفين المتخاصمين صغيرة جدا بحيث لا تسمح باستعمال قوات الأمن ، تقوم حالئذ القوات الموجودة على موضع المعركة نفسها بتأمين أمنها على جبهاتها ، وذلك باستعمال جهاز كامل من الحيطة الموضعية الكاملة القريبة ، ومحطات الرقابة ، والدوريات المتنقلة ، والغارات ·

ب ـ تتأمن الحيطة الجانبية باقامة محطات تماس مع العناصر المجاورة · وتقوم المقرات العليا بتعيين نقاط المتاخمة على الحدود الفاصلة بين تشكيلتين ، النقاط التي تقوم فيها محطات التماس · واذا لم تتعين نقاط المتاخمة هذه من قبل القيادة العليا ، فعلى التشكيلتين المتجاورتين تعيين هذه النقاط بالاتفاق · واذا حدث أو ظهر لتشكيلة ما جانب مكشوف ، فعلى هذه التشكيلة أن تضمن أمن هذا الجانب باستعمال ترتيبات الاستطلاع والحيطة ، بقصد المراقبة ، والاعلام ، والاعاقة ، وعرقلة كل جهد للعدو من ذلك الاتجاه ·

ج ـ تتأمن الحيطة ضد الجو ، سلبيا بواسطة الانتشار والتمويه والتحكيم ، وايجابيا باستعمال الأسلحة المضادة للجو ·

د ـ تتحقق سلامة موضع المعركة بالامتداد عمقا ، وبتوفير احتياط يكون باستطاعته أن يتحرك بسرعة وباتجاه أي مكان من موضع المعركة، وذلك عند القيام بالهجوم المضاد ·

هـ ــ أما التدابير الاضافية للأمن والسلامة ، فتكون باستعمال طائرات الارتباط العائدة الى الفرقة ، وذلك لواجبات المراقبة على الجبهة والمجنبات ، وباستعمال طائرات القتال لتطويل مدى هذه المراقبة بعيدا أمام جبهة المدافعة ٠

٦ ــ جريان المدافعة المكانية

تهدف المدافعة المكانية الى الحفاظ على سلامة موضع المعركة الدفاعي ، وذلك بتنظيمه وتحكيمه والتمسك به ٠ وتُستعمل قوات الحيطة لاعاقة تقدم العدو وضعضعته ، ولخديعته بخصوص المكان الصحيح لموضع المعركة ٠ وعندما تضطر هذه القوات الى التراجع تحت ضغط العدو ، فانها تُعطى عندئذ مهمات أخرى ٠ وتقوم التشكيلات الموجودة على موضع المعركة بتنظيم « مراكز قوية » خاصة على طول الدفاع ٠ الغاية من هذه المراكز ايقاف العدو عند حد معين أمام جبهة الموضع ، والحيلولة دون اختراقه للوضع الرئيسي للمدافعة ٠

تقف المراكز الدفاعية ، التي تؤلف خط المقاومة الرئيسي ، فى وجه هجوم العدو ، بواسطة نيران جميع أسلحتها ، وكذلك بنيران الاسناد من قبل المدفعية التابعة للفرقة ٠ واذا نجح العدو فى تحقيق اختراق ما فى جبهة الدفاع ، سواء بالتغلب على مركز دفاع منظم واحتلاله ، أو بتجاوز هذا المركز ، فيجب حالئذ أن يُسارع الى سد الطريق فى وجه تقدمه من قبل مراكز دفاعية أخرى ، أو بواسطة احدى التشكيلات المعينة خصيصا لهذا الغرض ٠ وبعد النجاح فى ايقاف تقدم العدو ، يصار حالئذ وفورا الى تصفية الاختراق بهجوم مضاد من قبل الاحتياط، هجوم يرمي الى عزل القوات العدوة المخترقة ، ومن ثم تدميرها ٠

٧ ــ الهجوم المضاد فى المدافعة المكانية

أ ــ فى المدافعة المكانية ، يصمم الهجوم المضاد ويجري تنفيذه على أساس المبادىء المستعملة للهجوم المضاد فى المدافعة الحركية ٠ ان الصفة الأساسية للمقاتلة الدفاعية هي الضراوة ٠ والكر المعاكس هو أبرز مظاهر المقاتلة الضارية ، ولذا فالهجوم المضاد عامل حاسم فى نجاح كل مقاتلة دفاعية ٠

ب ــ وبما أن موضع المعركة فى المدافعة المكانية يكون ممسوكا بقوة،

فان خطط الهجوم المضاد يجب أن تحتوي على تعاليم مفصلة تؤول الى ايقاف واحتواء الاختراق المعادي عند الفترة التي تسبق انطلاق الهجوم المضاد • يجب أن تشير هذه الخطط الى الاسنادات والاحتياطات فى المراتب الدنيا (سرايا ، كتيبة ، تجمع قتالي) التي تكلف ، مبدئيا ، بواجب احتواء الاختراق المعادي قبل أن يشترك أي جزء منها فى الهجوم المضاد • وكنتيجة لذلك ، فان احتياط واسناد المراتب الدنيا يعمل عادة كقوات احتواء وايقاف ، فى حين يقوم احتياط الفرقة بتنفيذ الهجوم المضاد ، هذا الهجوم الذي عليه الاعتماد فى تدمير العدو المخترق وازالة الثغرة الحاصلة •

ج ـ أن تسيير الهجوم المضاد، وجريانه مطابق للجريان والتسيير فى المدافعة الحركية • والفارق الوحيد هو أن الهجوم المعاكس ، فى المدافعة المكانية ، يجري عادة داخل حدود المعركة الدفاعية •

الفصل الثالث والثلاثون

الحركات التراجعية

١ ـ عموميات

أ ـ التراجع هو الحركة ، بناء على أمر ، باتجاه الوراء • أو هو فقط تراجع بعيدا عن العدو • وقد تحدث هذه الحركة بضغط العدو ، أو قد تجري بصورة ارادية اختيارية • وهي تقهقر اذا جرت بالاكراه، وانسحاب أو تراجع أو اعاقة ، اذا هي كانت حركة اختيارية • ولكل من هذه التسميات مزايا العمل الدفاعي ، وكل منها تقوم على الحركة الى الوراء ، أي على الحركة المبتعدة عن العدو ،وكلها تسعى الى اكتساب الوقت على أساس التضحية بالأرض •

ب ـ كل حركة تراجعية ، هادفة الى فك التماس مع العدو ، تبدأ بالانسحاب ، أي بالخروج من القتال • ومثل هذا الانسحاب يتطلب خطة جيدة التحديد والوضوح ، ويجري تنفيذه تحت السيطرة المباشرة القريبة والاشراف من قبل جميع القادة •

تزيد مدرعات العدو ، وطيرانه ، من صعوبات الحركة التراجعية • وتُغطى الحركة التراجعية الناجحة ، عادة ، بقوة متحركة لأجل الحماية والأمن ، قوة توجه اهتماما خاصا لأمن الجوانب وسلامتها ، لكي تحول دون التفاف العدو عليها • ومن المستحسن تنظيم واشغال مواضع خلفية قبل الشروع بحركة التراجع •

٢ ـ الغرض من الحركات التراجعية

تجري الحركات التراجعية لغرض تحقيق مطلب واحد أو أكثر من المطالب التالية :

ـ الانفكاك من المعركة ،

ـ تجنب المعركة بسبب ظروف غير موافقة ،

ـ استجلاب العدو الى أرض غير ملائمة له ،
ـ اكتساب الوقت دون الاشتراك فى اشتباك حاسم ،
ـ المجاراة فى الحركة مع قوات أخرى ،
ـ السماح باستعمال قسم من القوى فى مكان آخر ·

٣ ـ أنواع الحركة التراجعية

أ ـ **الانسحاب** ، أو الخروج من القتال ، وهو حركة اختيارية تجري بواسطة عملية تستهدف الانفكاك من التماس مع العدو ·

ب ـ **التراجع** ، وهو حركة تراجعية إختيارية،تقوم كمحاولة لتجنب القتال فى ظروف الموقف الراهن ، ويكون ذلك بالمسير بعيدا عن العدو، لكن دون فقد التماس معه ·

ج ـ **الاعاقة** ، وهي حركة تراجعية اختيارية ، تجري كمحاولة لتأخير تقدم قوى معادية متفوقة · والتكتيكات المستعملة فى هذا المجال هي ، فى الأساس ، نفس تكيكات الدفاع ، مع فارق رئيسي واحد ، وهو أن الغرض الأساسي من عملية الاعاقة هو اكتساب الوقت ، مع وجوب تجنب الاقتتال فى اشتباك حاسم ·

د ـ **مزيج تراجعي** : عندما يتعلق الأمر بقوات كبيرة وعلى تماس مع العدو،فكل انسحاب يجب أن يبدأ بحركة الخروج من القتال· والعادة أن 'يغطى هذا الخروج،أو الانسحاب ، بقوة تغطية تقوم بقتال الاعاقة ، وذلك حتى يتسنى للكوكب تشكيل أرتال سيره ، والشروع بالحركة التراجعية ·

٤ ـ الخروج من المعركة ـ عموميات

أ ـ فى حركة للخروج من المعركة ، يظل التماس مع العدو قائما بواسطة قوة تغطية مؤلفة عادة من عناصر استطلاع ، ومن فريق مختلط من الأسلحة المختلفة ·

ب ـ تفاصيل التنفيذ ، للانسحاب من القتال ، تكون كما يلي :

١ ـ 'تعيّن التشكيلات ، الموجودة على تماس مع العدو ، قسما من قواتها للبقاء على التماس فى مواضعها ، ولتغطية حركات القسم الأعظم الباقي من كل تشكيلة · وقوات الأمن والحماية هذه ، المتروكة خلفا ، تتخذ من الاجراءات ما تراه

مناسبا وضروريا بقصد حمل العدو على الاقتناع بعدم جريان شيء غير اعتيادي على الجبهة المواجهة له • وقد تظل هـذه القوى الصغيرة على تماس مع العدو ، فتعوقه وتخدعه وذلك للحيلولة دون تدخله فى حركة القسم الأكبر من التشكيلة الأم (أو القوات) المنسحبة • وقد تنسحب قوات التغطية الصغيرة تلك من خلال قوة تغطية أكبر ، مؤلفة عادة من تشكيلة كاملة واحدة تقوم بتغطية حركات الفرقة أو اللواء •

٢ ــ يمكن الاحتفاظ بالسرية ، والتمتع بحرية العمل اذا جرى الانفكاك فى ستار الظلام ، أو فى الأحوال الجوية السيئة • وكلما كان القتال شديدا والتماس قريبا مع العدو ، كلما كان من الأحسن اجراء الانسحاب فى الليل •

٣ ــ وقد يجري الانسحاب فى ستار هجوم مضاد ، ويتم ذلك عندما تكون القوات الصديقة على تماس قريب جدا مع العدو ، أو تكون مشتبكة معه بشدة • فى مثل هذه الأحوال ، يجري الهجوم المضاد لغرض تحرير القوات المشتبكة والسماح لها بالشروع بالانسحاب •

٤ ــ يظل قسم من المدفعية الى الخلف من القوات المنسحبة ، وذلك لاسناد قوة التغطية ، ولحمل العدو على الظن بأن العدد الاجمالي لبطاريات المدفعية لا يزال كما كان قبل بدء الانسحاب •

٥ ــ تبقى شبكة المواصلات اللاسلكية على نظام عملها السابق دون تغيير •

٦ ــ يبدأ الانسحاب بمصالح القيادة والتموين ، وبالتشكيلات غير المتماسة مع العدو •

٧ ــ يوجه اهتمام خاص الى حركة السير أثناء الانسحاب •

٨ ــ تعمل قوة التغطية تحت سيطرة آمر واحد • ويجب أن يوضع تحت تصرف هذا القائد وسائط مواصلات ملائمة لتمكينه من السيطرة على العملية طيلة جريانها • هذا المطلب واجب التلبية سواء كانت القوة المغطية مؤلفة من عناصر وتشكيلات صغيرة مختلفة ، أو كانت مكونة من تشكيلة واحدة بامرة آمرها الأصيل •

٩ ـ تعيين المكان الخلفي ، الذي تجتمع فيه القوى بعد انسحابها ، يصدر عن القائد الذي يقود عملية الانسحاب · ويجب أن يتم هذا التعيين مسبقا ، وعلى وقت ، وذلك حتى يصير بالامكان استطلاع المكان نفسه ، واستطلاع الطرق والمسالك المؤدية اليه ، ولكي يقوم الهنادسة من جهتهم بالاستطلاع واصلاح الطرق وتحديدها وتأشيرها ، وباقامة حقول الألغام،وحواجز الطرق وتنظيم عمليات الهدم اللازمة·

٥ ـ الانسحاب من القتال نهارا

أ ـ يجري الانسحاب النهاري عادة تحت رقابة العدو · ولهذا فمن الطبيعي أن يعين القائد مكانا ملائما ليكون موضع تغطية لقوات الخطوط الأولى المنسحبة · ويجري احتلال هذا الموضع عادة من قبل عناصر من الاحتياط ، وتكون مؤلفة رئيسيا من دبابات تسندها المشاة المدرعة · ويجب أن يتوفر لهذه التغطية اسناد كاف من المدفعية،كما وقد يكون ضروريا اسنادها أيضا بطيران القتال حتى يمكن للانسحاب أن يجري بصورة مثمرة ·

ب ـ ينسحب الكوكب (أي الجزء الأكبر) مبدئيا الى الخلف مباشرة · وكنتيجة لذلك ، فقد يكون من الضروري أن تقوم التشكيلات باعادة تنظيم نفسها بسرعة ، وذلك فور فك التماس مع العدو ، وقبل أن يتم الانسحاب الى الموضع الخلفي المعين ·

ج ـ يجب أن توضع خطط الانسحاب مفصلة،لكن بأسلوب مختصر وتعابير موجزة · ولا تعطى هذه الخطط كتابة الا الى القادة الذين ليسوا على تماس قريب مع العدو · ومن المستحسن أن يستغنى عن الأوامر الكتابية كلما أمكن ذلك · ولا مانع من استعمال اللاسلكي باللغة الصريحة كلما كانت فترة التنفيذ قصيرة فلا تسمح للعدو بتعطيل هذا التنفيذ قبل جريانه واتمامه ·

تحدد الفرقة قطاعات الانسحاب لتشكيلاتها الرئيسية

الموجودة على تماس مع العدو • وتقوم هذه التشكيلات الرئيسية بدورها فى تعيين الطرق ونظام الحركة والمسير لتشكيلاتها التابعة • وقد تضع بالانسحاب جدولا ترتيبيا وزمنيا ، وتفرض على الوحدات المرؤوسة التقيد به • ومن الواجب أن تقام نقاط مراقبة واشراف على سير الحركة عند النقاط الحرجة ، وذلك لغرض ضمان الحركة السلسة السريعة لكافة التشكيلات • وتستعمل جميع الطرق والمسالك المتوفرة فى شبكة المواصلات ، بقصد تقصير الوقت اللازم لبلوغ الموضع الجديد •

د ـ يمكن أن تستعمل كتيبة الاستطلاع لتأمين الحيطة والحماية على أحد جوانب الفرقة ، أو على جناح التجمع القتالي الذي يغطي انسحاب الفرقة •

هـ ـ توضع عناصر من الهندسة تحت تصرف القوة التي تقوم بتغطية الانسحاب ، وذلك لاقامة السدود والحواجز على الطرق ، ولزرع حقول الألغام والقيام بالتدميرات اللازمة ، وكل ذلك لغرض اعاقة حركة تقدم العدو قدر المستطاع • وقبل الشروع بالانسحاب ، يمكن للهندسة الملحقين بالتجمع القتالي أن يقوموا بتنفيذ جميع هذه الواجبات لصالح الفرقة بكاملها •

و ـ المدفعية المعينة لاسناد قوة التغطية ، تظل فى مكانها عند شروع الكوكب فى الانسحاب • وعليها أن تنظم تراجعها بتنسيق وانسجام مع تراجع قوة التغطية • كما وعلى هذه المدفعية أيضا أن تتوزع بالترتيب عمقا ، وذلك حتى تستطيع تقديم الاسناد المستمر أثناء عملية الانسحاب •

ز ـ يمكن أن تستعمل الدبابات الثقيلة فى قوة التغطية ، وذلك عندما يكون للعدو عدد كبير من الدبابات ، أو عندما تمكن الاستفادة الفعالة من الرمي البعيد المدى لمدافع هذه الدبابات • ويجب ، على كل حال، أن تغطى الدبابات الثقيلة بدبابات متوسطة ، وبالمشاة المدرعة •

ح ـ يجري تحريك القطارات (القوافل) الى أماكنها

التالية مبكرا • وكلما كـان التبكير فى ذلك أسبق كلما كان ذلك أفضل وأحسن •

٦ ـ الانسحاب من القتال ليلا

أ ـ يتوقف النجاح فى انسحاب ليلي ، قـبل كل شيء ، على النجاح فى تدابير التضليل والكتمان • يبدأ الانسحاب الليلي ، عادة ، مباشرة بعد حلول الظلام • وتتـألف قوة التغطيـة ، فى هذا الانسحاب ، من مفارز مأخوذة من نفس القوى الشاغلة للأرض مقابل العدو • ويجب على قوة التغطية هذه أن تتظاهر ، بصورة طبيعية ، بجميع مظاهر النشاط التي تظهر عادة فى موضع قتالي مشغول بحامية كاملة • تتألف مفارز التغطية هذه من عناصر حركية ، وخاصة من الدبابات المدعومة بالمشاة المدرعة • وقد تضـاف اليهـا عنـاصر من الهنـادسة بقصد المساعدة على تنفيذ التدميرات واعداد حقول الألغام ، وبناء السدود على الطرق والمسالك ، وكل ذلك لصالح هذه القوة ومساهمة فى تغطية الانسحاب على الوجـه الأكمل •

ب ـ يفرز قسم من المدفعية لدعم القوة المغطية • يتوزع هذا القسم المدفعي بالترتيب عمقا ، ويظل فى مواضعه لتأمين نار الاسناد المستـمر مع بدء الشروع بالانسحاب • وقد جرت العادة أن يزاد المعدل الناري لكل مدفع ، وذلك لغرض اعطاء الانطباع للعدو بأن مدفعيـة الاسـناد العادية لا تزال فى مواضعها •

ج ـ وقد يجري انسحاب تشكيلات خط الجبهة الأمامية على جبهـة عريضة • وعلى كل تجمع قتـالي أن يعين ، لوحداته التابعة ، منطقة تجمع فى الوراء ، حـيث تـقوم هذه الوحدات بـالتجمع المبدئي ، قبل الشروع بحركتها نحو الموضع التالي •

توضع خطة الانسحاب الليلي بدقة ، وتكون واضحة مفصلة، وجيدة التنسيق • وينصرف الاهتمام ، عند وضع الخطة ، الى تنظيم كل مـا يتعلق بأوقات الانسحاب ، والى الطرق المستعملة على كافة المستويات ، والى مناطق التجمع ، وسرعة الحركة ، وغير ذلك من تدابير الاشراف والسيطرة • ويجب أن يجري العمل بموجب هذه التدابير بضبط ودقة وآلية ، حتى تكون الحركة هادئة ناعمة سلسة ، طيلة ساعات الظلام •

٧ ـ التراجع

قد يحدث التراجع على أعقاب انسحاب من القتال ، أو عندما لا يكون هناك تماس مع العدو • وعندما يجري التراجع على أعقاب انسحاب ، فهو عندئذ لا يبدأ الا بعد أن تنفك قوات الكوكب عن التماس مع العدو ، وبعد أن يتم تنظيم أرتال المسير • ولا يسمح لأي كان بالتراجع من تلقاء ذاته ووفق ارادته ، بسبب حادث سيء موضعي . ولا بسبب خسارات قد لحقت بالتشكيلات المجاورة •

٨ ـ الأمن فى التراجع

يغطى التراجع بقوة تغطية ، وخاصة اذا جرى أثناء الليل • وعلاوة على ذلك ، واذا استمر التراجع فى النهار التالي ، فعلى القوة المتراجعة أن تحمي نفسها بمؤخرات ومجنبات ، وبدوريات ومراقبة جوية كذلك • ولا بد من تغطية جوية تؤمنها القوة الجوية الصديقة • ويغلق نظام الأمن هذا ، عادة ، بمقدمة تستطلع وتحمي على رأس المسير •

٩ ـ السلوك والتحضير للتراجع

يجري التخطيط للتراجع بروية وامعان ، حتى ولو لم يكن تماس مع العدو •ويجب أن يكون هنالك اشراف قريب على العملية التراجعية، لضمان جريان الحركة بالنظام المفروض والسرعة اللازمة • كما ويجب أن تقوم ، على جميع الأطراف والاتجاهات ، تدابير حيطة ملاءمة للاحتراس ضد الوقوع فى المفاجأة • والعادة ، على كل حال ، أن تبدأ القطارات (القوافل) والقطعات غير المتورطة بالانسحاب ، ويكون معروفا وموضحا مسبقا مقدار الوقت الذي ستظل فيه الطرق مستعملة من قبل هذه العناصر •

١٠ ـ الاشراف على حركة السير فى التراجع

تنص الأوامر بوضوح على الأوقات والطرق التي ستستعملها العناصر المختلفة • وتقام على طول الطرق نقاط مراقبة لحركة السير وجريانه ، وبوجه خاص فى المدن ، وعلى الجسور ، وعند المضائق ، وفى غير ذلك من الممرات الضيقة ، وذلك منعا لحصول الازدحام والعرقلة والعقد المسيرية • تجهز نقاط المراقبة هذه بوسائط قوية للدفاع ضد الجو ، وخاصة عندما تمر قطارات الفرقة خلال هذه النقاط •

الفصل الرابع والثلاثون

الاعاقة

١ ـ عموميات

'تعتبر التشكيلات المدرعة أداة مثالية للقيام بأعمال الاعاقة · والتكتيكات التي 'تستعمل فى قتال الاعاقة هي نفسها التكتيكات المستعملة فى المدافعة الحركية ، هذا مع العلم بأن المبدأ المسيِّر فى العملية الاعاقية هو اكتساب الوقت ، دونما حاجة الى القتال فى اشتباك حاسم ·

قد تجري اعاقة التقدم المعادي بواسطة عمل دفاعي على موضع واحد ، أو على مواضع متعاقبة · وقد تستدعي الظروف اجراء أعمال تعرضية قوية ، كواسطة الى التضليل ، وذلك لاكتساب أرض لها بعض الميزات ، أو لتحقيق الانفكاك لقوة تكون مشتبكة مع العدو بشدة ·

٢ ـ اختيار موضع الاعاقة

أ ـ يجري استطلاع جوي وبري كامل ، لاختيار موضع الاعاقة· ولا يصلح لهذه الغاية سوى الأرض التي تتميز بالمعالم التالية :

- عدد من المرتفعات المعترضة المتوازية ، التي تتوالى راكبة على خطوط تقدم العدو ،
- أنهار ، مستنقعات ، بحيرات ، وسواها من الموانع الصعبة ، التي تعترض تقدم العدو على جبهته وجوانبه ،
- أرض مرتفعة تتمتع بامكانات جيدةللرقابة البعيدة، وبميدان رمي جيد وصالح للرمي حتى المسافات البعيدة ،
- طرق تصلح لجريان انسحاب مستور ،
- شبكة جيدة من طرق المواصلات ·

ب ـ ومع ما للموانع الطبيعية من أثر هام فى تسيير عملية الاعاقة وجريانها ، الا انه غالبا ما تدعو الحاجة مع ذلك الى اقامة موانع

اصطناعية ، وذلك لتحسين صلاحية الأرض للدفاع والعرقلة حتى أقصى حد ممكن ، بواسطة المواد والوقت والطاقة البشرية المتوفرة · الا انه يجب أن لا يعتمد على الموانع والحواجز فقط لايقاف تقدم العدو وزحفه · فليس ثمة من أرض يستحيل اجتيازها على خصم حسن الاعداد ، شديد المراس ، ضاري التعرض · وكثيرا ما يحاول العدو الحصول على المفاجأة باختياره لحركته أرضا قد اعتبرت غير سالكة · ومن الواجب أن تغطى جميع الموانع ، الطبيعية والاصطناعية ، بالنار والمراقبة المتواصلة المستمرة ، وفى كل الأوقات ·

٣ ـ تنظيم الارض بقصد الاعاقة

عندما توضع الخطط لعملية اعاقة ، يجري تقسيم قطاع الفرقة الى قطاعات فرعية من حيث المسؤولية · توزع هذه القطاعات الفرعية ما بين التجمعات القتالية ، التي باستطاعتها ، بدورها ، أن تعهد بأقسام من قطاعاتها الفرعية الى كتائب معززة · والقطاعات فى عمليات الاعاقة هي ، عادة ، أكبر بكثير من قطاعات الدفاع فى عمليات المدافعة المعتادة · ولا تتطلب الاعاقة ، فى مواضعها ، عمقا كالذي يتطلبه الدفاع ، الأمر الذي يسمح بتوسيع الجبهة عرضا · ويجب أن يظل هذا ماثلا أمام العين عند تنظيم وترتيب التشكيلات المقاتلة لأغراض الاعاقة ·

ب ـ كل طريق سالك ، صالح لتقدم العدو ، يجري تعيينه وتحديده بوضوح ، ويعهد به كليا الى مسؤولية تشكلية مرؤوسة معينة · وعند تعيين حدود الأرض ، يجب أن تكون المعالم والظواهر الأرضية، الملائمة للرقابة والسيطرة النارية ، داخلة ضمن قطاع بعينه ، وفى مسؤولية التشكيلة المقاتلة التي يقع على عاتقها عبء الدفاع عن هذا القطاع · وتمتد حدود كل قطاع أماما حتى أقصى المستطاع ، حتى مدى الأسلحة النارية ، أو حتى مدى الرقابة الأرضية الذي هو المدى الأعظم · كما وتمتد هذه الحدود ، أيضا ، الى الوراء حتى موضع الاعاقة التالي · ويجب كذلك أن تُختار نقاط تحديد معينة ، وأن تحدد هذه النقاط بوضوح ، وذلك لأغراض التنسيق وضمان الاتصال والاستمرارية على خطوط الوضع ·

ج ـ تكون مقرات القيادة ، ومحطات التموين والادامة والصيانة ، والمراكز الطبية بعيدة الى الوراء أكثر من البعد الذي تكون عليه فى حالة الدفاع المعتاد ، وذلك لضمان الاسناد والاتصالية فى العملية أثناء

الفترة الحرجة من الانسحاب ·

واذا كانت هذه المقرات والمحطات موجودة أمام الموضع التالي لعملية الاعاقة ، فيجري نقلها الى مواقع خلفية حالما يمكن توقع بدء الانسحاب، وذلك خلال الفترات التي يخيم فيها الهدوء وقلة النشاط نسبيا، وبصورة متدرجة · أما المقر المتقدم للقيادة ، فيبقى على مسافته المتقدمة ، حتى يستطيع الآمر ، بأوامره ومؤهلاته للزعامة ، أن يؤثر على سير الأحداث وعلى سلوك التشكيلات المرؤوسة خلال الحركة التراجعية ، دون انقطاع ·

٤ ــ تعيين القوى فى قتال الاعاقة

أ ــ كقاعدة عامة ، تتعين القوى فى قتال الاعاقة ، على نفس الأساس المتبع فى الدفاع الحركي · وتشكل الدبابات والمشاة المدرعة معظم القوى فى هذا القتال · وعند الانسحاب من وضع الى آخر أثناء المقاتلة الاعاقية ، يغلب عدد الدبابات فى تشكيل مفارز الحيطة ، كما يتفوق هذا العدد على بقية الصنوف فى تشكيل الاحتياط ، مهما تكن منزلة الاحتياط فى الترتيب العام للمعركة · والغرض من مثل هذا التفوق فى عدد الدبابات ، هو توفير أعظم حركية مستطاعة جاهزة عند الحاجة الى القيام بهجوم مضاد ، أو الى تحقيق انفكاك عناصر الخط الأمامي ·

ب ــ العادة أن تلحق كتائب المدفعية الخفيفة بالتجمعات القتالية التكتيكية المكلفة بأعمال الاعاقة · وعندما تستطيع بقية المدفعية أن تدعم مجمل جبهة الفرقة ، فان هذه المدفعية توضع حالئذ فى وضع الاسناد العام · ويجري اعداد خطط المدفعية بحيث يكون بالاستطاعة تناول العدو على أبعد مسافة ممكنة ·

ج ــ تستعمل كتيبة الاستطلاع، مبدئيا، لتأمين التغطية أو لتشكيل المحطات الأمامية لوضع الاعاقة · وتكون مهمتها خداع العدو وتضليله أطول وقت ممكن ، وذلك بخصوص مكان الوضع الرئيسي للاعاقة · وعندما تضطر هذه الكتيبة الى الانسحاب ، فقد يجري تكليفها عندئذ بواجبات الحماية والاستطلاع على المجنبات ، وذلك بغية تغطية انسحاب القسم الأعظم من عناصر الفرقة (الكوكب) ·

د ــ يستعمل الهندسة لزرع الألغام ، واجراء التخريبات ، واقامة

سدود الطرق ، وذلك أمام جبهة الوضع الأول ، وكذلك ما بين الأوضاع الدفاعيـة المتعـاقبة • ويلتحق بعض الهنادسة بالتجمعـات القتاليـة التكتيكية • أما ما يتبقى من الهنـادسة ، فـانهم يعملون تحت سيطرة الفرقة ليكون عملهم منسقا وجاريا لصالح مجمل الجبهة •

هـ ــ يمكن استعمال الدخان الاصطناعي ، غالبا ، لستر حركات القوة المعيقة ، ولتعمية مراقبة العدو •

و ــ تظل مصالح الفرقة ، في العادة ، تحت سيطرة واحدة مركزية ، وتظل جاهزة لتقديم الدعم المباشر لجميع التجمعات القتالية التكتيكية في الفرقة • وتتخذ جميع الترتيبات لغرض تأمين الانسحاب المبكر لهذه المصالح ، وجعله ممكنا ، ولتنسيق حركتها مع المؤخرة •

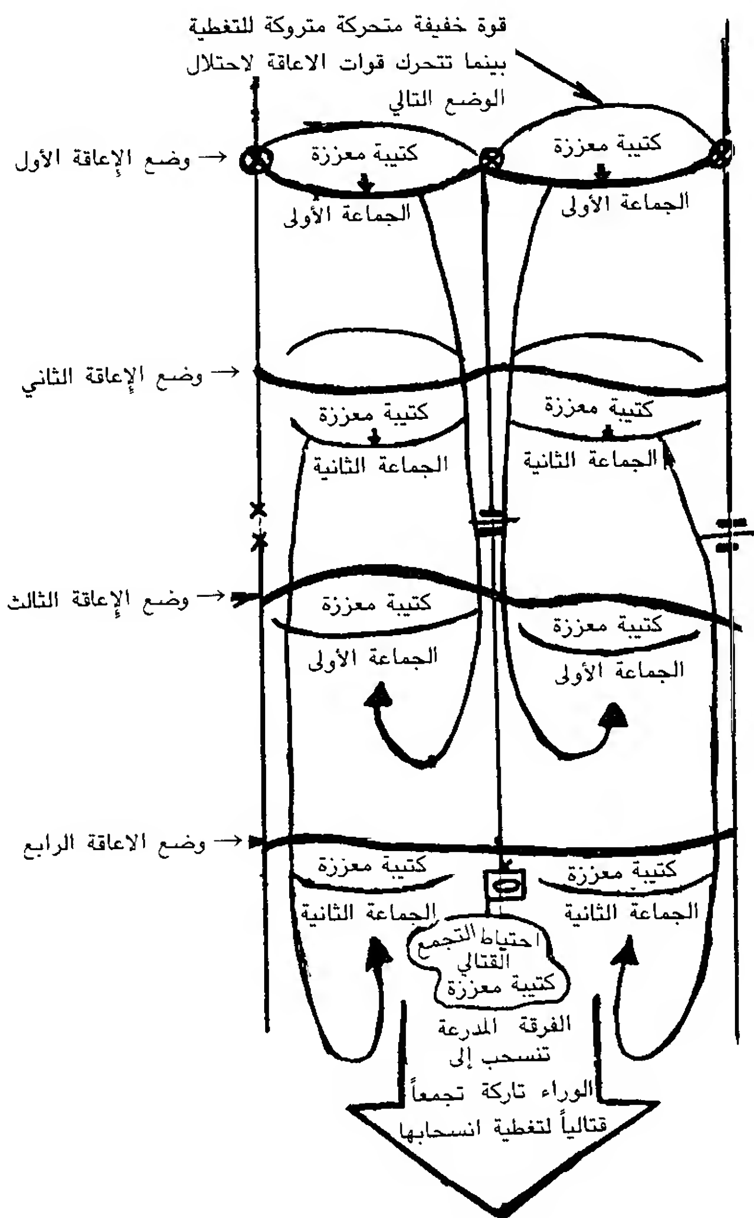
٥ ــ ترتيب القوات في قتال الاعاقة

أ ــ اذا سمح الوضع المختار على الأرض بميادين رمي بعيدة المدى ، فانه يمكن والحالة هذه أن تحتل الدبابات مكانا في الخطوط الأمامية • لا ينظم الوضع عمقا ، بل ينظم بالأحرى عرضانيا عـلى خط رفيع ، خط قوي بالطاقة النارية ، مع حشد معظم القوة عند المسـالك التي يُحتمل أن تكون سبيلا الى تقرب العدو • ويُحتفظ بقوات كبيرة كاحتياط ، عادة على مستوى التجمع القتالي ، نظرا لأن اتساع الجبهة يـجعل من غير الممكن عمليا أن يكون الاحتياط كله تحت امرة الفرقة •

ب ــ ونظرا لما للدبابات الثقيلة من مدى رمي طويل وفعال ، فانـه يمكن لذلك استعمال هذه الدبابات على الخطوط الأمامية ، وذلك بقصد ارغام العدو على الانتشار المبكر • لـكن يجب استعمال هذه الدبابات ضمن ترتيب مؤلف من الدبابات المتوسطة والمشاة المدرعة •

ج ــ في المناطق المشجرة ، أو في المنـاطق المحدودة نسبيـا من حيث الميادين الصالحة للرمي ، تشكـل المشـاة المدرعة معـظم قوات الخط الأمامي • وفي مثل هذه الحالات ، توضع المراكز القوية قريبة بعضها من بعض ، وكذلك يكون الحال في مواضع الاعاقة المتتابعة •

د ــ توضع المدفعية متدرجة عمقا ، حتى يكون باستطاعتها أن تطلق على المسافات البعيدة القصوى ، ولكي تظل في ذات الوقت قادرة عـلى تغطية الانسحاب بفاعلية •



الشكل رقم (٦٤)

تجمع قتالي فى قتال الاعاقة
مستعملا مواضع اعاقة متعاقبة لتغطية حركة انسحاب الفرقة المدرعة ٠

الفصل الخامس والثلاثون

جريان المقاتلة المدرعة

١ ـ عموميات

تتحرك الفرقة المدرعة فى طلب العدو ، وفوق رأسها مظلة جوية · وتتألف هذه المظلة من الطيران التكتيكي ، الذي يقوم بالاستطلاع البعيد لصالح الفرقة ، وبالسيطرة على أجوائها·أما الاستطلاع القريب المباشر ، فيقع على عاتق طلائع المقدمة · وأما تدابير الحيطة،والوقاية الجوية ، أثناء المسير أو التوقف ، فتكون من واجبات المقدمة والمؤخرة والمجنبات ، وكذلك المدفعية المضادة · انها واجبات دائمة ، وتدابير مستمرة ، يتضاعف مفعولها بالمظلة الجوية ، وبالسهر واليقظة عند كل عربة وكل مدفع ·

٢ ـ فى التماس

يقرر سلوك المقدمة مصير اليوم الأول من القتال ، وينبىء الى حد ما بسياق الأمور فى الأيام التالية · فالتماس ينتهي غالبا الى صالح الجانب الذي تكون مقدمته البادئة بامطار الخصم بالنيران المؤثرة ، المقدمة التي تتميز بالضراوة وشدة الوطأة ، وبالفاعلية فى صدم العدو ، وفى زحزحته عنوة عن مراكزه المتقدمة ، وارجاعه على أعقابه ·

ان المهاجم ، الذي يقبع فى أرضه ، ويستتر منتظرا تطور الأمور دون أن يكون له فضل فى هذا التطور ، هذا المهاجم يحتل عادة ، فى مباراة القوة ، أدنى الدرجات فى مراتب التفوق والكفاية ·

تحتفظ تشكيلات الرأس ، فى مقدمة الأرتال والمفارز ، بأسلحتها جاهزة لفتح النار فور أن تنبعث من جانب العدو أول طلقة · واذا انطلقت نيران العدو ، وظلت مواضع أسلحته مجهولة ، فعلى وحدات

الرأس أن تمطر بالنار جميع النقاط والخطوط المشبوهة ، التي يترجح أن تكون مشغولة من قبل الخصم · هذه قاعدة نارية هجومية ، قاعدة تخفف من نسبة الخسائر ، وتؤثر فى معنويات الطرف المقابل منذ البداية · وهي قاعدة تخالف مبدأ السيطرة على النار المطلوب لحالات الدفاع ، وتتطلب وفرا وبحبوحة فى الذخيرة ووفرة فى تموينها ·

انه لخطأ كبير أن يكف المهاجم عن الحركة حال اعلان العدو عن وجوده ، وأن يعمد الى التوقف دون أن يفتح النار ، مكتفيا بالبحث عن ملجأ ، ومنتظرا وصول نجدات تشاركه التصرف والمسئولية · ان واجب الضباط فى التشكيلات المدرعة هو سرعة التفكير والقرار ، والعمل الحر المستقل ، فى نطاق الخطة العامة · وعليهم أن لا يقبعوا أبدا فى أرضهم ، منتظرين أن يتلقوا ، لكل حادث ولكل عارض ، أوامر الرئيس التفسيرية أو التحضيرية ·

المبادأة بالنار ، فى مستهل مراحل التماس خاصة ، وحالا على الأرض التي يُظن أنها مشغولة بالعدو ، هي الاجراء الصحيح ، اجراء يضيف نسبا عالية الى احتمال حدوث النتيجة الرابحة ، ويضاعف من فرص اصابة الدبابات · وتكون نيران الأسلحة الرشاشة والمدافع المضادة ، فعالة الى درجة يستحيل بها على العدو الدخول فى المقاومة المجدية ، وكثيرا ما يتخلى بنتيجة ذلك عن موضعه · وان مبادأة دبابات العدو بالنار فور ظهورها هي الاجراء الصحيح كذلك · وهي العمل الجدي المثمر ، الذي يقع على عاتق مدفعية الميدان والمدفعية المضادة ·

٣ ـ تشكيلات الاشتباك

عند الاشتباك ، فى حالات التماس والمهاجمات الحركية الناجحة ، تحتفظ الفرقة المدرعة بتشكيلات التقرب من حيث ترتيب العناصر وتوزيعها · لكنها تكف عن المسير على الطرق والمسالك المفتوحة المطروقة ، وتنتقل للحركة فوق الأراضي كلما سمحت بذلك طبيعة الأرض المجتازة · وهي عندئذ تتحرك غالبا على رتلين متوازيين · وفى هذه الحالة ، يبلغ عرض جبهة المسير مقدار كيلومترين أو يزيد قليلا ، ويتراوح عمقها ما بين خمسة عشر الى عشرين كيلومترا تقريبا ·

ينتظر العدو ، عادة ، مرور الدبابات على الطرقات،ولهذا فهو يسد الطرق ويلغمها ، ويقيم دفاعاته المضادة عليها وحواليها · لذلك يقتضي تجنب الطرق المعبدة والمسالك المطروقة · ويجب أن تتحرك الفرقة بالرتل الثنائي ، خلال الحقول ، متحاشية هكذا حواجز الطرق وما قد يكون مقاما عليها من دفاعات ومفاجئات ، وآخذة العدو بحركات التفاف واجتياز من على جوانبه ومؤخراته ·

تختط الدبابات المتقدمة ، عبر الأراضي ، المسالك وتفتحها ، وتأتي خلفها بقية الآليات ، سائرة على الأثر الواضح المرسوم بضغط الثقل والسلاسل ·

٤ ـ في اجتياز الأنهار

يجري اجتياز الأنهار ، تحت نيران العدو، على مراحل :

أ ـ المرحلة الأولى ـ

وهي مرحلة اقامة وتنظيم قاعدة العبور · ويجري العمل، في هذه المرحلة ، على نهج يتسلسل على النحو التالي :

١ ـ تتوقف العناصر المتقدمة على مقربة من الضفة الخالية من العدو ، بعيدة عن مرمى الأسلحة المعادية المضادة، ومستترة ما أمكن بكل شيء يمكن أن يحمي من الأنظار · وعندما يعم التوقف كامل الفرقة ، يكون عندئذ وضع الفرقة على الأرض كوضع شبه مستطيل مغلق يستند بحافته الأمامية على حدود النهر ··

٢ ـ تنتشر بعض الدبابات الثقيلة ذات اليمين وذات اليسار ، على محاذاة الماء ، كأبراج نارية متحركة لقصف الضفة المقابلة ··

٣ ـ تتمركز المدفعية الثقيلة خلف الدبابات المنتشرة على الضفة ، وتشرع في قصف الضفة المقابلة ، وتغطيتها بالدخان ··

٤ ـ تتمركز المدفعية المضادة للجو ، منتشرة ومتخللة مدفعية الميدان والدبابات والقافلة وبقية القطعات ، وذلك لوقاية الفرقة وممر العبور من غارات الطيران المعادي ··

٥ ـ تتمركز المدفعية المضادة الدرعية ، على نفس أسلوب انتشار وتوزيع المدفعية المضادة الجوية • تقيم هذه المدفعية على ذلك الوضع ، على استعداد مستمر لحماية الفرقة من غارات العدو المدرعة ، ولدعم نيران المدفعية الثقيلة والدبابات على الضفة المقابلة اذا اقتضى الأمر ذلك ••

٦ ـ فى حال اشتراك المدفعية الخفيفة فى دعم النيران الموجهة الى الضفة التي يحتلها العدو ، يقتصر هذا الاشتراك على قسم من المدفعية المضادة للدرع ، على أن يبقى القسم الآخر متأهبا لمواجهة الغارات المدرعة المحتملة الوقوع على الخلف والجوانب •

المرحلة الثانية ـ

وهي مرحلة بناء الجسر ، ويجري تنفيذها على الترتيب التالي :

١ ـ يشرع فى العبور حال الانتهاء من اقامة القاعدة وتنظيمها ••

٢ ـ تعبر أولا عناصر كتيبة الاستطلاع ، بوسائطها الخاصة ، وتباشر ، فور وصولها الى الضفة الثانية ، فى تأسيس رأس جسر • ثم يتابع فى توسيع رأس الجسر هذا ، وتعريضه وتعميقه ، تدريجا مع ورود العناصر العابرة ••

٣ ـ تعبر المشاة المدرعة ، بوسائطها الخاصة ، على أعقاب عناصر الاستطلاع ، لتنضم ، فور بلوغها الضفة الثانية ، الى العناصر التي سبقت فى العبور ، ولتساهم معها فى اشغال رأس الجسر ، وفى توسيعه وتقويته وتنظيمه على شكل نصف دائرة يرتكز قطرها على النهر عند منطقة العبور ••

٤ ـ تعبر على أعقاب المشاة ، عناصر من المدفعية الخفيفة المضادة للجو والدرع ، لتحتل على رأس الجسر مواضع تستطيع منها التصدي لكرات العدو المدرعة وغاراته الجوية ••

٥ ـ عند نهاية المرحلة الثانية ، تصبح الفرقة رابضة على

كلا ضفتي النهر ، على شكل دائرة مغلقة ، دائرة تستطيع الدفاع عن نفسها من كل جهة ·

ج ـ المرحلة الثالثة ـ

وتتخصص لبناء جسر فوق الماء · يجري بناء الجسر على الوجه التالي :

١ ـ عندما تنتهي عمليات المرحلة الثانية ، تنقل المدفعية نيرانها لحماية رأس الجسر وجوانبه · وتساهم الدبابات الثقيلة ، المكلفة باطلاق النار كأبراج متحركة ، مع المدفعية الثقيلة ، فى مهمات الحماية الجانبية للقطعات المتمركزة على رأس الجسر ··

٢ ـ تبدأ الهندسة (عناصر التجسير) فى نصب الجسر ، لعبور المدفعية والدبابات ·

د ـ المرحلة الرابعة والأخيرة ـ

١ ـ فور الانتهاء من نصب الجسر ، يعبر قسم من المدفعية الثقيلة ، ليتوجه بعد عبوره الى احتلال مرابض قد اختيرت له على رأس الجسر ، وذلك زيادة فى قوة الحاجز الناري ضد هجمات العدو المدرعة المحتملة ، وأيضا لقصف مراكز العدو، ونقاط تجمعه ، وخطوط مواصلاته ··

٢ ـ وأخيرا تشرع الدبابات وبقية المدرعات والآليات فى العبور بدورها ، فى طريقها الى أماكن تجمعها على الضفة الثانية · تعبر الدبابات كقطعان ، منفصلة بعضها عن بعض بمسافات كافية ، مسافات تكون مشغولة بعناصر من المدفعية الثقيلة ومدافع الجو ·

هـ ـ متابعة الحركة بعد العبور ـ

١ ـ حالما يتم عبور الدبابات ، ووصولها الى نقاط تجمعها على الضفة الثانية ، تشرع هذه الدبابات بالتأهب لمتابعة الحركة ، وتتخذ التشكيلات المناسبة لذلك ··

٢ ـ تترك كتيبة الاستطلاع مواضعها على رأس الجسر ،

لتعود الى واجباتها كطليعة للمقدمة ، أو كمقدمة على رأس الدبابات الثقيلة مباشرة • تتحرك هذه الكتيبة الى مواضعها الجديدة على خط الانطلاق الجديد ، وتنتظر عند هذه المواضع تلقي الأمر بالتقدم ••

٣ ــ عندما تصبح الدبابات جاهزة لمتابعة الحركة ، وقد اتخذت عناصر المقدمة مواضعها على خطوط الانطلاق الجديدة ، عندئذ يصدر الأمر بمتابعة التقدم • يتحرك الكل من جديد ، بصورة بطيئة مبدئيا ، وذلك ريثما يتم دخول المدفعية الثقيلة فى الأرتال على أعقاب الدبابات الثقيلة ، وريثما تنتهي المدفعية الخفيفة المضادة من احتلال مراكزها ، هذه المراكز المتخللة ضمن المدفعية الثقيلة وضمن الدبابات المتحركة قطعانا منفصلة • وبعد أن يتم كل ذلك ، تبدأ الحركة فتأخذ سرعتها الظرفية الممكنة ••

٤ ــ تتحرك المشاة على أعقاب المدفعية الثقيلة والدبابات، على الأرجل فى بادىء الأمر ، وذلك الى حين تنتهي مدفعية الميدان من احتلال أماكنها من الرتل،خلف الدبابات مباشرة• وبعد أن يتم ذلك ، تركب المشاة سياراتها ، تتقدمها العناصر المختصة بالبحث عن الألغام لتفجيرها ••

٥ ــ تتخلف بعض عناصر المشاة لحماية الجسر المنصوب الى أن يتم استلامه من القوات الصديقة التابعة • وقد تقوم الهندسة نفسها بهذه الحراسة ••

٦ ــ تعود المصفحات والدبابات الخفيفة الى مواضعها من الرتل ، لحماية الجوانب والمؤخرات ••

٧ ــ تتحرك كتيبة الهندسة على أعقاب المشاة ••

٨ ــ يسلم الجسر المنصوب الى هندسة القوات الصديقة اللاحقة ، ويُستلم من القوات الصديقة هذه ، أو من مصلحة الهندسة فى قطار(قافلة)الفيلق ، بديلا عن المعدات الهندسية المنصوبة • ثم تلتحق مفارز الهندسة المتخلفة بأفواجها ، مصطحبة معها معداتها وتجهيزاتها المستبدلة •

٥ ــ فى اجتياز الأودية

يستوحى الأسلوب ، فى اجتياز الوديان العميقة ، من التدابير المتخذة عادة لعبور الأنهار • وعندما يتطلب اجتياز الوادي نصب جسر ، فالتدابير فى الحالتين تكون متشابهة •

٦ ــ فى استعمال عناصر الاستطلاع

تستعمل عناصر الاستطلاع ، المصفحات والدبابات الخفيفة بوجه خاص ، لواجبات الاستطلاع والحماية على جبهة المقدمة ، ولحماية الجوانب والمؤخرات •

تجري الحماية الجانبية ، غالبا ، لصالح الدبابات الثقيلة ومدفعية الميدان • ومن متطلبات هذه الحماية ، فتح النار دائما على الأراضي المشجرة ، القائمة على جوانب المسالك التي تتبعها الدبابات والمدفعية• تتوزع مدرعات الحماية الجانبية الى أجزاء منفصلة، كل جزء(أو قطيع) يتبع على أعقاب كل جزء (أو قطيع) من الدبابات الثقيلة وكل فصيلة من مدفعية الميدان •

٧ ــ فى مهاجمة المواقع غير المحصنة

أ ــ تندفع الدبابات من قاعدة التجمع ، منقضة على العدو ،تتقدمها نيران المدفعية الثقيلة ، وتظللها المدافع المضادة الجوية ، الموزعة ضمن قطعان الدبابات • ثم تتبع مدفعية الميدان ، والمدفعية المضادة الدرعية، كموجة تالية خلف الموجة المدرعة ، متنقلة بوثبات الضفدعة من موضع رمي وترصد الى موضع آخر ، تصحبها مفارز التحطيم والتطهير من مغاوير الهندسة ••

ب ــ وعندما تنتهي الدبابات من احتلال منطقة الأهداف ، ويفرغ مغاوير الهندسة من تنظيفها ، يصار عندئذ الى اشغال هذه المنطقة دفاعيا ، عرضا وعمقا ، بالمشاة والمدفعية ومضاددة الجو والدرع ، وذلك لمواجهة كل هجوم معاكس قد تتعرض له المنطقة ، من جميع الجهات • يستمر هذا الاشغال الى أن تنتهي الدبابات من تجديد تموينها ، ومن اعادة تنظيم نفسها على أرض التجمع الجديدة ، ومن اتخاذ ترتيبات وتشكيلات العودة الى متابعة التقدم ، باتجاه الأهداف التالية ••

ج ــ يجب كل مرة ، وبأسرع وقت ، أن تتحرر عناصر الفرقة

المدرعة ، وخاصة الدبابات الخفيفة والثقيلة والمصفحات ، والمدفعية الثقيلة والخفيفة ، من واجبات وأعباء الدفاع المكاني ، وذلك بتسليم مثل هذه الأعباء الى عهدة الفرق الميكانيكية أو الفرق المحمولة العاملة مع الفرقة المدرعة ، وذلك لتظل هذه الفرقة على أهبة الحركة لأقل اشعار ·

٨ ـ فى مهاجمة المواقع المحصنة

أ ـ تقوم الآليات الخفيفة بالاستطلاع على جبهة واسعة ، وبالاشتباك مع العدو ، والتقرب من مواضعه ، وازعاجه ، واغاظته ، وتحديه،وكل ذلك لاجباره علـى فتح نيرانـه ، وفضح أوكـاره ومرابض مدافعه ورشاشاته · يتحرك مع عناصر الاستطلاع ضباط من المدفعية ، وذلك لتعيين أهداف المدفعية ومراقبة رميها ··

ب ـ وبعد أن يتبين الحد الخارجي لدفاعات العدو ويتعين بوضوح، تتمركز مدفعية الميدان والمدفعية الخفيفة المضادة على قاعدة ناريـة ، وتشرع فى قصف مواقع العدو المعروفـة منهـا · وقد يشترك الطيران الثقيل وطيران الانقضاض فى دعم هذا القصف ··

ج ـ لا تشترك المدفعية الخفيفة المضادة الجوية فى الرمي على أهداف أرضية ، الا فى الحالات الخاصة التي يحددها ويسمح بها القائد التكتيكي المسئول · وما عدا ذلك ، يظل واجب هذه المدفعية منحصرا فى مراقبة السماء من الجهات الأربع ، وفى الاقامة المستمرة على أهبة الرد الفوري الآني،بالنيران الكثيفة السريعة الصائبة،على كل غارة جوية عدوة··

د ـ واذا أغـار العدو بـأسراب عديدة لا قـبل للمضـاددة الجوية بمقابلتها بنجاح بوسائطها الخاصة ، فى هذه الحـالة ، تبـادر المضاددة الدرعية ، كلها أو بعضها ، الى الاشتراك مع المضاددة الجوية فى مقابلة الغارة الواقعة · وقد تستدعي الظروف ، أحيانا ، أن تشترك مدفعيـة الميدان فى ذلك الرد أيضا ، وذلك اذا كـانت غـارة العدو من الكثافـة والشدة ، بحـيث يصح أن ُيضحى لأجلهـا ببعض الوقت على حسـاب العمليـة الأرضيـة الجاريـة ، أو العملية التي تـكون قـيد الاعداد والتحضير · ولا ُيستطاع القيام بمثل هذا الاسناد الجوي،الا اذا كانت مدفعية الميدان مجهزة بالذخيرة الصالحة للرمي على الأهداف الجوية··

هـ ـ تشتركمدفعية الميدان ، ومدفعية المضاددة الدرعيـة ، بالرمي

على الأهداف الجوية بأمر من آمر القوة التكتيكية • كما ويجوز لقادة هذه المدفعية ، من مرتبة كتيبة وما فوق ، الأمر بذلك الاشتراك من تلقاء أنفسهم •

و ـ وقد تستدعي ظروف المعركة ، أحيانا ، أن تشترك مدفعية الميدان ، ومدفعية المضاددة الدرعية والجوية ، فى الرمي لمواجهة غارات العدو المدرعة وتحطيم آلياته المقاتلة • يصدر الأمر بمثل هذا الرمي عن ذات القيادات التي يجوز لها الأمر بتوجيه النيران ضد الأهداف الجوية ••

ز ـ بعد أن تشرع القاعدة النارية فى صب قذائفها على النطاق الخارجي لمنظومة العدو الدفاعية ، على مواضعه المعروفة ، أو على المواضع المرجح أن تكون مشغولة بأسلحته ، بعدئذ تتحرك الدبابات الى الهجوم ، وراء ستار كثيف من الدخان الاصطناعي الناتج عن قذائف الدخان المدفعية ••

ح ـ يتحرك برفقة الدبابات ويتقدمها مغاوير التدمير والتطهير التابعين الى الهندسة ، والذين يقع على عاتقهم نسف الحواجز المعترضة ، وردم الخنادق المانعة ، وتنظيف الطرق والمسالك من الألغام الدرعية وفتح ممرات فيها لمرور الدبابات ، وكذلك تدمير أوكار الأسلحة الرشاشة التي يستعصي تدميرها على الدبابات والمدفعية ••

ط ـ تتبع المشاة المدرعة على أعقاب الدبابات والمغاوير ، لتشغل الخطوط المجتازة ، ولتقوم بتطهيرها النهائي ، ومن ثم تنظيمها دفاعيا واعدادها لمواجهة كل ارتداد معاكس من قبل الخصم ••

ى ـ حالما يتم احتلال الأهداف المتقدمة ، من قبل أول موجة من المشاة ، تبادر المدفعية الخفيفة المضادة فتتحرك من قاعدة النار على موجتين (أي دفعتين) ، متوجهة صوب المنطقة المحتلة لتساهم فى تحكيم الأرض ، وفى تنظيمها دفاعيا ضد الدرع والجو • لا تغادر الموجة الثانية من هذه المدفعية أماكنها على قاعدة النار،الا بعد أن تنتهي الموجة الأولى السابقة من اشغال مراكزها الجديدة ، على الأرض المكتسبة ••

ك ـ وبعد أن تبلغ الدبابات ، وما يرافقها ويتبعها من مغاوير ومشاة ، حدود هامش الأمان الخارجية لسد النار ، تسارع عندئذ

مدفعية الميدان الى نقل نيرانها الى مسافات أبعد ، والى تنظيم قصف جديد لمنطقة العدو ، بحيث تحاط عناصر الهجوم الصديقة المتقدمة بالنيران المدفعية الواقية ، على الأمام والجوانب ، أي بحاجز ناري يكون على شكل نصف دائرة ••

ل ـ بعد الانتهاء من احتلال الهدف وتطهيره ، تكف المدفعية عن النار ، وتتحرك بدورها قاصدة مكان تجمع الدبابات ، حتى تأخذ مكانها خلف هذه ، بانتظار العودة الى متابعة التقدم ، أو للقيام بتنظيم قاعدة نارية ثانية ، استعدادا لاسناد هجوم جديد •

ان واجب المدفعية ، بالدرجة الأولى ، هو حماية الدبابات من نيران الأسلحة المضادة ، ومن نيران الدبابات المعادية • وعلى المدفعية أن تأخذ دبابات العدو تحت نيرانها فور ظهور هذه الدبابات ، سامحة هكذا للدبابات الصديقة بأن تظل ساكنة فلا تكشف عن أماكنها الا عند اللحظة المناسبة •

٩ ـ وقت الهجوم

تُهاجم المناطق المحصنة نهارا ، أو أثناء الليل • الهجوم نهارا يكون عادة متابعة لحركة الفرقة المدرعة فى اخضاع دفاعات ليست لها صفة مزمنة ، دفاعات قد ارتجل تحصينها ، أو دفاعات لم يمض وقت طويل على الشروع فى تحصينها • فى حالة كهذه ، يساهم الطيران التكتيكي مع التشكيلات الأرضية المتيسرة ، فى مساندة الهجوم • كما ويقوم الطيران الاستراتيجي بعزل المنطقة المهاجمة ، بأن يحول دون وصول القوافل والامدادات اليها •

اما الهجوم ليلا ، فيتطلب اعدادا طويلا متقنا ، وتدريبا جيدا للقوات على العمل والقتال تحت جنح الظلام • تبدأ المهاجمات الليلية ، عادة ، بعد منتصف الليل ، على أن يكون الوقت ، ما بين ساعة الشروع بالحركة وطلوع الفجر ، كافيا لعمل الهندسة فى فتح الممرات اللازمة لمرور الدبابات فى حقول الألغام والخنادق المانعة • ولا حاجة فى عمليات الليل ، الى ارسال الدبابات الخفيفة والمصفحات للكشف عن مواضع المدفعية والأسلحة المضادة المعادية ، على اعتبار أن مثل هذا الكشف يتم فى ضوء النهار ، فى اليوم الذي يسبق ليلة الهجوم ، أو قبل ذلك من الأيام السابقة الماضية •

تقتصر قاعدة النار ، في عمليات الليل ، على مدفعية الميدان ومدفعية الدبابات الثقيلة • ولا يشترك الطيران التكتيكي الا وقت الضحى • أما الطيران العمودي ، فيشترك فى عمليات الليل فى مجال الاضاءة ، والنقل ، والتموين والاسعاف •

واذا أريد أن تحاط المهاجمة بالسرية ، وأن تتأمن لها المفاجأة التامة ، فيقتضي الاستغناء حالئذ عن قاعدة النار ، والاكتفاء ليلة الهجوم بمغاوير الهندسة لفتح الممرات فى حقول الألغام ، ولتدمير أوكار الأسلحة المضادة والأسلحة الرشاشة التي تحمي هذه الأوكار ، فقط دون أية جهود أخرى • وقد يُلجأ ، للتغطية والتمويه ، الى اطلاق نيران المدفعية عدة ليالي متتابعة ، وفى مواقيت مختلفة يدخل ضمنها الميقات المحدد لبدء الهجوم ، وذلك لتعويد العدو على هذه النيران ، ولحمله ، بالعادة والتكرار ، على اعتبارها نشاطا روتينيا يوميا ، فلا يهتم ، زيادة عن العادة ، لحدوثها ليلة الهجوم وساعته ، ولا يتداركها لذلك باجراءات مضادة • ويُستعمل ، فى هذا الهجوم ، عدد كبير من القاذفات الضوئية ، لانارة موضع العدو وتعميته ، وللسماح هكذا بتسهيل رؤيته وتيسير الوصول اليه ، وكذلك تمكين الطيران الحليف من الاشتراك بالهجوم •

١٠ ــ العمليات التراجعية فى المحاربة الآلية

التراجع فى المحاربة الآلية ، مدرعة كانت أم ميكانيكية أم محمولة ، ولو جرى بقوات ضئيلة العدد ، يفسح أمام القائد فى مجال الاحتمالات التكتيكية الموافقة الى درجة عظيمة • لكن هذا النوع من المحاربة لا ينجح ، ولا يمكن استثماره والاستفادة منه ، اذا لم يتوفر له شرطان رئيسيان هما :

أ ــ أن تظل القوة سليمة ، محتفظة بطاقتها الكفاحية طيلة التراجع ،

ب ــ أن تكون مناطق التجمع ، المتعاقبة على محور التراجع ، مزودة بالكميات الكافية من المحروقات والذخيرة ، ومن مواد الاعاشة وقطع الغيار الميكانيكية •

كلما أمعن العدو فى المطاردة ، كلما طالت خطوط تموينه ، واضطر لأن يترك ، على طريقه ، قوات مفرزة لحماية خطوط المواصلات

ومحطات التموين المقامة على هذه الخطوط، وذلك حتى يظل باستطاعته الاحتفاظ بطاقته وبالقدرة على ادامة قواته ٠

تطول خطوط التموين أثناء التقدم ، وتقصر خلال التراجع، والجيش المتراجع يحتفظ بقواته مجتمعة ، بخلاف الجيش الذي يقوم بالمطاردة، الذي تتضاءل قواته كلما أمعن فى تقدمه وتوغله ٠ هذا التناقض هو بعينه الشيئى الذي يهيىء الفرصة السانحة للقوة المتراجعة ، فرصة تفوق هذه القوة ، موضعيا ، على القوة المطاردة ٠

فاذا توفر للقائد المتراجع ، عند وقوع السانحة ، التموين الملائم من المحروقات والذخيرة ، فأمامه حالئذ فرصة ذهبية ٠ انه يستطيع أن يرتد ، فيضرب قوة الخصم ويدمرها ، على شرط ان يجبر العدو على قبول المعركة ، أو يكون هذا غشيما أو مغترا بنفسه ، فيتوقف ويرضى بدخول القتال من تلقاء ذاته ٠

يفرض فى كل ارتداد ، أن يجري تنفيذه بسرعة عظيمة ، وأن يكون قويا فعالا ، فلا يترك للخصم أي مجال أو استطاعة للحصول على الامدادات والنجدات فى أوان حاجته اليها ، كما ولا يمكنه من الهروب والافلات ٠

١١ ـ الاستغلال والمطاردة

النصر فى المعركة ، يبدأ موضعيا ، ويتم بالانتشار لغرض الاستثمار ٠ ان النصر الذي لا يستغل يكون محدود القيمة ، ويعتبر ناقصا ، مهما تكن نتائجه الموضعية ٠ والطريق الى الاستغلال ، لغرض اتمام الفوز والنصر ، هو متابعة القتال بمطاردة العدو المهزوم ، وتدمير فلوله المتراجعة ، والقضاء على قوته قبل أن يتأمن لها وقت كاف لتمالك زمام أمورها ، ولم شعثها ، وتقوية نفسها باعادة التنظيم وتلقي النجدات ٠ ومن أهداف المطادرة ، أيضا ، استباق الفلول العدوة الغارقة فى الفوضى ، واستباق قيادة العدو كذلك الى الاستيلاء على النقاط والمواقع الاستراتيجية ٠'

تبدأ المطاردة حالما يكف العدو عن المقاومة الفعالة بصورة مجدية ٠ كل خطة تصمم لمعركة ما ، لا تكون خطة كاملة ، الا اذا أتت فى سياقها

على تدابير الاستغلال والمطاردة ، وأعدت لهذه التدابير القوات الملائمة ·

والفرقة المدرعة خير أداة قتالية للقيام بالمطاردة ، لكن بشرط أن تتوفر لها المطالب التالية :

أ ــ ان لا تشترك الفرقة المدرعة ، المكلفة بواجبات المطاردة ، فى القتال الذي يؤدي الى هزيمة العدو الموضعية ، أي القتال الذي ينتهي بالنصر الموضعي السابق لمرحلة المطاردة ··

ب ــ واذا اشتركت الفرقة المدرعة فى ذلك القتال ، فيجب أن يُعاد تنظيمها وتموينها بأقصى السرعة ، قبل أن تنطلق الى المطاردة ··

ج ــ أن لا تكلف عناصر الفرقة المدرعة القائمة بالمطاردة ، بمهام اشغال ومسك للأراضي والمواقع المحتلة ··

د ــ ان تستمر قوافل التموين على الجريان المتواصل المنتظم على أعقاب الفرقة المدرعة القائمة بالمطاردة ، بدقة وسرعة ، وبكميات كافية ··

هـ ــ أن تأتي على أعقاب الفرقة المدرعة ، فرقة ميكانيكية أو فرقة محمولة ، تكون مهمتها امساك المواقع والنقاط المنيعة ، كالممرات الاضرارية وعقد المواصلات ومراكز التموين ، وكذلك اخضاع المقاومات الموضعية الجانبية ، التي يجب أن لا تتكلف بها الفرقة المدرعة ، حتى لا تنشغل بها عن مهمتها الأساسية ··

و ــ أن يتقدم الطيران الاستراتيجي مسير القوة المطاردة ، وأن يقيم الطيران التكتيكي مظلة جوية فوق هذه القوة ، وأن يكون التعاون الأرضجوي وثيقا ناجحا مستمرا ·

١٢ ــ المدفعية فى المحاربة المدرعة

احتلت المدفعية ، فى ميدان المعركة ، المركز الممتاز حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية ، عندما جاءت المدرعات الثقيلة الدبابة لتزيح المدفعية عن ذلك المركز الممتاز ، وتجعلها ، لمدة قصيرة ، تفقد الاعتبار كسلاح رئيسي من أسلحة القتال الرئيسية · كان ذلك بالنسبة الى المدفعية ، أزمة عابرة لم تدم الا قليلا ، وسرعان ما استعادت مدفعية

الميدان سابق حظوتها ، وعاد اليها اعتبارها ، ورجعت الى ساحة الحرب سلاحا مخيفا فعالا ٠

عادت المدفعية الى المعركة المدرعة سلاحا فتاكا تخشاه الدبابات وترهبه ، وذلك لتكيفها الناجح السريع مع طلبات هذا النوع المستحدث من وسائط المقاتلة المعاصرة ، تكيفا أدى الى وضع القواعد التنظيمية والتكتيكية التالية :

أ ــ كل مدفع ، سواء كان مدفع ميدان ، أم مدفعا مضادا للجو ، يصلح فى نفس الوقت ليكون سلاحا مضادا للدبابات ٠ ولذلك يجب تزويد كل مدفع بكمية وافرة من القذائف المضيئة والمتفجرة والثاقبة للدرع ٠٠

ب ــ تنشأ كل بطارية مدفعية ، وتتربى على عقلية الصمود فى وجه الدبابات ، وعلى الترحيب بمهاجماتها ، وعلى تطلب حدوث مثل هذه المهاجمات ٠ وعلى المدفعية أن تصارع الدبابة بشوق ولذة واندفاع ، وأن تثبت فى وجهها ، وأن تداوم على القتال حتى ولو وصلت الدبابة الى فوهة السبطانة ٠٠

ج ــ اذا كانت المسافة ، بين المدفع والدبابة ، طويلة وكانت الدبابة تتحرك بعيدا عن متناول القذيفة الثاقبة الدرعية ، فيجب والحالة هذه أن يُصار الى رميها بالقذائف المتفجرة ، رميا سريعا كثيفا ، على أمل اصابة السلاسل ، التي هي ، على البعد ، أضعف نقطة فى الدبابة ٠ ويجب أن لا يتوقف اطلاق القذائف المتفجرة الا عندما تدخل الدبابة فى مجال المسافة الملائمة ، التي تجعلها عرضة للعطب بالقذائف الثاقبة ٠ يستمر الاطلاق حتى نفاذ الذخيرة ، أو حتى يسقط آخر جندي عند المدفع ٠ ويجب أن يحتفظ بالقذيفة الأخيرة حتى آخر لحظة لتوجه الى الدبابة عندما تصل الى مسافة عشرة أمتار من فوهة المدفع ٠٠

د ــ تستخدم المدافع ضد الدبابات ، على النهج الذي تقدم بيانه ، الأمر الذي يتطلب دقة بالغة فى نيران المدفعيين ، واختبارا شديدا لمتانة الأعصاب ورباطة الجأش ٠ وللوصول بالتشكيلة المدفعية الى مثل هذه الدرجة من المهارة فى الرمي وقوة الاعصاب ، يقتضي لذلك اختيار عناصرها بامعان وروية ، وتربيتهم ، منذ تجنيدهم ، على قتال الدبابة والتفنن فى أساليب مقاومتها واقتناصها ٠

ان التصدي للدبابات يعرض الى خسارة المدافع بنسبة مرتفعة • وهذه الخسارة تتعاظم بصورة مضطردة فى حالة العمل المشترك مع الدبابات • الا أن الخسارة فى المدافع ، تظل ، مهما ارتفعت معقولة مقبولة ، ولا تعتبر ضياعا ولا كارثة ، على شرط أن يُقاتل المدفعيون حتى الرمق الأخير • ويجب أن يعتبر التصرف على هذا النحو شرفا للبطارية المعنية • كما وان تدمير الدبابات المعادية يعوض ، بفائدة مضاعفة متراكمة ، عن الخسارة المحتملة فى مدافع الميدان ، وفى المدافع الخفيفة المضادة ، الدرعية والجوية •

ان منازلة المدفع للدبابة فرض • وهي أيضا مدعاة للتفاخر والمباهاة، ومبدأ روحي فعال تبنى عليه تقاليد المدفعية الحديثة • وان التطبيق الذكي الشجاع لهذا المبدأ ، يعود بالأذى الكثير على العدو ، كلما تجرأت دباباته على مهاجمة المدفعية التي أُحسن تنشئتها، والتي اعتني بتمركزها وتمويهها • وهو أيضا أسلوب تكتيكي يعلن للعدو أن المدافع باتت لا تخشى دباباته ، وأنها تنتظر هجومها بفارغ الصبر ، وتترقبه لتدمير القسم الأعظم منها ••

هـ ـ تتخلل المدفعية الخفيفة ، المضادة للطائرات ، أوصال كل تشكيلة محاربة • ويجب أن تزود المدفعية المضادة الجوية بالقذائف الثاقبة الدرعية ، ليكون بالامكان استعمال نفس المدافع ضد الدبابات عند الحاجة • هذه قاعدة عامة ، وفرض دائم ، مهما يكن صنف التشكيلة ونوع وسائطها الحركية ، وسواء كانت متحركة بالرتل ، أم منتشرة ، أم متوقفة • وقد تشترك المدفعية المضادة ، الجوية والدرعية ، مع الأسلحة الرشاشة ، للعمل معا لحماية التشكيلة أو الموضع من غارات المشاة ، الغارات القوية المفاجئة ••

و ـ وكما تستعمل المدفعية الخفيفة المضادة فى وقاية الأرتال والتشكيلات المنتشرة أو المتوقفة من غارات الطيران والمدرعات ، كذلك تستعمل لوقاية نقاط التجمع ومحطات التموين بالذخيرة والمحروقات ، فى ساحات الحركات • ان الاعتماد على الطيران وحده ، لتأمين الوقاية الجوية ، لا يفي بالمطلوب ، ولا يجوز أن ينظر اليه الا كتدبير اضافي موقت لزيادة النسبة فى الوقاية المرغوبة • كما وان

الاستمرار على قيام المظلة الجوية ، فوق الأرتال المتحركة ، لأمر غير مضمون ولا سليم العواقب ، لأنه يؤدي الى بعثرة القوى الجويـة كثيرا وانهاكها • وما من تفوق جوي يستطيع أن يدوم ويصمد ، عند التوسع فى تطبيق مثل هذا التدبير مدة طويلة ••

ز ـ تستعمل مدفعية الفرقـة المدرعـة ، مدفعية الميدان والمدفعية الخفيفة المضادة ، مكثفة مركزة تحت قيادة واحدة لكل نوع من أنواعها الثلاثة • ولا يجوز ان تستعمل مجزأة مبعثرة ، الا فى الحالات التي تكون بسيطة محدودة الخطر والأهمية •

وتستعمل النيران المدفعية ، عادة ، كثيفة مركزة أيضا ، على قاعدة النار ، فى مراحـل التمهيد للهجوم والانقضاض ، وفى منازلـة دبابات العدو عـن بعد ، وفى اقامـة الحواجـز الناريـة بين الدبابات العدوة والدبابات الصديقة ، وفى قصف مراكـز المـدفعية المخاصمة ونقـاط تجمعها •

وتتحاشى الدبابات الصديقة ، أن تشتبك منذ البداية مـع دبابات العدو ، تاركة أمر مثل هذه الاشتباكات الأولية الى المدفعية • وكـان المارشال « رومل » كثيرا مـا يغطي دباباته بستار ناري مـن المدفعية الدفعذاتية ، ستار تتقدم الدبابات وراءه ، وتتراجع وتتمون فى ستره وتغطيته ، وتشن هجومـه خلاله • واصطلاح المدفعية يعني الصواريخ أيضا ، على اختلاف أنواعها •

١٣ ـ ورشات التصليح

الفائز فى معركة مدرعة ، هو الطرف الذي يخرج من المعركة بأكبر عدد من الدبابات السليمة • ولما كان التموين بالدبابات ، أثناء القتال، لا يكون أبدا ممكنا كالتموين بالذخيرة ، لذا كان من أهم واجبات قائد المدرعات أن يحمي مدرعاته من الأذى ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وأن لا يترك على الأرض دبابة معطبة • ومـن هنا كـانت الأهمية الكبيرة والدور العظيم لعمل ورشات التصليح فى الميدان •

فكل دبابة معطبة ، يتم اصلاحها بسرعة ، عدوة كانت أم صديقة ، هي ربح كبير على حساب الخصم • وهي عامل كثيرا ما يميل بالكفة الى جانب الفريق الذي يتوصل بفضل كفاءة ورشته ومهارة العاملين فيها ،

الى اصلاح كل عطب يصيب دباباته وكـل دبابة يتركها العدو خلفه فى ميدان القتال • وحماية الورشة من غارات العدو واجب حيوي على كل آمر فى التشكيلات المدرعة •

١٤ ـ ملاحظات هامة

أ ـ قوة الفرقة المدرعة بالدبابات : يجب ان لا يقل عـدد الدبابات الثقيلة والمتوسطة ، فى الفرقة المدرعة ، عن (٤٠٠) دبابة • هذا هـو الحد الأدنى • ويرى الجنرال كودريان ، أنه اذا حدث نقص عن هـذا الحد ، فان قدرة الفرقة بكاملها تتأثر من جراء ذلك ، ولن تكون بعـد ذلك حائزة على كامل استطاعاتها الهجومية •

ب ـ حول الاستخدام : النصر الحقيقي فى ساحـة المعركـة ، يمكن تحقيقه فقط بواسطة حشد عنيف للقوة المدرعة ، عند النقطة الحاسمة، وعلى الأرض الملائمة ، وذلك عـلاوة على المباغتة ، مباغتة بالتوقيت والحركة ، ومباغتة بالأعداد والتجهيزات • ولتحقيق ذلك يقتضي :

١ ـ أن تخصص المدرعـات للساحـات الفاصلة • أمـا الساحات الثانوية ، فتزود بالمدرعـات العتيقة ، أو لا تزود بتاتا بالمدرعات اذا كان ذلك ممكنا ••

٢ ـ أن تُحشد القوى المدرعة تحت امرة قـادة يعرفون هذا السلاح ، ويحسنون استخدامه •

٣ ـ أن يحتفظ بالأسـلحة الجديـدة ، مـن حيث النوع والكمية ، سرية الى حين استعمالها فى ميدان القتال ••

٤ ـ أن يُعاد اكمال نواقص الفرقة المدرعة حالا بعد كل معركة ، النواقص بالرجال والمعدات ••

٥ ـ أن لا تُستعمل المدرعـات فى قتال المـدافعة الا عند الضرورة القصوى • وفى هـذه الحالـة تستعمل المدرعات فى نطاق المدافعة الحركية ، بردات معاكسة ، وبقطع مواصلات العدو ، وتدمير أرتاله المتوغلة فى منطقة الدفاعات ••

٦ ـ أن تعطى الفرقة ، من حين الى آخر ، فترات استراحة واعادة تنظيم ••

٧ ـ ان تجهز الفرقـة بمدفعية خفيفة مضادة ، صالحـة

لتضاد الجو والدرع على السواء ••
٨ ـ أن تكون المدفعية كلها دفعذاتية : مدفعية الميدان ، والمدفعية الخفيفة المضادة ، والصواريخ أرض أرض ، وأرض جو •

ج ـ كتائب الاستطلاع المدرعة

يقتضي لهذه الكتائب أن تجهز بالعدد الكافي من الناقلات المدرعة ، الصالحة للسير على جميع الأراضي ، وبالعدد الكافي من عربات الاستطلاع المدرعة ، ذات السرعة الكبيرة ، والتسليح الجيد الملائم •

د ـ الاعداد لتنفيذ عمليات المهاجمة

مهاجمة المواضع الدفاعية ، عملية صعبة وشاقة ، وتتطلب اعدادا دقيقا ، واقداما وبراعة فى التصميم والتنفيذ • يجب أن يحشد للنقطة الحساسة من دفاعات العدو قوة ضاربة متفوقة ، وأن يجري التنفيذ بنظام واتقان وتنسيق ، وتفاهم واتفاق كما لو كان تدريبا يجري على ميدان التمرين •

تحضر كل عملية هجوم بهدوء وتفصيل • انها تبدأ بتعيين العناصر المشتركة فى العملية ، وبمران على صندوق الرمل اذا أمكن ، ثم بتمرين على الأرض ، على أرض يتم اختيارها واعدادها لتتشابه ، فى مظاهرها وتفاصيلها ، مع طبيعة الهدف وأوصافه •

ويجب تجنب الأوامر الطويلة ، المعقدة ، المتعبة •

هـ ـ أقوى سلاح أرضي مضاد للطيران ، حاليا ، هو الصاروخ أرض ـ جو المتعدد الأنواع • وعندما يأتي الكلام عن المدفعية ، بوجه عام ، فالصواريخ على اختلاف أنواعها مشمولة بهذا الاصطلاح •

الفصل السادس والثلاثون

الدبابة والطائرة في المحاربة المعاصرة

١ ـ الدبابة

الدبابة المعاصرة هي، كما تقدم القول فى الفصل السادس والعشرين، وليدة الحرب العالمية الأولى • لقد كانت ، يوم ولدت ، بنت الحاجة ، والمفتاح للمأزق الذي وقعت فيه المحاربة ، عقب ظهور الموانع والقتالات المخندقة • وكان المطلوب من الدبابة ، عند ظهورها ، أن تفتح طريقا للمشاة فى حقول الأسلاك الشائكة وأوكار الأسلحة الميكانيكية الرشاشة• كان دورها ، باختصار ، عبارة عن دور محدلة تقوم بفتح طريق ممهد لا غير •

وبقي المطلوب من الدبابة ، فى تفكير مكتشفيها ، مقتصرا على الغرض الذي ولدت لأجله ، وذلك طيلة الفترة الواقعة ما بين الحربين العالميتين • لكن الحرب العالمية الثانية ألقت بهذا التفكير عرض الحائط ، وجعلت من كل من الدبابة والطائرة عنصرا حاسما فى المحاربة، وسلاحا أوليا فى تقرير مصير المعركة • لقد افتتحت الطائرة ، فى عالم المحاربات ، مساحات جديدة وآفاقا واسعة لم تكن من قبل معروفة • أما الدبابة ، فقد أضافت الى واجباتها السابقة المحدودة ، واجبات الخيالة الخفيفة فى الاستغلال والمطاردة ، وأحييت من جديد ، لمسئوليتها ، واجبات الخيالة الثقيلة المنقرضة ، أي واجبات الصدم والتمزيق والاختراق •

وقد احتفظت الدبابة ، طيلة الحرب العالمية الثانية ، بهذه الاستطاعات المخيفة الفعالة ، فى جميع القتالات الحركية • أما فى القتالات الموضعية المكانية ، فى المناطق المحصنة ، فلم يدم الأمر كذلك لمدة طويلة • فقد طرأ بعض التعديل على علاقات الدبابة مع القوات

المقاتلة اللامدرعة · ان الدبابة مثابرة على أن تكون فى مقدمة المشاة فى المهاجمات ضد الدفاعات المستعجلة وضد كل دفاعات ليست لها صفة المواضع المحصنة · لكن هذا الترتيب ينعكس فى حالات الهجوم على مواضع قوية التحصين ، فى مراحل الهجوم الأولية والتمهيدية · فالدبابة ، فى هذه المراحل ، تسير خلف المشاة ، التي صار من واجبها أن تقوم بفتح ممرات لعبور الدبابة فى حقول الألغام الثقيلة ، والخنادق العازلة ، وأعشاش المدفعية الخفيفة المضادة ·

٢ ـ الطائرة

النصر ، فى المحاربة الدفاعية ، يميل الى الجانب الذي تتأمن له الذخيرة بوفر وانتظام ، والذي يستهلك منها أكثر من خصمه ، لكن بمعرفة وأعصاب متينة · الا أن كل نشاط أرضي ، فى المجالات التكتيكية والتطبيقية ، يكون محدودا للغاية ، فى حال سيطرة العدو على السماء ، واستطاعته القيام بالغارات الجوية الكثيفة المتواصلة ، على مختلف الأهداف ، من تكتيكية واستراتيجية ، بفاعلية ودون أن يلقى مقاومة مجدية ·

ان الطرف الذي يسيطر على السماء ، يستطيع القبول بقتالات الاستنزاف من الجو ، بكل رضى وارتياح · فقنابله تكون فعالة مهلكة ضد القوى الآلية المكشوفة ، سواء كانت هذه القوى قيد الحركة ، أم كانت متوقفة فى مناطق التجمع ، أم كانت مشتبكة فى القتال ·

كل قوة آلية مكشوفة ، هي هدف عظيم وسهل للقاصفات والمنقضات· والطرف المسيطر على الجو يستطيع ، والحالة هذه ، أن يتوصل الى اتلاف قوات خصمه وتدميرها بدقة وفاعلية ، وبالتكرار والمتابعة ، الى أن يجعلها ، مع مرور الوقت واستمرار تلقيها للضربات المتواصلة ، غير صالحة للعمل · ويتم ذلك كله ، من لدن الطرف الآخر ، دون مصروف ملموس من طاقة قواته البرية ·

والسيطرة على السماء ، من وجهة النظر القيادية ، تُعطي لصاحبها ميزات جمة ، أخصها :

أ ـ للطرف المسيطر على السماء ، وحده ، سبيل الى سيل متواصل من تقارير الاستطلاع الكاملة المتتابعة ··

ب ـ تعطي السيطرة الجوية ، لصاحبها ، مزيدا من الحرية والجرأة والوضوح فى التصرفات • فهو يستطيع ، فى حال قيام حالة طارئة خطرة ، وباستخدام قواتـه الجويـة ، أن يمزق مسيرات التقرب والتجمع وكل حركـة يقوم بها خصمه ، أو يعرقل هذه الحركات باستمرار ومتابعة ، الى حين يتأمن لـه الوقت الكافي لاتخاذ التدابير المعاكسة الفعالة ••

ج ـ كل اجراء يتسبب فى تـأخير وتبطئة حركات أحـد طرفي النزاع ، يؤدي ، كقاعدة عامة ، الى زيادة السرعة فى حركات الطرف المقابل • ولما كانت السرعة احدى العوامـل الرئيسية فى المحاربـة الآلية ، فمن السـهل تصور الحسنات والأسبقيات التي تنجم عن التمتع بالسيطرة الجوية •

هذا فيما يتعلق بمناطق القتال • أما فى مجالات التموين ، فى القواعد والمؤخرات ، فالفريق الذي يسيطر على الأجواء ، يكون بامكانه دوما أن يُلحق الأضرار الجسيمة بأرتال التموين للفريق الآخـر ، أضرارا تتوالى وتتراكم ، الى أن تؤدي فى النهاية الى نقص خطير يزداد ويتعاظم يوما بعد يوم •

ويستطيع الفريق المسيطر على الجو ، بالمداومـة والاستمرار على مراقبة الطرق والمسالك المؤدية الى الجبهة ، أن يتوصل الى وضع حد لكل حركة تموينية نهارية ، وأن يضطر خصمه الى تحريك امداده وتموينه أثناء الليل فقط ، مسببا له هكذا خسارة زمنية لا تعوض • انـه لأمر حيوي ، أن تستمر سيول التموين والامدادات على التدفق بوفر ودون انقطاع أو توقف • وكل توقف من هذا النوع يجعل القوات عاجـزة لا تستطيع عملا ولا حراكا •

ان الاحتراب ضد خصم مسيطر على السماء ، ولو جـرى بأحـدث الأسلحة وأقواها ، شبيه باحتراب المتوحشين ضد الجيوش العصريـة ، وذلك من حيث الصعوبات والمزعجات وقلة حظوظ النجاح • ومـا مـن علاج جازم لحالـة كهذه • هنالـك فقط حلول وسطية ، حلول يتوقف نجاحها ونتائجها على قيمة الخصائص والصفات الذاتية الضمنية لدى المتحاربين • من هذه الحلول ، بناء المواضع الدفاعية وتنظيمها بحيث

تستطيع الصمود طويلا ولو معزولة ، وذلك بقواتها المخصصة لها ، ودون مساعدة من الاحتياط التكتيكي المناور ، ولا من عناصر المدافعة المتحركة . تظل هذه المواضع صابرة صامدة ، ولا تتلقى الامداد والمساعدات الا بعد حلول الظلام .. ومن هذه الحلول ، أيضا ، تعويد المحاربين على القتال والحركة فى الليل ، واقتصار النهار على التوقف والاختفاء ، للراحة بعد جهود الليل ، وللمدافعة الثابتة المستندة على التحصين القوي ، والتمويه المحكم ، والاكتفاء الذاتي دونما حاجة الى مساعدة خارجية .

ان الشرط الأولي الأساسي ، فى كل معركة دفاعية ، هو مخزون وفير من الأسلحة والذخيرة والمحروقات ومواد الاعاشة المختلفة . هذا الشرط تفرضه طبيعة المعركة الدفاعية وحقيقتها ، والتي يتعين جريانها ، وتتقرر نتائجها عمليا بالكفاءة لدى عناصر التموين. وهذا شيء طبيعي . فالأبطال أنفسهم لا يستطيعون قتالا دون أسلحة . والأسلحة لا تعطي نتيجة ما دون وفر كبير فى الذخيرة . والأسلحة والذخيرة لا فائدة عملية منها فى المحاربة الا اذا توفرت السيارات اللازمة لنقلها ، والمقادير الكافية من المحروقات الضرورية لاستهلاك هذه السيارات . وكذلك هو حال المقاتل ، الذي لا يستطيع أن يحارب ومعدته خاوية . ويجب أن تكون اللياقة لاستخدام الأسلحة والمعدات المختلفة ، وادامتها ، وصيانتها ، لياقة فى النوع والكمية ، متعادلة مع نسبها لدى الخصم ان لم تكن متفوقة .

لا يمكن الوقوف فى وجه خصم يتمتع بالسيطرة الجوية ، الا بقلب المواقيت الزمنية التقليدية رأسا على عقب ، وذلك بتحويل النهار الى ما يستعمل الليل عادة ، وتخصيص الليل للحركة والمقاتلة . والنجاح فى تدبير جذري كهذا مرهون بكفاءة القادة ، وقدرتهم على ايجاد الوسائل الناجعة الكفيلة بالتغلب على صعوبات العمل فى الليل ، وبتنشئة المحاربين الصالحين للقتال فى جنح الظلام .

وان أحسن الخطط ، المصممة وفقا لأصدق الحسابات وأحدثها ، لا تنجح عند التطبيق الا بعد أن يتأمن التفوق التام فى القيادة ، والأفراد، والمعدات. كما وان أعظم الخطط الاستراتيجية لن تكون أكثر من مجرد حبر على ورق ، اذا هي استحال تطبيقها من الناحية العملية .

الفصل السابع والثلاثون
المحاربة المدرعة في المناطق الصحراوية

١ ـ طبيعة المحاربة فى الصحراء

كلما تعمق التوغل عبر الصحراء ، كلما عظمت أوجه الشبه ما بين المحاربة الصحرائية والمحاربة البحرية • فتحركات القوات ، لدى هذين النوعين من المحاربة ، تجري بواسطة البيكار والبوصلة ، والتغيير متواصل فى المواضع والمقامات ، ويكاد يندر العثور على مكان يصلح للمدافعة • كل شاحنة ، وكل دبابة ، هي بحد ذاتها كطرادة • وكل كتيبة من المدرعات أو المدفعية التي تقطع مسافات كبيرة عبر الرمال، هي كالأسطول الذي يمخر عباب المحيطات ، والذي سرعان ما يختفي عند خط الأفق ، كأنه ما كان •

ان اشغال الأرض فى الصحراء ، هو كاشغال الماء على سطح البحار • يصدر الأمر بالتوقف والتمركز ، ويدوم هذا بضع ساعات أو بضعة أيام ، أو بضعة أسابيع،ويجري استطلاع الضواحي المجاورة بالسيارات الخفيفة ، المسلحة بالرشاشات • واذا حصل التماس ، مع العدو ، فانه يصار الى المناورة لغرض السبق الى أخذ الوضع الأنسب والمكان الأصلح، بالنسبة الى مكان العدو ومواضع تمركزه ، تماما كما يفعل أسطول بحري مخاصم •

والمبدأ المسيطر ، فى حرب الصحراء ، هو أن القوات العاملة فى الصحاري يجب أن تكون خفيفة دائما ، وأن يكون عملها تحقيق التماس مع العدو وليس احتلال الأرض • فالطريدة هي الجيوش وليست الأرض ، تماما كما تطارد السفن الحربية مثيلاتها من سفن الأعداء ، دون أن تعير اهتماما الى مكان المعركة البحرية على سطح الماء •

وكما أن السفينة تتكيف مع البحر ببنيانها ونوع محركها ، كذلك

يجب على القوى الميكانيكية أن تتكيف مع الصحراء • وعلى هذه القوى أن تدأب باحثة لتكشف عن نقاط الضعف فى خضم الرمال المعادية التي لا ترحم ، وأن تتفنن فى استنباط الوسائل والحيل للنجاة من مكائد هذه الرمال ومهالكها • ان القوات الآلية تستخدم الصحراء ، لكنها لا تسعى أبدا لأن تتصرف كسيدة عليها• فهي الصحراء التي تحدد الخطو والوزن والنبض ، وتعين الاتجاه ، وتقرر الخطة •

والمحاربة فى الصحراء ، أيضا ، سباق على التموين ، وتنازع على السبق فى تلقي الامدادات ، والمعدات ، والمحروقات ، للدبابات والسيارات • ان شجاعة الجنود ، ومواهب الرؤساء وحدها ليست بكافية • وان حماية خطوط التموين ، وقرب القواعد ، وسلامة الخط الحيوي الواصل ما بين الجبهة والمؤخرات ، كلها أمور تكاد تكون أكثر أهمية من المعارك ذاتها •

قديما، كان مصير الأمم والامبراطوريات يتقرر على ساحات التاريخ المعروفة ، فى حدود بضعة كيلومترات ، وفى غضون ساعات معدودات • أما اليوم ، فالمعارك فى الصحراء تنتشر على مساحات شاسعة ، وتأخذ غالبا أسابيع من الوقت للوصول الى قرار ، أي تماما عكس ما كان يجري فى الأزمنة الغابرة • ان مناورة المدرعات فى الصحراء ، هي كالمناورة فى المحاربة البحرية ، مع بحار من الرمال عوضا عن بحار من الأمواه المالحة • وان الخاصة الكفاحية التعرضية فى الرتل المدرع ، كما هو الحال فى العمارة البحرية ، هي العامل الحاسم ، وليس هو الموضع الذي يتم الالتقاء بالعدو عليه، ولا الجهة من الأفق التي يتراءى الخصم منها•

تستطيع الفرق والجحافل المدرعة ، والتشكيلات المدرعة الأصغر ، أن تشكل جبهة متماسكة فى أي اتجاه، بسرعة فائقة ، وبحيث تقل كثيرا معاني الأخطار الناتجة عن الالتفاف ، أو الاجتياز ، أو الأخذ من المؤخرة ، أو القطع عن مواقع التموين • ومن ثم فكل شيء يتعلق ، من لحظة لأخرى ، بالوقود والذخيرة • والتموين بهذه المواد ، هو أكثر تعقيدا وصعوبة فى القوى المدرعة مما هو عليه الأمر فى السفن والعمارات المكتفية السابحة على ظهر البحار •

وللايجاز ، يمكن تلخيص خواص المحاربة المدرعة فى الصحاري بالأمور التالية :

أ ـ المحاربة فى الصحراء حرب حركية ، تكاد تكون شبيهة بالمحاربة البحرية ٠٠

ب ـ القوات التي ُتعد للعمل فى الصحاري ، تكون دائما خفيفة حركية ، لا تستهدف أبدا اشغال الأرض ، بل واجبها أن تحقق التماس مع العدو ٠ ان قوات الخصم هي مطلبها الأساسي وحسب ٠٠

ج ـ المحاربة فى الصحراء سباق على التموين ، ونزاع على السبق فى تلقي الامدادات والمعدات والمحروقات ٠٠

د ـ الصحراء ساحة عمليات تتجاوب الى أحسن ما يكون مع الارتجال بضغط المفاجئات والقرارات السريعة ٠٠

هـ ـ تتطلب المحاربة فى الصحراء ، من القائد ، الرضى بما فى حوزته ، واستعمال ذلك بحذر ومهارة وبسالة،والبقاء قريبا من الجبهة ، والوضع نصب العين دائما أن التهور يؤدي الى النكبات ٠٠

و ـ وهي تسمح باستعمال التظاهر والتضليل والخديعة لغرض مباغتة الخصم ، لكن يجب أن لا يكون اسراف فى ذلك، وأن لا يغيب عن البال أن هذه الوسائل ما هي الا ارتجالات واجتهادات خاطفة لا تستعمل الا فى ظروف خاصة ، وبعد تقييم جيد لتأثيرها المرتقب ، هذا التأثير الذي هو دوما كثير الغموض ٠

٢ ـ القوات اللاآلية فى الصحراء

القوات اللاآلية ، فى الصحراء ، وفى السهول والسهوب المكشوفة المترامية الأطراف ، هي بلا قيمة عملية حيال خصم آلي ٠ ذلك لأن خصما من هذا النوع يتمتع بجميع احتمالات النجاح أو معظمها ، ويستطيع ، فى كل مناسبة ، أن يجعل عمله سلسا مرنا بمناورات التفاف واجتياز ، مناورات يمكنه القيام بها فى كل وقت تقريبا ٠

ان الحالة الوحيدة ، التي تستطيع القوى اللاآلية بموجبها أن ُتقدم

بعض العون والخدمات ضد جيش آلي حديث ، هي فى الدفاع على المواضع المعدة القوية ٠ أما فى غير ذلك من الحالات ، وفى المحاربة الحركية ، فالسبق هو ، كقاعدة عامة ، من نصيب الجانب الذي لا يخضع ، تكتيكيا ، لأي تقييد أو تحديد من قبل قوات لاآلية ٠

والمشاة ، وسواها من الصنوف اللاآلية ، المستعملة موضعيا ضد خصم آلي ، تبقى مقيدة مرتبطة بأرضها ، فلا تنفك عن هذه الأرض الا بالأسر أو التدمير ٠ وكل انسحاب من المواضع ، عقب اختراق الخطوط أو الالتفاف حولها ، يضع القوى اللاآلية تحت رحمة العدو ، ويجعلها ضحية بلا فائدة وبلا أدنى قدرة على المدافعة الذاتية ٠ ولذا فليس لمثل هذه القوى ، فى الصحراء ، من أمل فى النجاح والنجاة فى حال الانسحاب، ولا سبيل أمامها سوى البقاء حيث تكون ، والثبات حتى آخر اطلاقه ٠

العقلية الصحرائية

الجمود والتقيد الأعمى بالنماذج هما ، فى حد ذاتهما ، عيبان ضاران حتى فى المحاربات غير الصحرائية ٠ أما فى حرب الصحراء فهما بليتان مهلكتان ٠ فكل شيء فى الصحراء يكون فى مد وجزر ٠ فلا حواجز لا مفر منها ، ولا خطوط أرضية معترضة لا امكان لتجنبها ، ولا ماء ، ولا غابات للتغطية ٠٠ كل شيئى فى الصحراء شاسع مفتوح ، وكل ما عليها فى حركة دائبة مستمرة ٠

والقتال فى ساحات كهذه ، يفرض على القائد التكيف مع طبيعة الصحراء وطلباتها بسرعة ، والتأكد من وجهته كل ساعة ، والبقاء محتفظا بحريته فى التفكير والعمل ٠ انه يعيش الدقائق والساعات فى غاية الحذر والتيقظ ، ويقضي أوقاته وهو من الأسر أو التدمير على قاب قوسين او أدنى ، من قبل عدو يكون أوسع منه حيلة ، وأكثر يقظة، وأبعد تفكيرا ، وأعظم حركية ٠

لا تنفع فى هذه المحاربة عقلية محافظة ، عقلية مقلدة فى التفكير والعمل ٠٠ ولا اعتماد فيها على السوابق والتقاليد ، ولا ركون او التجاء الى هالة من الانتصارات السابقة ٠ ان السرعة فى التقييم والتقدير ، وفى السعي الى اختراع حالات متغيرة وأوضاع يعجز العدو عن تداركها على وقت ، أو يستحيل عليه تداركها بالمرة اذا هو لم يسبق

له أن فكر فيها واستدرك ، لاحتمال حدوثها ، بتدابير ملائمة ، هذه هي القاعدة الأساسية لتكتيك المحاربة فى الصحراء •

أما قيمة المقاتل فى الصحراء ، وكفايته ولياقته ، بالاضافة الى القيمة التكنيكية والكفايـة المسلكية ، فتقاس بالقابليـة البدنية ، والذكـاء وسرعة البديهة ، والحركيـة ، ومتانـة الأعصاب ، وقـوة الشكيمة ، والصبر والاقدام • والمقاتل الذي يتحلى بمثل هذه الصفات ، يتطلب لقيادته آمرا يحوز هـذه المتطلبات نفسها ، لكـن على مقياس أوسع ، ومدعومة بالجلد والصمود ، والوفاء للجنود والتعلق بهم ، والموهبة فى معرفة مستلزمات الأرض ، وتقدير موقف العدو ، والسرعة الخاطفة فى التفاعل والتفكير واتخاذ القرارات •

٤ ـ قابلية الصنوف المحاربة

الحصة الفاصلة ، فى كل محاربة صحرائية ، هي رئيسيا من نصيب المدرعة والمصفحة والعجلـة الدفعذاتية • فـالصحراء لا تحتوي عـلى حواجز معترضة تقف فى وجـه هـذه المعدات ، أو تحد مـن مجـالات استعمالها الا فيما ندر •

اما المشاة ، وسواها مـن الصنوف اللاآلية ، فانها لا تقوم بأي دور حاسم فى المحاربة الصحرائية الحركية • بيد أن هذه القوى لا تخلو من فائدة فى بعض الحالات • فهي تصلح للقيام بنصيب من المجهود العام فى حالة الدفاع الساكـن على المواقـع والمواضع والقواعـد ، كالموانئ ومراكز التموين وعقد المواصلات والمعابر المنيعة ، وغير ذلك من نقاط المرور الاضطرارية •

وفى زعامة عسكريـة متكافئة لـدى الطرفين ، وفى تساو بالأعـداد وتعادل فى القوة الجوية وشروط التموين ، فى مثل هذه الاحوال تكون العوامل الحاسمة فى مصير القتال وقفا على الدبابة ، ومدفعية الميدان والمدفعية المضادة • ويتكون العامل الحاسم فى الدبابة من حاصل الكمية، والحركية ، ويسر التشغيل وجودة الاستعمال ، وقوة المدفع ومـداه • وفى مدفعية الميدان ، والمدفعية المضادة ، يتكون العامل الحاسم ، أيضا ، من حاصل الكمية العددية ، والحركية ، وقوة المدفع ومداه ، والمهارة فى التشغيل والاستعمال •

فاذا تعادل الطرفان فى هذه العوامل الحاسمة ، فالسبق عندئذ يكون للفريق الـذي يتفوق بقيادتــه وصفات مقاتليــه • واذا تفوق أحــد الخصمين فى القوة الجوية ، وفى العدد والنوع والاستخدام ، فهذا التفوق يسجل فى سجل الوقائع نقصا وخسارة للطرف الآخر • وهذا النقص لا يمكن التعويض عنــه مهما تنوعت التدابير الوقــائية على الأرض • وكذلك هو الأمر فى العجز أو التقصير فى مجالات التموين •

٥ ـ قواعد تكتيكية حسابية

يجري تقدير النصر أو الهزيمة ، بعدد الدبابات المحطمة على أرض المعركة • بيد أن عدد الدبابات المحطمة ، ليس هــو فى حد ذاتــه سوى حاصل لعامــل المهارة فى القيادة والاستخدام ، ولعامل كفايــة الدبابة تكتيكيا فى الحركية ، وفى سهولة التشغيل والاستعمال ، وعيار المدفــع ومــداه • ان المبدأ الأول والأساسي للمحاربــة الميكانيكية فى الصحراء المفتوحة ، هو استجلاب الخصم الى مرمى ووطأة نار مجدية ، واصابته قبل أن يكون هو نفسه فى وضع وموضع يسمحان له بأن يصيبك بالمثل ، أي بنيران صائبة مجدية • هــذا يعني ، بالنسبة اليك ، وجودك مــن العدو على مسافة أبعد من وجوده منك ، أي وجوده تحت طائلة مدافعك ، فى حين يضعه بعده فى وضع العاجز عن التأثير عليك بمدافعه •

وما ينطبق على الدبابة ، ينطبق على مدفعية الميدان كذلك • ان سلاحا مدفعيا طويل المدى ، هــو سلاح حــاسم اذا أحسن استخدامــه • والخصم الماهر ، المجهز بمدافع قوية بعيدة المدى ، أي مدافع مرماهــا أطول من مرمى مدافع الطرف الآخــر ، مثل هــذا الخصم يشكل خطرا مميتا على دبابات الطرف الآخر ومدفعيته •

ان الخط البياني للخسائر ، يرتفع بقسوة حالما يجري الانتقال من المحاربة الحركية الى المحاربــة المكانيــة الساكنة • فالمهم فى المحاربــة الحركية هو المعدات الميكانيكية ، لكونها مكملا أساسيا للمقاتل • اذ أن خير الجنود قاطبة ، هو عديم النفع والقيمة فى محاربــة حركية يكون فيها بلا دبابة ، ولا مدفع ، ولا سيارة • من هذا يتضح أن كل قوة مدرعة تصبح فى حكم العاجزة ، حالمــا تتحطم دباباتها ، ولو لم تصب بخسائر جدية فى الطاقة البشريــة • أمــا الحال فى المحاربــة المكانيــة الساكنة

فمختلفة • فالبندقية ، والقذيفة اليدوية ، والرشاشة والهاون جميعها أسلحة لم تخسر حتى اليوم ، فى محاربة مكانية، غير القليل من فوائدها، لكن بشرط أن يكــون جندي المشــاة محميا بصورة كافية ، بالمدافــع المضادة الدرعية والجوية ، وبالحواجز ضد الدبابات • وعندما تتأمــن هذه الحماية ، عندئــذ تصبح المشاة المهاجمة الخطر الأول بالنسبة الى المدافعة • وهكذا نرى ان المحاربــة المكانية الساكنة هي صراع غايته تدمير الانسان ، بينما الأمر هــو العكس فى المحاربــة الحركية ، حيث تصرف الجهود بمعظمها لتدمير معدات العدو السيارة المقاتلة •

٦ ـ محور التقدم

انه لخطأ عظيم ، فى المحاربة الحركية ، أن يحصل انحراف فى الاتجاه عن محور الزحف الرئيسي ، أو أن يحصل توقف على هذا المحور ، وذلك للانصراف الى معالجة أهــداف جانبية عــرضية • فــالقوة الرئيســية الضاربة لا تهتم بمثل هذه العرضيات ، ولا تنصرف اليها عــن المجهود الرئيسي ، بل تترك أمر معالجتها الى مفارز خاصة تعد مسبقا لمثل هذه الحالات •

يقع عبء العمل ، فى الحالات الصغيرة المقياس ، على عاتــق مفارز من المشاة الميكانيكية التابعة للفرقة المدرعة ، ويتطلب تكتيكا خاصا • وهو عمل يلزمه الكثير من الحزم والعزم على تحقيق الغاية ، وهجوم يتتوج بانقضاض فى اللحظــة المناســبة الحقه • وانها لكثيرة التدابير والحيل الآيلة الى النجاح مع الاقلال فى الخسائر ، ويجب أن تكون كلهــا معروفة وممارسة من قبل المقاتلين المشاة • ولآمر المفارز ، التي تكلف بمثل هــذه الهجمات ، دور أساسي فى نجــاح العملية • انــه كالصياد الماهر ، الــذي لا يرسل طلقته الا عند اللحظة المؤاتية • وقــد تعرض حالات يلجأ فيها المهاجمون الى انقضاض سابــق لأوانــه ، بينما يكون الحرص والتأني لا يــزالان واجبين ، فتكثر الخسائــر لذلــك كنتيجة حتمية • وفى حالات أخرى ، عندما تدعو الحاجة حقا الى الاقدام ، نرى المهاجمين ، على العكس ، غــارقين فى بطء شديد وحرص يزيد عــن حده •

٧ ـ التطويق

النجاح فى تطويق خصم آلي ، بقوات آلية ، على أرض مسطحة مكشوفة صالحة لسير العجلات والسلاسل على كل مساحتها . يعطي النتائج التالية :

أ ـ تطويق تشكيلة آلية ، هو أوخم وضع تتعرض له التشكيلة المطوقة • فالتطويق يجعلها هدفا لنيران العدو من كل جانب • كما وان الاحاطة من ثلاثة جوانب ، هي أيضا وضع تكتيكي لا يطاق ••

ب ـ ان تطويق عدو آلي ، وتدميره بالتالي وهو محصور فى الجيب الحاصل ، نادرا ما يكون هدفا مباشرا لعملية متوقعة • انه فى الأعم الغالب هدف غير مباشر لمناورة متطورة • لكن القوة الآلية المطوقة ، التي تحتفظ بهيكلها الاداري سليما ، وفى الأراضي المناسبة ، يظل باستطاعتها اختراق الطوق ، طالما كان هذا فى مراحله المرتجلة من الوجهة الدفاعية • فقائد القوة الآلية المطوقة يستطيع ، بفعل حركيته الدفعذاتية ، أن يقوم بتركيز ثقله ، وحشد جهوده فى اتجاه واحد ، والانقضاض على غير انتظار على أية نقطة من نقاط الطوق ، لتمزيقها والمرور منها • والنجاح فى حركة كهذه كثير الوقوع ، ولا يحدث فشل الا اذا فطن الطرف الآخر الى هذه النوايا ، وكان عارفا ضليعا بالمتطلبات الدفاعية فى المحاربة الآلية ،فيتدارك لذلك حركة خصمه بتدابير ظرفية مقابلة فعالة •

٨ ـ تدمير قوة مطوقة

يمكن تدمير قوة مطوقة ، بسهولة ، كلها أو جزئيا ، فى الحالات التالية :

أ ـ اذا كانت غير آلية ، أو كانت آلية لكن غدت مجمدة عاجزة عن الحركة لنفاذ المحروقات ، أو كانت آلية تشتمل على تشكيلات لا آلية يقتضي ادخالها فى الحسبان ، ولا يمكن التخلي عنها ••

ب ـ اذا كانت قيادتها سيئة ..

ج ـ اذا قبلت القيادة بمبدأ التضحية بقسم من القوات فى سبيل نجاة القسم الآخر ..

د ـ اذا كانت قد تحطمت طاقتها الكفاحية ، واستولى عليها اليأس والتفسخ وخوار العزيمة .

يحتمل قيام حالات ، كالحالات المذكورة فى الفقرات (أ) و (ب) و (ج) الواردة أعلاه ، كثيرا فى ساحات حرب غير الساحات الصحرائية . وفيما عدا ذلك ، فتطويق الخصم ، وتدميره بالتالي فى الجيب الداخلي ، هو مطلب قابل للتحقيق ، فيما لو أصيب العدو بأضرار ثقيلة باهظة ، فى معركة على ساحة أرض مكشوفة ، وانتهى بتمزق لحمته العضوية الداخلية .

٩ ـ تكتيك الاستنزاف المتدرج

كل عمل يستهدف التقطيع المستمر المتصاعد لطاقة العدو على الصمود والمقاومة ، ما هو الا نوع من معركة غايتها تحقيق الاستنزاف التدريجي للقوى المخاصمة ، على شكل شبيه بعملية التفتيت بالضرب المتواصل على قطعة حجرية . فى المحاربة الصحرائية ، التي هي محاربة حركية مثالية ، يكون الاستنزاف المتدرج لمعدات العدو ، وتمزيق أوصاله الداخلية ، أول مقصد لكل تصميم وتدبير .

تُخاض معركة الاستنزاف ، من الناحية التكتيكية ، بأقصى حالة ممكنة من الحركية . والنقاط الهامة ، التي تستدعي غاية الاهتمام والانتباه ، خلال المعارك من هذا النوع ، يمكن تلخيصها بالملاحظات الآتية :

أ ـ عمل القيادة الرئيسي ، هو حشد القوى فى الزمان والمساحة ، والسعي فى ذات الوقت ، الى تجزئة قوى العدو مساحة ، وتدميرها على أزمنة مختلفة . ان المحاربة الصحرائية ، كالمحاربة البحرية ، كلاهما تستدعي الحشد فى الزمن والمساحة . والمحاربة البحرية لا تجيز التعرض بقطع بحرية مجزأة ، بينما يظل نصف الأسطول قابعا فى المرفأ حين المعركة . وكذلك هو الحال فى حرب الصحراء ..

ب ـ تظل خطوط التموين شاغلة لبال القائد طوال المعركة • هذه الناحية حساسة وخطيرة ، لأن عليها تمر قوافل المحروقات والذخيرة والاعاشة ، وهذه المواد مستزمات حيوية للمعركة • ولذلك يجب على القيادة أن تتخذ كل تدبير ممكن لحماية هذه الخطوط وصيانتها ، كما وعليها أن تحاول ، بجميع الوسائل ، عرقلة تموين العدو وقطع خطوطه • وعندما يبلغ طرف بعملياته ساحة تموين الطرف الآخر ، عندئذ يضطر هذا الطرف الى الشروع بالانسحاب فورا من القتال ، من كل منطقة تتوقف متابعة القتال فيها على منطقة تموين قد بلغها العدو • ان التموين فى المحاربة الحركية ، هو الركن الأساسي للمعركة ، وله دوما الأسبقية فى التفكير والحماية ••

ج ـ يعتبر الدرع فى الجيش الآلي ، كالجذع للشجرة • ولذا فكل جهد يدور حول المدرعات ، وكل قوة محاربة أخرى ما هي الا قوة مساعدة • هذه النسبية ، أو العلاقة ، تقضي بأن تبدأ محاربة الاستنزاف ضد مدرعات العدو ، بواسطة تشكيلات التدمير الدرعي أولا ، بما فى ذلك مدفعية الميدان ، وذلك ابتداء من أطول مدى مدفعي مستطاع • اما الدبابات ، فيحتفظ بها لانزال الضربة النهائية ••

د ـ المعركة الحركية تركيز وسرعة • والتركيز والسرعة عنصران لا يتأمنان الا بالاطلاع، على وقت، على حركات العدو ونشاطه • والاطلاع فى القتال يقوم أساسا على تقارير الاستطلاع، الجوية والبرية • ولذا فانه لمن الضرورة القصوى أن تصل هذه التقارير الى القائد بأسرع وقت ، حتى يستطيع اتخاذ مقرراته على ضوئها ، ولكي يضع هذه المقررات موضع التنفيذ بأسرع ما يستطيع • ان السرعة ، فى مواجهة تصرفات العدو والرد عليها ، تقرر مصير المعركة • ويجب على قادة القوات الآلية أن يظلوا قريبا من قواتهم ، وأن يقفوا بأنفسهم شخصيا على سير القتال ، فى التشكيلات الأمامية المشتبكة ،

وأن يؤمّنوا ، لاستعمالهم ، أوثق وسائط المخابرة وأسرعها.

هـ ـ السرعة الحركية ، واللحمة التنظيمية الداخلية فى التشكيلات المحاربة ، هما من العوامل الحاسمة التي تتطلب من القائد اعتناء خاصا ، وانتباها عظيما. وان أقل بادرة أو اشارة بالضعف أو التفسخ تواجه بتدابير صارمة خاطفة ، وباعادة التنظيم اذا اقتضى الحال..

و ـ تحتل المباغتة ، فى تفكير القيادة ، مركزا ممتازا لأهميتها البالغة فى نجاح الخطة بكاملها. ومن عناصر المباغتة ، ابقاء العدو على جهل بالخطط والنوايا ، جهل اذا استمر فانه يمكن من حصول المفاجأة ، ومن استغلال الفترة الزمنية الممتدة من حين حدوث المفاجأة حتى قيام العدو بالرد عليها. ومن المفيد ، أيضا ، تدابير الغش والتمويه والتضليل ، التي يجب أن تلقى كل تشجيع ، وأن يُتوسع فى استعمالها. وهي تدابير مفيدة جدا ، حتى ولو اقتصرت فائدتها على تشويش قيادة العدو ، وحملها على عدم الثقة أو قلتها بما لديها من معلومات وتقديرات ، وعلى التردد فى اتخاذ اجراءات الرد والتدابير المعاكسة..

ز ـ يجري استغلال الظفر ، حال وقوع الهزيمة التامة بالعدو ، بالتحرك سريعا لبلوغ الأقسام الرئيسية من تشكيلاته المختلفة ، تشكيلات تكون قد اختل نظامها وتوازنها بفعل الهزيمة ، وذلك لضربها وهي على هذه الحالة ، وتدميرها قبل أن تستفيق من شدة الصدمة. ان السرعة المتسمة بالجرأة ، هي هنا كل شيئى. فلا يجب أن يُعطى الخصم فرصة لاعادة تنظيم نفسه. ان التجمع الخاطف بقصد المطاردة ، وتنظيم التموين للقوات المكلفة بذلك ، وتأمينه لها بانتظام واستمرار ، هي عوامل رئيسية فى نجاح الاستغلال واستثماره.

١٠ ـ قواعد تنظيمية تكتيكية

يدعو التحضير للمحاربة الصحرائية ، فى الناحيتين التنظيمية

والتكتيكية ، الى توجيه اهتمام خاص للنقاط التالية :

أ ــ المطلب الأول من الدبابة ، هــو الاستعمالية السهلة ، والسرعة ، والمدفع القوي البعيد المرمى ..

ب ــ الفريق ، الذي له المدفع الأقوى ، له السلاح الأطول. وهو بذلك يستطيع أن يكون البادىء فى منازلة خصمه مــن بعيد ..

ج ــ ان سماكة الدرع وثقله لا يغنيان عن النقص فى قوة المدفع ، على اعتبار أنهما لا يتحققان الا على حساب السرعة الحركية والسهولة الاستعمالية ، سهولــة وحركية هما مــن المستلزمات التكتيكية الحيوية ..

د ــ يجب أن تكــون المدفعية عظيمة القابليــة الحركية ، وأن يكون لها مدى كبير ، وأن ترافق دوما بكميات وافرة من الذخيرة .

هـ ــ تُعد المشاة لاشغال مواقع ومواضع معينة والحفاظ عليها ، وذلــك لمنع العدو امــا عــن القيام ببعض العمليات المعينة ، أو لاجباره على القيام بعمليات أخــرى . ولتحقيق هذه المطالب ، يتحتم على المشاة أن تكون لديها قابلية التحرك بسرعة ، كلما طلب منها التوجه والانتشار فى مكان آخر من ساحــة العمليات . وهــذا يعني وجــوب جعلهــا حــركية ، وتجهيزهــا بما يؤهلها للدفــاع عــن نفسها فى العراء ، على النقاط التكتيكية الهامة من ساحة المعركة .

الباب الثامن

المحاربـة الجهـادية [1]

الفصل الثامـن والثلاثون

التعريف والعمومـيات

١ ـ التعريف

المحاربـة الجهاديـة هي الاحتراب ابتداء بأبسط الأشكال وأرخص الأدوات ، من قبل طرف ضعيف وفقير ضد الاستعمار وضد كل عـدو يحتل الأرض الوطنية ·

والمحاربة الجهادية هي ، أيضا ، احـدى مراحـل قتال العسكريـة النظامية وراء خطوط العدو ، وكذلـك فى الأراضي التي تعرضت الى قصف ذري ·

انها احتراب الضعيف ماديا ضد خصم قوي يتفوق فى العدد والعدة ، وفى الامكانات وفى ملائمة الظروف القائمة · وتتألف أسلحـة المقاتلين بهذه المحاربة ، فى أول الأمـر على الأقـل ، مـن كـل مـا يمكن جمعه وتحضيره من أدوات تصلح واسطة الى القتل والتدمير ·

٢ ـ الغاية

تهدف المحاربة الجهادية الى :

أ ـ تطويل أمـد الحرب أسلوبـا وغايـة ، بقصد تحقيق

---

(١) التعريف الحرفي للمصطلح الاجنبي guerilla warfare هو المحاربة الاصغرية · ويعرف البعض هذا المصطلح « بالمحاربة الثورية »

الصمود الناجح والمهارة القتالية بالتدريج والمرحلية ، وبناء قوة متعاظمة باضطراد رغم تفوق العدو وجهوده المعاكسة ..

ب ــ الوصول ، بنتيجة الصمود الناجح وبناء القوة المتعاظمة ، الى انشاء قوة عسكرية وسياسية ديناميكية مستحدثة ، قوة تملأ الفراغ فى الأراضي التي يضطر الخصم الى الجلاء عنها ..

ج ــ بناء جيش عسكري وطني ، على أسس مستحدثة ومبتكرة لا تقليدية ، فى غضون مرحلة عمل أخيرة ، جيش يكون نظاميا بكل ما فى هذا التعبير من معنى ، جيش يبني ويعد لمواجهة جيوش الخصم التقليدية فى ميادين القتال ، فى معارك عسكرية تقليدية ، ويكون باستطاعته ، آخر المطاف ، أن يتغلب على هذه الجيوش ، ويسحقها بصورة حاسمة وتامة ٠

٣ ــ المرحلية

للمحاربة الجهادية ثلاث مراحل :

ــ مرحلة أولى ، تأسيسية ،

ــ مرحلة ثانية ، تدعيمية وتطبيقية ،

ــ مرحلة ثالثة ، حاسمة وأخيرة ٠

لا يمكن مسبقا ، تحديد هذه المراحل بحدود زمنية ٠ أما الذي يحدد هذه المراحل ، من حيث الوقت والظرف والمدى ، فهو الانتهاء ، على الوجه الأكمل ، من تحضير المواد والمتطلبات التي تؤلف ، بمجموعها ، المضمون والمحتوى لكل مرحلة ٠ وبديهي أنه لا مرور من مرحلة الى أخرى ، الا بخطى مدروسة موزونة ، وبعد أن يتحقق المطلوب من حلة القائمة ٠

٤ ــ الشروط المطلوبة

لا 'يستطاع القيام بمحاربة جهادية ، الا بعد أن تتحقق الشروط الأربع التالية :

ـ العثور على هيئة قيادية مستجيبة ،
ـ تهيؤ استجابة شعبية بنسبة كافية ،
ـ الحصول على أدوات العمل بالعنف والقوة ،
ـ الايمان بعقيدة واحدة جامعة ٠

٥ ـ المواصفات المميزة

أ ـ الديناميكية : ـ

المحاربة الجهادية ، قبل كل شيء ، حركة ديناميكية تصاعدية مستمرة ، تحتفظ على الدوام ، ودون أدنى توقف أو انقطاع ، بقوة زخم شديدة ، وبطاقة اندفاع متجددة متعاظمة ٠

لا يمكن للمحاربة الجهادية أن تتوقف ، حتى ولو لمدة قصيرة ٠ ذلك لأن التوقف جمود وهمود وسكون ، وهذه مظاهر لحالة الموت وفقدان الحياة ٠ ومثل هذه الحالة الساكنة تضر بالمحاربة الجهادية ضررا بليغا، فى حين أن هذه الحالة ذاتها تكاد لا تضر كثيرا بالمحاربة النظامية التقليدية لدى الخصم ٠

ان التوقف عن النشاط فرصة يغتنمها الخصم لتشديد قبضته على الأراضي التي يحتلها ، وتتيح له المجال لاراحة قواته ، وتفسح له من الوقت اللازم لاخماد حماس السكان ، ومكافحة اندفاعهم الى نصرة المجاهدين والانخراط فى صفوفهم ٠

وكذلك فانه لا محل فى هذا النوع من المقاتلة للقتال بالدفاع المكاني الجامد ، باستثناء بعض حالات خاصة مؤقتة ، كالحالة عند الاعداد لكمين ، التي تفرض الهدوء المتحفز والسكون اليقظ مدة التربص والانتظار ، والتي يجري فيها القتال بالمدافعة المكانية ، وفق خطة موضوعة ، ولأجل قصير وزمن محدود ٠

ب ـ الخصائص : ـ

تختلف المحاربة الجهادية ، عن المحاربة التقليدية ، فى التطبيق لبعض مبادىء الحرب ، وذلك أثناء المرحلتين الجهاديتين من المحاربة ،المرحلة الأولى ، والمرحلة الثانية ٠

من هذا الاختلاف ، فى المجال الاستراتيجي ، أن المحاربة الجهادية

تتجنب المعركة • وهي ، فى المجال التكتيكي ، تتقصد التعرض الضاري مع وجوب الابتعاد عن كل اشتباك غير مضمون النتائج ، ومع الاعتماد، عادة ، على مبدأ الانتشار عوضا عن مبدأ الحشد والتكتل •

فى كل اشتباك غير الكمين والغـارة الخاطفـة ، تتعرض المحاربـة الجهادية الى الخسارة الفادحة بأفضل القادة وأحسن المقاتلين ، وبنسبة جسيمة لا تناسب فيهـا مـا بين القوى الصديقـة المتورطة والفوائد الحاصلة • وكل خسارة جسيمة ، وخاصة فى البداية ، تعرض الحركـة الجهادية ، ككل ، الى الشلل والكساح وثم الانطفاء • هذا لا يعني مطلقا وجوب وضع السلامة فوق كل اعتبار ، الأمر الذي سريعا ما يمحو هذه المحاربة من عالم الوجود• ولكي لا تؤول النهاية الى مصير كهذا، يقتضي العمل دائما بموجب استراتيجية تهدف الى جعـل الخصم مجبـرا ، كل وقته ، على اجهاد نفسه ، بدنيا وماديا ومعنويا•

والانتشار ، الذي هو ضد الحشد ، شرط حيوي لحياة الطرف المقاتل بالمحاربة الجهادية ، وتوفيقه • ومعنى ذلك ، عمليا ، السهر على عـدم تمكين الخصم من أهداف بـارزة ملمـوسة ، واقتصـار النشـاط ، فى المرحلتين الأولى والثانية خاصة ، عـلى أسـاس العصابات والجماعات الصغيرة ، أي بجزئيات طيارة يكون باستطاعتها ، كحبيبات الزئبق، أن تتجمع وتتجمد بسرعة ، عند كل سانحة ، وذلك للانقضاض على عدو ضعيف الحماية •

وليس الانتشار مبدأ جهاديا فحسب • انه أيضا مبدأ واجب المراعاة لدى العسكريين التقليديين ، وذلك عندما يجـابهون بقـوات تحارب بالمحاربة الجهادية • والانتشار يعني ، بالنسبـة للعسكريين فى الحالة المشار اليها ، سيلان القوى المقاتلة ، وانسيابها حبيبات حالا على حال، بسرعة وسهولة وهدوء ، وذلك حتى تستطيع العمل بنجاح ضد القوى الجهادية (١) الخفيفة الطيارة كالفراشات ، الصغيرة المتواجدة المتكاثرة فجأة كالبعوض •

ان الأمل الوحيد ، للفريق الذي يقاتل بالمحاربة النظامية ، للتغلب على القوى الجهادية ، يكون فى استطاعته ونجاحه فى اقامة شبكة اصطياد

---

(١) اي القوى المقاتلة بالمحاربة الجهادية

عازلة، شبكة محكمة الحلقات،وفى مد هذه الشبكة ونشرها عرضا وطولا، على أوسع مساحة ممكنة • وكلما اتسعت هذه الشبكة وانتشرت، كلما تحسن العمل ضد الجهاديين ، فى القوة والمردود والفاعلية •

ج ـ المبدأ الأم :

المبدأ الأساسي الأول ، فى الاشتباك والاصطدام ، منذ ولادة الحركة الجهادية ، وحتى الانتهاء من تحضير القوى الجهادية وتحويلها الى جيش جهادي نظامي ، هو مبدأ « أنقر وأهرب »•

التكرار فى الضربات الخفيفة ، والتتـابع فى التهديدات الصغيرة ، وتعاظم هذه الضربات والتهديدات بصـورة تصـاعدية مستمرة وغير متوقفة ، هذا كله تكتيك هو أحيانا كثيـرة أعظم أثـرا، وأشد وقعا، وأكثر ثقلا فى الموازين القتالية من بعض ضربات قوية مظهرية ، وذلك نظرا لما يسببه من الهاء مستمر متراكم ، ومن ازعاج وارهاق وتثبيط للهمم والعزائم، بالاضافة الى ما يحدثه لدى السكان من تأثير ودي عظيم لصالح الفريق الجهادي وللمبادىء التي يقاتل هذا الفريق من أجلها •

والعمل بمبدأ « أنقر وأهرب » ، أو مبدأ « اصفع واختف » ، غالبا ما يكون الوسيلة المثلى الى تحقيق الغرض الأولي من التعرض الجهادي، فى مراحل المحاربة الأولى ، ألا وهو غـرض اسـتجلاب الخصم الى حيث الكمائن المعدة لاصطياده •

د ـ الوجود الكلي :

الوجود الكلي ، هو الوجود فى كل مكـان ، والمعـرفة بكـل شيء، والحضور الخفيف الظل ، وغير الظـاهر ولا المستجـلب لأنظار العين المجردة • مثل هذا الوجود الكلي اللطيف ، هو سر النجاح مع السكان، وهو قاعدته الرئيسية الحيوية فى المحاربة الجهادية •

٦ ـ دور الأرض فى المحاربة الجهادية

الأرض المشجرة ، والأرض المتقطعة الوعرة ، هي أنسب الأراضي وأصلحها للمحاربات الجهادية • وقد كانت للصحـاري ، فيما مضى ، قيمتها وتأثيرها ، وذلك يوم لم يـكن طيـران ولا عجلات ميكانيكية، ويوم كان الجمل واسطة الحركة فى الصحراء بلا منازع •

وللمدن خليط من الحسنات والمساوىء ، خليط يميل بحاصله الى غير صالح المحاربات الجهادية ، اللهم باستثناء العمليات التخريبية والغارات الانتقامية ، التي تعتبر المدن أحسن الأماكن لحدوثها ·

ومع أن المناطق الوعرة ، والأقاليم المشجرة هي بطبيعتها أفضل الاراضي لأمن الجهاديين (١) وسلامتهم ، وذلك نظرا لما توفره من ستر وتغطية ، ومن فرص لتحقيق المفاجآت ، فانها رغم هذه الميزات ليست خالصة من كل شائبة · فهي عادة بعيدة عن الأهداف الرئيسية ، ولا تتوفر فيها الأغذية والمؤن الا بصعوبة ·

ولا نعني بالأهداف الرئيسية فقط تلك الأهداف الواقعة فى قبضة القوى المعادية ، بل نعني كذلك الشعب الذي يجب أن يستجيب لرغبات الفريق الجهادي ، وأن يتعاون مع المجاهدين ضد قوات الخصم ·

٧ ـ المعادلة العامة

تتوقف حياة كل محاربة جهادية ، واستمرارها بنجاح حتى النصر ، على التفهم الكامل ، والادراك الصحيح ، لتأثير العوامل الجغرافية والسياسية والنفسية ، وتفاعلها مع الموقف العام ·

والمعني بالموقف العام ، حاصل النسبة القائمة ما بين المساحة الجغرافية ومجموع القوى الجهادية · هذا الحاصل ، أو الموقف العام ، لا يمكن عزله عن العوامل الجغرافية والنفسية والسياسية ، المتفاعلة معه فى المكان والزمان ، بصورة مستمرة وفاعلية تصاعدية ، والتي تنمكس وتتمثل فى سلوك السكان وموقفهم من الدعوة الجهادية ، ومن المجاهدين ·

ان مستقبل كل حركة جهادية ، ومصيرها يتعلقان الى حد كبير بموقف السكان فى المناطق التي يجري فيها القتال · هذا الموقف يكون صالحا ومؤاتيا للدعوة والحركة الجهادية ، عندما يقدم السكان على العون والمساعدة ، ايجابيا بتوفير المعلومات والمؤن ، وسلبيا بمنع هذه الأشياء عن الخصم ·

ومن المتطلبات الأولية للنجاح ، ابقاء الخصم غارقا فى ظلام دامس

---

(١) أي القوى المقاتلة بالمحاربة الجهادية ·

من حيث الاطلاع والمعرفة بكل ما له علاقة بالجهاديين ، فى حين يجب أن يظل هؤلاء عاملين وناشطين على ضوء معرفة موضعية متفوقة، معرفة متجددة متطورة بسيل متواصل مستمر من المعلومات الموثوقة عن حركات الخصم ، وعن أعداده وترتيباته وحالة تموينه ومعنوياته· هذا النوع من المعرفة الواثقة النيرة المستضيئة ، هو لازم للجهاديين أكثر من لزومه لخصمهم ، ذلك لأن معظم تحركاتهم تجري فى ستار الليل طلبا للأمن والخفية ، وسعيا الى تحقيق المفاجأة ·

وعندما تبلغ هذه المعرفة، الكاملة المستضيئة، مستوى رفيعا، عندئذ يكون فى ذلك برهان على نجاح الدعوة الجهادية فى اكتساب السكان المحليين ، وفى تمتعها بمحبة هؤلاء السكان وثقتهم ، وحصولها منهم على العون والمؤازرة عن طيبة خاطر ·

٨ ـ خلاصة

نرى مما تقدم أن المحاربة الجهادية هي محاربة ضارية تمارسها، فى البداية ، قلة من الناس ، لكن قلة مؤمنة مدعومة بغالبية المواطنين ·

هذه المحاربة مثال مُجسم للعمل الشخصي الفردي المتفاني فى سبيل المجموع ، ولاعتماد الفرد الواحد على ذاته ونفسه ، وخاصة فى المرحلتين الأولى والثانية من هذه المحاربة · وبالاضافة الى ما تقدم ، فان المحاربة الجهادية لا تكون فى النهاية مثمرة وفعالة ، ولا تستطيع أبدا بلوغ غاياتها وأهدافها ، ما لم تتوصل الى التمتع كليا بمحبة الجماهير ، وبثقة هذه الجماهير وعطائها ·

والمحاربة الجهادية أكثر ما تكون تأثيرا وفاعلية ، عندما تنجح فى حمل الجماهير على الاعتقاد بأن الحركة الجهادية تمثلها وتنطق باسمها ، وبانها تعبير صادق عن طموح هذه الجماهير ورغباتها الصميمة فى طرد العدو المحتل ، وفى حياة أفضل · واذا نجحت الدعوة الجهادية وقواتها فى اكتساب مثل هذه الثقة الشعبية العظيمة القيمة والأهمية ، فهي حائئذ تعبير صحيح عن الحيوية الكاملة ، وعن الديناميكية المبدعة فى شتى المجالات

الفصل التاسع والثلاثون

شروط أساسية لقيام المحاربات الجهادية

١ ـ عموميات

تقوم المحاربة الجهادية، كما سبق القول مختصرا فى الفصل السابق، على أربع قواعد رئيسية ، هي :

ـ نخبة قيادية متجانسة عقلا وروحا ،

ـ ظروف مؤاتية ،

ـ وسائط عمل بالعنف والقوة ،

ـ معرفة بفنون المحاربة الجهادية والتقليدية ·

٢ ـ النخبة القيادية

المعني بالنخبة القيادية المطلوبة ، عمليا ، توفر وحدة واحدة متفاعلة ايجابيا فى نطاق :

أ ـ قيادة جماعية واحدة ،

ب ـ وعقيدة جامعة شاملة واحدة ·

أ ـ القيادة الجماعية الواحدة :

عندما تكون المحاربة الجهادية مرحلة عرضية من مراحل المحاربة النظامية ، كالحال حين المقاتلة وراء خطوط العدو ، أو المقاتلة فى الأراضي التي تعرضت الى قصف ذري ، فالقيادة فى هذه الحالة هي ذاتها القيادة العسكرية النظامية ·

أما فى غير ذلك من الحالات ، فالقيادة الجهادية هي عندئذ منتخب قيادي من مجموعة أفراد يتحسَّسُون أكثر من سواهم بآلام الشعب ومطالبه، ويدينون بمبدأ العمل بالعنف والاكراه كواسطة وحيدة لطرد المحتل أو المستعمر ·

للقيادة المقام الأول فى كل محـاربة ، وفى المحـاربة الجهادية بوجه خاص • انها حياة كل محاربة : دمـاغ وروح وقلب • • وهي الجامع والمنظم والصانع والصائغ والمنفـذ • والجمـاعة ، كل جماعة ، التي تحسن اختيار قيادتها ، والتي تنتقي أعضاء هذه القيادة من أهل الخبرة والمعرفة واللياقة للزعامة ، باستثناء كل ما سوى ذلك ، لجماعة تسير فى سبل التوفيق والنجاح ، منذ الخطوة الأولى •

ب ــ العقيدة الجامعة الواحدة

العقيدة الواحدة الجامعة ، هي المطلب الأول لكل قيادة صالحة• وفى بعض حالات استثنائية ، عندما يستحيـل الاتفـاق عـلى عقيدة عمل واحدة ، عقيدة سياسية ، فانه يجوز عندئذ العمل بموجب تحالف ظرفي بين عقيدتين اثنتين أو ثلاثة ، وذلك لطول مدة النضال ، أو ريثما يتم الاتفاق على عقيدة سياسية واحدة معينة • مثـل هذه السياسة تُعرف بالاستراتيجية الانتقالية ، ويعبر عنها باسم « الجبهة المتحدة » •

وعلى كل حال ، ومهما يكن نوع العقيدة السياسية المتبناة ، أو نوع الميثاق الذي تم عليه الاتفاق ، فالمهم أن يـكون ملبيـا لحاجات الناس ومطالبهم• وكل ميثاق أو اتفاق، مهما يكن عليه من سمو ونبل وبلاغة، يظل حبرا على ورق ، اذا هو لم يتهيأ له من يقـوم على تطبيقه بوعي وتفهم واخلاص •

هنالك فارق هام ، بين أن تكون عقيدة العمل واحـدة عامة للجميع ، وبين أن يكون تحالف موقت بين عدة سياسات • هذا الفارق هو المميز ما بين النجاح والخسارة • فالمحاربة الجهـادية ، المنبعثة عن دعوة ذات عقيدة سياسية واحدة ، هي محاربة تنتهي عادة بالفوز والنصر التام • أما المحاربة الجهادية لتحالف من عدة سياسـات ، فكثيـرا ما تؤول الى الخسارة ، كما وهي ذات أهداف محدودة •

وثمة فارق آخر • ان اتفاق التحالف المكون من عدة عقائد سياسية، سريعا ما ينفرط عقده ، بعيد النصر النهائي بقليل • أما الدعوة ذات العقيدة الواحدة ، فانها تظل حيـة زمنـا طويـلا بعـد النصر وخمود المعارك • واذا هي فشلت نتيجة لمحاربة خاسرة ، الأمر الذي هو نـادر الحدوث، فانها تبقى رغم ذلك ناشطة فى العقول والنفوس، ولا تضمحل

نهائيا ، اذا هي اضمحلت ، الا بعد جهود مضنية من قبل خصومها، وبعد تكاليف باهظة فى الأموال والأرواح ، ومضي زمن طويل ·

ومع ان العقيدة السياسية والقيادة ركنان متكاملان ، فى كل محاربة جهادية ، محدودة الاغراض كانت أم غير محدودة ، فالمقام العملي الأول يظل ، بالتأكيد ، وقفا على القيادة · هذا لأن الأفكار والمبادىء خامات فلا تفيد ولا تثمر ما لم تتناولها يد القيادة الماهرة بالشرح ، والتفسير ، والصناعة والتسويق ·

٢ ـ الظروف المؤاتية

المعني بالظروف المؤاتية :

ـ الأوضاع والتيارات والتطورات المحتملة ،

ـ الاستجابة الشعبية ·

أ ـ الأوضاع والتيارات والتطورات المحتملة :

هذه الأوضاع والتيارات والتطورات عبارة عما هو قائم ، وما قد يجد فى المنطقة من حالات وتقلبات فى الفكر والسياسة والاجتماع ، وما قد ينجم عن اصطدام هذه الحالات والتقلبات من ذيول وتفاعلات ، وكذلك مواقف الدول والشعوب القريبة والبعيدة ، ومدى تأثيرها فى الأحداث المحلية وفى مصير الحركات الجهادية التحريرية ·

فاذا كانت هذه الأوضاع والتيارات المختلفة، من سياسية ودبلوماسية، ومن اجتماعية واقتصادية وادارية وثقافية ، مهيأة بحاصل تواجدها وتفاعلها لقبول مبدأ العمل التحريري بالعنف ، وكان حاصل المواقف الدولية مائلا الى جانب هذا النوع من العمل القومي ، أو كان لا يلائمه لكن لا يقاومه أو لا يستطيع التأثير على مجراه ، فهذا النوع من الظروف يعتبر مؤاتيا ، ومساعدا على الخروج من مجال التفكير والتمني الى حيز التطبيق والتنفيذ ·

الملاءمة الظرفية المنشودة هي اذن ، بايجاز ، تجاوب الزمن حاضرا ومستقبلا مع العمل الجهادي وارتضاؤه ، داخليا وخارجيا ، تجاوبا وارتضاء لا احتمال لزوالهما فى وقت ليس بطويل ·

ب ـ الاستجابة الشعبية :

المراد بالاستجابة الشعبية قيام حالة نفسية ملائمة ، لدى غالبية

المواطنين ، نفسية معدّة وقابلة لمبدأ العمل بالمحاربة الجهادية كسياسة وحيدة الى تحقيق المطالب القومية ، والمساهمة فى هذه المحاربة بالأموال والأنفس •

يتسبب المعتدي نفسه ، عادة ، بتولد مثل هذه النفسية لدى الشعب المغلوب على أمره • ولا فائدة من هذه الاستجابة ما لم تُستغل ، وما لم يجر استخدامها بذكاء ومعرفة وتخطيط • والاستجابة الشعبية على نوعين :

- استجابة ايجابية ،
- واستجابة سلبية •

يستجيب الشعب ايجابيا ، بتقديم المتطوعة والأنصار ، والطعام والمعلومات ، وبالتضحية بالمال والهدوء والاستقرار ، وبالخضوع للقيادة الجهادية باختياره ، وبطيبة خاطر •

ان استجابة شعبية مبدئية ، بنسبة عشرين بالمئة من مجموع السكان، تعتبر أساسا كافيا لانطلاق المحاربة ، ورصيدا مضمونا لقيادة مؤهلة تقوم وفقا للقواعد والمتطلبات التي ورد تفصيلها فيما تقدم •

أما الاستجابة الشعبية السلبية ، فتكون عندما تمتنع الفئات والجماعات الشعبية عن مجابهة الأخطار بنفسها ، أو لا تشارك فى تحمل هذه الأخطار بنسبة كافية • لكنها بالمقابل ، لا تبخل على الحركة الجهادية بالطعام والمؤونة والمأوى والمعلومات ، فى حين تمتنع كليا عن تقديم مثل هذه المساعدات الى الخصم • والسكان الذين لا يستجيبون لا سلبا ولا ايجابا ، فانهم يعتبرون فى مصاف الخصوم والأعداء ، وتجري معاملتهم على هذا الأساس •

ان الاستجابة الشعبية ، بالنسبة الى المقاتلين بالمحاربة الجهادية، هي بمثابة الماء للسمك فى البحار أو الأنهار (١) • وكما أن السمك لا يستطيع أن يعيش خارج الماء ، كذلك هم المقاتلون الجهاديون ، فهم أيضا لا يستطيعون الحياة فى بيئة شعبية لا تشاركهم عواطفهم وأحاسيسهم ، ولا تمد اليهم يد العون والاسناد ، أو تقاسمهم ولو بعض الأعباء والمشقات عند الحاجة •

---

(١) الفيلسوف الصيني « سان تزو » منذ نحو ثلاثة آلاف سنة •

قد تقوم القيادة الصالحة، قبل أن تتأمن الاستجابة الشعبية الكافية. فى مثل هذه الحالة ، تكون الواجبات الأولى للقيادة ، هي العمل على تهيئة المواطنين نفسيا ، وعلى تعبئتهم وتنظيم قياداتهم ، وعلى تحضير هذه القيادات واعدادها لحين الطلب .

ولو حدث وتأمنت الاستجابة الشعبية المنشودة ، أي بمعنى أن صار لدى المواطنين استعداد نفسي ومادي لاستعمال وسائط الاكراه والعنف ضد المستعمر أو المحتل ، لكن بمعزل عن أية قيادة صالحة، فانه لن تكون والحالة هذه محاربة جهادية . واذا حـدث وانفجرت ، هنا وهنالك ، وبفواصل زمنية قريبة أو بعيدة ، تيـارات عنيفة وانتفاضات شعبيـة دموية ، فسيبقى ذلك محدودا وذا طابع محلي وعمق سطحي ، ويندر أن يوصل الى غير الفشل والتضحيات الدامية الضائعة .

٤ ـ وسائط العمل بالقوة

تدل القوة على نفسها بالقـدرة والاستطـاعة . وتتولد القوة عن الطاقة ، وهذه عن أصول وجذور ما هي الا خـامات متنوعـة ، بشرية وغير بشرية ، تُنتقى وتجمع وتصنف ، ثم يجري تحويلها ، بالصناعة والصياغـة والصقل والتهـذيب ، الى أسلحـة ومعـدات وآلات ، والى مساعدين ومنفّذين، وذلك بطريق مصانع ومعامل ومستودعات ومراكز منتجة لكل هذه المتطلبات .

لا محاربة من أي نوع كـان ، بلا قوة وبلا مصادر لضمان استمرار القوة وتعاظمها . كما ولا تفيد القوة مهمـا عظمت ان لم يتهيـأ مـن يستعملها بمعرفة وفن ، بالاضافة الى مستوى رفيع من الأخلاق الكريمة والمعنويات العالية .

ان الواجب الأول للقيـادة ، هو تـأمين متطلبـات القوة وحسـن استخدامها . ومن ثم على القيادة بعدئذ أن تبني ، مما يتأمن لديها من قوة ومن عناصر استخدام القوة ، جميـع الأجهـزة القتـالية المتنوعة ومصـالحها المختلفة ، من قيادات وتشكيلات ومصالح ، ومن مستودعات ومصانع ومشاغل ، ومن مدارس ومعسكرات ومستشفيات ومنتجمات. والغرض من كل ذلك ، هـو اعـداد المتطـوعين للجهـاد وتحضيرهم، وتعبئتهم للقتال فى تشكيلات أولية ، وثم فى تشكيـلات تالية متفوقة ،

هذه التشكيلات التي يجري تحويلها بالتدريج الى قوات عسكرية جهادية نظامية ، قوات معجونة بالعرق والدماء ، مجبولة بالحماس والبسالة والاخلاص والايمان، مسيرة بالنبل والولاء، مدفوعة بالوفاء والاخلاقية الانسانية المثلى ٠

تتميز كل محاربة جهادية بطابع خاص ، بنوع من ذاتية بارزة تنبعث من نوعية وطراز حياة المواطنين ومعيشتهم ، المواطنين الذين يؤلفون القاعدة البشرية الرئيسية للمحاربة ، ومن طبيعة العمل اليومي الذي يتعاطونه ٠

واذا جاءت المحاربة الجهادية ممثلة لجميع فئات المواطنين دونما تمييز لفئة على أخرى ، وتعبيرا صادقا عن رغبات الشعب وأمانيه ، فهي حالئذ متمتعة باستجابة شعبية عامة ، وهي مرآة لوحدة وطنية شاملة ٠

والمقاتل فى المحاربة الجهادية ، مهما تكن درجته ومرتبته فى السلّم القيادي ، يجب أن يظل مثالا مجسما للنظام والطاعة والانضباط ، وقدوة صالحة فى السلوك والمعاملة ومكارم الأخلاق ٠ هذه المطالب الأخلاقية والمسلكية فرائض لا تستقيم محاربة جهادية بدونها ، ولا يسمح لأي كان بالعمل فى تشكيلة محاربة جهادية الا بعد التأكد من مناقبيته على النحو السابق الذكر ٠

٥ ـ المعرفة بالمحاربة الجهادية

أ ـ القيادات والقواعد : ـ

من المتطلبات الأساسية ، فى المحاربة الجهادية ، القدرة لدى القادة على الابتكار والاختراع والاستنباط ، واستعداد نفسي دائب الى مجابهة الأخطار والتصدي لتذليل الصعوبات ٠

وفى المحاربات الجهادية ، تتنوع فنون المقاتلة وأساليبها ووسائطها ، مع طبيعة الشعب وتركيبه الاجتماعي ، ومع طبيعة الأرض وما على سطحها من وهاد وجبال وأنهار وغابات ٠

ان المحاربة الجهادية قديمة قدم الزمن ٠ وتاريخها سجل حافل بالدروس والعبر ٠ ولا بد من مراجعة هادئة لتاريخ هذا النوع من المقاتلة ، ومن دراسة عميقة لبعض الحالات والنماذج منها ، وذلك

كواسطة للالمام بها والتعرف على مختلف أشكالها وتطوراتها ، للفائدة الشخصية والخبرة الذاتية من جهة ، ولاكتساب اللياقة لممارسة هذا النوع الصعب من المحاربة ، عند الحاجة ·

هذا التاريخ هو سلسلة طويلة من المحاولات والانتفاضات الهادفة الى التخلص من الاستعمار أو الاحتلال · انه تكرار محاولات ، وتكرار فشل واخفاق ، وتدابير قمع وارهاب · وتظل الحال كذلك ، فشل تلو فشل ، وتأزم فى الأوضاع وعدم استقرار ، الى أن يظهر القائد الصالح، وتظهر معه النواة القيادية الصالحة · ومع ظهور القيادة من هذا النوع، يظهر تحسن فوري وعام فى جميع النواحي ، بما فى ذلك جبهات القتال·

من مظاهر هذا التحسن ودلائله الفورية ، تقييم صحيح للأوضاع ، وتقدير سليم للمواقف العامة والخاصة ، وقيام أجهزة ادارية منتجة فعالة ، ووضع عقيدة سياسية جامعة ، وتحديد فلسفة ومفهوم ، وحلول المنطق الواقعي ، والعقل الواعي ، والعمل المدروس المنظم محل الجهالة والعاطفية ، ومكان الارتجال والفوضى والعشوائية · ومن بوادر هذا التحسن ، أيضا ، تمسك الجميع ، قادة وأفرادا ، بالأوامر والنواهي والتعاليم ، وابتعاد عن كل عيب وكل معصية ·

لقد سبق القول بأن المحاربة الجهادية قد تكون مرحلة أو شكلا ظرفيا من أشكال المقاتلة لدى العسكرية النظامية ، وذلك وراء خطوط العدو ، أو فى مناطق قد جرى قصفها بالأسلحة الذرية · فى مثل هذه الحالة ، يكون التخطيط للمحاربة الجهادية وتنفيذ الخطط من واجبات الحكومة الوطنية القائمة وقيادتها العسكرية · أما فى الحالات التي لا تكون فيها حكومات وطنية وقيادات عسكرية ، فى المستعمرات والأراضي المحتلة مثلا ، فالخطوات والاعدادات للمحاربة الجهادية ، تجري متتابعة على شيء شبيه بالترتيب التالي :

- دعوة ودعاة ،
- رسل ومراسلات ،
- جمع الأموال وتدبيرها ، وحفظها وحسابها ،
- قواعد ومراكز ومستودعات فى المناطق والأقاليم ،
- حفظ الأسرار وحمايتها ،
- التفتيش عن الأنصار والمتطوعين ،

ـ تنظيم وحدات الحماية والردع ،
ـ تنظيم الدعاية داخليا وخارجيا ،
ـ السيطرة على السكان المحليين فى القواعد الجهادية ، وتنظيمهم وتطهير صفوفهم من كل عنصر غير موثوق ،
ـ تنظيم تشكيلات الدفاع الذاتي ، وتشكيلات القتال محليا، وبعيدا ، ومصالح السهر والرقابة والردع والاستعلام ،
ـ الاحتراب بقصد التدريب العملي ، ومن ثم لغرض التسلح والتجهيز على حساب الخصم ،
ـ مرحلة الاحتراب الثانية ،
ـ مرحلة الاحتراب الثالثة ،
ـ تكوين القوات الجهادية النظامية ،
ـ تكوين الجيش العسكري الجهادي ،
ـ مرحلة المحاربة النهائية والحاسمة ٠

ب ـ النهج السياسي فى مسيرة المحاربة الجهادية : ـ

ان جهاز القيادة ، فى كل محاربة جهادية واعية ، سواء أكان القتال ضد الاستعمار أو ضد الاحتلال ، يتبع فى سياسته العامة خطا محوريا باتجاهين :

١ ـ اتجاه رئيسي أساسي ، اتجاه لا يقبل تعديلا ، ولا مساومة، ولا أنصاف حلول ،

٢ ـ واتجاه يتكيف مع الأحوال والظروف بقصد استخدامها ٠

يتضح الاتجاه الأساسي فى العقيدة السياسية وتفرعاتها ، ويعتبر فى حد ذاته هدفا لا أسلوبا ٠ أما الاتجاه الثاني ، الذي هو أسلوب وتكتيك، فيسير متعرجا ، يمينا ويسارا ، على جانبي الاتجاه الأساسي ، على أن يعود فيلتقي مع هذا الاتجاه عند نقاط مرحلية أو مصيرية ، وعلى أن يتطابق معه تماما فى المرحلة الأخيرة ٠

ويمكن ايضاح هذه السياسة وشرحها بطريقة أخرى ، كأن نقول ، مثلا ، بأن هناك خط سير عقائدي ، وخط سير عملي أو تطبيقي ، وأن هذا الأخير يعمل لخدمة الخط الأول ، وتسهيل طريقه ، ويستعمل

لصالحه مختلف العناصر المشاركة له فى معـاداة خصم واحد عـام لكلا الطرفين ·

الاتجاه ، أو الخط الثاني ، هو اذن السبيل العملي الى حشد جميع القوى والاستطاعات ، وتركيزها ضد العدو الرئيسي · انه يستهدف، مختصرا ، كسب المزيد من الأصدقـاء والأحـلاف ، والتقليل من عدد الأعداء والمخاصمين · ومن مظـاهر العـمل بمقتضى هذه السياسـة وأساليبها ، اقامة الجبهات الوطنيـة المتـحدة ، لغاية توحيد كل القوى الممكن جمعهـا للعمل فى جبهـة واحدة ، وتحييد الـقوى الأخرى التي يستطاع تحييدها بهذه الواسطـة · وتعمل هـذه السياسة ، فى نفـس الوقت ، على احلال التفرقة فى صفوف القوى المنافسة القابلة للشراء أو التفرقة ، فى حين يستمر العمل على تعزيز القوى الذاتية الخاصة ، وعلى تطوير قواتها المسلحة وتقويتها ·

هذه السياسـة ، تعم جميع مجـالات المقـاومة ، وخـاصة فى المجال العسكري ، وفى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية · وهي مبنية على أساس أن كل حركـة تحريرية بحاجـة الى الزمن لكي تتغلب على نقاط ضعفها ، ولكي تزيد من نواحي الضعف لدى الخصم والمنافسيـن على السواء ·

الفصل الاربعون

التنظيم للقتال في المحاربة الجهادية

يعم التنظيم للقتال،فى المحاربة الجهادية ، مختلف النواحي التأسيسية التالية :

- القواعد ،
- المراحل ،
- العصابات والجماعات المحاربة ،
- تكوين تشكيلات القتال الجهادية ،
- تسليح التشكيلات المقاتلة ،
- العناصر الجهادية المتنوعة ،
- النشاط السياسي ·

١ ـ القواعد

القواعد ، فى المحاربة الجهادية ، نوعان :

- داخلية ،
- وخارجية ·

القواعد الداخلية ، هي تلك التي تقام داخل الأراضي الوطنية المنشود تحريرها · والقاعدة الداخلية عبارة عن منطقة قوية تختار لمناعتها الطبيعية ، ويجري اعدادها وتحصينها كي تستطيع الصمود اذا هوجمت ، ولكي تكون محطة انطلاق لمختلف الجماعات والتشكيلات المقاتلة ، وموردا مصدرا للطاقات القتالية من مختلف الأنواع ·

تُقام القاعدة الداخلية ، فى منطقة تساعد أرضها على الاحتراب بقتالات الكمين والغارة ومختلف أشكال المدافعة · والأفضل أن تُختار

القاعدة الداخلية فى منطقة وعرة متقطعة مشجرة ، وفى بيئة سكانية متعاطفة مع المقاتلين الجهاديين وأهدافهم •

أما القاعدة الخارجية ، فهي قاعدة لا حربية ، تخصص أما للتجمع والتحضير والتغطية ، واما كمحطة للتسرب عبر الحدود ذهابا وايابا• كما وتخصص بعض القواعد الخارجية للاستشفاء والاستجمام •

وسواء أكانت القواعد داخلية أم خارجية ، فهي جميعها ذات طابع سري للغاية ، وخاصة أثناء المرحلة الأولى من المحاربة ، المرحلة التأسيسية • والسرية المذكورة واجبة مفروضة على جميع مظاهر النشاط وكافة الأشخاص ، وكل المواقع والمراكز والمعسكرات •

فى المرحلة الثانية ، التي تلي مرحلة التأسيس ، قد تضطر بعض القواعد الداخلية للكشف عن نفسها فى حال تعرضها للمهاجمة ، أو بعد أن تصبح جاهزة لتكون منطلقا لعمليات الاحتراب ضد العدو •

واذا تعرضت قاعدة داخلية الى الافتضاح ، وذلك قبل أن يكون باستطاعتها الدفاع عن نفسها بنجاح ، فانها والحالة هذه تخلى فورا ، ويسارع الى الانتقال منها الى قاعدة بديلة ، قاعدة قد سبق استطلاعها واعدادها لمثل هذه الغاية •

فى الخارج ، كل قاعدة يفتضح أمرها ، أي تصير معروفة علانية ، للاصدقاء والأعداء على السواء ، فانها تصير عندئذ مجلبة للقلق والأذى والمشاكل المتنوعة • ولذا ، وفى حالة كهذه ، يجري الاستغناء عن القاعدة دون تردد أو تأخير • ان السرية الكاملة لازمة للقواعد الخارجية بصورة دائمة ، وفى كل مراحل المحاربة •

وهكذا فان لكل نوع من القواعد أهدافه ومتطلباته • فالقاعدة الداخلية هي بقعة كبيرة من أرض الوطن ، أو هي منطقة كاملة تكون السيادة فيها فعلا للحركة والقوى الجهادية ، وقد جرى تحصينها وتنظيمها ، وتكديسها بالمؤونة والسلاح والذخيرة بالمقادير الوفيرة الكافية ، كما وتم تجهيزها بالمسكرات والمدارس والمشاغل ، والمصانع اذا أمكن ، وبوسائط الطباعة والنشر والاذاعة ، وبالمتطوعين المدربين والذين هم قيد التدريب •

فى كل قاعدة داخلية ، يجري احصاء عام للسكان فى القاعدة ، لغرض تصنيفهم ، وتنظيمهم ، وتوزيعهم للخدمات المحلية ، وللمصابات

والجماعات المقاتلة العاملة بعيدا عن مناطق سكناها الأصلية ·

يجري انتقاء موضع القاعدة الداخلية فى أرض وعرة صعبة المسالك، بعيدة عن طرق مواصلات العدو ومراكز قوته ، وبين سكان محليين يستجيبون للدعوة بحماس وايمان ، ويشاركون فى الأعباء والأخطار والمجازفات ·

والمفروض أن لا تقوم القاعدة الداخلية بأي نشاط احترابي الا عند بدء المرحلة الثانية ، أي بعد الانتهاء كليا من جميع أعمال التأسيس والتنظيم ، الأعمال التي تخصص المرحلة الأولى التأسيسية لجريانها ·

هذا فيما يتعلق بالقاعدة الداخلية ··

وبخصوص القواعد الخارجية ، فانها تقام فى بلدان مجاورة صديقة ومتعاطفة مع الحركة الجهادية · ومن الأفضل أن يكون مكان القاعدة الخارجية ، كما هو الحال فى القاعدة الداخلية ، فى منطقة وعرة ،بعيدة أو منعزلة عن حركة المواصلات الكثيفة · وتستمد القاعدة الخارجية مناعتها ، رئيسيا ، من سريتها ، ومن قوة الدولة الصديقة التي توجد القاعدة فى أراضيها · لكن لا يجوز أبدا التسبب بأي احراج أو قلق للدولة الصديقة ، الدولة المضيفة ، ولذا كان من الواجب أن تظل القاعدة مجهولة المكان والوجود الا من عدد محدود من المسئولين ، وأن يسارع فورا الى اخلائها واستبدالها فى حال تعرضها للكشف وفقدان السرية التامة ·

ولا يجوز ، باي حال من الأحوال ، أن تستعمل القاعدة الخارجية لأي عمل من أعمال الاحتراب المباشر ، كالانطلاق ، مثلا ، من القاعدة مباشرة الى الاشتباك مع العدو ، وبخاصة العدو القريب من مكان القاعدة ، والتراجع بعدئذ لاجتياز الحدود الصديقة ، ومن ثم التوجه رأسا الى القاعدة ، كل ذلك على مسمع ومرأى من العدو والمراقبين أصدقاء كان هؤلاء أم أعداء · ومحاذير مثل هذا العمل كثيرة ، منها :

أ ــ القاعدة الخارجية محطة تموين وتحضير وانتقال ، أو هي محطة استشفاء واستجمام · ولا يتحقق عمل القاعدة على هذا الوجه الذي هو أساسي لنجاح الحركة ، الا باستمرارها على عملها هذا دون انقطاع ، الأمر الذي لا يتم الا بالسرية المطلقة ، والا بالحفاظ على أن تظل مظاهر الحياة اليومية والنشاط العام فى القاعدة مشابهة ، دون

مغايرة ولا نشاز ، لهذه المظاهر فى البيئات المجاورة ..

ب ــ وجوب جريان المحاربة على الأرض الوطنية المقصود تحريرها، لا علــى أراضي الدول والشعوب المجــاورة ، وذلك حــتى لا تتعرض الشعوب الصديقة ومصالحها الى الضرر والأذى ، وحتى لا تندم بالتالي على تأييدها للحركة الجهادية أو تسحب هذا التأييد ..

ج ــ القاعدة الخارجية ، القريبة من حدود العدو خاصة ، تستعمل فقط كمحطةتموين متقدمة،وكمحطة تسربللمجاهدين والعتاد عبــر الحدود ، وذلك طالما بقيت غير معروفة للعدو.وفى حال افتضاح أمرها، فانها تصير حائلذ عديمة النفع ، ومجلبة للمشاكل والأخطار .

٢ ــ المراحل

تمر المحاربة الجهادية فى ثلاث مراحل رئيسية ، هي :

ــ مرحلة أولى ،

ــ ومرحلة ثانية ،

ــ ومرحلة ثالثة .

أ ــ المرحلة الأولى : ــ

هذه المرحلة ، هي مرحلة البناء والتنظيم والتدعيم . يبدأ العمل فى هذه المرحلة ، بتأسيس القيادة وتأمين حاجاتها المختلفة ، على نطــاق مصغَّر فى أول الأمر . ومن ثم تبدأ القيادة عملها بتقييم عام للأوضاع، وتقدير للمواقف العامة والخاصة ، ووضع التفاصيل العملية الهادفة الى انشاء الأجهزة والأدوات والمقرات القيادية المختلفة .

وتتوالى الخطوات .. دراســات واستطلاعــات ، واستعلامات على مجمل الأراضي الوطنية المحتلــة ، لغرض اختيار القاعدة الواحدة أو الأكثر ، التي يبدأ أعدادها وتحضيرها ، فور اختيارها ، لتكون حصنا للمقاومة الضارية ، ومنطلقــا أساسيــا لمختلف العمليــات الاحترابية والدعائية .

يجري اختيار القواعد الداخلية فى الأراضي الوعرة ، وفى المناطق الصعبة المغطاة بالغابات والأدغال كلما أمكن . ويجب أن تكون البقعة الأرضية ، التي يقع الاختيار عليها ، بعيدة عن طرق مواصلات العدو

ونقاط تجمع قواته ، وفي محيط سكني متعاطف مع الحركة الجهادية ·

يبدأ التأسيس ، وينمو ويتتابع محاطا بالسرية التامة المطلقة · هذا التأسيس يهدف ، رئيسيا ، الى تحويل المنطقة المختارة الى حصن منيع ، حصن يكون مزيجا من قلعة منيعة ، ومن معسكرات ومستودعات ومستشفيات ومقرات ، ومن مشاغل ومعامل للتصليح والصناعة ، كما وتكون القاعدة منطلقا للدعاة والسعاة وعناصر الربط والاتصال ، ومرجعا للقرارات ، وموردا للأنباء والمعلومات ·

يستمر النشاط ، في هذه المرحلة ، مقتصرا على التأسيس والتدعيم· انه بناء دفاعات القاعدة ، وتقوية مناعتها الطبيعية ، وذلك تجنبا لكل مباغتة ، وتمكينا للصمود الناجح في وجه كل هجوم للعدو · هذا النشاط ، أيضا ، هو خزن السلاح والعتاد والمئونة المختلفة ، واقامة المدارس والمعاهد العسكرية والسياسية اللازمة لتلبية جميع متطلبات التدريب والتعليم والتثقيف والمقاتلة والدعاية ، وكذلك تنظيم سكان القاعدة ، السكان المحليين ، وتطهير صفوفهم من الأعداء والمنافسين ، وتجميد امكانات كل فئة تعادي الحركة الجهادية بصورة ايجابية ·

يبدأ تنظيم السكان أولا بغربلة صفوفهم ، بقصد التمييز والتفريق ما بين العدو والصديق ، وكذلك لغرض معرفة قدراتهم واستطاعاتهم· توضع العناصر غير المستجيبة للحركة قيد الرقابة الصارمة ، وتعتقل العناصر المعادية التي قد تلجأ الى القيام بأعمال عدائية بصورة ايجابية · أما العناصر الصديقة المستجيبة ، فانه يصار الى توزيعها ضمن التشكيلات التالية :

- تشكيلات الدفاع الذاتي المكاني (غير المتنقلة) ،
- تشكيلات الدفاع المحلي الحركي ،
- الخدمات المجندة ،
- مصالح الأمن والردع والاستعلام ،
- القوة الضاربة الاحتياط ·

وانه لضرورة حيوية أن لا يشعر الخصم ، طوال هذه المرحلة التأسيسية ، ولا أن يواجه ، في منطقة القاعدة وضواحيها ، بأية أعمال أو تظاهرات عدائية أو مريبة · بل يجب ، على العكس من ذلك ، استعمال كافة الوسائل ، واللجوء الى جميع الحيل والمخادعات ، من أجل

التوصل الى تخدير العدو ، وتنويم يقظته ، والى حمله على الاقلال من اجراءات حذره وحيطته واحترازه. ان كل الحيل والأساليب والوسائط مقبولة فى سبيل ذلك ، عملا بمبدأ ان الغاية النبيلة تبرر الواسطة الشريفة ، وعلى شرط أن تعود الفائدة المرجوة على الحركة الجهادية ككل ، لا على بعض الأفراد أو الجماعات فحسب .

والنشاط ، أيضا ، فى غضون هذه المرحلة التأسيسية ، المرحلة الأولى، كل نشاط ، يجري فى ستار تغطيات ومظاهر خارجية خادعة ، بحيث لا يستطيع المشاهد أو المراقب ، عدوا كان أم صديقا ، أن يتوصل الى معرفة الحقيقة الكامنة خلف هذه المظاهر والتغطيات .

والمعني بالتغطيات والمظاهر الخادعة ، أن يجري العمل الجهادي ويتواصل دون انقطاع وراء واجهات تجارية أو صناعية أو زراعية ، متفقة مع البيئة المجاورة اذا أمكن ، وبحيث يجري العمل الجهادي بواسطتها دون أن يلفت الأنظار ، ودون أن يتسبب فى بعث شكوك الخصم وايقاظ ريبته .

ب ـ المرحلة الثانية : ـ

هذه المرحلة ، هي مرحلة تدعيم واستغلال ، وتبدأ بعد انتهاء جميع أعمال البناء والتأسيس المطلوبة للمرحلة الأولى . ومن الممكن ،مبدئيا، الشروع فى هذه المرحلة بنشاطات احترابية متدرجة ، مع الاستمرار على تقوية دفاعات القاعدة وتدعيم طاقتها وقدرتها على مقاومة كل محاولة قد يقوم بها العدو بقصد الاحتلال أو التأديب والارهاب .

يتدفق النشاط الجهادي من القاعدة ، متعاظما باستمرار وبصورة تصاعدية . وهو نشاط ينتشر ، قتاليا وسياسيا ، انتشار بقعة الزيت، من قريب الى بعيد فأبعد ، وفى جميع الاتجاهات .

للنشاط فى هذه المرحلة هدفان :

ـ التقوية السياسية ،

ـ والتقوية الحربية .

، ـ التقوية السياسية : ـ

تقوم التقوية السياسية على أساس بسط النفوذ السياسي والعقائدي

للحركة الجهادية على جميع السكان فى المناطق المتاخمة • والعمل فى هذا السبيل يسير متغلغلا من بيت الى بيت ، ومن قرية الى أخرى ، وهكذا دواليك ، الى أن 'تغطّى المنطقة بكاملها • يجري هذا التغلغل بواسطة الدعاة والمحرضين ، مصاحبا ، فى الوقت ذاته ، بتدابير لفرض السيطرة على السكان وتنظيمهم ، على النحو الذي جرى مع سكان القاعدة فى المرحلة الأولى •

وبعد أن تتحقق هذه السيطرة الداخلية بصورة فعلية شاملة، يصار عندئذ الى مهاجمة مواقع العدو المنعزلة ، ومفارز أمنه الثابتة والمتنقلة، وقوافله ، وذلك لغرض الاستيلاء على أسلحته وذخيرته وتجهيزاته ، ولتدريب المقاتلين الجهاديين على ممارسة أساليب الجهادية وفنونها عمليا فى ميادين القتال •

٢ ـ التقوية الحربية :ـ

هذه التقوية ، هي تقوية بالسلاح والعتاد ومختلف المعدات والتجهيزات والمواقع الأرضية المنيعة ، وتقوية بالممارسة القتالية والمران والتجربة ، والتعود على تحمل المشاق ومجابهة الأخطار والصعاب •

'تكتسب التقوية الحربية ، أساسا ، بممارسة عمليات الاحتراب المتنوعة الأشكال والظروف والأساليب ، وبمقاتلة الخصم ابتداء بالفرادى والمثنى والثلاث ، ومن ثم بالزمرة والحضيرة والجماعة والفصيل ، وهكذا دواليك ، الى أن يصل الأمر ، مع مرور الزمن ، الى دخول المعركة بالتشكيلات الجهادية الكبيرة •

أسلوب الاحتراب ، فى هذه المرحلة ، هو أسلوب الغارة والكمين • وأهدافه هي المخافر والنقاط العسكرية المنعزلة ، والقوافل والجسور والخطوط الحديدية ، والعبارات ، والعناصر السكانية المتعاونة مع الخصم • والغرض من هذا الاحتراب ، علاوة على التدريب على القتال واكتساب خبرته العملية على أرض المعركة ، هو أيضا الاستيلاء على الأسلحة والتجهيزات من المخافر والمعسكرات والقوافل ، ومن مخلفات العدو فى ساحة القتال • أضف الى ذلك ما 'يتوخى من ورائه من تأثير ضار على معنويات الخصم ، ومن دعاية ناجحة للحركة الجهادية لدى

السكان فى الأراضي التي يحتلها العدو •

فى بداية الأمر ، ونظرا لقلة الموارد والامكانات ، يعطى المجاهدون أسلحة من نوع الأسلحة التي يستعملها جنود العدو ، وذلك كي يظل بالامكان الحصول على الذخيرة وقطع الغيار من العدو نفسه • والقتال فى هذه المرحلة عبارة عن عمليات محدودة،واشتباكات موضعية صغيرة، بتكتيك « أضرب وأهرب » • هذا الأسلوب من القتال ، على العموم ، صعب وعظيم الخطر • وهو يتطلب من المقاتل الجهادي جهدا عظيما ، وضبطا صارما ، وتنظيما متينا ، وأعصابا فولاذية ، وعقيدة قوية راسخة ، ومعنويات عالية ممتازة • والمجاهدون ، دوما ، هم الذين يفرضون زمان المعركة ومكانها ، وليس هو الخصم أبدا •

القتال والانتقال يجريان فى الليل • أما النهار فانه يخصص للاستراحة والاختفاء عن الأنظار ، ولأعمال الزراعة والتجارة عند الحاجة • والاختفاء عن كل مراقبة ، يحصل ، فى المراكز المزمنة ، بالسكنى فى باطن الأرض •• وفى المراكز الموقتة ، بالاستتار بالأشجار والمزروعات والكهوف ، وبالشباك المموهة والملاجىء من صنع الانسان• وقد يجري الاختفاء بنزع اللباس الجهادي المميز ، واستبداله بأزياء السكان المحليين وألبستهم ، ومجاراة هؤلاء ومقاسمتهم روتينية أعمالهم اليومية ، فى الزراعة والفلاحة وأعمال البستنة •

والسكان المحليون ضرورة حيوية ، وخلفية لا بد منها لكل محاربة جهادية • هؤلاء السكان مثلهم بالنسبة الى المجاهدين كمثل البحر بالنسبة الى السمك • وكما لا يستطيع السمك أن يحيا خارج الماء ، كذلك لا يستطيع المقاتلون بالمحاربة الجهادية أن يعيشوا خارج سكان محليين متعاطفين معهم ، ومؤازرين لهم بكل ما يستطيعون •

ج ـ المرحلة الثالثة : ـ

المرحلة الثالثة ، هي مرحلة الاستغلال على نطاق واسع ، استغلال لكل ما قد تم توظيفه من تأسيس وبناء واختبار خلال المرحلتين السابقتين ، الأولى والثانية •

فى هذه المرحلة ، تنشط القوات الجهادية الى القتال بقوة ، على سلم كبير وجبهات متعددة ، منتقلة بالجماعات والتشكيلات الجهادية

المحاربة،التي تمرنت على القتال ومارسته بنجاح أثناء المرحلة الثانية، من حال التنظيم الجهادي الفضفاض الى حال العسكرية النظامية• ويعني هذا الانتقال تحول القوات الجهادية الممتازة الى جيش نظامي يكون باستطاعته مقاتلة جيوش العدو وفقا للقواعد والأساليب العسكرية التقليدية ، ومن ثم ايقاع الهزيمة بها بنتائج معارك نهائية حاسمة •

ان التحويل الى جيش نظامي يجري بالتدريج والمرحلية • ذلك لأنه لا بد من مرور العصابات والجماعات والتشكيلات الأولية الجهادية ، فى المراحل الأولى والثانية وحتى منتصف الثالثة ، فى تجارب عدة واختبارات عملية تكون نتائجها مقياسا للجودة والكفاءة،وسبيلا للقيادة الى اجراء الانتقاء • أما متى يتم تحويل كل تشكيلة الى وحدة نظامية فأمر تحدده كفاءة هذه التشكيلات ونوع تسلحها وتجهيزها •

وبينما يجري تشكيل الجيش النظامي ، تواظب القوى الجهادية الأخرى على نشاطها الاحترابي بمزيد من الضراوة والبأس ، عاملة بالتنسيق والانسجام مع القوى الجهادية النظامية ، أو مستقلة عاملة لوحدها وراء خطوط العدو ، وفقا لمخططات خاصة •

ان المرحلة الأولى ، التي هي التأسيس والتنظيم والتدعيم والادامة والصيانة ، والمرحلة الثانية ، التي هي التوسع فى التأسيس والبناء ، والتقوية المستمرة فىمجالاتالسياسة والمقاتلة، والانتشار كبقعةالزيت، والمرحلة الثالثة ، التي هي تشكيل الجيش الجهادي ، واستهداف القرار الحاسم والغلبة العسكرية والسياسية نهائيا ، هذه المراحل جميعها تسعى الى تحقيق النقاط السبع الرئيسية التالية :

١ ــ ايقاظ الشعب وتنظيمه ،
٣ ــ بناء القوات الجهادية وتنظيمها ،
٢ ــ اقامة القواعد ،
٤ ــ تحقيق الوحدة السياسية والداخلية ،
٥ ــ استعادة القوة والكرامة القومية ،
٦ ــ تدمير القوة القومية للعدو ،
٧ ــ استرجاع الأراضي المفقودة •

٣ ـ العصابات المحاربة

العصابة هي كل جماعة لا نظامية تقاتل بالمحاربة الجهادية ، ولا يتجاوز عدد أفرادها الثلاثين نفرا · وكل عصابة يزيد عدد أفرادها عن الثلاثين ، مدعوة لأن تشكل أول تشكيلة لا نظامية ، ولكن شبه عسكرية ، وفي سرية تامة ·

ان تشكيل كل عصابة جهادية مرتبط بالنقاط الآتية :

- عناصر التكوين ،
- التنظيم ،
- التسليح والتجهيز ،
- ممارسة القتال ·

أ ـ عناصر التكوين : ـ

يمكن للعصابة الجهادية أن تتكون من واحد أو أكثر من المصادر التالية :

- الجماهير الشعبية ،
- الأجهزة الادارية المختلفة ،
- المتطوعة من جيوش صديقة ،
- الملتحقة من قوات العدو ،
- التوابين من أصحاب السوابق ·

الجماهير الشعبية :

جميع المصادر المذكورة أعلاه مقبولة عندما يعم القتال وتتعدد ساحاته · والمصدر الأول ، أي الشعب ، هو النموذج والأفضل · والأخذ من هذا المصدر ، يجري بطريق التشويق والتسبب بدفع أشجع العناصر الشعبية وأفضلها الى الالتحاق بالجهاد تلبية لدعوة الحركة ، وثم بتجهيز هذه العناصر بأدوات المقاتلة المتيسرة ، وتسييرها بعدئذ الى التدريب وممارسة الاحتراب في منطقة معينة ·

تسهل الدعوة الى الجهاد ، بنداءات عاطفية توجه الى الجماهير الشعبية ، حاثة اياها على الالتحاق بالقوات الجهادية الوطنية ، وداعية الى التضحية في سبيل الواجب والكرامة · ونداءات كهذه تلقى استحسانا

واستجابة قوية ، عندما تكون قيادة الدعوة على اتصال وتفاهم وانسجام مع الزعامات المحلية ٠

وعندما لا يكون هنالك شيئى متوفر من هذا التفاهم والاتفاق ، فعلى الحركة الجهادية حالئذ أن تستنفر أعضاءها من قادة الجماهير المحليين وأنصارهم ، طالبة منهم أن يتولوا بأنفسهم أمر تهيئة الجماهير المحلية وتجنيدها ٠

والزعامة المحلية ، فى حالات كهذه ، تقع على عاتق أوعى العناصر وأشجعها فى فئات الزعماء ، ورجـال الدين ، والأساتـذة والمدرسين ، وأصحاب المهن الحرة ، والعسكريين المتحررين ، والطلبة ، وكل مـن ليست له مهنة ثابتة تربطه الى مكانه ٠ ولا يصلح للقيادة ، مـن أفراد هذه الفئات ، الا من كان ذا معرفة وخبرة ، وعلى استعداد كلي للعمل والعطاء والتضحية بماله ونفسه حتى الرمق الأخير ٠

لا تفرق الدعوة الجهادية بين الحضري والفلاح ، ولا بين العامـل البسيط والأستاذ الكبير ٠ المهم أن يتحلّى المتطوع بالأخلاق والشجاعة والايمان ، وأن يكون ذا فائدة ، وأن يكون تطوعه جهادا فى سبيل الله والوطن ٠

ولا ضرر فى أن يكون المتطوع أميا ٠ الا انـه لا جدال فى أن المتعلم أكثر فائدة ونفعا ، وخاصة اذا كـان جامعا بين الثقافة وبين التقوى والأخلاقية العالية المطلوبة للاشتراك فى محاربة جهادية ٠ وكل متطوع يصير مقاتلا جهاديا حالما يتسلم سلاحه ٠ ومن ثم فهو يغدو عضوا عاملا فى تشكيلة مقاتلة جهادية فور أن يدخل فى سياق التنظيم ٠

ان القتالات الجهادية ، هي بمثابة مدرسـة عامـة للتشبع بروحية الجهاد وتعلم المحاربة ٠ وباستطاعة كل متطوع ، بعد أن يشترك فى عدد من الاشتباكات ، أن يصير قائد عصابـة أو جماعـة ، وان يتفوق على كثير من العسكريين المحترفين ٠

٢ ـ الأجهزة الادارية :

الآتون من هذا المصدر ، من الموظفين المحليين، مدنيين وعسكريين، يضعون أنفسهم تحت تصرف آمر القوى الجهادية فى المحل الذي يوجدون فيه ٠ واذا كان لدى مثل هؤلاء المتطوعين خبرة عسكرية ، فباستطاعتهم

أن يؤلفوا من تلقاء أنفسهم عصابة جهادية مقاتلة ، وأن ينتخبوا لقيادتها بعض خيارهم ، مؤسسين هكذا نواة أولية لجماعة جهادية محلية ٠

٣ ـ من الجيوش الصديقة :

يستعمل الملتحقون من جيوش صديقة ، فى أول الأمر ، بأعداد صغيرة كنواة لتدريب الرفاق المجاهدين على ممارسة القتال وتلقي فنونه ، مكونين هكذا عمودا فقريا لتشكيلة جهادية محلية ٠

٤ ـ الملتحقون من قوات العدو :

الآتون من أجهزة العدو واداراته المختلفة ، والذين يلتحقون بالحركة الجهادية بعد اعلان توبتهم ، فهؤلاء يخضعون الى فترة محك واختبار ، ليرسلوا بعدها الى احدى التشكيلات الجهادية المقاتلة منضمين الى صفوفها ٠ وهذا النوع من المتطوعين يكون هدفا لرقابة شديدة مستمرة ، ولحملة قوية ناشطة ودائبة من الدعاية السياسية والارشاد الروحي ٠

٥ ـ من أصحاب السوابق :

ان استعمال هذا النوع من العناصر التائبة جائز لغرض الحيلولة دون استعماله من قبل الخصم ٠ تعامل هذه العناصر كما يعامل الفارون من صفوف العدو ، فتخضع الى رقابة مستمرة صارمة ، والى حملة مركزة من التقويم والتهذيب والتعليم ، حملة تهدف الى اصلاح الاعوجاج واحلال الأخلاق والايمان محل الغواية والاثم والضلال ، وضمان الأخلاص والتفاني فى سبيل الحركة الجهادية وأهدافها التحريرية ٠ ولا يعهد لأحد من هذه العناصر بقيادة أو مهمة منفردة ، الا بعد مضي زمن طويل من الاختبار والتجربة ٠

٦ ـ بوتقة اخلاقية :

ان الفوارق الكبيرة ، التي لا مفر من قيامها بسبب تعدد المنابت واختلاف الأذواق والمشارب ، تستدعي العمل لصهر هذه العناصر المختلفة المتباينة فى بوتقة أخلاقية عالية المستوى ، وتوحيدها بنتيجة

ذلك لتشكل عالما كبيرا واحدا من المجاهدين ، وموردا لقتالات جهادية تعم فيها البطولات والمنجزات الخارقة ٠

لدى الصنيين مثل يقول « ان هذا الجبل الكبير عظيم لأنه لا يستخف بذرات التراب التي تحملها الريح اليه » ٠ وكذلك هي الأنهار والبحار، التي هي عظيمة وكبيرة لكونها تحتضن كل جدول وكل ساقية ٠ ومن ثم فان تجنيد وتنظيم تشكيلات مقاتلة جهادية من جميع الأنواع والأصناف ، ومن كل مورد مستطاع ، لمما يساعد على تعظيم الامكانات والطاقات لدى الحركة ، الأمر الذي يجب ان يكون موضع تقدير واهتمام من جميع المواطنين ٠

٤ ـ تنظيم التشكيلات الجهادية

أ ـ الادارات والمقرات :

تقسم الأرض الى مناطق ، والمنطقة الى قطاعات ، والقطاع الى أقضية ونواحي ٠ وعلى أساس هذا التقسيم يجري توزيع العصابات والجماعات والتشكيلات الجهاية المقاتلة ، بنسب تتلاءم مع حجم كل تقسيم أرضي وأهميته ، بدءا بالعصابة ، فالجماعة ، فالسرية ، فالكتيبة فما فوق ٠

يعين لكل قسم من هذه التقسيمات قائد عسكري ، ومفوض سياسي، ومرشد ٠ ويوضع تحت تصرف القائد والمفوض والمرشد العدد اللازم والمتوفر من الضباط والأعوان ، من عسكريين وسياسيين ورجال الدين ٠

ولكل قيادة ، مهما كان حجمها ، مقر ٠ وكل مقر يتألف من هيئة أركان ، ومصالح ، ومفارز طبية ، وكل هؤلاء هم تحت سلطة واشراف رئيس الأركان ٠ ويتصرف رئيس الأركان ، بدوره ، تبعا لما يتلقاه من قائده من أوامر وتعليمات ٠

وتوجد فى المقرات السياسية مكاتب لتنظيم الدعاية والحركات الجماهيرية وتصريف الأعمال ٠ هذه المكاتب تعمل بتوجيه واشراف المفوض السياسي والمرشد الأكبر فى المنطقة ، أو فى القطاع ، أو فى القضاء والناحية ٠

كل أرض تابعة للادارة العسكرية الجهادية ، يجري توزيعها وفقا للتقسيمات الادارية السابقة الذكر ٠ ويتم ذلك بناء على طبيعة

الأراضي ، ووضع العدو محليا ، ووضع الحركة واستطاعاتها العملية • وكل قسم من هذه الأقسام الفرعية يؤلف ، بدوره ، ادارات عسكرية مكونة من عدة تفرعات وفقا للظروف والحاجة •

تعين الواجبات فى المقرات ، بالتناسب مع عدد القوات الجهادية المتوفرة محليا • ويتقرر عدد الضباط والمفوضين فى حدود المتوفر من هذه الفئات ، وبحيث تسير الأمور بدقة وعزم ، وبفاعلية وانتاجية •

ولكي يتحقق توحيد السيطرة ، وحسن استخدام القوى الجهادية المتأتية من مصادر مختلفة ، تقوم فى كل منطقة وكل قطاع وكل قضاء ، لجنة مؤلفة من عدد من الأعضاء ، تسعة على الأكثر • تنتخب هذه اللجنة من قبل المقاتلين والضباط والمرشدين والمفوضين السياسيين المحليين ، ومهمتها العمل والقيام بمثابة منبر حر لمناقشة مختلف القضايا السياسية والعسكرية على السواء •

ب ـ السكان والتشكيلات :

يُسلح السكان المحليون جميعا ، ويوزعون الى :

- فريق المقاتلة التعرضية ،
- فريق المدافعة المحلية ،

وكل فريق يتوزع ، بدوره ، الى تشكيلات فرعية بأحجام مختلفة ، صغيرة ومتوسطة وكبيرة •

تتألف التشكيلة الصغرى من جماعة أو فئة أو سرية • وتحتوي الناحية على عدد غير محدود من هذه التشكيلات الصغيرة • والتشكيلة المتوسطة هي الكتيبة التي تتألف من سريتين ، أو ثلاثة ، أو أربعة • ويجب أن يقوم فى كل قضاء عدة كتائب من هذا النوع ، كتائب مستقلة بذاتيتها وأعدادها عن التشكيلات الصغيرة الموجودة فى النواحي العائدة الى القضاء •

ومع أن التشكيلات التي تتكون فى الناحية ، تعتبر خاصة بهذا المركز ، ومسئولة عن حمايته والدفاع عنه ، الا انها قد تنتدب للعمل خارج أراضيها ، فى نواحي وأماكن أخرى • وكل تشكيلة توجد للعمل خارج محلها الأصلي تكون مجبرة على العمل بالتعاون والارتباط مع التشكيلات المحلية فى مكان انتدابها ، وذلك لأجل أن تستفيد من

استطاعة هذه التشكلات وقدراتها ، ومن معرفتها بالأرض والسكان والعادات والمناخ ، ومما قد يكون متوفرا لديها من معلومات عن العدو •

يأتي اللواء بعد الكتيبة علوا • واللواء هو التشكيلة الجهادية الكبيرة • وهو يتألف من عدد غير محدود من الكتائب ، من كتيبتين الى أربع كتائب • وعندما تسمح امكانات المنطقة السكنية والتجهيزية ، فانه يعمد حالئذ الى تشكيل جحفل واحد أو اكثر ، كل جحفل مؤلف من عدد من الألوية يتراوح ما بين لوائين الى أربعة ألوية •

ج ـ اللواء :

يأتي اللواء بعد الكتيبة • وهو تشكيلة كبيرة تخضع الى غاية ما يمكن من دقة واتقان فى التنظيم والانتقاء • ويبنى اللواء عادة على أساس اثني عشر مقاتلا فى الحضيرة ، وثلاث حضائر فى الفصيلة وأربع فصائل فى السرية ، وأربع سرايا فى الكتيبة ، وأربع كتائب فى اللواء • وللواء ، كما للجحفل ، قائد ومعاون وضابط سياسي ومرشد ، وذلك بالاضافة الى هيئة أركان كاملة •

د ـ العدد والتسليح :

لكل تشكيلة جهادية مقاتلة خصائصها التنظيمية الخاصة • فالزمرة أو العصبة ، وهي أصغر تشكيلة جهادية ، تتألف من آمر ومن أربعة مقاتلين أو خمسة • والحضيرة هي التشكيلة التالية ، وتتكون من زمرتين ، ومن آمر للحضيرة ومعاون له • وتأتي بعدئذ الجماعة ، فالفصيلة ، فالسرية ، فالكتيبة ، فاللواء ، فالجحفل ، فالفرقة أو مجموعة الجحافل •

يتكون السلاح ، فى الزمرة والحضيرة ، والجماعة والفئة ، من عدد من الأسلحة الأتوماتيكية الصغيرة ، فى حدود المتوفر من هذا النوع ، ومن بعض الأسلحة المصنوعة محليا ، كبنادق الصيد ، والسيوف ، والرماح والهراوات والنبابيت •

تتكون الفصيلة من حضيرتين أو ثلاث أو أربع حضائر ، وذلك وفقا للامكانات البشرية المتوفرة والأسلحة المتيسرة • ولكل فصيلة آمر ومساعد ، كما ويلحق بها مرشد وضابط سياسي ، وذلك عندما تفرز

للعمل بصورة مستقلة • ويكفي ، في بادىء الأمر ، أن يتأمن للفصيلة عشر بنادق ، وأن يتكون السلاح المتبقي من أسلحة الصيد ، ومن السيوف والخناجر والرماح والهراوات •

وتتألف السرية من ثلاث أو أربع فصائل ، وفقا للامكانات • ولكل سرية آمر ومساعد ومرشد وضابط سياسي • وكل هذه التشكيلات تعمل تحت الاشراف المباشر للقائد العسكري لمنطقة العمليات •

في الكتيبة ، يكون الاهتمام عظيما وكبيرا بمسائل التنظيم والتجهيز • وعندما يجري تكوين الكتيبة على أساس الانتقاء من ملاكات السرايا ، فيجب أن لا تحرم هذه التشكيلات كليا من طاقاتها المادية والبشرية لصالح التشكيل الجديد •

وعندما تتأمن واجبات الأمن والبوليس والميليشيا بتشكيلات محلية ، فلا داعي حالئذ لتكليف التشكيلات المقاتلة نفسها بواجبات اضافية من هذا النوع •

هـ ـ مصادر التجنيد :

الشعب كله ، رجالا ونساء ، وابتداء من سن السادسة عشرة حتى الخامسة والأربعين ، يجري تجنيده وتعبئته وتنظيمه في تشكيلات دفاعية ذاتية ، وعلى أساس الخدمة الطوعية دون مقابل • والخطوة الجهادية الأولى ، لأفراد الشعب ، هي الحصول على السلاح ، يلي ذلك التدريب العسكري والتفقيه السياسي والارشاد الديني • وهنالك واجبات أخرى تقع تأديتها على عاتق الشعب ، منها :

ـ الحراسة المحلية ،

ـ جمع المعلومات عن العدو ،

ـ تحييد الخصوم الداخليين والحجز على الخونة ،

ـ الحيلولة دون انتشار دعاية العدو •

وعندما يقوم العدو بهجوم على جبهة ما ، في الاقليم أو القضاء أو المنطقة ، فعلى التشكيلات الشعبية ، المسلحة بما تيسر الحصول عليه من الأسلحة والادوات ، أن تسارع الى مواجهته وصده ، موزعة على مراكز قد جرى تعيينها مسبقا ، لغرض تضليل العدو المهاجم ، وعرقلة حركاته ، وازعاجه • وهكذا تقوم التشكيلات المحلية بنصيبها من القتال ،

بالمشاركة الفعلية والمساندة الكلية على النحو المذكور أعلاه ٠

و ــ واجبات اضافية :

لتشكيلات الدفاع الذاتية واجبات اضافية أخرى غير التي ذكرت أعلاه ٠ من هذه الواجبات الاضافية ، على سبيل المثال ، حمل نقالات الجرحى ، ونقل المؤن الى المقاتلين ، وجميع الأعمال الهادفة الى رفع معنويات المحاربين والترفيه عنهم ، كتقديم الهدايا ، والمشروبات الساخنة ، والفواكه ، والحلويات ، الخ ٠٠٠

ز ــ خلاصة :

يقوم الشعب بنصيبه من الجهاد ، وذلك بدعم الحركة الجهادية ، ومساندة المحاربين ، وفى تغذية الطاقة البشرية للقوى الجهادية النظامية ٠ ويجري كل ذلك على الأسس التي ورد بيانها فيما سبق ٠

ان تنظيم تشكيلات الدفاع المحلية الذاتية ، فى أماكن السكن ، ما هو الا خطوة مرحلية انتقالية نحو الخدمة الالزامية العامة ٠ وعندما تنتظم المحلة السكنية فى تشكيلات دفاع ذاتية ، فلن يكون باستطاعة المعارضين بعدئذ ان يظلوا مجهولين ، كما ولن يكون للصوص وأولاد الضلال مجال للاخلال بالنظام العام واقلاق راحة السكان ٠

لا يبتعد المقاتلون ، فى تشكيلات الدفاع الذاتية ، كثيرا عن عائلاتهم وبيوتهم ، الا فى حالات الضرورة الماسة ٠ واذا حدث وأرسلوا الى مكان بعيد عن محلتهم ، فانهم يكونون حالئذ ضيوفا على عاتق السلطات الجهادية فى مكان نزولهم ، فى حين تكون اعاشتهم على عاتقهم ما بقوا فى منازلهم الأصلية ٠ وكل فرد ، من هذه التشكيلات ، مكلف بأن يجهز نفسه بسلاح ما ، حتى ولو كان ذلك سكينا ، أو مسدسا صغيرا ، أو رمحا أو سيفا أو هراوة ٠

وعندما يكون العدو على مقربة من تشكيلات الدفاع الذاتية ، فواجب هذه التشكيلات ان تنظم ، لصالحها وبوسائلها الخاصة ، تشكيلة مقاتلة صغيرة ، يتطوع أفرادها باختيارهم ومن تلقاء أنفسهم ، وتكون مكلفة بمهام قتالية بعيدا عن القرية أو المحلة ٠ مثل هذا التنظيم ضروري ومفيد ، لكونه يمكن الشعب من الحصول على المعرفة

العسكرية والسياسية ، ويؤهله لواجبات حفظ الأمن والنظام في المؤخرات ، ولملء الشواغر في صفوف القوات الجهادية النظامية ·

٥ ـ تجهيز القوات الجهادية المحاربة

عند التحدث عن التشكيلات الجهادية ، يجب أن يكون مفهوما أن العصابات والجماعات الجهادية وسواها من التشكيلات الصغيرة الخفيفة ، ما هي سوى تشكيلات هجوم وانقضاض متسلحة كيفما اتفق، وانها تكتفي لذلك بالتجهيزات البسيطة · والقياس في التجهيز يقوم على أساس طبيعة الواجبات المطلوبة من كل تشكيلة · ومن البديهي أن يكون تجهيز العصابات وما شابهها من الجماعات الجهادية الخفيفة ، التي هي في المرتبة الدنيا من حيث الأهلية للقتال ، أقل جودة وقوة من تجهيز التشكيلات الكبيرة العالية الكفاءة واللياقة للحرب والاقتتال ·

ان تجهيز مقاتلين مكلفين بتدمير خطوط المواصلات الحديدية ، مثلا ، هو بالطبع أفضل من تجهيز أولئك الذين ليس لهم مثل هذا الواجب · والتجهيز لا يبنى أبدا على أساس ما يريده المقاتلون أنفسهم ، وانما فقط على أساس المتيسر بين أيديهم · ولا تتأمن التجهيزات ، عادة ، في التو واللحظة ، بل لا بد من الحصول عليها بصورة تدريجية · هذه الناحية من موضوع التجهيز هامة ، ويجب أن تبقى ماثلة للعيان ·

واصطلاح التجهيز يعم ، بمعناه وشموله ، التسليح وتوزيع وتبديل الأسلحة والذخيرة ، والأغطية ، ووسائط المخابرة ، والنقل ، ووسائل الدعاية · والأصعب ، في كل ذلك ، هو التموين بالأسلحة والذخيرة وقطع الغيار ، وخاصة في مراحل التنظيم الأولية · ومن الواجب العمل على تذليل هذه المصاعب بأسرع وقت ·

العصابات والجماعات المقاتلة الصغيرة ، التي تخرج تلقائيا من صفوف الشعب ، تتجهز بالمسدسات ، والبنادق على اختلاف أنواعها ، والرماح والسيوف ، والألغام والقذائف اليدوية من صنع محلي · يضاف الى كل ذلك ما يمكن جمعه من الأسلحة البدائية ، ومن البنادق الحديثة المتوفرة للتوزيع ·

وعملية التجهيز ، عملية مستمرة متواصلة ومتحسنة مع مرور

الأيام ، بحيث لا يمر وقت طويل الا وقد تحقق التجهيز اللازم من أسلاب العدو • وتشكيلات النقل الجهادية هي عادة أول التشكيلات فى ترتيب الأسبقية من حيث تلبية مطالبها من وسائط النقل ، مما قد يستولي عليه من العدو ، من مستودعاته ، ومن مخلفاته فى ميادين القتال •

فى كل مركز جهادي ، من مستوى القضاء وما فوق ، يُقام معمل لصنع البنادق والهاون والذخيرة وقطع الغيار ، وتصليحها ، ولعمل الحراب والقنابل والألغام ومختلف المتفجرات الأخرى • لكن الاعتماد على مثل هذا المصدر يظل محدودا ، ويبقى العدو المصدر الرئيسي للتجهيز والتموين •

وانه لمن الضرورة الحيوية ، أن يبرع المجاهدون فى استعمال المتفجرات واتقان أعمال التخريب • وفى كل كتيبة وكل لواء ، بصورة خاصة ، تقوم تشكيلات جهادية مختصة متفرغة لهذه النشاطات • والأهداف الأولية الدائمة ، لمثل هذه التشكيلات ، هي الخطوط الحديدية ، والمطارات ، والمرافىء ، والجسور ، والمولدات الكهربائية ، والمقرات القيادية ، ونقاط العدو المنعزلة ، وكل معمل أو مصنع يساهم فى انتاج العدو الحربي وتعظيم طاقته •

ومن حيث الألبسة ، يُخصص لكل مجاهد مجموعتان صيفيتان ، ومجموعة شتوية ، ومعطف مقاوم للبرد والمطر ، وغطاءان للرأس ، وحذاءان متينان ، وأربطة للساق ، وغطاء منامة صوفي • ولكل فرد حقيبة جانبية (جنبية) للطعام ، وحقيبة ظهرية خفيفة ، ومطرتان صغيرتان لماء الشرب • ولا يمكن الحصول على الألبسة الخارجية من لدن العدو ، لاختلافها من جهة ، ولتحريم الاستيلاء على ألبسة القتلى والأسرى • وكل ما يتعلق بالألبسة يقع تأمينه على عاتق السلطات الجهادية فى مكان تمركز المجاهدين ، أو فى أماكن تطوعهم • والتشكيلات الجهادية الصغيرة ، من درجة العصابة والجماعة ، معفاة من ارتداء الألبسة الرسمية المخصصة للحركة الجهادية •

وفيما يعود الى وسائط المخابرة ، فالمتيسر منها يستعمل أولا لصالح الكتيبة واللواء • ولا يحول هذا دون قيام العصابات والجماعات بالسعي

للحصول على لوازمها من وسائط المخابرة بوسائلها الخاصة • والحصول على هذه التجهيزات يتم ، عادة ، بالشراء أو المصادرة ، وبالاغتصاب من لدن قوات العدو ومراكزه •

وبخصوص الأدويــة والتجهيزات الطبية ، فيجب توفيرهـا لجميع المقاتلين بمقاديــر كــافية ، واســتخدامها لصالحهم بمعرفــة ومهارة وفاعلية • ومن الواجب الحصول على هذه الضروريات الحيويــة مهما يكن الثمن ، وبأية واسطة ، ومــن جميع المصادر الممكنة ، بما فى ذلــك مصادر العدو •

لا تحتاج التشكيلات الجهادية الصغيرة ، من مرتبة العصابة والجماعة والفصيلة والسرية ، الى وسائط نقل حيوانية أو ميكانيكية • ولا تقوم حاجة لمثل هذه الوسائط الا فى الكتيبة واللواء والجحفل • بيد ان هــذا القول ليس هو بالأمر البات الجازم الــذي لا خروج عنه ، لأن القول الأخير بهذا الخصوص يظل لطبيعة الأرض ومدى اتساعها •

وتحتاج التشكيلات الجهادية الكبيرة ، ابتداء من اللواء فما فوق ، الى آلات النسخ والطباعة ، والى آلات تصوير وامكانــات وتسهيلات فى أمور الدعاية ، والطباعة ، وفى تعميم كل ما له علاقة بالتدريب والتعليم والتفقيه (١) • ويحتاج المقاتلون المجاهدون ، الضباط منهم خاصة ، الى مناظير وبوصلات ، وخرائط عسكريــة ، ومعلومــات وافية عــن السكان وطبيعة الأرض لكل منطقة يرسلون للعمل فيها • ومن واجب القيادات الجهادية ، على مختلف المستويات ، أن تؤمــن لمحاربيها كــل مطالبهم وحاجاتهم من هــذه اللوازم ، ولكن بعد أن يعجز المحاربــون أنفسهم عن الحصول عليها بطرقهم الخاصة •

٦ ـ نوعية الانسان الصالح للمحاربة الجهادية

المحاربة الجهادية طويلة الأمد قصدا وأسلوبا ، وذات نفس طويل • ولذا فــلا يحسنها ، أو يقدر على ممارستها وتحمل اعبائها ومشقاتها بصبر وعزم وأنــاة ، سوى مــن يتحلى بالايمان الراسخ ، والشجاعــة الروحية والبدنية ، والأخلاص التام للوطن ولقضايا الشعب المصيرية •

---

(١) التثقيف العقائدي •

واجب الضباط ، فى المحاربة الجهادية ، شاق وعسير • فالضابط مطلوب منه أن يكون ذا طاقة كبيرة على الصبر والاحتمال وتقبل المشاق ، ليكون بذلك لرجاله قدوة ، ويكون النوذج الكامل للمقاتل البطل فى أعينهم • وعليه أن يحسن الاختلاط والاندماج بسهولة مع المواطنين من أفراد الشعب ، وأن يؤلف من نفسه ورجاله قوة واحدة صامدة كالصخر فى وجه العدو •

كل ضابط يطمح الى تحقيق الانتصارات • والحصول على النصر ليس بالمتيسر دون معرفة ودراية وخبرة بالأسلحة والتكتيك • وما من جماعة مجاهدة تكون عاملة بامرة ضباط أكفاء ، من النوع المذكور أعلاه ، الا وتكون قدوة فى السلوك وقوة لا تقهر • هذا لا يعني ، بالضرورة ، وجوب حصول الجماعة أو التشكيلة الجهادية على مثل هذا النوع من الضباط فور تشكيلها • المطلوب ، فى بادىء الأمر ، هو الاخلاص للقضية والوطن ، وتبنّي أهداف المحاربة الجهادية وغاياتها بايمان ووفاء ، وبرغبة صادقة فى التعلم وقبول النصيحة • اما المعرفة بالمقاتلة وفنونها ، فتكتسب بالتدريج ، فى الاشتباكات والاصطدامات مع العدو • ولا خير فى ضابط يكون كفؤا من الناحية العسكرية ، لكن ينقصه الاخلاص والتفاني فى سبيل القضية والوطن ، لأنه بهذا النقص يكون غير آهل ولا مستطيع لتحقيق أي شيئى مفيد للصالح العام •

تعمد كل جماعة جهادية ، فور تكوينها واجتماعها ، الى انتقاء ضباطها وانتخابهم من ضمن أفرادها ، أو من ضمن السكان المحليين الذين يؤلفون بيئتها • ذلك لأن هذا النوع من الضباط هو أعرف بالمنطقة وأهلها ، ولأن باستطاعته أن يحقق الوئام والانسجام عند التعامل مع ضباط خارج المنطقة •

وعندما تقل امكانات الحصول على ضباط من نفس المكان ونفس السكان الذين تألفت منهم الجماعة الجهادية ، عندئذ يقتضي أن يصار الى بذل جهد كبير من أجل التعليم والتفقيه والتدريب حتى يصير بالنتيجة ممكنا العثور على بعض السكان المحليين الصالحين ليكونوا ضباطا مقاتلين •

المبدأ القاعدة ، فى تكوين كل تشكيلة جهادية محاربة ، هو التطوع الاختياري ، بمعنى اقبال الناس من تلقاء أنفسهم على التقدم متطوعين

للخدمة من أجل القضية · وانه لخطأ كبير أن يستعمل الاكـراه لحمل الآخرين على القبول بهذه الخدمة · وطالما ظـل المتطوع راضيا قانعا بحياة المقاتلة ، فانه يظل غير مهتم بالمظاهـر والمراتب ، ولا بظروف العمل والمعيشة · ان الشجعان وأولي العزم وحـدهم القـادرون على تحمل مشاق المحاربة الجهادية الطويلة الأمد ·

المتطوع فى سبيل القضية ، الذي يرتكب المخالفات بصورة متكررة ، وكذلك الذي يتصف بالخفة وسوء الخلق ، والمدمن على العادات الفاسدة والتصرفات الشاذة ، هـؤلاء الأشخاص لا محـل لهم فى صفوف القوات الجهادية · واذا حدث ووجد فى هـذه الصفوف أناس من هـذا النوع ، فيجب أن ُيطردوا منها دون أي تأخير · ذلك أن نجاح المحاربة الجهادية رهن ، الى حد كبير ، بقدرة القيادة الجهادية على حفظ جميع أفـراد قواتها ومنتسبيها ، فى حالة عالية من الطهر والفضيلة والأخلاقية النبيلة السامية ·

وللنيل من هذه المعنويـة العالية والروحية الفاضلة ، يحاول العدو دوما أن يدفع الى صفوف المجاهدين بعناصر مشبوهـة ، عناصر ضعيفة الخلق قليلة الوطنية ، وذلك لكي تكون عيونا له ، ودعاة محرضين على التخاذل والخيانة فى الصفوف الوطنية · ومـن واجب كافـة الضباط الانتباه الشديد الى هذه الناحية ، والعمل الدائب على توعية جنودهم وارشادهم باستمرار ، غارسين فى نفوسهم حب الوطن ، وكره الخونـة واحتقار الضعفاء والمتخاذلين ، وبـذا يساهمون فى تفشيل محاولات الخونة والمدسوسين ، ويحولون دون تحقق نواياهم الدنيئة الآثمة ·

ومن واجب الضباط ، أيضا أن يعملوا ساهريـن جاديـن عـلى اكتشاف أمر كل خائن وكل متخاذل · والذي يُكتشف أمره من هـذه الفئات ، يجعل منه الضباط عبرة لكل عين ، ولكل مـن قـد يتأثر بـه وبدعايته المضللة · والحالة من هذا النوع ، كـل حالة ، تنشر وتعمم على المقاتلين فى كل مكان ، بحيث يطلع الجميع على تفاصيلها ونهايتها ، تصعيدا وتقوية لمشاعـر الاحتقار والكره فى نفوسهم حيال الخيانـة ، وحيال كل خائن ··

٧ ـ النشاط السياسي

انه لفريضة ، وانه لضرورة ماسة أن تكون القوات الجهاديـة على

معرفة تامة بغرض النضال السياسي ، وبالتنظيم السياسي اللازم قيامه لبلوغ هذا الغرض • هذا يعني أن كلا من التنظيم والانضباط ، فى هذه القوات ، هما بحاجة ماسة الى بلوغ أعلى المستويات ، وذلك حتى يكون بالمستطاع حمل أعباء الجهود والنشاطات السياسية ، جهود ونشاطات هي الحياة نفسها للجيوش الجهادية ، وللمحاربة الجهاديــة على السواء •

تقوم النشاطــات السياســية ، قبل كــل شيئى ، على ايمان القادة العسكريين والســياسيين ، وقناعتهم بعدالــة القضية التي مــن أجلها يقاتلون ، وبوجوب قتال الخصم ومحاربته حتى النصر التام الحاسم •

والايمان المطلوب للضباط والقادة ، هو نفسه مطلوب لكل مقاتــل مجاهد • وهذا المطلب واجب التحقيق على جميع المستويــات ، وهــو مسئولية كل آمر • والمحارب الجهادي لا يكره العدو ويحاربه فقط لأنه عضو فى تشكيلة جهادية مشتبكة مع هذا العدو فى حرب ، وانما وأيضا لأن مقاتلة هذا العدو عقيدة فى نفس المقاتل الجهادي ، ولأن نسيان هذه العقيدة يعرض صاحبها الى التأثير بالمغريات ، والى الوقوع فريسة سهلة لليأس والقنوط •

ففي حرب طويلة الزمن ، حرب مطولة عن عمد وتدبير وتصميم ، يكون النصر آخر الأمر للفريق الــذي يبقى متفوقا بالصلابــة ومتانة العزم وقــوة المعنويــات • والذيــن لا يؤمنون بالقضية ولا بأهــداف المحاربة ، بصورة راسخة وايمان مطلق ، هؤلاء الناس غالبا ما يتعرض ايمانهم الى التزعزع والتضاؤل ، وكثيرا ما ينتهي بهم الحال الى التمرد والعصيان •

ان التنشئة المتينة ، على أساس الايمان المطلق والعزم الذي لا يلين، هي ضرورة لكل فرد مجاهد ، حتى يتمكن من تفهم أهداف الجهادية ، هذه الأهداف التي أولها طــرد العدو وبناء وطــن حر سعيد • واذا لم تتحقق مثل هذه التنشئة ، فان المحارب يقاتل دون اندفاع ولا اخلاص ولا قناعة ، وسريعا ما يتلاشى عزمه وتصميمه •

كما ويجب العمل على توضيح هدف الحركــة الجهاديــة ، الهدف الأساسي ، الى سكان المناطق الواقعة ضمن عمليات الاحتراب الجهادية ، وعلى ايقاظ الضمير وتنمية الوعي لدى هؤلاء السكان بكل وسيلة • ولهذه الغايــة ، يجب أن يُلجــأ الى شرح عملي للأســاليب الســياسية

المستعملة ، وذلك لما لهذا الشرح من أهمية بالغة ، شرح يتلقاه لا المحاربون فحسب ، بل وأيضا جميع المهتمين بالحركة التحريرية والساعين العاملين على تحقيق غاياتها ومراميها ·

ان دراسة الأهداف السياسية للحركة الجهادية ، وتفهم هذه الأهداف بصورة واعية صحيحة ، هما أمران ضروريان لكافة المقاتلين ، قادة وضباطا وأفرادا · ذلك لأن العملية العسكرية ليست سوى أسلوب يستعمل كواسطة لبلوغ الهدف السياسي · ومع أنه لا وجود لأي تشابه ما بين الأمور السياسية والأمور العسكرية، لكن الفصل بينهما مستحيل، ومستحيل كذلك عزل كل منهما عن الأخرى ·

لا يقاتل المحاربون الجهاديون ، فقط لتحرير أوطانهم · فكل حرب جهادية تحريرية ما هي الا مساهمة فى النضال العام من أجل تحرير الانسانية كلها ، ومن أجل قيام نظام عالمي مبني على الحرية الحقيقية، وعلى مبادىء العدالة والكرامة كما تعرفها الرسالات السماوية · هذه الناحية ، من الحرب التحريرية الجهادية، هي عسيرةالفهم علىالبسطاء والقائلين بفناء الروح ، ولهذا كانت الحاجة ماسة الى جعلها موضوعا هاما للدرس والايضاح باهتمام ، وبمتابعة ويقظة ·

وهنالك ، علاوة على ما تقدم ، ثلاثة أمور أخرى تدخل ضمنالحقل الواسع للنشاطات السياسية فى المحاربة الجهادية ، ألا وهي :

- النشاطات السياسية الموجهة للمحاربين ،
- النشاطات السياسية الموجهة الى عموم المواطنين ،
- النشاطات السياسية الموجهة للعدو ،
- النشاطات السياسية الموجهة للأحزاب السياسية ·

أما أهداف هذه النشاطات فهي التالية :

- تحقيق وحدة فى المفاهيم والمشاعر والاجتهاد ، لدى الضباط ومرؤوسيهم ،
- تحقيق مثل هذه الوحدة بين الشعب والقوات الجهادية المحاربة ،
- تدمير هذه الوحدة لدى الخصوم ولدى العدو ·

٨ ـ الانضباط

كل نشاط ، سياسيا كان أم عسكريا ، يقتضي أن يقوم على أساس من الانضباط القوي المتين • والانضباط ، بدوره ، يقوم على قاعدة دمقراطية محدودة •

ان الطاعة من المرؤوس للرئيس واجبة • لكن الالتزام بها يكون نتيجة لقناعة الفرد قناعة وجدانية • أما الانضباط الذي يقوم على الاكراه ، فهو انضباط غير مجد ولا فعال فى المحاربة الجهادية • ان لكل جيش تحريري ، سليم الأسس ، وحدة تجمع ما بين الضباط والافراد• هذه الوحدة ، هي وحدة الغاية والمقصد والطريق • وليس الانضباط، على أساس هذه الوحدة ، الا عبارة عن عملية شخصية ، والا سلوكا ذاتيا يفرضه المرء على نفسه بنفسه •

ومع أن الانضباط فى الجيوش الجهادية التحريرية ليس هو من الشدة والصرامة كما هو حاله فى الجيوش العسكرية التقليدية ، لكن الحاجة اليه تظل قائمة وماسة • ان الانضباط الجهادي هو انضباط يفرضه كل فرد على نفسه ، طواعية وباختياره • وعندما يقوم الانضباط على مثل هذا الأساس ، فان باستطاعة كل محارب جهادي أن يتفهم ، تماما، الأسباب التي تحمله على المقاتلة، وعلى اطاعةالرؤساء، وتنفيذ الأوامر ، والتقيد بالنواهي والتعليمات • هذا الانضباط الجهادي مصدر عظيم للطاقة والقدرة والحيوية والمعنوية فى قوات الحركة الجهادية ، وهو الانضباط الوحيد من نوعه ، الذي يستطيع ، بكل تأكيد ، أن يقيم علاقات الضباط والأفراد على أسس صالحة وروابط متينة مثمرة •

٩ ـ المعاملة

ومن المطالب الحيوية للانضباط ، فى القوات الجهادية ، المساواة فى المعيشة والمعاملة بين الجميع ، رؤساء ومرؤوسين • فالآمر ، مهما تكن رتبته ، يعيش فى نفس الشروط المادية التي يعيش بموجبها المحارب العادي البسيط • هذه المساواة هي السبيل الأقصر والأسهل والأسرع الى اكتساب الضباط لثقة المقاتلين وتقديرهم • والثقة والتقدير شيئان حيويان فى الحروب •

بيد أنه لمن الخطأ التمسك بمبدأ المساواة فى كل شيء ، باستثناء المعيشة ومواجهة الأخطار والصعاب • فهذه المساواة هي وحدها الكفيلة بتحقيق الوحدة التامة بين الأفراد والضباط •• وحدة أفقية عامة للتشكيلة المقاتلة •• ووحدة عمودية بدءا من أدنى المراتب حتى أعلاها • وعندما تتحقق هذه الوحدة فى تشكيلة ما ، فانه يمكن القول عندئذ بأن هذه التشكيلة عامل قوي فعال من عوامل النصر فى ميادين القتال •

ثمة وحدة أخرى يجب أن تقوم بين المجاهدين والسكان المحليين • ولتسهيل قيام هذه الوحدة ، يقتضي التقيد بالقواعد الثلاث التالية :
- القيادة وحدها هي المرجع ، والمصدر ، والموعز بكل نشاط ،
- لا سرقة ولا اعتداء على أموال المواطنين وممتلكاتهم ،
- لا ظلم لأحد ، ولا أنانية من قبل أحد ،

وبالاضافة الى هذه القواعد الثلاث ، فانه يجب الالتزام بالتعاليم التالية :
- تُعاد الأغراض المستعارة من السكان عند الرحيل ، بحالتها الصحيحة ،
- تنظف الأسرة وأماكن النوم يوميا ،
- يُعتمد الشرف واللطف والأدب فى المعاملة ،
- يجري التعويض عن كل عطب أو ضرر ،
- يُحاذر التعرض للنساء ، وكذلك الاغتسال فى حضورهن أو على مرأى منهن ،
- لا يفتش الموقوفون الا بأمر •

ان المعاملة الحسنة ، هي الركيزة الأولى التي تقوم عليها استطاعة المجاهدين على العيش مع السكان ، وخاصة فى مؤخرات العدو • وقد يحصل اعتقاد باستحالة قيام معيشة طويلة الأمد مع السكان، دون حدوث احتكاك أو نفور معهم ، أو دون أن يعرف العدو بذلك • مثل هذا الاعتقاد خاطىء • وهو ناتج عن نقص فى الادراك لحقيقة العلاقات الواجب قيامها ما بين الشعب وجنود الجهادية • فالشعب ، كما يقول

الفيلسوف والكاتب العسكري الصيني « سان تزو » (١) ، هو بالنسبة الى المجاهدين ، كماء البحر بالنسبة الى السمك • وكما أنه لا يمكن القول باستحالة وجود السمك والماء معا ، كذلك لا يمكن أن يقال باستحالة معيشة المجاهدين مع مواطنين من طينتهم وجبلتهم • ان العناصر الفوضوية الفاسدة هي التي تجعل من الشعب خصما للجهادية • وهذه العناصر هي عدوة للشعب ولقضاياه المصيرية •

ومن الأمور التي تستدعي العناية والاهتمام، والتي تساهم فى تطويل مدى فاعلية المجاهدين وتعظيمها ، هي الدعاية الذكية اللبقة ، الموجهة الى صفوف العدو ، كما وهي معاملة أسراه باحترام ورعاية وانسانية، والاعتناء بجرحاه ومرضاه كما يُعتنى بجرحى المجاهدين ومرضاهم دون أي تمييز • واذا تصرف المجاهدون حيال هذه الأمور على عكس ما تقدم ، أو أخفقوا فى حسن تطبيقها ، فانهم بذلك يساهمون فى تقوية معنويات العدو ، وفى توحيد صفوفه •

---

(١) كاتب وفيلسوف صيني عاش قبل نحو ثلاثة الاف سنة •

الفصل الواحد والأربعون

الاستراتيجية الجهادية

١ ـ مبادىء عامة

فى المحاربة الجهادية ، تكون القيادية مركزية فى كل ما له علاقة بالغايات والاجراءات الاستراتيجية ، ولامركزية فى جميع ما يعود الى اختصاص التكتيك • وتتكون الغايات الاستراتيجية ، عادة ، من كل ما له علاقة بالادارة العامة ، والتعاون ما بين مناطق القتال ، والسياسة العامة الخاصة بالقواعد •

وفيما عدا ذلك ، فكل مركزية فى القيادة ليست الا تدخلا فى شؤون المرؤوسين • ان السياسة الجهادية الاحترابية ، باختصار ، هي تلك التي تسعى الى قيام استراتيجية موحدة ، ونشاطات مستقلة • وعلى هذا الأساس ، يجري تقسيم كل قاعدة جهادية الى مناطق ، والمناطق بدورها الى قطاعات • ولكل قطاع قائده المعين ، ولائحة بالأهداف والتعليمات العامة الصادرة عن القيادة العليا •

٢ ـ الاستراتيجية فى التطبيق

يجري تطبيق الاستراتيجية العسكرية الجهادية ، خلال المرحلتين الأولى والثانية ، فى نطاق القواعد التالية :

ـ اجراء المحاربة على الخطوط الخارجية ،
ـ العمل استنادا الى قواعد قائمة ،
ـ العمل الاحترابي بالتواصل والتعاظم التصاعدي •

ليست الاستراتيجية الجهادية منفصلة ولا مغايرة للاستراتيجية العسكرية التقليدية ككل • انما هنالك بعض الاختلاف بين الاستراتيجيتين • الا أن هذا الاختلاف يقتصر على الأسلوب والتطبيق

لا غير • ان لكل استراتيجية أساليبها الخاصة • والأساليب المستعملة فى المحاربات العسكرية التقليدية ، لا ينجح استعمالها فى الحالات والأوضاع المتعلقة بالمحاربة الجهادية •

ان العمليات الاحترابية الجهادية ، كلها ، تبنى على أساس المبدأين القتاليين التاليين :

- حفاظ على القوة الذاتية ،
- وتدمير لقوى العدو وطاقاته •

هذان المبدآن يتعارضان ، لأول وهلة ، مع التضحيات التي تتطلبها المحاربة • فالتضحية بالأنفس والمواد لا بد منها كثمن لكل عملية، لكن على شرط أن تكون العملية لازمة ومفيدة ، وأن تبنى على أساس بلوغ الغاية المتوخاة بأقل الخسائر الممكنة •

التضحية المقبولة ، هي التضحية بالجزء فى سبيل الكل • ان جميع الاعتبارات الاحترابية تنطلق على أساس هذا المبدأ • والتطبيق ، فى جميع الفرضيات والاحتمالات ، يجري كما فى حالة المقاتل الذي يطلق النار على عدوه وهو من وراء ستار •

تقوم التشكيلات الجهادية المقاتلة ، يوم مولدها ، من لا شيء تقريبا • ومن ثم فانها تنمو بتدرج واضطراد • وفى سياق هذه الولادة والنشوء ، تكون الجهود منصبة على حماية القوة الناشئة وتأمين نموها، من جهة ، وعلى تدمير قوات العدو وتحقيق تضاؤلها ، من جهة ثانية • وتتحقق هذه الاستراتيجية المزدوجة الغايات بالعمل المستمر المتواصل، المبني على تطبيق ذكي للقواعد الاستراتيجية الستة التالية :

أ - الاحتفاظ بالمبادرة :

للاحتفاظ بالمبادرة ، يجب أن تكون هناك حالة من اليقظة المستمرة ، ومهاجمات تكتيكية مصممة بعناية وجارية بمفهوم وأسلوب المدافعة الاستراتيجية ، وسرعة تكتيكية فى محاربة مطولة الأمد استراتيجيا ، وعمليات تكتيكية على خطوط خارجية فى محاربة تدار استراتيجيا على خطوط داخلية ••

ب - تحقيق التنسيق والانسجام بين جميع التشكيلات المحاربة ••

ج ـ انشاء القواعد ••
د ـ تفهم صحيح للعلاقة القائمة بين التعرض والمدافعة ••
هـ ـ التصعيد فى العمليـات الحركيـة التعرضية وتعظيمها بصورة متواصلة ودون توقف ••
و ـ توفير القيادة الصحيحة •

٣ ـ المبادىء التكتيكية الجهادية

المبادىء التكتيكية فى المحاربة الجهادية هي ذات المبادىء المعمول بها فى المحاربة العسكرية التقليدية • لكن التطبيق الجهادي يتبع أسـاليب تختلف عن الأساليب المتبعة فى المحاربة التقليدية، وخاصة أثناء المرحلتين الجهاديتين الأولى والثانية • وأهم هذه المبادىء هي :

- المباغتة ،
- الحركية ،
- التعرضية الضارية الخاطفة ،
- المدافعة التأخيرية ،
- المبادرة ،
- التحشـد ،
- الانتشار ،
- التحول فى اليقظة •

أ ـ المباغتة :

المباغتة عامل حيوي فى المحاربة الجهادية• ومع أن المباغتة هي أيضا مبدأ أساسي فى المحاربات العسكرية التقليدية ، لكنها نادرة التحقيق فى هذه المحاربة ، بخلاف الحال فى المحاربة الجهادية ، حيث تكثر المباغتة، وحيث يتوقف النجاح لدى القوات الجهـادية ، الى حد كبير ، على مدى نجاحهم فى مباغتة الخصم ، ونسبة تكرار هذا النجاح •

ب ـ الحركية :

تقوم الحركية على أساس السرعة • والحركية والسرعة والسرية هي فى ذات الوقت أهم العناصر لامكان تحقيق المباغتة •

يجب أن تكون جميع الحركات سرية ، وأن تجري بسرعة كلية، وأن

تهدف الى أخذ العدو على غرة ، والى ادخاله فى صلب العملية بسرعة ، وأن لا تسمح بأي تطويل فى تنفيذ المخططات الجهادية ·

الحركية الجهادية ، باختصار ، هي الانتشار السريع ، والحشد الخاطف الموقت ، والتغيير الدائم فى المكان ·

ج ـ التعرضية الضارية الخاطفة :

يشترط فى التعرض الجهادي أن لا يكون توزيع كبير للقوى على عدد كبير من الاشتباكات الموضعية · القاعدة الأساسية ، هي الهجوم الضاري ، بشكل مفاجيء وخادع ، ثم الاختفاء دون ترك أي أثر يسمح بتعقب المهاجم ·

قد تقوم حالات توجب تمديد التعرض على مدى أيام كثيرة · ويكون ذلك عندما تدعو الضرورة الى عمل من هذا النوع ، كأن تطرأ سانحة مؤاتية لتدمير كتلة عظيمة من قوات العدو بواسطة تعرض طويل المدى، على أساس هجمات صاعقة خاطفة ، متكررة ومدفوعة حتى غايتها بالسرعة القصوى · ان شكل الهجوم ، عادة ، هو أسلوب « اضرب واهرب » · وقد لا تكون الضربة الواحدة مؤلمة فى حد ذاتها ، لكن تكرارها بنفس القوة والسرعة ، وعلى نفس المكان ، هو الذي يعطيها التأثير والفاعلية ·

واذا تمكن المجاهدون من تحقيق وجودهم حول جيوش العدو ، فباستطاعتهم حالئذ أن يبيدوا بعض هذه الجيوش من وقت لآخر · والنتيجة ، التي هي حاصل لتأثير العديد من هذه النجاحات الموضعية ، تتسبب غالبا فى احداث تغيير فى نسب القوى وموازينها لصالح الحركة الجهادية وقواتها المقاتلة ·

د ـ المدافعة الجهادية :

لا محل ، فى المحاربة الجهادية ، حتى لمجرد الظن بمدافعة ايجابية أو سلبية ، ولا لتكتيكات الدفاع التقليدية ، وذلك باستثناء الدفاع عن القاعدة ، ذلك الدفاع الذي يتعين نوعه ومداه تبعا لأهمية القاعدة وامكانات القوى المدافعة عنها ·

وفيما عدا ذلك ، فالمدافعة المقبولة فى المحاربة الجهادية الدفاعية،

هي المدافعة التأخيرية ، المصممة لغرض اقامة كمين ، أو عزل منطقة صغيرة وقطع الامداد عنها بينما تقــوم قــوات أخرى بمهاجمتها لمدة محدودة • والأماكن المثلى لمثل هذه المدافعة التأخيرية ، هي المضائق ، والعبارات على الانهار، والقرى الجبلية، ونقاط العبور الاضطرارية، فى الاراضي الوعرة • ففي مثل هذه الامــاكن ، يكــون من المستطــاع ضعضعة ترتيبات العدو ، ومن المحتمل كثيرا سنــوح فرص قد تسمح بتدمير بعض قواته تدميرا تاما •

هـ ـ التحشد :

يخوض المجاهدون معاركهم ضد خصم يتفوق عليهم كثيرا فى العدد والعدة • هذا صحيح• والصحيح أيضا أن باستطاعة المجاهدين التوصل دوما الى مضايقة خصمهم ، وتضليله ، والهــائه ، واجباره على التبعثر والانتشار ، وبذلك تتوفر لهم فرص ملائمة لتدمير مفارزه المنعزلة• ومع أن الطابع البارز للمحاربة الجهادية هو الانتشار، فان الظروف قد تفرض اللجوء ، أحيانا كثيرة ، الى حشد القوى بغيــة تدمير العدو فى مكان يقع عليه الاختيار • وهكذا نرى أن مبدأ التحشد هو أيضا قابل للتطبيق فى المحاربات الجهادية ، فى مراحلها الأخيرة خاصة •

تهدف المحاربة الجهادية الى تطويل أمد الصراع ، والى تحويل القتال الى حرب مديدة وذلك نتيجة لقرارات تكتيكية ناجحة ، قرارات ايجابية وذات سرعة تطبيقية خاطفة ، وكذلك نتيجة لاستعمال الطاقة البشرية فى انتشارات وحشود صحيحة ، وبالعمل على الخطوط الخارجية بقصد الاحاطة بالعدو وتدميره •

أما فيما يتعلق بالتحشد ، فيلجأ المجاهدون الى ذلــك عندما يتقدم العدو باتجاههم ، آملين أن يفتح هذا التقدم المعادي المجال أمام سنوح فرص قد تسمح لهم بمفاجأة بعض قوات العدو وتدميرها • والتحشد، أيضا، مطلوب ومرغوب عندما يكون الخصم مقيما على الدفاع، ويكون الغرض من التحشد مهاجمة بعض مفارزه المنعزلة، المتحركة أو الثابتة• ولا نعني باصطلاح التحشد ، جمع كل الطاقات البشرية المتوفرة ، بــل فقط تلك القوى اللازمة للقيام بالواجب المقصود على خير وجه • وفى نفس الوقت ، يعهد الى بقية القوات المتوفرة ، الفائضة عن الحــاجة ،

بواجبات تعجيز وتأخير والهاء، وبواجبات تدمير مفارز العدو المنعزلة، أو تكلف بأعمال واجراءات لأغراض التشويش والدعاية ·

و ـ المبادرة :

فى جميع الحروب والمعارك ، يكون الصراع على اكتساب المبادرة أمرا مستمرا ودائما بين الأطراف المتنازعة · ذلك لأن الطرف الذي ينتزع المبادرة ، ويحتفظ بها ، هو الطرف الذي يتمتع بحرية الحركة والتصرف · والجيش الذي يخسر المبادرة يخسر حريته ، ويصير دوره سلبيا ، ويتعرض بنتيجة ذلك الى خطر الهزيمة والدمار ·

والحصول على المبادرة ، فى حال المدافعة على الخطوط الداخلية ، أصعب من الحصول عليها فى حالة التعرض على الخطوط الخارجية · والمبادرة موضوع خطير جدا بالنسبة الى القوات الجهادية ، لأن هذه القوات تواجه غالبا أوضاعا حرجة قليلا ما تواجه بمثلها القوات التقليدية · من هذه الأوضاع ، تفوق العدو فى الأعداد ، ونقص فى التجارب والتجانس لدى المجاهدين · الا أن باستطاعة هؤلاء أن يحتفظوا بالمبادرة ، وأن يستعيدوها فى حالة فقدها، وذلك اذا هم احتفظوا بنقاط العدو الضعيفة ماثلة فى خاطرهم وموضوعا لتحرياتهم واهتمامهم فى كل وقت ·

عندما يهاجم العدو بأكثر من رتل واحد ، فمن العسير على المجاهدين عندئذ الاحتفاظ بالمبادرة · وكل خطأ ، مهما كان صغيرا أو تافها ، فى تقييم الوضع ، قد يؤدي الى قيام وضع يفرض على المجاهدين دورا سلبيا يكونون فيه مسيَّرين بارادة الخصم ، وعاجزين عن صد مهاجماته أو تحاشيها ·

وانه لمن الثابت المؤكد، أن المقاتلين الجهاديين لا يستطيعون اكتساب المبادرة ، ولا الاحتفاظ بها ، الا على أساس تقييم صحيح للوضع، والمام كامل ودقيق بالموقف العام ، وترتيب صحيح وتعبئة جيدة لجميع العوامل العسكرية والسياسية · ولكل تقييم متشائم رد فعل ضار من حيث أنه يحمل غالبا على اتخاذ المواقف السلبية ، الأمر الذي يؤدي الى خسارة للمبادرة ، كما وتؤدي الى نفس النتائج كل مغالاة فى التفاؤل والثقة ·

ومن المؤكد ، أيضا ، أن الاستيلاء على المبادرة لا يتم بواسطة نعمة تمن بها الأقدار على من تشاء من القادة • ان أخذ المبادرة عمل ناجح يحققه القائد الذكي الكفء ، بنتيجة دراسة عميقة دقيقة ، وتقييم صحيح للأوضاع والمواقف العامة والخاصة ، وتدابير وترتيبات متخذة بناء على العوامل السياسية والعسكرية الحاصلة والموضوعة تحت تصرفه •

والقوة الجهادية ، التي تجد نفسها مجبرة على القيام بدور سلبي ، سواء بنتيجة خطأ أو ضعف فى تقييم القائد ، أو بسبب ضغط العدو ، هذه القوة واجبها الأول هو الخروج من مثل هذه الورطة • وما من أسلوب معين يمكن تحديده مسبقا لتحقيق ذلك الخروج • فلكل حالة أسلوبها وعلاجها بموجب الظروف القائمة • وقد تفرض الضرورة أحيانا أن يلجأ الى الهروب كحل أفضل • ويتراءى الموقف أحيانا كثيرة كما لو أنه موقف ميئوس منه • لكنه يكون فى الحقيقة على خلاف ذلك • وهذه هي الحالات والأوقات التي تتجلى فيها ميزات القائد الجيد ، القائد الكفء القادر على رؤية السوانح الطارئة فى وقتها وفور حدوثها ، وعلى الامساك بها فى التو واللحظة ، واستخدامها واسطة لاسترداد المبادرة المفقودة •

والمبادرة نتيجة للحذر والتيقظ • والتيقظ فى القيادة مطلب أساسي فى القيادات الجهادية • ولذا فان على القادة الجهاديين أن يعرفوا ويؤمنوا بأن التصرف بيقظة هو العمل الأهم من أجل اكتساب المبادرة ، وأنه عامل حيوي فى تأثيره ، نسبيا ، على الوضع فى ميزان القوى المتحاربة •

يكيف القادة الجهاديون أعمالهم وتصرفاتهم مع وضع العدو ، والأرض ، ومع الظروف الموضعية السائدة • يجب أن يكون القائد يقظا ، بحيث يشعر فورا بكل تغيير يطرأ على هذه العوامل ، فيبادر حينئذ الى اجراء التعديلات اللازمة على تعبئة قواته ، وذلك لكي يتلاءم وضع هذه القوات مع التغيير الطارىء • ان على القائد أن يكون كصياد السمك (١) ، قادرا ، فى كل وقت ، على القاء شباكه حيث يريد،

---

(١) الفيلسوف والكاتب العسكري الصيني « سان تزو » •

ورفعها فى آن واحد ، آخذا بعين الاعتبار عمق الماء ، وقوة التيار ، وكل عائق قد يعترض عمل الشباك أو يضر بها ·

المفهوم العملي للمبادرة ، فى المحاربة الجهادية ، هو الانتشار والتحشد ونقل القوى بسرعة حين الحاجة · وهذا المفهوم هو أيضا رفض للغباء والتعنت ، اللذين يقودان صاحبهما ، عادة ، الى مواقف سلبية تلحق به الخسائر الفادحة ·

والمهارة فى ممارسة المحاربة الجهادية ، وفى تنفيذ عملياتها ، لا تتوقف فقط على تفهم الأشياء والأمور التي تقدم عرضها ، بل تتوقف بالأحرى على تطبيقها الواقعي فى ميدان المعركة · والأساس فى ذلك ، هو اليقظة الجيدة المراقبة المحيطة بكل شيء ، فى كل لحظة وكل مكان ، يقظة يتصف صاحبها بالذكاء الحاد ، وبالمثابرة المستمرة المتواصلة على متابعة كل حركة فى وضع دائم التغيير ، وأخيرا لا آخرا ، بالقدرة والاستطاعة على اتخاذ القرار الحاسم فى وقته الصحيح ·

ز ــ الانتشار : ــ

وكما يمسك الصياد بشباكه،فيلقي بها ويوجهها كيف يشاء،بواسطة الحبال ، كذلك يفعل القائد الجهادي ، فى احتفاظه بالتماس وبالسيطرة على قواته · ان الصياد يغير ويبدل فى أمكنته وأوضاعه سعيا وراء صيده ، وكذلك يفعل القائد الجهادي فى تطلبه للعدو ·

ينتشر المجاهدون ، عادة ، للعمل فى الحالات التالية :

، ــ عندما يكون العدو نفسه منتشرا على مساحة كبيرة، وليس من الممكن حشد القوى اللازمة للعمل ضده ، عندئذ يعمد المجاهدون الى الانتشار ، متوخين من وراء ذلك ازعاج العدو والنيل من معنوياته ··

٢ ــ فى حالة التطويق ، ينتشر المجاهدون جاعلين من ذلك واسطة الى تأمين انسحابهم ··

٣ ــ عندما تحول طبيعة الأرض دون التوسع فى مجال النشاط ومداه ··

٤ ــ عندما تحد امكانات التموين المتيسرة من مجال النشاط ومداه أيضا ··

٥ ــ عندما يتطلب الأمر القيام بتحركات جماعية ٠

ومهما تكن الظروف القائمة عند الانتشار ، فيجب ، فى معظم الحالات ، التيقظ والحيطة على النحو التالي :

١ ــ تعطى كل وحدة منتشرة واجبات واضحة ومحددة بدقة ٠ وتُعين الأوامر مكان الانطلاق ، ووقته ، ومكان التجمع ، ووقته وأسلوبه ٠٠

٢ ــ الاحتفاظ بجماعة كبيرة كقوة مركزية ، بصفة احتياط لمعالجة الطوارىء ٠ ومن الأفضل أن لا يجري توزيع بقية القوى الى أقسام متساوية تماما ، وذلك حتى يظل القائد فى وضع مساعد له على معالجة كل حالة طارئة ٠

ح ــ التحول فى اليقظة : ــ

على القائد ، بالاضافة الى الانتشار وحشد القوى ، أن يتفهم جيدا ما يراد باصطلاح « تحويل اليقظة » ٠ مثال ذلك أنه عندما يشعر العدو بخطر المجاهدين فى مكان ما ، فانه يبادر عادة الى توجيه قواته لمهاجمتهم ٠ وفى هذه الحالة ، يقوم القائد الجهادي بتقييم الموقف ، ويقرر ، بناء على ذلك ، الوقت والمكان الملائمين لدخول المعركة ٠ واذا وجد أن العدو لا يستطيع القتال أو لا يريده ، فعليه عندئذ أن يجري التعديل المناسب على قراره ٠ ومن الممكن فى حالة كهذه ، تدمير العدو جزءا بعد آخر ٠ مثلا بعد أن ينجح المجاهدون فى تدمير مفرزة للعدو فى مكان ما ، فانهم ينتقلون بعدها الى منطقة أخرى لمهاجمة مفرزة ثانية للعدو،وتدميرها ٠ ويكون من المفيد لتشكيلة جهادية ، أحيانا ، أن تصير مشتبكة مع العدو فى منطقة ما ، ولذا فمن واجبها والحالة هذه أن تتحرك الى تلك المنطقة حالا وبسرعة جهادية خاطفة ٠

وعندما يكون الموقف حرجا ، فانه يجب على المجاهدين أن يتحركوا بسرعة ٠ وهم يتحركون كالماء سيولة وانسيابا وهدوءا،وكالريح سرعة وخفّة وحركية ٠ وهم يلجأون الى تكتيكات هدفها الأول تضليل العدو ، والتسلط على ارادته ، وجعله مشوش الفكر والمفاهيم ٠ انهم يسلكون بحيث يحملون العدو على الظن بانهم سيهاجمونه من الشرق والشمال ، فى حين يقومون ، فى الواقع ، بضربه من الغرب والجنوب ٠ انهم

يضربون فجأة كالصاعقة ، ويتفرقون بعد ذلك مختفين بسرعة البرق • ومعظم حركات المجاهدين ، ان لم تكن كلها ، تجري فى الليل •

٤ ـ تصميم الخطط

يجب أن تحتوي الخطط على تعاليم بالنواحي العسكرية والسياسية على السواء • كما ويجب أن تتطرق الخطط أيضا الى أمور التموين والتجهيز ، والعلاقات العامة ، والتعاون مع السكان المحليين • اذ بدون دراسة هذه العوامل ، فانه يستحيل المبادرة ، كما ويستحيل العمل بالحذر والتيقظ اللازمين • انه لصحيح وواجب أن تكون الخطط مختصرة وموجزة ، لكنها رغم ذلك يجب أن تحتوي على جميع المعلومات التي تقدم ذكرها •

والتخطيط المتقن ضروري اذا أريد للحركة الجهادية الفوز والنجاح • والذين يعملون بلا تخطيط هم من الجاهلين لحقيقة العمل الاحترابي الجهادي وطبيعته • ان الخطة ضرورية مهما كان حجم التشكيلة المحاربة المتورطة • والخطة المحكمة لازمة للزمرة والحضيرة لزومها للكتيبة واللواء • وكل خطة تتطلب لوضعها دراسة للموقف بروية واتقان •

المبادرة تؤخذ ، وتصير حقيقة قائمة ، فقط بنتيجة انتصار ايجابي ناتج بدوره عن هجوم قد خطط له باتقان • والهجوم الجهادي يحصل بناء على مبادرة جهادية ، بمعنى أن المجاهدين لا يسمحون للعدو أن يتلاعب بهم،ولا أن يستجلبهم الى القيام بالهجوم فى شروط غير ملائمة•

ان النصر ، كل نصر ، ما هو الا حاصل للتخطيط المتقن ، وللسيطرة المتيقظة • وان التعرض الخاطف الضاري هو الصفة الغالبة فى المحاربة الجهادية • وقد يضطر المجاهدون بضغط الظروف الى القتال بالمدافعة، لكن جهودهم ، وهم فى هذا الوضع الموقت ، تظل ساعية للعودة الى الهجوم بأقرب وقت • ذلك لأن بالهجوم فقط يستطيع المجاهدون تدمير العدو والحفاظ على أنفسهم • والدفاع والانسحاب هما بلا أدنى فائدة بالمرة فيما يتعلق بموضوع ابادة العدو ، وليس لأي منهما سوى فائدة وقتية، فائدة هي فقط فىنطاق الحفاظ على القوى •

٥ ـ خلاصة

الغاية لكل استراتيجية جهادية ، ولكل تكتيك جهادي ، هي العثور على الوسائط التي تؤدي الى تمزيق وحدة قوات العدو وتحطيم لحمتها، وتحويل هذه القوات ، بنتيجة ذلك،الى أجزاء غير متماسكة ولا متعاونة، ومن ثم معالجة كل جزء على انفراد ، وتدميره قبل أن يستطيع تلقي المساعدة من أحد ٠

الفصل الثاني والأربعون

تنظيم العمل بين المجاهدين وبين القوى النظامية الجهادية

١ ـ عموميات

العلاقات بين المجاهدين وبين القوات الجهادية النظامية هي ، وجوبا ، علاقات أخوة وتعاون متينة • وموضوع هذه العلاقات هام جدا، ومن الواجب أن يحظى بالاعتبار الكلي والاهتمام الجدي فى كل وقت •

هذه العلاقات هي على ثلاثة أنواع :

ـ التعاون الاستراتيجي ،
ـ التعاون التكتيكي ،
ـ التعاون فى المعركة •

٢ ـ التعاون الاستراتيجي

عمل المجاهدين ، فى مثل هذا التعاون ، هو الازعاج المستمر لمؤسسات العدو ومراكزه الخلفية • وهو أيضا عرقلة نقلياته ، وزرع الخلل والفوضى فى مشاريعه ومخططاته ، والتشجيع على ظهور الاحساس الوطني بوجوب اللجوء الى المقاومة ضده ، وتعهد هذا الاحساس بالرعاية بقصد أن ينمو ويتماظم باستمرار دون توقف أو انقطاع •

٣ ـ التعاون التكيكي

لكي يتمكن المجاهدون من التعاون التكيكي مع القوات الجهادية النظامية ، يجب لذلك أن يجهزوا بوسائط المخابرة السريعة • وهذا التعاون يحصل فى ميدان المعركة •

٤ ـ التعاون فى المعركة

التعاون فى المعركة ، هو التعاون التكيكي نفسه ، لكنه تعاون يجري فى ساحة القتال · وأهدافه الأولية عرقلة نقليات العدو ، وجمع المعلومات عنه ، والعمل كمحطات أمامية لصالح القوات النظامية الجهادية · وهو من ثم الاشتراك الفعلي فى المعركة ·

وكل هذه الأنواع من التعاون ، لا تصير ممكنة الا فى غضون المرحلة الجهادية الثالثة ·

الفصل الثالث والأربعون

حول القواعد الجهادية

ان اقـامة القواعد الجهـادية موضوع ضروري وحيوي للغايـة • وللالمام بهذا الموضوع جيدا ، لا بد من بحثه وعرضه فى حدود النقـاط التالية :

١ ـ أنواع القواعد ،

٢ ـ المناطق الجهادية ، والقواعد الجهادية ،

٣ ـ اقامة القواعد ،

٤ ـتنمية القواعد •

أنواع القواعد

تُصنف القواعد الجهادية الى :

ـ قواعد جبلية ،

ـ وقواعد سهلية ،

ـ وقواعد نهرية ، وبحيراتية وخليجية •

القواعد الجبلية أحسن الأنواع جميعا • وهي المرغوبة والمطلوبة فى الدرجة الأولى • وتقـام القواعد السهليـة فى السهول ، على أساس الفصول السنوية ، مما يعطيهـا طابعـا موقتا ، ويتيدها بشرط توفر الأحوال الطبيعية المساعدة على تزويد القاعدة بالمناعة اللازمة • وقد تقام القاعدة فى السهل ، عندما يكون الخصم مشغـولا فى مناطق أخرى بعيدة نوعا ما ، وليس باستطاعته أن يفاجىء القاعدة ويهاجمها عـلى حين غرة • وعندما يتحرك العدو متوجها الى مهاجمة قاعدة سهلية،فعلى هذه القـاعدة أن تكون البادئـة فى التحرش به والاشتباك معه ، وذلك

كمرحلة انتقـالية ممهدة لانتقالهـا الى معاقلهـا فى الجبال والأراضي الوعرة ٠

والقواعد التي تقام عند الأنهار والخلجان والبحيرات ، فتكون اما مزمنة أو موقتة وفقا لدرجة مـا تتمتع به من مناعة طبيعية ، ولموقعها بالنسبة الى قوات الخصم وقدرته على النيل منها ٠

ان قاعدة نهرية أو بحيراتية ، محاطة بالمياه والمستنقعات من جميع الجهات ، ومغطاة بالأشجار والنباتـات ، لقـاعدة هي ولا شك منيعـة وحصينة ٠ الا أن هذا الأمر يظل نسبيا مع امكانات المجاهدين وقدرتهم على الاحتفاظ بخـطوط مواصـلاتهم سليمة من طـائلة العدو البرية والجوية ، الى حد معقول ٠

والقاعدة الخليجية قاعدة بحرية ، غرضها الأساسي تأمين الاتصال مع العالم الخارجي عن طريق البحر ، وحماية المرفأ البحري الذي هـو قاعدة لهذا الاتصال ٠ والقاعدة من هذا النوع يجب أن تكون بعيدة عن متناول العدو ، وأن تكون حمايتها ضد الغارات الجوية قوية وفعالـة ، وأن تكون مستندة على خلفية صديقة كبيرة عرضا وعمقا ٠

٢ ـ المناطق والقواعد

هنالك فرق بين اصطلاحي «المنطقة الجهادية» و «القاعدة الجهادية»٠ فالأراضي المتمردة ، المحاطة كلها بالعدو ، هي قاعدة جهادية ٠ أمـا المناطق الجهادية ، فهي المناطق الجهادية التي يحتلها المجاهدون ، والتي تخضع لسيطرتهم لكن لأمد مؤقت ، أي ما داموا يحتلونها ويدافعون عنها اذا رغبوا فى ذلك ، عند الاقتضاء ٠ والدفاع عن مثل هذه المناطق ليس له طابع الدفاع الضاري المستميت ، كما هو الحال فى الدفاع عن القاعدة الجهادية ٠

وثمة فارق آخر خاص بالقواعد الجهادية ٠ هذا الفارق هو التعاون بين القوات الجهادية المحاربة وبين الشعب فى القاعدة الجهادية ، فى حين لا قيام فرضا لمثل هذا التعاون فى المنطقة الجهادية ٠

فى القاعدة الجهادية،جميع الجهود والنشاطات اللازمة يجب أن تبذل لنشر عقيدة الجهاد والمقاومة لدى الأهالي سكان القاعدة ، وتسليحهم ، وتنظيم تشكيلات المدافعـة الذاتيـة ، وتدريب العصابات والجماعات

المجندة على المقاتلة الجهادية • يجب ، باختصار ، أن يُنظم السكان جميعهم كقوة مقاتلة فعالة واحدة في وجه الخصم •

٣ ـ اقامة القواعد

بعد أن يجري اختيار القاعدة ، والتمركز فيها ، وتنظيمها عسكريا حتى تصبح حصنا منيعا وقاعدة انطلاق لمختلف النشاطات السياسية والاحترابية ، بعد ذلك ينصرف الجهد الى تنمية مفاهيم الأهالي السياسية ، وشحذ حواسهم ، والى العمل المستمر على ازدياد حماسهم للنضال والابداع •

ان التنظيم ، في القاعدة ، هو الخطوة الأساسية الأولى في كل شيء • واذا لم يجر تنظيم العمال ، والمزارعين ، وعشاق المثل والقيم،والشباب والنساء والأطفال ، فانه لن يكون باستطاعة السكان كمجموع أن يشعروا بطاقتهم وقوتهم ، ولا أن تُستعمل هذه الطاقة والقوة بفاعلية ضد الخصم • ان التنظيم وحده هو الذي يجعل من قوة مجموع الأهالي في القاعدة ، ومن استطاعة هذا المجموع أن يكون حقيقة ملموسة فاعلة، هذه القوة المستطيعة هي التي تمكن من معرفة الخونة والمتخاذلين،ومن استرجاع السيادة السياسية المفقودة ، ومن الاحتفاظ بما لدى الحركة الجهادية من امكانات واستطاعات ، ومن تقوية هذه الامكانات والاستطاعات باستمرار وبصورة تصاعدية •

٤ ـ تنمية القواعد

لكل قاعدة ، بالاضافة الى العوامل الجغرافية المميزة ، عوامل أخرى لا تقل أهمية عن العوامل الجغرافية ، ألا وهي العوامل الاقتصادية ، التي تتطلب بدورها سياسة خاصة تئول الى تقوية موارد القاعدة وتعظيم امكاناتها المادية المتنوعة •

السياسة الاقتصادية الواجب اتباعها في كل قاعدة ، هي تلك التي توفر حماية معقولة للتجارة والمشاريع المنتجة • والمعني هنا«بالحماية»، هو مساهمة المواطنين ماليا في حدود ما لديهم من أموال ، جميع المواطنين • ويقوم المزارعون ، علاوة على ذلك ، بتقديم بعض محاصيلهم لقوات الجهادية • أما المصادرة ، فهي ممنوعة ، باستثناء الحالات المتعلقة بأعداء الحركة من أبناء البلاد ، الذين يعبّرون عن

مشاعرهم العدائية بطريقة عدائية ايجابية ·

وهكذا فان نشاطات الجهادية هي عـامة لكـل أراضي القـاعدة · والغرض من ذلك ، كما تقدم ، هو تقويـة القاعدة وتنمية مواردهـا واستطاعتها باستمرار · وهذه النشاطات المتعددة توفر المناسبات الكثيرة لتنظيم الشـعب ، وتجهيزه وتدريبـه ، وبذا تتحقق مصلحة السياسة الجهادية ، جنبا الى جنب مع تحقق غاية السياسة الوطنية من المحاربـة التطويلية ·

وليس للعمل فى هذه النشاطات قاعدة جامدة · فقد ينصب النشاط أحيانا على تنمية الأراضي القاعديـة ، والاكثار مـن هذه الأراضي ، بالأسبقية على سواها من النواحي · وقد يتجه النشاط ، أحيانا أخرى، اتجاها أعظم الى نواحي التنظيم ، والتدريب ، وتجهيز المواطنين ·

٥ ـ النشاط فى القواعد

لكل قاعدة جهادية مسائلهـا الخـاصة من هجوم ودفاع · ويحـاول العدو ، عادة ، فى سيـاق مسـاعيه الى تدعيم مكتسباته ، القضاء على القواعد الجهادية ، وذلك بأن يوجه اليها مفارز عسكرية عديدة ، مفارز متحركة على عدد من الطرق والمحـاور المختلفـة · مثل هذا النشاط المعادي يستدعي الكثير من اليقظة والحسبان · وكل محاولة للتطويق من قبل العدو ، تقابل بالهجمات المعاكسة ·

وبما ان المفارز المعادية ، المـنوه عنهـا أعـلاه ، تكون عادة بدون احتياط ، لذا يبنى التخطيط الجهادي على أساس الانقضاض المفاجىء على كل مفرزة منها على حدة ، مفرزة تلو أخرى ، بعمليات رئيسية ، بينما تجري ، فى ذات الوقت ، عمليات أخرى ثانوية لأغراض الازعاج والتشويش والعرقلة ·

وفى الوقت نفسه ، أيضا ، تقوم قوات جهادية أخرى بعزل حاميات العدو المتمركزة ، وبمهاجمة خطوط مواصلات هذه الحاميات · وكلما تم القضاء على مفرزة معـادية ، يتم الانتقـال حالا الى العمل بقصد القضاء على المفرزة التالية ، وهكذا دواليك ·

وبعد كل فوز على العدو ، يستفاد من الوقت اللازم للعدو لاعـادة تنظيم قواته ، وذلك بمواصلة الضغط عليه ، بمهاجمات ضارية سريعة

تصيب منه المقاتل • والمجاهدون لا يهاجمون الا هدفا يكون باستطاعتهم الاستيلاء عليه • وعليهم أن يحصروا نشاطهم الاحترابي فى نطاق مناطق صغيرة ، وأن يطهروا هذه المناطق من الخونة والمتآمرين عليهم •

والنشاط الاحترابي غير مسموح به من القاعدة ، الا بعد النجاح فى اكتساب السكان المحليين ، وبعد تدفق المتطوعين وتدريبهم ،وتجهيزهم وتنظيمهم • ونشاط القاعدة ، الاحترابي التعرضي ، يستهدف المدن وخطوط المواصلات الضعيف دفاعها ، وبامكان المجاهدين أن يتمركزوا فى مثل هذه الأماكن لآجال موقتة أو مزمنة،وفقا للظروف والاستطاعات • هذا النشاط كله ، واجب ضروري ، ويدخل فى نطاق التعرض الاستراتيجي • الغرض منه اطالة أمد الوقت الذي يصرفه الخصم فى المدافعة ، فى حين يستغل هذا الوقت نفسه فى تمظيم النشاطات الجهادية والتنظيمية ، سعيا الى نشر النفوذ الجهادي وتدعيمه فى صفوف الشعب وأوساطه بصورة فعالة • ومن أهداف النشاط القاعدي ، فى مثل هذا الوقت أيضا ، التحرش بالعدو ومهاجمته ، بقصد ازعاجه واضعافه • ومن المهم أن تتوفر للقوى الجهادية فترات كافية من الزمن للاستراحة والتدريب واعادة التنظيم • وأحسن الظروف لذلك ، هي عندما يكون العدو مقيما على المدافعة •

ليست المحاربة الحركية مرغوبة ومطلوبة فحسب ، بل انها حيوية وأساسية فى كل محاربة جهادية • فهذه المحاربة هي حرب تطويلية• ذلك لأنه ليس من المستطاع التغلب على العدو فى حرب قصيرة الأمد • ولو كان مثل هذا الأمر ممكنا ، لما كانت فوارق حاسمة بين المحاربة الجهادية والمحاربة التقليدية •

٦ ـ النظامية الجهادية

تسعى الجهادية ، لدى دخولها نطاق المرحلة الثالثة من حياتها الاحترابية ، الى تشكيل جيش نظامي ، أي الى الانتقال بقواتها من حالة العصابات والجماعات الجهادية اللانظامية ، الى حالة الجنود النظاميين والتشكيلات النظامية • وقبل التفكير فى تنفيذ مثل هذا الانتقال، يجب أن يكون قد تحقق التحسين الكلي فى الكم والنوعية لدى المقاتلين الجهاديين •

وأولى الخطوات ، فى هذا السبيل ، تبدأ بدعوة الراغبين فى الالتحاق بالقوات الجهادية النظامية ، ثم باجراء الانتقاء الدقيق بين هؤلاء الراغبين ، ومن بعد الانصراف الى تحسين تصاعدي مستمر فى التجهيزات ومستويات التدريب ، والى تنمية الثقافة العسكرية ، والى بلوغ أعلى درجة فى التنظيم ، واستعمال الأسلحة ، والمهارة التكيكية ، والانضباط الداخلي • وهذا الانتقال ، من حالة الأوضاع اللانظامية ، الى حالة العسكرية النظامية الجهادية ، يتم بخطى متدرجة ، ويتطلب فى الوقت ذاته أن تتوفر مستلزمات الطبابة والمعالجة الصحية ، وتجهيز المستودعات والمخازن بالسلاح والمئونة المتنوعة ، وأفضل الوسائط للانتقال والحمل والاتصال والمخابرة •

٧ ـ نوعية القيادة

تعمل التشكيلات الجهادية عادة بصورة مستقلة ، ولذا كان من الضرورة أن تُبنى على أبسط قواعد التشكيل المسلح ، وأن لا تخضع الى قيادة شديدة المركزية ، فى المرحلتين الأولى والثانية بصورة خاصة • ان المركزية الشديدة تحد كثيرا من نشاط التشكيلات الجهادية ، وتقلل أمامها من فرص المبادرة واستخدام المواهب والملكات الشخصية •

ولكي يكون نشاط المجاهدين مؤثرا وعظيم الفاعلية ، يقتضي أن يعملوا جميعا متعاونين ، وأن يكون هذا التعاون مشتركا بين جميع التشكيلات ، القريبة والبعيدة على السواء •

فهرس الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

بعض مراجع هذا الكتاب :

الجغرافيا العسكرية	للفريق قائد الجيش طه الهاشمي
الاستراتيجية الاميركية في السياسة العالمية	للمؤلف ن· جون سبايكمان
قائـــد المدرعـــات	للجنرال هانز كودريان
المذهبيـــة العسكرية السوفياتية	للمؤلف ريمون ل· كارثوف
العمليـــة انتصـــار	للجنرال دي كينكاند
تاثير التسليح على التاريخ	للجنرال ج·ف·س· فوللر
هيئـة الاركان الالمانيـة العامة	للمؤلف كورليتز
المحاربـــة الثورية	للزعيم ماوتسي تونغ وشي غيفارا
الحرب العالميـة الثانية	للجنرال ج·ف·س· فوللر
جنود وجنديـــة	للفيـلد مارشال ويفيـل
صليبيـــة في اوروبا	للجنرال ايزنهـاور
قتـــال المشاة	للفيلد مارشال رومـل
مذكرات رومل عن الحرب في أفريقيـا	للكابتن ليـدل مـارت
تاريخ جنكيز خان	للمؤلف هارولد لامبس
الفتوحـات العربية الكبرى	للجنرال جون باكوت كلوب